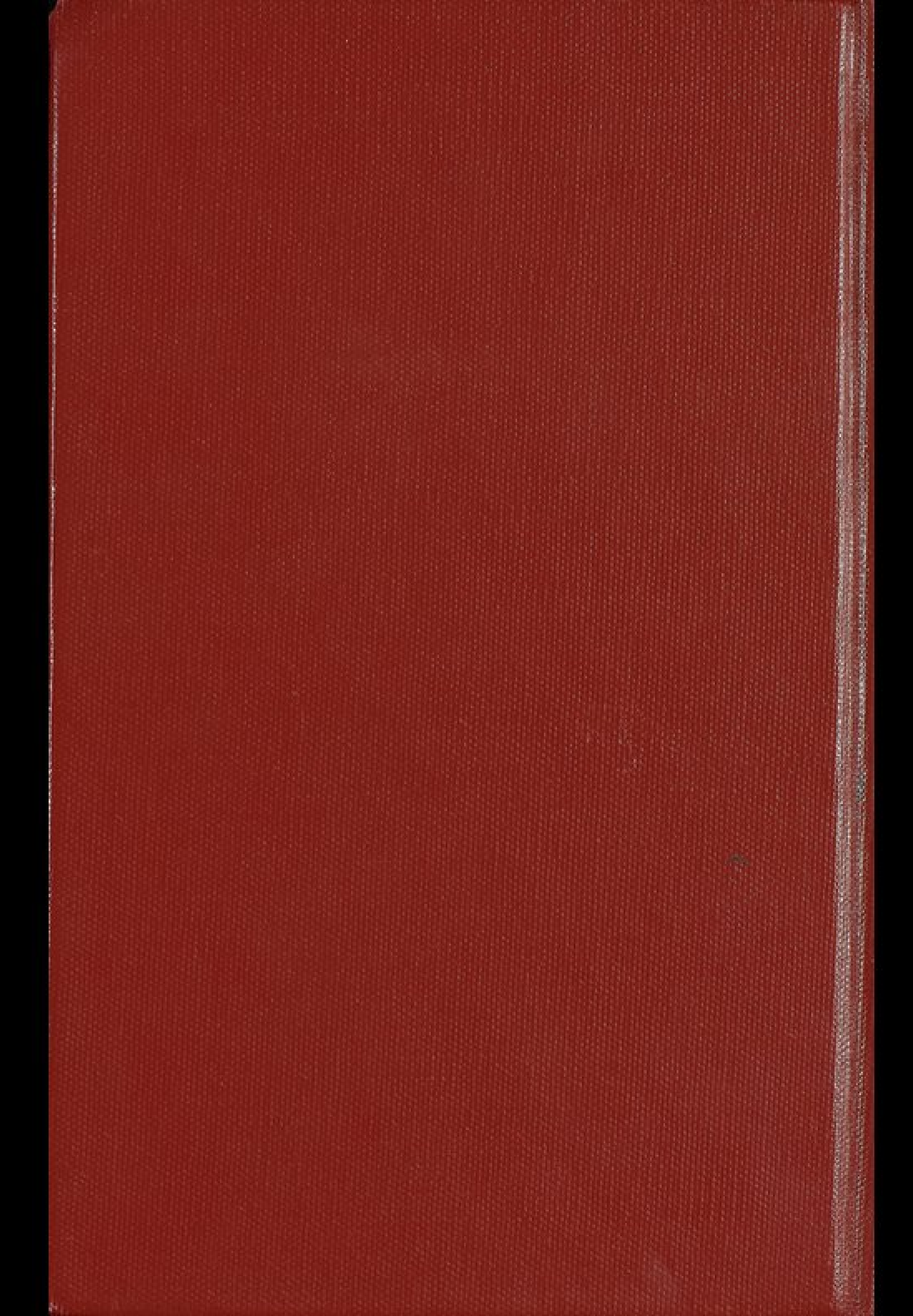
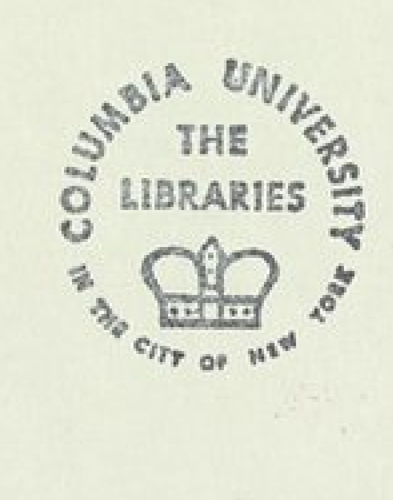



COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK

السيد رشيد رضا

أو

إخاء أربعين سنة

تأليف

الأمير شكيب ارسلان

من أعضاء المجمع العلمي العربي

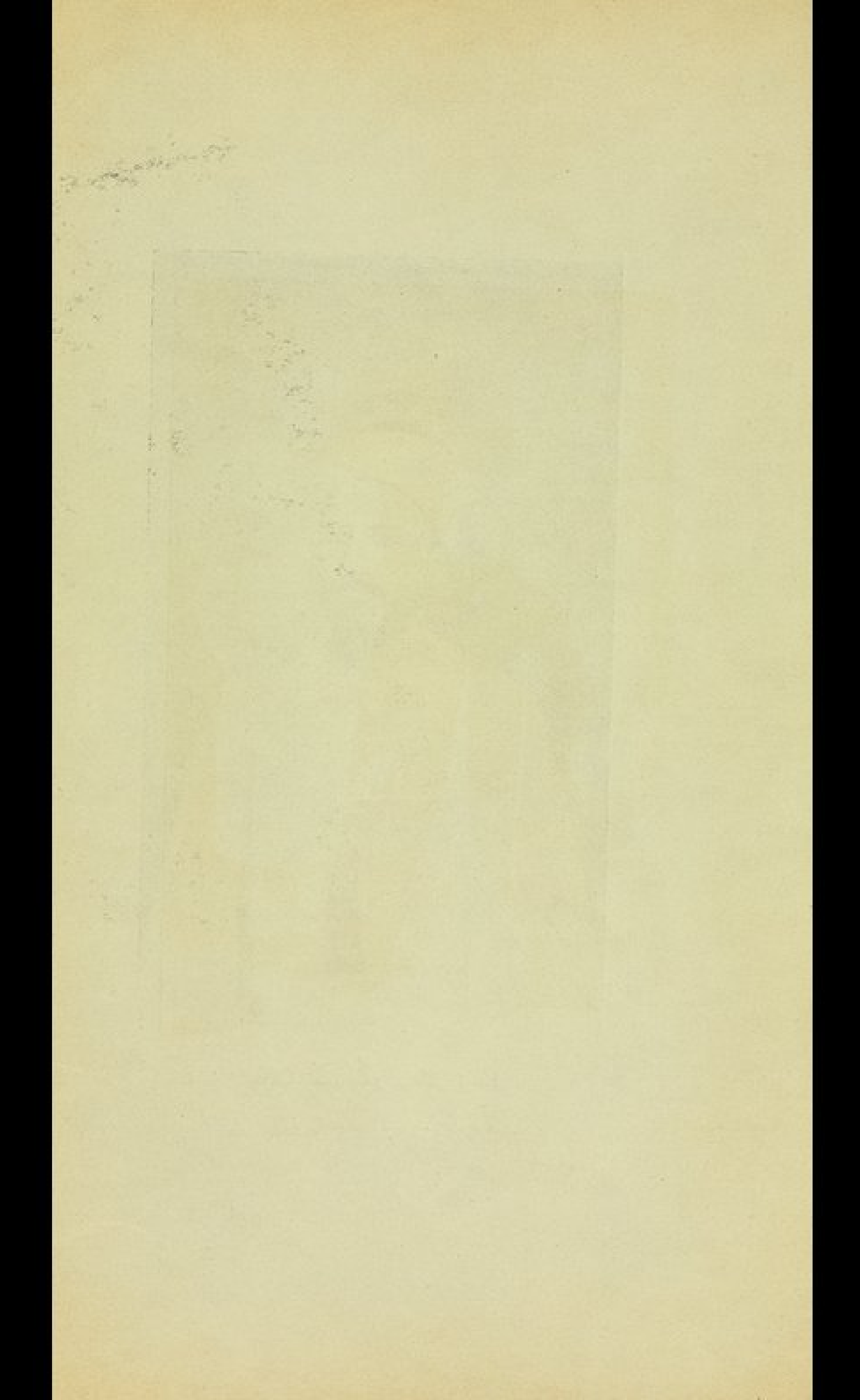
الطبعة الأولى

١٣٥٦ هـ مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٣٧ م



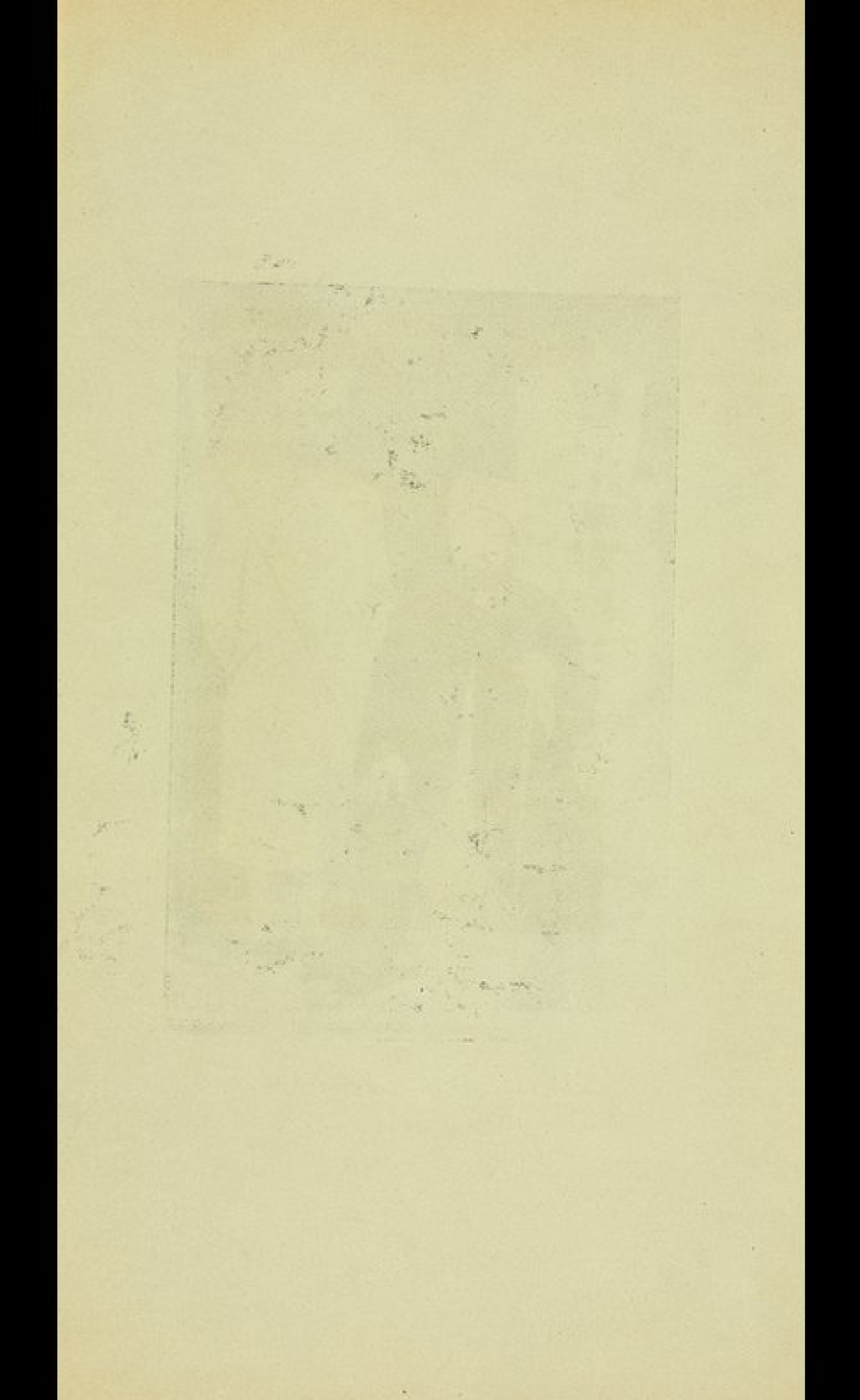
الفقيد السيد محمد رشيد رضا

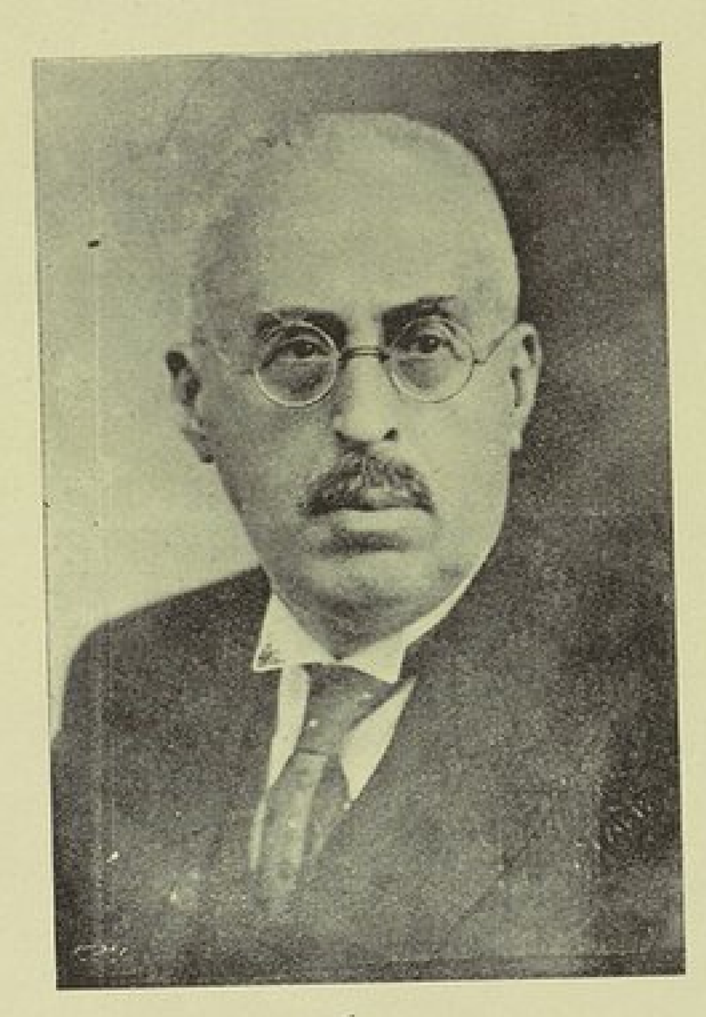
بعد هجرته الى مصر سنة ١٣٢٧





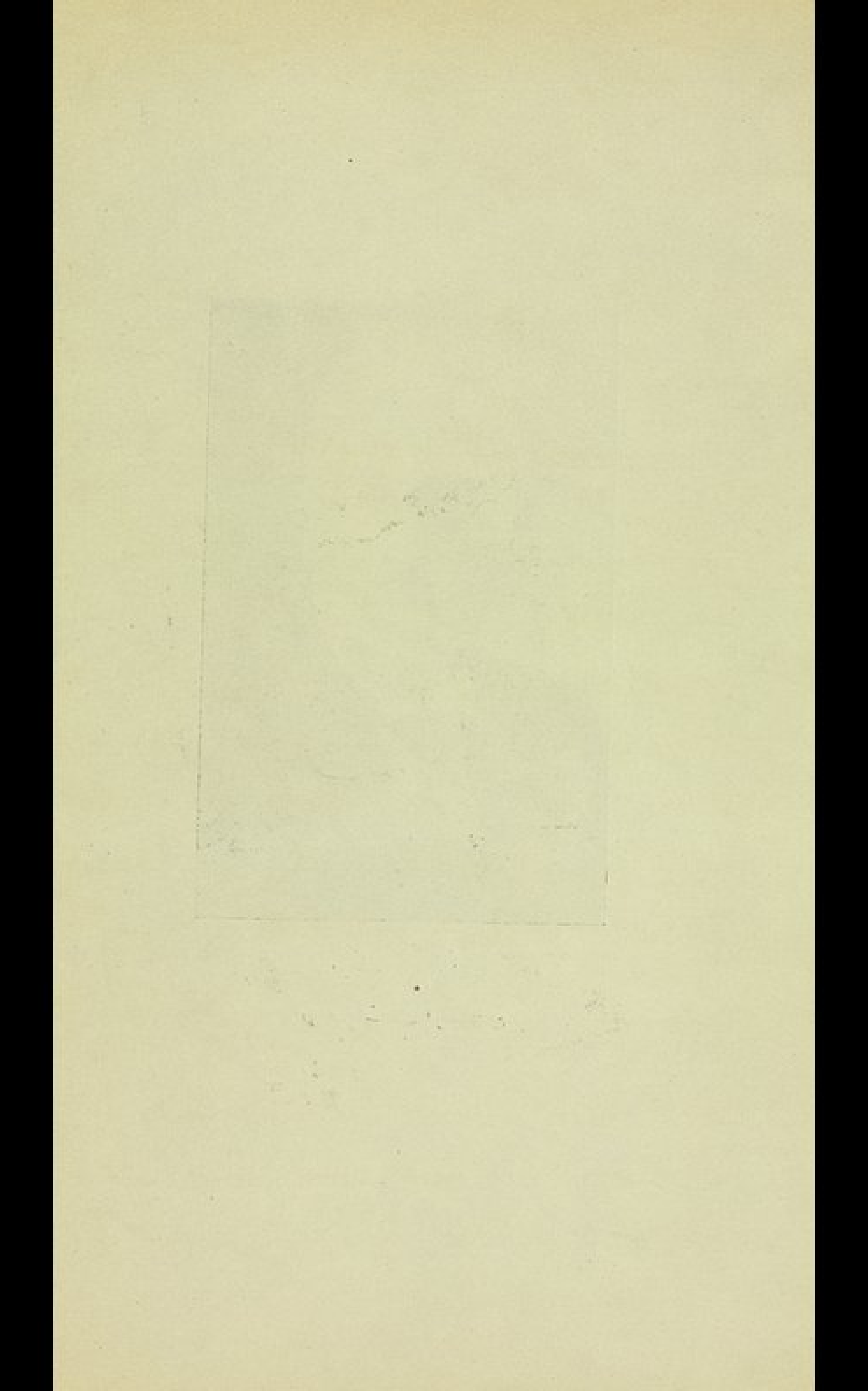
الفقيد المرحوم السيد محمد رشيد رضا
وابن عمه السيد عبد الرحمن عاصم





مؤلف الكتاب

الأمير شكيب ارسلان



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

لقد قضت العقول وأيدت حكمها التجارب التي قد تكون العقول نتيجة تكرارها ـ أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا لا يُلات شيئاً من أعماله ، وأن هذه لن تخفى على الناس مهما حيل بينها وبينهم ، وأنه لن يطمسها طامس ، ولن يقدر أن يغمط من حقها غامط ، مهما حاول المحاولون ، وكابر المكابرون . وهذا في هذه الحياة الدنيا التي أكثر ما فيها الظلم ، وأفشى ما فيها الباطل ، فكيف تكون الحال في الآخرة التي هي بجبوحة الحق ، ودار الجزاء ، والتي لا يُظلم فيها أحد فتيلا . قال الله تعالى : « نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون » وقال تعالى : « وليوفيَنَّهم أعمالهم وهم لا يُظلمون » وقال عزّ وجل : « ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » إلى ما لا يكاد يحصى من الآي العظام التي تشهد بأن الله لن يَتِر أحداً من خلقه عمله .

وما أحرى عباد الله بأن يتأدبوا بأدب الله فيتعوّدوا إنصاف بعضهم بعضاً ، ويذكروا كل إنسان بعمله غير منقوص ، ويؤدوا إليه حقه غير مبخوس ، حتى يرغب الفاضل في الأحدوثة الحسنة فيستكثر من الخير ، ويعلم الفاجر أن عليه من ألسنة الخلق حسيباً ، ومن أعينهم رقيباً ، فيتنكب طريق الشر . وقد أشار الله أيضاً إلى وجوب القسط وجعله من العزائم المفروضة فقال : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » وقال : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها * وإن حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . »

وقد سار أولو الخُلق من الخَلق على هذه الخطة الرشيدة ، وأخذوا بهذه السنة القويمة منذ تأسس المجتمع الإنساني على وجه الأرض ، فزكّوا من تزكّى ، وأثنوا على المحسن بما أحسن ، وذكروا المسيء أو المسرف بما يستحقه من الوصف ، وإن استنكفوا عن القدح فيه علناً من باب التعفّف ، فإن في ذلك السكوت الهائل الذي يسكتونه عن تزكيته حياً وفي ذلك الصمت الناطق عن الشهادة له والترحم عليه ميتاً ما فيه من العبرة لمن اعتبر ، ومن الموعظة البالغة لمن عقل . ولو لم يكن للمرء غير

تلك الساعة الرهيبة التي هي ساعة السؤال عنه قبل دفنه ، وانتظار جواب الناس عنه ـ لكان ذلك كافياً في الزجر عن المعاصي وفي الحث على الفضائل . اللهمّ وفقنا إلى العمل الذي يرضيك ولا تخزنا في مثل تلك الساعة التي هي العمر كله .

وبعد هذا فلا شك في أنه إذا وزن عمل كلٍ من أعيان هذا العصر بل من أعيان كل عصر كان السيد الإمام محمد رشيد رضا من أرجحهم ميزاناً ، وأوفاهم قسطاً ، لا يجحد ذلك إلا من رانت عليه الضلالة ، أو أعماه الغرض . وإني لأجد نشر مناقبه والتنويه بقدره والإشادة بحسناته الكثيرة والإنارة لبراهينه الساطعة من عزائم الله الموجبة وفرائضه المبرمة عملاً بقوله تعالى : « وزنوا بالقسطاس المستقيم » هذا مضافاً إلى ما كان بيننا من الإخاء القديم ، والذمام المتين ، والرمي عن قوس واحدة والاقتداء بإمام واحد . لا جرم أني أرى ترجمتي له دَيناً عليّ لا يجوز أن ألوي به ما دامت لي أنامل تمسك القلم .

وُلد محمد رشيد رضا في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ في قرية القلمون على شاطئ البحر المتوسط من عمل طرابلس الشام ، وهو فرع دوحة شرف وأصالة ونبل كنانة كرم ونبالة وسليل

بيت أُسس على التقوى ، فكان الرشيد اسماً وفعلا ، ورغب منذ حداثته في الجد وأعرض عن اللهو ، ولم يعرف غرور الشباب ، وطلب العلم طلباً حثيثاً وحصّله تحصيلاً تاماً ، ولم يقنع من العلم إلا بدرجة التحقيق ، ولا رضي من فن من الفنون إلا باللباب ، وفاق أشياخه في العلم وهو بعد في شرخ الشباب ، وراقب نفسه في سيرته الشخصية ، فاتّسم بالصلاح وتحلى بحلى الفضيلة ، وعزف من صغره عن الصغائر ، وتعلق بمعالي الأمور ، وكأنه توسم في نفسه الرئاسة الدينية وتفرس أنه يكون صدراً في الشريعة فهدى هَدْيَ من يكون إماماً وقدوة . وصادف زمنُه دورَ انهيار العالم الإسلامي من كل جهة بغفلة أهله عن الجد في سبيل الفلاح والدأب فيما يقوّم المنآد ، وبتغلب الجهالة والأُميَّة على السواد الأعظم من هذه الأمة وما يتبع الجهل من فساد الأخلاق ، وانحلال القواعد ، والسعي في مراضي الأجانب الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر ، فأدرك بصدق فراسته وبُعد نظره أن العصر الذي يستقبله إنما هو عصر إصلاح ودور إيقاظ وأن الاسلام في حاجة ملحاح إلى من يمثل فيه هذا الدور بأسرع ما يمكن استبقاء لذماء يتردد بين الحياة والموت ، وانتياشاً لحشاشة

تحشرج بين السحر والنحر . وكان يعلم أن فارسي هذا المضمار وإمامي هذا المحراب في أوائل هذه المائة الثالثة عشرة من حياة الاسلام إنما هما **السيد جمال الدين الحسيني الافغاني** وتلميذه **الشيخ محمد عبده المصري** تغمدهما الله برحمته ، فسمت نفسه إلى اقتفاء أثرهما وعوّل على ترسّم خطاهما ، فجعل سيرتهما موضع إئتمامه ، وآراءهما نار اعتشائه ، ودرس أنحاءهما درس من عضّ عليها بالنواجذ ، وشمّر قاصداً إلى مصر ليتصل باستاذنا الشيخ « محمد عبده خير الله » الذي كان الشيخ رشيد أول من أطلق عليه لقب « **الاستاذ الامام** » إذ كان اتخذه إماما ، وعاشره لزاماً وأنشأ مجلة « **المنار** » لبث أفكاره في الاصلاح الديني والاجتماعي والايقاظ العلمي والسياسي ، فبلغ المنار في مدة غير مديدة من نفوس المسلمين المدى الذي أمّله من التقويم والاصلاح وكان له أبلغ التأثير فيما حصل في هذه الأمة من الانتباه والانتهاض وصار المنار هو المجلة الشرعية الاولى في العالم الاسلامي يُحتج بها ويرجع اليها ، وأصبح موئل الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة ، وسارت فتاويه في الآفاق ، وطبقت الشرق والغرب وعدّ الناس المنار حتى في أوربة معلمةً إسلامية

منقطعة النظير ، وما زال السيد رشيد يزهر هذا المنار من سنة ١٣١٥ إلى سنة ١٣٥٤ أي ما يقرب من أربعين حولاً بلا ملل ولا ضعف ولا فتور ، ومناره يزداد تألقا ، ويبهر تفوقا ، وينير الطريق للسالكين ، ويهدي من عسعس عليهم ليل المشكلات فلبثوا حيارى إلى أن قبض الله هذا السيد السند إلى رحمته وقد كتب في إفادة هذه الامة وإرشادها ما ندر أن يكون قد دفق إلى مثله غيره من فحول علمائها سواء في الكمية أو الكيفية . وإليك إحصاء تآليفه :

(١) تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار ، فسّر به ١٢ جزءاً من الذكر الحكيم في ١٢ مجلداً وآخر ما وصل اليه في التفسير من الجزء الثالث عشر الآية الكريمة المرقومة بمائة وواحد من سورة يوسف عليه السلام : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث » الآية

(٢) التفسير المختصر المفيد . أراد ، رحمه الله ، أن يجعله كالمتن لتفسير المنار وطبع منه مختصر الاجزاء ١ ، ٢ ، ١١ ، ١٢ وبعض ١٣ ثم لما صحت نيته على كتابة هذا التفسير كان بادئاً بكتابة تفسير الجزء ١١ من تفسير المنار ، وفي أثنائها طبع الجزء

الأول من التفسير المذكور الذي كان أخّر طبعه وأعاد طبع الجزء الثاني منه . ولذلك يوجد جزءان من أول التفسير وجزءان من آخر ما وصل إليه السيد قد اختُصرت وطبعت . وكان قد وصل في الاختصار في التفسير إلى الجزء الخامس وحمد الله على التيسير لصعوبة اختصار ذلك لأنه كان قد كتب بأسلوب خطابي على طريقة الأُستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وأسلوبه . وفيه ملخص ما قاله رحمه الله من التفسير في الدرس

(٣) مجلة المنار . صدر المجلد الأول منها سنة ١٣١٥ وكان آخر ما طبع منها أكثر الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين في ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ ووزع الجزء الثاني بعد وفاة السيد تغمده الله برحمته .

(٤) تاريخ الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وما جرى بمصر في عصره ثلاثة أجزاء وكان سيكمله بجزء رابع لي فيه أنا الفقير إلى ربه فصل في آراء الأُستاذ الإمام أعده للنشر في هذا الجزء كما كان لي في الجزء الأول ١٤ صفحة من ٣٩٩ الى ٤١٢ عن تاريخ وجود الشيخ محمد عبده في بيروت .

(٥) نداء للجنس اللطيف (حقوق النساء في الإسلام) وقد ترجم إلى بعض اللغات .

(٦) الوحي المحمدي وقد ترجم أيضاً إلى لغات ولي فصل بآخره .

(٧) المنار والأزهر وفيه ترجمة السيد نفسه بقلمه ونحن ناقلوها بحروفها في كتابنا هذا وقد علقنا عليها حواشي وافية في تاريخ علاقتنا معه .

(٨) ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد .

(٩) ذكرى المولد النبوي .

(١٠) مختصر ذكرى المولد النبوي وكان يقرأ في حفلة الذكرى التي يحضرها ملك مصر أو نائبه .

(١١) الوحدة الإسلامية طبع أكثرها من قبل باسم « محاورات المصلح والمقلد »

(١٢) يسر الإسلام وأصول التشريع العام .

(١٣) الخلافة أو الامامة العظمى .

(١٤) الوهابيون والحجاز .

(١٥) السنة والشيعة ، ظهر منه الجزء الأول ووعد بإكماله بجزء ثان .

(١٦) خطاب عام فيما يجب على المسلمين لبيت الله الحرام

وحرم رسوله عليه الصلاة والسلام .

(١٧) مناسك الحج أحكامه وحكمه .

(١٨) المسلمون والقبط .

(١٩) تفسير الفاتحة والكوثر والكافرون والاخلاص والمعوذتين في مجموعة فيها تفسير سورة العصر وإشارات للاستاذ الامام .

(٢٠) رسالة في الصلب والفداء .

(٢١) مكتوباته الخصوصية رحمه الله إلى أخيه هذا وهي تزيد على ٢٠٠ مكتوب اخترنا إلحاقها بهذا التأليف لأنها من أعلى ما كتب ، وفيها فوائد من كل نوع ، وقد طوينا منها بعض جمل اقتضت السياسة وقرب العهد طيها ، ولكننا تجنبنا أن نتصرف فيها بجملة واحدة .

فهذا إحصاء الكتب المطبوعة . وأما التآليف التي لم تطبع أو طبع بعضها ولم تنشر فهي هذه :

(١) حقيقة الربا . وتنقص في هذه الرسالة المقدمة والخاتمة التي أراد السيد أن يدوّن فهمه وفتواه بها . طبع منها ٩٦ صفحة

(٢) مساواة المرأة بالرجل ، وأصلها مناظرة مع الدكتور

محمود عزمي في الجامعة المصرية والمطبوع منها ٦٤ ص

(٣) رسالة في حجة الإسلام الغزالي طبع منها من ٢٨ سنة ٤٨ صفحة ·

(٤) المقصورة الرشيدية عارض بها المقصورة الدريدية وذكر فيها بعض أغراضه ومقاصده الإصلاحية · وكان ينتظر فرصة يحل فيها غريب المقصورة ويطبعها ·

(٥) رسالة في التوحيد على طريقة السؤال والجواب · كتبها باقتراح الاستاذ الامام وحسن باشا عاصم لمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية ·

(٦) الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية · وهي أول مؤلفات السيد رشيد ، ألفها في أثناء طلبه للعلم وكان مراده الرد على السيد أبي الهدى الصيادي فيما تعرض به للشيخ الصوفي السيد عبد القادر الجيلاني وما نشر من الدعاية لنفسه ، وقد انتهى من ذلك إلى تحقيق مسائل في الاصلاح الاسلامي وقد نشر بعضها في المنار · ونال المؤلف أذى بسبب هذه الرسالة من جماعة السيد أبي الهدى في أيام السلطان عبد الحميد ·

ثم ان الاستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار

المصرية وغيره من أصحاب السيد أرادوه على جمع فتاويه وطبعها على حدة فكلف أحد الاخوان أن يجمعها من مجلدات المنار ، وعمل لها فهرساً زاد على كراستين لكن لم يتيسر طبعها .

هذه هي مؤلفات هذا الرجل الذي لم يُضع ساعة واحدة من حياته بلا عمل مفيد للانسانية عموماً وللاسلام خصوصاً ، ولو لم يكن له سوى هذه المجلدات الخمسة والثلاثين الموسومة بالمنار لكان ذلك له كافياً ليكون نوراً يسعى بين يديه في الدنيا والآخرة ، نسأل الله أن يتغمده برحمته ورضوانه وان يحييه بروحه وريحانه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد الامين وعلى آله وصحبه آمين .

جنيف ٢٠ محرم ١٣٥٦ — شكيب أرسلان



ما قلته عن السيد رشيد في حياته

من طبيعة البشر أنهم لا ينصفون الإنسان إلا من بعد موته ، ولا يحبونه إلا في قبره ، وانه ما دام حياً يجدون في صدورهم حرجاً من إيتائه تمام قسطه من الثناء ، حتى إذا مضى الى ربه ظهرت لهم محاسنه وتوارت عن أعينهم عيوبه بما يكون قد حجز بينها وبين أعينهم من التراب الذي ضمه وبما يكون الموت قد أشعرهم من رقة القلب وخشوع الضمير وذهاب الحقد وارتفاع أسباب الحسد ولذلك قيل ان المعاصرة حجاب وقال بعضهم :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى … في عصره حتى إذا ما ذهب
جدّ به الحرص على نكتة … يكتبها عنه بماء الذهب

أما أنا فلم أقل رأيي في السيد رشيد رضا بعد وفاته ولا شاب إعجابي بفضله شيء من رقة العواطف التي تصحب الحكم في حق الأموات بل قد أبديت عظيم رأيي فيه يوم كان ملآن حياة وقوة واليك ما قلته في « حاضر العالم الإسلامي » من صفحة ٢٨٣ الى صفحة ٢٨٦ من المجلد الاول .

ذكرت أولاً أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده في ترجمة مختصرة أردفتها بقولي :

ومن حسناته الكبرى وأياديه التي ملأ بها طباق العالم الإسلامي بوأم أخذه بيد الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا في نشر مجلة (المنار) التي هي لسان حال ذلك المصلح العظيم وترجمان أفكاره . فهي والحق يقال أحسن مجلة ظهرت في باب الإصلاح الديني وتطهير الإسلام من شوائب البدع وإعادته سيرته الاولى في عهد السلف وتأليفه مع المدنية الحاضرة كما أن الاستاذ السيد رشيد المشار اليه هو الأولى بأن يخلف الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في مشروعه وفقه الله وسدد خطاه .

وبطول العهد بعد الاستاذ الاكبر السيد رشيد فسح الله في أجله حتى يقوم في العالم الإسلامي من يسد مسدّه في الإحاطة والرجاحة وسعة الفكر وسعة الرواية معاً ، والجمع بين المعقول والمنقول والفتيا الصحيحة الطالعة كفلق الصبح في النوازل العصرية والتطبيق بين الشرع والاوضاع المحدثة مما لا شك في أن الاستاذ الاكبر هو فيه نسيج وحده انتهت اليه الرئاسة لا يدانيه فيه مدان مع الرسوخ العظيم في اللغة والطبع الريان من العربية والقلم السيّال بالفوائد في مثل نسق الفرائـد والخبرة بطبائع العمران وأحوال المجتمع الإنساني ومناهج المدنية وأساليبهـا وأنواع الثقافات وضروبها الى المنطق السديد الذي لم يقارع به خصما مهما علا كعبه الا أفحمه وألزمه ، ولا نازل قرناً كان يستطيل على الاقران الا رماه بسكاته وألجمه . وأجدر بمجموعة (المنار) ان تكون المعلمة الإسلامية الكبرى التي لا يستغني مسلم في هذا العصر عن اقتنائها ، كما أن التفسير الذي وفقه الله بـه لكشف أسرار كتابه العزيز هو من آياته الباهرة التي خلدت اسمه في هذه الامة وقرنته بكبار الأئمة ، وله من

المواقف الشريفة في النضال الديني عن الإسلام ، والمراماة عن عقيدته الصافية ، ومن الكتب الجدلية في رد شبهات أعدائه من أبناء الملل الاخرى ومن الملحدة والمعطلة ما لا يقدر أحد في عصرنا هذا أن يدرك فيه شأوه ولا يستطيع جهبذ من جهابذة الاسلام أن يبلغ فيه مُدّه ولا نصيفه . انه الرجل الذي لو دعا كل مسلم بإطالة حياته حباً بخدمة الاسلام والمسلمين لكان بذلك جديراً . وليس في كلامنا هذا شيء من الاطراء ، ولا ثمة ما يدعونا اليه وانما أمرنا بأن لا نبخس الناس أشياءهم وهو أمر الهي صريح ، كما أننا لسنا ممن يرى المعاصرة حجاباً عن تقدير الفضائل قدرها ، بل نرى أن المنصف يجب أن يزن أقدار الناس في الحياة وبعد الممات بميزان واحد . وان كان من ضرائب البشرية ان تقسو على الاحياء وان تحنو على الاموات ، وان لا تعطي لانسان حقه غير منقوص الا اذا فات .

ولقد حرر السيد رشيد تاريخ استاذنا الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في مجلدين كبيرين يزيدان على الفي صفحة وسيعززهما بمجلد ثالث[1] فيكون من الفضول أن نقول انه لا تاريخ للشيخ محمد عبده غير هذا التاريخ وهو الذي فيه ترجمة حاله بتفاصيلها وحياته من المهد الى اللحد مع ذكر منازعه بدقائقها وعقائده بحقائقها ومنشآته بنصوصها واخبار الحوادث التي خاضها والمسائل التي راضها وقد دخل في هذا الكتاب تاريخ السيد جمال الدين الافغاني ، وسير اعلام آخرين ، وتلخيص الحوادث العربية في مصر ، وروايات كثيرة عن الخديوي السابق ، ووثائق تاريخية

(١) وقد صدر المجلد الثالث الذي ذكرناه .

لا توجد في كتاب آخر ، ومباحث عقلية وشرعية وسياسية وأدبية ولغوية لا يعثر القارئ على مثلها في غير هذا الكتاب . وللفقير اليه تعالى راقم هذه الأسطر في الجزء الاول من هذا السفر الجليل فصل عن حياة الاستاذ الإمام أيام كان في بيروت ، وكنا متصلين به وهو نحو من ١٤ صفحة ، ولهذا الفصل تتمة وعد الأستاذ رشيد بنشرها في الجزء الذي لم يظهر بعد .

ولما كان الاستاذ السيد رشيد من كبار المحدثين ، وله في هذا الفن من الطول ما ليس خافياً على أحد ، فقد امتزج خلق التمحيص بدمه ولحمه ، وأصبح لا ينشرح صدره إلى الخبر إلا إذا وثق بأسانيده وآمن بأمانة رجاله . وقد يسوق الرواية من جملة طرق الى أن يثلج بها الصدر ، ويطمئن لها الفكر . وهذه طريقة السلف عندنا ، لا يروون شيئاً لا من الاحاديث النبوية وأخبار الصحابة فحسب ، بل لا يروون شيئاً من الأشعار والآداب وسير البشر والحكايات — إلا عنعنوه مسلسلاً وربما أشاروا الى درجة رجاله ، فقوّوا وليّنوا كما لا يخفى على من طالع كتبهم ، وكانت له ألفة بطريقتهم . وهذه الطريقة هي اليوم طريقة الاوربيين أيضاً : لا يروون خبراً ولا ينقلون جملة ولا أثراً ، الا وضعوا في الحاشية مأخذها والكتاب الذي أخذوها عنه مع ذكر الصفحة وذكر طبعة الكتاب وتعيين المطبعة أحياناً . وكل ذلك توثيقاً للنقل ونصحاً بالتبليغ وتمهيداً للحكم الصحيح الذي لا يتهيأ للقارئ الا بعد مقدّمات صحيحة وبينات رجيحة .

ومن نفائس تآليفه السفر الذي أخرجه مؤخراً تحت عنوان « نداء الى

الجنس اللطيف » فيه بيان حقوق النساء في الاسلام ، وتحقيق مسائل اجتماعية تدور أكثر من كل المسائل في هذا العصر مثل تعدد الزوجات والتسرّي والحجاب والسفور والطلاق وما يتعلق بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم : من الاحكام والحكم وتكريم النساء وبر الوالدين وتربية البنات وغير ذلك . قد جاء الاستاذ في هذا الكتاب بالآيات البينات على حكمة الشرع الاسلامي وغفلة المعترضين عليه جهلا أو تجاهلا . ولا يسعني الا توصية الخلق بمطالعة هذا الكتاب إذ ذاك احسن ما يمكن وصفه به . فانّ الجواد عينه فُرارُه . ولكني أورد شذرة واحدة من هذا الكتاب من قبيل التمثيل ليقبس القارئ عليه : قال في باب التسري الصحيح في الاسلام :

« كل ما كانت عليه الامم القديمة وكل ما عليه الامم الحاضرة من التسري واتخاذ الاخدان ، فهو في شرع الاسلام من الزنا المحرم قطعاً الذي يستحق فاعله أشد العقاب ، وكل من يستبيح هذا الفجور الخفي وما هو شر منه من السفاح الجلي فهو بريء من دين الاسلام .

وأما التسرّي الشرعي المباح في الاسلام فهو خاص بسبايا الحرب الشرعية إذا أمر امام المسلمين الاعظم خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم باسترقاقهن ، وإنما يكون له ان يأمر بذلك إذا ثبت عنده بمشاورة اهل الحل والعقد أن المصلحة فيه ارجح من المنّ عليهن بالعتق ومن افتداء أسرى المسلمين وسباياهم بهن ان وجد عند الاعداء سبايا وأسرى منا . فليس الاسترقاق واجباً في الإسلام ، لكنه يباح إذا كان فيه المصلحة التي لا يعارضها مفسدة راجحة . ولكل حكومة إسلامية ان تمنعه ،

بل منعه من مقاصد الإسلام العامة ، والاسترقاق المعهود في هذا العصر للسود والبيض كله باطل في الإسلام ، فالتسري بالنساء اللاتي يختطفهن النخاسون أو يبيعهن الآباء والأقربون ، أو يغريهن التجار والقوادون ، كله عصيان لله ولرسوله »

فمن مطالعة هذا المثال تعلم أن ما يفهمه السيد رشيد رضا من أسرار الشرع لا يفهمه غيره . ولو كان أحد الفقهاء الجامدين وسئل عن هذا الأمر لأجاب بلا تأمل : ان الاسترقاق مباح ، لا بل حرام منعه ، وإن سبي نساء الكفار جائز بلا نزاع وحرام منعه . وهكذا جاء الإسلام والأمور الشرعية لا تعلل ، بل يجب أن نقبلها على علاتها . فإن قلت له : ان هذه الطرق غير مألوفة في هذا العصر ، وان الاستمرار عليها مضر بالامة الإسلامية ، ومما يجر لها المقت والعداوة قال لك قولا واحداً : هذا هو ديننا ولا نعلم غير هذا ، ولم يفكر فيما وراء هذه الأحكام بهذا العصر من الضرر بالإسلام والخطر عليه .

أما الاستاذ السيد فإنه يصرح لك بما يحفظ من النص ، ويفهم من روح الشرع بأن الاسترقاق مباح الا اذا عارض ذلك مفسدة راجحة ، وان لكل حكومة إسلامية أن تمنعه ، لان منعه هو من مقاصد الإسلام العامة ؛ ثم يفتيك بأن السبي في الإسلام لا يجوز إلا بإذن السلطان ، وهذا الإذن من السلطان لا يصح له بمجرد رأيه ، بل يجب أن يؤخذ فيه رأي عقلاء الامة الخ ...



السيد رشيد رضا كما ترجم نفسه

فكرت كثيراً قبل أن أبدأ هذه الترجمة ، في الطريق الذي يجب أن أسلكه فيها ، فرأيت بعد التروي أنّ أقصد الطرق فيها هو نقل ما كتبه السيد رشيد نفسه عن نفسه . فقد كان أعلم بنفسه وبنشأته وبيته وبيئته ، وأدرى بأعماله وآثاره من أي إنسان آخر . وغير معقول اننا نعدل عن رواياته في ترجمة حاله الى روايات الآخرين ، الذين مهما بلغ بهم العلم بأحوال السيد رشيد رحمه الله ، فلن يعلموها كما يعلمها هو بذاته ، ولقد كان الناس يتخذونه حجةً في الرواية عن الآخرين ، ويعترفون بمشربه في زيادة التحرّي ومنزعه البعيد في التمحيص الذي صار له ديدناً . فكيف لا نتخذه حجة في تاريخ بيته وتحرير سيرته الشخصية ؟ .

بقي علينا أنه قد يرد على هذا الرأي اعتراض المعترضين بأن السيد رشيداً ، وإن بلغ الغاية في التحرّي ، واستولى على الامد الاقصى في التثبت ، فلن يقول عن نفسه ولا عن محتده ولا عن عترته إلا ما تطيب أحدوثته بين الناس ، وان الانسان مهما كان عدلاً لا بد من أن يتَّهم بالميل مع هواه ، وان يرمى بحب تبرئة نفسه من الإثم بباطل أو بحق . وقد يرى القارئ في ترجمة الاستاذ لنفسه كثيراً من المواضع التي

تُحمل على تزكية النفس ، وهو مما نهى الله عنه في كتابه العزيز . قال تعالى : « فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » وقال تعالى : « ألم ترَ إلى الذين يزكّون أنفسهم بل الله يزكّي من يشاء ولا يُظلمون فتيلا »

ولما كان مثل هذا الاعتراض جديراً بالنظر ، ومجالا للأخذ والرد ، لم نحب أن نترك هذه المسئلة دون جواب مقنع ، ينشرح له الصدر ، ويقرّ المنصف بأنه غير ناكب عن جادة الحق .

أولاً — ان الشيخ رشيد رضا كان رجلا شهيراً ، قلّما وجد في هذا العصر رجل عرف الناس وعرفه الناس أكثر منه ، وقد أجمع جميع عارفيه ، ولا سيما من كانت لهم معه مخالطة دائمة ، على أنه كان صدوقاً لا يقول إلا ما يعتقد . وقد يجوز في الاحايين أن يكون مخطئاً ، ولكنه لا يجوز في عرف عارفيه أن يكون كاذباً ، بل كان السيد رشيد مفرطاً في حرية الفكر ، يبلغ به توخي الصدق ، أن يروي أحياناً روايات عن نفسه لا تكون لها ضرورة ، وربما انتقده الناس في استقصائه إلى حدها هذا ، فإذا مر القارئ من ترجمة السيد رشيد لحاله بأقوال يراها من باب التمدح ، فليعلم ان السيد رحمه الله كان أجل من ان يخرق الكذب لأجل نفسه ، وأنه ما كان يقول إلا الذي يعتقده حقاً . ويجوز أن يكون للناس في هذا الموضوع مذاهب أخرى وان يكون بعضهم ممن يتحرّج عن ذكر نفسه ولو صادقاً ، ومن يؤثر أن يطوي محاسنه تواضعاً أو خشية أن ينسب اليه مجرد التبجح ، ولكن وجود هذا الخلق عند كثير من الناس لا يجب أن يكون قاعدة كلية

من زاغ عنها فقد طغى . وكم وكم في الإسلام بل في العالم بأجمعه من علماء أعلام ترجموا أنفسهم بأقلامهم ولم يتورعوا عن ذكر مآثر أتوها ومواقف شريفة وقفوها ولم يعدّ العلماء ذلك منهم أمراً نُكرا .

ثانياً — لا ينبغي أن ننسى أن السيد رشيداً قضى حياته منذ بداية نشأته الى سنة وفاته في مقارعة الخصوم ومكافحة الاعداء من طبقات مختلفة واقوام شتى ، وكان عفا الله عنه لا يمشي الضراء ولا يعرف المداجاة ، فإذا نبذ نبذ على سواء وإذا خاصم خاصم صرحة برحة لا يورّي ولا يواري ، ولا يكتفي بالإشارات وقلما يلوذ بالمعاريض [1] وكثيراً ما كنت أعذله على إفراطه في الصراحة وأقول له : إنك في هذا تقطع على نفسك خط الرجعة ، وقد يتبين لك في ما بعد انك أخطأت أو بالغت أو عممت من حيث يجب أن تخصص فتقع في الندم وتضطر إلى نقض ما قلت اولاً . وكان لا ينجع فيه هذا النصح في كثير من الاحيان ، لما غلب عليه من شدة اقتناعه برأيه ، فكان ذلك سبباً لتكاثر أعدائه ، ولجاجهم في مشاحنته بحيث لم يوجد في عصرنا عالم شهير تعرّض للمهاجمات ، واستهدف لسهام الوقيعة ، بقدر ما استهدف له الشيخ رشيد في ايامه كلها . وبديهي ان اولئك الاعداء لم يكونوا ليرحموه ، بل لم يكونوا لينصفوه ، بل قد كانت تحملهم شدة الإحنة على ان يقولوا فيه ما يعتقدون وما لا يعتقدون . واستمر الشيخ رشيد في نضاله عن مباديه وقراعه لاعاديه طوال الاربعين

---

(١) من أكثر ما كنت اراجعه به التخفيف من حملاته على إخواننا الشيعة ولكنه كان قد صدق فيه المثل المعروف عند عرب البادية : خيّال الرحمن لا راحم ولا مرحوم .

سنة ، التي هي مدة حياته العلمية ، لم يعرف فيها المدنة ولا المتاركة ، فلا عجب ان اضطر الى الدفاع عن نفسه بما يشبه ان يكون تمدحاً ، وهو لم يقصد في ذلك إلا تبديد الشبهات التي اثارها أعداؤه في حقه . ومثل هذا الدفاع لا ينطبق عليه النهي الالهي القائل بعدم تزكية المرء نفسه ، ولكنه مما يندمج تحت قوله تعالى : « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل »

ولنبدأ الآن بنقل ما حدّث السيد رشيد به عن نفسه في كتاب عنوانه « المنار والأزهر » المطبوع في سنة ١٣٥٣ وقد جاء فيه ما يلي تحت عنوان :

فصل

في خلاصة من تاريخ صاحب المنار

بيتي وبيئي :

ولدتُ ونشأت في قرية تسمى القلمون على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان ، تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال ، وكان جميع اهل هذه القرية من السادة الأشراف المتواتري النسب ، إلا أنه خالطهم في القرن الماضي عدد قليل من مسلمي لبنان . ولم يعن أحد بالتزييل (١) والتمييز بينهم لفقر اكثرهم وخمولهم وعدم وجود أوقاف لهم

(١) التزييل : التفريق والتمييز، جاء في التنزيل (وزيّلنا بينهم).

يضبطون مواليدهم لحفظ استحقاقهم فيهـا ، وعهدي بالشيوخ منهم أنهم يعرفون جميع الدخلاء ، وكان أخي المرحوم السيد صالح يعرفهم ايضاً وقد اشتهروا بالشرف وحسن السيرة ، قلما يعرف عنهم منكر من الكبائر إلا قليلا من سرقة الفواكه [1] او التضارب بالعصي في بعض المشاجرات وما يقرب من ذلك .

واهل بيتنا ممتازون فيهم بأنهم أهل العلم والإرشاد والرياسة ، ويلقبون بالمشايخ للتمييز ، وجدّي الثالث هو الذي بنى لهم المسجد المعروف الآن بجانب بيتنا القديم الذي ولدت فيه ، وكان لهم مسجد قديم هدم وتقاسموا حجارته لغلبة الجهل عليهم ، فأحيا جدنا الدين ببناء المسجد وإقامة الشعائر فيه من إمامـة وخطابة وتدريس ، وكان عالماً صالحاً مشهوراً بالكرامات ، وقد أنعم عليه السلطان العثماني ببراءة سلطانية حبس عليه فيها سبعة قراريط من ٢٤ قيراطاً من أموال الدولة الاميرية ، وببراءات اخرى بالامامة والخطابة في المسجد وقد تسلسلت هذه البراءات من السلاطين في ذريته حتى آلت اليَّ فكانت آخر براءة وجهت عليَّ أو اليَّ من السلطان محمد وحيد الدين قبل الحرب العامة .

وكانت والدتي من اسلم النساء فطرة واكرمهن اخلاقاً واوفاهن لزوج ، واحناهن على ولد ، وكان والدي من اعز الرجال نفساً [2] وأجرأهم جناناً

---

(١) انظر الى عادته رحمه الله في التدقيق وتأمل كيف انه لم يفلت حتى هذه .

(٢) قد عرفت والد الشيخ رشيد منصرفـه من مصر بعد ان زار ابنه فيها وذلك منذ اربعين سنة او نحوها ، وكان سيداً بادي السراوة ولم يكن ظهر الشيب فيه حين عرفته رحمه الله .

وأسخاهم يداً، وقد بينت في ترجمتهما من المنار ما ورثته من أخلاقهما .
وكنت أنا واخوتي نهاب والدنا أشد المهابة ، لا يرفع أحدنا في حضرته صوتاً ولا يجلس متكئاً ولكنه كان يمازح البنات من دوننا .

وكان بيتنا ومازال بفضل الله تعالى بيت كرم وضيافة كما كتب على لوح الرخام الذي على الباب الكبير للدار التي بناها جدي الثاني ، يقبل الضيوف من جميع الملل ، ويؤوي أبناء السبيل من جميع الأقطار ، وعهدي بأكبر علماء طرابلس وحكامها ووجهائها يغشون دارنا في أيام الصيف ، ويقيمون فيها أياماً للتمتع بهوائها اللطيف ومياه ينابيعها النقية وأصناف الطعام الفاخر عندنا[1] وكنت من أول سن التمييز أميل إلى العلماء منهم دون الحكام ووجهاء الدنيا .

وكان والدي من بعد جدي الذي مات وأنا طفل هو سيد الأسرة والبلد المضياف ، وكان عمه « السيد الشيخ احمد » كبير الأسرة سناً منقطعاً للعبادة ، لا يقابل من ضيوفنا إلا العلماء والأصدقاء ، يجلس اليهم في وقت معين بين صلاتي العصر والمغرب ، وكان مجلسه مجلس أدب ووقار لا لغو فيه ولا دعابة ولا اغراب في الضحك . واذكر أنه كان في طرابلس رئيس لعسكرية الدولة جبار متكبر مهيب الطلعة عظيم الجثة جاء القلمون صباحاً ليزور الشيخ ، ولم يكن يعهد منه تكريم العلماء والصالحين في طرابلس ، فاستأذن له عليه فلم يأذن . فسأل كيف يتسنى له أن يراه ؟ فقيل له : انه ينزل إلى المسجد للصلاة فيمكنك أن تراه

(١) لم يحدث السيد رشيد هنا بشيء لا يعرفه كل أهل طرابلس الشام .

عند نزوله أو عودته ، فانتظره ساعة أو أكثر، حتى نزل لصلاة الضحى فسلم عليه واقفاً وأنشده الشيخ أبياتاً في بيان حاله ، وان اعراضه عنه ليس لذاته ، وقال لمن معه من العرب : ترجمها له وانصرف . واني أذكرها وقد نسيت أول الثاني منها على انها مشهورة :

أنست بوحدتي ولزمت بيتي ... وطاب الانس لي وصفا السرور
. . . . فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما عشت يوماً ... أسار الجند أم ركب الامير

فكانت هذه الحادثة من أكبر ما عظم شأن بيتنا في نفسي فوقر فيها أن شرف النسب إذا زانته التقوى والاستقامة يكون صاحبه أكرم الناس عند الله وعند الناس .

وقد اتفق له في شرخ شبابه ما هو أغرب من هذه الحادثة في عزة النفس والشجاعة ، وهو ان بعض الضباط المصريين جاؤا دارنا في عهد احتلال ابراهيم باشا لسورية يطلبون بعض الحاج لهم ، وكان هو الذي قابلهم جالساً على دكة في الساباط أمام المنزول « أي الدوار أو المندرة » ويأمر بعض الخدم باحضار ما يطلبون . فقال له الضابط : أنت قاعد تأمر وتنهي هنا زي أفندينا ؟ اوم (أي قم) شيل على دماغك . وأقبل عليه يريد جذبه بيده ، فرفسه الشيخ برجله في صدره ، فوقع على ظهره ، ثم دخل الدار وأوصد بابها وراءه وحدثت معركة بين الجند وأهل القرية .

***

استطراد تاريخي : ابراهيم باشا المصري

وأقول على سبيل الاستطراد التاريخي أن تلك الدكة في ذلك الساباط قد نام عليها ابراهيم باشا الكبير نفسه ، فقد حدثنا عم والدي هذا ان الباشا كان جائياً من لبنان إلى طرابلس فتعب في الطريق ، فلما بلغ بلدنا القلمون ألمّ بدارنا ليستريح ، فدخل من الساباط إلى صحن الدار راكباً جواده ومد يده إلى شجرة نارنج يقطف من ثمرها ظاناً أنها برتقالة ، فرأته سيدة الدار من أعلاها فصاحت بصوت سمعه من حيث لا يراها : نحن ما صدقنا أننا خلصنا من ظلم عبد الله باشا (تعني الحاكم التركي) وقالوا لنا ان حكم ابراهيم باشا حكم العدل والأمان ، فكيف يدخل عسكره علينا هكذا ؟ فخجل الباشا من فعله وفرح بما سمع من مدحه وذم الحكم التركي وخرج . وكان معه مرافق (كاخية) من قبل الأمير بشير يعرّفه بأمور البلاد وأهلها ، فصعد السلم وكلم السيدة من وراء الباب قائلا : هذا هو أفندينا ابراهيم باشا تعبان [1] يريد ان ينام هنا ساعة . فأرسلوا له حشية ومخدتين ونزل ووضعت الحشية والمخدتان له على دكة الساباط فنام إلى أن استيقظ من نفسه ، فركب جواده وسار بحاشيته ، وقد نسي ساعته تحت الوسادة ، فاتبعه خادم أعطاه إياها . قال محدثنا : فوالله اننا عجبنا انه لم يعطه بخشيشاً [2] .

---

(١) روى الاستاذ هنا لفظة (تعبان) على الحكاية والا ففي الفصيح لا يقال تعبان بل هو تعِب ومتعَب على وزن كتِف ومُكرَم .

(٢) البخشيش : لفظة تركية هي مصدر « بخش ايتمك » أي أعطى ، ب

لم نقل جدتنا تلك الكلمة في ظل الحكم التركي الا لأن الدولة كانت قد صادرت (١) بيتها مرتين بعد وفاة زوجها ، وأولادها قاصرون دون البلوغ حتى باعوا أثاث الدار ٠

* * *

— ومقابلها في العربي (الحلوان) أوما يعطى للخادم (النحل) و (النُحلان) بالضم وتأمل هنا أيضاً مشرب الشيخ رشيد رحمه الله في نقل الأخبار على علاتها ٠

(١) جاء في لسان العرب : ومن كلام كتّاب الدواوين أن يقال : صودر فلان العامل على مال يؤديه اي فورق على مال ضمنه ٠ وهكذا نقل ذلك صاحب (أقرب الموارد) بلفظ « فورق » ولكن هذه العبارة نفسها منقولة في التاج بلفظ « قورق » بالقاف أولا وهي في التاج غلط طبع أو نسخ إذ لا معنى (لقورق) هنا وأما (فورق) فهو للمجهول من فارقه من حسابه على كذا اذا قطع الأمر بينه وبينه على أمر وقع عليه اتفاقهما ومثله صادره على كذا ٠ وكله مولد ليس من كلام العرب الأولي ٠ وقد جاء في تاريخ الوزراء تأليف أبي الحسن الهلال المحسن بن ابراهيم الصابي الكاتب المتوفى السنة الثامنة والاربعين بعد الاربعمائة قوله في ترجمة ابي الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات « وصودر على مائة وعشرين الف دينار وصح منها ستون فجيء به من محبسه الخ ٠ ٠ ٠ » وقوله عن لسان الخليفة المعتضد في ابن الفرات ابي الحسن وأخيه ابي العباس : أسأنا اليهما وصادرناهما ٠ وقوله في موضع آخر : وسلم اليه عليّ بن عيسى ومحمد بن عبدون فاعتقلهما في دار بدر اللاني وقرر عليهما مصادرة خففها عن علي بن عيسى ونقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما ٠ وهكذا هذه اللفظة تدور كثيراً في أخبار ديوان الخلافة ٠

استطراد تاريخي آخر : مصطفى آغا بربر[1]

مصطفى آغا بربر حاكم لواء طرابلس الدكتاتور الذي والى الحكومة المصرية على الترك ، خطب على جد والدي ابنة أخيه ، فأبى . ومازال

(١) رجل عامي من قرية إبعال من قرى طرابلس ، كان جاهلاً متغشمراً ، ولكنه كانت فيه رجولية تسمو به الى معالي الامور ، فدخل في خدمة الدولة ، ومازال يترقى حتى صار متسلماً لطرابلس ، وقد رأيت في تاريخ الاعيان في جبل لبنان ذكره مراراً ، وانه في سنة ١٨٠٤ كان بربر متولياً تلك المدينة . وذكر صاحب أخبار الاعيان انه في سنة ١٨١٠ ولى سليمان باشا والي الشام مصطفى بربر متسلماً لطرابلس دون القلعة لانه كان قد حدث شغب بسببها . وذكر انه في سنة ١٨١٩ كان بربر لا يزال متولياً طرابلس ولكنه يذكر في حوادث سنة ١٨٢١ ان مصطفى بربر توجه من منزله في ابعال الى جبة بشري خوفاً من علي بك المرعب إذ بلغه أنه حضر له أمر من عبد الله باشا والي عكا وسواحل سورية بأن يقبض عليه . وكتب بربر الى عبد الله باشا كتاباً يستعطفه وأرسله ضمن كتاب الى الأمير بشير الشهابي والي لبنان ليشفع به . فكتب الامير بشير إلى عبد الله باشا يلتمس العفو عن بربر ، فجاء العفو عنه ، وذهب بربر ليشكر الأمير على شفاعته به . فأرسله الامير الى الوالي وسأله ان يطيب قلبه ويرفع الشماتة عنه . فعزل الوالي علي بك المرعب عن طرابلس واعاد بربر متسلماً عليها كما كان ، فعاد بربر إلى طرابلس وعليه خلعة الولاية ، واسترجع كل ما أخذ منه . ثم حصلت حوادث اضطر بسببها أن يلجأ إلى الأرسلانيين وينزل عندهم في الشويفات وبقي فيها مدة ، ولما حصلت الفتنة بين الامير بشير الشهابي والشيخ بشير جنبلاط سنة ١٨٢٣ وكان الأمراء الأرسلانيون في الصف المقاوم للأمير بشير كان بربر من حزب الامير المشار اليه ، ولما دارت الدائرة على الشيخ بشير جنبلاط —

يرسل اليه الخاطبين عنه من كبراء طرابلس الى ان اسمعه احدهم ان الشيخ امتنع البتة وعلل ذلك باحتقاره الآغا (اذ كان قبل ذلك من حاشيته) فأرسل اليه مرتين من حاول قتله ثم استرضاه فرضي وزوجه بها . وقد حدثتنا عمة والدي عنها وهي ابنة عمها انهم كانوا يأبون اخذ اي شيء منها من هدية وغيرها ولو للبنات الصغار — وهي سيدة البلاد — ولكنهم لم يكونوا يفخرون بهذه السيادة ، في حياة زوجها الحاكم المستبد ولا بعده . على أنه كان مستبداً عادلا في اعتقاده ووجدانه . واذكر عنه فكاهة روتها عمة والدي عنها ما كان يعرفها كما هي غيرها . قالت : كان الآغا واقفاً في صحن الدار للوضوء فاستأذن عليه كاتبه نعمة ـ وكان نصرانياً ـ فأذن له فإذا هو يحمل إعلاماً شرعياً في قضية جنائية ، فسأله : ما يقول القاضي في المتهم بالقتل . فقرأه له فإذا هو حكم بالبراءة على خلاف رأيه — وذكرت عبارته — فقال والسيدة واقفة في الشباك تسمع وترى « ضربة تشمط رقبته من بين القضاة ما بيعرف شيء خذوه (اي المتهم) اشنقوه ، نوبت فرائض الوضوء » وشرع في وضوئه .

ـ ومن كان معه من الامراء الشهابيين والأرسلانيين بسبب إرسال الدولة عسكراً لنجدة الأمير بشير رجع جدي أبو والدي الأمير حسن أرسلان وابن عمه الامير قاسم أرسلان إلى الشويفات حيث كان مصطفى بربر مقيماً فيها فالتمسا منه أن يشفع لهما لدى الامير بشير ، ويظهر أنه لم يقبل الامير شفاعة بربر بهما لانه حسب ما يقول صاحب تاريخ الاعيان قد أصرّ على تغريم الامير حسن والامير قاسم الارسلانيين بخمسة وعشرين الف غرش . ثم ورد ذكر بربر في حوادث سنة ١٨٣٢ وانه كان والياً على طرابلس .

وجملة القول انني نشأت في بيت شرف وكرامة وكرم ودين ونقوى وعزة نفس يعتقد الناس تسلسل الولاية فيه ويتبركون بكبار رجاله ، وفي سلسلة نسبنا عدة رجال كانوا يلقبون (بالصوفي) وكان عندنا خزانة كتب موروثة فيها عدة كتب نادرة في جميع العلوم حتى علم الفلك وقد سرق أكثرها في زمن الثورة المصرية . فبهذا يعلم ان لي عرقاً وراثياً في حب العلم والإرشاد والاستعداد لهما .

استعدادي الشخصي

كنت من الصغر قليل الرغبة في اللعب ، شديد الحياء ، ولهذا امتنعت من أوائل سن التمييز من السباحة مع الأولاد في البحر ، ودارنا القديمة على شاطئه ، نرى السمك فيه من نوافذها عند سكونه في الصيف ، ونتكسر أمواجه على صخرة أمام الدار الثانية عند هياجه في أيام الشتاء فكنت أنزع ثيابي وراء صخرة تسترني وأسبح دائماً أو في الغالب منفرداً متزراً ، ولهذا لم أتقن السباحة لان سبب اتقانها هو المباراة في الابعاد في البحر وفي السرعة .

نفعني الحياء من ناحية الأدب وصيانة العرض واللسان ، فلم أنطق بشيء من كلام المجون والفحش ، ولم أجهر بقراءة شيء مما في الكتب منه ، ولم أسمح لأحد أن يتكلم معي بشيء مما يتسامح به الادباء من ذلك ، وأضرني هو وحب العزلة بما جعلاني كثير النسيان لاسماء الناس لعدم عنايتي بمعرفتهم . وقد عشت بضع سنين بين جماعة من طلبة العلم ، ولم

أعرف أسماءهم كلهم ، ومن أعلم زملائي في طلب العلم بذلك الاستاذ العالم الاديب الشهير الشيخ عبد القادر المغربي [1] عضو المجمع العلمي في دمشق وهو من أعلمهم بمبالغتي في التزام الصدق ، فانني تحديته بأنه إذا حفظ علي كذبة واحدة كان له حكمه عليّ فيها . وإنما كان هذا التحدي لاجعله رقيباً عليّ في تربيتي لنفسي ، وكنت وما زلت اكلف كل من أعاشره ان يكاشفني بما ينتقده على أخلاقي وآرائي كما أطالب قراء المنار في كل عام بانتقاده .

وكنت أوصف بالذكاء النادر [2] واسمع العلماء والوجهاء يحثون والدي

(١) اخونا الاستاذ العلامة الكاتب البليغ الشيخ عبد القادر المغربي من آل المغربي في طرابلس الشام ومن سرواتها التي تتباهى بهم طرابلس بل البلاد الشامية بأسرها ، وقد انتخب عضواً عاملا في المجمع العلمي في دمشق ، ثم من سنتين أو ثلاث على أثر استعفاء رئيس المجمع الاخ العلامة محمد الكرد علي عهد اليه برئاسة المجمع وبقي فيها إلى هذه الايام الاخيرة سنة ١٣٥٥ ثم استقال من الرئاسة وبقي عضواً في المجمع ، كما أنه من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي المصري . وهو مع علمه وفضله وسعة اطلاعه وسلاسة انشائه من أزكى من عرفت أخلاقاً وأكثر من عرفت تصاوناً وتواضعاً وأحسنهم عهداً وأعفهم لساناً وقلماً ، وهو لا يبارى في المواضيع الاجتماعية الدينية ، وقد كان هو والسيد رشيد رضا عشيري صبا، ورفيقي طلب ، وكل منهما يعرف الآخر أتم معرفة . والمقصورة الرشيدية التي نظمها السيد رشيد ، وطالما أنشد منها ونوه بها اصلها تهنئة لاخيه الاستاذ المغربي بزفافه وسنثبتها في هذه السيرة في فصل خاص .

(٢) ما زاد الاستاذ هنا على حكاية الواقع ولعمري لم يختلف اثنان في ندور ذكائه وانه مابلغ تلك الدرجة القصوى من العلوم الا وهو من سلاطين الاذكياء .

على العناية بتعليمي ويبشرونه بما يرجون لي من النجاح والنبوغ في العلم . وكنت أستغرب هذه المبالغة لانني أراني غير سريع الحفظ ، إذ كان الحفظ هو معيار الذكاء عندي ، وكان أخي السيد صالح أسرع مني في الحفظ ، وقلما حفظت أكثر من بيت واحد من الشعر من سماعه مرة واحدة ، ولما شرعت في طلب العلم كان الطلبة يكتبون تعريفات لكل علم يحفظونها بحروفها لاجل الامتحان ، ولم أكن أعني معهم بذلك وانما كنت أعني بفهمها حق الفهم ، وبالمقدرة على التعبير عما أفهمه وافق اللفظ المكتوب أو خالفه الا ما لا بد من حفظه بلفظه بأمر المدرسة : كالالفية ومتن السلم في المنطق وجوهرة التوحيد وبعض مقامات الحريري . كنت أجلس في درس النحو عن يمين الاستاذ وابدأ بإسماعه أبيات الالفية المفروض حفظها كل يوم ، فإذا جاء الدرس ولم أكن حفظتها لقلة الاهتمام به أتأخر عن الدخول إلى أن يبدأ الطلبة بالاسماع فأحفظ منهم ، وإنما كنت سريع الفهم حتى انني كنت أتألم ويضيق صدري من إعادة الاستاذ للمسألة التي يقررها ، وكنت قوي الذاكرة والاستحضار لما اقرأ وأسمع ولا أزال كذلك ولله الحمد ، ولكنني ضعيف الاستعداد لحفظ الجزئيات كالاعلام والارقام والحوادث التي لا تضبطها قاعدة كلية أو غرض عام . وكذلك حوادث التاريخ الجزئية ، وانما اعني بفلسفتها وأسبابها ونتائجها العامة ، وزادني ضعفاً على ضعفي في هذا قلة العناية بمعرفة الناس وكل ما أعتقد ان ليس لي فيه فائدة علمية أو دينية .

ولذلك لم أعن باللغة التركية ولا الفرنسية ، وان حفظت كل ما فرض

عليّ من دروسهما في المدرسة الوطنية ثم ندمت على الثانية بعد أن علمت أن لها فوائد كثيرة في خدمة الإسلام ·

فجملة القول في استعدادي للعلم أنني كنت سريع الفهم قوي الحفظ للمعاني والمعقولات وماله ترتيب معقول ، فكان علم المنطق أسهل العلوم علي إلا التمثيل في أبواب القضايا والقياس له بحروف المعجم ولا سيما نقائض القضايا الموجهات وعكوسها · زار طرابلس مرة طالب علم مصري اسمه الشيخ مرعي ، كان لطيف المعاشرة والمذاكرة ، رأيته مع اخواننا الطلبة يتكلمون في مسئلة من المنطق غير واقفين عليها ، فذكرت لهم ما أفهمه · فقال الشيخ مرعي متعجباً : الله ! انه يحفظ حاشية الحفني على شرح السلم باللفظ والمعنى ! على أنني لم أحفظ حروف الجر في غير الالفية الا بتكرارها مراراً كثيرة ·

ومثلها أوائل سورة التكوير لانني لم أفهم لنسق الشرطيات فيها ترتيباً معقولا ، وعنيت بحفظ القرآن وحدي أي بدون [١] أستاذ أعيد عليه ما حفظت ، فحفظت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، ثم شغلت

---

(١) أخذ علي أحد الإخوان ادخالي الباء على « دون » وقال ان الاصح فيها أن تأتي مجردة من الباء أو بإدخال « مِن » فيقال « من دون » وأجبته بأن هذا قد قيل واشتهر ولكنه فيه نظر فإن « دون » تأتي اسماً وتأتي ظرفاً وما على الاسم أن يجر بالباء · وقد أجاز ذلك الاخفش ومكانه في النحو مكانه · وانت ترى هنا أن السيد رشيداً كان يقولها · ومن نحاة هذا العصر الراسخين الشاب العلامة السيد مصطفى جواد العراقي يجيز أيضاً هذا الاستعمال ويستحسنه ·

عن إتمام حفظه بطلب العلم ، وحفظت المفصل كله لاجل قراءة طواله في صلاة الفجر وسائره في سائر الصلوات ، ورأيتني أحفظ بعض السور كالكهف ومريم وطه ويوسف من غير تعمد لحفظها .

نشأتي العلمية

تعلمت في كتاب قريتنا (القلمون) قراءة القرآن والخط وقواعد الحساب الاربع ، ثم أدخلت في المدرسة الرشدية في مدينتنا (طرابلس الشام) وهي مدرسة ابتدائية للدولة يدرس فيها الصرف والنحو والحساب ومبادي الجغرافية وعلم الحال « العقائد والعبادات » واللغة التركية واللغة العربية ، ولكن جميع التدريس فيها باللغة التركية . فأقمت فيها سنة ثم لم أعد اليها لانني لم أحب أن أخدم الحكومة .

ثم دخلت المدرسة الوطنية الإسلامية وهي أرقى من المدرسة الرشدية وجميع التعليم فيها باللغة العربية إلا اللغتين التركية والفرنسية ، وتدرس فيها العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية ، وكان استاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر الازهري [1] هو المدير لها بعد أن كان

---

(١) عرفته رحمه الله ولي معه مجالس كثيرة وقرأت من نظمه ونثره وترسله ، وكان من أفذاذ الأمة الإسلامية علماً وورعاً ووقاراً وجلالا وجمالا ، وكان استاذنا الشيخ محمد عبده لا يرى مثله في علماء سورية العاملين ومرشديها الكاملين وهو صاحب « الرسالة الحميدية » الشهيرة في إثبات النبوة المحمدية وإظهار فضائل الشريعة الإسلامية ورد مزاعم الملاحدة واعداء الدين .

هو الذي سعى لتأسيسها ، لان رأيه ان الامة الإسلامية لا تصلح وترقى إلا بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الاوربية مع التربية الإسلامية الوطنية تجاه التربية الاجنبية في مدارس الدول الاوربية والاميركانية ، ولكن الحكومة العثمانية لم تقبل أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية ، فكان ذلك سبباً لإلغائها ، فحرمت مدينة طرابلس وملحقاتها من فوائدها بجهل الدولة وغباوتها . وتفرق طلبتها ، فذهب بعضهم إلى مدارس بيروت المختلفة وانقطع بعضهم للطلب في المدارس الدينية في طرابلس وأنا منهم .

ولم يرضَ لي والدي بالإقامة في المدينة لطلب العلم الا بعد بلوغي سن الرشد وثقته بديني وأخلاقي ، لانه كان يخاف عليّ من معاشرة أهل المدينة « البندر »

وكنت اجتنبت معاشرة الناس فيها إلا أفراداً قليلين جداً من أصدقائنا . ومن أمثلة اجتنابي للريبة انني كنت أشتري شيئاً من تاجر تكرر تساهله معي في المساومة ، فقال لي : وحياة عينيك . فنفرت منه ورميت ما كان بيدي وما عدت أقف عليه ولا أنظر اليه ولا أمر أمام دكانه في يوم من أيام عمري .

وكنت من قبل طلب العلم شديد العناية بمطالعة كتب الادب وكتب التصوف ، وكان اعجب كتب التصوف اليّ احياء علوم الدين لحجة الإسلام ابي حامد الغزالي فهو الذي طالعته كله وكنت اكثر مراجعته وقراءة بعض ابوابه عوداً على بدء ، ثم صرت اقرأه للناس وكان له اكبر التأثير في ديني وأخلاقي وعلمي وعملي ، وانه لتأثير صالح نافع في اكثره

ضارٌ في اقلّه ، وقد عالجت الضارّ منه بعد العلم به ، فما كان فيه من خطإ علمي فقد رجعت عنه بالتدريج بعد اشتغالي بعلم الحديث [1] ولاسيما عقيدة الجبر والتأويلات الاشعرية والصوفية ، والغلو في الزهد وبعض العبادات المبتدعة . واما تأثيره الوجداني في الزهد واحتقار الدنيا والمتكالبين عليها ووظائف الحكومة ، فلم استطع الاعتدال فيه فضلا عن التفصي منه ، ومنه الزهد في الشهرة والمدح ، فكم مُدحت بقصائد لم اقرأ منها إلا أبياتاً قليلة ، ولم انشر منها شيئاً . ولم تجنح نفسي قط إلى تبليغ الجرائد شيئاً عني بالحق لتنشره حتى ما له شأن تاريخي ، ومنه ما لقيت من جفاوة الصدر الاعظم وكبار الوزراء والعظماء وجمعية الاتحاد والترقي في الآستانة ، وما هو اعظم من ذلك من جفاوة العلماء والكبراء في الهند . ولو عنيت بايصال ذلك الى الجرائد في مصر وسورية في وقته لنشرته لأن اكثر اصحابها ومحرريها من اصحابي .

وكان يعجبني من كتب الشعراني اليواقيت والجواهر لقلة الخرافات فيه وكثرتها في سائر كتبه ولاسيما الطبقات . وكان يعجبني من الميزان مسائل الاجماع في الاحكام فيه وجعل الخلاف دائراً على العزيمة والرخصة . ولم يكن لي مرشد في ذلك إلا الاستعداد الفطري ، فكنت من اول

---

(١) يقال ان الإمام الغزالي رضي الله عنه كان يستشهد حتى بالضعاف من الأحاديث لأجل تأييد نظرياته ، فالاستاذ السيد رشيد عرف هذا بعد ان تبحر في علم الحديث وصار من أئمته . وكذلك بعد ان تبحّر في علم الحديث نزع إلى مشرب ابن تيمية رحمه الله وترك اقوال الصوفية ورجع عن كثير من نظريات الغزالي العلمية .

النشأة صوفياً عبادةً وتخلقاً مع ميل شديد الى الأدب ، فطالعت بعض كتبه وحفظت كثيراً من الشعر بغير تعمد ولا قصد ، ومنه قصيدة الشهرزوري في التصوف ، ونونية ابن زيدون في الغزل . وأكثر ما كتبت بخطي من مختاره في الإلهيات والزهد والرقائق ومدح النبي صلى الله عليه وسلم .

ونظمت الشعر قبل قراءة العلوم العربية ، وكدت أشتهر به منذ السنة الأولى من دخول المدرسة الوطنية ، وقد عرف الميالون من طلبتها إلى الشعر ما كان من ذوقي فيه وحفظي للجيد منه وتمييزي بالسليقة بين الموزون وغيره منه ، فأقبلوا علي ، وكان بعضهم يكلفني وزن ما ينظمه وتصحيحه . وممن يعرف هذا من الأحياء منهم إلى اليوم الاستاذ «المغربي» الذي تقدم ذكره والاستاذ الشيخ عبد الكريم عويضه من أشهر علماء طرابلس المدرسين فيها أطال الله عمرهما ونفعهما .

وكنت أراجع ما لا أفهمه من اللغة في المصباح المنير وأنا لا أعلم من علم الصرف شيئاً . ثم عرفت بسعة الاطلاع في اللغة ، فكان استاذنا الجسر يسألني عن بعض الغريب في بعض مجالسه الخاصة ، حيث لا توجد معاجم يراجعها واتفق أنه لا يسألني عن شيء إلا وكنت عالماً به . وإنما أذكر هذا في هذه الترجمة للترغيب فيه ، فالاطلاع على اللغة ضروري وسبيله المراجعة عند الحاجة .

وكان لي من سليقة اللغة أنني قلما كنت ألحن في قراءتها . اجتمعت أنا وسعيد كرامة وعبد الغني الأدهمي في حجرة الاستاذ العلامة الشيخ توفيق الأيوبي في حجرته بالمدرسة الوطنية ، وكان من أساتذتها ،

فاستقرأ كلا منا فصلاً من كتاب غرر الخصائص ، فشهد لي بأنني أصح منهما قراءة ، وكانا يعرفان النحو منذ سنين ، ولم أكن تلقيت منه إلا بعض رسالة العوامل في تلك السنة نفسها . وقال لي صاحبي الاستاذ الشيخ عبد الكريم عويضة عندما سمع مني أول لحنة أو شكاً في إعراب كلمة – بعد تلقي الكثير من النحو : إنني أرى أن النحو يفسد عليك سليقتك .

وتخرجت في العلوم العربية والشرعية العقلية على الشيخ حسين الجسر . وكان له إلمام واسع بالعلوم العصرية كما يعلم من كتابه (الرسالة الحميدية) وكان كاتباً وشاعراً عصرياً ، يكتب وينظم في كل موضوع بعبارة سهلة ، وكان له أسلوب خاص في التعليم غير أسلوب الأزهر يتحرى فيه السهولة في البيان ويتجنب المناقشات اللفظية واستطرادات الحواشي ، فلم يكن يذكر منها إلا ما لا يتم تحرير المسئلة العلمية بدونه ، فكان يفضل شرح ابن عقيل للالفية ، وحاشية الخضري على شرح الأشموني وحاشية الصبان . وهو لم يقم في الازهر إلا بضع سنين ، لقي في أثنائها الشيخ حسيناً المرصفي الاديب الشهير وكان معجباً بأدبه وأفكاره .

وأخذت الحديث وفقه الشافعية عن شيخ الشيوخ العلامة الشيخ محمود نشابه ، وكان قد أقام في الأزهر متعلماً ومعلماً ثلاثين سنة ، وحمل شهاداته بثمانية عشر علماً ، منها الجبر والمقابلة . وتلقى كتب الحديث المشهورة كلها ، وكان من مشايخه الباجوري والمبلط ومن اخوانه الانبابي والاشموني .

وأول شيء أخذته عنه الاحاديث الاربعون النووية قرأتها وضبطتها عليه قبل طلبي للعلم وأجازني بها كتابة ٠

وحضرت على العلامة الشيخ عبد الغني الرافعي [1] قليلا من كتاب نيل الاوطار للقاضي الشوكاني ، ولكنني استفدت كثيراً من معاشرته

(١) الأستاذ الشيخ عبد الغني الرافعي هو أحد أعلام الأسرة الرافعية الكريمة المشهورة بكثرة نوابغها ونجبائها وكان رحمه الله من مشاهير علماء القطر الشامي في عصره ، وقد أخذ عنه الكثيرون ، ومن جملة تلاميذه العلامة الشهير والأديب الكبير الشيخ ابراهيم الأحدب الطرابلسي الذي أقام فيما بعد بمدينة بيروت وكان فيها مرجعاً للخاص والعام ٠ وقد اطلعتُ على إجازة من الشيخ إبراهيم الأحدب لأحد الأدباء يقول فيها نظماً :

وقد أجزته كما أجازني   شيخي إمام الفضلا عبد الغني

كما أنني اطلعت على تقريظ من نظم الشيخ عبد الغني الرافعي لديوان الشيخ ابراهيم الأحدب المسمى « بالنفح المسكي » أتذكر منه هذا البيت :

أنا أصل أقام في مركز العجـــز ولكنّ فرعه في السماء

يشير بذلك الى ما كان من أخذ الأحدب عنه ٠ ولقد أسعدني الحظ بمعرفة الشيخ الرافعي شخصياً إذ كان قدم من طرابلس الى بيروت احدى المرار فذهب أستاذنا الشيخ محمد عبده للسلام عليه وذهبت أنا معه فرأيت فيه شيخاً جليلاً وقوراً على جانب عظيم من الدعة والتواضع ، وصادف أني أنشدت في حضرته :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي   بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبان

فلحظ أنني أنشدته بدون لحن وكنت فتىً في السادسة عشرة من عمري فهتف رحمه الله قائلاً : ما شاء الله ما شاء الله سعادة البيك ! أرويها كما قالها اقتداء بالمترجم صاحب هذه السيرة الذي كان يروي مايسمع بدون زيادة ولا نقصان ٠

في العلم والادب والتصوف ، وكان بعشق الإحياء للغزالي من قبلي ويكثر مطالعة مواعظ الشيخ عبد القادر الجيلاني . وتلقيت عن العالم المحدث العابد الشهير الشيخ محمد القاوقجي [1] الكبير كتابه في الأحاديث المسلسلة وبعض كتابه المعجم الوجيز ، وإنما فتح لي باب الاشتغال بعلوم الحديث شرح الاحياء الذي اقتنيته لما فيه من تخريج احاديث الكتاب ، فصرت بعد الاطلاع عليه لا احتج بحديث ولا اكتبه الا مع بيان تخريجه . ثم لم أعد اكتفي بتصحيح اي كتاب للحديث الذي فيه شبهة عندي حتى اراجع سنده وما قاله علماء الجرح والتعديل فيه . وكنت اول من استحضر كتاب ميزان الاعتدال من الهند إلى طرابلس . وقد فتح لي الاشتغال بالحديث رواية ودراية باب الانتقاد على كتب الوعظ والفقه والادب ودواوين الخطب ، فأنتقد ما فيها من الاحاديث الضعيفة والموضوعة ولكن أخص بهذا بعض زملائي ، ومن الاحياء منهم الشيخ عبد القادر

(١) كان الشيخ القاوقجي المشار اليه مظنة ولاية كما يقال لشدة ورعه ، ومما يجب أن لا ننساه انه رحمه الله كبير أسرة أخينا البطل المشهور فوزي بك القاوقجي الذي كان له في الثورة السورية سنة ١٩٢٥ وفي الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ المنصرمة المواقف التي خلدت له اسماً كبيراً في التاريخ وجعلته من مفاخر الامة العربية وهو مع العلم والفضل والمهارة في الفنون العسكرية والبسالة النادرة في الحروب من أعذب الناس خلقاً وأحلامهم فكاهة . ولما كنت في الحجاز سنة ١٣٤٧ هـ واعتللت في مكة وصعدت الى الطائف للاستشفاء لازمني فوزي بك حفظه الله محض مروءة وكرم أخلاق منه ، ولم يفارقني مدة خمسة أشهر قضيتها في الطائف ، ومازال معي إلى ان ودعته في ميناء جدة حرسه الله ووفقه لخدمة الامة العربية .

المغربي الذي كان يلقبني بڤولتير المسلمين لو لا ما يعلم من قوة اعتصامي بالدين ، وقد سمى لي « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » بالمعول الذهبي يعني انني اعتمد عليه في هدم كل ما لا يصح دليله من كتب الدين . وكنت أطالع معه كتاب « النقش في الحجر » في مبادئ العلوم العصرية للدكتور فانديك .

ولم أر أحداً من علماء بلدنا يسلك طريقة الأزهر في التدقيق والتحليل والمناقشة في عبارات الكتب إلا صديقي الاستاذ محمد الحسيني عقب رجوعه من المجاورة ثم تركها .

وكنت أجلس إلى هذا الاستاذ في مجالس مطالعته مع صديقنا الاول الشيخ محمد كامل الرافعي أصدق عشاق العلوم العالية والتصوف ، وكانا يطالعان معاً أعلى كتب الأصول والمنطق ، كسلم العلوم ومسلم الثبوت وشرح التحرير . وكنت أسمع تحاورهما في أدق المسائل ، وأنا مبتدئ في النحو والفقه وحواشي الجوهرة والسنوسية في العقائد . وكنت ربما أدلي برأيي فيما يتناقشان فيه قبل القطع بشيء منهما . فيقولان لي بعد تمحيصه : إن رأيك هو الصواب فمن أين جئت به ؟ فأقول هكذا حدثتني نفسي ولم تقبل فطرتي أو عقلي إلا هذا . وكان مثل هذا مبدأ إعجاب الرافعي بالفقير ، واتخاذ المنار أستاذاً له بعد ذلك . والاستاذ الحسيني حي ما أراه نسي هذا ، وكان مبدأ صداقتنا وتصوفنا معاً كما سيأتي .

وللإمام الغزالي قدس الله روحه فضل علي في هذا فإنه كان قد علق بنفسي من كلامه في شرح عجائب القلب ماضربه من المثل للفرق بين

العلم الذي يصل إلى القلب أو النفس من طريق الحواس والعلم الذي ينفجر منه بتطهيره من الصفات المذمومة والأفكار الرديئة ، حتى يكون كالمرآة الصقيلة — بان مثل الأول كالماء الذي يجري من السواقي المحفورة إلى حفرة أو بئر ، يجتمع فيه مع ما يحمله في طريقه من الغثاء والوحل ومثل الثاني كماء الينبوع الذي ينفجر من الصخر النظيف . فقد كنت أتحرى أن يكون قلبي طاهراً ونفسي زكية لأكون مستعداً للعلم الالهامي ولتكون مرآة نفسي صقيلة ينطبع فيها ما تتوجه اليه من المعلومات الكسبية على اختلاف أنواعها . وقد سمعت من أعرف الناس بي انني أوتيت نصيباً من ذلك .

قال العلامة الناسك الزاهد السائح الشيخ عبد الباقي الأفغاني : ان السيد رشيداً علمه لدُنّي [1] انني أغيب عنه سنة فأجد عنده من العلم ما لا يمكن اكتسابه إلا في السنين الطوال . وكان هذا الرجل الغريب كغربة الإسلام في هذا الزمان بكل ما في هذه الغربة من معان يحج في كل سنة ماشياً ، ثم يعود إلى سورية فيقيم عندنا في القلمون أياماً ، وفي طرابلس أياماً وفي حمص مثلها أو أكثر ثم يعود إلى الحجاز . وكان من أكبر علماء الافغان ، حصل العلوم في بلاده ثم جاء الهند للتوسع في المعقولات ، فبينا كان مجداً في الفلسفة رأى في الرؤيا قائلا يقول له : أتدري ما تصنع يا عبد الباقي ؟ إنك تأخذ خشبة تحرك بها ما في الكنيف . فترك الفلسفة وانقطع للعبادة والسياحة .

(١) أي من لدن الله تعالى قال الليث : لدن في معنى من عند . وجاء في تاج العروس العلم اللدنّي ما يحصل للعبد بغير واسطة بل بإلهام من الله تعالى .

وقد ترجمته في المنار فتراجع ترجمته الغريبة فيه . ومن أغربها انني شاورته في الهجرة إلى مصر فنهاني عنها معللا تهيه بما في هذه البلاد من الفسق وبما كنت عليه في بلادي من الانقطاع للعلم والعبادة والتعليم والإرشاد ، وقال إنني دخلت الازهر مرة واحدة فإذا هو قذر (١) كطلاب العلم فيه ، فهم يأكلون فيه الخبائث من الثوم والبصل والكراث وصلاتهم فيه مخالفة للسنة من كل وجه ، ولذلك تبت الى الله تعالى من العودة اليه !! قلت له : اني أرجو أن أنفع هنالك أكثر مما أنفع هنا بكثرة من اعلمهم وانصح لهم من أهل مصر ومن سائر الأقطار . وأظن أن عمي حفظه الله تعالى يذكر أقوال الشيخ عبد الباقي فيّ ولي فقد كان أعلم بها مني .

وقال استاذي الشيخ حسين الجسر للسيد علي أفندي السمين نقيب أشراف بلادنا : ان فلاناً (٢) جاءني لطلب العلم ، فساوى في السنة الأولى أذكياء الطلبة الذين كانوا في السنة السابعة . وذلك إنني دخلت مدرسته بعد عودته من بيروت ، ولم أكن حضرت من النحو إلا رسالة العوامل الصغيرة غير تامة في المدرسة الوطنية ، فصرت أحضر دروس ابن عقيل والإظهار فالكافية . وكان زميلي الاستاذ الشيخ عبد المجيد أفندي المغربي أحد هؤلاء السابقين الى طلب العلم يقرأ متن ايساغوجي في المنطق لبعض المبتدئين في المدرسة الرجبية لشيخنا الجسر بعد انتهاء الدروس

---

(١) هذا النقل إنما هو من شدة ولوع المترجم بإعادة ما يسمعه على علاته وإلا فطلاب الازهر هم أجل من ان يقال فيهم كلام كهذا .

(٢) أي المترجم .

مساء ، فجلست اليهم لاسمع شيئاً من مسائل هذا العلم ، فاستشكلت ما يقوله لهم الاستاذ فيقبلونه منه ، فأجابني فجادلته في الجواب ، فسمع استاذنا ما نقول ، وكان في غرفته من المدرسة فأطلّ من نافذتها المشرفة على المدرسة وقال : يا شيخ عبد المجيد اترك هذا ، انه لا يقدر أحد أن يقرأ له غيري .

ثم اتفق بعد أربع سنين ان كان الاستاذ يقرأ لنا شرح القطب على الشمسية في تلك الغرفة ، فناقشته في بعض المسائل حتى قال لي : لا تسألني في الدرس عن شيء فإن كل ما أعرفه أقوله ولا يبقى عندي غيره واظن ان من بقي من زملائنا في ذلك الدرس يذكرون هذا الجواب لانه كان غريباً جداً عندهم ومنهم المغربي الذي ذكرته آنفاً وابن عمه الذي تقدم ذكره مراراً والاستاذ الشيخ محمد رحيم وكان في مقدمة اخواننا في المدرسة في كل علم .

وبلغ من رضاه عن فهمي ان سألني عن رأيي في كتابه المشهور (الرسالة الحميدية) بعد ان اهداه اليّ بزمن قائلا : انه يعجبني من بين اولادي فهمك ورأيك فكيف رأيت الرسالة الحميدية ؟ قلت : ان الحاجة اليها لشديدة ، ولم يسبق مولانا احد الى مثلها في الدفاع عن الإسلام ولكن لي عليها انكم توردون المسئلة القطعية في العلم ككروية الارض ودورانها بعبارة فرضية تدل على شككم فيها . قال : انت تعلم تعصب الجاهلين بهذه العلوم في بلادنا ، فلا نترك لهم مجالا للقيل والقال .

قلت : إذا كان مثلكم في ثقة الامة بدينه وعلمه لا يجرؤنا على التصريح بالحقائق فممن نرجو هذا ؟ وكنت اود لو جعلتم لكل مسئلة

أو موضوع في الرسالة عنواناً فهي كمقالة واحدة لا أبواب فيها ولا فصول ولا عناوين (١) تسهل المطالعة والمراجعة . قال : هذا كما قيل في الكلام المنسجم انه كالماء الجاري وانه آخذ بعضه برقاب بعض .

قلت : إذاً لماذا جعل الله القرآن سوراً مفصلة منفصلة ولم يجعله جملة واحدة ؟

هكذا تربيت أفيكثر عليّ أن أنتقد من دون أستاذي علماً وحقاً علي؟

وكانت طريقتي في طلب العلم ان لا أقبل شيئاً بالتسليم من غير فهم واقتناع ، وإذا لم أسمع من الاستاذ ما يقنعني في مسئلة ما ولا سيما المسائل الدينية فإنني أراجعها في جميع ما أعرف من الكتب الى ان يستقر فهمي فيها على ما يطمئن به قلبي .

مثال ذلك مذهب الأشاعرة في مسئلة تقسيم كلام الله عز وجل الى نفسي ولفظي وما قالوه في كل منهما وفي القرآن . لم يقنعني ما قاله الباجوري فيه من حاشيته على جوهرة التوحيد ، ولا تقريب استاذنا الجسر له . فراجعت المسئلة في سائر كتب الكلام وكتب التفسير ولاسيما تفسير الرازي لانه إمام متكلمي الأشاعرة والمدره المدافع عنها ثم كنت أعني بإقناع غيري بما اقتنعت به دون غيره في المذاكرات والمناظرات مع أهلها ، وفي الدروس التي اقرؤها للعوام حتى نجحت في أساليب الاقناع بما يراه قراء المنار فيه .

* * *

---

(١) هذا هو أيضاً مما كنت آخذه على « الرسالة الحميدية »

تألهي[1] ونسكي وتصوفي

نشأت في حجر العبادة فألفها وجداني ونشطت فيها أعضائي من الصغر فخفت عليّ في الكبر ؛ كنت من سنّ المراهقة أذهب الى المسجد في السحر ولا أعود الى البيت إلا بعد ارتفاع الشمس ، حتى كانت والدتي رحمها الله تعالى تقول : إنني منذ كبر رشيد ما رأيته نائماً ، فإنه ينام بعدنا ويقوم قبلنا . وقد اتخذت لنفسي حجرةً خاصة من غرفتين في أعلى ركني مسجدنا البحريين للمطالعة والعبادة ، وهذه الغرفة كان يخلو فيها جدنا السيد علي الكبير الذي بنى المسجد قدس الله روحه . والغرفة الأخرى كانت لخادمه المسمى بالأعرج ، وكان أهل القرية يعتقدون أنه من الجن ، ويتناقلون في ذلك حكايات غريبة . وكانت هذه الغرفة ملتقى العلماء والأدباء الذين يزوروننا في القلمون يطالعون ويراجعون فيها ويتحاورون ، وكان شيخنا الجسر يستقرئني فيها : إما بعض فصول الفتوحات المكية ، وإما بعض فصول كتاب الفارياق .

وكانت تلذ لي صلاة التهجد تحت الاشجار في بساتيننا الخالية ، وأفكر في صدق من قال : أهل الليل في ليلهم أنعم من أهل اللهو في لهوهم ، وقول آخر : لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف . نعم إن للبكاء من خشية الله وتدبر كتابه في صلاة الليل حيث يعلم المصلي أنه لا يسمع صوته أحد إلا الله ـ لذة روحية تعلو كل لذات الضحك واللهو على اختلاف أسبابها .

---

(١) تألّه تعبّد وتنسّك .

وكان كبير أسرتنا الشيخ السيد أحمد أبو الكمال الذي تقدم ذكره يدارس أولاد الامرة القرآن في رمضان لاجل تجويده ، فكنا نقرأ معه كل يوم نصف ختمة : خمسة أجزاء من بعد شروق الشمس الى صلاة الضحى ، وخمسة أجزاء بعد صلاة الضحى الى الظهر ، وخمسة أجزاء من بعد صلاة الظهر الى العصر ، كل واحد يقرأ ثمن جزء ويسمع الآخرون . وكان يحضر هذه المدارسة معنا عنده السيدة زُلفى [1] ابنة بنته ، وكانت

---

(١) يجوز أن يكون هذا الاسم بالزاي وان تسمى المرأة (زُلفى) بضم اوله ومنه قوله تعالى : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زُلفى) او هي «زُلفة» بمعنى الرتبة أو الدرجة او هي بمعنى التقريب جداً أو هي مفرد الزُلف كغُرَف وهي ساعات الليل الآخذة من النهار وساعات النهار الآخذة من الليل . ولكن الارجح عندي أن هذا الاسم الذي تسمى به النساء وهو شائع في بلادنا إنما هو بالذال لا بالزاي ومنه قول القائل :

إنما الذلفاء ياقوتة　　أخرجت من كيس دهقان

ومنه قول الآخر :

يا ليتني كنت صبياً مرضَعا　　تحملني الذلفاء حولاً أكتعا
إذا بكيت قبلتني أربعا　　إذاً ظللت الدهر أبكي أجمعا

وهو من شواهد ابن عقيل والشعر لأعرابي رأى امرأة حسناء تسمى بالذلفاء تقبل صبياً كما بكى قال الشيخ الجرجاوي في شرح شواهد ابن عقيل : وهي هنا اسم امرأة كما في القاموس لأنه قال : والذلفاء من أسمائهن وتطلق على المرأة الحسناء كما أن الرجل إذا كان حسناً يقال له أذلَف وجمعه ذُلف كأحمر وحمر اه . وأصل الذلَف محركةً صغر الأنف واستواء الأرنبة كما في الصحاح أو صغره في دقة كما قال ابن دريد أو غلظ واستواء في طرفه كما قاله الليث —

صبية ولم يكن احد فينا بالغاً غير ابنه السيد محمد كمال وهو خالها وكان يقرأ في غير رمضان عشرة أجزاء كل يوم .

والسيدة زلفى هذه كانت تكتب إن شاءت وتطالع الكتب ، وهي ام السيد عبد الرحمن عاصم تلميذي ووكيل المنار ، وهو ابن عمي السيد محمد كامل وزوج شقيقتي ويعيشان معي . وأما عمي والده فهو على قدم محمد في الانقطاع للعبادة والنسك ويقوم بوظائف الإمامة والخطابة والتدريس في مسجدنا ، وقد عني بكتاب إحياء العلوم كما عنيت به . وكان يعاشرني معاشرة الصديق ويفيدني في كثير من مسائل العربية والدين ثم نفقته في ذلك حتى كان يحضر درسي لتواضعه أطال الله بقاءه .

وكنت أقرأ ورد السحر في غير رمضان وحدي وفي رمضان مع جماعة وكنت إذا بلغت قوله في الجيمية :

ودموع العين تسابقني　　　من خوفك تجري كاللجج

ولم يكن حضرني البكاء أسكت فلا أقرأ البيت حياء من الله تعالى أن أكذب عليه . ولما اشتغلت بالسنة وعلمت أن قراءة هذا الورد وأمثاله من البدع التي جعلت من قبيل الشعائر والشرائع التي شرعها الله تعالى على ما فيه من الامور والأقسام المنتقدة شرعاً تركت قراءته واستبدلت بها قراءة القرآن .

وكنت أواظب على قراءة دلائل الخيرات ، وتلقيت الإجازة بها

— ويقال أنف أذلف ورجل اذلف وهي ذلفاء . وبالجملة فأنا أرجح أن يكون هذا الاسم هو « ذلفا » مقصور ذلفاء وانها بالذال المعجمة لا بالزاي ولكن العامة لفظته بالزاي كما تفعل في كثير من الالفاظ .

عن الاستاذ العابد العالم الشيخ أبي المحاسن القاوقجي بسنده إلى مؤلفها ثم تركتها بعد اشتغالي بكتب السنة كما تركت ورد السحر واستبدلت بها ورداً آخر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه شبهة بدعة من توقيت وجهر وصيغ منكرة ومضاهاة للشعائر الموهمة للمأثور عن الشارع ٠

وقد حبب إليّ التصوف كتاب إحياء العلوم لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، فكنت أجاهد نفسي على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام ، اكتفاء بقليل من الزعتر مع الملح والسماق وبالنوم على الأرض ، وغير ذلك حتى انه لم يشق عليّ ترك أطيب الطعام الحاضر عمداً ، ولكنني حاولت أن أتعود احتمال الوسخ في البدن والثياب وهو غير مشروع فلم أستطع ٠ وقد ذكرت هذا وذاك للاستاذ الإمام بمناسبة عرضت فقال لي : وأنا كذلك ٠ وقال مثل هذا في غيره مما اتفق وتشابه من نشأتي ونشأته ٠

وقد طلبت من أعبد عباد شيوخ الطريق في عصرنا الشيخ ابي المحاسن محمد القاوقجي أن يسلكني الطريق على أصولهم في الرياضة والخلوة والترقي في منازل المعرفة وصرحت له بأنه لا يعجبني أن أسلك طريقة الشاذلية الصورية بقراءة أورادها وحضور اجتماع أذكارها ، وكنت حضرت هذا عنده مراراً أو حفظت حزب البر بقراءته معهم ٠ فاعتذر وقال لي يا بني إنني لست أهلاً لما تطلب فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله فرحمه الله رحمة واسعة ٠

ثم أخبرني صديقي الأستاذ العلامة الشيخ محمد الحسيني انه قد ظفر

بصوفي خفي من النقشبندية يرى هو انه وصل إلى رتبة المرشد الكامل فسلكت هذه الطريقة معه وقطعت مراتب اللطائف كلها ، ورأيت في أثناء ذلك كثيراً من الأمور الروحية الخارقــة للعادة ، كنت أتأول الكثير منها وعجزت عن تأويل بعضها إلا أنها من خصائص الروح التي تظهرها الرياضة وكثرة الذكر والفكر . ولكن هذه الثمرات الذوقية غير الطبيعية لاتدل على أن جميع وسائلها مشروعة أو تبيح ما كان منها بدعة كما حققت ذلك بعد .

كان الورد اليومي لي في هذه الطريقة ذكر اسم الجلالة (الله) بالقلب دون اللسان خمسة آلاف مرة مع تغميض العينين وحبس النفس بقدر الطاقة وملاحظة ربط قلبي بقلب الشيخ . وهذا النوع من الذكر غــير مشروع بل هو مخالف لجميع ما ورد في الذكر المأثور . وهذه الرابطة محل انكار خاص عند علماء الشرع ، وهي مقررة في غير هذه الطريقة وقد تكون بصفة مخلة بالعقيدة إذا عدت عبادة شرعية ، فإن مقتضى التوحيد أن يتوجه العبد في كل عبادة إلى الله وحده حنيفاً مسلماً له الدين ، فالتوجه فيها إلى الشيخ قد يكون من الشرك الخفي وان لم يقصد به عبادته . وإنما يمكن تفسيرها بأنها ضرب من التربية الروحية الصناعية المجربة في إظهار ما أودعه الله في النفس من الاسرار والسنن الإلهية المخالفة للسنن المودعة في المادة ، وبأن الرابطة فيها كالرابطة بين المقتدي وإمام الصلاة لا يقصد بها شيء من إشراكه في عبادة الذكر ولا تعظيمه بنوع من تعظيم عبادة الرب ولا تتضمن الاعتقاد بأنه قادر على شيء من النفع أو الضر من غير طرق الأسباب المشتركة بين الخلق

وإنما هي عندهم وسيلة سببية في ربط الأرواح بعضها ببعض ، من المريد الى الشيخ فمن فوقه من شيوخ السلسلة الى النبي صلى الله عليه وسلم . فمن عدها عبادة شرعية فهو مبتدع بلا شك وهذا التوجيه لها قلما يخطر ببال أحد من سالكيها .

وجملة القول انني كنت أعتقد أن سلوك طريقة المعرفة وتهذيب النفس والوقوف على أسرارها جائز شرعاً لا خطر فيه ، وانه نافع يرجى به من معرفة الله ما لا يوصل اليه بدونه ، ولكنني لم اعتقد قط أن الشيخ الذي ارتبط به قادر على شيء مما تقدم ، ولم أكن أستحضره ولا أتصوره في أثناء الذكر ، وإنما أتصور عند البدء به أنني ربطت قلبي بسلسلة من القلوب المخلصة لله تعالى هو طرفها الأدنى ، فزدت فيها حلقة جديدة وان هذه الرابطة لها تأثير في الامداد الروحي كما تصل مصباحاً كهربائياً بالسلك الممتد الى موآد التيار الشامل لمصابيح الدار كلها أو البلد كله .

ومن الغريب ان الإنسان بعد طول الإكثار من هذا الذكر ، يصير يسمع للقلب صوتاً وأغرب منه أن يسمع غير صوت قلبه . أخبرتني والدتي تغمدها الله ووالدي برحمته ورضوانه انها وضعت اذنها مرة على صدر عمها السيد الشريف الصالح عبد الرزاق حبلص فسمعت منه ترداد اسم الجلالة : الله الله الله . وقد أدركت أنا عمها هذا وأنا صغير ولم اكن أعلم من أمر هذه الطريقة شيئاً . ولقد لقنني الأستاذ بعد الانتقال من اللطائف كلها أو عند لطيفة السر — الذكر بكلمة التوحيد باللسان (نسيت الآن)

هذا ما اقول في الورد الشخصي والرابطة ؛ وللطريقة النقشبندية ورد آخر مشترك يسمى الختم ، وهو عبارة عن اجتماع من كان حاضراً من ابناء الطريقة على ذكر وقراءة لبعض سور القرآن والتوجه الى استحضار بعض ارواح سلسلة الطريقة مع تغميض العينين · واستحضار الروح لا يتضمن شيئاً من عبادتها بدعاء ولا تعظيم تعبّدي · والاستمداد الروحي ليس عبادة بالفعل ولا بالقصد الا ان يكون من جاهل بالشرع شيخه أجهل منه وأضل سبيلا ، وانما هو من قبيل ما يحكى عن الافرنج من ذلك وقد سبقهم اليه الصوفية ، وسأذكر بعض ما حققته فيه ، ولكنه لا يخلو من مثار فتن دينية وخوف اختلال في القوى العقلية بما يعرض للجادّ المجد فيه من العوارض غير الطبيعية ، ولذلك اتفق الصوفية العارفون ، على أنه لا يجوز سلوك طريقة الرياضة عندهم ، إلا بإرشاد شيخ عارف

قد سلك الطريق ثم عادا ليخبر القوم بما استفادا

ما يعرض لسالك الطريق من الأمور الروحية الغريبة

أول ما عرض لنا من ذلك أن كانت تتمثل لنا ونحن في الختم مغمضي الاعين صورة من يذكر الشيخ اسمه من رجال السلسلة لعقد الرابطة به وأعلاها أبو بكر الصديق (ر ض) وفوقه النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان هذا بعد تكرار · وكنت أعتقد انه خيال يثيره التخيل ، ويدعي الشيخ ان الروح نفسها تحضر الختم وتتجلى للمستعد · وكان شيوخ الطرق يدعون هذا ويزعمون أن روح النبي صلى الله عليه وسلم تحضر مجالسهم فمنهم الكاذبون الدجالون ومنهم المتخيلون الممثلون وقد أطلت في تحقيق

هذه المسئلة في بحثي الفياض في الكرامات الذي كتبته في كتابي (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) الذي ألفته وأنا تلميذ ثم عدت اليه في المجلد الثاني من المنار ثم في المجلد السادس منه ثم ألممت به في مجلدات اخرى

ثم عرض لي ولغيري في أثناء استحضار هذه الارواح بالتخيل ان نميز بينها باختلاف صورها ونشم للروح رائحة عطرية منعشة لا نظير لها فيما نعرف من الاعطار . فكنت في اول العهد بهــا اظن ان الشيخ يحفظ في جيبه قارورة او حقاً فيه هذا النوع من العطر فيفتحها في أثناء الختم ولا يراه منا أحد ، وهذا من خواطر السوء في الشيخ لا تبيحه آداب الطريقة بل هو من عوائق السلوك ، ولكن الرائحة لم تكن تستمر ثم صارت تعرض لي في أثناء وردي الخاص فأظن انها ذكرى في النفس تعدّى اثرها الى الانف بالوهم ، وبعد التكرار اعتقدت ان ما يقوله كبار الصوفية من ان للارواح الشريفة الزكية العالية رائحة طيبة زكية صحيح وان تجلي الارواح صحيح في الجملة .

ومما كنت قرأته في الفتوحات المكية للشيخ محي الدين بن عربي ، (وهو من اكابر الصوفية الروحانيين على ما عرض له من الاختلال في معلوماته الدينية والكشفية) ان الشيخ عبد القادر الجيلي كان يعرف مقامات الرجال العارفين بالشم وانه شم محمد بن قائد فقال له : لا اعرفك وكان ابن قائد يرى لنفسه مقاماً عالياً فعرف من انكار عبد القادر له قصوره فعلت همته حتى صار من الافراد .

ويذكر في رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي الصوفي الفقيه المشهور انه لما

جاء طرابلس ترجل قبل ان يبلغ مقبرتها في المكان المعروف بباب الرمل فترجل من معه وسألوه عن السبب فقال : اننا قربنا من مكان فيه بعض قبور الروحانيين .

ومما أخبرني به صديقي الاستاذ الصدوق الشيخ محمد كامل الرافعي ان والده الشيخ عبد الغني كان يشم لبدنه ولثيابه رائحة مسكية في أثناء خلوته وانقطاعه فيها لذكر الله تعالى . ومما يتناقله أهل القلمون أنه لما نبش قبر السيد أحمد أخي جد والدي الذي تقدم ذكره وأن مصطفى آغا بربر تزوج ابنته ـ كانت رائحة ترابه ذكية كالمسك ، حتى أن بعض الناس أخذوا منها في جيوبهم ما يحفظونه في بيوتهم .

واخبار الشيخ علي العمري الطرابلسي [١] المعاصر لنا في الرائحة كثيرة

---

(١) الذي وقع أمامي من خوارق أعمال الشيخ علي العمري أمران أولها الى الآن لم أفهم سره : وهو أن الشيخ كان يستدعي أحد الحاضرين أياً كان ويقول له : ليقطع ورقة من عنده فإذا قطعها أخذها الشيخ من يده ونفل فيها وقال له : ادنُ مني فيدنو منه فيمسح بها عيني ذلك الرجل فلا تمضي لحظة حتى يشعر هذا كأنه قد وضع البارود في عينيه وتنهمر منهما الدموع كالماء الجاري ويبقى على هذه الحالة دقيقتين أو ثلاثاً ثم تعود عيناه الى حالها المعتادة . وقد فعل الشيخ ذلك مع أناس كثيرين أمامي وكلهم حصل لهم ذلك ، وكنت ممن أجرى له الشيخ هذه العملية وشعرت بما شعر به غيري حتى أني في البداية خفت على عيوني ، فحدثت بذلك نجيب سرسق من وجهاء المسيحيين في بيروت فقال لي : قم بنا لنزور هذا الشيخ ، وكان مراده أن يختبر ذلك بنفسه . فلما ذهبنا شعر الشيخ فيما يظهر أن هذا الرجل يريد أن يختبره فأجرى هذا العمل لعدة أشخاص أمامه ـ

ووقائعه فيها مشهورة في طرابلس والاستانة ومصر ، وكانوا يسمونه شيخ

ـ ومنهم الدكتور عبد الرحمن الانسي البيروتي ، وجربتُ أنا ذلك مرةً ثانيةً فحصل لي كما حصل في المرة الأولى . ومما أتذكره أنه لما كان الدكتور الإنسي يمسح عينيه بعد فيض دموعها ، قلتُ له : يا دكتور ! أين العلم من هذا ؟ فقال لي : هذا فوق العلم . ثم دعا الشيخ نجيب سرسق ليأتيه بورقة ويتفل له عليها ويمسح بها عينيه ، فاعتذر نجيب وتوقف كأنه خاف على عينيه .

أما الأمر الثاني فقد وقع لي مع الشيخ علي العمري لأول مرة عرفته بها وذلك أن سيدتي الوالدة مرضت مرضاً شديداً قال الاطباء إنه السل وإن الامل ضعيف في شفائها ، وكنا حينئذ في الجبل فنزلت الى بيروت لا أعي من شدة الهم وكان مقصدي أن نعمل لوالدتي جمعية أطباء ، وإذ ذاك رآني الشيخ يوسف النبهاني فسألني عن سبب ما أنا فيه من الهم العظيم فأخبرته بالخبر ، فقال : تعالَ معي لزيارة الشيخ علي العمري لعله يجري على يده شفاء والدتك ، فذهبنا إلى الشيخ والغريق يتعلق بحبال الهواء كما يقال ، وكان نزيل الحاج ابراهيم الطيارة فلما أخبره النبهاني بالخبر أجابه : نعم والدته في غاية الضعف . وحالتها أربعة قراريط سلامة وعشرون قيراطاً خطر ولكن الاربعة ستغلب العشرين بإذن الله . ثم أخذ ورقة ووضع عليها بقلمه خطوطاً متعرجة لا معنى لها ، وقال لي : ضعوا هذه الورقة بماء الورد ولتشرب والدتك من هذا الماء بعد ذلك مرتين او ثلاثاً فتبرأ بإذن الله . فرجعت الي الجبل واكتفيت بالأطباء الذين كانوا يعالجونها وعملت كما قال الشيخ وما مضى ثلاثة أيام حتى قال الاطباء لنا : إنه قد زال الخطر عنها ، فقضيت العجب من انه لم يكن بين قولهم : إن الخطر ارجح من السلامة وقولهم : الآن قد زال الخطر والسل كان على بدايته ـ اكثر من اربعة او خمسة ايام . ومما اتذكره جيداً ان الشيخ علي رحمه الله قال للنبهاني عندما اخبره بمرض والدتي ، نعم وهي —

المسك إذ كان ينفخ على الشيء كمنقوع الشاي والقهوة وعلب التبغ ، فتصير رائحتها مسكية .

وقد أخبرني المشير العثماني أحمد مختار باشا الغازي عنه ببعض ما وقع له في أثناء زيارته لمصر واقامته في قصر القبة ضيفاً عند الخديوي محمد توفيق باشا الذي استحضره من طرابلس لأجل استشفاء بنت له مريضة برقيته وبركته بعد أن عجز عن مداواتها الاطباء فشفيت . والمسئلة مشهورة في طرابلس الشام وعند الخواص في مصر .

قال لي مختار باشا ان الشيخ العمري كان يزورني بعد العصر في كل يوم ، فيشرب الشاي معي ثم نخرج إلى التنزه في الجزيرة ونعود عند الغروب ، فيذهب هو إلى قصر القبة وأجيء أنا إلى قصر الاسماعيلية (حيث حدثني)

قال : فكان إذا أحضر الشاي ينفخ على الإبريق والفناجين فنجد

ـ امرأة صالحة فتعجب النبهاني وتعجبت أنا لمعرفته ذلك وهو لا يعرفني ولا يعرف والدتي ولا يعرف عنا شيئاً ، وهو من طرابلس بعيد عنا ، وقد عرف بمجرد سماعه القصة انها امرأة صالحة مما هو معروف متواتر في بلادنا . ولا تزال والدتي في الحياة وقد مضى على هذه القصة ٤٨ سنة .

أما ما سمعته من كرامات العمري وخوارق أفعاله ومن أفواه أناس ثقات لا يمكن اتفاقهم على الكذب فشيء كثير ومن أنواع شتى . ولكني حصرت الحديث فيما شاهدته بعيني واختبرته بنفسي . ومما أرويه عنه أيضاً أنه نفخ مرة على نارجيلة كان يدخن بها قاض تركي كان قاضياً في ملطية و كان ذلك في مجلس أنا فيه ، فسمعت هذا القاضي يقول : فاح مسك الشيخ . ولله في خلقه أسرار .

للشاي رائحة المسك ، فقال لي شوقي باشا (هو زوج بنت الغازي ووالد وزير الجمهورية المفوض بمصر اليوم) في إحدى الليالي : إن المسك طيب شرقي أو عربي معروف ، ويمكن للشيخ أن يرش شيئاً من مسحوقه في الشاي بخفة لا نشعر بها ، فإذا كان هذا التعريف « التطييب » للشاي أمراً روحانياً أي يحدث بالتوجه الروحي المعروف عند الصوفية فلماذا لا يطيبه لنا بعطر كذا الافرنجي (وذكر لي الباشا اسم عطر أفرنجي لم أحفظه)

قال : فلما كان اليوم التالي وجاءنا الشيخ علي العمري وأحضر الشاي نفخ عليه أو فيه فإذا رائحته هي رائحة الطيب الذي ذكره شوقي باشا ليلاً ولم يكن معنا أحد .

أقول وقد كنت بعد ذلك أشم أحياناً هذه الرائحة في الدار وغيرها ثم تذهب من نفسها بسرعة ، وقد يكون بعد السؤال مني لمن في الدار : هل تشمون رائحة طيب ? فيقال : لا . وقد عرض لي في رمضان شيء من هذا القبيل لا أذكره ، وكان قبل سلوك الطريق ولكن كنت ربما أقرأ في النهار منه ختمة كاملة في حقل لنا .

تحقيق مسألة رؤية الأرواح

وجملة القول انني ما زلت أعالج هذا الأمر حتى أمكنني أن أعرف الفرق بين استحضار الصوفية للارواح ورؤيتها وما يحكيه الافرنج من ذلك ، والفرق بين التخيل المحض والكشف الصحيح وما يكون في يقظة تامة ، وهو لا يعدو اللمحات القصيرة وما يكون مع غيبة عن الحس وهو

ما يسمونه بين النوم واليقظة كما قال بعضهم :

ومن يدعي في هذه الدار انه   يرى المصطفى جهراً فقد فاه مشتطا

ولكن بين النوم واليقظة الذي   يحاول هذا الأمر مرتبة وسطى

وعلمت ان الفرق بين ما أعتقد انه أصح مما نقله ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ ومنه ما وقع لشيخنا الاستاذ الإمام وان ما يسمعه الرائي من الأرواح في هذه الغيبة هو مثل الذي يرونه ويسمعونه في الرؤى المنامية لا يوثق بصحته ولا بضبطه بدليل ان كل ما نقل عن أشهر الروحانيين منهم متعارض يدل على انه كان على قدر معارفهم ومعلوماتهم وما يناسبها من مداركهم كما اشرت اليه في جواب من سألني عن دعوى شيخ التيجانية وتخريفه ونشرته في فتاوى المجلد الثلاثين من المنار فسأل عنه بعض اتباعه مجلة الأزهر فردت علي ما لا تعقله من علم الصوفية ولا من علم الشرع ، فالحق ما قاله علماء الشرع من ان الرؤى والكشف لا يعتد بهما شرعاً ولا يحتج بما يرى ولا بما يسمع فيهما ·

ويعجبني ما نقله الشعراني عن شيخه علي الخواص في كتابه « الدرر والجواهر » انه سأله : لماذا يؤول العلماء ما يشكل من كلام الانبياء دون ما يشكل من كشف الاولياء فيردونه ؟ فقال : لان النبي معصوم فلا بد من حمل كلماته على الصحة ، والولي غير معصوم فيحتمل كلامه الخطأ اه بالمعنى ولكن الباجوري نقل عنه في حاشيته للسنوسية ضده وإذا حكمنا الشرع حكم لنقله الأول وهو الحق ·

* * *

الروحانية والتجرد وخطاب أرواح البشر والشياطين

كان مما وقفت عليه من أسرار النفس غير ما تقدم من تجلي الارواح مسئلة التجرد وغلبة الروح على الجسد التي تنتهي الى ما ينقلونه في بحث الكرامات من المشي على الماء والطيران في الهواء ، ومن دون ذلك قطع المسافات في زمن قليل ؛ ذلك انني كنت في أثناء شهر رمضان لا أذكر من أي سنة أتحنث واطالع الربع الرابع من إحياء علوم الدين فلما كان آخر يوم منه بلغت كتاب التوحيد والتوكل وقد أحييت معظم ليلة عيد الفطر بالتكبير مع جماعات من أهل بلدنا الذين يبيتون في المسجد كيلا تفوتهم صلاة العيد وكان منهم شيخ كبير السن عاش في صباه وكهولته عزيزاً منعماً وافتقر وذل في شيخوخته ، فكان لرفع صوته الأجش بالتكبير مع شيبته التامة ضراعة خشوع مؤثرة ، حتى إذا كان السحر صليت صلاة الليل والوتر احدى عشرة ركعة وفاقاً للسنة الصحيحة كالعادة وعدت بعد صلاة الفجر إلى التكبير مع الناس في المسجد الى وقت صلاة العيد ، وبعد أدائها صعدت الى غرفة خلوتي وأتممت قراءة ما بلغته من الاحياء وفيه ذلك البحث البليغ العظيم التأثير في الفناء في التوحيد فما أتممته إلا وشعرت بأنني في عالم آخر من اللذة الروحية ، وانه لم يبق لي وزن فكأني روح بغير جسم ، ثم عدت أرجع إلى حسي ، فذكرت ما علي من الذهاب إلى تهنئة والدي بالعيد ، وكان يزور قبر والده وأجداده بعد الصلاة ويقرأ سورة يس ثم يمد له سماط فيفطر مع من يوجد من الفقراء ومن شاء من غيرهم ، فنزلت من الغرفة وكأنني ريشة طائر ،

وشعرت بأنني لو ألقيت بنفسي من النافذة الى الأرض لا أكون الا كما تقع الريشة ، وانه يمكنني المشي على الماء دون الطيران في الهواء واعتقدت بل أعتقد حتى اليوم انني لو تركت الطعام زمناً طويلا مع ملازمة مثل تلك الحال من الذكر والعلم الإلهي الأعلى لقويت معي تلك الروحانية ووصلت إلى غاية ما يذكر عن الروحانيين ، ولن يكون ذلك لو كان الا كشفاً لشيء من استعداد الأرواح قد يفقد صاحبه ميزان بشريته التي هي جسد وروح ، فما تعلقت ذلك ولا تكلفته ، وما كنت متكلفاً في شيء من أمري ولله الحمد .

ولم أكن أذكر مثل هذه الأحوال لاحد كما هو شأن الصادقين المخلصين الذي قرره الغزالي وغيره ، ومنه كتمان كل ما هو غير معتاد ، والصوفية الصادقون متفقون على هذا ، وعلى أن مبادئ هذه البوارق واللوائح والأذواق مشوقات منشطات للسالك ، وان الذي يغتر بها ينقطع وإلا فقل هو هالك . وقد نفعني ما كنت قرأت في كتاب الغرور من الاحياء ولاسيما غرور الصوفية قبل ذلك . ثم رأيت شيخنا الاستاذ الامام عليه كان يقول ان هذه أحوال غير طبيعية لا يجوز التحدث عنها إلا مع أهلها لانها تكون لغيرهم فتنة وان الشيخ محي الدين قد أفسد التصوف بإطلاق العنان لقلمه بشرح كل ما يعرض له وانه انقطعت معه سلسلة التوازن فخلط الحق بالباطل .

وهذا الذي كان يراه شيخنا هو الحق فإن الذين أوغلوا في الروحانيات قد فتنوا أنفسهم وفتنوا كثيراً من الناس واختل ميزان عقلهم فيما يتصورون وفيما يصدقون وفيما يقولون ويكتبون كما تراه في كتب الشعراني من

الخرافات والخيالات التي لا يميز فيها بين معقول ولا مشروع . وفي مقدمة صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود (رض) «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» .

ومما افتتن به الجماهير من الناس بهؤلاء الروحانيين ظنهم ان كل من يصدر عنه أمر خارق للعادة يكون ولياً معصوماً وان ضل وغوى وخرف وهذى ، وان له عند الله ما يشاء في الدنيا . والحق الذي عرفناه بوزن الكشف بميزان الشرع والعقل ، ان الذي تعرض له بعض المزايا الروحانية من عملية أو علمية ، هو كالباحث الذي تكشف له بعض الحقائق الكونية والاختراعات الصناعية كل منهما بشر يخطئ ويصيب في كل علم وحال وعمل وتحكم عليه الشهوات والخرافات والاهواء في غير ما أصاب فيه . وما تسمعه من الجاهلين بالقرآن من زعمهم ان قوله تعالى : (لهم ما يشاؤون عند ربهم) يراد به هؤلاء الذين تصدر عنهم بعض الغرائب الروحانية من صحيحة أو وهمية ، فراجع هذه الآية وما في معناها من سور النحل والفرقان والزمر والشورى وق تجدها كلها في أهل الجنة وما لهم فيها من نعيم وهم المؤمنون المتقون . فاغتنم هذه الحقيقة العليا فإنك ربما لا تجدها في كتاب واعتبر بما أذكره بعدها .

واما ما قاله شيخنا في الروحاني الكبير الشيخ محيي الدين بن عربي فهو موافق لما نقله لي علي بك شوقي وزير الترك المفوض في مصر عن والده شوقي باشا الذي سبق ذكره قريباً .

زارني هذا الوزير اثر قدومه الى مصر في هذا العهد لعلمه بما كان بيني وبين والده وجده لأمه أحمد مختار باشا من الصداقة فذكرت له أن

والده كان يحدثني بمناجاته للأرواح وحديثه مع السيدة مريم العذراء عن حملها بالسيد عيسى المسيح عليهما السلام وغير ذلك وأنه كان يكتب ذلك فهل وجدتم في تركته ما كتبه في هذه الشؤون ؟ قال نعم !

وأخبرني أن مما قرأه فيه من مناجاة والده لروح الشيخ محيي الدين ابن عربي أنه سأله عن منزلته في عالم البرزخ فقال له إن منزلته دون مقامه من معرفة الله تعالى وإن سبب ذلك أنه اختلط عليه الأمر في عالم المثال فكتب ما ضل به كثير من الناس فصاروا خصوماً له عند الله تعالى وكان من عقابه على ذلك أنه حبس عن الارتقاء الى المنزلة التي هي لمن كان له مثل معرفته وأنه هو توسل الى خصومه ليعفوا عنه فلم يقبلوا وانه يرجو أن يعفوا عنه في موقف الحساب فيعفو الله عنه اه

هذا ما فهمته من السفير مما قرأه فيما كتبه والده وسأبدي رأيي فيه وفي أمثاله عند ما أجد فرصةً واسعةً لكتابة بحث طويل في مسألة الأرواح التي تشغل العالم المدني في هذا العصر · وأقتصر هنا على كلمة وجيزة اقتضتها الضرورة :

استحضار أرواح الموتى وتلبيس الشياطين فيه

لا شك أن قليلاً من الناس يرون بعض الأرواح في حالات مخصوصة واستعداد خاص وان تربية الارادة بالرياضة عند الصوفية أقوى وسائل هذه الرؤية وان منها ما يستعين عليه الإفرنج بما يسمونه الوسيط من أولي الاستعداد الفطري · وفائدة الرياضة والعمل الكسبي في ذلك صرف الارادة عن الأشياء الكثيرة المفرقة لقوة ادراك النفس وتوجيهها

الى شيء واحد والراجح عندي أن أكثر هذه الأرواح التي يرونها هي أرواح الشياطين من قرناء أولئك الميتين لا الميتين أنفسهم وأن بعض الصوفية الذين كانوا يغيبون عن حسهم وعقلهم في رياضاتهم كانت تستهويهم الشياطين وتوحي اليهم ما يظنون أنه حقائق كوشفوا بها من الله مباشرة أو من تلقين أرواح شيوخهم المعتقدين ، فكل ما خالف الشريعة من كشفهم فهو من الشيطان ومنه ما يحكيه الشعراني عن السيد البدوي أنه كان يجمع أرواح الميتين من البلاد المختلفة ويسوقهم الى حضور مولده الذي هو مجمع البدع والفسق والخرافات والضلال ومنه ما يحكيه الشيخ محيي الدين بن عربي من كشفه الذي تخيل به أن فرعون موسى كان من أكابر العارفين بالله وأوليائه المقربين عنده واذا كان الشيخاني من أصحاب الرياضات والأحوال فكل ما خالف الشريعة من كلامه وهو كثير فهو من وحي الشيطان وان لم يكن منه فهو كذب واختلاق لكسب الشهرة والمال وان أسندوه الى روح النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ·

ولا يهولنك أيها المؤمن العاقل المتبع هذا القول فتستبعده على أناس نُقلت عنهم حكم حسنة معقولة وافهام في القرآن مقبولة وأعمال او احوال روحية خارقة للعادة فقد قال علماء الكلام إن خوارق الكلام قد تقع للكفار والفجار وانها تختلف باختلاف من تقع لهم · وقال بعض كبار الصوفية الراسخين المهديين : إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء فلا تغتروا به او لا تقتدوا به حتى تنظروا حاله عند الامر والنهي وإنما العصمة عند اهل السنة للانبياء في التبليغ عن الله عز وجل دون امور الدنيا ، وكذا عن معصيته عز وجل ·

(فإن قيل) وهل تتمثل الشياطين بصورة الانبياء عليهم السلام ، أو كبار الأولياء ؟

(قلنا) ان إغواء الشياطين لمن اختل عقله بشدة الجوع والخلوة والسهر والتخيل كثير ، وان ايهام الشيطان لأحدهم انه نبي أو ولي بكلمه أو يكشف له الحقائق مع تمثله له بصورة نورانية أو بغير تمثل واقع ، ولا يقتضي أن يكون قد تمثل بصورة النبي الحقيقية . وقد نقل عن الولي الكبير الشهير المتفق عليه الشيخ عبد القادر الجيلاني انه قال : تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق ، وسمعت منه صوتاً يقول لي : يا عبد القادر انت عبدي وقد أحللت لك المحرمات (قال) فقلت له : اخسأ يا لعين . فتحول ذلك النور دخاناً مظلماً وقال لي : قد نجوت مني بعلمك بأمر ربك وفقهك في أحوال منازلاتك ، وقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق . فقلت : لله الفضل . فقيل له كيف علمت انه شيطان ؟ قال : بقوله قد أحللت لك المحرمات .

ومن ليس لهم من العلم بالشريعة مثل ما للشيخ عبد القادر يضلون بهذه الأنوار الشيطانية ، وهو لو لا تلك الكلمة لاعتقد ان ذلك النور من تجلي الرحمن . وللشيطان مع كبار الصوفية العارفين مناظرات ومجادلات منها قوله لبعضهم وقد غاب اسمه عني الآن : ألست أنا شيئاً ؟ قال الصوفي بلى . قال : وإن الله تعالى يقول : « ورحمتي وسعت كل شيء » فهي تسعني . قال : فقلت له اقرأ ما بعدها يا ملعون — يعني (فسأكتبها للذين يتقون) الآية — فقال : التقييد صفتك لا صفته .

وقد نقل عن بعضهم انهم قالوا : إن التكاليف خاصة بغير الواصلين

وأما الواصل الذي بلغ مرتبة اليقين ، فإن التكليف يرتفع عنه ويباح له كل شيء وبتأولون لهذا قوله تعالى : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وإنما اليقين في الآية الموت . وسيد الموقنين وأكملهم صلى الله عليه وسلم قد التزم العبادة إلى أن توفاه الله ورفعه إلى الرفيق الاعلى

ومن أولئك المفتونين بوحي الشياطين من ظن أنه تجاوز درجة الانبياء ومنهم ابن سبعين [1] الذي قال : لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله :

---

(١) اختلف الناس في قضية ابن سبعين هذا كما اختلفوا في قضية محيي الدين ابن عربي فكل من هذين غلا الناس فيه بالمدح والقدح ، ومن الغريب ان كلاً منهما من مدينة مرسية التي ينسب إليها كثير من فحول العلماء وأكابر الاولياء ومنها أبو العباس أحمد المرسي دفين الاسكندرية ومنها ابن سيده صاحب المخصص وغيرهما . وقد ترجم صاحب نفح الطيب الفقيه الجليل العارف النبيل الحاذق الفصيح البارع – أبا محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكي المرسي الاندلسي قال : ويلقب من الألقاب المشرقية بقطب الدين . قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك : درس العربية والآداب بالاندلس ثم انتقل الى سبتة وانتحل التصوف وعكف برهة على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها ، فمالت اليه العامة . ثم رحل إلى المشرق وحج حججاً وشاع ذكره وعظم صيته وكثر أشياعه وصنف أوضاعاً كثيرة تلقوها منه ونقلوها عنه ، ويرمي بأمور الله تعالى أعلم بها وبحقيقتها ، وكان حسن الأخلاق صبوراً على الاذى آية في الايثار اه . وقال غير واحد : إن أغراض الناس فيه متباينة بعيدة عن الاعتدال ، فمنهم المرهق المكفر ومنهم المقلد المعظم الموقر ، وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد والنفرة والانتقاد ما لم يقع لغيره والله تعالى أعلم بحقيقة أمره . قال صاحب النفح نقلا عن الشريف الغرناطي ان ابن سبعين –

« لا نبي بعدي » ومثل هذا الكلام هو الذي جَرّأ ميرزا غلام القادياني على ادعاء النبوة .

— كان يوقع «ابن ٥» يعني الدارة التي هي كالصفر وهي في حساب المغاربة سبعون ولذلك شُهر بابن داره وضمّن فيه البيت المشهور : محا السيف ماقال ابن دارة أجمعا

ونقل عن صاحب « درّة الأسلاك » أنه في سنة ٦٦٩ توفي الشيخ قطب الدين ابو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي ، صوفي متفلسف متزهد متقشف يتكلم على طريق أصحابه ، ويدخل البيت ولكن من غير ابوابه ، شاع أمره واشتهر ذكره وله تصانيف وأتباع وأقوال يميل اليها بعض القلوب وتمجّها بعض الاسماع ، وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة تغمده الله برحمته اه .

ثم نقل المقري عن بعض الاعلام في حق ابن سبعين ما ملخصه : انه كان عزيز النفس قليل التصنع يتولى خدمة الكثير من الفقراء بنفسه ، ويحفّون به بالسكك ، ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل ووجهت لألفاظه المعاريض وتعاورته الوحشة ، وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوب يطول شرحها ثم ذكر رسالة لبعض تلاميذ ابن سبعين يظن اسمه يحيي بن محمد بن أحمد بن سليمان ، واسم هذه الرسالة « الوراثة المحمدية والفصول الذاتية » جاء فيها : فإن قيل ما الدليل على ان هذا الرجل الذي هو ابن سبعين هو الوارث المشار إليه ، قلنا عدم النظير واحتياج الوقت اليه وظهور الكلمة المشار اليها عليه ونصيحته لاهل الملة ورحمتُهُ المطلقة للعالم المطلق ومحبته لاعدائه وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون أذاه وعفوه عنهم مع قدرته عليهم وجذبهم الى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه . وهذه كلها من علامات الوراثة والتبعية المحضة التي لا يمكن أحداً ان يتصف بها إلا بمجد أزليّ وتخصيص —

وقد نقل النصارى ما هو أعظم من ذلك عمن هو أعظم من أولئك

— إلخ « إلى أن يقول » إنه من أشرف البيوت التي في بلاد المغرب وهو بيت بني سبعين قرشياً هاشمياً علوياً وابواه وجدوده يشار اليهم ويعول في الرئاسة والحسب والتعين عليهم ، والثاني كونه من بلاد المغرب والنبي عليه السلام قال: لا يزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين الى قيام الساعة . وما ظهر من بلاد المغرب رجل أظهر منه فهو المشار اليه بالحديث (الى أن يقول) : ثم انظر في بدايته ، وحفظ الله سبحانه له في صغره وضبطه له من اللهو واللعب وإخراجه من اللذة الطبيعية التي هي في جبلّة البشرية وتركه للرئاسة العرضية المعوّل عليها عند العالم ، مع كونه وجدها في آبائه وهي الآن في اخوته (إلى أن يقول) : ثم انظر في تأيده وفتحه من الصغر وتأليف كتاب « بدء العارف » وهو ابن خمس عشرة سنة وفي جلالة هذا الكتاب وكونه يحتوي على جميع الصنائع العلمية والعملية وجميع الامور السنيّة والسنية ، تجده خارقاً للعادة وفي نشأته في بلاد الاندلس وظهوره فيها بالعلوم التي لم تسمع قط نعلم أنه خارق للعادة وفي تواليفه واشتمالها على العلوم كلها ثم انفرادها وغرابتها وخصوصيتها بالتحقيق الشاذ عن افهام الخلق تعلم أنه مؤيد بروح القدس ، انتهى ملخصاً نقلا عن نفح الطيب . ويظهر ان صاحب هذه الرسالة هو من تلاميذ ابن سبعين بل من أشد تلاميذه إعجاباً به . وروى شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني الاديب الشهير نقلاً عن الشيخ الصالح أبي الحسن بن برغوش التلمساني شيخ المجاورين بمكة ان ابن سبعين كان اذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام يهراق منه دم كدم الحيض والله تعالى أعلم بحقيقة أمره . وقال غيره : نعم زار النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً على طريق المشاة حدث بذلك اصهاره بمكة انتهى . وقال لسان الدين ابن الخطيب : أما شهرة ابن سبعين ومحله من الإدراك والآراء والاوضاع —

وهو النبي المعصوم عندنا الذي أعاذه الله وأمه من الشيطان في اعتقادنا وقد اتخذوه رباً والهاً لهم اذ ذكروا في أناجيلهم أن الشيطان قد جرب السيد المسيح وهو إمام الروحانيين عليه السلام فقد حملت به أمه بنفخة من روح الله جبريل عليه السلام وكانت آباته كلها روحانية . ففي الرابع من انجيلي متى ولوقا أنه صام أربعين يوماً فجاع فأخذه الشيطان في تلك المدة وجربه عدة تجارب منها أنه أصعده الى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمن وطلب منه أن يسجد له ليعطيه ذلك كله فأجابه يسوع : اذهب يا شيطان إنه مكتوب « للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد » .

* * *

- والاسماء والوقوف على الأقوال والتعمق في الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين مما يقضى منه بالعجب . وقال الشيخ ابو البركات بن الحاج البلفيقي حدثني بعض أشياخنا من أهل المشرق ان الامير أبا عبد الله بن هود سالم طاغية النصارى فنكث به فاضطره ذلك إلى مخاطبة القس الأعظم برومية (اي البابا) فوكل أبا طالب بن سبعين أخا أبي محمد عبد الحق بن سبعين بهذه الرسالة إلى رومية فلما بلغ أبو طالب بن سبعين رومية ودخل على البابا قال البابا لمن حوله : ان اخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه انتهى . ومن المشهور انه قد كان النصارى ألقوا مسئلة على المسلمين وانبرى للجواب عليها ابن سبعين فاشتهر بذلك . وروى ابن خلدون في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان ابي عبد الله بن السلطان زكريا الحفصي ان أهل مكة بايعوا السلطان المذكور وخطبوا له بعرفة وأرسلوا اليه بيعتهم ، وهي من انشاء ابن سبعين وسردها ابن خلدون بجملتها . قال المقري وفيها من البلاغة والتلاعب بأطراف الكلام ما لا مطمع وراءه توفي سنة ٦٦٩ هـ

الرؤى الصالحة

« وشهادة النبي (ص) لي في الرؤيا ورؤية كل منا في صورة الاخر »

إن الرؤى الصالحة التي رأيتها والتي رآها الناس لي كثيرة في جميع أطوار عمري ومنها ما كان يقع في اليقظة كما رأيته في النوم بعينه وما كان تأويله ظاهراً لا يحتمل المراء ؛ والعبّاد وأهل الصلاح يهتمون بأمر هذه الرؤى ولا سيما رؤيا النبي (ص) والمشهورين من الصالحين ومنهم الذين يتيهون بها غروراً وأحسن ما قيل فيها الحكمة المأثورة ولا أذكر قائلها : الرؤيا تسرّ ولا تغرّ ومن أحسن ما سرني من رؤيا النبي (ص) القديمة أنه سمعته يقول لي : « اثبت على ما أنت عليه » وقد رأيته في هذا العام وندمت أن لم أكتب هذه الرؤيا ولا أمثالها لأرويها بنصها .

وإنني أذكر أحدث ما رآني فيه أو رآه لي بعض الأحياء مع النبي (ص) بنصه فمنه ما رواه لي ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم عن رجل حدثه في طرابلس الشام أنه رأى النبي (ص) في الرؤيا فشكا له سوء حال أمته وما فشا فيها من البدع والمعاصي وعدم تصدي أحد من العلماء ولا من غيرهم للانكار على أهلها وإرشادهم قال حتى إن السيد محمد رشيد رضا مقصر أو كلمة بهذا المعنى .

فقال له النبي (ص) : ان محمد رشيد يفعل في كل وقت ما يرى انه الواجب .

وروي لي في السنة الماضية (سنة ١٣٥٠) عن الفاضل الاديب

الصالح الاستاذ عمر الرافعي أحد أنجال علامة العصر وفقيهه وصوفيه الشيخ عبد الغني الرافعي (ر٠ح) انه رآني في الرؤيا بهيئة جميلة نورانية تمثلت له فيها بصورة النبي (ص) قال للسيد عاصم : رأيت أن الناس في بلاد الشام في هرج ومرج ينتظرون حضور السيد « إياي يعني » ليخطب فيهم خطبة تكون فيصلا في موقفهم ٠ ثم حضر السيد فسألته هل كتب الخطبة التي يريد إلقاءها ؟ فقال : إنني أخطب ارتجالاً وليس من عادتي كتابة الخطب ٠ قلت : إن هذه خطبة سيترتب عليها عمل عظيم ، فينبغي كتابتها وألحفت عليه في الرجاء بأن يملي علينا خطبته لنكتبها فاستجاب لنا وطفق يملي وأنا أكتب فإذا تعبت ساعدتني (الخطاب للسيد عاصم) ولما أتم السيد املاءه أعجبت بالخطبة جد الإعجاب ، وطفقت أنظر اليه نظر الإجلال والإكبار والسيد يزداد في نظري جمالاً ولطافة ونورانية حتى قلت له : انت السيد رشيد أم النبي (ص) اه ٠ ثم نظمها وارسل إليّ ما نصه :

« عمر الرافعي يقدم لمعاليكم واجب التبريك بشهر رمضان المبارك ، ويرجو الله ان يديمكم منار حق وهدى لهذه الامة ويلهمكم الدعاء له في خلوة من خلواتكم مع الله ، ثم يقص على سيادتكم رؤياه التي رآها لكم حديثاً وهي كما يأتي :

اعلامة الدنيا لك الله مرشداً   بعلمك اهل الحق في الغرب والشرق
تمثلت لي مولاي (رؤيا) كقادم   علينا خطيباً جاء يصدع بالحق
ومازلت تصفو في جمالك مشرقاً   صفاء منار الحق في مفرق الطرق
فأدهشني هذا الجمال الذي ارى   ولم اره والله في سائر الخلق

فقلت بنفسي ذا رشيد مصدقاً   أم المصطفى ؟ والله أعلم بالحق

عن طرابلس الشام   ٢٥ شعبان سنة ١٣٥١

ولقيت في أواخر شهر ذي القعدة من تلك السنة رجلا يريد الحج لم أكن أعرفه بالرؤية ولا بالسماع ، فأخبرني أنه رآني في رؤيا فقصها على العلامة الشريف الاستاذ السيد عبد الرحيم عنبر فقال له : إن هذه رؤيا صادقة ويحتمل ان يكون الذي رأيته هو النبي (ص) فانني انا رأيت النبي (ص) في صورة السيد محمد رشيد رضا الخ . وبعد اشهر زرت الاستاذ السيد عبد الرحيم عنبر وسألته عن هذه الرؤيا فذكرها وقال لي: انني كثيراً ما رأيت النبي (ص) وقد رأيته مرة في صورتك وهي ابهى وأجمل مما انت عليه ولكنها صورتك .

وبعد كتابة ما تقدم بشهر وقبل طبعه قص عليّ الأديب محمود أفندي منصور الاسكندري رؤيا ثم كتبها لي وهي : رأيت فيما يرى النائم رسول الله (ص) جالساً في صدر مجلس وأنت بجانبه فتحدثت الى صديق كان بجانبي عن جماله (ص) قائلاً له : انظر يا أخي هذا هو النبي (ص) ألا ترى أن أصدق من وصف جماله الخلقي تلك المرأة القائلة إن جماله لا يطمع الناظر فيه كما أن جلاله لا يفزع الناظر منه ؟ اولا ترى ان النسب له دخل كبير في الشبه ، فهذا السيد رشيد أقرب الناس شبهاً به ؟ (ثم قال) ولقد اولت هذه الرؤيا بصدق دعوتكم وقيامكم بالعمل بمقتضى كتاب الله وسنة رسوله ثم قصصتها على نفر من إخواني فأولها بتأويلي هذا . اهـ .[1]

---

(١) ان الرؤى الصالحة تقع لكثير من الناس ومنهم من لا يكون صالحاً ـ

المكاشفات

مما أثمرته لي العبادة والمراقبة قبل سلوك الطريق وبعده المكاشفات بقسميها: الصوري والمعنوي أو الظلماني والنوراني كما يقول الصوفية ، والمراد بالثاني

— في نفسه ، ولكنه يرى أمثال هذه الرؤى ويتفاءل بها خيراً ويتبرك بها ويقصها على الناس ويفسرونها له ، وربما تحققت أو ربما تحقق منها شيء ؛ وهي مع ذلك لا يبنى عليها شيء شرعي ولا يؤخذ بها حجة كما لا يخفى . ولكن من الرؤى ما يتحقق بتمامه ، وأعجبها ما يرى الإنسان فيه حوادث حقيقية تقع على بعد في نفس الوقت الذي يراها فيه ويستيقظ فيعلم خبرها ويعلم أن تلك الحادثة وقعت في أثناء رؤياه لها ، والحال انه لم يكن يتوقعها ولاعرف من أمرها قليلا ولا كثيراً ولم يكن من سبيل مادي لاطلاعه عليها . والافرنج يقولون لهذا النوع من الرؤى « تيليباتي Télépathie » ومن الناس من يستدل بذلك على صلة الارواح في الغيب بعضها ببعض ، ومنهم من يرى فيه انتقال الخبر بواسطة تموجات الاثير كما يتصل التلغراف اللاسلكي والنور والحرارة ، فلا يرى هناك إلا عملا ماديا بحتاً .

وقد وقع لمحرر هذه السطور من هذه الرؤى التي تحققت بحذافيرها بعد اليقظة شيء كثير وسمع مثلها من غيره . وكذلك رأى النبي (ص) وقد فرغ من صلاته وجلس يتلو ويدعو محركاً شفتيه ، وكان جلوسه على أرض حمراء محروثة وكان عليه الصلاة والسلام ينظر إلي وهو يبتسم ؛ وحليته حسبما رأيته في المنام عريض المنكبين موثق الخلق قوي جداً مستدير الوجه ظاهر اللون ، قد بدأ الشيب في لحيته الشريفة ووجهه الكريم أبيض مورد الا انه غلب عليه تأثير الشمس ؛ رأيت هذه الرؤيا منذ ثلاثين سنة وقصصتها ثاني يوم على العلامة —

المعرفة والحقائق ، وقد سبقت الإشارة اليه في الكلام على الاستعداد النفسي وتحصيل العلم - وبالأول الشؤون الدنيوية ، وكانت كثيرة جداً بحيث يتعذر كتمانها كلها وكنت أكتم ما لا يعلمه الناس واما ما يقع لي معهم فقد كنت اسمي بعضه مصادفة وبعضه رأياً أو خاطراً وان كان في موضوع طويل الامد كثير الحوادث وعنه ما كنت ارجح انه كذلك وأوكده فيقبله بعض الناس دون بعض .

من هذا انني كنت في دار آل الرافعي بطرابلس في أثناء زيارتي للبلاد عقب إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ في فصل شتاء سنة ١٩٠٨ فقلت الله اعلم سينزل من السماء ثلج الآن ، فنزل الثلج بعد دقائق قليلة . ونزول الثلج في بلادنا الساحلية نادر وإنما يكثر نزول البَرَد فقال رئيس صيد بحري من القلمون كان حاضراً : من أين علمت ؟ قلت : إنه ليس بعلم ، وانما هو شعور من برد الهواء او لذعه . قال : ايش شغلنا نحن ؟ يعني ان الملاحين أعلم منا بأحوال الجو والطقس . ثم انقطع الثلج مدة وأراد هذا الرجل وغيره الانصراف فقلت غير مالك

- السيد أبي طالب الحسني الجزائري ابن أخي الامير عبد القادر ، وكان جارنا في حي رأس النبع من أحياء بيروت حيث كنت ساكناً وحيث رأيت هذه الرؤيا ، وكان عنده ساعة قصصتها عليه صديقنا الاستاذ الكبير العلامة الشهير الشيخ طاهر الجزائري فقالا لي : هذه بشرى . هذه بشرى تكراراً . ثم بعد ذلك طالعت في كتاب تفسير المنامات للشيخ عبد الغني النابلسي فأحببت أن أعرف تفسير منام من يرى النبي عليه السلام يصلي فوجدته يقول : ومن رآه (ص) يصلي فإن الله يجمع على يده ما تفرق من أمر المسلمين .

لساني: الله أعلم ان الثلج سيعود ، فلم يلبث أن عاد . فقال الرئيس وهذه ؟ قلت كتلك . فلمعت الدموع في عينيه .

والحق ان مثل هذا ليس له قيمة المكاشفات التي سببها توجه الارادة ولكن الرجل كان من المتشبعين بحسن الاعتقاد من قبل هجرتي الى مصر ويحفظ عني أموراً غريبة عنده منها: انه استشارني في تربية ابنه وتعليمه ، فذكرت له ما سيكون من أمره في مستقبله بتفصيل حفظه فوقع كله وهذا ليس بغريب أن يقع بصحة الرأي ، ولو لم يكن سامعه يعتقد صلاح قائله وولايته لما كان يعده كرامة له . وقد كان الشيخ يوسف النبهاني يبحث عن أمثال هذه الاخبار عمن اشتهروا بالصلاح ليدونها فيما يجمع من كرامات أهل عصره ويعدني أنا والاستاذ الإمام والسيد الافغاني من أعداء الصالحين لاننا أعداء الخرافات التي هي برهان الولاية في رأيه الافين [1] ولا يزال يقع لي مثله كثيراً في الدار ، فتقول أم الأولاد انك تكاشف علينا فأبتسم .

---

(١) كان الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله من الاتقياء البررة الذين لاتشوبهم شائبة ، و كان على جانب من العلم والفضل و كرم النفس وصدق اللهجة ، وكان من رؤوس الادباء ومن الشعراء المفلقين ، وله القصائد الطنانة التي يحفظ الناس كثيراً منها . إلا انه كان شديد الوسواس عظيم الاعتقاد بالأولياء والصالحين قائلاً بخوارق العادات والكرامات الى حد الغلو ، فكان يكره كل من يشك في شيء منها . وقد بدا له ان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ، هم ممن يتشكون في هذه الأمور ، فكان يحمل لهم تحت كشحه ضغناً شديداً ، ويعتقد ضررهم بالملة الإسلامية . ومرة اجتمع الشيخ محمد —

واذكر عن ولد هذا الريس (رحمه الله) وهو حي يرزق انه دخل

ـ عبده والشيخ يوسف النبهاني عندي في الجبل ، وكنت مصطافاً في قرية عين عنوب من بلادنا وذلك منذ ٤٨ سنة ، فكان الجدال يطول بينهما . وكان الشيخ محمد عبده إذا انحى باللائمة على علماء المسلمين فيما قصروا فيه من إيقاظ هذه الامة الموكول اليهم إرشادها والنصح لها ، يأخذ الشيخ يوسف بالانكار عليه ويقول له : لماذا سوء الظن بالعلماء ؟ الى غير ذلك مما يعارضه به ، وكنت أعلم شيئاً من سوء ظن النبهاني بالافغاني وباستاذنا الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا ويؤسفني هذا الامر إلا أني لم أكن أظن ان سوء الظن يبلغ بالنبهاني ذلك الحد البعيد في حقهم حتى خرج به عن الاعتدال خروجاً لا يليق بمثله ، فقد قرأت له قصيدة رائية مطبوعة وياللاسف رماهم فيها بهاجرات . وقذف بهم قذفاً فظيعاً منكراً ، حمله عليه مجرد سوء الظن ، وتجسّم الخيال في نفسه مما يؤاخذه الله عليه عفا الله عنه . وقد كان هو يلوم الشيخ محمد عبده على سوء الظن في العلماء مما لا يعد كحبة الخردلة في جانب ما ظهر من سوء ظنه هو ، فكيف وقع فيما كان ينهى عنه ، وقذف مثل هؤلاء العلماء بدون بينة ولا دليل ، وغفل مع تقواه عن قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » إننا سألنا الله له المغفرة لما قرأناه له من تلك القصيدة الشاذة بل الشنيعة ولكن من ذا الذي ماساء قط ؟

وكان النبهاني كما تقدم مشهوراً بالشعر وكنت أستحسن كثيراً من شعره ولاسيما قوله من قصيدة امتدح بها السيد أبا الهدى الصيادي :

ويممت دار الملك احسب انها ... الى اليوم لم تبرح الى المجد سلما
فألفيتها قد اقفرت من كرامها ... ولم يبق فيها الفضل الا توهما

علي مرة في غرفتي فوقع في قلبي انه كان يغازل امرأة فذكرت له الاثر المروي عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) وهو انه دخل عليه رجل فقال له أيدخل احدكم عليّ واثر الزنا ظاهر على عينيه ؟ فقال الرجل أوحيٌ بعد رسول الله (ص) ؟ قال لا ولكنها فراسة المؤمن اه · ذكرته له بلهجة الانكار ففهم واعترف خجلا ·

وجاءني السيد علي عبد القادر يريد أن يسأل عن شيء فقلت له قبل السؤال إنك تريد أن تعلم ما ورد فيما يقرأ بعد الفاتحة في راتبة الفجر وورد أنه كان (ص) يقرأ فيها سورة الكافرون والإخلاص وورد بسورة الانشراح والفيل (ولا يصح) وورد في الركعة الأولى آية

وألفيت مثلي أمة عربية ... يرى القوم منها أمة الزنج اكرما
وما نقموا منا بني العرب خلة ... سوى ان خير الخلق لم يك اعجما

وله يتائم أقوال سائرة في الآفاق غير هذه ، فأحببت وأنا اذ ذاك في ريعان صباي أن أساجله في الشعر لعلي أظفر منه بشيء يؤثر فنظمت له ابياتاً لم أحفظ صورتها عندي ولا بقي منها في خاطري الا بيت أو بيتان فأجابني عنها بهذه الابيات :

راقني يا شكيب منك قصيد ... باتفاق هو البليغ الفصيح
قيل در وقيل زُهر وبعض ... قال سحر والكل قول صحيح
نظمته أفكارك الغُرُّ عقداً ... أي عقد لو تمّ جيد مليح
من نسيب كصنوك الماجد اسماً ... وسموّاً فهو النسيب الصريح
ومديح لو كنت انت مراداً ... فيه عني لقلت جلّ المديح
لست أجزيك حق طولك في الشعر وفكري كما علمت طليح
وسأجزيك عن ودادك وداً ... انا فيه على كثير شحيح

(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا - الى — مسلمون) من سورة البقرة وآية (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم — الى — مسلمون) من آل عمران فقال من أين علمت ؟ وقد يكون لمثل هذا أو بعضه ما يشعر به عند الذي يحاسب نفسه دقيقاً على طريقة الغزالي وان منه لوقائع لا يمكن أن تخطر بالبال ومنه ما هو نتيجة التوجه المعروف عند الصوفية وهاك حادثة منه :

كنت أترك غرفتي في أعلى المسجد مفتوحةً وأنام في الدار لعلمي بأنه لا يعقل أن يسرق لي أحد من أهل القلمون شيئاً وكان في الغرفة صندوق صغير أضع فيه بعضَ الأوراق وما عندي من السُبَح وهي كثيرة كانت تهدى اليّ وأحياناً أضع فيه الدراهم ومع هذا أترك مفتاحه فيه لئلا أحمله فيسقط مني وأحتاج الى كسر الصندوق . وقد رأيت الصندوق في صبيحة بعض الأيام مبعثر الورق والكيس الذي فيه السبح مسروقاً . فطلبت من ساعتي أن تشد لي الفرس فشدت فركبتها وذهبت الى طرابلس ولم أنزل حيث كنت أربطها عادةً عند مدخل المدينة بل قطعت الأسواق راكباً الى أن وصلت الى دكان عند الجسر الشمالي فنزلت أمامه وقلت لصاحبه : أين السبح التي اشتريتها اليوم ؟ فأخرج لي الكيس فأخذته ودفعت له ما اشتراها به وهو قليل . وكان السارق خادماً لصديقنا الشيخ عبد الفتاح الزعبي الجيلاني الشهير وكان مصطافاً في القلمون كعادته والخادم وهو من قرية الميناء لا من القلمون ولا من طرابلس وقد علم بأنني عثرت على سرقته فلم يعد الى خدمة سيده ثم إنني عدت الى عادتي في ترك مفتاح الصندوق فيه ومفتاح الغرفة في بابها ثقةً مني بأهل بلدي .

الانتقام في الدنيا من كل من آذانا

تذكرت بهذه الحادثة أنه كان مشهوراً عند أهل بلدنا فوق احترامهم لشخصي أنــه لا يعتدي أحد علينا الا وينتقم الله منه في الدنيا قبل الآخرة : حدث بعضهم عن نفسه أنه ذهب يحتطب مرةً من شجر الزيتون فانتهى الى كرم لعم والدي الذي سبق ذكره في هذه الترجمة فصعد شجرة زيتون ليقطع منها (قال) وقلت في نفسي : يقول الناس هؤلاء أولاد جد (أي جدهم وَليّ) لا يعتدي أحد عليهم الا أصيب « أنا رايح شوف أيش يصير لي » ولم أكد اشرع بقطع فرع من الزيتونة الا وسقطت منها على الأرض سقطةً مؤلمةً فتبت .

وهذه مسألة مما يعدها الكثيرون من كرامات المعتقدين فان كان ما يذكرون في بلدنا من انتقام الله من كل من آذانا من الحكام وغيرهم حقاً فأنا ما اظن انه استقراء تام على أنني لم أعلم ان احداً آذانا ولم يلق جزاءه في الدنيا . وقد آذانا رجل من أهلنا إيذاء ماليًا كان جله خاصاً بي ثم كان عاقبته ان اضطر الى السفر الى مصر لطلب الرزق وان صار يطلب مني الإحسان اليه المرة بعد المرة فافعل ولا ازال اعنى بولده واهله بعد موته ولله الحمد .

وكان آخر المعتدين عليّ بالطعن وقول الزور رجل معدود من كبار العلماء المشهورين في مصر ، فسلط الله عليه من العلماء والكتاب من شهره أنواعاً من التشهير في علمه وأخلاقه وامانته المالية والعلمية . . . ومع هذا أصرح بأنني لا أغتر فأقول إن لي خصوصية عند الله تعالى وانــه

انتقام لي خاص وانما هو جار بأسبابه الظاهرة ، وقد يدخل في معنى ما ذكرته في تفسير قوله تعالى في البغاة : « يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم » الآية . ولكن جمهور الناس يعدون مثله من كرامات الاحياء والميتين ، ويذكر الشعراني وأمثاله من ناشري الخرافات في كرامات السيد البدوي وغيره وقوع البلاء والمصائب على المعترضين عليهم أو على موالدهم بحق فذكرته عبرة لهؤلاء ولغيرهم .

استجابة الدعاء

أحمد الله تعالى ولا أحصي ثناءه عليه انه استجاب دعائي له بالايمان والإخلاص والتوجه الصادق في امور كثيرة جداً لا أحصيها . منها ما ظهر لي بالتدقيق في السنن والنواميس التي تربط الاسباب بالمسببات ، انه من توفيق الاقدار للاقدار وعلم ما لم اكن أعلم وتسخير ما لا يصل اليه كسبي من الاشياء والاشخاص ، ومنها ما لم تظهر لي فيه الاسباب حتى صح انه يعد من خوارق العادات .

ثم احمده عوداً على بدء ودواماً اسأله الثبات عليه إلى آخر العمر ان ظهر لي فيما لم يستجبه لي بعينه أن استجابه بالمعنى المقصود منه وفيما لم يستجبه بعينه ولا بالمعنى المقصود منه ان كان الخير لي في عدم استجابته كله واذكر منه دعائي وتضرعي اليه عز وجل ان يسخر لي رجال الدولة العثمانية فيما طلبته منهم ومكثت عندهم سنة كاملة اسعى له عندهم وهو إنشاء جمعية ومدرسة للدعوة والإرشاد أو للعلم والإرشاد في عهد ظهور

العصبية الطورانية ونجوم قرون الالحاد فقد تم إنشاء الجمعية رسمياً وتم صدور الامر من مجلس الوزراء بتخصيص المال اللازم للمدرسة ولكن لم يتم تأسيسها بالفعل المقتضي لاقامتي في الاستانة . وكان الخير لي ان عدت الى مصر فاسست الجمعية والمدرسة فيها ثم ظهر لي ان عدم السكنى في الاستانة كان خيراً لي بما كان في أثناء الحرب الكبرى من بغي الترك على العرب وتقتيل زعمائهم[1] وطلاب ارتقائهم وقد كنت في مقدمتهم

(١) كأن السيد رشيد يريد أن يقول انه لم يفعل كما فعل صديقه السيد عبد الحميد الزهراوي الذي بعد ان خرج من ميدان الخصام مع الاتراك وبعد ان جاء الى باريز يرأس المؤتمر العربي الذي انعقد فيها سنة ١٩١٣ عاد فانخدع باقوال بعضهم وجاء الى الاستانة وظن انهم نسوا له ما فات ودخل عضوا في مجلس الاعيان وبقي في منصبه هذا سنتين وهو آمن مطمئن الى ان كانت الحرب العامة واثار جمال باشا مسئلة العرب والترك في سوريا وجنى باثارتها على العرب وعلى الترك جناية لن يبرح مكانها من التاريخ فمن جملة من استحضرهم الى المحاكمة في الديوان العرفي بعاليه السيد الزهراوي وكان يومئذ من اعضاء مجلس الاعيان فماطل طلعت بك في تسليمه مدة الا ان جمال لم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى ارسلوه اليه وهناك اراد الزهراوي ان يقنع جمال ببراءته ويستل سخيمة صدره وذكره بما كان بينهما من عهد يوم جاء الزهراوي الى الاستانة وكان جمال ارغب الناس وقتئذ في اجتذاب الزهراوي الى الدولة وادخاله عضواً في مجلس الاعيان . فاجابه جمال عندما قبض عليه بانه ليس له مدخل في الامر وانه لن يصيبه اذى اذا كان الديوان العرفي يحكم ببراءته . وحقيقة الحال انه كان من البداية ينوي البطش به وقد كنت بذلت كل ما في وسعي لاجل إنقاذه وانقاذ زعماء السوريين الذين ساقهم جمال الى المشنقة برأيه الافين لامر يريده الله وتكلمت

وحكم علي بالقتل (الاعدام) مرتين او اكثر · ثم ان الاجل محتوم والعمر محدود معدود ولكنه مرتبط بالاسباب في نظام القدر المعلوم على ان المقام في تلك البلاد في زمن تلك الحرب كان محفوفا بالقهر والفقر والخوف والذل

— مع انور عندما زار سورية خفية عن جمال واغضب ذلك جمالاً ولم أبال غضبه وسعيت لدى قنصل المانية في دمشق سعياً حثيثاً بعد ان استحلفته على كتمان السر حتى يبرق الى سفارة المانية في الاستانة لعلها تتوسط في الامر وتكفي الدولة شر الشقاق بين العرب والترك فيما اذا نفذ حكم القتل بحق الزعماء السوريين وكل هذه المساعي وقف جمال في وجهها وفي وجه مساع أخرى وقعت من رجال الدولة انفسهم وأبى الا القتل ولابد من ان تكون الاوراق المحفوظة في سفارة المانية بالاستانة تشتمل على ما أفضيت به الى قنصلهم بدمشق · فلما ساءت احوال الحرب وصرفته الدولة عن سورية الى الاستانة ندم على ما فعل ولات حين مندم واجتهد بواسطة بعض اصحابه ان يتقرب مني وراحت السكرة وجاءت الفكرة كما يقال وجرت بيني وبينه محادثة اعدت له فيها جميع ما كنت قلته له في دمشق وذكرته بقولي له حينئذ : اياك والامر الذي لا يقبل التلافي ولفظتها له بالافرنسية Irréparable فان الحبس والنفي والعزل وجميع انواع النكبات قد ينساها الانسان ويمسحها الدهر ولكن الذي لا يمكن تلافيه هو القتل فاياك ان تأتي بعمل قد تندم عليه فيما بعد وقد يكون الاتراك انفسهم اشد الناس تبرؤاً منه محيلين بالتبعة فيه عليك وحدك · فكل هذا لم يدخل اذ ذاك في عقله بما كان من شدة غروره وبأوه بل التفت نحوي مبتسما ابتسام استهزاء قائلا : كن مستريحاً من جهتي · فلما وقع ما وقع ولم يستبن النصح الا بعد سنتين من فعله وعاد يحاول في الاستانة استرضاء الذين قد كان أحفظهم واستحق مقتهم أعدت عليه في المجلس الذي ذكرته جميع ما —

ولا سيما مثلي من العرب ودعاة الدين ورجال السياسة واين منه المقام في مصر التي كانت جديرة بان يحسدها الملوك والامراء : في كل قطر امان واطمئنان وسعة في الرزق وجميع مرافق الحياة واما حالها بعد الحرب فهو شر علي مما كان في زمن الحرب .

شفاء المرضى بالرقية ونحوها

اذكر من امثلة انتفاع المرضى التي لا تحصى حادثة مشهورة في القلمون وهي ان عمر قدور الصياد رمى شبكته ليلا في البحر فسمع حيث وقعت

ـ كنت نبهته اليه ونهيته عنه في دمشق وكان في الاستانة مطرقاً رأسه ندماً لا يدري بماذا يجيب . وفي ذلك المجلس ضربت له من جملة الامثال قضية الزهراوي وقلت له : عندما استدعيتم الزهراوي من باريز وجعلتموه في مجلس الاعيان كنت انا منتقداً سياستكم هذه . فأما ان تؤمنوه وتجعلوه في منصب من أعلى مناصب الدولة ثم تعودوا فتغدروا به بعد سنتين من تأمينه واستدنائه فاي انسان يثق فيكم بعد ذلك؟ فقال جمال : اننا لو كنا بطشنا به في السنة التي خرج بها علينا لكان حصل من جراء ذلك فتنة ربما جرت احتلالاً اجنبياً لسورية فلذلك أضطررنا ان نسكت وان نكظم الغيظ الى ان جاء الوقت الذي نقدر ان نقتص فيه ولا نخشى احتلالاً أجنبياً . فقلت له : انكم اخطأتم في استرضاء الزهراوي عندما كان يستحق العقاب ولكن كان اجدر بكم ان تستمروا على الخطأ وتحفظوا أمانة الدولة من ان تنقضوا عهدكم وتغدروا بالرجل بعد استسلامه اليكم بعامين . ثم هل أمنتم الآن من الاحتلال الاجنبي ؟ لعمري ان الحال هي العكس !

أما السيد رشيد فكان الاتراك دعوه الى التفاهم معهم وأن يتولى منصباً شرعياً في الاستانة فخاف ان يكون ذلك استدراجاً وابى قبول دعوتهم ولم يقع في الخطأ الذي وقع فيه الزهراوي عفا الله عنه .

صوتاً رعب منه فعاد الى بيته مصروعاً واشتد عليه الصرع فكان لا يعي وييبس جسده كأنه لوح من الخشب ويرى نفراً من الجن يجتمعون حوله وقد ضربه واحد منهم ضربة صرخ منها صرخة مزعجة فطلبوني لاراه وأرقيه فقلت : بل أدعو له فعادوا اليه فالح في الطلب وكان من اغرب ما قاله أن اخبر بالحال الذي كنت عليها في خلوتي ليلا قال : انه جالس متكئ برأسه على عصا قصيرة شبه الباكورة (يعني المحجن) وانه قال للذي ضربني: ضربة بضربة فاتركوه . ثم عادوا الي وألحوا في طلب الذهاب معهم فذهبت فوجدته مستلقياً جامداً لا يعي فوضعت يدي على رأسه وتلوت قوله تعالى بعد البسملة (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فافاق في الحال وقام كأنما نشط من عقال .

وقيل لي مرة ان محمد زيدان مصاب بصداع شديد يصرخ من شدته باعلى صوته فكتبت له ورقة وضعوها على رأسه فشعر بان رأسه انشق وخرج منه الوجع في الحال ثم كانوا يعيرون ذلك الحجاب لكل مصاب ويذكرون انه يشفي الى ان خطر في بالهم ان يفتحوه ليروا ما كتب فيه فرأوا فيه حرفاً واحداً من حروف المعجم كتب بعدد مخصوص فاحتقروا ذلك فلم يعد ينفعهم كما قيل لي بعد ذلك بسنين وكنت اكتب نشرة للحمى فتشفي باذن الله تعالى .

ومن هذا النوع رقية غريبة فعلتها من تلقاء نفسي وهي أنني كنت جائياً من طرابلس الى القلمون فوجدت بالقرب منها رجلا من معارفنا من نصارى أنفة (من لبنان) هو اسكندر الخوري الذي اظن انه لا يزال حياً او اخوه مالك الخوري — وهو عاصب رأسه من صداع شديد فيه فسألته فاخبرني فقلت له : ادن مني . فدنا . فقلت له : ان الانجيل

يروي عن سيدنا المسيح عليه السلام انه قال : وهذه الآيات تتبع المؤمنين يضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون . ووضعت يدي على رأسه ورممت عليه كلمة كنت مجازاً بها . فذهب الوجع في الحال فتعجب وصار يهز رأسه لاجل ان يحرك الوجع ليعود فلم يعد. وكم فعل هذا غيره استغرابا من سرعة البرء .

ومن التأثير في غير الآدميين ان الوالدة رحمها الله استكتبتني حجابا طلبه منها بعض نساء الأعراب لوضعه على غنمهم لان الموت فشا فيها وبعد سنة او اكثر جاءني بدوي من مشايخ قبيلة أخرى فشكا اليّ وقوع الموت في غنمه وطلب مني حجابا ليضعه على رأس اكبر كبش فيها لمنع الموت فقلت له ان الحجاب لا يمنع وقوع الموت في الغنم ولا بد ان تكون غنمكم قد اكلت زهر الدفلي وورقها او نباتاً آخر ضاراً فاسأل عن طبيب بيطري واخبره بما تعلم من حال الغنم فيرشدك الى ما ينفع فيها قال : بل الحجاب هو الذي ينفع . قلت : انا اعتقد انه لا ينفع . قال: وكيف نفع غنم بني عليوه ؟ وأنا لم اكن اذكر مسئلة هؤلاء ولكن الوالدة ذكرتني بها فاعتقدت ان ذلك من قبيل المصادفات التي كبرتها الاوهام ثم تركت هذه الحجب والنشرات للمرضى والمعقودين عن النساء وكذا الرقى الا نادراً لحديث في صحيح مسلم «من استطاع ان ينفع اخاه فلينفعه» واجتنبت فتح هذا الباب عليّ بعد هجرتي لمصر لان الفتنة فيها بهذه الامور أكبر إلا لاهل الدار قليلا .

ولما كنت مسافراً من البصرة الى بغداد في احدى بواخر الدجلة سنة ١٣٣٠ انتقلت من الدرجة الاولى الى الدرجة الثالثة في مقدمة الباخرة لارى حركتها . وكان هنالك كثير من الفقراء فوجدت بينهم فتاة

مريضة مضطجعة فقيل لي انها يتيمة فقيرة وقد اشتدت عليها الحمى فرثيت لهـا ورقيتها فقامت في الحال كأنما نشطت من عقال وشكت الجوع فامرت احد الخدم بان يأتيها بصحن حساء من مطبخ الباخرة ويقيد ثمنه في حسـابي ففعل فأكلت واشتد عجب الفقراء الذين كانوا معها من نسـاء ورجال ٠

ولكن هذه الحمى (وهي الملاريا) كانت أصابتني في البصرة ككل من كان يدخلها ثم عادت الي في الباخرة ولم ارق نفسي ولم يرقني احد ورقية الانسان لنفسه مشروعة واما استرقاؤه فينافي كمال التوكل وقد حققت الموضوع في المنار ٠

اعتقاد الناس بنا الولاية والكرامات

(وحفظ الله لنا من الفتون والافتتان)

تلك خلاصة من ذكرى ما من الله تعالى به علي من النعم والكرامة والتوفيق لو شئت ان اكتبها بالاسلوب الذي اعهده في كتـابة المناقب والكرامات لكان وقعها وتأثيرها اعظم في نظر اكثر الناس وما كان هذا من شأني في وقت من الاوقات بل أحمد الله تعالى ان حفظني من الغرور والتغرير ومن الفتون والافتتان وإن هي الا أثارة من التاريخ فيها عبرة للعقلاء حدثت لي نية صالحة في تدوينها في هذا الكتاب فأسأله تعالى دوام التوفيق وكمال الاخلاص ٠

من المشهور ان مذهب اهل السنة يثبت الكرامات للاولياء الا من شذ من نظار الاشاعرة كالاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني والحليمي فانهما وافقا المعتزلة في انكارها ٠ وقد بينت الحق في هذه المسألة في مقالات

كثيرة في المنار بدأت بها في المجلد الثاني من المنار سنة ١٣١٦ ثم عدت الى إتمامها في المجلد السادس سنة ١٣٢١ وذكرت خلاصة مفيدة منها في مباحث (الوحي المحمدي) وهي مسئلة فتحت للدجالين باباً واسعاً من ابواب الخرافات واكل اموال الناس بالباطل وتعدى ذلك الى الاعتداء على اعراض النساء وقد كان كشفنا لهذه الخرافات والاباطيل من اسباب طعن الدجالين علينا كالنبهاني من السوريين والدجوي من المصريين .

الا وان الكرامات التي يتناقلها هؤلاء ومن هم فوقهم علماً وصدقاً وديناً قد منّ الله تعالى علينا بكثير منها ووفقنا فيها لما وفق له اهل الاخلاص من قبلنا فلم نفتتن بها ولم نفتن احداً بل كنا نكتم ما لم يعلمه الناس ونتأول لهم ما علموه بانه من الاتفاق والمصادفة او من الامور المعتادة التي جهلوا اسبابها كما تقدم .

أما عدم افتتاننا بها في نفسنا فالفضل الاول علينا بعد فضل الله الذي هو فوق كل شيء للامام ابي حامد الغزالي فقد كنت قبل عروض هذه الاشياء لي قد قرأت فيما قرأت من « احيائه »[1] كتاب الغرور واصناف المغرورين من الصوفية وغيرهم وكتاب محاسبة النفس وكتاب النية والاخلاص فانتفعت بها في هذه الاحوال ..

واما اجتهادي في منع افتتان الناس بي فسببه فضل الله تعالى وحده عليّ بالاخلاص له في عملي لنفسي وفي إرشاد الناس

من المعتاد ان يحسن الناس الظن في دين من يعلمون انه متق لله دائب في عبادته بما هو أكثر من اداء الفرائض ورواتبها وترك كبائر

---

(١) يعني كتاب إحياء علوم الدين أشهر تآليف الامام الغزالي .

الإثم والفواحش . ومن فضل الله تعالى عليّ ان كان احسنهم اعتقاداً وظناً بي أقربهم اليّ وادناهم مني : الوالدان والاخوة والاخوات والاعمام والعمات والخادمون والخادمات فاهل قريتنا كافة رجالا ونساء وقد تقدم شيء من ذلك.

اما الوالدة قدس الله روحها فكانت الى آخر حياتها تأمرني ان ارقيها وادعو لها كلما شكت شيئاً . واخي السيد صالح رحمه الله تعالى كان بعد أن كبر وتعلم يقول : كنت اعتقد ان اخي الكبير رشيداً نبيّ فلما علمت أن نبينا محمد (ص) هو خاتم النبيين صرت اعتقد انه من الاولياء وتعسرت على شقيقتي الكبرى (السيدة زينب) الولادة مرة فكانت تقول : اطلبوا اخي رشيداً ليحضر هنا عسى الله ان يفرج عني ويسهل عليّ بحضوره وكان خوادم بيتنا يحرصن على فضل ما اكلت من طعام وغيره للتبرك به وكنت اذا مررت بشوارع القرية يخرج من في البيوت من النساء والاولاد ينظرون اليّ ويذكرون الله ويصلون على نبيه صلوات الله وسلامه عليه وآله[1] أليس هذا من دواعي افتتان شاب ناشيء في نفسه ودينه ؟ بلى ولكن الله سلم وله الفضل والمنة .

إنها لفتنة تتلوها فتن كقطع الليل المظلم: شاب جميل الصورة معتقد

---

(١) إن الذي يعذر المترجم رحمه الله في نقل هذه الامور عن نفسه أنه لم يكن يكذب فيها ولا كان يقول غير ما يعتقده هو في نفسه فقد كان يروي كل ما يعلمه بدون زيادة ولا نقصان ومما لا جدال فيه ان الله تعالى عصمه من الشرور والآثام التي يسقط بها الكثيرون ممن نشأوا نظيره في بحبوحة النعم الدنيوية فكان رشيداً منذ صغره على قدم صلاح منذ حداثته .

الامرة ، يشتهر بالولاية والتأييد بالكرامة ، قد يخبر الناس ببعض ما يكتمون ويسرون ، ويشرف عليهم بالامر والنهي فيما يعملون ، ويضع يده على رؤوس المرضى فيشفون ويبرؤون ، وتتبرك به الحسان ، ويلثم منه البنان ، فهو عرضة للغرور بصلاحه في نفسه والافتتان باعتقاد الناس وتعظيمهم له وعرضة أيضاً لما يتسنى له من سلب المال والتمتع بالجمال الذي يفضي الى شر المآل ، وكم فسد به من الرجال ·

أما الغرور فقد بينت كيف نجاني الله منه ومن الافتتان باعتقاد الناس ، وأما المال فلم اكن أستحل أخذ شيء من مال من يعتقدون انهم انتفعوا مني ومن يطلبون الانتفاع ثم قطعت وسائل هذا الانتفاع ، وأما فتنة النساء فقد اتقيتها بالامتناع من السماح لهن بتقبيل اليد أو الخلوة والانفراد او الرقية لاية امرأة الا أن تتوسل لذلك بسيدتي الوالدة ، فتأمرني بحضرتها ان ارقيها فحينئذ أرقيها بالعصا او السواك اضعه على رأسها المقنع · وقد اجتنبت حضور مجالس الادباء والوجهاء من نصارى طرابلس التي يجتمع فيها النساء مع الرجال واقفلت الباب دونها بحيلة لطيفة ·

واما مسئلة الفرار من فتنة النساء الحسان فاذكر منها حادثة واحدة نظمت قصتها في المقصورة الرشيدية لما فيها من العبرة ·

جاءتني فتاة بارعة الجمال في مكان خال الا انه مكشوف وقالت : ياسيدي صدري ضيق حط ايدك المباركة عليه ·

قلت لها ان اليد التي توضع على صدر اجنبية مثلك يد نجسة لا مباركة لان هذه معصية اذهبي وانا ادعو الله ان يشرح صدرك ويزيل ضيقه · وانني اذكر بعض الابيات التي نظمت بها الحادثة لما فيها من

الفكاهة والعبرة وهي :

ورب ملداء خميصة الحشا بهنانة ترنو بالحاظ اللأى
رقراقة شف زجاج وجهها عن ذوب ياقوت وراءه جرى
خاشعة اللحاظ والصوت أتت تلتمس الدعاء مني والرقى
أواه يامولاي صدري ضاق عن قلبي وما بفيض عنه من جوى
فضع عليه يدك التي بما بارك فيها الله تبرى الضنى
أتت فتى خاف مقام ربه ما زال ينهى نفسه عن الهوى
لم يقترف فاحشة قط ولم بعزم ولا هم بها ولا نوى

ثم قال[1] بعد وصف نفسه ووصف الفتنة :

لكنه استعصم راوياً لها ما امر الله به وما نهى
ما كان عزهاة[2] ولا فؤاده قد من الحديد أو صم الصفا
ولم يكن يجاحد لما رأى من سحر هاروت العيون وروى
دعي الى حب الجمال طائعاً او كارهاً فانقاد طبعاً واتى
ثم إلى اتخاذه رباً له فعاذ بالرحمن منه وأبى
قد وقف الدين به حيث الهوى لحظ وشعر وشعور ومنى
وظاهر الدين عزيمة له تضاءلت من دون عزمها القوى

---

(١) هو الناظم السيد رشيد تارة يروي عن نفسه بصيغة الغائب وتارة بصيغة المتكلم

(٢) العزهاة بالكسر الذي يرغب عن اللهو والنساء فلا يصبو اليهن · قال الفرزدق :

اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

وربما كان التثامها الشفـا برقية الصدر هو الداء الدوى[١]
بما يثير من رقاد فتنة بين بياض النحر منها والثدا[٢]
ترجف اعصابي بكهربائه ان لمس الضمير منه ما اكتمى[٣]
فهل اشبِّها باقـوى موصل لسالب التقوى بموجب الردى[٤]

وهنا وصفت هذا الصدر وما عليه وافتتان الناس بهما وعبادة الجمال ثم قلت:

فذاك ما كنت له مستهدفا في ريّقِ السن وميعة الصبا[٥]
أبيح باسم الدين لي وهو حمي فكان ما اباح منه ما حمى[٦]

---

(١) الدوى كالهوى بالقصر مصدر دوي (كتعب) يوصف به المرض والمريض ذكراً أو انثى منفرداً ومثنى وجمعاً ومعناه الداء الملازم

(٢) الثدا لغة في الثدي

(٣) اكتمى احتجب واستتر

(٤) شبه حرارة الشوق الى لمس ذلك الصدر باشتعال الكهرباء وانما تشتعل باتصال الموجب منها بالسالب فهو يقول ان اعصابي ترجف وتضطرب اذا تصور ضميري لمس ما استتر فوق ذلك الصدر وهو الثدي تصوراً هو في حرارته كالكهرباء في استعدادها للاشتعال فهل اوقدها بلمسها بيدي الذي هو كالجمع بين موجبها وسالبها بما يسلب من التقوى ويوجب من الهلاك بمعصية الله تعالى

والموصل بين نوعي الكهرباء عند علمائها نوعان : قوي وضعيف فشبّه اللمس باقواهما

(٥) اي اول سن الشباب وانشطه

(٦) اعني ان لمس صدر تلك العذراء الخفرة قد ابيح لي من ناحيتها باعث

وما ابرّي النفس بعد من هوى امّارة بالسوء الا ما هدى
من لم يَزَعهُ الدين عن جهل الصبا فما له من عاصم من الردى
لا تخدعنك رغبة الحسان عن زي اولي العلم وسمت ذي التقى
فكم نوار لم يلن معطفها لفرهد حذور يحكي الرشا(١)
يشبهها تورّناً (٢) وزينة الى غنى له يرق ما قسا
اسلسها وراضها لنفسه بجاذب الدين وطلسم الرقى
ذو نسك يلبس اخلاق التقى مجرداً من كل اخلاق التقى(٣)
قد تخذ النسك له احبولة لصيد نافر الظباء والمها(٤)
وجعل الدين له تجارة فما اشترى الا الضلال بالهدى

قولي : لا تخدعنك الخ هو المقصود من العبرة في هذه الحادثة وهو ان كثيراً من الناس يسمحون لنسائهم بزيارة رجال الدين الذين يظن فيهم الصلاح لظنهم ان النساء لا تميل اليهم ميل شهوة وان صلاحهم هو يزعهم عن تصبّيهن والفتنة بهن وقد يكون اظهارهم الصلاح أحبولة لاصطياد الملاح ولهذا شواهد ووقائع معروفة

ـ الدين لاعتقادها ان لمسي له يشفيها وان الذي حماني من لمسه هو الدين الذي اباحه لاعتقادي ان لمسه لا يبيحه الدين لي

(١) النوار ذات الحياء والصون والفرهد الغلام الحسن الممتلىء صحة وشبابا والحزور بالفتح وتشديد الواو الذي اشتد وقوي

(٢) المبالغة في التنعم

(٣) اخلاق الاولى جمع خلق بفتحتين وهو الثوب البالي والثانية جمع خلق بضمتين ٠

(٤) المراد بالظباء الغلمان وبالمها النساء الحسان

بل اقول ان كثيراً من رجال الدين حتى النساك من جميع الامم قد افتتنوا بخضوع الحسان لهم ففسدوا وافسدوا وذلك ان العبادة الصورية لا يقوى بها الايمان بالله والمراقبة له وانما هي تقاليد بدنية لا تزكي النفس ولا تربي الارادة فتحكم على الهوى كما تفعل الرياضة الصوفية الشرعية . وقد منّ الله تعالى عليّ بما استفدت من « إحياء العلوم » أن كنت احاسب نفسي واراقب ربي حتى انني لأعاتب نفسي على الغفلة واعاقبها على الهفوة . وكنت قد تعودت قبل ذلك انشاد الشعر في الخلوة واوقات الفسحة فاستبدلت به ذكر الله تعالى غالباً وقد تغلبني العادة فاتذكر وقد انشدت نصف البيت فلا أتمه فكانت هذه النشأة في الصبا ذخراً لما بعدها وما أبرىء نفسي من اللمم ولا اقول كما قال بعض الشيوخ الكرام في شأن صحته في كبره : حفظناها في الصغر فحفظها الله في الكبر . بل أقول : ان الله تعالى هو الذي حفظها في الصغر والكبر وله الحمد اولا وآخراً .

التعلم والارشاد

(والامر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

انني طلبت العلم بوازع من نفسي لتكميلها بالمعرفة والعمل لا لاجل الانتفاع به في تحصيل مال او جاه وقد عرض عليّ الدخول في خدمة الحكومة اكبر اصحاب النفوذ فيها من اصدقاء والدي فأبيت . بدأت بمطالعة بعض الكتب التي اراها عندنا وكنت كما افدت [1] شيئاً في نفسي اجد ارتياحاً فيها ان افيده غيري .

رأيت بعض من عاشرت من طلبة العلم في طرابلس يحب الأثرة فيه

---

(٢) افاد تأتي بمعنى استفاد كما تأتي بمقام افاد غيره .

فيه والبخل بما يصيبه من شوارده وأوابده (٢) ان يجود بها . فعجبت من حالهم لمخالفته لطبعي ولما كنت قرأته في كتب الدين والادب من مدح بذل العلم وكونه يزكو على الانفاق وكون كتمان علم الدين حراماً وبذله واجباً وكون ارشاد الناس به افضل القربات عند الله تعالى فكنت اعمل بما اعلم واعلم من دوني وأذكر من هم في طبقتي واطلب المزيد ممن فوقي .

وكنت بعد قراءة كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتاب الاحياء آمر وانهى لا اخاف لومة لائم واذكر في هذا اول حادثة لي في طرابلس صدعت فيها بالنهي عن المنكر في محفل عام كثر فيها حديث الناس ولوم بعضهم وتحبيذ بعض .

---

(١) مما اتذكره من هذا الباب وهو حب الانفراد بالعلم اني كنت في ريعان الصبا اطالع احد الكتب الادبية مكباً عليه وكان لي معرفة باحد كبار الادباء ممن بلغ الدرجة العليا من هذا الامر فكان يزورني ويجدني عاكفاً على هذا الكتاب فقال لي مرة انه ليس بكتاب ذي طائل وان الأولى بي ان لا اضيع الوقت في قراءته . فلم اجبه بشيء لاني لم اقتنع بكلامه ولم ارد ان ادخل معه في جدال . فجاء مرة ثانية فوجدني مكباً على هذا الكتاب نفسه لانه عدة مجلدات . ثم جاء مرة ثالثة فوجدني ايضاً على ما كنت عليه من الرغبة في ذلك الكتاب فعندها صرح بما في نفسه وقال لي : انني ما اردت في تزهيدي اياك بمطالعة هذا السفر غير امتحانك والحق انه احسن تأليف في الادب . وحقيقة الحال ان ذلك الاديب الكبير لم تكن اخلاقه على مقدار ادبه وكان من الحسد والبغض لجميع الناس على جانب عظيم فلما رآني سالكا طريق الرشد سعى في ان يضلني فلما رآني ممن لا يلتبس عليهم الصحيح من الفاسد عاد فزعم انه انما كان يريد امتحاني .

اول حادثة لي في الانكار العلني على أهل الطريق

قيل لي: ألا تتفرج على مقابلة المولوية في تكيتهم التي تشبه جنة الآخرة في مكانها من ضفة نهر أبي علي ؟ قلت نعم فذهبت بعد صلاة الجمعة مع الذاهبين وكان اول افتتاح موسم هذه المقابلات من فصل الربيع فجلست في ايوان النظارة (المتفرجين) نمتع البصر برؤية جنات البرتقال والشم بعبير زهرها والسمع بخرير ماء النهر من تحتنا حتى اذا ما آن وقت المقابلة تراءى امامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه ايوان النظارة وفي صدره شيخهم الرسمي واذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه يلبسون غلائل بيضاً ناصعة كجلابيب العرائس يرقصون بها على نغمات الناي المشجية يدورون دورانا فنياً مربعاً تنفرج به غلائلهم فتكون دوائر متقاربة على أبعاد متناسبة لا يبغي بعضها على بعض ويمدون سواعدهم ويميلون اعناقهم ويمرون واحداً بعد آخر امام شيخهم فيركعون له. قلت ما هذا؟ قيل هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف.

لم أملك نفسي ان وقفت في بُهرة النظارة وصحت باعلى صوتي بما معناه: أيها الناس أوالمسلمون ! ان هذا منكر لا يجوز النظر اليه ولا السكوت عليه لانه إقرار له وانه يصدق على مقترفيه قول الله تعالى: (اتخذوا دينهم هزؤاً ولعباً) واني قد أديت الواجب عليّ فاخرجوا رحمكم الله وخرجت من المكان راجعاً أدراجي الى المدينة مسرعاً وفي اثناء المسير التفتّ فوجدت ورائي عدداً قليلاً قد رجعوا وبقي الاكثرون لم ينكروا عليّ ولا على القوم بقول ولا عمل . ثم كانت هذه الحادثة الغريبة حدثت

الناس وموضوع سمرهم مدة طويلة : فمن عاذل وعاذر .

سيرني مع استاذي العلامة الجسر في الانكار

اتفق في تلك الايام ان دعاني رجل وجيه من معارف والدي الى سيران [1] في بستانه مع شيخنا الاستاذ الشيخ حسين الجسر والشيخ عبد الله البركة واثنين آخرين من العلماء ، وهنالك سألني شيخنا عن الحادثة ولم يسألني عنها في المدرسة ، فذكرتها له بالاختصار . قال : اني أنصح لك أن تكف عن أهل الطريق . قلت : هل لأهل الطريق أحكام شرعية غير الاحكام العامة لجميع المسلمين ؟ قال : لا ، ولكن لهؤلاء في سماعهم نية غير نية سائر الناس ووجهة الى الله غير وجهتهم ، وما لك تخصهم بالانكار عليهم وان من أهل اللهو من يسمعون الأصوات والاوتار في ملاهيهم بل بلغني ان بعضهم يقامرون ليلا في (قهوة العيوني)

قلت ان أهل الطريق ذنبهم اكبر من اهل اللهو لانهم جعلوا السماع المنكر ورقص حسان الغلمان عبادة مشروعة ، فشرعوا لانفسهم من الدين ما لم يأذن به الله . على اني لم ار منكراً آخر ولم انكره . وأنا غير مكلف ان أذهب في آخر الليل الى قهوة العيوني فاستفتحها لارى ما فيها وأنكر عليه . فلما أعييته قال : ان مذهبنا (يعني الحنفي) أشد من مذهبكم (الشافعي) في تحريم السماع ولكنني أنصح لك ان لا تعترض على اهل الطريق . وسكتَ وسكتُ .

---

(١) السيران في عرف بلادنا الخروج للتنزه والطعام في البساتين والضواحي اه قلت انا المحشي على كلام السيد: انه يقال للنزهة في التركية (سير إيتمك) وأظنها منها .

والشيخ رحمه الله تعالى كان خليفة لوالده الشيخ محمد الجسر المشهور المعتقد في طريقتهم (الخلوتية) وكان يقيم ذكراً في داره كل ليلة جمعة وكان يكون في مجلس الذكر عنده انشاد لشيء من أشعار الصوفية او أدوار في الالهيات والمدائح النبوية.

ولما جئت مصر ورأيت فيها من بدع أهل الطريق أضعاف ما في بلادنا وانشأت المقالات الضافية في المنار في منكراتهم في الموالد وغيرها — كان اول كتاب رجعه الي الشيخ عفا الله عنه ضمنه الانكار علي بمثل نصيحته في بستان السيران بطرابلس. وقد افتتح كتابه هذا بقوله: «ظهر المنار بانوار غريبة الا ان أشعته مؤلفة من خيوط قوية كادت تذهب بالابصار». وكانت حجته انني أبين عيوب المسلمين للافرنج وغيرهم.

فكتبت اليه رجع كتابه في ١١ صفحة قلت فيه انني لا ازال أعد نفسي تلميذاً لك وان كنت اعطيتني شهادة العالمية واجزتني بالتدريس وانت تعلم يا مولاي انني من اول طلبي للعلم لم اكن أقبل شيئاً لا أعقله ولا اقتنع به وحجتي على ما كتبت في المنار كذا وكذا... فان كتبت الي ما يقنعني بانه خطأ رجعت عنه واعلنت ذلك في المنار. فلم يرجع الي قولاً. وقد نسخ صورة ذلك الكتاب صديقي الشيخ عبد القادر المغربي ولعلها محفوظة عنده.

ثم أنكر علي كتابة في جريدة طرابلس بقلمه ولكن بدون امضائه ورددت على كتابته وتجافينا حتى اذا ما زار القاهرة في طريقه الى الحجاز ونزل ضيفاً في دار الاستاذ الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير كنت ازوره كل مساء فاقبل يده واجلس عنده ما جلس للناس. فلما كان يوم سفره

خلونا ساعة وسألته النصيحة فاعاد عليّ انكاره ذاك ومسائلَ اخرى أنكرتها على بعض ما في الكتب المألوفة وقال : انني احب لك ما احب لنفسي... قلت ولكن هل الله تعالى يحاسبني يوم القيامة بما أعتقد واعلم ؟ ام بما تعتقد انت وتعلم ؟ أقنعني بما تقول بالدليل ليصير عقيدةً لي ارجع الى قولك .

قال : انت اهل علم وصاحب حجة وليس عندي لك غير ما قلته . فذكرت في نفسي قول الله عز وجل :(قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا).

فمن عرف سيرتي هذه مع استاذي الاول ، ولا اعرف له في الازهر مثلاً في علمه وعمله وسيرته ، لا يستغرب انكاري على علماء الازهر بل يعلم ان لي فيه قدم صدق وموقفَ حق أجري فيه على عرق وأدين الله تعالى به ولا أحابي احداً ولا أخاف لومة لائم .

انكاري على رجال الدولة والحكام

ولقد كنت انكر على رجال الحكومة في بلادنا كل ما اراه من منكر ولي في ذلك حوادث ووقائع مشهورة منها : انني أنكرت على والي ولايتنا (بيروت) نصوحي بك الشهير إساءة صلاته في مصلى سراي الحكومة بطرابلس فقبل كلامي شاكراً ولكن اهل التملق والنفاق والاذلاء عابوه عليّ حتى اذا ما رآني في بيروت مرة قال لي ما سمعته من الشيخ النبهاني : انك أنكرت عليّ ترك الطمأنينة في صلاتي بطرابلس وانا انكر عليك الآن تخفيف لحيتك فهذا لايليق باهل العلم . قلت صدقت ولكن في شعر وجهي ضعفاً فهو يسقط بادنى تحريك له وقد عرضته على بعض

الاطباء هنا فقال إن سببه كثرة المادة الدهنية فهي تضعف بصيلات الشعر ووصف لي علاجا ... الخ (وأقول الآن ان شعر وجنتي لا يزال ضعيف النمو ومحتاجاً الى العلاج).

وقد كان اول خطاب القيته في طرابلس مثاراً للانكار من أناس والعجب من آخرين عدّوه من الإفراط في الجرأة والشجاعة الادبية، ذلك انه كان بين الاستاذين الشيخ علي رشيد الميقاتي والشيخ السيد عبدالفتاح الزعبي[1] من اكبر وجهاء العلماء شيء من التقاطع فسعى المتصرف التركي وهو الحاكم الاداري العام للصلح بينهما وأشار على الاول ان يبدأ به فدعا خصمه الى حفلة تكريم دعا اليها معه سائر العلماء وجميع رؤساء الحكومة وكبار الوجهاء الى العشاء وكلفني ان اكتب خطابا يناسب المقام وألقيه على الملأ ففعلت ولم يكن في الحفل شاب من طلبة العلم غيري إلا أبناء الداعي ومنهم صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ رشيد الميقاتي مفتي طرابلس لهذا العهد.

شبّهت في ذلك الخطاب الشعب أو الامة بالفرد منها والجماعات العاملة للمصالح العامة فيها ومنهم رجال الحكومة والدولة ـ باعضاء الفرد من رئيسيّة كالدماغ والقلب ومشاعر وآلات وقلت انهم يجب ان يكونوا سواء في الحقوق العامة والاحترام وان كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار وشبّهت العاطلين الذين لا يعملون لامتهم عملاً نافعاً من السراة وأصحاب

---

(١) كان الشيخ علي رشيد الميقاتي من وجهاء طرابلس وكان فصيح اللهجة وكان الشيخ عبد الفتاح الزعبي نقيب اشراف تلك البلدة وكان محبوباً عند الناس دمث الاخلاق وقد عرفت كلاً منهما رحمهما الله.

الثراء الموروث وغيرهم ، ويحتقرون الطبقات الدنيا من العاملين بقولي : « ولا التفات الى سفهاء الاحلام المتكبرين بالاوهام الذين يحتقرون الزراع والصناع فإنما مثل الفريقين كالأعمى والاصم ، والسميع والبصير ، والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية ، وبين زوائد الاظافر والشعور لو كانوا يعقلون »

ولقد خشيَ استاذي الجسر عند سماع هذا الخطاب أن يحفظ عليّ قلب المتصرف وكاشفني بذلك سراً في الجلسة لأتلافى الامر بكلمة في فضل الدولة ورجالها ولكن ذلك المتصرف كان من كبار أحرار الترك أولي التربية العالية (وهو حسن باشا ابن سامي باشا شيخ وزراء الدولة في عصره[1] وقد أعقبني ثناء عليّ فقال : إني أفتخر اليوم بان اعدّ نفسي طرابلسيا لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب ، وقال كلمة حكيمة في مقام رجال الدولة . ولما علم بهذا الخطاب ادباء النصارى عجبوا لجرأتي وأذكر ان الاديب المؤلف الشهير جرجي افندي يني قال لي يومئذ وقد علم بالخطاب: من أين جئت بهذه الحرية المتطرفة في هذه البلاد المستعبدة ؟ وجرجي افندي لا يزال حياً ، يذكر هذا وهو صاحب مجلة المباحث[2]

وكان هذا المتصرف بعد ذلك يحب المذاكرة معي في شؤون سياسة الدولة والاصلاح ، فاذا زرته في دار الحكومة لا يأذن لاحد ان يدخل

---

(١) سامي باشا هو اخو صبحي باشا الذي تولى ولاية الشام في احدى المرات وإلى هذا البيت ينتسب حمدالله بك صبحي المعدود اليوم من كبار ادباء الترك .

(٢) جرجي افندي يني احد وجهاء طرابلس الشام وفضلائها الذين خدموا العلم طول حياتهم وله باع طويل في التاريخ وتآليف ممتعة .

علينا فيها لأننا نتكلم بغاية الحرية في عيوب الدولة وجعلني بعد ذلك عضواً مخبرياً في لجنة إصلاح المعارف ، ثم لما صار والياً لازمير بعد هجرتي الى مصر كنت أرسل اليه المنار بالبريد الأجنبي ، اذ منع المنار من بلاد الدولة بإرادة السلطان ·

وكان يكثر زيارتنا في القلمون قبله متصرف طرابلس مصطفى ذهني باشا بابان[1] وكان سبق له اشتغال واسع بعلوم الشرع وهو شافعي المذهب مثلنا كقومه الاكراد فكان يكثر مذاكرة العلماء في الفقه والتوحيد وغيرهما وكانت تعجبه اجوبتي وأنا طالب مبتدئ فيلقي عليّ اسئلة كثيرة (منها) انه قال لي مرة بدارنا : ان دولتنا مخطئة في اعفاء طلاب العلوم الدينية والعلماء من الخدمة العسكرية فإنها خدمة دينية والعلماء أحق الناس بالقيام بها · قلت له على البداهة : إن لهذا الإعفاء اصلاً في كتاب الله تعالى ، قال متعجباً : في كتاب الله تعالى !! قلت نعم ، وهو قوله :(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فدهش وأثنى عليّ

(١) مصطفى ذهني باشا من آل بابان قال لي ابنه نعيم بك إنهم وان كانوا رؤساء الاكراد في السليمانية فنسبهم عربي صريح يرجع الى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وكان مصطفى ذهني باشا قد تولى ايضاً ولاية الحجاز وقد عرفته بعد إحالته على التقاعد وذلك في اثناء الحرب العامة وهو والد نعيم بك أحد اعضاء مجلس الاعيان في الدولة العثمانية وكان من الفضلاء ووالد اسماعيل حقي بك احد أركان جمعية الاتحاد والترقي وقد مات في حياة والده وكان يتولى نظارة المعارف ·

ودعا لي دعاء صالحاً من قلبه .

وتحدثنا مرة ونحن على مائدة الطعام بدارنا في شؤون الدولة فقلت : ان الذي أضعف الدولة هو جهل العلماء بالسياسة وجهل الحكام بالدين . فظهر على وجهه تجهم الاستياء وجحظت عينا والدي وحدجني بنظره، وقال المتصرف : وهل رجال الدولة جاهلون بالدين ؟ قلت لو كانوا كلهم او أكثرهم مثل سعادتكم لما كنا نقول هذا فسرّي عنه . ثم كان لكلامي هذا دويٌّ عظيم بين الناس .

ثم لما زرت الاستانة سنة (١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م) عقب الدستور زارني فيها وأدب لي مأدبة فاخرة دعا اليها بعض العلماء والوجهاء وحدثهم بما علمه من خبر حداثتي وكان واليًا ليانية وانما جاء الاستانة زائراً وكان أحد انجاله وزيراً للمعارف[1] فيها وآخر عضواً في مجلس المعارف الاعلى[2] .

وزار القلمون مرة رئيس المحكمة العدلية والمدعي العمومي (رئيس النيابة) وكانا ضيفين عند الوجيه حسين آغا ياسين فطلبا منه ان يدعوني ليسمعا كلامي ... فقال لهما عليكما اذاً ان تخبئا أنواط ساعاتكما الذهبية لأنه لا يسكت عن الإنكار عليها وكان قوله صادقاً فقد أنكرت عليهما ووعظتهما بما يجب عليهما من العدل ...

---

(١) يشير الى اسماعيل حقي بك المتقدم الذكر من ابناء مصطفى ذهني باشا فإنه تولىّ نظارة المعارف كما قلنا .

(٢) يعني به نعيم بك الذي كان من أعضاء مجلس المعارف وفي الآخر صار من أعضاء مجلس الاعيان وقد توفي من عهد قريب .

سيرتي في تعليم العوام ووعظهم

إن سيرتي في نصيحة العوام وتعليمهم في القلمون مشهورة . كنت اقرأ للرجال دروساً في مسجدنا وأذهب الى مقهى لهم يجلسون فيه لشرب القهوة والنارجيلة « الشيشة » فأجمعهم وكان فيهم افراد تاركون للصلاة فأستتيبهم وألزمتهم بما لي من النفوذ الديني والوراثي أن يحافظوا على الصلوات . ولما حضرت دروس السنوسية الصغرى في المدرسة واعتقدت أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد ما هو مقرر فيها من الصفات العشرين وغيرها تعبتُ تعباً شديداً في محاولة إفهام العوام فلسفة السنوسي الأشعرية فتعذر عليَّ ذلك حتى كان بعضهم يبكي إذا لم يفهم ما أقرره ويخشى ان يكون كافراً بعدم فهمها ثم منَّ الله عليَّ بالعلم بانه لا يجب على مسلم التقيد بها وأن فيها خطأ وان الناس مغرورون بها . فكتبت لهم عقيدة سهلة الفهم والعبارة لا يزال يحفظها الكثيرون منهم . وكنت اقرأ لهم في الفقه قسم العبادات من نهاية المحتاج في شرح منهاج النووي للشمس الرملي وكلهم شافعية فصار كثير منهم أفقه من طلَبة العلم الرسميين .

ولم اخصَّ الرجال دون النساء بل ارسلتُ إلى نساء القرية من يدعوهم إلى درس خاص بهنَّ في دارنا القديمة فكنت ألقي اليهنَّ القول في العقائد وأحكام الطهارة والعبادات بعبارة عامية سهلة بدون كتاب وألزمتهن تغيير زيّهنَّ في اللباس بما هو استر واطهر بحيث تكون المرأة في الشارع كما تكون في حال أداء الصلاة وكان أكثر نساء القلمون تاركات للصلاة فصرنَ يصلين وحسنت حالهن في النظافة وفي معاشرة أزواجهن .

وأما نساء أهل بيتنا (بيت المشايخ) فكن كلهن يصلين ويعرفن اكثر واجبات الدين وسننه وزيهن في الدار وفي الخروج كزي المحتجبات من أهل المدن على تفوق في التدين والادب . وكان فيهن المتعلمات بقدر ما يسمح به ذلك الزمان فقد ادركت عمة والدي تقرأ القرآن وسبق ذكرها وذكر غيرها . ثم كثرن في عهدنا بما لا حاجة إلى بيانه . على أنني كنت أقرأ لهن بعض كتب الادب أو التاريخ أو الوعظ في ليالي الشتاء .

ولا انسى ليلة كنت اقرأ فيها خبر مقتل سيدنا وجدنا الامام الحسين السبط عليه السلام وعلى قاتليه اللعنة ولهم سوء الدار فكنت ابكي وتبكي عمتي الكبرى وتقول لي : تجلد فإن القارىء لا ينبغي له البكاء . . .

وأما المواعظ التي كنت القيها في المسجد فكنت أعتمد فيها على القرآن وقد وُفقت لاستحضار الآيات الكثيرة في الموضوع الواحد من ذلك العهد ثم على كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر « للشيخ احمد بن حجر الهيثمي » الفقيه الشافعي فكتابه هذا خير كتبه ومنه عرفت بدع البناء على القبور وتشريفها ووضع السرج عليها أنها بدع ضلالة لعن النبي (ص) فاعليها وقد نقل فيها عن بعض الفقهاء وجوب هدم القباب التي تبنى على قبور الصالحين واقره . وقد كان أهل قريتنا يتبركون بقبر السيد محمد القصيباتي المشهور بالولاية . وهو الذي قال لي شيخنا أبو المحاسن القاوقجي عندتلقينه إيانا المسلسل بالاشراف انه من ذريته وان أصلهم منا وهذا مذكور في سلسلة نسبه الذي تراه في مقدمة كتابه « اللؤلؤ المرصوع » وقد كان لقبر القصيباتي المبني في مقبرته مشكاتان كان النساء يضعن فيهما الشمع ويوقدنه ليلا فمنعتهن منه .

وكن يوقدنَ الشمع أو السرج في عليقة على شاطئ البحر ويربطن عليها خرقاً من طالبات الاستشفاء أو غير ذلك لانه اشتهر ان هنالك ولياً اسمه محمد زكا هو جد أهل بيت يُسمى بيت زكا ، فمنعت هذا أيضاً .

وكان في أرض القربة على بعد بضع دقائق مجرى ماء للمطر يسمي وادي الولية وفيه شجرة زيتون كبيرة تسمى زيتونة الولية كان كثير من المارة يتبرك بها لما اشتهر من أن هناك ولية مدفونة وبجانبها شجرة آس كبرت وارتفعت ولم يرتفع غيرها من الآس في تلك الارض على كثرته لانهم يقلعونه دائماً للوقود فامرت رجلاً ممن كانوا يحضرون درسي فقلعها ليلاً ولم يصب بشيء كما كانوا يتوهمون .

كل هذا قد كان مني وانا طالب للعلم ولم اكن رأيت شيئاً من كتب الامام المجدد شيخ الاسلام ابن تيمية ولا من كتب تلميذه المحقق ابن القيم بل كنت رأيت طعن ابن حجر هذا عليه في كتابه « الفتاوى الحديثية » وكنت أصدق ما فيها ثم رأيت في طرابلس كتاب « جلاء العينين في محاكمة الاحمدين » للعلامة خير الدين الالوسي البغدادي ابن الشهاب محمود الآلوسي المفتي المفسر فعلمت منه ان طبقة ابن تيمية أعلى من طبقة ابن حجر الهيتمي ومن فوقه من العلماء بمراحل . ثم ظهر لي أن الهيتمي هذا طعن على شيخ الاسلام ولم يكن رأى شيئاً من كتبه وانما بلغه عنه مبالغته في الانكار على تأويلات المتكلمين لآيات الصفات وأحاديثها وطعنه على الشيخ محيي الدين بن عربي وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمساني والرومي القائلين بوحدة الوجود . وكان الهيتمي هذا مفتونا بالصوفية حتى غلاتهم كمحيي الدين (وقد سبق تحقيق القول فيه) .

وكان أشعرياً مقلداً يدين بتأويلات المتكلمين لآيات الصفات وأحاديثها بما يخالف مذاهب السلف والمحدثين لانه كان قليل العلم بالاحاديث وآثار السلف . وقد أنصف الالوسي فيما كتبه من تاريخها فليرجع اليه من شاء .

واما الوهابية فلم اكن اعرف عنهم شيئاً وانما كنت أسمع من الناس انهم مبتدعة ربطوا خيولهم في مسجد النبي (ص) وأول كلمة حق وقفت عليها في شانهم لعلماء سورية كلمة مفتي بيروت العلامة الشيخ عبد الباسط الفاخوري في كتاب « تحفة الأنام مختصر تاريخ الاسلام » وانما عرفت تاريخهم بالتفصيل في مصر بعد هجرتي اليها .

على ان هذا التاريخ طبع بعد هجرتي أيضاً . وقد كان من جرأة مؤلفه نشر نص دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب الى التوحيد وقوله فيها انها عين ما دعا اليه الانبياء والمرسلون وكان ذلك في زمن السلطان عبد الحميد اذ كان يعد الوهابيين اعداء له غير خاضعين لسلطانه .

* * *

هذه خلاصة تاريخ نشأتي العلمية والدينية واكثر ما دونته فيه إن لم يكن كله معروفاً لبعض الاحياء في وطني من اترابي وممن هم أسن أو اصغر مني وكان في جملته إعداداً من الله تعالى للمستقبل الذي اقامني فيه بفضله وكرمه .

الآثار القلمية

من نظم ونثر وتصنيف

نظم الشعر

ذكرت في فصل استعدادي ما كان من اشتغالي بمطالعة بعض كتب الادب والتصوف من قبل طلب العلم وانه كان بمحض الميل الفطري واللذة العقلية بدون ارشاد ولا تكليف من أحد ولا بقصد مني إلى غاية ولا منفعة مستقبلة وانما رأيتني بعد تعلم مبادئ القراءة والخط في القرية غير مطالب بعمل دنيوي في بيت فيه كتب وميلي للعب مع الصبيان قليل فليس أمامي شيء الا هذه الكتب أتلذذ بمطالعتها و كان والدي يرجىء ويسوف في وضعي في بعض مدارس المدينة (طرابلس) خوفاً على أخلاقي وآدابي أن تفسد بمعاشرة أهل المدن كما تقدم فينتظر ان يرى من رشدي ما يطمئن به علي وكان عمي السيد محمد كامل (والد السيد عبد الرحمن عاصم) يمكنه أن يقرأ لي شيئاً من النحو والصرف اذ كانت صلتي به أقوى من صلتي بكل أحد ولكنه لم يفعل . و كان الشيخ محمود النصري زوج عمتي (وهو جد السيد عاصم لامه) يمكنه ذلك ولكنه عين قاضياً في محكمة الكورة العدلية وعهدي به يقرأ النحو لعمي هذا ولابن عمه السيد محمد كامل فلما جاء دوري أنا ومن في سني من الاسرة شغل بالقضاء . .

أول ما ظهر من تأثير كتب الادب وحفظ الشعر في نفسي نظم الشعر في حالات تعرض لي و كان منها قصيدة في دعوة خادعة الى أكلة

حلوى وصفت بها الداعي ومساوئ داره وقد كتبتها خلافاً لما كان يعرض لي من مفردات ومقطوعات وظلت عندي في مسودتها إلى أن تعلمت فرأيتها صحيحة الوزن والاعراب . ولم أكن اذكر ذلك إلا للاتراب من أمثالي . وكان أول من سمع نظمي من أهل العلم الاستاذ الشيخ احمد عبد الجواد القاياتي (والد المرحوم الاستاذ الشيخ مصطفى القاياتي أحد خطباء الوفد المصري) اذ كان هو وشقيقه الاستاذ الشيخ محمد القاياتي ممن زارونا بالقلمون من أفاضل المصريين الذين نفوا إلى سوريا عقب الثورة العرابية . واتفق أن صار يكلمني ويبحث معي فاسمعته أبياتاً كنت نظمتها فقال لي: « بدايتك نهاية غيرك » ولا شك انه قصد بهذه الكلمة الترغيب والتنشيط وانه مع ذلك استكثر ذلك النظم الصحيح المعنى واللفظ المستقيم الوزن ممن لم يقرأ شيئاً من الصرف ولا من النحو فضلاً عن العروض وقرض الشعر .

ذكرت في الكلام على نشأتي العلمية انني كدت أشتهر بالشعر في السنة الاولى من دخولي المدرسة الوطنية (وهي سنة ١٢٩٩) وذلك انني بُلّغت وانا في المدرسة أن نسيبنا الاستاذ الشيخ محمود النصريـ الذي ذكرته آنفاً قد توفي فذهبت في المساء الى القلمون وفي اليوم الثاني جاش في صدري ان أرثيه فنظمت مرثية طويلة قرئت بعد ظهر اليوم الثالث في حفلة التأبين بمسجدنا وقد حضرها كبار علماء طرابلس ووجهائها إذ جاؤوا لتعزية والدي وسائر الاسرة . وكان قارئها حسن الصوت والإلقاء وهو السيد محمد العشي من أشراف القلمون فلما خلوت باستاذنا الشيخ حسين الجسر بعد الحفلة قال لي : هل المرثية التي انشدت في المسجد لاستاذنا

الشيخ عبد الغني الرافعي ؟ قلت : لا . قال : لمن هي اذا ؟ فخجلت ان اقول انها لي بعد أن ظن انها بحسن انشادها لاديب العلماء العلامة الرافعي وقد تقدم ذكره . ففطن مما ظهر عليّ من الخجل والسكوت انها لي وقال : أتقول انها لك ؟ اذاً أمتحنك . ثم طلبها مني مخطوطة وكان يقرؤها في كل مجالسه الادبية ويقول انها لفلان الذي دخل المدرسة في هذه السنة . فشهّرني تشهيراً أخجلني من الناس الذين كانوا يذكرون لي تبجحه بي . وانني أذكر منها ما يعلم به انها كبيرة عليّ في ذلك العهد صغيرة في نفسها وهو :

هو المنون فقصّر دونه الأملا ... لا حول للخلق منه بالخلاص ولا
ولا تغرنّك الدنيا بزخرفها ... فإنها كخيال عند من عقلا
أو كالهشيم إذاما الذاريات أتت ... تذروه قد ضرب الرحمن ذا مثلا

ومنها :

يا نائماً وصروف الدهر توقظه ... إن كنت في غفلة فالله ماغفلا
وأنت يا ذاهلاً عما يراد به ... مؤذن الموت نادى الناس : حيّ على

فهذا أسلوب وعظها ويشبهه اسلوب مدح الفقيد . وأما معانيها فهي تقليد للمألوف في المراثي من المبالغة في المدح بما يقصد به حسن اللفظ ومناسبته لصنف الممدوح ومركزه الاجتماعي دون مطابقته للواقع أو عدمها .

ثم إنني في أثناء طلب العلم رثيت من توفي من كبار علمائنا وأصدقاء والدي بل أصدقاء بيتنا بما هو ارقى اسلوباً وأقوى مناسبةً وأصح معنى وفي مقدمتهم شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابه والاستاذ الاكبر الشيخ عبد الغني الرافعي والمرشد الاكبر الشيخ ابو المحاسن محمد القاوقجي وقد

تقدم ذكرهم في هذه الترجمة وكذا العالم المرشد الشيخ عبد الرزاق الرافعي والشيخ عبد القادر الميقاتي إمام الجامع الكبير في طرابلس ومرثية هذا نُظمت في ساعة وقرئت عقب دفنه وسائر تلك المراثي انشدتها في حفلات التأبين في الجامع الكبير في اليوم الثالث للوفاة او للعلم بها فإن الشيخ عبد الغني والشيخ القاوقجي توفيا في الحجاز ودفنا في مكة المكرمة.

ولم أرث من وجهاء الدنيا إلا الامير احمد حسان الايوبي [1] من مروات الكورة (في جبل لبنان) رثيته بامر والدي : قال لي عندما جاءه نعيه سنة ١٣٠٩ : يا بني هذا أكبر وجهاء الكورة وسيحضر حفلة اليوم الثالث والسابع له كبراء البلاد من المسلمين والنصارى ويؤبنونه وعلاقة أسرتنا باسرته قديمة وقوية فيجب أن تنظم له مرثية تنشد وتكون بها .. فنظمت المرثية الدالية التي اشتهرت حتى كادت تذكر مع مرثية المعري الدالية في فلسفتها ومرثية الشريف الرضي الدالية في تعظيم قدر المرثي بها . وقد قلت في مطلعها :

ان المنيــة غاية الميلاد ... والنعش مثل المهد للاولاد
والله قد برأ الخلائق للبقــا ... بعد الفنا وزيارة الألحـاد
والموت باب النشأة الاخرى لنا ... وبها كمال الخلق والإيجاد

ثم قلت بعد أبيات في وجوب السرور بالموت واستنكار الحزن والحداد ومضارهما وقبح عاداتهما :

أطبيعة ذا الحزن ليس يشذ عن ... ناموسه فرد من الافراد

---

(١) الامراء بنو الايوبي في الكورة من جبل لبنان على مقربة من طرابلس متواتر أنهم من ذرية صلاح الدين الايوبي رحمه الله .

أم ذاك مما أوجبته شرائع الأ ـ ديان من هدي لنا ورشاد؟

أم ذلك العقل السليم قضى على | كل الشعوب بهذه الأصفاد
كلا فليس الامر ضربة لازب | لكنه ضرب من المعتاد
فاخلع سرابيل العوائد إن تكن | لبست بنهج العقل ذات سداد
وتقلد الحزم الشريف كصارم | كيما تنافح جيشها بجهاد
فانظر لموت الناس بالعين التي | ترنو بها لولادة الأولاد[1]
هاتيك مبدؤنا وهذا تمّنا | طرفان مستويان للنقاد
بل آخر الطرفين خيرهما نخذ | بالاعتبار به والاستعداد

ومنها في وصف الامير ووصف جنازته :

قد جاءه هذا الحمام فلم يكن | إلا كبعض الضيف والقصاد[2]
لم يرضَ إلا نفسه منه قرى | فسخابها فاعجب لذي الإرفاد

---

(١) ما قرأت هذا الشعر الا تذكرت النكتة التي رواها ابن خلدون في مقدمته وهو انه أنشد ابو القاسم بن رضوان مرة هذا البيت لابن النحوي أمام ابي العباس ابن شعيب وهو:

لم ادرِ حين وقفت بالاطلال | ما الفرق بين جديدها والبالي

فقال ابن شعيب هذا شعر فقيه . فقيل له : ومن أين عرفت ذلك ؟ قال من قوله : ما الفرق . فان هذا من اساليب الفقهاء لا من اساليب الشعراء . وانا اقول من قرأ هذه المرثية علم انها شعر حكيم متصوف وهي من نمط شعر المعري كما قال ناظمها .

(٢) كان في دار ضيافة الامير احمد حسان في عهد عزه مائة فراش ومائة لحاف و١٠٠ أو ٢٠٠ مخدة (هذه الحاشية في الاصل) .

وقضى الامير وماقضى إحسانه | بل ظل كالاطواق في الاجياد
حفت به زمر وسار كشأنه | بمواكب الاعراس والاعياد
دلفا على الاعناق لا عنقاً كما | قد كان اذ يعلو متون جياد
وسريره المرفوع افصح منشداً | (أعلمت من حملوا على الاعواد)
ما ذاك إلا البدر امسى آفلاً | (أرأيت كيف خبا ضياء النادي)

وكنت اكره المدائح والتهاني الشعرية ولكنني لاشتهاري بالشعر كنت مضطراً الى إرضاء بعض خواص الاصدقاء بشيء منها : فمنها الموشح الذي هنأت به صديقنا عبد الحميد بك الرافعي اشعر شعراء طرابلس بزفافه وكان ذلك في حياة والده الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الغني الرافعي ونشرت نموذجا منها في المجلد ٣٠ من المنار في الكلام على العيد الذهبي لعبد الحميد المهنأ[1] .

---

(١) السيد عبد الحميد الرافعي كان كما قال الاستاذ أشعر شعراء طرابلس الشام ومن اشعر شعراء العرب في هذا العصر وقد احتفلت طرابلس بعيده الخمسيني وذلك من ثماني سنوات ودُعيت الى إرسال شيء إلى تلك الحفلة فقلت:

إياكَ في الشرق أن تعدو طرابلسا | إن كنت تبغي كرام الانس والأنسا
وحجَّ منها لقصّادِ الهدى حرماً | أمناً وجاور لأرباب النهى قُدُسا
مدينة جادها الباري برحمته | من الخصائص ما عن غيرها حبسا
لم يكفها بحرها العجاج بل جمعت | من أهلها أبحراً في شطه جُلُسا
أكارمٌ بهم باتت طرابلس | مصراً بقصّر عنها كل ما يَبَسا

إشارة إلى قول المتنبي :

(أكارم حسد الارضَ السماء بهم | وقصّرت كل مصرٍ عن طرابلس)

ثم انني بعد الاطلاع على شؤون الاجتماع وسياسة العصر بتأثير مجالس المرحوم الوالد مع أصدقائه وقراءة الجرائد التي كانت تأتيه (وعنده وجدت بعض أعداد جريدة العروة الوثقى) ثم بتأثير صحبة استاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر ومطالعة المجلات العلمية كالمقتطف والطبيب مالت

ثم أقول :

ناهيك بالرافعيين الذين لهم ... من المآثر ما يستنطق الخُرُسا
الرافعين من الاعلام أرفعها ... والخافضين من الاعداء ما رأسا
لقد رعوا تلعات المجد اجمعها ... وجدّدوا من دروس العلم ما درسا
وآثروا من أيادي الفضل ماقربت ... ثماره ومن العلياء ما قعسا
ساروا على اثر الفاروق جدهم ... ولن يضلّ الذي من نوره اقتبسا
مثل السيوف المواضي في ضرائبها ... صفاً اقيمت لشرع المصطفى حرسا
وكل ذي أدب يبغي الكمال فمن ... عبد الحميد يروم الاذن ملتمسا
الشاعر الفذ لو جاءت قريحته ... تعارض العارض الهطّال ماانبجسا
تغدو عذارى المعاني قيد خاطره ... وطالما امتنعت عن غيره شُمُسا
من معدنٍ كله صافٍ ولا عجب ... من تملكم النفس نلق ذلك النفسا
إني أقول وخير القول مجمله ... لو جاء في عصره الكندي مانبسا
هذي طرابلس الفيحاء حافلةٌ ... تختال في حالٍ من عيده وكُسا
عيدٌ لخمسين حولاً قد تنجّزها ... في خدمة اللغة الفصحى صباح مسا
وقد أبَتْ غربتي أني أرى وطني ... وان أشاهد فيه ذلك العُرُسا

وقد ارسل اليّ السيد عبد الحميد الرافعي رحمه الله كتاب شكر أطال فيه من اجل هذه الأبيات وتوفي بعد عيده المذكور بسنتين او ثلاث رحمه الله تعالى وهو من انجال الشيخ العلامة الاستاذ عبد الغني الرافعي الذي سبق ذكره.

نفسي لادخال المعاني العصرية في الشعر فكان مما نظمته في ذلك القصيدة التي سُميت (قصيدة الجاذبية) وقد نشرت أبياتاً منها في المجلد الاول من المنار والقصيدة الجمالية التي خاطبت بها السيد جمال الدين الأفغاني في السنة التي جاء بها الاستانة ثم نشرتها في المجلد الثاني من المنار والقصيدة الشرقية التي عاتبت بها الشرق على تأخره عن الغرب .

وكان آخر ما نظمته من الشعر (المقصورة الرشيدية) التي عارضت بها مقصورة ابن دريد وكان سبب نظمها اقتراح صنوي وزميلي في طلب العلم ومذاكرات الادب الشيخ عبد القادر المغربي أن أنظم مقصورة اهنئه فيها بزفافه فنظمت مائة بيت ونيفاً [1] ثم بدا لي أن أتمها في معارضة الدريدية بإيداعها معاني كثيرة من فلسفة هذا العصر وفنون الادب والاجتماع المناسبة له ولا سيما الإصلاح الاسلامي الذي وقفت كل حياتي على السعي له ثم هاجرت الى مصر لاجله فزادت على اربعمائة بيت ، وقد ذكرت شواهد منها في حواشي اسرار البلاغة في طبعته الاولى سنة ١٣١٧ فلما قرأها محمود سامي باشا البارودي كبير شعراء العصر أعجب بها

---

(١) كتب إليّ الاخ العلامة الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي الذي أصل نظم هذه المقصورة كان في موضوع تهنئته بزفافه يقول : إني مرسل اليك صورتها عن النسخة التي عندي بخط السيد رحمه الله وهي ١٢٩ بيتاً قرأها بنفسه ليلة الزفاف في طرابلس الشام في ملأ من الناس فيهم شيخنا العلامة حسين الجسر وذلك سنة ١٣١٥ في شهر ربيع الاول وسافر هو الى مصر في شهر رجب من تلك السنة وقد وصف حكاية نظمه لتلك المقصورة في كتابه « المنار والازهر » صفحة ١٨٤ .

وسألني عنها فأنشدته بعضها ففضلها على الدريدية وطالبني بطبعها أو نسخها له . ثم ذكرت شواهد أخرى منها في طبعته الثانية ونشرت في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ما زدته فيها بعد وفاته من خطته الاصلاحية في الازهر وما تم له منه (وهو في ص ٥٦٧ و ٥٦٨) ثم نشرت في ص ٩٧٨ الى ٩٨٢ ما قلته في دعوة السيد جمال الى الاصلاح ووصف اعماله في مصر . ونقدم في الفصل الذي قبل هذا بعض القصة الغرامية التي فيها .

وقد أنشدت محمد حافظ بك ابراهيم هذه القصة كلها وأبياتاً اخرى فقال : ان القافية تساعدك على هذا التطويل مع المتانة ولو انك تظهر بنظم الشعر لما كان لنا الا أن نعكف على كتب الفقه نشتغل بها . وعسى ان أجد فرصة أشرح فيها غريب هذه المقصورة واطبعها . ولا أحب ان يؤثر عني من الشعر غيرها إلا أن اجد مسودة القصيدة الشرقية وانقحها والقصيدة الميمية التي مدحت بها السيد جمال الدين الافغاني في حياته وهي لا تستغني عن التنقيح وإن كانت منشورة في المجلد الثاني من المنار وكذلك مراثي العلماء رحمهم الله تعالى على انها كلها باكورة تلميذ ، لا مقصدات خنذيذ .

وأذكر من صفة ذوقي للشعر أنني كنت اكره منه المتكلف والمجون وما يقرب منه من وصف الشهوات وما هو صريح في التذكير بها حتى انني نشرت في المنار قصيدة الاستاذ الكبير الشيخ محمد محمود الشنقيطي البائية فاستبدلت منها بكلمة (المخاخل) كلمة (الروادف) فعاتبني عتاباً شديداً ولم يقبل عذري بذوقي ووجداني ولكن الاستاذ الامام عذرني في هذا وكان اكثر

ما في خزانة الادب لابن حجة الحموي من الشواهد على أنواع البديع مما يمجه ذوقي خلافاً لادباء بلدنا كلهم[1] .

(١) الاستاذ المترجم مصيب الى الغاية في استهجانه التصريح بالسوءات والالفاظ التي تنبو عنها الأسماع وما إلى ذلك من التخيلات الشعرية المخالفة للآداب الاجتماعية وهو مذهب شريف لم نجد ذا ذوق سليم وعقل قويم ينازع فيه وإنما حاد عنه كثير من ادباء العرب وشعرائهم وأورثوا الادب العربي موضع ضعف ومجال انتقاد بحق بحيث اننا نقرأ كثيراً في كتب الاجانب من تقبيح هذا الاسلوب الممجوج الذي يكثر في كتب العرب ولا نقدر إلا ان نوافق على هذا . ومن غريب الامور ان الافرنج والعرب في هذا الموضوع على طرفي نقيض فالافرنج يتحاشون القول ويجيزون العمل والعرب يتحاشون العمل ويجيزون القول ولقد سبقت لي كتابة في جريدة الشورى في هذا الموضوع ذكرت فيها ان الأفرنجي مثلاً لا يمكنه ان يذكر في مجلس او يكتب في كتاب أو جريدة لفظة بارزة عن ظل الادب حتى انهم في المجالس التي تكون فيها السيدات يتحاشون ذكر أي شيء من اعضاء البدن المستورة فضلا عن السوءات والعورات ولكنهم بمقابلة ذلك يستخفون بعقد المآزر في الحمامات ولا يتسترون التستر الكافي عند الاغتسال وهذا بخلاف العرب الذين يحتاط كل انسان منهم اشد الاحتياط في ستر ما يجب ستره من بدنه ولو كان منفرداً فكأنه يخجل من نفسه إن لم يكن غرباء يخجل منهم ولكنه من جهة ثانية قد تجده يتلفظ بالاسماء والافعال التي إذا احتاج الأوروبي الى التلفظ بها لاذ فيها بالمعاريض وعدل إلى التورية وهو مذهب يجب ان يكون عاما . وقد كنت اسمع استاذنا الشيخ محمد عبده ينتقد بشدة استخفاف بعض الناس بالادب اللفظي في مجالسهم و كتاباتهم والسيد المترجم هو في هذا على مشرب استاذه .

قسم المنثور من الخطب والمقالات والرسائل الشخصية

انني لم أكتب شيئاً بقصد المرون على الكتابة وتكلف الإنشاء ولم يكلفنا استاذنا الجسر في المدرسة الرجبية شيئاً من ذلك إلا مرة واحدة كتب كل واحد من المحصلين خطبة في الموضوع الذي اختاره فأنشأت خطبة وعظيّة مسجعة لم أحفظ صورتها لأنني تكلفت فيها السجع وهو مما يكرهه ذوقي[1] .

وكنت أنتقد خطب الجمعة المدونة ولما عرض لي أن أخطب في مسجدنا أنشأت عدة خطب سمّيت الاولى منها الخطبة الحديثية وأذكر انني بدأتها بعد الحمدلة والشهادتين والصلاة على الرسول (ص) وآله بما حاصله : انـا معشر المسلمين نفتخر دائماً باننا امة محمد خاتم النبيين (ص) فأما امة دعوته فهم جميع البشر وانما يحق الفخر لامة الاجابة منهم . ثم طفقت اقول : هل تدعي اجابة دعوته يا تارك الصلاة وقد لعن تاركها مراراً وقال «من ترك الصلاة فقد كفر جهاراً» . هل تدعي إجابة دعوته يا مانع الزكاة وقد قال كيت وكيت ؟ هل تدعي اجابة دعوته يا تارك كذا من الواجبات ويا فاعل كذا من المعاصي الخ ؟ .

ولما أنشئت جريدة طرابلس برأي شيخنا الجسر ونظره وكان هو رئيس تحريرها غير الرسمي رغّبنا بان ننشيء مقالات بنشرها لنا فيها نتمرن بها على الإنشاء العصري وخصّني بالذكر فكتبت مقالاً في فلسفة الأخلاق نشره في اعداد متفرقة ولقبني عند ذكر اسمي في عنوانه « بالاديب

(١) كان السيد المترجم يكره تكلف السجع ولكنه كثيراً مايستعمل السجع إذا جاء عفواً بدون تكلف .

الأريب » ولكن كان من تأثير المقال أن فضله الناس على كل ما ينشر في الجريدة لغةً وموضوعاً وانتقدوا عليه تفريق المقال وعدم إعطائي لقب (عالم) على كونه كان يشهد لي هو وغيره وقتئذٍ بانني صرت عالماً حتى انه ذكر لي هذا الانتقاد عليه وانه اجاب عنه بانهُ خشي أن يعد هذا منه فخراً وتبجحاً بأولاده !! وكان أغرب ما سمعت باذني في شأن هذا المقال أن كنا في (متنزه التل) مع جماعة من العلماء والادباء فذكروا من الانتقاد على الاستاذ انه فرقه في اعداد غير متصلة على ما كان من استحسان الناس له والرغبة في قراءته متصلاً . فقال الاستاذ الشيخ صالح الرافعي وهو تلميذ استاذنا الشيخ حسين الجسر وابن اخته معتذراً عنه : ان رشيد افندي كتب هذه المقالة بقلم أعلى من قلم الجريدة والشيخ (يعني خاله) يتحرى في مقالاته العبارة البسيطة القريبة من أفهام العوام ففرق المقالة حتى لا يظهر علوّ قلمها على قلم الجريدة . فعجبت وعجب الحاضرون من جواب الشيخ صالح وحريته الغريبة فيه وهو الذي قال فيه استاذي واستاذه المذكور : انه لم يأخذ احد من أولادي افكاري السياسية الاّ صالح ورشيد . وقد نشرت هذا المقال في العدد الرابع من سنة المنار الاولى فليقرأه من شاء .

وكتبت قبله مقالة موضوعها « الشرف » لم انشرها واتفق ان اجتمعت في طرابلس بالخواجه اسكندر بك كاستفليس زعيم النصارى ووجيههم فيها — وكان قنصلاً لدولتي روسية والمانية معاً — فاتفق أن ذكر معنى في الشرف عدّه عالياً او طريفاً وكان مما تضمنته مقالتي فذكرت له ذلك وأخرجت المقالة من جيبي وقرأتها له لئلا يتهمني فأحب ان يسمع المقالة كلها

فقرأتها له . فقال لي : كيف تكتب مثل هذا وتخفيه ؟ أعطني هذه المقالة لارسلها الى بيروت وأنشرها لك في جريدة لسان الحال . فاعتذرت له بانها تحتاج الى تنقيح فقال : اننا لما كنا في سنك كنا نضحي أنفسنا لاجل الشهرة والظهور فيما هو دون هذا .

وإنما امتنعت لان موضوع المقالة كان في بيان آراء الناس في الشرف وغلط كل فريق منهم والحكم بعد ذلك بان الشرف الصحيح او الرفيع هو ما بيّنه الدين من التقوى والفضيلة . ذكرت هذا مجملاً ورأيت ان الكلام لا يكون نافضاً لتلك الأغلاط التي حكمت بها على اللائذين بالشرف الوهمي الا إذا كان مفصلاً بعض التفصيل ببيان كليات الشرف الرفيع فاخرته لادرس هذه الكليات ولم يتح لي ذلك في تلك الايام كما كنت أريد .

وأما المكتوبات [1] الشخصية فلا أذكر انني حفظت صورة مما كتبته

---

(١) كان الاستاذ المترجم يجمع مكتوباً على مكتوبات بحجة ان مفعولاً لا يجمع على مفاعيل إلا في الفاظ معدودة . ولقد خالف هذه القاعدة كثيرون من كتّاب العرب وتسامحوا في هذا الجمع ولا تزال المسئلة تحت البحث وقد سألت بعض من أثق بعلمهم في العربية عن آرائهم في هذه المسألة فأجابني منهم السيد تقي الدين الهلالي المغربي بما يلي : الوصف المضاهي لمكتوب في الوزن ان كان لعاقل وجب جمعه على مفعولين قال تعالى : (انهم لهُم المنصورون) وقال تعالى : (أئنا لمردودون) وهو في القرآن كثير . فان كان لما لا يعقل جُمِع بالالف والتاء كقوله تعالى :(وأذكروا الله في أيام معدودات) . وقال تعالى : (الحج اشهر معلومات) وعلى هذا يتبين ان الصواب ما قاله السيد رشيد من جمع

منها قبل هجرتي إلى مصر وهو قليل الا كتابي التاريخي الذي ارسلته من طرابلس الى حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني في أثر مجيئه الى الاستانة ومازالت صورة مسودته معي الى ان نشرتها في المنار ثم في ترجمة السيد جمال الدين وعلاقتي به من تاريخ الاستاذ الإمام (راجع الجزء الاول منه

ـ المكتوب على مكتوبات وأصاب الشنقيطي في اعتراضه على من جمع مشهوراً على مشاهير · ولكن العرب قد جمعت مشؤوماً على مشائيم ووردت أليفاظ اخرى مثله وذلك نادر لا يقاس عليه اه ·

وأما السيد مصطفى جواد العراقي فاجاب بما يأتي : جمع مفعول على مفاعيل لما لا يعقل جائز مطلقاً ـ كما ذكرتم حفظكم الله ـ وجائز عندي للكل من غير استثناء · وما انتحله المانعون له لا اصل له ولا علة فان كان صورة الجمع هي المانع فلماذا قالوا للإنسان : « مساميح ومحاويج ومذاييع ومساعير ومساكير » ؟ واذكر ان بعضهم كان اذا احتج لمذهبه ذكر كلام الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلته من ان « مفاعيل » جمع تكسير وجمع التكسير لا يعمل بل العمل لجمع التصحيح · وهذا من أوهام الشيخ فإن جمع التكسير يعمل كالجمع الصحيح ابداً ومنه قول الجاهلي :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم   يقولون لا تهلك أسى وتجمّل

فان « وقوفاً » جمع « واقف » اسم فاعل من « وقفه يقفه » و« مطيّ » مفعول به له · وقد نص على إعمال جمع التكسير الزمخشري في المفصل والشواهد على ذلك كثيرة · ولم يتصد احد لليازجي ويأخذ عليه هذه الغلطة الكبيرة ـ فيما اعلم ـ حتى بقي النقاد حتى يومنا هذا يعيدون كلامه تمزناً به · وكل انسان يخطأ · اه ·
وعلى هذا يكون جمع مكتوب على مكاتيب جائزاً ·

صفحة ٨٤) وفيه ذكر ما كان له من الوقع الحسن عنده وكتاباً آخر أرسلته من طرابلس إلى الشيخ سعيد أياس في بيروت عقب تلاقينا فيها ذكرت فيه وصف الصديق ومن يستحق هذا اللقب وشكوت اليه فيه أمر الشكوى من افتتان المسلمين بالالقاب الرسمية أو العرفية الخادعة والفخفخة الباطلة واعراضهم عن الكمال الحقيقي بخدمة الامة . وأذكر انني نشرته أو ذكرته في المنار .

شهرتي بالاجادة في الكتابة

على انني على قلة ما اطلع عليه الناس من آثاري القلمية قد اشتهرت في وطني بانني كاتب مجيد . ولما زار الاستاذ الامام طرابلس سنة ١٣١٢ على ما أرجح قال الاستاذ الشيخ خير الدين الميقاتي لرفيقه احمد فتحي زغلول إن السيد رشيد أفندي . أبلغ كاتب عندنا ولا يعدله استاذاً في الانشاء إلا فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده أفندي . فقال له فتحي : كذلك الكتاب المجيدون عندنا في مصر يعترفون بانه لا أستاذ لهم في الإنشاء الا الاستاذ أو السيد جمال الدين (راجع ص ٩٩٦ من تاريخ الاستاذ الامام) وقد أخذ الشيخ خير الدين قوله هذا من كثرة تنويهي بالاستاذ الامام وباستاذه السيد جمال الدين الافغاني حكيم الاسلام ولكني لم أكن افكر في أنني كاتب مجيد ولا في ان لي استاذاً في الانشاء .

والحق ان الروح الذي نفخته العروة الوثقى في نفسي كان له أقوى تأثير في اسلوب كتابتي في موضوعات العروة وغيرها . ولم يكن لمقامات الحريري أدنى تأثير في ذلك وان كان أستاذنا الجسر كلفنا حفظها وكان

يقرؤها درساً لنا لاجل ذلك وقد حفظت خمساً منها وأذكر انني كلمته مرةً في ذلك بل ناقشته فيه[١] :

قلت له ان أسلوب المقامات ليس اسلوباً عربياً في التعبير عن المقاصد وإنما هو أسلوب مصنوع جل فائدته حفظ الكثير من مفردات اللغة فمثلها كمثل من يبني داراً فيجعل فوق بابها نقشاً جميلاً يعجب الناظرين بدقة صناعته في نقشه وألوانه ولا يمكن ولا يليق أن يجعل جميع حجرات الدار ومرافقها بهذه الصفة وانه لخير لنا أن نقرأ لنـا في مكان المقامات الجزء الثالث من إحياء العلوم فاسلوبه بليغ في النثر المرسل ، ومباحثه العلمية والدينية أهم وأنفع من مباحث مقامات الحريري ، فلم يقبل رأيي هذا ، فقلت له : وانني أرى مقامات البديع[٢] أنفع لنا في الاستعانة على ملكة الإنشاء

---

(١) لسنا على رأي الاستاذ المترجم في هذه المسئلة بل نحن فيها على رأي استاذه الشيخ الجسر فان حفظ النثر كحفظ الشعر ضروري لمن يعاني صناعة الادب وانه لا يعرف الطالب مفردات اللغة الا من محفوظه وكما حفظ عن ظهر القلب من النظم والنثر اتسعت لغته وانفسحت طرق التعبير أمامه وقد يتردد الاديب في صحة لفظة فيبد أن يراجع كتب اللغة ليبحث عنها واذا تذكرها في ما يحفظه من كلام الثقات استغنى عن المراجعة · ومقامات الحريري هي من المنثور الذي حفظه يساعد الاديب كثيراً على حفظ مفردات اللغة ·

(٢) لاجدال في ان البديع الهمذاني أعلى درجة في الإنشاء من الحريري على فحولة هذا وكونه من أئمة النثر العربي · ومزية بديع الزمان على الحريري هي عدم التكلف وان الفرق بين الاثنين هو كالفرق بين الكحل والتكحل · واني ارى مفيداً جداً تحفيظ طلبة الادب من مقامات البديع ورسائله ، وقد كنت من عهد

العربي من مقامات الحريري لانه اسلوب عربي لا تكلُّف فيه فلم يقبل منا مني أيضاً · ثم انني في أثناء المذاكرة مع الاستاذ الامام في الادب والكتابة بمصر ذكرت له ما دار بيني وبين استاذي الشيخ محمد الجسر وسألته عن رأيه فيه فقال : « انك أنت المصيب وان رأيي في الحريري انه هو الرجل الذي أتقن التكلف » ·

وجملة القول انني كنت بعد التقدم في طلب العلم أعلم ان جودة المقروء والمحفوظ تفيد في طبع ملكة الانشاء اذ طالعت في تلك الاثناء اكثر مقدمة ابن خلدون ولكنني لم أقرأ شيئاً ولم أكتب شيئاً بقصد ان اكون كاتباً كما أنني لم أقرأ شيئاً من الشعر لاجل أن اكون شاعراً ولا شيئاً من العلم لاجل ان اسمى عالماً وإنما قرأت كلما قرأت بالهام الله تعالى وما فطرني عليه من حب الادب والعلم لذاتهما أو لما فيهما من الجمال المعنوي والكمال النفسي والعقلي فالاستعداد للقائه تعالى ومثوبته في الدار الآخرة وهذا هو الذي غلب عليّ بعد قراءة الاحياء حتى انني لم أكن أحفظ مع الطلبة ما يحفظونه عند الاستعداد للامتحان السنوي الرسمي لانني كنت أعده من طلب العلم لغير الله تعالى كما قلت من قبل وإنما هذه وسوسة لا ينبغي لاحد أن يتبعني فيها · وأما استعدادي لتحرير المنار فيعلم مما يلي :

كتاب الحكمة الشرعية

(في محاكمة القادرية والرفاعية)

عرض لي في أثناء طلبي للعلم باعث قوي وحافز وجداني لتأليف كتاب

حداثتي كثير المطالعة لرسائل بديع الزمان الهمذاني وأبي بكر الخوارزمي أتلو تلك الرسائل المرة بعد المرة الى أن أستظهرت كثيراً منها ·

كبير في كثير من المباحث الدينية والاجتماعية ذات الشأن العظيم في الاصلاح الاسلامي فكتبته في أوقات الفراغ بسرعة غريبة فكان هو التمرن القلمي الوحيد الذي أعدني للاضطلاع بانشاء المنار من حيث لم أقصد به التمرن ولا الاستعداد لشيء بل بيان ما أعتقد انه الحق الذي يجب ان يعلم ٠

ذلك أن الشيخ محمداً أبا الهدى افندي الصيادي المشهور طبع كتباً كثيرة في الاستانة ومصر وبيروت بث فيها دعاية واسعة النطاق لنفسه وأهل بيته وللشيخ احمد الرفاعي الصوفي الشهير والمنتمين اليه نسباً وطريقة تتضمن تفضيله على الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره من الاولياء لمباراة كيلانية بغداد وحماه في الجاه ٠ اذ نالوا بالانتساب الى الشيخ عبد القادر مقاماً رفيعاً وجاهاً عريضاً في العالم الاسلامي كله ٠

وقد رأيت في هذه الكتب كثيراً من الاباطيل في الدين والتصوف والتاريخ فكتبت في الرد عليها مصنفاً كبيراً اسميته بما ذكرت في العنوان واستطردت فيه الى تحقيق مسائل كثيرة من الاصلاح ٠

(منها) أصل التصوف وأطواره وما انتهى اليه عند اهل الطرائق التي تدعيه في هذا العصر وتقاليدهم وعاداتهم وأزيائهم وما يخالف الشرع منها ٠

(ومنها) مسئلة الزي في الاسلام ما يحل منه وما يحرم وما يكره وما يباح وما يفضل غيره بمنافعه أو زينته وما ينبغي للمسلمين في الاجتماع والسياسة من كونهم قدوة متبوعين لا مقلدين تابعين ٠

(ومنها) مسئلة تشبه المسلمين بغير المسلمين في الامور الدينية وغيرها من العادات والماعون والاثاث وآلات الحرب وسلاحه ما فيه من مضار ومنافع ٠

(ومنها) مسئلة المهدي المنتظر وما حدث بسبب اعتقاده من الفتن والحروب وما كان ينبغي للمصلحين ان يتوسلوا به الى الاصلاح والقوة بدلاً من الاتكال على ما ينتظرونه منه ٠

(ومنها) مسئلة الخطابة التي شرعت في الاسلام للاصلاح العام في السياسة والاخلاق والآداب وما يختلف منها باختلاف الاحوال والاحداث والاطوار فجعلها الخطباء الرسميون تقليداً صورياً كالعادات حتى فقدت ملكتها واكتفى أهلها بأداء الواجب في الجمعة بخطب مدونة يحفظونها حفظاً أو يقرأونها في القراطيس قراءة غير مؤثرة ولا تكاد تتجاوز موضوعاتها مدح الشهور والمواسم الشرعية والبدعية والتذكير بالموت والتزهيد في الدنيا بدعوى انها منافية للدين أو مضادة له ، وبينت ما ينبغي من الاستعداد للخطابة الارتجالية وجعل الخطب بحسب الحاجة الى اصلاح الامور العامة كلها في الامة والدولة ٠

(ومنها) مسئلة الكرامات حقيقتها والخلاف في جوازها ووقوعها وأنواعها الحقيقي والصوري منها وما دخل من بابها على الامة من الخرافات والفتن وقد استغرق هذا البحث عدة كراريس كانت مادتنا فيما نشرناه في مجلدات المنار من مباحثها وتأويلها ٠

فهذا الكتاب الذي يزيد على مجلد كبير من مجلدات المنار كان خير استعداد غير مقصود لتوجه الفكر بعده الى انشاء صحيفة للاصلاح الديني وقد نشرت بعض مباحثه في المنار منذ السنة الاولى ومنها مقدمته التي وصف الاستاذ الامام رحمه الله إنشاءها لما قرأها بقوله « اسلوب رفيع » على ما علم من عادته في التعبير عما يستحسنه من مقالات الجرائد بكلمته

العرفية المصرية «موش بطال» وكانت هذه الكلمة منه تغيظ الكاتب البليغ ابراهيم بك المويلحي عندما يطلقها على بعض مقالاته الانيقة ولكنه كان اذا بلغ منه الإعجاب مبلغه الأقصى من مقالة قال فيها «طيبة».

وأذكر انني قرأت هذه المقدمة في بيروت قبل هجرتي الى مصر للعالم التقي الحر الشيخ مرتضى الجزائري (١) فبالغ في إطرائها والدعاء لي وقال ان هذا ليس في استطاعتك وإنما استعملك الله بقدرته (أو إلهامه) واستشهد بحديث: «اذا أحب الله عبداً استعمله».

ومسودة هذا الكتاب محفوظة عندي وقلما يوجد فيها ترميج (شطب) في منثور أو منظوم لانني اعتدت من أول أمري أن لا اخط الجملة أو البيت من الشعر الا بعد تمام التصور الذي أراه صحيح اللفظ والمعنى. ولما اطلع قراء المنار على مقدمته وغيرها مما نشرته منه كبحث الازياء والكرامات اقترح عليّ كثير منهم طبعه وعرضوا عليّ الاشتراك فيه فامتنعت لان فيه كثيراً من المسائل الجدلية في الرد على الرفاعية وعبارات الكتب التي نشرها الشيخ ابو الهدى افندي مما لا توازي فائدته الدائمة إضاعة الوقت بتنقيحه ونشره. وقد رجعت عن رأيي في بعض مسائله

---

(١) السيد مرتضى الحسني الجزائري هو ابن اخي الامير عبد القادر الجزائري كان عالماً مترسلاً كاتباً لبث مدة في بيروت وكانت جريدة «بيروت» لعبد القادر افندي الدنا تنشر من مقالاته وكان صالحاً متصاوناً قانعاً محباً للعزلة وكنت ازوره في الأحايين وصادف انه سكن في بيت يقال له بيت الغول ثم اراد تغيير سكنه منتقلا الى رأس بيروت ليشاهد دائماً البحر فوجدوا له بيت مرعب فضحك وانشد:

ما زلت في بيروت أنقل غربتي   ما بين منزل غولها والمرعب

على انني كنت أطلع بعض ثقات العلماء في طرابلس عليها فتلاقي من ثنائهم وإعجابهم ما تلاقي ، الا أن شيخنا الجسر قال لي في بعضها إنها خلابة قلمية يوشك أن يوجد عند الخصم من تمكنه قوة القلم من الرد عليها بمثلها ·

وقد كان صديقنا الشيخ السيد عبد الفتاح الزعبي أخبر الزعيمين الكبيرين من آله[1] السيد سلمان الكيلاني نقيب بغداد واخاه السيد عبد الرحمن المحض - خبر هذا الكتاب قبل هجرتي إلى مصر فطلبه الثاني لطبعه في الهند فلم أسمح بإرساله اليه ليطبع حيث لا أصححه رحمهم الله تعالى ·اه·

هجرتي الى مصر

تلك خلاصة ترجمتي وما انتهيت اليه في وطني من تربية صوفية وتعليم

---

(١) الشيخ السيد عبد الفتاح الزعبي نقيب أشراف طرابلس الشام في وقته هو من فروع الشجرة الكيلانية التي فروعها كثيرة في القطر الشامي ومنها بنو الزعبي الكيلاني في طرابلس الشام وبنو الزعبي الكيلاني في حوران وهم هناك عشيرة كبيرة تبلغ بضعة عشر الف نسمة ومن الكيلانية جماعة في نابلس كان منهم السيد وجيه الكيلاني الذي ارسلته الدولة العثمانية بناء على طلب حكومة اميركا مرشداً لمسلمي جزائر الفيليبين ثم أصابته علة توفي بها بعد رجوعه من تلك الديار وكان صديقاً لي رحمه الله وطالما حدثني عن مسلمي الفيليبين وعما هم فيه من الجهل والافتقار إلى الارشاد · وأما السادة الكيلانية في حماه فإن بيتهم الكريم أشهر من أن يذكر ولا يزال فيهم رؤساء تزدان بهم مدينة حماه من قديم الزمان وواسطة عقدهم اليوم هو السيد عبد القادر حسني الكيلاني صديقي ورفيقي في مجلس النواب العثماني ومن اماثل الرجال المعدودين في سورية كلها ·

استقلالي وآثار قلمية وشهرة علمية وأدبية أشعرتني بأنني مستعد لاستزادة من العلم والاختبار لا أجدهما في وطني وأنني قادر على خدمة ديني وأمتي بما لا تبيحه سياسة الحكومة في بلادي فعزمت على الاتصال بالسيد جمال الدين لتكميل نفسي بالحكمة والجهاد في خدمة الملة كما صرحت به في الكتاب الذي أرسلته اليه وهو في الاستانة فلما توفاه الله تعالى اليه واشتهر أن السياسة الحميدية هي التي قضت عليه[1] ضاقت عليّ المملكة العثمانية بما رحبت وعزمت على الهجرة الى مصر لما فيها من حرية العمل واللسان والقلم ومن مناهل العلم العذبة الموارد ومن طرق النشر الكثيرة المصادر وكان أعظم ما أرجوه من الاستفادة في مصر الوقوف على ما استفاده الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة وخطة الإصلاح التي استفادها من صحبة السيد جمال الدين وأن أعمل معه وبارشاده في هذا الجو الحر.

ولما يسر الله لي اسباب السفر ورضي لي به الوالدان رحمهما الله تعالى ورضي عنهما كتمت الخبر حتى لا يبلغ رجال الحكومة في طرابلس فأعطيت كل ما أريد حمله من متاع لفرح أفندي انطون الاديب المشهور في طرابلس للاتفاق على أن نسافر معاً في باخرة واحدة ومنه شهادات

---

(١) قد ترجمنا السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني ترجمة وافية في حاضر العالم الاسلامي وفيها كيفية مرضه وموته رحمه الله وعولنا في خبره على أوثق المصادر وعلى ترجمته بقلم كبير تلاميذه الشيخ محمد عبده وعلى ما عرفناه نحن منه شخصياً. فمن شاء فليراجع تلك الترجمة في حاضر العالم الاسلامي أو فليراجع ترجمة الشيخ محمد عبده للافغاني المصدرة بها رسالة السيد جمال الدين في الرد على الدهريين.

العلماء لي بالعالمية والإذن بالتدريس التي تعفيني من الخدمة العسكرية مع شهادات الامتحانات الرسمية . وذهبت الى بيروت منفرداً فأخذت منها جواز السفر إذ كان (ناظر النفوس) فيها صديقي الاستاذ الشيخ صالح الرافعي وهو رئيس هذه المصلحة ولم أكاشف بهذا السفر في بيروت غيره الا الامير شكيب أرسلان وعبد القادر افندي القباني الشهير صاحب جريدة ثمرات الفنون أقدم الجرائد الاسلامية في سورية وكان صديق الاستاذ الامام منذ كان منفياً في بيروت و كانت جريدته ثمرات الفنون هي التي تنشر آراءه وافكاره ومقالاته كما بينته في الجزء الاول والثاني من (تاريخ الاستاذ ألامام) . وقد اتفق الثلاثة على ان والي بيروت اذا علم بأنني أريد السفر الى مصر فإنه يمنعني منه فأوصاني كل واحد منهم أن اكتم الخبر .

وعرض عليّ عبد القادر أفندي القباني أن أقيم في بيروت واتولى رئاسة التحرير لجريدته إذ أخبرته بعزمي على انشاء صحيفة اصلاحية في مصر فقلت له إن الحرية التي في بيروت لا تسعني فقال : أوتريد ان تنتقد جلالة السلطان عبد الحميد أو تخوض في سياسته ؟ قلت إنما اريد إصلاح الأخلاق والاجتماع والتربية والتعليم . قال : ان لك أوسع الحرية في هذا . قلت : إذا أردت أن اكتب في فضيلة الصدق ومضار الكذب ومفاسده فابين ان أكبر أسباب فشو الكذب في الامم الحكم الاستبدادي أتنشر لي ذلك جريدتكم ؟ قال : لا لا . عجّل بالذهاب الى مصر ولا تخبر أحداً . وهذا الرجل لا يزال حياً . وكان هذا في أوائل رجب سنة ١٣١٥هـ الموافق سنة ١٨٩٧م .

ولما حضرت الباخرة التي نزل فيها رفيقي فرح أفندي من ميناء طرابلس الى بيروت نزلت اليها في زورق مع الاستاذ الشيخ صالح الرافعي ناظر النفوس وليس شيء معنا يدل على إرادتي السفر . وقد تساءل رجال الشحنة (البوليس) الذين يفتشون المسافرين عني فقيل لهم هذا ضيف طرابلسي عند ناظر النفوس . ولما استقرت قدمي في الباخرة تنفست الصعداء وحمدت الله تعالى أن منّ عليّ بالخروج من تلك البلاد وأنجاني من ذلك الوباء . وقد اتصلت بالاستاذ الامام من أول يوم طلعت عليّ فيه شمس القاهرة وكان من أمرنا في التعاون على إصلاح الازهر ما أجملته في مقدمة هذا الكتاب وفصلته في تاريخه تفصيلاً .

فعلم مما تقدم انني جئت مصر مستعداً لهذا الاصلاح كأنني خُلقت وتعلمت وربيت لاجله وكان أول ما علق بذهني من تقصير علماء الدين وحاجتهم الى الاصلاح ما قرأته في كتاب الاحياء للغزالي من التفرقة بين علماء الدنيا الذين يلقبهم بعلماء السوء وعلماء الآخرة . وشرهم الذين يتقربون الى الملوك والامراء . وبين العلوم المحمودة والعلوم المذمومة . ثم ما استفدته من شيخنا الجسر من حاجة علماء الدين الى معرفة علوم العصر وعدم إمكان الدفاع عن عقائد الاسلام وشريعته بدون ذلك — ثم ما استفدته من جريدة العروة الوثقى من توقف نهضة الاسلام ودفع دول الاستعمار عن ملكه واستعادة ما سلبوه منه — على نهضة علماء المسلمين بالدعوة الى ذلك ثم ما استفدته من كتب التاريخ القديم والحديث ولا سيما الحكيم ابن خلدون وتاريخ جودت باشا الوزير التركي الشهير واستفدت اختباراً كثيراً وعلماً بحالة هذا العصر من مذاكراتي لأدباء النصارى الاحرار ولدعاة الدين (المبشرين) التابعين لجمعية الولايات المتحدة الاميركية والاطلاع

على كتبهم وجرائدهم ومن مطالعة مجلتي المقتطف والطبيب منذ طلب العلم ولا أزال أطالع المقتطف ما وجدت له فراغاً ٠

ثم كان ما استفدته بعد ذلك من الاستاذ الامام وغيره ومن معرفة الأزهر بنفسي مادة عظيمة لما أقصده من إنشاء المنار ولا أزال أزداد علماً واختباراً في كل يوم أستعين بهما على خدمتي للازهر وسعيي لاصلاحه في كل وقت بما يناسبه وإني لأراه في هذا العهد أشد حاجة الى الاصلاح منه في كل وقت ٠

الحاجة الى هذه الترجمة

هذه خلاصة ترجمتي في نشأتي وتربيتي وتعليمي وتصوفي التي أعدني الله تعالى بها لانشاء المنار وللتصدي للاصلاح الاسلامي العام حكيت بعض ما تذكرته منها حكاية تاريخية ساذجة ولم يكن يخطر ببالي أن أكتب شيئاً منها قبل الشروع فيها للسبب العارض الذي ذكرته ولا أن أطيل فيها عشر هذه الإطالة ٠ ثم تذكرت انها من مادة تاريخ الاصلاح الاسلامي في هذا العصر لانني بفضل الله قد صرت من رجاله الذين لهم فيهم اثر قد يذكره مؤرخوه ويبحثون في أسبابه من جميع نواحيها فلا يجدون في قرية القلمون حيث ولدت ونشأت ولا في طرابلس حيث تعلمت احداً يرويها لهم فقد كاد ينقرض الجيل الذي يعرفها فيهما وأعلم الاحياء بها عمي السيد محمد كامل العابد الزاهد القدوة وهو من شهداء الله على خلقه ولم يكتب من تاريخ بيتنا شيئاً ولا يطوف بنفسه طائف الشعور بالحاجة الى هذه الكتابة ٠ ولو وجد داعيتها قبل شيخوخته لكان قادراً عليها وقد ذكرت فيما سبق أشهر أسماء من بقي من العارفين بها وممن فاتني ذكره منهم

صديقي العلامة الفقيه الشاعر الادبب الشيخ اسماعيل الحافظ وقد كان صديقي السيد عبد الحميد الزهراوي نادرة الزمان كتب مقالاً في وصف نشأتي ونشره في بعض الصحف لا أدري أيها: الجريدة أم المؤيد أم الحضارة؟ وكان من زهدي المعيب في نفسي أنني لم أحفظ نسخة منها ·

وأما سيرتي الشخصية والاجتماعية في مصر فيعرفها مجملةً او متفرقةً كثير من أصدقائي وتلاميذي وان أعلمهم بها وبسيرتي السياسية الاسلامية والعربية والمنزلية ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم لأنه يعيش معي من زهاء ربع قرن · على أنني كنت وما زلت أكتم اكثر أعمالي التي يمكن كتمانها وقد كتبت قليلاً من المذكرات فضاع بعضها ويمكنني كتابة سفر كبير من أعمالي السياسية وحدها ·

ولكن المذكرات والوثائق الخاصة بجماعة الدعوة والإرشاد ومدرستها محفوظة كلها ما كان منها في الاستانة وما كان في مصر وفي كل منهما عبر للمسلمين في وزرائهم وأمرائهم وغيرهم · وفي مجلدات المنار وتاريخ الاستاذ الامام مادة غزيرة لهذه الترجمة ·

وقد طلبت مني احدى الجمعيات العلمية في شيكاغو ترجمة حياتي غير مرة فلم أكتبها لها زاهداً في الشهرة · وألف أحد علماء الاميركان المستشرقين اللاهوتيين [1] كتاباً باللغة الانكليزية موضوعه «الاسلام وروح العصر بمصر» (Islam and modernism in Egypt) جعل فصوله الاولى في ترجمة حكيمينا الامامين المصلحين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ

---

(١) هو المستر تشارلس ادمس الدكتور في الفلسفة واللاهوت بالارسالية الاميركانية بالقاهرة · (هذه الحاشية في الاصل)

محمد عبده المصري اقتبس أكثر مادتها من مجموعة مجلدات المنار يليها فصلان في ترجمة صاحب المنار وفي خطة المنار نفسه ترجم لي بعضها بالعربية فرأيته يتحرى فيه الصدق في التاريخ وهو قد قدمه الى مدرسته التي تخرج فيها فنال به شهادة علم اللاهوت الذي صار به داعية للنصرانية على مذهبه البروتستانتي وقلما عرفت أحداً من هؤلاء المبشرين يتحرى الصدق.

أهم ما في هذه الترجمة من العبر

إنني أذكر قارئ هذه الخلاصة من طلاب العلوم الدينية والميالين الى الاصلاح الاسلامي بمسائل مجملة منها عسى أن ينتفع بها المستعد لها ولهذا أقتصر على الكسبي منها دون الوراثي والوهبي وان كان بعض ما يكتسب عادة بارشاد المربي والمعلم أو بفهم المتعلم قد كان عندي أشبه بالوهبي الالهامي إذ لم يعن والدي ولا غيره من اساتذتي بتوجيهي الى وجهة معينة في العلم ولا في العمل ولا الاستعداد للمستقبل. وقد تذكرت في هذه الدقيقة كلمة لمستر متشل إنس الذي كان وكيلاً للمالية بمصر وكان هو الرجل الوحيد الذي عاشرته وكثر اجتماعي به ومذاكرتي له من الانكليز في مصر. وكان الاستاذ الامام هو الذي عقد صلة التعارف بيننا لأسباب ظهرت لي بعد وبينت بعضها في تاريخ الاستاذ الامام. وكان هذا الرجل من أشد الانكليز بل الناس استقلالا في فكره وحرية في رأيه، وهو لا يزال حيًا في بلاده، وقد قال كلمته هذه بعد طول الخبرة والبحث معي في المسائل السياسية والدينية ورأى مني ما لم يعهده في مصر من الحرية والاستقلال والشجاعة وعزة النفس وهي: يظهر ان والدك قد عني عناية خاصة بتربيتك وتعليمك فوق ما هو معهود ومعروف في الشرق... وقد

نقلت عنه في المنار انه صارحني ثلاث مرات بانه اذا كان الاسلام ما أمثله انا والشيخ محمد عبده فهو مسلم .

والحق أنني لا اعرف شيئاً من عناية والدي الخاصة بي الا ما ذكرت من كراهته لاقامتي في طرابلس لطلب العلم قبل بلوغي سن الرشد وثقته التامة من ديانتي وأخلاقي خشية ان تعبث بي معاشرة اهل الهزل والمجون في المدينة (البندر) وليست هذه المنة بقليلة فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وهذا ما اريد الاعتبار به مما ذكرته في هذه الترجمة تحدثاً بالنعمة وتذكيراً بمواضع العبرة :

اهم الفوائد والعبر

لطلاب العلم الديني من هذه الترجمة

١ — طول المكث فى المدارس ضار

كتب لي استاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر في شهادة العالمية أو (اجازة التدريس) انني طلبت العلم عنده ثماني سنين تلقيت فيها المنقول والمعقول الخ (وكنت في هذه المدة اتلقى عن غيره ايضاً) والعبرة في هذا ان طول مدة التلقي والأخذ عن المعلمين لعلوم وفنون قليلة كالعربية والشرعية تضعف في الطالب ملكة الحكم والاستقلال في العلم وتحصر علمه فيما يسمع ويقرأ حتى لا يكاد يجد غيره فيما يقرر أو يملي أو يصنف أو يفتي ومن كان هذا كل علمه فلا علم له وإنما هو ينقل ما عند غيره : علماً كان أو ظناً ، حقاً أو باطلاً ، خطأ أو صواباً .

وقد قال لي الاستاذ الامام عند ما عرضت عليه أن يكون الشيخ عبد

العزيز جاويش من اخواننا خواص مريديه بعد عودته من اوربة : أي العلوم حصل في انكلترة ؟ قلت لما أسأله عن ذلك لقرب العهد بعودته ولكنه ذكي فصيح ذو همة وغيرة قال : سله عن مدة إقامته في الازهر قبل دخول مدرسة دار العلوم فإن كانت طويلة تزيد على بضع سنين فاعلم انه قد فقد قوة الاستعداد للعلم وانه لم يحصل شيئاً يعتد به ٠

٢ — النية وصحة القصد وتوجه الارادة

قال نبي الرحمة ومعلم الكتاب والحكمة : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » وان لصحة القصد وتوجه الارادة الى الامر أعظم التأثير في النجاح والفوز ولا شيء أنفع لطالب العلوم الدينية من الاخلاص لله تعالى فيها وقصد تزكية نفسه وتثقيفها بمعرفته الصحيحة وعبادته المشروعة ثم تعليم الناس وهدايتهم وأن يكون قدوة لهم في الحق والخير وتدبر ما علمنا الله تعالى من دعائه بقوله : (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) ٠ وقوله :(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) ٠ وان بين هذه الفتنة بتنفير الكفار عن الاسلام والامامة للمتقين فيه — لدرجات بعيدة في الايمان والصلاح ودركات في الكفر والضلال ٠

لما اشتغلت بطلب العلم في طرابلس وعرفت الاستاذ العلامة الشيخ محمد ابراهيم الحسيني وكان عائداً من الازهر وصحبته بالتبع لصحبة صديقنا المرحوم الشيخ محمد كامل الرافعي — كما تقدم في الترجمة — قال لي مرة : إنني بعد أن أتم مطالعة أعلى كتب الاصول والكلام والبلاغة سأذهب إلى الاستانة وأقرأ درساً في جامع السلطان أحمد ٠ وذكر ما يتوقع لهذا الدرس من حسن التأثير والشهرة وما يعقبه من الفوائد ٠ فقلت له مامعناه:

انه خير لك أن تنوي بقراءة هذه الكتب التقرب الى الله تعالى والاستعداد لخدمة دينه ونفع عباده وان منافع العلم بالجاه والمال قد تأتي تابعة لذلك ولا يصح أن تكون متبوعة له ولا مقصودة لذاتها . ثم رجع الاستاذ عن ذلك الرأي بعد أطوار مرت عليه كما تمر على أمثاله من كبار الاذكياء..

ان الذين اشتغلوا بعلوم الدين بقصد إصلاح أنفسهم واصلاح غيرهم في كل جيل كانت الدنيا أشد انقياداً لهم ممن طلبوها بالدين وعلومه ولكن أكثر أولئك قد زهدوا فيها وآثروا ما عند الله تعالى على جاهها ومالها . ولقد قال لي شيخنا الاستاذ الامام انني لولا قصد التوسل بدخول الحكومة المصرية الى التمكن من اصلاح الازهر لأبيت قبول أي وظيفة فيها . وقال لي : لو كنت أريد أن اكون غنياً لكنت من اكبر الاغنياء . فليعتبر طلاب العلم في الازهر وغيره ممن يقصدون الجاه أو الثروة بتاريخ الاستاذ الامام وعاقبة امره وما رفع الله من ذكره وبغيره ممن لا غرض لهم من علم الدين إلا غرض هذا الادنى ليروا كيف كان قدوةً صالحة في حياته وبعد مماته وانهم سيرون وسوف يرون من سوء سيرة تجار الدين ان بعض الفقر خير من الثراء وان من الخمول والخفاء ما هو اشرف من الشهرة والجاه وان العاقبة للمتقين والخزي والسوء على المنافقين (ولتعلمن نبأه بعد حين).

٣ – الاستقلال والتقليد في طلب العلم

أنصح لكل طالب علم ان يتوخى الاستقلال بفهم ما يلقنه من مسائل العلم ثم الاقتناع بما يفهمه وان لا يكتفي بفهم استاذه للعبارة دون فهمه هو ولا باقتناع أستاذه بان ما فهمه هو الحق في نفسه اذا لم يقتنع هو بذلك

فالعلم بعبارة المعلم أو المؤلف غير العلم بمعناها والعلم بصحة المعنى مرتبة فوق مرتبة فهم معنى العبارة وفوقهما مرتبة العبرة الباعثة على العمل بالعلم والإخلاص فيها . ولن تكون عالماً بالشيء نفسه الا اذا كنت مقتنعاً واثقاً به ولا يحصل هذا في غير البديهيات إلا بالاستدلال وقد يقع التقليد بالدليل كما يقع باصل المطلب فاحذر هذا .

واعلم أيها الطالب المسلم ان ما يسمى بالاجتهاد في جميع ابواب الفقه هو مرتبة عالية من مراتب العلم الاستقلالي بالاحكام الشرعية سواء أريد به الاجتهاد المطلق أو الاجتهاد في مذهب واحد . وما أنصح لك به من الاستقلال في فهم كل ما تلقنه والاقتناع بصحته دون ذلك هو أدنى مراتب العلم ، هو ما لا تكون ذا علم صحيح في أي علم من العلوم أو فن من الفنون بدونه ، هو ما لا ترتقي عن دركة الجهل المطلق او الجهل التقليدي مع فقده . فانت محتاج الى الاستقلال في كل علم تطلبه وكل مرتبة من مراتبه فلا تقلد من قالوا ان بعض العلوم قد احاط به العلماء الأولون علماً فليس على من بعدهم الا أن يقلدهم في كل ما دونوه فيه بغير بحث ولا محاولة تمحيص ولا تحقيق .

إنما الاحاطة بالعلم من صفات الله الخاصة به وقد أمر الله رسوله خاتم النبيين بطلب المزيد من العلم بقوله (وقل رب زدني علما) فكل ما كتبه البشر وكل ما يكتبونه ما كان ولن يكون إلا ناقصاً قابلاً للكمال ولا أستثني من ذلك علوم الحديث في الجرح والتعديل ونقد الرجال وأجهل الجهل بالشيء ما كان قابلاً للاحتمال .

٤ - آية العلم الصحيح النافع

العلم الصحيح ما كان صفة للنفس ، والعلم النافع ما كان باعثاً على العمل الصالح ، والعمل الصالح ما صلحت به نفس العامل وكانت قدوة حسنة لكل من عرفها ، وآية ذلك كله شعورها بجهلها ونقصها وبحاجتها الى الاستزادة من العلم والاستفادة من كل شيء والى المزيد من الادب وتثقيف العقل وتزكية النفس ولا أحفظ عن أئمتنا في هذا المعنى أبلغ من بيتين للإمام الشافعي (رض) هما أدل على علمه وفضله من مجلد يؤلف في مناقبه وهما عين الحق فلا تحسب أنه قالها من باب التواضع قال :

كلما أدبني الدهـــر أراني نقص عقلي
وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي

٥ - آيات تزكية النفس الروحانية

قال الله تعالى : (وفي الارض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون) . وقال عز وجل : (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) الآية . وقال تبارك اسمه : (الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) الآية . فمن لم يرَ في نفسه شيئاً من آيات ربه ومن لم يتألق في قلبه شعاع من نور ربه فاسلامه صوري ورائي وإيمانه تسليم ظني أو جدلي . وهاتان الثمرتان للدين لا تؤتيهما شجرة الايمان الطيبة الثابتة الاصل الباسقة الفرع الا بمجاهدة النفس (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) مع كثرة الذكر بالقلب واللسان له . وأجمعه تدبر كتابه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيرا وسبحوه

بكرة وأصيلا) . (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما) .

ولكن الذين يدعون هذه الآيات في أنفسهم كثيرون وتراهم في ظلمات لا يبصرون يضلون الجاهلين بخرافاتهم ويأكلون اموالهم بالباطل ولا يستفيد احد منهم علماً نافعاً ولا هدى رافعاً وانما الاسلام علم وهدى فلا تغتر بدعوى حي ولا ميت ولا بشهرته ولا بخوارق العادات الصورية ولا المعنوية له واعتبر بما أفشيته لك على خلاف عادتي من تجاربي واختباري في بدايتي ومنه ان بعض الامور الروحانية التي تثمرها رياضة التصوف قد تكون فتنة تعقب صاحبها ضلالة وان بعض الانوار التي تتراءى لبعضهم خيالات شيطانية وأن المكاشفات التي تحصل لهم كلها خواص نفسية هي كغيرها مما يكشفه العلم من السنن المادية والانوار الكهربائية فمن لم يزدد بها علماً وعرفاناً ، وهدى وايماناً ، كانت ضلالاً له وطغياناً . وأعني بالايمان اليقين بعالم الغيب وبالهدى الاعتصام بعروة الشرع فمن لم يؤت نصيباً من ذلك كان عرضةً : إما للشك المادي واما للتقليد الخرافي فلا تنكر الخواص الروحانية اليوم خاضعاً للافكار المادية الافرنجية — وهي من مفاسدهم بشهادة أعلم فلاسفتهم — ثم تعود غداً فتقلدهم باثباتها إذا انتصر المؤمنون بها على جاحديها فانهم قد شرعوا في البحث عنها بوسائل العلم العصري وقد آمن الالوف منهم بمبادئها ولما يصلوا الى غايات صوفيتنا فيها ولو طلبوها من طريقهم لوصلوا الى ما انتهوا اليه أو لسبقوهم فيه وسيسلكون كل طريق له فانهم ما شرعوا في شيء وتركوه وأبعد الفروق بين الفريقين ان هؤلاء شاكون مجربون وأن أولئك مؤمنون

يطلبون أعلى مقام في العرفان وهو معرفة الخالق بآياته في الانفس والآفاق وتجلي انواره فيما له من الاسماء والصفات ·

إني ليسوءني أن يزورني بعض علمائهم من الشعوب المختلفة ليذاكروني فيما وصل اليه علمي واختباري منها وأن يجعلني بعض جماعاتهم عضو شرف[1] فيها ثم لا أجد احداً من المسلمين يسألني عن شيء من هذا حتى الذين يرجعون إليّ في التفسير والحديث والعقائد وحكم الشريعة وقد كان هذا من أسباب ما كتبته في المسئلة · وأهم منه التمهيد لما أريد كتابته في مسئلة استحضار الارواح · وأنتقل بعد هذه المقدمات الى تلخيص الشواهد على خدمتي للأزهر وما كان لها من التأثير :

أثارة من تاريخ دعوة المنار
(الى إصلاح الازهر)

كان المنار هو الصحيفة الدورية الوحيدة التي عنيت بالدعوة الى اصلاح الازهر وتجديد العلم وهداية الدين فيه وما يحتاج اليه في هذا العصر من العلوم والفنون التي نهض بها الاستاذ الأمام قولاً وفعلاً وأيدناه بها كتابة وحجة وكان جمهور علمائه يتبرم بهذه الدعوة لعجزهم عن القيام بها لا لعدم حاجة الازهر اليها حتى إذا ما اضطروا الى العمل بكل ما دعوناهم اليه في هذا العهد اضطراراً واكرهوا على الاستعانة بخريجي المدارس الاميرية على ذلك إكراهاً كان ذلك اعترافاً عملياً بعجزهم ولو أجابوا الدعوة وقبلوا

---

(١) هي جمعية العلوم الروحانية والابحاث النفسية بمملكة رومانية العظمى كما جاء في خطابها اليّ في اول يناير سنة ١٩٣٣ ·(حاشية في الاصل).

النصيحة أولا لتخرج فيه بعد البدء بها كثير منهم ولتسنى لهم أن يقوموا بتعليم الكليات الجامعي بأنفسهم ولكان ذلك خيراً لهم وللازهر والاسلام من هذا التفرنج الخطر الذي نخشاه الان ولما كان جزاء المنار على إرشادهم أن سبّوه وشتموه في أول صحيفة رسمية أنشئت للازهر بل لحمدوه وشكرواله سعيه ولكن كانت هذه العقوبة للمنار أمنية لأشد خريجي الازهر مقتاً لدعوته الاصلاحية في الباطن ومدحاً لها في أول عهدها في الظاهر حتى اذا تولى تنفيذ الدعوة على غير وجهها شرع في عقوبة الداعي اليها فخذله الله عز وجل ونصر المنار عليه نصراً مبيناً كما فصلناه في القسم الاول من هذا الكتاب تفصيلاً .

تأثير المنار في العالم الاسلامي

لقد شهد اهل البصيرة من الافرنج كما شهد خواص المسلمين بما كان للمنار من التأثير الاصلاحي والانقلاب العظيم في العالم الاسلامي ودونوها في بعض صحفهم وتصانيفهم ونشير الى ذلك بعد مقدمة وجيزة فنقول :

لرجال الانقلاب العام وسيلتان : اما الثورة التي تصخ بصيحتها المسامع وتهيج الساكن الوادع فتكون كالريح الصرصر العاتية لا تخفى من امر داعيتها خافية وهي خطة حكيمنا الاول السيد جمال الدين وإما الدعوة الهادئة بالحجج الناهضة وهي أولج في المسامع وأجول في المجامع ولكنها بطيئة السير خفية التأثير في أول الامر وهي خطة حكيمنا الثاني الشيخ محمد عبده التي جرينا عليها في المنار وقد شرحت كلاً منهما في سيرة الحكيمين من « تاريخ الاستاذ الامام » والامة لا تأخذ من الخطتين الا بقدر استعدادها الخلقي والعقلي والاجتماعي وقد جمع القرآن الحكيم والرسول

الكريم بينهما بما أعد الله به الامة العربية للثورة وسائر الامم لقبول الدعوة كما فصلت ذلك في كتاب (الوحي المحمدي).

الثورة أسرع تأثيراً وأظهر وقد يكون إثمها العاجل اكبر من نفعها الآجل إذا كانت الامة غير مستعدة للبناء عقب الهدم . والدعوة اللينة اسلم عاقبة وقد يخفى اسم دعاتها وتأثيرها حتى على الذين ينتفعون بدعوتهم ويعملون بها ولا سيما الذين يتلقونها عن تلاميذهم الذين لا يروونها عنهم وعمن أشربتها قلوبهم بانتشارها واشتهارها والاقتناع بها مع عدم الشعور بمصدرها .

قد استفاد من دروس حكيمينا المصلحين ومجالسها خلق كثير واقتبسوا من حكمتها ما يزينون به خطبهم وكتبهم ويقل منهم من يروي ذلك عنهما أو يعزو معناه اليهما كدأب كثير من المصنفين مع من قبلها . واما صاحب المنار فانه يروي كل ما سمعه بلفظه أو بمعناه وكذا ما فهمه واستنبطه منه ولذلك يقول الكثيرون وكتب بعضهم في الصحف انه لولا صاحب المنار لضاع اكثر علم الشيخ محمد عبده وحكمته وجهل إصلاحه وتاريخه .

ووقع لنا مثل هذا بعينه مع الذين استفادوا من المنار وتفسيره ما انفرد به من رواية ورأي وما حققه من حكمة وحكم . ومنهم كثيرون من علماء الازهر الذين يعتمدون على تفسيره في دروسهم ومحاضراتهم ورسائلهم ومقالاتهم في المجلات بل منهم من ينقل منه المباحث الطويلة بلفظها ولا يعزوها اليه . وقد اعتذر عن بعض فضلائهم من يحسنون الظن بهم بأنهم يخافون انتقام الشيخ الظواهري رئيسهم اذا عُرفوا عنده بذلك .

بيد ان ما يخفى على دهماء الشعوب لا يخفى على زعمائها وما يسكت عنه الوطني قد ينطق به الاجنبي فقد علمت من بعض رجال هولندة من تأثير المنار في جزائر الهند الشرقية الخاضعة لدولته ما لم أسمعه من أحد من مسلمي تلك البلاد الاندونيسيين الاصليين ولا العرب المستوطنين لها وقد رأينا عدة كتب للافرنج في ذلك .

وقرأت في هذه الايام في كتاب (وجهة الاسلام) الذي كتبه جماعة من مستشرقي الدول المستعمرة شهادات لهم في تأثير كثير من رجال الاسلام في أمتهم تأثيراً مختلفاً في النفع والضر كحكيمينا وغيرهم (وسنقرظه في المنار) ومن ذلك تأثير المنار في العالم الاسلامي كله وفي بلاد شمالي افريقية الفرنسية واندونيسية منها قول كاتب هولندي ما نص ترجمته العربية :

شهادة مستشرق هولندي بتأثير المنار

« ولم يشرق (منار) القاهرة على المصريين وحدهم ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وفي خارجها وعلى مسلمي ارخبيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الازهرية أو في مكة وعلى الاندونومي المنعزل الذي ظل محافظاً على علاقاته بقلب العالم الاسلامي بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الاسلام : هؤلاء جميعاً رأوا الاسلام على نور جديد لم يروا فيه مثالاً للتشدد والجمود ورأوه لا يزال الدين المختار بين الاديان وحامل المثل العليا لكل زمان مضى والمثل الجديدة لكل زمان آت وهو شاب متجدد الشباب حامل لواء كل تقدم ، شديد في تسامح ورفق وأصبح الذين اقتبسوا من نور (المنار) في مصر (منارات) صغرى في اندونيسية بعد ان عادوا اليها » اهـ من الترجمة العربية للاستاذ محمد عبد الهادي ابو ريدة .

تاريخ علاقتي مع السيد رشيد رحمه الله

الذي أتذكره انه في سنة ١٣١٣ ه وفق سنة ١٨٩٥م قيل لي في بيروت ان شاباً اديباً من طرابلس الشام يسأل عنك ويهمه الاجتماع بك فلم أعلم من ذلك الشاب الاديب وما مضت ايام حتى جاءني وكنت نازلاً في فندق ببيروت يقال له « كوكب الشرق » فرأيت شاباً مربياً ظاهرة عليه سيماء النجابة والاصالة وضيء الطلعة وقور المجلس غالباً عليه الادب وحب العلم. علمت منه انه قصد ملاقاتي من قبل ولم يوفق وأنه كان مولعاً بقراءة ديواني المسمى « بالباكورة » الذي نشرته عندما كنت في السابعة عشرة من عمري وذلك سنة ١٨٨٧ المسيحية ورأيت هذا الشاب يحفظ كثيراً من أبيات ديواني هذا. ولكن ظهر لي ان اعجابه بديواني مع افتتانه به لم يكن شيئاً بالقياس الى اعجابه باتصالي بالشيخ محمد عبده وبالسيد جمال الدين الافغاني اللذين كان يقصد لقائي لاجل أن أحدثه عنهما وأروي له من اخبارهما . وكنت أنظر الى وجهه عندما أبدأ بالكلام عنهما فأراه يشرق نوراً ويطفح سروراً وكأنه يصير كله آذاناً واعية واسماعاً صاغية يريد أن يحفظ عنهما حتى الحرف والحركة ويفضي الي بما في نفسه من حب التعرف اليهما وبالجملة فكنت أقرأ على وجه هذا الشاب سورة النور واتفرس فيه منتهى الخير وأعتقد انه سيكون في يوم من الايام عظيماً وكنت أرى المثل الاعلى في نظره كلاً من الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الافغاني وقد علمت أن اسمه هو « محمد رشيد

رضا » من قرية القلمون من عمل طرابلس الشام وانه من بيت مجد وفضل وتقوى وانهم هم مشايخ تلك القرية ٠

ثم اننا تلاقينا مرة ثانية ثم مرة ثالثة وهي التي جاءني فيها قاصدا السفر الى مصر وذلك كما قال في أوائل رجب سنة ١٣١٥ الموافقة سنة ١٨٩٧ وفي هذه المرة ايضاً كنت نازلاً في فندق كوكب الشرق فتناول السيد رشيد طعام الغداء عندي ودعوت له الاستاذ الشيخ سعيد الشرتوني صاحب « أقرب الموارد » وكان من أعز أصدقائي ومن أخلص المخلصين لي ولعائلتي آل رسلان وجلسنا نتحدث ثلاثاً أو أربع ساعات من ذلك النهار وقرأت لهما إحدى مقالاتي في جريدة الاهرام عن سياحة لي في صرود لبنان ٠ وبعد أن انصرف الشرتوني امر إلي الشيخ رشيد قضية سفره الى مصر وأوصاني بكتمان الخبر لانه يجوز ان الحكومة في حال معرفتها بالخبر أن تمنع الشيخ رشيداً من السفر فقد كنا في عصر السلطان عبد الحميد لا نقدر على السياحة إلى الخارج الا باذن وكان هذا الإذن متعذراً كثيراً ٠ ولما أقيم معرض باريز سنة ١٩٠٠ حاولت السفر اليه فلم أستطع ذلك فكان للسيد رشيد حق وقد اجمع الرحلة إلى مصر أن يستر حركته هذه الى أن يكون قد دخل في الحدود المصرية ٠ وأظن أن الشيخ رشيد أخبرني وقتئذ بما دار من الحديث بينه وبين السيد عبد القادر القباني صاحب جريدة « ثمرات الفنون » وهذا الرجل توفاه الله بعد أن ذرّف على التسعين ٠ وقد سمعت انه بقي حتى حين وفاته حافظاً قواه العقلية متمتعاً بصحة نادرة فيمن بلغ هذا السن وقد عرفته منذ كنت في العاشرة من العمر ٠ ولما أكملت تحصيلي للعلم و كنت قد

بلغت السابعة عشرة كنت أسمر في بيت المرحوم الحاج محيي الدين حماده في بيروت فيكون هناك الشيخ محمد عبده والسيد عبد القادر القباني وجماعة لا يتخلفون عن السمر في ذلك البيت المشهور بكرم الوفادة وكنت حريصاً على سماع أحاديث الاستاذ الامام وهكذا عرفت السيد القباني منذ خمسين سنة تامة وعرفت فيه العقل والنبالة وعلو الهمة والحزم وأصالة الرأي والحمية الاسلامية وأول جريدة اسلامية في سورية هي جريدته «ثمرات الفنون» التي كان هو المؤسس لها وكان يكتبها بمساعدة العلامة الشهير الشيخ ابراهيم الاحدب .

وبعد أن وصل الشيخ رشيد الى مصر أصدر مجلته المنار وبعث بها إليّ وسننشر في مكان آخر أول مقالة له في مجلة المنار يعلم منها القراء كيف بدأ الشيخ رشيد جهاده فيكون عمر المنار نحواً من سبع وثلاثين سنة وكان السيد رشيد يكتب اليّ من مصر من وقت الى آخر ويرى فيّ أخاً وفياً حفياً مشاركاً له في مبادبه وأفكاره ولو لم يكن بيننا من رابطة سوى كوننا نحن الاثنين من مريدي الاستاذ الامام لكان ذلك كافياً . ولا أحفظ المراسلات التي كانت تدور بيننا في هذا الدور الاول من صداقتنا بما سطا على أوراقي من الضياع وإنما أحفظ المراسلات الكثيرة التي دارت بيننا بعد أن أقمت باوربة وسيأتي الأكثر منها في محله . ثم انه لم يمض على المنار إلا مدة وجيزة حتى اشتهر واستجلب النظر وأخذت مقالاته ترن في الآفاق وصار مرجعاً في الفتيا ولا سيما في تطبيق النوازل العصرية والاحداث الجديدة على الشريعة الاسلامية . وكان المنار منذ ظهوره لسان حال المصلح الاكبر الشيخ محمد عبده . وكان الاستاذ الامام بكثرة شواغله

المتعددة والمتنوعة لا يقدر أن يتولى بنفسه ابراز جميع افكاره الى القراء فكان السيد رشيد هو الترجمان الاول لافكاره لا يسمع منه نغبة الا أودعها مناره ببيان أنيق وأسلوب رشيق . فكأن السيد رشيد كان متمماً للشيخ محمد عبده بكل ذاك ما فات هذا وكأنهما روح واحدة . وقد حدثني السيد رشيد ان الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان الذي كان والشيخ محمد عبده كالاخوين أنفس على السيد رشيد مكانه من الشيخ محمد فصار يترقب الفرصة للوقيعة به وإقصائه عن الشيخ فغضب الشيخ محمد عبده وبعث الى الشيخ عبد الكريم يقول له : اني لا أقبل منك ان تغتاب الشيخ رشيد رضا وانك ان لم تكف عنه هجرتك ولو بعد صداقة أربعين سنة . ومن هنا يعلم الانسان مقدار حرمة الشيخ الامام لتلميذه السيد رشيد واعتقاده بفائدته لهذه الامة .

هذا ولما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وجاء عهد الحرية جاء السيد رشيد لزيارة وطنه ورأيته في بيروت واجتمعت معه طويلاً في نادي الاتحاد والترقي بتلك البلدة وكذلك جاء مرة أو مرتين فسمر عند عمي الامير مصطفى ارسلان فكنت هناك فجرت بيننا أحاديث ذكر بعضها في المنار وذهب من بعدها الى دمشق وهناك ألقى درساً في الجامع الاموي يتعلق بالعقيدة ذهب الشيخ صالح الشريف التونسي ـ وكان حاضراً ذلك الدرس ـ الى ان فيه تعرضاً للاولياء وانه شيء من الوهابية ! وتكلم الشيخ صالح بحدة فمال الجمهور ممن يقال لهم الحشوية الى كلام الشيخ صالح كما أن اصحاب النزعة الجديدة والدستوريين مالوا الى كلام الشيخ رشيد وحصلت ضجة عظيمة في الجامع واتصلت بالحكومة فاستدعت الشيخ

صالح الى دائرة البوليس واستنطقته بحجة انه اعتدى على الشيخ رشيد وانه كفره فشاع في دمشق تلك الليلة أن الشيخ صالح التونسي اعتقل وأوجب ذلك هياج العامة فاجتمعوا الوفا وجاؤوا لتخليص الشيخ صالح من السجن والحقيقة انه لم يكن سجن وإنما استنطقوه بحجة انه هو الذي تعرض للشيخ رشيد فلما رأى الوالي هذه الحالة وخاف الهرج والمرج ركب العربة وأجلس الشيخ صالح بجانبه حتى سكن هيجان الجمهور ولم احضر أنا تلك الواقعة ولكنني سمعت خبرها . ثم علمت أن السيد رشيد رضا ذهب بعد إعلان الدستور بمدة الى الاستانة وسعى لدى رجال الاتحاد والترقي في تأسيس مدرسة باسم دار الدعوة والارشاد وهو المشروع الذي قام به في مصر بعد أن أخفق فيه بالاستانة فيظهر ان الاتحاديين بذلوا له المواعيد في البداية ولكن ماطلوه في إنجازها حتى قضى في الاستانة سنة تامة ولم يفز بشيء فضجر وخرج من الاستانة عائداً الى مصر معتقداً انه لا يرجى شيء من الخير للعرب من جمعية الاتحاد والترقي وصار عدواً لها ينتقد سياستها في كل فرصة .

ولما ذهبت الى طرابلس الغرب مجاهداً سنة ١٩١١ مررت بمصر وكنت أجتمع بالسيد رشيد كثيراً وأزوره في بيته وصادفت عنده ضيفاً كريماً هو الشريف علي بن عمر ابن عم الشريف حسين أمير مكة . ومن ذلك الوقت جرت صداقة بيني وبين الشريف المشار اليه . وكان السيد رشيد لعهد الاستاذ الامام قد شمله غضب الخديوي عباس حلمي لاجل غضب الخديوي على الشيخ محمد عبده فلما مضى الشيخ الى ربه عاد الخديوي فرضي على السيد رشيد وعندما مررت انا بمصر كان السيد رشيد رضا

من المقربين عند الخديوي كما كان من المقربين ايضاً عنده الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد . فبدا للخديوي وقتئذٍ ان يزهدني في الذهاب الى الجهاد في طرابلس لانه كان عنده مشروعات اخرى سياسية يظن انه يقدر أن يدخلني فيها فاعتذرت له عن قبول أمره وقلت له اني قاصد الى الجهاد في طرابلس وما خرجت من بيتي في جبل لبنان إلا بهذه النية فلا بد لي من إتمامها بالعمل فتكلم الخديوي مع كل من السيد رشيد والشيخ علي يوسف لعلهما يتمكنان من تحويلي عن تلك الفكرة فتكلما معي فوجدا أن لا سبيل الى ذلك فعندها قطع الخديوي أمله من استبقائي في مصر واستدعاني قبل السفر حيث جلس اليّ ساعة من الزمن وتكرم فحاول إعطائي مبلغاً من المال بحجة اني ذاهب الى جهاد يحتاج فيه مثلي الى الانفاق فاعتذرت لسموه عن قبول أي شيء منه قائلاً له على سبيل الاعتذار : انني لست في حاجة الى شيء وانني متى رأيت الحاجة ماسة فاني لا أتردد طرفة عين عن استمداد سموه وأبدى وأعاد كثيراً فبقيت مصراً على الاعتذار وذلك أمام احمد بك العريس البيروتي ومحمد بك عثمان المصري من حاشية الجناب العالي . ثم ذهبت الى برقة وأقمت زهاء ثمانية أشهر في معسكر عين منصور فوق درنة ثم في معسكر بني غازي ولما كنت في عين منصور تلاقيت مع الشيخ صالح التونسي رحمه الله وكنت أقضي أكثر ساعات نهاري في مجالسته وكنت أراه يمقت آراء السيد رشيد في الدين وأجتهد في تعديل أفكاره من جهته فكان مصراً على سوء ظنه به وباستاذه الشيخ محمد عبده ، وعلمت منه انه لما مر الشيخ محمد بتونس حصل بينهما جدال شديد . ومن غريب ما سمعت من الشيخ صالح مما يدل على شدة نفوره من الشيخ رشيد انني مرة كنت أقرأ في

مجلة المنار فظهر الغضب على وجهه وقال لي إن فيها كثيراً من الضلالات وأحياناً من الكفر والعياذ بالله ! ثم قال انه نسي عدداً من المنار في خيمته فكان أن طلعت عليه الشمس ذلك اليوم قبل أن صلى صلاة الفجر وإنما كان ذلك من شؤم المنار . فجاءني الضحك الشديد عند سماعي هذا الكلام وقلت : سبحان الله لا أرى عداوة أشد من عداوة العلماء وقطعت الامل من تعديل أفكار الشيخ صالح بحق الشيخ رشيد . ولما رجعت الى مصر رأيت الشيخ رشيد يعلم اني كنت كثير المجالسة في معسكر عين منصور للشيخ صالح التونسي وكأنه يعاتبني من أجل هذه الملازمة . فأجبته باننا كنا في برية لا يوجد فيها من أجالسه أحسن من الشيخ صالح واني كنت دائماً أدافع عن مباديه وأفكاره أمام خصمه . ولما اجتمعت مع الشيخ رشيد في جنيف حيث انا الآن وذلك سنة ١٩٢١ أي منذ ست عشرة سنة سألني رحمه الله عن كيفية وفاة الشيخ صالح فرويت له الخبر وكيف مرض في داڤوس حيث كان يعلم العربية والعقيدة أنجال الامير عمر طوسون. وداڤوس بلدة عالية ارتفاعها عن البحر ١٦٠٠ متر . وكان مع الشيخ صالح مرض في القلب لا يلائمه هذا الارتفاع فاشتدت به العلة وأشار عليه الاطباء بالنزول من داڤوس الى سواحل بحيرة ليمان فاخترنا له بلدة مونترو وكان فيها فؤاد باشا سليم الحجازي حفظه الله وحسين بك شيرين رحمه الله فكانا يتعهدانه كل يوم ثم جئت انا الثالث من (برن) ولازمته مدة شهر ونصف إلى أن فاضت روحه تغمده الله برحمته . فلما كنت أقص ذلك على المرحوم السيد رشيد اغرورقت عيناه بالدموع وقال لي : نعم جاءنا نعيه ونحن في الشام وتأثرنا والله كثيراً لفقده . لا شك ان الموت يذهب بالاحقاد كلها .

ثم انني برحت برقة سنة ١٩١٢ قاصداً الى الاستانة خوفاً من ان الحرب البلقانية التي كانت آذنت بالنشوب تصرف نظر الدولة عن مساعدة الطرابلسيين ولو سراً فنشبت حرب البلقان وانا في الاستانة وكلفتني جمعية الهلال الاحمر المصري أن أكون مفتشاً على بعثاتها لدى الدولة فبقيت عدة أشهر قائماً بهذه المهمة مع المرحومين محمد باشا الشربعي وكامل باشا جلال ثم استدعاني الخديوي الى مصر فلما وصلت اليها أرسل الي بواسطة السيد رشيد أن آتي اليه في سراي القبة فبحث السيد عني فوجدني عند مدحت بك سامي الذي كان رفيقي في برقة فجئت وقابلت الخديوي وأشار بقائي في مصر بقوله إنه ربما تجد حوادث خطيرة توجب وجودي مع اخواني الشيخ رشيد رضا والشيخ علي يوسف . الا أني أنا لم أكن موافقاً في تلك الازمة الشديدة على مناوأة الاتحاديين الذين كان في أيديهم زمام الدولة وحصلت بيني وبين فريد باشا الارناؤوطي الصدر الاعظم السابق في سراي عابدين مشادة شديدة من أجل الاتحاديين ووجوب الحملة عليهم في أثناء الحرب البلقانية وعدمه : إذ كنت ممن لا يجيز المضي في الاختلافات الداخلية الى ذلك الحد الاقصى حينما يكون البلقانيون على ابواب الاستانة عاصمة الاسلام . وكنت أرى وجوب المدنة بين الاحزاب في داخل السلطنة العثمانية ريثما ينعقد الصلح ويزول الخطر عن الدولة . وقد كان الجدال بيني وبين فريد باشا امام جمال الدين أفندي شيخ الاسلام السابق الذي كان يهدئ روع كل منا . وبلغ الخديوي خبر هذا الجدال العنيف من أجل الاتحاديين فأغضبه علي لانه كان يتربص بهم الدوائر . ولم يهمني هذا الامر لأنني ما تعودت أن أراعي كبيراً ولا صغيراً عندما أكون

مقتنعاً بقضية من القضايا . وكان السيد رشيد هو أيضاً في ذلك الوقت من أعداء الاتحاديين وقد جرّد قلمه في المنار وغيره لتعقب سقطاتهم وإظهار مساويهم . وكانت هذه الحالة معروفة عندي ولم أكن أتقاضى السيد الرجوع عن رأيه في قضية الاتحاديين لانه كان مقتنعاً مثلي بصحة مذهبه السياسي . وكانت المودة التي بيننا غالبة على ما بيننا من اختلاف النظر في هذه المسألة . وعلى كل حال لم نصل الى الوحشة . إلا انه في أثناء الازمة البلقانية شاع أن تركية وقد بلغ بها الجهد مبلغه أرادت ان تقترض من أسواق لندرة مبلغاً من المال لتتمكن به من متابعة الحرب صوناً لشرفها الذي انثلم بانهزامها أمام ممالك كانت الى عهد قريب من جملة ولاياتها . فانتهز هذه الفرصة بعض السوريين المقيمين بمصر المناهضين لتركية وللاتحاديين معاً فابرقوا إلى لندرة يقطعون الطريق على القرض الذي كانت الدولة العثمانية تريد عقده . فلما بلغني الخبر أنكرت هذا الامر وأكبرته وألقيت سؤالاً عن هذا الموضوع أقول فيه : ان العرب الذين يحاولون قطع مادة الرزق عن الدولة حينما تكون مضطرة إلى ميرة عساكرها ينبغي أن يعلموا أن في الجيش العثماني عشرات الوف من الجنود العرب فإن لم تأخذهم رأفة بالترك ولا بتركيا حال كونها دولة الخلافة الاسلامية فلتأخذهم بالأقل رأفة بابناء جلدتهم . نشرت هذا السؤال في جريدة (الشعب) بمصر وتركته غُفلاً من التوقيع حتى لا أكون اتهمت تلك الفئة بغير تثبت . فانبرى رفيق بك العظم رئيس تلك الفئة للجواب على هذا السؤال . وما اكتفى بإنكار الخبر حتى شفعه بقوله إنه سؤال يقصد به صاحبه الذي هو من التفعيين التزلف الى الاتراك بحق أو باطل .

فعند ذلك صرحت عن ذات نفسي وأجبت رفيق بك العظم الذي كان صديقي من قبل وكنت أجتمع به وبالسيد رشيد لمذاكرات لا يكون فيها أحد غيرنا نحن الثلاثة فقلت له : انني لا أتزلف الى احد وانه سيثبت المستقبل حقيقة الامر ويعلم الناس من هو المتزلف الى الترك بحق أو بباطل . ومن هم أولئك الذين يريدون توطئة مناكب البلاد للاحتلال الاجنبي . فهذا الجواب غاظ تلك الفئة وجعلها تنظر إليّ نظر المناوئ لمباديها حينما كانت تظن أن الدولة الانكليزية ستعضدها في مشروع تأسيس دولة عربية ! . وكان المرحوم المترجم يومئذ متحيزاً إلى الفئة التي نحن في صددها ولكنه لم يكن كغيره ممن يسترسل الى مواعيد الانكليز ويرى أن انقياد العرب لانكلترة هو عين المصلحة كيفما آل الامر بهم . ولبثت بعد هذه الحادثة أجتمع معه وأبادله الافكار لكن المودة بيننا كادت تتزعزع بسبب وجود كل منا في غير صف الآخر . وصادف أني يوم تناقشت مع فريد باشا في سراي عابدين أتيت الى ادارة المؤيد فوجدت الشيخ علي يوسف وعنده السيد رشيد رضا والسيد عبد الحميد الزهراوي وحنفي بك ناجي فبينما نحن نتحدث إذ وردت برقية معناها ان المانيـة خصصت ثلاثة مليارات لاجل النفقات الحربية فقال الشيخ علي يوسف : انني أشم رائحة الحرب . وخرجنا من هذا البحث إلى قضية الجهة التي ينبغي أن تكون فيها الدولة فيما إذا نشبت الحرب فقلت انا: ان الدول التي غلبت على العالم الاسلامي وأخنت على استقلال أكثره هن الدول المعاديات لالمانية . فقال الزهراوي : إذاً يجب ان نكون تحت حكم المانية ... فساءتني هذه الكلمة التي فيهـا تعريض بأني سائر على

مشرب الاتحاديين الذين كانت سياستهم اتباع المانية . فقلت له : بل يجب أن نكون تحت حكم انكلترة . . . اشارة الى ان ذلك الحزب من العرب جعلوا هذا قاعدة سياستهم . فوقع حينئذ الجدال ووصل الى أن الزهراوي عفا الله عنه قال : أين هي الدولة ؟ فقد ذهبت . فقلت له : إنها لم تذهب وأحد رجال انكلترة نفسها صرح مؤخراً بان أمامها مستقبلاً عظيماً ولكنكم أنتم لا تزالون ترجفون بها وتتفاءلون بسقوطها وتقولون هذا امام الاجانب والحال انكم تعلمون انه ليس لنا مائة دولة وانها إذا سقطت لا نجد من يسد مسدها . فقال الزهراوي : هبنا كتمنا هذا القول عن الاجانب أفلا يعرف هؤلاء الحقيقة ؟ ثم أخذت الحدة السيد رشيداً وكان رحمه الله سريع البادرة فقال لي : أنت دائماً تقول إننا نرجف بالدولة وتفتري علينا . وأراد ان يكمل فرددت تلك الكلمة عليه وقبل أن أكمل الجملة دخل الشيخ علي يوسف وحنفي بك ناجي بيننا وسكتنا كلاً من الفريقين . وهذه هي أول مرة اختلفت فيها مع المترجم . وقد تعمدت ذكر هذه الحادثة مع ما تقدمها من أسباب تلك الوحشة وذلك حتى لا يقول لي قائل : إنك تتكلم عن إخاء اربعين سنة مع السيد رشيد رضا والحال ان هذا الاخاء كان قد طرأ عليه ما طرأ . . . فأحببت أن أذكر كل شيء على مذهب السيد رشيد نفسه الذي كان لا يغادر صغيرة ولا كبيرة حتى يسجلها في رواياته . وقد فعلت مثل هذا يوم تأبيني للملك فيصل ابن الحسين رحمه الله فاني بعد أن سردت في سلسلة مقالات كيفية مرضه ووفاته في مدينة برن ونحن حوله وذكرت ما كان بيني وبينه من المودة وما كان يرجع فيه إلي رأيي في المسائل العربية وفي قضية الاتفاق

بينه وبين الملك ابن سعود وغيره ونشرت كثيراً من مناقبه لم أغفل عن ذكر ما فصل بيننا في أثناء الحرب العامة وكيف كان كل منا في واد · وانني مع ذلك كنت أعتقد إخلاصه في مذهبه السياسي وكان هو أيضاً يعتقد إخلاصي في مذهبي السياسي وطالما دافع عني في هذا الموضوع ورد كلام أعدائي الذين كانوا يتهمونني بأنني قاومت الحركة العربية تحيزاً الى الاتراك !!

ولما وضعت الحرب أوزارها وتبين الرشد من الغي وعرف العرب ان الانكليز غدروا بهم ازداد الملك فيصل اعتقاداً بي وعرف أني من أول الامر لم أعارض تلك الحركة الا خوفاً على العرب أنفسهم وحرصاً على الجامعة الاسلامية·

وكذلك السيد رشيد بالرغم مما وقع بيننا كان اعتقادي متيناً باخلاصه وانه لا يمكن أن يواطئ على الاسلام في كثير ولا قليل ولا في المنام وانه مع كراهيته للاتراك في آخر الامر كان يفضلهم على الانكليز من جهة كونهم مسلمين · على ان هذا المجلس الذي وقع بيننا عند الشيخ علي يوسف سنة ١٩١٢ فرق بيننا مدة تسع سنوات وان كان كل منا في ذات صدره بقي حريصاً على أخيه محباً ان يسمع عنه الاخبار السارة ·

وفي أثناء الحرب انقطعت العلاقات بين البلاد العثمانية ومصر كما لا يخفى الا انه كان يترامى الينا من وقت الى آخر أخبار عن مصر وما يعمل الانكليز فيها · فجاءنا في احدى المرات ان السيد رشيد هو من المغضوب عليهم عند الانكليز لانهم رغبوا اليه في بث الدعاية الانكليزية ببلاد العرب فلم يستطع أن يجيبهم علناً وأظهر شيئاً من الموافقة لهم على مقاصدهم على صورة أن يبث الدعوة لفصل العرب عن الترك · فوافقوه على ذلك الا

انهم فيما بعد قبضوا على كتب منه تتضمن التحذير من الانكليز أنفسهم في خبر طويل لا يسعه هذا المقام ... فقبضوا عليه وفكروا في نفيه الى مالطة في جملة من نفوهم وكادوا يفعلون الا انهم عادوا ففكروا ان نفي مثل الشيخ رشيد قد يقربه من الاتراك ويزيد الضرر بسياستهم فتركوه في مصر لكن تحت المراقبة الشديدة وسمعنا أيضاً خبر مجلس تداعى اليه بعض المشتغلين بالسياسة من السوريين المقيمين بالقاهرة من مسلمين ونصارى فتكلموا في برنامج يجب أن يوضع للعلاقات التي ينبغي ان تكون بين العرب وانكلترة فبينما هم في الاخذ والرد اذ بدرت من بعض الحاضرين كلمة قطيعة بحق الخلافة الاسلامية فنفر الشيخ رشيد بمجرد سماعها وخرج مغاضباً كما روى لي هو وغيره من حضور ذلك المجلس مما لا نريد الان الخوض في خبره ... والخلاصة ان السيد رشيداً لبث الى نهاية الحرب تحت مراقبة الانكليز ولم يكن كغيره من أعداء الاتراك محلاً لثقة الحكومة الانكليزية ولا ممن كانوا آلات في أيدي الانكليز يحركونهم كيف شاؤوا ...

ولما انتهت الحرب العامة جاء السيد رشيد الى طرابلس الشام وزار بلدته القلمون ومنها جاء الى بيروت وذهب الى دمشق وفي اثناء تأسيس الحكومة السورية العربية التي كان اميرها الملك فيصل بن الحسين انتخب السيد رشيد رئيساً للمؤتمر السوري الذي كان هو مجلس الامة السورية. وهذا دليل من أدلة كثيرة على مكانته العظيمة في نظر أهل بلاده كما انه كان من جملة أعضاء المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في مكة المكرمة منذ ثلاث عشرة سنة ثم انتخب من جملة أعضاء اللجنة التنفيذية بأعظم

مؤتمر اسلامي انعقد الى الآن وهو مؤتمر القدس الذي التأم مذ ست سنوات .

ولما دخل الجيش الافرنسي الى دمشق وقضى على الحكومة العربية السورية بعد اتفاق انعقد بين فرنسا وانكلترة نقضت فيه انكلترا عهدها مع العرب نقضاً جديداً وأباحت لفرنسا الاستيلاء على سوريا الداخلية بمقابلة ترك فرنسة دعواها على ولاية الموصل ، رجع الشيخ رشيد من الشام الى مصر وكان ذلك في سنة ١٩٢٠ المسيحية . ثم اننا فكرنا نحن السوريين والفلسطينيين في عقد مؤتمر باوروبة لأجل الاحتجاج على احتلال الفرنسيس لسورية والانكليز لفلسطين وتبادلنا الافكار في هذا الموضوع الى ان قرّ رأينا على عقد هذا المؤتمر في مدينة جنيف وكان للوجيه ميشال بك لطف الله في هذه القضية خدمة وطنية عظيمة لا تنكر ومأثرة عربية لا تجحد في هذا المشروع . فجاء الى جنيف ومعه عدة اشخاص من رجالات العرب من مسلمين ومسيحيين وكان السيد رشيد في مقدمتهم ووافيناهم يومئذ من برلين حيث كنا مقيمين فاجتمعنا في جنيف بضعة عشر شخصاً بهم تألف المؤتمر السوري الفلسطيني فانتخبنا ميشال بك لطف الله رئيساً والسيد رشيد نائباً أول للرئاسة والحاج توفيق حماد من اعيان فلسطين نائباً ثانياً وانتخب هذا الفقير ناموساً أول للمؤتمر والاستاذ توفيق اليازجي ناموساً ثانياً . واما بقية الاعضاء فكانوا من سورية احسان بك الجابري ورياض بك الصلح ونجيب بك شقير وسليمان بك كنعان . ومن فلسطين وهبي أفندي العيسى وشبلي أفندي الجمل وأمين بك التميمي ولحق بنا في الآخر قادماً من أميركا الجنوبية طعان بك العماد فانعقد المؤتمر

السوري الفلسطيني في شهر أغسطس سنة ١٩٢١ ووضع نداء للدول ولجمعية الامم بعد المذاكرات المستمرة والبحث والتدقيق . فكان هذا النداء هو حجر الزاوية في استقلال سوريا الذي عاد فتحقق بعد ست عشرة سنة من ذلك التاريخ . وسيكون أيضاً هو حجر الزاوية في تحرير فلسطين الذي لا بد أن تظفر به العروبة ظفراً تاماً مهما قام في وجهه من العقبات الاجنبية .
وقبيل انفضاض المؤتمر السوري الفلسطيني الذي اجتمع مدة شهرين انتخب هذا العاجز واحسان بك الجابري وسليمان بك كنعان وفداً يمثله في اوربة ولدى جمعية الامم . فاقمنا من ذلك اليوم في سويسرة لنكون على مقربة من هذه العصبة وبقينا ستة عشر عاماً نجاهد في سبيل تحرير اوطاننا لدى عصبة الامم وفي جميع العواصم الاوروبية وبعد ثلاث سنوات من عمل الوفد السوري الفلسطيني رجع سليمان بك كنعان الى وطنه لبنان فجاء رياض الصلح منضماً الينا وبقي نحواً من ثلاث سنوات معنا في الجهاد . ثم رجع ايضاً الى سوريا وبقيت انا واحسان بك الجابري قائمين بهذه الخدمة الى هذه الساعة . وعندما انعقد الاتفاق الاخير في السنة المنصرمة بيننا وبين فرنسة وتألفت الحكومة الوطنية في دمشق أردنا جمع ما تقدم منا في الست عشرة سنة المذكورة من النداءات والمذكرات والاحتجاجات الى جمعية الامم وما وجهناه من المخاطبات الى رجال الدول فوجدنا ذلك يقع في خمسة عشر الى عشرين مجلداً مما تتعذر النفقة اللازمة لاجل طبعه . فقررنا إهداء هذه الوثائق كلها الى نظارة الخارجية السورية .

ثم أعود الى سيرة السيد رشيد وعلاقاتي الشخصية معه فأقول : انه لما ظهر ما ظهر من نكث الانكليز بالعهود التي قطعوها للعرب في ايام الحرب

وعلم هؤلاء أن الذين كانوا يحذرونهم من مكايد الانكليز وينذرونهم بسوء المصير اذا استمعوا لهم ، وفي مقدمة هؤلاء كاتب هذه السطور لم يكونوا خائنين للقضية العربية ولا كان مقصدهم ممالأة الاتراك على قومهم كما كان يزعم بعض سماسرة الاجانب . فأخذ كثيرون يتذكرون كلامي الذي كنت انادي به بكرةً واصيلاً قائلا للعرب : انكم ستندمون على مخالفة من وثقتم به ... وسيطلع الفجر على كل ذي عينين . وصارت ترد إليّ الرسائل من اناس كثيرين من العرب الذين كانوا يسيؤون الظن بي وينحون على سياستي وقد أذعنوا فيها باني كنت على صراط مستقيم واني كنت الوحيد الذي تكهن بحقيقة المصير وحققت الايام كلامه . وكتبت انا بعد الحرب مقالات في الصحف في هذا الموضوع كان توقيعي فيها «عربي صميم لم ينخدع من القديم» وكان كثير من العرب الذين احترقت أكبادهم من نكث الانكليز بما عاهدوا عليه العرب وظهرت لهم كالشمس في رائعة النهار سياسة انكلترة الصهيونية يقولون : إي والله ما انخدع هذا الرجل من القديم وكأنه كان يقرأ في ظهر الغيب . وجاءني مرة كتاب من أحد اخواني في دمشق يشير الى هذا المعنى وكان يخشى المراقبة على البريد فلم يزد على أن قال : الجميع يتذكرونكم وينشدون قولكم : سيعلم قومي الخ . وهذه الجملة لها حكاية .

فقد كان صديقي هذا يشير الى بيت من الشعر قلته من قصيدة في صلاح الدين الايوبي وكنت تلوت هذه القصيدة في الاستانة بين يدي تمثيل رواية صلاح الدين التي قام بتمثيلها شبان المنتدى العربي فبعد ان ذكرت زحف الغرب على الشرق وقيام الشرق في وجه الغرب وبينت ان

هذا الاعتداء من الغرب على الشرق دأب قديم وان الحاضر ليس بحادث جديد • وإنما هو راجع الى اصل ، ونازع الى عرق • قلت الابيات التالية :

فيا وطني لا تترك الحزم لحظة   بعصر أحيطت بالزحام مناهله
وكن يقظاً لا تستنِمْ لمكيدةٍ   ولا لكلام يشبه الحق باطله
تذكَّر قديم الامر تعلم حديثه   فكل أخير قد تممَّتهُ أوائله
وكيدٍ على الاتراك قبل مصوبٍ   ولكن لصيد الامتين حبائله
إذا غالت الجُلّى أخاك فانه   لقد غالك الامر الذي هو غائله
فليست بغير الاتحاد وسيلة   لمن عاف ان تُغشى عليه منازله
وليس لنا غير الهلال مظلة   ينالُ لديها العز من هو آمله
ولو لم يفدنا عبرةً خطب غيرنا   لهان ولكن عندنا من نسائله
سيعلم قومي أنني لا أغشّهم   ومهما استطال الليل فالصبح واصله

وقد كان السيد رشيد في طليعة من تذكرني وبدأ وهو في الشام بتكليف بعض من يراسلني باهدائي سلامه فأجبت بالمثل فعاد وكتب إليّ رأساً يقول لي ما معناه : إنه مضى الذي مضى وصار علينا أن نجتمع ونتفق لأجل معالجة الحال الحاضرة • وقد كان هذا دأب كثير من المخلصين الذين قاوموا سياستي قبل الحرب وفي أثنائها وكانت مقاومتهم عن عقيدة واقتناع • فلما انجلى الغبار ، وانكشفت الاسرار ، وعرفوا أني ما تكهنت إلاّ بما وقع عادوا فوضعوا أيديهم في يدي وعولوا عليّ • ومن هؤلاء الملك فيصل رحمه الله : فإنه ما سقط عن عرشه في دمشق حتى أرسل إليّ بمكاني من برلين رسالة تدلُّ على منتهى الثقة ومزيد الاعتقاد بإخلاصي للقضية العربية • وأفضى إليّ بأسرار لا يفضي بها إلى أعز الناس عليه • وبعد

ذلك بسنوات جاءني منه كتاب هو عندي يقول لي فيه : أشهد بانك أول من تكلم معي من العرب في قضية الوحدة العربية ·

فإذا كان هذا مبلغ ثقة فيصل بي بالرغم مما شجر بيني وبينه في أثناء الحرب فما ظنك بالسيد رشيد الذي كنت أمتّ اليه وكان يمتّ إليّ بأواصر روحية لا توجد بيني وبين شخص آخر من العرب · فقد كان رجوعنا الى الاخاء القديم أمراً طبيعياً واستؤنفت بيننا المكاتبة · وكان أصل الفكرة بعقد المؤتمر السوري الفلسطيني في اوربة هو مني ومنه ووافق ذلك آراء أخواننا الآخرين وما لبثوا أن أقبلوا على جنيف ووافيتهم انا من برلين · وقد ذكرت في مقالات التأبين التي نشرتها عند فقد السيد رشيد قصة سياحته في سويسرة والمانية وأنا معه مما لا حاجة الى إعادته · ثم انني بعد إيابه الى مصر أرسلت اليه بمذكراتي عن ايام الحرب وما قمت به في سورية من خدمة أبناء وطني وتلطيف وبلائهم في تلك الايام العصيبة · وكنت قد رويت للشيخ رشيد جميع ذلك مشافهةً وأخبرته بخبر جمال باشا ومقاومتي له ومحاولتي ردعه عما أتاه من الأعمال التي أغضبت العرب وأضرت أبلغ الضرر بالدولة العثمانية · فأشار الشيخ بنشر ذلك في المنار بقوله إن هناك أعداء يقولون العكس · فبعثت اليه بسلسلة رسائل نشرها كلها في المنار وجعل لها مقدمة أفضى فيها بكل ما كان عنده من حسن الظن بي · وقد كانت هذه المذكرات أول ما كتبته بعد الحرب في هذا الموضوع ثم اقترح عليّ أناس في أميركة سنة ١٩٢٧ وأنا يومئذ هناك نشر ما أعرفه من ذلك الموضوع بحجة أنهم لم يطلعوا على المنار · فأمليت سلسلة مقالات نشرتها جريدة (مرآة الغرب) في نيويورك وكانت أوفى

وأتم تفصيلاً مما نُشر في المنار . ثم كتبت هذا التاريخ مرة ثالثة في ضمن ترجمة نفسي واستودعته مكتب المؤتمر الاسلامي في القدس بعد الاحتياط له بالتصديق والتسجيل وذلك حتى ينشر بعد وفاتي .

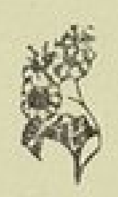
هذا ومن سنة ١٩٢١ الى السنة الفائتة نشرت في المنار مقالات كثيرة لا يسع هذا الكتاب إيرادها كلها ويجوز أن أنقل بعضها مما هو بسبيل من كتابنا هذا كما انني سأنشر أكثر رسائله الخاصة إليّ ، وقد كنت أدعوه كل سنة تقريباً أن يأتي الى سويسرة ويصطاف عندي تبديلاً للهواء وطلباً للاستجمام فكان يعتذر بكثرة شواغله . ولم أكن أرى في عصرنا هذا أصبر على الكتابة وأجلد على الشغل وأسيل قلماً وأسرع خاطراً من الشيخ رشيد : فلو وزّعنا ما كتبه بقلمه وبخط بنانه في حياته على خمسين كاتباً لأصاب كلاً منهم قسط يجدر بأن يجعله في صف المؤلفين العاملين . وقائل هذا القول الآن ليس ممن يأخذه العجب في هذا الموضوع لأدنى شيء بل هو معروف بأنه لا يضيع دقيقة واحدة من وقته وأنه يتلقى أكثر من الفي مكتوب في دور السنة فيجيب عليها كلها ويكتب زيادة عليها مائتين الى مائتين وخمسين مقالة في دور السنة وينشر من التآليف بضعة آلاف من الصفحات المطبوعة تأليفاً فلست إذاً لأغبط أحداً من الخلق على شأو بعيد في الجد ولا على محصول غزير من ثمرات الاقلام . ولكنني لا أدعي مباراة السيد رشيد في هذا الشأو فقد كان يكتب جميع ما يكتبه بخط أنامله ولم أعلم أنه استعمل كاتباً يملي عليه الا في ما ندر . والحال انني انا أصغر منه ببضع سنوات واني منذ عشر سنوات تقريباً أستعين بكتّاب أملي عليهم سواء الرسائل الاخوانية أو المقالات

السياسية أو العلمية . ومما أدهشني ان كتابه الاخير إليّ كان قبل وفاته بأيام قلائل وكان يشكو إليّ فيه المرض وهو أيضاً بخطه .

وفي سنة ١٣٤٧ هـ حججت بيت الله الحرام وكنت أرجو أن أمرّ بمصر القاهرة فمنعتني السلطة من الدخول الى مصر لاسباب ليس هنا محل ذكرها وكانوا يريدون أيضاً أن يمنعوني من النزول في بورت سعيد حتى ان شركة (هانزه) الالمانية عرضت عليّ أن أركب احدى بواخرها على ان تسير بي من بورت سعيد الى جدة ولو لم يكن من عادة بواخر هذه الشركة المرور بجدة ، إلاّ أن الحكومة المصرية في آخر الامر بسعي السيد رشيد وأحمد زكي باشا وغيرهما من الاخوان رضيت بان أبيت ليلة في بورت سعيد ومنها أذهب الى السويس ثاني يوم حيث أركب البحر الى جدة فلما أذنوا لي في النزول ببورت سعيد أقبل علينا الاخوان الجمّاء الغفير وفي مقدمتهم الاستاذ المترجم وبعد أن جلسوا عندنا عدة ساعات أرادوا الانصراف ومنهم من كانت تستدعي أشغاله سرعة الاياب الى القاهرة فلما تحرّك الاستاذ للانصراف قلت له : لا . من البحر الابيض الى البحر الاحمر لا يفارق أحدنا الآخر . فبقي معي الى أن ركبت البحر في السويس وكتب عن حجتي هذه فصلاً في المنار ثم اني في أوبتي من الحجاز حصلت على رخصة بالمرور بالسويس لأشاهد سيدتي الوالدة التي أتت من سورية لمشاهدتي ومعها ابن عمي الامير أمين مصطفى ارسلان فأقبل أيضاً جم من اخواننا الى السويس ومنهم من اقام يوماً ومنهم من أقام يومين ولكن السيد رشيداً بقي ملازماً لي مذ وطئت ميناء السويس إلى أن ركبت الباخرة من بورت سعيد . فأكون شاهدته مرتين بعد أن رجع من

أوربة إلى مصر وشاهدته أيضاً مرة ثالثة وهذه سنة ١٩٣٤ عندما قررت لجنة المؤتمر الاسلامي في القدس إرسال وفد مؤلف من الحاج امين الحسيني وهاشم بك الاتاسي ومحمد علي باشا علوبة وكاتب هذه السطور الى جزيرة العرب للإصلاح بين جلالة الملك ابن سعود وجلالة الإمام يحيى وقد امّل الشيخ رشيد في هذه النّوبة أن الحكومة المصرية تأذن لي في المرور بمصر وشرع في تهيئة دائرة خاصة بي في منزله بشارع الإنشاء ، فخاب هذا الامل هذه المرة أيضاً. وعندما جئت بالطيارة من برنديزي إلى الاسكندرية وجدت في استقبالي ماجوراً انكليزياً ومعه جماعة من الضباط وعلمت أنه لن يؤذن لأحد بمكالمتي ولا بمواجهتي إلى أن أكون ركبت الباخرة من بور سعيد فسرنا من الاسكندرية بالقطار الحديدي الى السويس وفي أثناء الطريق لا أعلم باية محطة وجدت السيد رشيد قد صعد إلى القطار وأقبل عليّ في العربة التي أنا جالس فيها . وكان الماجور الانكليزي يمنع كل إنسان من الاتصال بي وكاد يدخل في صراع مع السيد محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى الذي حاول مصافحتي بالرغم منه . فلما رأيت السيد رشيد امام باب العربة نهضت مسرعاً وقلت للماجور الانكليزي : لا بد لي من مصافحة هذا الامام الكبير ولك أن تفعل ما تشاء . فصافحته ورجعت الى مكاني ولكن لم يقع بيننا كلام وركب السيد في عربة أخرى من القطار . ثم اننا في الإسماعيلية قدم علينا اخواننا الحاج أمين الحسيني ومحمد علي باشا علوبة وهاشم بك الاتاسي وأرادوا أن يتصلوا بي فأبلغهم الماجور ان ذلك ممنوع بأمر الحكومة فقالوا له : نحن رفاق هذا الرجل في السفر إلى الحجاز ولا نقاس بغيرنا . فاجابهم

انه مأمور بمنعهم هم أيضاً من الاجتماع بي في أرض مصر إلى أن نكون صرنا في البحر فقضى الناس العجب من هذه الفلسفة ... وكنت خرجت من القطار لاجل إرسال برقية من محطة في الطريق فلما وقع عليّ بصر الشيخ رشيد قال لي هذه الكلمة بصوت عالٍ : لا عجب . وهذه آخر كلمة سمعتها من فمه قدّس الله روحه . وحاول في السويس أن يقابلني فلم يسمحوا له وإنما اجتمع برفاقي المشار اليهم وما زدت في السويس على أن شاهدته عن بعد وكانت هي النظرة الاخيرة وتفارقنا الفراق الذي لا لقاء بعده بالجسم وان كان مستمراً بالروح . ولم أكن أقطع الامل من مشاهدته في يوم من الايام ولكن الآجال طالما قضت على الآمال وليس في مكاره هذه الحياة أشد على المرء من مفارقة الاحباب لا سيما إذا كان فراقاً أبدياً . فيا لهول ما لقيت عندما جاءني نعي السيد رشيد إذ انا في جنيف ولا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم .



علاقة السيد رشيد بالشيخ محمد عبده

ملخصاً عن الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام

قال : لم يكن أحد يجهل في عهد الاستاذ الامام انني كنت معه في سني جهاده الاخير كما كان هو مع السيد جمال الدين في مصر وباريس وكنت معه كما قال هو للاستاذ الشيخ محمد شاكر « ترجمان أفكاره » وكنت مستودع أسراره والداعية له والمدافع عنه في كل معركة من معارك جهاده أكتب بشأنها في المنار ما يليق بعلاقتي به وفي الجرائد اليومية ما يكتبه من لا يعنيه إلا إظهار الحق والمصلحة وفوق ذلك اننا كنا على اتفاق في العقيدة والرأي في جميع ما ينشره المنار الا مسائل الدولة العثمانية وسلطانها فإنها من السياسة التي كان يبغضها[1] وقد سرت الشواهد على ذلك في عدة مواضع : من أهمها سعي سمو الخديو للتفريق بيننا ومن قول الاستاذ أبي شادي بك : اننا رجل واحد . فوجب ان أبسط في هذا التاريخ بدء هذه العلاقة وما انتهت اليه ووضعتها هنا لان عملي في الاصلاح والتجديد متمم لعمله كما كان عمله متمماً لعمل السيد

---

(١) كان الشيخ محمد عبده مع معرفته بما كان من الخلل في ادارة الدولة العثمانية لا يكره هذه الدولة بل كان يحب بقاءها ويهتم باصلاحها والشيخ رشيد نفسه نقل عنه انه قال له عن الدولة العثمانية انها سياج في الجملة . وقد سمعته انا مرة يقول : يتهمني بعضهم باني ضد الدولة العثمانية وكيف يعقل أن أكون ضدها وأنا أعلم انها اذا زالت في هذا الوقت يبقى المسلمون كالأيتام .

جمال الدين من الوجهة الدينية والمدنية وكان عمل سعد باشا زغلول في جمع كلمة الشعب المصري متمماً لعملهما من بعض نواحيها السياسية.

ولقد قال له صديقه القديم محمود سامي باشا البارودي في أول تلاقيهما بعد عودة الباشا من منفاه في جزيرة سيلان الهندية: ان السيد جمال الدين قد ترك لنا فقمت بالاصلاح بعده خير قيام واني خائف ان تنقطع السلسلة بعدك فبشرني هل عندك أحد ترجو ان يتصل به سير الاصلاح؟ قال نعم عندي شاب سوري يقوم بذلك وسأرسله اليك لتتعارفا. أخبرني الاستاذ الامام نفسه بهذا وأرسلني الى الباشا لنتعارف فتعارفنا وتآلفنا وكان رحمه الله أشد الناس عشقاً للمنار حتى كان يطلب ما طبع من كل جزء منه قبل ان يتم طبعه.

ذكرت في ترجمة السيد جمال الدين من هذا الكتاب (ص ٨٤) خبر عشقي له وكتابي اليه بالرغبة في صحبته لتلقي الحكمة منه وان سبب عشقه وعشق الاستاذ الامام هو قراءة جريدتهما (العروة الوثقى) وان ذلك كان سنة ١٣١٠ هـ اذ كنت أطلب العلم في طرابلس الشام ثم بينت ما كان من تأثير «العروة» في نفسي في فصل عقدته للكلام على تأثيرها في العالم الاسلامي (ص ٣٠٣) ثم ذكرت لقائي للاستاذ أول مرة في طرابلس الشام بعد عودته من اوروبة وما كان من إكباري له وإعجابي بكلامه (ص ٣٩٠) وما كان ذلك الا ساعة أو سويعة من الزمان.

وقد لقيته مرة ثانية في طرابلس إذ كان جاء سورية مصطافاً وكان يصحبه أحمد فتحي بك زغلول من خواص مريديه (وكان رئيس نيابة الاسكندرية) فدعاه كبير عشائر لواء طرابلس محمد باشا المحمد المرعبي

الشهير الى ضيافته في مزارعه الواسعة في عكار فأجاب ورأى من حفاوة هذا الامير ما لم يره في مكان : من ذلك ان الاستاذ الامام كان في بعلبك على ما أذكر ولم يعين الطريق التي يسلكها الى بلد الباشا التي ينتظره فيها من عكار فأرسل الباشا الى كل طريق من الطرق الموصلة الى بلده (برقايل) كوكبة من الفرسان ممتطية جيادها العربية مشرعة رماحها الخطية فصادفته إحداها فجاءت في خدمته . ثم كانت الاخريات تعود تترى كلما وصلت واحدة منها قالت : يا سعادة الباشا ما وجدنا للضيف أثراً . وكان الاستاذ الامام في مدة وجوده في عكار متنقلاً بين مزارع الباشا وقراه يركب معه ومع آله وعشيرته فرساً من هذه الجياد العربية تتوقل به الجبال وتهبط الاودية وتسبح في السهول وقد دعا الباشا لاجله أشهر علماء طرابلس ليأنس بهم .

وكنت في طرابلس أتنسم أخبار عودته كل يوم فوصل اليها ليلاً ونزل في دار صديقه الاستاذ عبد العزيز افندي سلطان [1] الذي كان مدرساً للقانون في المدرسة السلطانية ببيروت أيام كان الاستاذ مدرساً فيها ذهبت في الصباح لزيارته فقيل لي انه ذهب لحمام عز الدين فجئت الحمام وانتظرت في محل الجلوس الخارجي ريثما يخرج وكان في انتظاره بعض العلماء فخرج قبله أحمد فتحي بك زغلول فعرّفه بي الاستاذ الشيخ خير الدين الميقاتي وذكر له حبي للاستاذ وللسيد جمال الدين وتشيعي لهما وكان

(١) كان المرحوم عبد العزيز أفندي سلطان من أعز إخواني وكان من أمثل أدباء سورية وأشدهم ذكاء ولكن لم يكن حظه بقدر عقله وتوفي في دمشق وهو رئيس لمحكمة التجارة فيها .

مما قاله إنه أبلغ كاتب عندنا ولا يعدله استاذاً في الانشاء الا الشيخ محمد عبده وهو لم يلقه فقال له فتحي بك: كذلك عندنا الكتّاب المجيدون في مصر كلهم يعترفون بانه لا أستاذ لهم في الانشاء الا الاستاذ أو السيد جمال الدين. ثم خرج الاستاذ فسلمت عليه وقد تذكر تلاقينا تلك السويعة منذ بضع سنين وكنت ألازمه مدة وجوده في طرابلس من أول النهار الى وقت النوم وكان في مجالس التنزه في حديقة التل وفي السمر ليلاً لا تلقاه الا مسؤولا فكان سبعة اعشار الحديث له أو أكثر.

ولكن محمد باشا المحمد اضطره الى سؤاله والسماع لحديثه في أيام ضيافته له إذ ذُكرت أنساب العرب فكان الباشا يذكر اتصال قبائل هذا العصر بالقبائل المدونة في الكتب كتاريخ ابن خلدون وغيره وكان للباشا باع طويل في ذلك[1] فكان الاستاذ يسأله التفصيل ويعجب بأجوبته.

وقد أطرى في بعض مجالسه الشيخ أحمد فارس الشدياق في اللغة والانشاء فقلت له: أين هو من أسلوب العروة الوثقى الرفيع ووضعكم لفرائد اللغة الطريفة في مواضعها منها؟ قال تلك ألفاظ نديرها اما الشيخ أحمد فارس فهو إمام في اللغة. وأما أسلوبه في الكتابة فغريب قلما فطن له الادباء:

---

(١) كان محمد باشا المحمد المرعبي بقية من بقي من امراء سورية الكبار على ما كانوا عليه من علو الهمة والنبالة والكرم وحسن الضيافة وقد عرفته في بيروت إذ جاءها مرة وذلك اذ كنت في ريعان شبابي وكان له ميل الى التاريخ وعلمت انه قرأ كتابي «آخر بني سراج وخلاصة تاريخ الاندلس» مرتين وكانت وفاته في الحجاز حاجاً وقد تجاوز سن الثمانين. هذا وبين عائلتنا والعائلة المرعبية صداقة قديمة يتذكرها كل فريق من العائلتين وكان محمد باشا المحمد يحدثني عنها.

ذلك انه خدم الدولة الانكليزية في الاستانة عشرين سنة بما كان يعتقد جميع قراء جريدته « الجوائب » انه خدمة للدولة فقط إذ أقنع مسلمي الهند بل العالم الاسلامي كله ان هذه الدولة صديقة للسلطان ودولته ونصيرة لهما . وقد عجبنا من تفضيله لأحمد فارس على نفسه في الانشاء وهو أبلغ منه .

وكان مما سألته عنه إسلام مسلمي ليفربول من بلاد الانكليز : أهو إسلام صحيح أم سياسي ؟ قال السياسة لا تأتي من العامة وهؤلاء من العامة . وقد تعارفنا في هذه المرة وكان كلما كتب الى عبد العزيز سلطان يسلم عليّ .

وكان مما أعجبني من كلامه وكله حكم كالدرر انه لما أراد السفر من طرابلس الى مصر طفق العلماء والوجهاء يلحون عليه راجين أن يطيل إقامته عندهم اسبوعاً على الاقل فقال إذاً نصل بعد انتهاء الاجازة بأيام . قلت له : وهل في هذا تبعة أو مسؤولية ؟ قال نعم نحتاج إلى الاعتذار الى ناظر الحقانية فتذكرت حديث : « إياك وكل أمر يعتذر منه » . رواه الضياء المقدسي في أحاديثه المختارة عن انس مرفوعاً الى النبي (ص) .

ولما قضى السيد جمال الدين نحبه بالاستانة في شوال سنة ١٣١٤ هـ (مارس ١٨٩٦ م) أجمعت الرأي على الهجرة الى مصر للاتصال بوارث علمه وحكمته الاستاذ الامام لتلقي الحكمة منه والوقوف على رأيه ونتائج اختباره في الاصلاح الاسلامي . وكنت قد نلت من شيوخي شهادة التدريس (العالمية) فطفقت أمهد السبيل لارضاء والدي بهذا السفر حتى رضي . وأما

الوالدة فكانت توافقني على كل ما أقول لها ان فيه فائدة لي (رضي الله عنها) .

(الى ان قال) : وسافرت من طنطا يوم السبت ٢٣ رجب الى القاهرة قبل الظهر . وفي ضحوة يوم الاحد ذهبت الى زيارة الاستاذ الامام بداره في الناصرية ومعي صديقي الاستاذ الشيخ اسماعيل الحافظ ورفيقي الشيخ ابو النهى القاوقجي فلما بلغناها أرسلت اليه بطاقة الزيارة فما لبث أن نزل وفي يده وطفق بعد السلام يسألني عن أصحابه في طرابلس : الاستاذ الشيخ حسين الجسر ودروسه وجريدة طرابلس التي ينشر فيها مقالاته والشيخ عبدالله البركة والشيخ عبدالله المسقاوي وعبد العزيز أفندي سلطان ومحمد باشا المحمد .

ثم قلت له ان غرضي الاول من الهجرة الى مصر تلقي الحكمة عنه وانني أعتقد انه بقية رجاء المسلمين وانه موجه غايته لاصلاح الازهر . فتكلم في مسألة الازهر ومسألة الزام الخديو توفيق باشا إياه ان يكون قاضياً في المحاكم الاهلية بما نشرته في اول الكلام على عمله في إصلاح الازهر . ثم تكلم في مسئلة السياسة بما نقلته عنه في موضوع رأيه في السياسة . ثم قال ان المسلمين في يأس من كل خير ونجاح الا إياي فان لي املاً كاملاً ويوجد رجل آخر في مصر له نصف أمل . وقد علمت بعد ذلك ان هذا الرجل هو صديقه الشيخ عبد الكريم سلمان .

(الى ان قال) : قلت له انني مررت بطنطا فرأيت في مسجد السيد البدوي ما لم ارَ مثله من الطواف بقفص القبر وطلب الحوائج منه ... فذكر لي ان احد وجهاء المصريين كان عنده في اثناء مولد السيدة

زينب من هذا الشهر (رجب) مع جماعة آخرين فقام الوجيه وقال انه ذاهب لزيارة السيدة (قال) فقلت له : لمَ خصصت الزيارة بهذا اليوم ؟ قال لأنه يوم المولد — وان هذه الليلة هي الليلة الكبيرة ٠

« قلت : ما هذا المولد ؟ أنا لا أفهم معنى لهذا اللفظ هل يوم المولد أو الليلة الكبيرة من لياليه عبارة عن ليلة تخرج السيدة فيها للقاء الزائرين ؟ قال : ونهيته عن الذهاب فلم ينثنه وهمّ بالخروج ٠ فقلت له : إنني لست مازحاً وإنما أتكلم الجد وأقول ان هذا العمل من أعمال الوثنيين وإن الاسلام يأباه ٠ كل آيات القرآن في التوحيد تنهى عن هذا وتذمه ٠ ان الفاتحة التي تقرؤونها كل يوم في صلاتكم مراراً تنهاكم عن هذا العمل — تخاطبون الله تعالى فيها بقوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) كذباً فإنكم تستعينون غيره وتعبدون غيره ثم ان عملكم هذا متناقض حيث تهدون الفاتحة الى من تزورونه إذ معناه انه محتاج اليكم وينتفع بفاتحتكم ثم تطلبون منه قضاء حوائجكم » ٠٠ الخ ٠

ثم كنت أختلف الى داره بإذنه فيقابلني في حجرة النوم والمطالعة والكتابة كما يقابل بعض خواص أصحابه أحياناً وأما سائر الناس فكان يقابلهم في حجرة الاستقبال من الدور الاسفل ٠ وقد نشرت بعض ما دار بيني وبينه في بيان آرائه آنفاً ٠ وكان عند الانصراف بعد كل لقاء يذكر لي مواعيده في اليوم التالي والوقت الذي يمكن أن يلقاني فيه بالدار وهو كل وقت يكون فيها ٠

كثر اجتماعي به قبل اصدار المنار وكنت أكتب خلاصة ما يدور بيننا من المذاكرة وكله في المسائل الاصلاحية التي هاجرت لاجل الاشتغال

بها والوقوف على منتهى علمه ورأيه فيها ولم نكن نختلف الا في مسائل قليلة بنتهي البحث فيها بالاتفاق كمسألة البابية والبهائية التي شرحتها في الكلام على آرائه وسيأتي غيرها ٠

استشارني اياه في انشاء جريدة

لئن كان الغرض الاول الباعث لي على الهجرة الى مصر هو صحبة الاستاذ الامام كما تقدم فقد اقترن به عند إجالة قدح الفكر فيه باعث آخر وهو انشاء صحيفة اصلاحية أستمد من حكمته واختباره فيما أكتبه فيها اذ آن لي أن أكون مفيداً كما أكون مستفيداً ٠ وقد جربت نفسي في الكتابة بتأليف كتاب (الحكمة الشرعية) فكان كل من سمع شيئاً منه في تحقيق المسائل الاصلاحية الدينية والاجتماعية والمدنية من أهل العلم والفهم يبالغ في الثناء على إنشائه والاستقلال في تحرير مباحثه ٠

(الى ان قال) : وجملة القول انني كنت عزمت على انشاء الجريدة قبل السفر وعقدت مع رجل آخر اتفاقاً عليه ورأيت أن أختبر حال البلاد وأعرف رأي الاستاذ الامام فيه ولم أكاشفه بذلك الى ما بعد سياحة قصيرة في الوجه البحري قبل دخول القاهرة وسياحة أقصر في الوجه القبلي بعده ٠ وكان قد ذم جرائد مصر أمامي وقال إنها قليلة الفائدة لعدم وجود أحزاب تنطق بلسانها وتكون هي داعية لها ٠

زرته في سادس شعبان (سنة ١٣١٥ هـ) ٠ تلك الزيارة الطويلة التي كان من حديثنا فيها مسألة الصوفية والبهائية التي شرحناها في الكلام على آرائه فكان أول حديثه معي ان زائراً بيروتياً من بيت الانسي أخبره أن

جماعة جاؤوا من طرابلس الشام لإنشاء جريدة في مصر فقال له : وهل رأوا الجرائد هنا قليلة ؟

حينئذٍ قلت له : انه يعنيني وقد جاءني أنا من طرابلس ان والي بيروت بلغه انني جئت من مصر لانشيء جريدة للطعن في رجال الدولة وأصل الخبر صحيح ولكن المقصد أعلى من الكلام في الشخصيات والحكومات وان رجال الدولة قد ذُموا كثيراً ومدحوا كثيراً فما نفع المدح ولا الذم.

رأيه في جرائد مصر وقرائها

قال الأستاذ : إن المصريين في حالة جعلت أفكارهم موجهة الى شيء واحد من الجرائد : وهو أخبار الحكومة وما يقال عن الخديو وعن الانكليز ، ولا يلتفتون الى ما وراء هذا ، وقد قامت به ثلاث جرائد : المؤيد والمقطم والاهرام . وشرح خطة كل جريدة منها ، وذكر أنه لا يمكن لي مباراة واحدة منهن في خطتها .

قال : واذا كتبت في الموضوعات الأدبية كالتربية أو التعليم أو آداب اللغة لا يلتفت الى كلامك الناس ، فإنني لا أعرف أحداً في الازهر ولا في المدارس مشتغلاً باللغة وآدابها إلا أن يكون في الزوايا من لم نعرف ، وهؤلاء إن وجدوا لا غناء فيهم وهذا أمر مهم ومفيد ، ولكنه لا يأتي منه ما يفي بنفقاته ، ولا ينبغي التعب وإنفاق المال هكذا .

قلت : إن صاحب مجلة الهلال أخبرني أن له ٣٥٠٠ مشترك ، فاستغرب ، وقال : إن كانوا يحسبون أن كل من يكتبون اسمه في

دفاترهم مشتركاً فقد يكون عنده هذا العدد ، وأما الذين يدفعون الفلوس فلا أعتقد أنهم يبلغون الالوف .

قلت : إن من غرضي الاشتغال والتمرن على الكتابة في المسائل الاصلاحية المفيدة . قال : يمكنك أن تكتب هذه المباحث في كتاب فهو أرجى لقراءة الناس له .

موافقتي على انشاء صحيفة اصلاحية وشروطه فيها

ثم انتقلنا الى الكلام في موضوع مرض الامة وضعفها ، وأن أنفع الوسائل في معالجتها التربية والتعليم ، ونشر الافكار الصحيحة لمقاومة الجهل والافكار الفاسدة التي فشت فيها كالجبر والخرافات .. فقلت : إن هذا هو الباعث لي على إنشاء هذه الجريدة ، وإنني أسمح أن أنفق عليها سنةً أو سنتين من غير أن أكسب شيئاً .

قال : إن كان هكذا فهو حسن ، وهذا أشرف الاعمال وأفضلها . وأنا اذا كنت على ثقة من مشرب هذه الجريدة فإني أساعدها بكل جهدي .

قلت : اني أعاهدكم على ان أكون معكم كالمريد مع أستاذه على نحو مما يقول الصوفية ، ولكني أحفظ لنفسي شيئاً واحداً أخالفهم فيه ، وهو أن أسأل عن حكمة ما لا أعقله ، ولا أقبل الاّ ما افهمه ، ولا أفعل الاّ ما اعتقد فائدته .

قال : هذا ضروري لا بدّ منه . ومن هنا انتقلنا الى الكلام في الصوفية .

ثم زرته في يوم الاربعاء (١٢ شعبان) وكان معي الاستاذ الشيخ اسماعيل الحافظ ، فكلمته في مسألة الجريدة ، فأشار بثلاثة أمور : (١) ان لا نتحيز لحزب من الاحزاب (وذكر في حديثه صاحب المؤيد ومصطفى كامل الشاب المتحمس او المتهور » . (٢) ان لا نرد على جريدة من الجرائد التي تتعرض لنا بذم او انتقاد . (٣) ان لا نخدم افكار احد من الكبراء (هؤلاء الشاغلين للوظائف الكبيرة الذين يدعون بها كبراء انا قد نستخدمهم ولكن لا نخدمهم) .

ثم أشار الى ان الطبع ينبغي ان يكون في المطبعة الاميرية للبعد عن الدسائس وعن اطلاع جماعة المطابع على شؤون الجريدة الداخلية (وذكر لي ما يعلمه من أخلاق اصحاب الجرائد من السوريين والمسلمين) .

ثم تكلم عن حرية الجرائد وقال : أنتم تسمعون ان في مصر حرية ... هذه الحرية ليست للمسلمين ! المسلمون في أشد المراقبة عليهم وأبعد الناس عن الحرية ، لا حرية لهم فيما ينفعهم أصلاً ولكن لهم الحرية المطلقة في كل ما يضرهم (وقد قال في حديث آخر ان الحرية التي كانت بمصر كافية للنهوض لاصلاحها وانما كان العائق فساد الاخلاق) .

(الى ان قال :

ثم شاورته في اسم الجريدة فذكرت له اسم المنار مع اسماء أخرى ليختار منها او غيرها فاختار اسم المنار وكان احبها اليّ لفظاً ومعنىً . ثم شرعت في تحريره في الاسبوع الذي صدر فيه فكتبت فاتحة العدد الاول بقلم الرصاص في جامع الاسماعيلي المجاور لدار الاستاذ بالناصرية وذهبت بها الى داره فعرضتها عليه فأعجبته جد الاعجاب كما تقدم

كما تقدم (ص ٩١٣) ولما صدر العدد الاول قال : كان ينبغي أن تكتب فيه مقالة أخرى في موضوع من الموضوعات الاصلاحية التي ذكرتها في المقدمة. فقلت : موعدنا العدد الثاني . فلما صدر الثاني مفتتحاً بمقال طويل عنوانه (القول الفصل — محاورة في سعادة الامة) جئت به دار الاستاذ و كان عنده الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان فقرأه هذا كله والاستاذ الامام يسمع وبعد الفراغ من قراءته أثنيا عليه ثناء جيلاً وقال الشيخ عبد الكريم : انك لم تترك في هذا المقال شيئاً يقال في الموضوع . قلت : هذا كله مقتبس من مولانا الاستاذ . قال الاستاذ كلا انني والله لم أتكلم معك في شيء من هذا . قلت : وأنا لست بالمتملق إنما أعني انني استفدت هذا المذهب ورويت من هذا المشرب من قراءة جريدة (العروة الوثقى).

وما ذكرت هذه المسألة هنا لاجل الثناء على نفسي بل لأبين كيف تأسست الصلة بيني وبين الاستاذ الامام في اتحاد المذهب والمشرب .

(الى أن يقول) :

حياتنا العملية المعنوية في الحياة

وأما حياتنا المعنوية فكنا كروح واحدة في جسدين : كان يكاشفني بجميع أفكاره وأسراره، في علاقته بالحكومة والخديو واللورد كرومر ورئيس النظار وفي أعماله في الازهر ومجلس الشورى ومجلس الاوقاف الاعلى ويعهد الي بكتابة بعض المقالات في الجرائد لتأييد رأيه وتفنيد آراء مخالفيه في بعض المسائل أو الأعمال ونشر كل منها في الجريدة التي تليق بها بإمضاء تناسب الموضوع كازهري أو حقوقي أو مسلم ... وكنت

أنشر بعضها في المؤيد وبعضها في المقطم وبعضها في الاهرام وكذا الرائد المصري وأحياناً كان يرسل إليَّ احدى الجرائد وعليها اشارة منه الى شيء لاجل الرد عليه وقد يكتب بجانبه أو على ورقة أخرى موضوع الرد والايماء الى الروح الذي يبرز فيه من شدة أو لطف او تهكم أو تجهيل ولا يزال لديَّ شيء من هذه الاوراق .

وكان يعهد اليَّ في بعض الاوقات بكتابة المكتوبات الشخصية لاصدقائه سواء أكانت مبتدأة كتهنئة او تعزية أم رجع كتاب منهم أو جواباً عن سؤال من غيرهم . وقد ذكرت نموذجاً من هذين النوعين فيما تقدم وتارة كان يطلب مني أن أكتب له بعض النصوص أو الاحاديث في بعض المسائل وسأله بعض الناس لا أدري في أي البلاد أن يرسل اليهم برنامجاً لمدرسة اسلامية أنشئت أو يراد انشاؤها وطريقة التدريس فيها فعهد اليَّ بذلك ففعلت ولا يزال لديَّ بعض أوراق المسودة التي كتبتها . وقد مرَّ من الشواهد والمثل على هذا في الفصول السابقة ما يغني عن الإطالة فيه هنا .

(الى أن يقول) :

ما كان ينتقده الاستاذ على المنار

كان أحسن الله اليه ينتقد عليَّ في المنار أموراً يذكرها لي عند وجود ما يذكره بها .

(أحدها) الصراحة التامة والشدة في إظهار الحق وكان يعبر عن ذلك بقوله ما معناه : انك كثيراً ما تبرز الحق عرياناً ليس عليه حلة ولا حلي يزينه للناظرين ويهون قبوله على المبطلين فينبغي أن تتذكر ان الحق ثقيل .

وقلما يكون للداعي اليه صديق وانه لا بد من مراعاة شعور من يعرض عليهم كيلا يزداد اعراضهم عنه . وكان يعجبه من مقالاتي ما جعلته باسلوب المناظرة كمحاورات المصلح والمقلد فموضوعها اشد ما كتب وطأة على الجامدين المقلدين ولم يسمع من احد منهم شكوى منها ولا قدح في كاتبها .

(ثانيها) كان يقول لي مراراً ان المنار في موضوعه ولغته لا يفهم أكثر ما فيه إلا الخواص فينبغي أن نتحرى من سهولة العبارة وقلة غريب اللغة [1] فيها ما يقربه من أفهام جميع القارئين حتى العوام وقد تحريت موافقته في هذا حتى إن قارئي المنار ليجدون من غريب اللغة في السنة الاولى ما لا يجدون فيما بعدها ولكن بقي اكثر مباحثه للخواص بالرغم من ذلك التحري .

(ثالثها) الخوض في سياسة الدولة العثمانية في بعض الاحيان وهذا مما كنت أكرهه أنا أيضاً فيعرض لي من الضرورة ما يحملني عليه وجل عملي المهم منها كان سرياً وقد أشرت الى ذلك في فاتحة المجلد ١٢ من المنار سنة ١٣٢٧ ﻫ بقولي : « سالمنا السياسة فساورت ووثبت وأسلسنا لها فجمحت ونقحمت وكنا نهم بها في بعض الاحيان فيصدف بنا عنها الاستاذ الامام ولم ننل منها ما نهواه الا بعد أن اصطفاه الله »

وروى في آخر هذا الفصل ما يلي :

لما مرض الاستاذ الامام مرضة الاخير كنت أعوده بداره في عين شمس كل يوم وأقرأ عليه ما كتبه الشيخ عبد الكريم من رسالة (أعمال

(١) وكان الاستاذ الامام ينصح لي ايضاً في هذا الموضوع بما ينصح به للسيد رشيد

مجلس إدارة الازهر) فيصحح فيها ويزيد او ينقص منهـا وقد أملى عليّ تقريره عن امتحان مدرسة دار العلوم وهو في سريره فكتبته · ولما سافر الى الاسكندرية سافرت معه وكنت اقيم عنده اياماً واعود الى القاهرة فأنظر في اعمال ادارة المنار ثم أعود الى الاسكندرية دواليك ·ولما اشتد عليه المرض أذيع وانا في مصر انه توفي فكدت اقضي من الغم وبتّ تلك الليلة بعد تكذيب الخبر ولما استيقظت وجدت على مخدتي دماً قد خرج من فمي وانا نائم وفي الصباح عدت الى الاسكندرية فلما قابلته قال لي:

قد جاش في نفسي الشعر في غيبتك كأنني لا أقول الشعر الا في الحبس أو المرض — يشير الى القصيدة التي نظمها في السجن في عاقبة الحوادث العرابية وقد تقدمت (ص ١٥٠) وانشدني هذه الابيات فكتبتها واحداً بعد واحد وهي :

ولست أبالي ان يقال محمد ... أبلّ ام اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين اردت صلاحه ... أحاذر ان تقضي عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها ... اذا متّ ماتت واضمحلت عزائم
فيا رب ان قدرت رُجعى قريبة ... الى عالم الارواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً ... رشيداً يضيء النهج والليل قاتم
يماثلني نطقاً وعلماً وحكمة ... ويشبه مني السيف والسيف صارم

ما ورد في المنار بقلم السيد رشيد

عن رحلتينا الى الحجاز : الاولى للحج والثانية للصلح

من حيث انه ورد خبر رحلتينا هاتين إلى جزيرة العرب في أثناء كلامنا عن علاقاتنا مع السيد المترجم فلا بأس بنقل ما كتبه هو رحمه الله عن ذلك . قال في الجزء الثاني من المجلد الثلاثين المؤرخ في صفر سنة ١٣٤٨ هـ ما يلي :

أداء الامير شكيب لفريضة الحج

كان قلب الامير شكيب يحن إلى أداء فريضة الحج منذ سنين كما هو شأن كل مسلم وإن كان أمثال الامير شكيب في تربيتهم المدنية والسياسية والاجتماعية صار يقل فيهم من يحج كما يقل من يصلي ويصوم اذا لم تقترن تلك النشأة العصرية بمعارف دينية صحيحة راسخة كالطود ، لا تؤثر فيها امواج الشبهات ولا تنال منها عواصف الشهوات ولكن شكيبنا تلقى عقيدته من الاستاذ الامام وغذاها بالعلم الصحيح والعمل . وقد كان لكبراء الرجال السياسيين من موانع الحج في السنين الخالية ما ليس لغيرهم .

عزم شكيب على الحج في موسم السنة الماضية (١٣٤٧) وكان يجب أن يسافر من اوربة قبل موعد الحج فيعرج على مصر فيقيم فيها مدة مع صديقه الحميم صاحب المنار بداره التي بعدها بحق داره و كتب إلي بذلك وانه لقي في برلين معالي وزير خارجية مصر الدكتور حافظ بك عفيفي -

وكان بينهما صداقة سابقة — فكاشفه بعزمه فتبرع الوزير بوعده بأن يمهد سبيل الاذن الرسمي له بزيارة مصر في طريقه لعلمه بانه كان ممنوعاً من دخولها بعد الحرب الكبرى ومن المعلوم بالبداهة أن المرجع الرسمي في هذا الامر لوزارة الخارجية ولكن الوزير نفسه رأى ان الاذن له به يحتاج الى تمهيد رسمي !!

ثم أزمع الامير السفر وخرج من داره في لوزان قاصداً البحر من طريق ايطالية وطفق يراسل وزير الخارجية ثم يراسل بعض أصدقائه في مصر سائلاً هل تأذن له الحكومة المصرية بالإلمام بمصر ولو بميناءي بور سعيد والسويس لينتقل من الباخرة التي يسافر فيها إلى باخرة من البواخر التي تنقل الحجاج ؟ وكانت هذه الرسائل برقية فعلمنا بعد البحث انه لا يزال ممنوعاً من ذلك وبعد بذل السعي من بعض المهتمين بالامر لدى صاحب الدولة رئيس الوزارة اقتنع بأن اللائق بحكومة مصر بصفتها الاسلامية الرسمية أن لا تمنع أحداً من الالمام ببعض ثغورها بقصد السفر إلى الحج من غير إقامة تزيد على مدة الانتقال من باخرة الى أخرى فأصدر أمره بالاذن في آخر وقت أدرك به الامير آخر باخرة تحمل الحجاج في آخر وقت يمكن إدراك الحج فيه وقد علمنا ان الامير بذل في أجور البرقيات أكثر من ثلاثين جنيهاً وانه لو كان يعلم هذا لفضل أن يسافر في باخرة ايطالية الى مصوع أو عدن ثم يسافر منها الى جدة .

في أثناء هذه المساعي وتبادل البرقيات شاع بين الناس ان الامير شكيباً مسافر الى الحجاز وأنه سينزل من الباخرة التي تقله من اوربة في بور سعيد وينتقل منها الى السويس فعزم كثير من اصدقائه وممن يحبون

الخطوة بمعرفته لشهرته الشريفة في عالم العلم والادب والسياسة والجهاد الاسلامي والوطني على السفر الى بور سعيد للقائه فيها وطفقوا يتحدثون بتأليف الوفود لذلك في مصر وفلسطين وسورية ونشر ذلك في الجرائد ولكن بعضها ذكر خبر منعه من الالمام بالثغور المصرية . فلم يعلم بموعد وصوله الى بور سعيد إلا بعض أصدقائه في مصر فسافر بعضهم اليها في ذلك اليوم وبعضهم قبله بيوم وقد نزلت مع بعض السابقين في زورق بخاري فاستقبلنا باخرته في البحر عقب وقوفها وأذن طبيب المحجر بمخالطة ركابها للناس وسبقنا ابن عمه الامير أمين فصعد الى الباخرة مع الطبيب الرسمي ولما تلاقينا لم أملك دمع السرور من حيث جرى . ولا تسل هناك عما قد جرى . ووصل في ذلك اليوم الى بور سعيد الاستاذ المربي المصلح والزعيم الوطني الشهير الشيخ محمد كامل قصاب من حيفا لاجل استقباله وأخبرنا ان وفد حيفا ووفد القدس قد انفض جمعها إذ نشرت جريدة الجامعة العربية برقية من مصر بعدم الاذن له وهو إنما جاء للاحتمال . وقد جاءت الامير برقيات كثيرة وعاد بعض المستقبلين له الى القاهرة وبات بعضهم في بور سعيد بعد الحاحه على الجميع بالعودة الى اعمالهم إلا كاتب هذه السطور فقد قال له : أنت تبقى معنا من البحر الابيض الى البحر الاحمر .

وقد سافرنا في اليوم الثاني الى السويس فوجدنا بعض المستقبلين في الاسماعيلية من طريقنا وبعضهم في محطة السويس نفسها وممن جاءها بالسيارات الخاصة أحمد زكي باشا وعبد الحميد بك سعيد. وقد بلغ الامير في المحطة أمر الحكومة المصرية إياه بالانتقال منها الى باخرة الحجاج الاخيرة التي تبحر في ذلك اليوم ٢٩ ذي القعدة الى جدة وأنها أمرت

شركة بواخر البوستة الخديوية التابعة لها بتخصيص مخدع له « قمرة » في الدرجة الاولى منها وكان يريد السفر في باخرة البريد في ٢ ذي الحجة فركب الامير ومن كان ثم من المستقبلين المودعين السيارات الى الباخرة توا وذهبت أنا الى السوق فأخذت له منه الاحرام لانني علمت منه أنه لم يحمل من أوربة شيئا من ذلك ·

الامير شكيب أكبر رجال السياسة من زعماء الامة العربية واشهر كتابها الذائدين عن حوضها والمنافحين عن حقوقها والعاملين لمصالحها · فالمجاهدون المخلصون منهم يسرون بلقائه لمجدد ملك العرب ومجد العرب وقبلة آمال العرب الملك عبد العزيز آل سعود وتناجيهما في المصالح العربية السياسية والمدنية ويرجون من ذلك خيراً كثيراً ·

وللامير شكيب مكانة اسلامية سامية عند طلاب الاصلاح الديني المدني الذي يقتضيه هذا العصر من عرب المسلمين وشعوب عجمهم الكثيرة ولا سيما الترك والهنود لما له من خدمة الدولة العثمانية عندما كانت تمثل الزعامة الاسلامية ثم ما جاهد به ملاحدة الترك بعد جهرهم بنبذ الإسلام ومعاداته بالقول والفعل ولما له من الدفاع عن الاسلام والمسلمين في مواقع أخرى كثيرة قد كان آخر ما نشر منها مقاله الممتع الذي رآه القراء في جزء المنار الماضي · ومن الدلائل على مكانته الاسلامية إجماع أعضاء المؤتمر الاسلامي العام من جميع الشعوب بمكة المكرمة في موسم سنة ١٣٤٤ على اختياره لامانة السر العامة (السكرتيرية) للمؤتمر الدائم ولم أكن أنا أشد تقريراً وعناية بهذا الاختيار من الوفود الهندية ولا سيما الزعيمين محمد علي وشوكت علي المناوئين لملك الحجاز ونجد لعدم

اتباعه لهواهما ـ فأهل الرأي من مسلمي الاقطار المختلفة يسرون برحلة الامير شكيب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ولقائه للإمام المجدد للاسلام في رحاب تلك المشاعر العظام لان شخوص زعماء المسلمين السياسيين وعلمائهم العصريين إلى الحجاز مفيد بما فيه من القدوة والاسوة الحسنة لأمثالهم المقصرين في أداء هذه الفريضة ومفيد بما يرجى من ورائه من التعاون على المصالح الاسلامية ٠ ومن هذا الباب انه لما شاع في السنة الماضية ان الامام يحيى حميد الدين سيحج في موسمها تناقلت هذا الخبر ألسنة المسلمين وصحفهم وتلقته بالإكبار والإعظام لامرين : (أحدهما) ان ملوك المسلمين قد تركوا أداء هذه الفريضة منذ قرون عديدة ٠ و(ثانيهما) حرص مسلمي العالم كله على اعتصام إمامي الجزيرة العربية وملكي الاسلام المستقلين بعروة التحالف والاتحاد الوثقى ورجاؤهم أن يكون تلاقيهما في بيت الله تعالى متمماً لما مهّدا له السبيل من ذلك بالوفود والمكاتبات والهدايا ٠ ومن فضل الله على صاحب هذه المجلة أن كان هو الساعي الاول الى ذلك بالمكاتبات والوفود من قبل الحرب الكبرى ومن بعدها ويليه فيه صديقه الأمير شكيب ٠

ومن دلائل اهتمام اهل الرأي والخدمة العامة من مسلمي الشعوب المختلفة وعرب الملل المختلفة بحج الامير شكيب ورجائهم الخير فيه للملة وللامة انه ساء دعاة الالحاد في المسلمين ودعاة الاستعمار في العرب ولا سيما السوريين من الفريقين فنشروا في بعض الجرائد مقالات سخيفة طعنوا فيها على الامير في دينه وفي سياسته وفي غرضه من أداء الحج ٠ وكان الذي

تولى كبر هذه الاراجيف ذلك . . . . (١)
ولكن بامضاء ألصق الناس بخدمته ولم يصده عن ذلك اشتهاره هو بالدعوة إلى الالحاد ونبذ الدين وتهتك النساء وغير ذلك ومما اتهمه به انه يسعى بجهده الى جعل الملك عبد العزيز إياه سفيراً له في اوربة !! وربما كان هذا الملك أشد احتقاراً لهذا التشفي الدنيء فانه صار من أعرف الناس بفضائل الرجل ورذائل حاسده . وقد احتفى جلالته بضيافته احتفاء يسعر نار الحسد في كبد الحسود .

استقبلت الحكومة السعودية ووجهاء الحجاز الامير شكيب في جدة ثم في مكة أحسن استقبال فقد خفّ الى لقائه في الباخرة الحاكم الإداري (القائمقام) وغيره من الموظفين والوجهاء وفي مقدمتهم عين اعيان الحجاز الشيخ محمد نصيف . ثم قابله جلالة الملك في جدة اذ كان فيها وبعد أن تعشى مع جلالته سار معه في سيارته الملكية الى مكة المكرمة فكانت هذه أول فرصة واسعة للمذاكرة في المصالح العامة . وقد كتب إليّ جلالته عن هذا التلاقي ما نصه :

«وقد أنسنا بلقاء صديقكم وصديقنا الامير شكيب ارسلان وهو كما وصفتم إخلاصاً وعلماً وأدباً» ويعني جلالته بهذا الوصف ما كتبته اليه أخيراً من أنني لم أثن له على أحد وهو فوق ما أثنيت ووصفت من كل جهة إلا الامير شكيب .

وقد علمت علم اليقين ان جلالته رغب اليه أن يبقى لديه في الحجاز

(١) حذفنا هنا الاسم المكنى عنه وذلك تفادياً من القيل والقال وان كان الأصل في المنار موجوداً .

دائماً أو ما شاء وطابت له الإقامة ليقوم بما لا يستطيع غيره ان يقوم به من أعباء الاصلاح في حكومته فاعتذر بانه لا بد له من البقاء في أوربة لأجل القضية السورية وبأنه يخدم القضية العربية هنالك بما شاء جلالته إلا الوظائف الرسمية فان فكرة المناصب الرسمية قد خرجت من فكره فهو لا يقبل منصباً لا في الحجاز ولا في اوربه كالسفارة في بعض العواصم. بعد هذا زار الملك جدة فذكر في مجلسه الحافل ما نشر في المقطم من اتهام الامير شكيب بالسعي الى نيل سفارة في أوربا — وهو ما أشرنا اليه في هذا المقال - فغضب الملك وقال من هذا — يعني صاحب مقالة المقطم — وإيش يكون ؟؟ ثم أثنى على الامير شكيب ثناء عظيماً قال في سياقه : والله ان السفارة التي يريدها في أوروبة تكون له بشرط ان يرضى .

ومن أخبار الامير في الحجاز التي تسر محبيه الذين لا يحصيهم الا الله تعالى أن هواء الطائف قد وافق مزاجه فزال هنالك ما كان أصابه في أوربة من مرض الصدر الذي كان فيما يظهر من أسباب ما انكرته عليه من استطالته لعمره ونعيه لنفسه . ويسرنا ان ما رأينا عند تلاقينا الاخير في وجهه من الاشراق والبهجة وفي حديثه من جرس الصوت وقوة اللهجة وفي مشيته من النشاط وخفة الحركة وفي أكلته من زقم اللقم وجودة المضغ في غير نهم ليبشرنا بأنه مستعد لحياة طيبة طويلة الاجل اذا لم يجنِ عليها بالافراط في الانكباب على العلم والعمل . وفقنا الله وإياه للقصد والاعتدال والتوفيق لما يحب تعالى ويرضى من الاقوال والاعمال .

وفد الصلح والسلام

وقال رحمه الله في المجلد الرابع والثلاثين من المنار الجزء الثالث المؤرخ في ٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٥٣ هـ تحت هذا العنوان :

اننا قد وفينا حادث الحرب والسلم في جزيرة العرب حقه وبينا ما لنا فيه من موعظة وعبرة وشكرنا لكل من الامامين عبد العزيز ويحيى فضله فلا يفوتنا أن نختم حديثه بشكر وفد السلام وجهاده في سبيل الله بخدمة العرب والاسلام فهو الذي انتدب لهذه الخدمة بالفعل من غير دعوى ولا إعلان في الصحف ولا تبجح بنشر المقالات والقاء الخطب ولا دعوة الى جمع المال كما فعل الذين يقولون ما لا يفعلون ويسرون غير ما يعلنون بل قال وفعل وجاهد بماله ونفسه ولم يطلب مساعدة أحد .

اول من دعا الى هذا زعيم فلسطين الاكبر ومفتيها ورئيس مجلسها الاسلامي الاعلى ومؤسس المؤتمر الاسلامي العام فيها : السيد محمد أمين الحسيني دعا نفراً من أشهر رجالات الاقطار العربية الاسلامية ذات الجوار والصلة بجزيرة العرب : سورية والعراق ومصر فاستجاب له من سورية زعيمها السيامي الاكبر هاشم بك الاتامي رئيس الكتلة الوطنية الممثلة لسورية كلها واعتذر زعيم العراق الاكبر ياسين باشا الهاشمي بمرض عرض له .

واستجاب له من مصر محمد علي باشا علوبة من وزرائها ونوابها السابقين ووكيل المؤتمر الاسلامي العام وهو الذي سبق جميع الزعماء المصريين الى

العناية بأمر المؤتمر الاسلامي وسافر مع رئيسه الى الاقطار الاسلامية لجمع الاعانات وعني بخدمة المسألة العربية عناية خاصة ·

واستجاب له من اوربة أكبر كتاب الامة العربية وأمير البيان فيها الداعي الى وحدتها المحامي عن حقيقتها المدافع عن ملتها ورئيس الوفد السوري الفلسطيني في جنيف مثابة سياسة الامم كلها ـ الامير شكيب رسلان ووافى اخوانه الثلاثة طائراً من أوربة الى مصر على ما في طيرانه من زيادة النفقة في هذه العسرة المرهقة وعلى ما قاساه من عنت الحكومة المصرية وإرهاقها إياه العسر السياسي الذي هو أشد على الاحرار من العسر المالي في مروره بأرضها من الاسكندرية الى السويس وقد رأيت هذا العنت بعيني وذقت مرارته بنفسي إذ سافرت من القاهرة الى بنها للقائه فيها والذهاب معه الى السويس فلم يأذن لنا الجلاوزة المسيطرون عليه من قبل حكومتنا المصرية — وهم من الانكليز — بسلام ولا كلام ثم كان المصريون منهم أشد من هؤلاء الانكليز وطأة في القطار بعد القطار ثم في السويس ولم نر أحداً فهم لهذا العنت معنى ·

ركبت أنا ومحمد علي باشا علوبة في قطار بورسعيد والسويس الذي يخرج من محطة مصر في نهاية الساعة السادسة مساء وهو يلتقي في محطة بنها بالقطار الجائي من الاسكندرية الى مصر وهنالك نزل الامير شكيب من قطار الاسكندرية وركب هو والجلاوزة المحافظون عليه في قطارنا وأدخلوه في المخدع المجاور لنا وأردت أن أسلم عليه وهو يعلم انه ممنوع من السلام عليّ وعلى غيري فحالوا بيننا ·

ولما نزلنا في الاسماعيلية ونزل فيهـا السيد امين الحسيني وهاشم بك

الاتامي القادمان من فلسطين وانتقلنا جميعاً الى القطار الذي يحملنا الى السويس فرق جلاوزة الامن المصريون بين الامير شكيب والجائين من فلسطين والجائين من مصر جميعاً فلم يسمحوا لاحد منهم في المحطة ولا في القطار أن يكلم الفريق الاخر ولا أن يسلم عليه فكان هذا الحجر أبعد عن العقل والفهم والشرع والعرف والقوانين من كل ما سبقه إلا مايكون من الحجر الصحي في أوقات الاوبئة والعسكري في وقت الحرب. وإنما يكون الاول لوقاية الاصحاء من المصابين بالوباء والثاني لحماية الوطن وأهله من فتك الاعداء وكلنا أصحاء أصدقاء ولله الحمد جنسنا واحد وديننا واحد وحكومتنا المصرية موادة لحكومتي فلسطين وسورية والدولتين المسيطرتين عليها ولاجلها تحجر على الامير شكيب وتعنته ولا نعرف لنا وللآخرين ذنباً.

بيد اننا لما وصلنا الى السويس نزلنا كلنا في فندق واحد فارتفع الحجر عن كل منا الا الامير شكيب فان الحكومة أمرت بنقله الى فندق آخر حالت فيه بينه وبين كل أحد منا ومن غيرنا إلا السيد محمد امين الحسيني فقد أذنوا له أن يكلمه في مسألة السفر بأول باخرة أو بطيارة. ولما اجتمعا اتفقا على الالحاح عليّ بالسفر مع الوفد فأدليت بما لديّ من الموانع المالية وغيرها فقبلوا عذري وكاشفتهم بما عندي من رأي ورواية في موضوع الحرب والصلح وحملتهم كتباً الى جلالة ملك العرب السعودي وبعض رجال بطانته أظهرت فيه ما بيني وبينهم من التكافل والثقة بهم وعذري في التخلف عنهم وكل ذلك في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ.

سافروا باسم الله الى الحجاز فكان لهم عند جلالة الملك ما يليق بمكانتهم الشخصية والقومية وبسفارة وفدهم الاسلامية العربية من حسن الضيافة وكرم الوفادة وقلما اجتمع في مجلسه وفد كوفدهم في سعة معارفهم ودقة خبرتهم وصفاء نيتهم واتفاق رأيهم وحسن بيانهم فبسطوا له خلاصة ما يعلمونه من آراء العالم الاسلامي والشعور العربي في بلادهم وغيرها في مسألة الجزيرة العربية المقدسة وما يخشونه من المطامع الاجنبية وما وفقوا اليه في بيئاتهم الاربع من استقلال عقله وبعد رأيه وحسن نيته وكمال صراحته وحزمه وشجاعته وعدم مبالاته بدسائس المفسدين المحالين ٠

وكان من توفيق الله أن نجحت المفاوضات البرقية المتصلة بين جلالته وجلالة الملك الامام يحيى حميد الدين بما يوافق رأيهم فقبل الثاني ما اقترحه الاول لاعلان الهدنة ووقف رحى الحرب ووضع معاهدة الصلح وتلاه إرسال مندوبه الزعيم الكبير والسياسي النحرير الاستاذ العلامة السيد عبدالله بن الوزير مفوضاً من مقام الامامة المتوكلية بذلك فوجد الوفد الاسلامي في معارف سيادته ودقة سياسته وصفاء طويته وصدق صراحته ما كان موضع العجب والإعجاب والثقة بما يرجون ويرجو العالم الاسلامي والعربي من الاتفاق والاتحاد ٠

ولما وضعت المعاهدة الاسلامية العربية العظيمة الشأن بالاتفاق السري العلني من الجانبين التي كانت موضع اعجاب أهل الخافقين وحضر أعضاء الوفد توقيعها في الحجاز ودعوا جلالة الملك الامام عبد العزيز وسافروا مع مندوب جلالة الملك الامام يحيى حميد الدين الى صنعاء اليمن ليشهدوا توقيعها فيها ثم يحضروا مبادئ تنفيذها ٠ وقد اعتذر محمد علي علوبة باشا

العضو المصري عن السفر مع اخوانه الى اليمن لكثرة ما ينتظره من الشواغل في مصر . وقد تم الصلح ولله الحمد وحملهم كتاباً الى جلالة الامام يعتذر فيه عما كان يرجوه من الشرف بالمثول في حضرته .

سافر الوفد من جدة الى الحديدة فاستقبلها فيها صاحب السمو الملكي الامير فيصل السعودي بالحفاوة والتكريم وكان أبهج ما سرهم فيها ما رأوه من حسن التلاقي بين سموه وسيادة عبدالله بن الوزير فقد كان كتلاقي اخوين شقيقين طال عليهما البعاد فطفقا يطفئان لوعته بالتقبيل والعناق ثم ما رأوه من جيوش كل من الامامين عند الحدود بين منطقة تهامة المحتلة من قبل الدولة السعودية ومنطقة الجبال التي ترابط بها الجيوش المتوكلية وكيف كان تلاقي جماعتهما تلاقي الاخوان ثم ما هو أعلى من ذلك وهو لقاء جلالة الامام الهمام وحفاوته بضيوفه الكرام وما سمعوه بآذانهم من ثنائه على أخيه الملك عبد العزيز كما كان هذا يثني عليه ويشهد كل منهما للآخر بحسن النية ثم ما شاهدوه في الحديدة من تنفيذ المعاهدة بجلاء الجيوش السعودية عنها وتبادل تسليم الرايات وتسلمها فيها بما عليه اتفقا من التكريم والتعظيم العسكري والود الاخوي .

ثم سافروا من الحديدة الى مصوع وسافر منها الى السويس السيد أمين الحسيني وهاشم بك الاتاسي فوصلا اليها في السابع من هذا الشهر الميمون (ربيع الاول) واستقبلناهما فيها مع جماهير المستقبلين مهنئين داعين وتخلف الامير شكيب ليسافر منها الى اوربة .

كنا قد وقفنا على أطوار الحرب والصلح من انبائها الرسمية وغير الرسمية العامة منها والخاصة بنا وبقي علينا أن نعلم من الوفد

ما كان للصلح والمعاهدة من التأثير النفسي في قلوب الفريقين مما لا يعلم الا من رؤية الوجوه المستبشرة أو الباسرة ومن سماع جرس الاصوات في الحديث والتفرقة بين نغماتها السارة والقارة والحارة . ولا يعلم هذا وذاك الا ممن رأى بعينيه وسمع بأذنيه وشعر بقلبه وأخبرنا بما روينا عنه .

هذا وانه قد بلغنا قبل إصدار هذا الجزء ان جلالة الملك عبد العزيز وجلالة الامام يحيي قد أبرقا الى جلالة ملك الانكليز برجوانه بأن يوصي حكومته بالاذن للامير شكيب بدخول فلسطين للقاء والدته الجليلة فيها اذ طالت غيبته عنها فتقبل شفاعتهما فيه وأبرق اليه المندوب السامي من فلسطين بالاذن له بذلك فنهنئه ونهنئ السيدة الفاضلة بهذا اللقاء الميمون تبارك الله لهما وعليهما .



بعض ما كتبه السيد رشيد عنا في المنار

بمناسبة بعض الحوادث

آثرنا وقد جعلنا هذا الكتاب لسيرة السيد المترجم وتاريخ علاقاتنا معه أن ننقل ما جاء بقلمه عنا في المنار ان لم يكن كله فبعضه .

فمن ذلك هذا الفصل المنشور في الجزء الثاني المؤرخ في ٣٠ جمادى الاخرة سنة ١٣٤٠ هـ من المجلد الثالث والعشرين :

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصليب ومخمصة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان هو الامير شكيب أرسلان

« مقدمة »

قد التقينا في اوربة بصديقنا القديم الامير شكيب أرسلان الشهير بعد افتراق بضع سنين وكثر اجتماعنا به في جنيف (سويسره) بسبب الاشتراك في أعمال المؤتمر السوري الفلسطيني وفي سياحتنا معه في سويسرة والمانية — وفي هذه الاثناء سمعنا منه أخباراً تفصيلية لفظائع جمال باشا في سورية وما كان من معارضته له بالحسنى ثم بالمغاضبة فتمنينا لو تنشر هذه الوقائع لبيان الحقيقة التاريخية فان معرفة حقيقة تاريخ الامة هو الوسيلة الاولى للنهوض بها والصعود في مراقي الحياة بين الامم وضرر الجهل به والكذب فيه كضرر الجهل والكذب في بيان أحوال المريض

وأعراض أمراضه للطبيب الذي يعالجه . وقد كانت الحقائق التي سمعناها منه ومن غيره في اوربة مؤيدة لرأينا في جمعية الاتحاد والترقي وفي تأثير سياستها في الامة التركية والدولة الالمانية كما سنبينه في التعليق على هذا المقال بعد — ولرأينا في الامير شكيب نفسه أيضاً وهو ما نبينه في هذه المقدمة :

الامير شكيب من أشهر كتاب سورية وادبائها بل لا أبالغ اذا قلت انه لا يُلَزّ به قرين منهم في مجموع مزاياه كجولان قلمه في جميع ميادين المنظوم والمنثور والوقوف على دقائق السياسة وشؤون الاجتماع والعمران — وفصاحة اللسان في الخطابة والمناظرة . وله في الكتابة السياسية والاجتماعية اسلوب خاص يشبه أسلوب الحكيم ابن خلدون وكانت سياسته الوطنية السورية محصورة في وجوب الاخلاص للدولة العثمانية مهما يكن حال سلطانها ورجالها في إدارتها وسياستها لاعتقاده انه إذا زالت سيادة الدولة عن وطنه الخاص (لبنان) وسائر سورية وسقطت تحت سلطة دولة اوروبية فإنه يذل ويخزى . وكان له خصوم في سياسته هذه أكثرهم من نصارى الجبل المشايعين لبعض الدول الاوربية ومبغضون آخرون لا مثير لبغضائهم الا الحسد أو التعصب الديني أو المذهبي . وهو من مريدي أستاذينا موقظي الشرق الاستاذ الامام المصري والسيد جمال الدين الافغاني وله غيرة على دينه الاسلامي ودفاع عنه لا يطيق صبراً على من نال منه بلسانه أو قلمه ، على انه لطيف التساهل فكه المعاشرة وله أصدقاء كثيرون في بلاده السورية وفي مصر والاستانة واوربة مختلفو الملل والاجناس ولكنه حديد المزاج ألد الخصام : فهو كما قال ابن دريد :

سهل اذا لوينت لدنه معطفي ألوى إذا خوشنت مرهوب الشذى [١]

ولهذا يبالغ في وده أصدقاؤه ويغلو في عداوته خصماؤه . وإنما شذاه في نضال الاعداء هو ما يعهد في مجالدة الادباء ومجادلة العلماء لا يكاد يعدو كلوم الكلام . بوخز أسلات الالسنة وأسنة الاقلام . فهو أديب متدين ينفر من الاعتداء على الانفس والاموال . وشجاع يترفع عن دنيئة السعاية والإغراء .

وقد كان كثيرون من الناس يزعمون انه ليس له مبدأ أو مذهب في السياسة ثابت وإنما يدهن للدولة ولكبراء رجالها لاجل المنفعة . وأكثر هؤلاء من حساده أو مخالفيه في مذهبه السياسي ، وبعضهم ممن كانوا ينكرون عليه مشايعته للحميديين في عهد عبد الحميد الذي كان يطربه بالنظم والنثر [٢] . ثم مشايعته للاتحاديين عندما صاروا في الدولة أصحاب النهي والامر وانه لم يكن من طلاب الاصلاح للدولة في جملتها ولا لبلاده السورية أو العربية في خاصتها . وعندي ان مثله في هذا كمثل مسلمي مصر والهند وغيرهما من الاقطار البعيدة يريد من مشايعة من

---

(١) الشذى هو الاذى .

(٢) نظمت في أيام صباي عدة قصائد في مديح السلطان عبد الحميد تعظيماً لمقام الخلافة في حد ذاته لا تزلفاً الى السلطان ولا انتجاعاً لبره . وأدل دليل على ذلك أني كنت أنشر هذه القصائد في الجرائد ولم أقدم منها الى السلطان نفسه قصيدة واحدة وقد أشرت الى هذا في كتابي « شوقي أو صداقة اربعين سنة » ولكن الحساد يحارون كيف يقولون ليجدوا الى الطعن سبيلاً .

بيده زمام الدولة تأييدها على الاجانب لا الرضى بسوء الادارة أو السياسة [١] وقد كنت أنا من هؤلاء المنكرين عليه تشيعة للاتحاديين ودفاعه عنهم على علمي بما ذكرت من مذهبه السياسي في تفضيل الدولة على جميع الاجانب وإيثارها عليهم مهما تكن حالها لانني كنت على هذا المذهب منذ عقلت السياسة ولا أزال عليه مثله . وقد كان سيء الظن بحزب اللامركزية العثماني الذي كنت أحد مؤسسيه وطعن في هذا الحزب حتى نالني من طعنه بالباطل [٢] ما نالني على ما كان يحمد من خدمتي للاسلام وإخلاصي

---

(١) إن الجرائد المصرية والسورية نشرت لي من المقالات الاصلاحية والانتقادية ما لا يكاد يحصى من كثرته وطالما اغتاظت الدولة من حملاتي هذه على ما كان يقع من سوء إدارتها وقد كانوا اقترحوا علي أن آتي الى الاستانة وأنشر جريدة فيها باسم « الكوكب » فاعتذرت عن ذلك فراراً من أن أقول في الادارة ما يخالف وجداني وهكذا تركت «الكوكب» لاناس آخرين . .

(٢) لم نغفل في الفصل المتعلق بعلاقاتنا مع السيد المترجم ذكر الوحشة التي وقعت بيننا من أجل انضمامه قبل الحرب الكبرى بسنوات الى أعداء الدولة العثمانية ولكننا صرحنا باعتقادنا فيه انه لم يكن يريد زوال تلك الدولة قط وإنما كان يريد إسقاط جمعية الاتحاد والترقي وحدها وبكره استئثارها بامور الدولة والحال ان كثيراً من رفاق السيد رشيد كانوا يعملون لهدم الدولة من أساسها ويتظاهرون بانهم إنما يعملون لبناء دولة عربية ! وقد يكون هذا مقصد بعض أولئك الرفاق ولكن كثيراً منهم كانوا يعلمون في ذوات صدورهم أن انكلترة هي التي سترث الدولة العثمانية في الشرق ولا سيما في البلاد العربية وكانوا يعتقدون ان مصلحة العرب والشرقيين هي في ذلك وما أخذوا يتبرأون ـ

للدولة حتى إنه أطراني بمقال نشره في المؤيد بزعمه أنه إذا اختير من العالم الاسلامي مائة ثم من المائة عشرة ثم من العشرة واحد لكنت ذلك الواحد ! ولم أرد عليه لعلمي بالشبهات التي مكنت ذلك الظن السيء في نفسه .

ولما علم ما كان من أنباء تنكيل جمال باشا بالسوريين في أثناء الحرب أشيع ان الامير شكيباً معه وانه مساعد له على سياسته الطورانية في سورية لشبهات روّجها أعداؤه وحساده حتى صدق التهمة غيرهم ولما علمنا منه أخيراً أن الامر بضد ما قالوا اقترحنا عليه أن يكتب لنا مذكرة بما سمعناه منه أو مقالاً فيه لننشره في المنار انصافاً له وللتاريخ وقطعاً لالسنة المتقولين فأجاب طلبنا معتذراً عما استلزمه من تزكية المرء لنفسه وقد نهى الله تعالى عنها وقد جاء ما كتبه رسالة طويلة فجعلناها عدة فصول وضعنا لها عناوين من عندنا واختصرنا قليلاً منها . ومنه اعتذار الكاتب وهضمه لنفسه في فاتحتها . (ثم نشر السيد سلسلة مقالات لنا عما جرى في سورية في أثناء الحرب العامة وذلك في الجزء الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع من المجلد الثالث والعشرين من (المنار) فمن شاء مراجعتها فليراجعها هناك لئلا نعيدها في هذا الكتاب هي بنفسها وقد سبق لنا أن نشرنا في موضوعها ما هو أوفى منها وذلك في جريدة « مرآة الغرب » عندما كنا في أميركا حيث ألح علينا في نشر ذلك كثير من أصحابنا المسيحيين الذين كانوا يريدون تبديد الشبهات التي كانت

— من هذه السياسة إلا بعد الحرب العامة حينما رأوا ما رأوا من ثورة الامة العربية على الذين خاسوا بعهودهم معها .

أثارتها أقوال الاعداء والحساد بحقنا . هذا وقد ختم السيد رشيد سلسلة مقالاتنا في المنار عن كوارث سورية في سنوات الحرب بالتعليق الآتي :

الامير شكيب كاتب سياسي بارع ومؤرخ محقق وقد كتب هذه المقالات للتاريخ فأثبت فيها ما رأى بعينيه وسمع باذنيه وما سعى اليه فأصابه وما سعي اليه ولم يصبه . وليس الامير بالرجل الظنون وما هو على سياسة الاتحاديين بظنين بل كان متهماً بمشايعتهم لانه كان في السياسة الخارجية من شيعتهم .

كل من قرأ مقاله بإنصاف يجزم معنا بأن الحكومة التركية لم تكن تريد في تلك السنوات إماتة السوريين بالجوع ولا اللبنانيين منهم ولم تفضل المسلمين على النصارى في التموين ولا في غيره من المعاملات بل كانت وطأتها عليهم أشد ولم تبطل امتياز لبنان كما أبطلت الامتيازات كلها : ولكن هذه المقالات أيدت الآراء المهمة التي كنا نعتقدها ونصرح بها قولاً وكتابةً وان حكمت المراقبة على الصحف بمنعنا من بعض ما كنا نكتب :

١ — كنا نعتقد ان جمعية الاتحاد والترقي قد افترصت ما أعطتها الحرب من التصرف في سلطنة آل عثمان بالحكم العرفي العسكري للقضاء على الشعب العربي فيها وجعل سورية والعراق ولايات تركية وان النهضة العلمية والوطنية لما كانت في سوريا أقوى منها في العراق عجل جمال باشا بتتريكها بالقوة القاهرة متوسلاً الى ذلك بتعريض الضباط والجنود منها للقتل في المعارك الخطرة وبتقتيل رجال النهضة الفكرية والقلمية — وبنفي البيوت ذات الثروة والملك الواسع الى الاناضول لادغامهم في الشعب التركي هنالك ثم بالاتيان ببيوت تركية تخلفهم في بيوتهم وأملاكهم في

سوريا، فجمال باشا كان منفذاً لقرار جمعيته الاتحادية الطورانية لا مبتكراً لهذا الفساد .

راجع قول جمال باشا للامير شكيب معاتباً له على التوسل اليه بطلعت باشا ان يكف عن القتل والصلب : أتظن أنني أفعل ما أفعل بدون مشاورة رفقائي ؟ (آخر صفحة ١٣٠) ثم ما بعدها من خيبة الامل بالتوسل بأنور باشا . ثم راجع كلامه في (ص ٢٠٢) وما بعدها عن إجلاء السوريين عن وطنهم الذي وضع له اسم (التهجير) . ثم راجع في (صفحة ٢٩٢) مسألة محاولة جعل سورية تركية بمشروع قانون وضع لذلك كانوا يريدون تقريره في مجلس المبعوثين .

٢ — كنا نعتقد ان محاكمة جمال باشا لمن يريد قتلهم محاكمة صورية لا يراد بها إحقاق الحق ليتبع ولا تمييز ما يشوبه من الباطل ليجتنب ، وإنما هو رياء السياسة العصرية المعهود من سائر الدول في معاملة من بعده أهلها عدواً لهم يحاكمونه لاجل إدانته والحكم عليه ولا يعدمون ما يثبتون به التهمة من الافك والتأويل وليس لاحكامهم معقب من استئناف أو نقض وإبرام فيفند ما يأفكون !

راجع قول الكاتب عن جمال باشا انه لما صمم على شنق الجماعة استدعى اليه شكري بك رئيس الديوان العرفي في عاليه الى الشام وأعطاه ما علمت من شكري بك نفسه أسماء أربعين شخصاً يجب أن يحكم عليهم بالموت ! فراوده شكري بك كثيراً ودافع كثيراً فهدده بالقتل . الخ . (آخر ص ١٣١ وأول ص ١٣٢) .

٣ — كنا نعتقد أن هذه الخطة خطة جهل وغرور لانها تكون

سبباً طبيعياً ليأس العرب من هذه الدولة وحملهم على الخروج عليها في الوقت الذي يجب فيه من توثيق روابط الإخاء والولاء ما لا يجب مثله في غيره لانه أرجى الاسباب لانتصارها ففوته من أعظم الاسباب لانكسارها وعندما بلغتنا أنباء فعائله بل فظائعه قلت لبعض اخواننا إنني أتمنى لو أمكنني أن أصل الى جمال باشا لأبين له خطأه والخطر على الدولة منه . فكانوا يقولون لي : اذاً يبدأ بقتلك وصلبك ولا يرجع عن ضلاله.

وقد ظهر ان الحق كان معهم فإن الكاتب بذل له هذا النصح فلم يسمع له بل لولا صداقته لانور وطلعت لفتك به[1] فإن هؤلاء المغرورين

---

(١) بعد أن رأيت ان النصيحة بالحسنى لجمال باشا لم تأت بفائدة شرعت أبين لرجال الدولة خطر سياسته هذه وأطالبهم بردعه عنها فبلغه الامر وجرت بيني وبينه مناقشة في فندق فكتوريا بدمشق وسفر الجو بيني وبينه مما شرحته في مذكراتي الخاصة التي استودعتها مكتب المؤتمر الاسلامي في القدس حتى ينشرها بعد وفاتي وقد استوفيته أيضاً في سلسلة مقالاتي إلى المنار والى جريدة (مرآة الغرب) في أميركا وخلاصة القول إني غادرت سوريا في أواخر سنة ١٩١٦ قاصداً الاستانة حيث حملت على جمال لدى رجال الدولة أشد الحملات فلما بلغه ذلك من كل جهة طرح مسألتي في مجلس النظار في احدى قدماته الى الاستانة وحاول أخذ قرار من المجلس المشار اليه يأذن له بالبطش بي وبأخي عادل فعارضه زملاؤه في ذلك وكان أشدهم معارضة أنور رحمه الله فما قدر على شيء فانتهز فرصة اخرى وذلك أنه عندما انتصر الجيش العثماني في واقعة غزة أبرق بالبشرى الى الباب العالي ثم طلب أن يسمحوا له باتخاذ « تدابير شديدة » بحق شكيب أرسلان وأخيه عادل وأشخاص آخرين فلم يجيبوا أيضاً طلبه هذا وتلفن طلعت باشا

كانوا يظنون أن البلاد العربية التي جندوا منها خمسمائة الف مقاتل تظل خاضعة لهم حتى بعد اليأس من إمكان حفظ لغة شعبها ودينها والامن على وطنها في ظل دولتهم ؟ وان الخضوع بقوة الارهاب خير من الخضوع بوازع الاخلاص ؟ وكانت الحرب خير الفرص لاستمالة من نفرهم الاتحاديون من الدولة وأيأسوهم من حفظ حقوقهم أو حياتهم معها فعند الشدائد تذهب الاحقاد ولكنهم زادوهم نفوراً . وتأمل كيف كانت انكلترة تبالغ في مدح أهل الهند ومصر . وفرنسة تبالغ في مدح أهل تونس والجزائر .

راجع في (ص ٢٠٣) قول الكاتب في رئيس « قومسيون التهجير » نوري بك المفسد: انه كان يكره في الباطن جمالاً وطلعت وكل رجال جمعية الاتحاد والترقي ولكنه كان يغري جمالاً بالنفي والتغريب انتقاماً منهم لعلمه ان هذه الاعمال ليس وراءها الا الخراب وقيام الاهالي . وقد نبهنا جمالاً الى هذا الامر وحذرناه من نوري وأحزابه ومن أقوال الجواسيس الخ . .

٤ – كنا نعتقد ان ثورة الحجاز توقف بغي جمال عند حد وانه هو الذي جعلها ضربة لازب لا مناص منها ولا مفر وذلك ان الفارين من بغي جمال باشا هم الذين جرّوا الشريف حسيناً على ما كان يهواه من الثورة وهم الذين قاموا مع الضباط العراقيين بأثقل أعبائها .

وقد كان الامر كذلك كما بينه الامير شكيب في فصل خاص من

الصدر الاعظم الى المابين الهمايوني بذلك لمحادثه بالتلفون زميلنا إحسان بك الجابري الذي كان من أمناء سر السلطان وعرف منه طلب جمال باشا هذا وكتب إحسان بك ذلك في مذكراته اليومية .

مقاله فراجعه في (ص ٢٠٧) وما بعدها فقد صرح في أوله بأن جمالاً خاف العواقب فعدل عن المخاشنة الى المحاسنة . وبأنه استدعاه هو وبعض زعماء العشائر (وسماهم) وتكلم معهم في اتحاد العرب والترك وفي مقاصد الدولة العلية الحقيقية (قال) وأفاض بكلام بعضه صحيح وبعضه سياسة والتمس منا السهر على الامانة للدولة وأنا وان كنت لا أصدق كلامه في البراءة من السياسة الطورانية ...لم أخالفه في الطعن بسياسة الشريف من جهة محالفته لانكلترة وتصديقه لمعاهداتها الخ .

ثم ذكر أن توفيق بك الذي جعله جمال باشا وكيلاً لولاية الشام اجتهد في إقناعه بوجود مؤامرة على قتله وخلع طاعة الدولة وانه مع ذلك اضطر الى الاكتفاء بالحبس ولم يتجاوزه الى القتل ـ أي بعد أن كان يقتل بدون ذنب ـ وذكر ما قيل من أن الاستانة أنذرته في هذه الكرة إنذاراً شديداً بان يعدل عن خطته المعهودة لانه قد طفح الكيل . الخ .

وقد كنت صرحت بما يرجى من هذا التأثير في مقالة (المسألة العربية) التاريخية التي نشرت في الجزء الاول من المجلد العشرين الذي صدر في شوال سنة ١٣٣٥ هـ (يوليو سنة ١٩١٧ م) بعد أن حذفت المراقبة البريطانية منها ما حذفت وكانت كتبت في السنة التي قبل هذه السنة . ثم صرحت في الفصل السابع من الرحلة الحجازية : « بأن الثورة الحجازية قد أدت وظيفتها وأفادت ما رجوناه منها فأنقذت الحجاز وأوقفت بغي البغاة » ولكن خاب سعيي في إيقافها عند هذا الحد حتى لا تكون من أسباب انكسار الدولة في الحرب كما بينته في مواضع متعددة بالتلميح عند العجز عن التصريح ثم بالتصريح عقب زوال المراقبة .

٥ — كنت أعتقد ان المصلحة العامة للبشر عامة وللشعوب المستضعفة خاصة أن تنتهي الحرب الكبرى بهد قوى الحلفين القائمين بها جميعاً وعود التوازن بين دولها في عهد الضعف الى ما كان عليه في عهد القوة وإلاّ فبانتصار الحلف الذي فيه الدولة العثمانية وكان يخالفني في هذا بعض من اكاشفهم به حتى من المسلمين قائلين ان الاتحاديين اذا انتصروا لا يقف بغيهم عند حد فهم سيقضون على الامة العربية قضاء مبرماً ويستعبدونها استعباداً لا يقوم لها بعدها قائمة وسيقضون أيضاً على الدين الاسلامي متممين ما بدأوا به . وكنت أجيب بانني أعلم من سوء نية زعماء الاتحاديين فوق ما تعلمون ولكنني أعتقد ان الالمان لا يمكنونهم من مثل هذا الإفساد الذي يضطرون الى السكوت لهم عليه في زمن الحرب اتقاء للفشل فيها . وانه لا بد أن يقدر الالمان من قدر الامة العربية ما لا يقدره هؤلاء الاتحاديون المتطرفون وان الشعب التركي الذي يغلب عليه التدين بالاسلام سيكون عوناً لنا وللالمان عليهم .

وقد ذكر الامير شكيب في مقالته ما يؤيد هذا الرأي ما سبق له في هذا السبيل من السعي وهو ما ذكره في (ص ١٣٢) من سعيه لدى قنصل المانية في الشام ليتوسل بنفوذ حكومته لدى حليفتها بمنع فظائع جمال باشا لان الضرر يعود عليها من ذلك . وقوله : « ان قتل هؤلاء الجماعة سيحدث بين العرب والترك فتنة لا نهاية لها فتكونون زدتم الدول الائتلافية قوة أمة جديدة هي الامة العربية » . وقول القنصل بعد اخباره اياه بعجز سفارتهم في الاستانة عن عمل شيء في هذا الباب : ان الاتراك سيندمون على هذا العمل . ثم ما ذكره في (ص ١٣٣) من سعيه لدى (فون

كولمان) الذي كان سفير الدولة الالمانية في الاستانة لجعل الترك والعرب كالنمسة والمجر . ثم لدى خلفه (الكونت برنستورف) الذي كان يصرح بانه على هذا الرأي .الخ .

فثبت بهذا ان آراءنا كانت صحيحة لانها مبنية على الروية والتدقيق في البحث عن الحق ولكنني لم أكن آمناً من عاقبة غرور الاتحاديين وتهورهم اذا انتصروا ولا يائساً من رحمة الله بهذه الامة اذا انكسرت الدولة بسوء تصرفهم ولا محل لشرح هذا هنا .

هذا واننا سنعود لشيء من هذا البحث في الرحلة الاوربية ونبين فيها ما كان من شدة نفور السواد الاعظم من الترك من أعمال الاتحاديين واضمارهم للثورة عليهم بعد الحرب ومن منع الغازي مصطفى كمال باشا وزعمائهم من دخول الاناضول مدة الحرب لكراهة الامة لهم وحذراً من وقوع الشقاق بوجودهم وما علمناه مما لقينا من الاتحاديين انفسهم من اعترافهم بخطئهم في المسألتين العربية والاسلامية ومن سعيهم الآن لتكوين الجامعة الاسلامية مع عدم الرجوع عن الجنسية الطورانية وقد تولى جمال باشا أفضل عمل يمكن عمله للجامعة الاسلامية وهو تنظيم الجيش الافغاني الباسل . ولكن وردت الانباء بان بعض أشقياء الارمن قد اغتاله في القوقاس منصرفاً من أوربة الى الافغان . ولا شك ان فقده الان خسارة كبيرة لانه كان قائماً بعمل عظيم ولكن رجال الثورات قلما يموتون حتف أنوفهم .



وللسيد في المنار الجزء السابع من المجلد الثالث والعشرين

تحت عنوان «الرحلة الاوروبية» ما يلي أحببنا نقله هنا لما فيه من الفوائد السياسية

حديثنا مع أعضاء جمعية الامم

كان مما قرره أعضاء المؤتمر السوري الفلسطيني قبل انفضاضه أن يسعى بعض أعضائه الى مقابلة بعض أعضاء جمعية الامم الذين يرجى أن يعطفوا على قضيتنا اذا عرفوا كنهها والذين يرجي أن نستفيد من الحديث معهم فائدة تزيدنا بصيرة في أمرنا فكتب الامير شكيب الى كثير منهم مكتوبات خاصة يطلب فيها تعيين وقت لمقابلة وفد من أعضاء مؤتمرنا وان يخبروه به ـ من حيث انه هو (السكرتير) للمؤتمر ـ فاجاب كثير منهم الطلب وأبى المندوبان الفرنسيان واستكبرا أن يجيبا كأنهما لا يعترفان بأن مؤتمراً عقد . على ان حكومتهما قد كانت أشد اهتماماً بأمر المؤتمر من زميلتها انكلترة فحملت صنائعها في سورية على توقيع عرائض ينكرون فيها أن يكون المؤتمر ممثلاً لهم ومعبراً عن إرادتهم فأجابها الى ذلك أيهم أشد نفاقاً من المستخدمين وقليل من الجبناء الطامعين[1] . وستفصل أخبارهم في هذا مع غيرها في كتاب المؤتمر الذي سيكون تاريخاً دقيقاً لهذا العمل . وكذلك مندوب الهند وأمره ليس بيده بل بيد سكرتيره

---

(١) أخذ الفرنسيس في ذلك الوقت برقيات استنكار لعمل المؤتمر السوري الفلسطيني من كثير من السوريين وبينهم عدد من المشايخ المعممين في دمشق وقد أوردنا هذا الشاهد في بابه من رسالتنا المشهورة «لماذا تأخر المسلمون» .

الانكليزي . وإنما مراد انكلترة من وجوده كثرة أنصارها في الجمعية .

وكان ممن أجاب الطلب رئيس مجلس جمعية الامم وهو مندوب الصين ورئيس الجمعية العامة وهو مندوب هولندة ومن الاعضاء البرنس أرفع الدولة مندوب ايران واللورد روبرت سيسل البريطاني الشهير مندوب حكومة الترانسفال والمستر فيشر مندوب الدولة البريطانية نفسها وكذا مندوبو ايطالية واسبانية والبرازيل والارجنتين وغيرهم . وكنا نبسط لكل منهم قضيتنا وكان أشدهم عطفاً عليها وتمنياً لمساعدتنا مندوبا ايران والصين لما بيننا وبين شعوبهما من الجامعة الشرقية ويليهما مندوبو البرازيل والارجنتين فمندوبا اسبانية وهولندة .

كان بسطنا للقضية لدى هؤلاء متشابهاً وكان الامير ميشيل يتكلم معهم باللين والاعتدال ولا سيما مع الاوروبيين منهم وكنت انا والامير شكيب نتكلم بشدة في رفض الانتداب وسوء الاعتقاد بالدولتين المتصديتين له ووصف سيرتهما وكان سليمان بك كنعان يزيد علينا بيـاناً في قضية لبنان ومثله توفيق بك حماد وشكري أفندي الجمل في الشكوى من الوطن القومي لليهود في فلسطين . ولا فائدة في استقصاء ما دار بيننا وبينهم كلهم في ذلك ولا بد من بيان نموذج منه :

مناقشتنا للورد سيسل

قابلنا اللورد روبرت سيسل في عصر يوم الجمعة (٣٠ سبتمبر) ومكثنا معه ساعة وربع ساعة وقد أفاض في الكلام معنا بطلاقة وحرية غريبة وهو جالس على كرسي بين الجالس والمستلقي . كما أجلس أنا في عـامة

الاوقات إلا أنني أتحامى هذه الجلسة إذا كنت مع بعض المتكلفين المحافظين على الرسوم فأترك راحتي مراعاة لهم والظاهر أن الرأي العام في اوربة لا ينتقد مثل هذه العادة ولا يعدها مخلة بآداب المجلس والا كان اللورد قليل الاحترام لنا وكبراء الانكليز شديدو المحافظة على الآداب العامة على كبريائهم وإعجابهم بانفسهم ·

بسطنا قضيتنا للورد وبينا له رأي أمتنا في الانتداب وخصصنا بالذكر مسألتي فلسطين ولبنان فقال : ان البلاد السورية لا تزال بحسب القانون الدولي من بلاد العدو المحتلة صاحبتها الدولة التركية وهي في حالة حرب مع دول الاحلاف لانها لم تصدق على معاهدة سيفر التي أمضاها مندوبوها فلهذا لم ترَ جمعية الامم أن لها حقاً في النظر في صكوك الانتداب للبلاد المرموز لها بحرف (أ) المقدمة لها من انكلترة وفرنسة وقد اقترحت أنا النظر فيها فلم يقبل اقتراحي ·

(هذا نص كلامه وقد كانت الجرائد ذكرت أن كلاً من الدولتين وضعت صكاً لانتدابها ونشرت صك الانتداب للعراق — وهو سيء جداً — ولم ينشر صك الانتداب لسورية لأنه أسوأ · والظاهر انهما استرجعتا الصكين ثم استبدلتا غيرهما بها في هذا العام وقد أقرهما مجلس عصبة الامم وان لم يكن له حق في ذلك بشهادة اللورد) ·

ثم قال اللورد : ان الغرض من الانتداب أن تكون البلاد المفروض عليها مستقلة في إدارتها وتساعدها الدولة المنتدبة حتى تستعد للاستقلال التام ·

قلنا : نعم هذا ما نص في عهد جمعية الامم ولكنه خداع كشفته

سيرة الدولتين المستوليتين على البلاد قبل أن يتم لها أمر الانتداب . ومما ذكر في عهد الجمعية ان لاهل البلاد الحق الاول في اختيار الدولة المنتدبة ونشرت الدولتان بلاغاً رسمياً وعدتا فيه بالعمل برغبة الاهالي ثم أخلفتا الوعد ولم تعتد برأي الاهالي في شيء .

قال : نعم ولكن الدولتين احتاطتا لذلك فجعلتا الاتفاق بينهما حائلاً دون انتفاع أهل البلاد بهذا النص وهو أن لا تقبل فرنسا الانتداب لفلسطين ولا للعراق ولا تقبل بريطانية الانتداب لسورية كما انهما لا تمكنان دولة أخرى من التصدي لهذا الانتداب .

وقال جواباً على كلام يتعلق بعدم تمكينها جمعية الامم من جعل الانتداب موافقاً لروح عهدها ونصوصها : ان للجمعية أن تفعل ذلك بأن تطبق الانتداب على مبدئها وروح عهدها فلا تقبل ما يخالف ذلك .

ثم قال ان حكومة العراق الجديدة موافقة لروح جمعية الامم وان انكلترة تنوي مساعدة هذه الحكومة بإخلاص وان سورية تستحق حكومة مثلها - لكنه اعترف بان مسألة فلسطين مشكلة ودقيقة (أي انها غير متفقة مع نصوص جمعية الامم ولا مع روحها) وقال ان انكلترة مضطرة الى الوفاء لليهود بوعد بلفور وإلى ارضاء العرب وحفظ حقوقهم وهي ستجتهد في اختراع وسيلة لارضاء الفريقين مع موافقة روح جمعية الامم في الانتداب .

هكذا قال اللورد ولكن صك الانتداب الذي ظهر أخيراً لم يرض الا اليهود الصهيونيين وحدهم وقد أغضب العرب وخفر عهود انكلترة لهم وأخلف الوعود التي منتهم بها ولم يوافق روح عصبة الامم ولا نص

موادها فمن نصدق وبمن نثق ؟ الا اننا لم نصدق قول اللورد ولكن كان يصدق مثله ومن دونه كثير من الفلسطينيين حتى أتاهم اليقين .

ولما صرحنا للورد باننا لا نقبل هذا الانتداب بحال من الاحوال ولا نصدق الوعود والاقوال نصح لنا بان لا نعرقل مسألة الانتـداب بل بان نقبله ونطالب بجعله موافقاً لروح جمعية الامم فانه ضربة لازب (قال) : ومعاهدة سيفر وان كانت ستعدل فبلاد العرب لن تعود الى الحكومة التركية . فليس أمامنا من نتكل عليه لانصافنا من سوء التصرف في الانتداب الا جمعية الامم نفسها لانها هي صاحبة الحق في المراقبة على الدول المنتدبة ومحاسبتها على أعمالها .

قال هذا جواباً عما أطـال به الامير ميشيل من سوء التصرف في البلاد باسم الانتداب فكأن اللورد توهم انه يمكن أن نقبله اذا حسن التصرف فيه وقد صرحت أنا والامير شكيب باننا لا يمكن ان نقبله كما تقدم واننا انما نذكر سوء التصرف فيه لإقامة الحجة من الان على سوء النية لا للانتصاف .

وكان ملخص كلامي له : انه ليس في استطاعتنا أن نحج الدولتين ويكون لنا الفلج عليهما في دائرة قانون هما الواضعتان له والحاكمتـان به والمنفذتان له بالقوة وإنما نشكو الى عصبة الامم مذ الان هذا الامر ونبين لها انه مخالف لمبدئها وغايتها ـ ولا نخاطبه به بصفته البريطانية بل بكونه من كبراء أعضاء العصبة الذين تشبعوا بروحها كما نسمع عنه ونرى ان مثله ينبغي أن يعرف الروح السائدة في الشرق الان ولا سيما سوريا وفلسطين وسائر بلاد العرب وان الحرب الاخيرة قد علمتهم ان الحياة يجب أن

تكون رخيصة في سبيل الحرية فهم لا يبالون ببذل دمائهم في سبيلها — وأنهم قد ثبت عندهم أن هذا الانتداب إستعمار واستعباد لا مساعدة لاجل استقلالهم ولو كان مساعدة لما قاوموه كل هذه المقاومة . وقد اجاب عن أول هذا الكلام ولم يجب عن الجملة الاخيرة بل قام على أثرها .

كلامي مع المندوب البريطاني

وأذكر مما قلته لمستر فيشر المندوب البريطاني في أثناء حديث وفدنا معه : ان أهل الشرق كانوا يثقون بالبريطانيين ما لا يثقون بغيرهم من الغربيين ولا الشرقيين ويضربون المثل بصدقهم ووفائهم . فإذا أراد أحد أن يقول قولاً فصلاً صادقاً لا رجوع فيه قال : « كلمة انكليزية » وقد انقلب هذا الاعتقاد بعد الهدنة من الحرب العامة الى ضده فلم يعد أحد يثق بقول انكليزي ولا غيره من الاوروبيين بل خسرت أوربة كل ما كان من نفوذها الادبي .

ذلكم بأنكم في اثناء هذه الحرب قد القيتم على جميع الامم والشعوب في الشرق والغرب درساً واحداً كان يتكرر في كل يوم مدة أربع سنين وهو أن الغرض من هذه الحرب بين حلفكم والحلف الجرماني هو نصر سلطان الحق وحرية الامم والشعوب على سلطان القوة والاعتداء على الضعفاء وإخضاعهم بالسلاح العسكري ووعدتمونا معشر العرب وعوداً خاصة بأننا سنكون بانتصاركم أحراراً مستقلين وقد امتزجت هذه الوعود بدمائنا وأعصابنا كما صدقت الشعوب كلها تلك الدروس التي كانت تلقيها عليها

برقيات روتر وهافاس كل يوم وتشرحها وتفصلها جرائدكم وجرائد أحلافكم.

وما كان إلا أن وضعت الحرب أوزارها بخضوع أعدائكم لكم ونزولهم على شروطكم في الهدنة والصلح حتى نثلت الكنائن وظهرت الدفائن فعلم أنكم إنما خشيتم أن تشاركم الدولة الالمانية بقوتها في استعبادكم للشعوب واستعماركم لبلادها فأردتم القضاء على قوتها لتنفردوا بذلك. وكان أسوأ الناس خيبة من اتخذتموهم واتخذوكم أصدقاء من مخدوعي الامة العربية فانكم انتزعتم منها خير بلادها وأخصبها ومواطن مدنيتها وهي سوريا والعراق فقسمتموها بينكم وبين حليفتكم فرنسة اقتسام الغنائم وقهرتموها على الخضوع لحكمكم بالدبابات والطيارات والبنادق والمدافع.

وانا نرى انما أسستم امبراطوريتكم العظيمة بالقوة المعنوية والادبية كالدهاء والحكمة واللين وانكم ستكونون باستبدال القوة العسكرية الوحشية بها من الخاسرين واني قد كتبت في إثبات هذه القضية مذكرة أرسلتها الى وزيركم الاكبر لويد جورج في العام الماضي أثبت فيها انه يمكن لكم أن تربحوا من الشعوب العربية والتركية والفارسية وغيرها من أمم الشرق بالصداقة وحسن المعاملة معها إذا تركتم لها استقلالها أضعاف ما تتصورون من الربح منها باستعبادها واستذلالها. والخداع بالاقوال كتسمية الاستعمار بالانتداب لم يبق له رواج عند أحد من الناس.

وقد انسل المندوب البريطاني من المناقشة في هذا الموضوع بأنه الآن عضو في جمعية الامم لا في الوزارة البريطانية وان الانتداب مقرر في عهد الجمعية وليس موكولاً الى أعضائها ليقرروه أو يتركوه وإنما يطالبون بجعله مطابقاً للمبادئ والاحكام الموضوعة له.

وبما أضحكنا من كلام المندوب الايطالي أنني لما غمزت الحلفاء باقتسام بلادنا باسم الانتداب قال: إننا نحن لم نأخذ شيئاً !!

مندوب الصين

ومما قلته لمندوب الصين: ــ وهو رئيس مجلس العصبة بالانتخاب ويا له من رجل عالم عاقل حليم ــ لا يغرب عن علم سعادتكم ان الدول الغربية الطامعة تعد الشرق كله مباحاً لها وترى انه ليس لشعوبها حق في الحرية القومية واستقلال الحكم الا من أثبت ذلك لنفسه بالقوة الحربية القاهرة كاليابان وما يمنعهم من العدوان على شعب شرقي ضعيف في عقر داره لسلب حريته واستغلال بلاده بيده ــ وأيديهم من فوقها ــ إلا التنازع فيما بينهم عليه وقد بدأوا بعد هذه الحرب الوحشية باقتسام بلاد الشرق الادنى فاذا فرغوا منها لا يبقى أمامهم إلا الشرق الأقصى فأنتم بدفاعكم عن قضيتنا تدافعون عن أنفسكم:

من حلقت لحية جار له   فليسكب الماء على لحيته

فاعترف بصحة هذا القول وبوجوب تكافل الشرقيين وتعاونهم على جعل آسية للاسيويين. وقد عني بنا أكثر من غيره.

مندوب ايران

ومما قلته لمندوب ايران ــ البرنس ارفع الدولة ــ ان خصم المسلمين الاكبر في الشرق بل خصم الشرق كله هو الدولة البريطانية وهي مع المسلمين اليوم على طرفين متقابلين وان كانا يشتركان في أن كلا منهما أقوى ما كان وأضعف ما كان في كل تاريخ حياته.

فأما الدولة البريطانية فقد خرجت من هذه الحرب وهي سيدة اوربة كلها — دع الشرق — فإنها استراحت من خطر الاسطول الالماني الذي كان يهدد سيادتها البحرية بالزوال وأضافت الى مستعمراتها بلاداً واسعة غنية ... ودكت صرح الدولة العثمانية وجعلت أختها الدولة الايرانية تحت حمايتها وأحاطت بجزيرة العرب من أطرافها بعد أن اعلنت الحماية على مصر واحتلت العراق وفلسطين (الارض المقدسة) وانفردت بالسلطان في البحر المتوسط فصار كل دولة وراءها كالخدم وراء المخدوم ولكن هذه العظمة والرفعة هي منتهى ما يمكن أن تصل اليه ولا يطيق النوع البشري احتمال عظمة فوق هذه . فهي قد بلغت القمة ولما كان الوقوف والسكون في عالم الاحياء محالاً لم يبق إلا أن تنحدر وتتدهور . وقد بدت آيات الانحدار والسقوط فقد ثارت عليها ارلندة ومصر [1] والعراق ثورات دموية . وثارت فلسطين ثورة سياسية والهند ثورة اجتماعية . ونجم نبت الشقاق بينها وبين جارتها وأقوى حليفاتها الدولة الفرنسية ورفضت ايران معاهدتها الاستعبادية وصارت جارتها أفغانستان دولة مستقلة حربية واستعادت الامة التركية قوتها الحربية . ووراء ذلك كله الروسية البلشفية .

---

(١) بعد أن قال السيد هذا ببضع عشرة سنة تحققت أماني ارلندة ثم أماني مصر في الاستقلال وكان قد سبق استقلال العراق أيضاً . فأنت ترى الحكم السياسية التي تأتي في كلام السيد رشيد ويحققها الزمن . وأما مسألة فلسطين فلا تزال في إبان شدتها كما ان أهالي الهند أعطوا قانوناً جديداً يجعلهم قرباء من ممالك الدومنيون البريطانية وهم به غير راضين .

كل هذه المعضلات قد فاجأتها وهي في هذا الاوج من مجدها . فعجزت عن معالجة أدنى معضلة منها .

وأما المسلمون فقد انتهت هذه الحرب بالقضاء على ما بقي من دولهم المستقلة واقتسام ما بقي من بلادهم بين الدول الظافرة فبلغوا الحضيض الاسفل من الذلة والمسكنة . ولما كان الوقوف والسكون محالاً لم يبق إلا أن يصعدوا ويرتقوا . وقد ظهرت طلائع الارتقاء بما أشرنا اليه من ثورات شعوبهم ونهوض حكوماتهم . فاذا كانوا قد اعتبروا بما كان من جنايتهم على أنفسهم وتابوا كما نرجو من ذنوبهم وتعاونت شعوبهم مع سائر شعوب الشرق على دفع الضيم والعدوان عنهم فلا ريب في نظر الله اليهم ونصره إياهم . والمسلم لا ييأس من روح الله مهما تكن الخطوب والكوارث التي تساوره لان اليأس لايجتمع مع الايمان بقدرة الله وعنايته وفضله في قلب واحد وهذه آيات الله قد ظهرت للمسلمين بتسخير الامة الروسية لدولتي الاسلام — العثمانية والايرانية — تنصرهما ، وتشد أزرهما ، وتساعدهما على درء الخطر البريطاني عنهما ، بعدما كانت هي الخطر الاكبر عليهما الساعية الى ثل عروشهما وكانت الدولة البريطانية هي التي تقاومها في هذا لا حباً فيهما بل خوفاً أن تنازعها سلطانها البحري بالاستيلاء على الاستانة وتزحف على الهند من طريق ايران — أو كما قال المثل — لا حباً في عليّ ولكن بغضاً في معاوية .

ثم نوهنا بنهضة الغازي مصطفى كمال باشا العسكرية والسياسية ولا سيما عنايته بجمع الكلمة بين الشعوب الاسلامية [1] والشرقية فقال

(١) هكذا كان في مبدإ أمره قبل أن تغلظ شوكته ولكنه فيما بعد قلب للاسلام ظهر المجن .

البرنس : لولا مصطفى كمال باشا لكان كل مسلم في الدنيا ذليلاً الان .

وبهذه المناسبة أذكر أنني قلت لأكثر من تكلمت معهم من اعضاء جمعية الامم بالاشتراك مع بعض اخواني من وفد المؤتمر أو منفرداً ولرئيس الجمعية خاصة — وهو آخر من تكلم معه الوفد — ما ملخصه :

بعض كلامي لرئيس جمعية الامم

إن هذه الجمعية التي اقترح الرئيس ويلسون تأليفها من جميع أمم الحضارة لخير جميع البشر لا يليق بشرفها وشرف امها وحكوماتها وشرف المبدإ والغاية الموضوعين لعلمها أن تكون آلة لدولتين استعماريتين تكفل لهما استعباد من استوليتا عليه من الشعوب قبل الحرب ومن تريدان الاستيلاء عليهم بعدها باسم الانتداب منها ولا سيما بلادنا العربية التي هي قلب الارض ومهد الاديان الكبرى في العالم وموضوع التنازع في النفوذ بين الدول الكبرى : فان هاتين الدولتين قد قلبتا الموضوع فحولتا الغاية المقصودة من الجمعية الى ضدها . وقد عزّ عليها أن تحتمل تبعة الاستيلاء على البلاد المقدسة ومهد الاديان السماوية الكبرى فجعلت تبعته على عاتق هذه الجمعية وكلفتاها أن تكفل لهما هذه الغنيمة وما قبلها من غنائم الاستعمار الذي كان التنازع عليه علة هذه الحرب المخربة ويخشى ان يفضي الى حرب شر منها هولاً وشر مآلاً . — ولا يصح منها أن تسفه نفسها وتحقرها بان تعتذر عن هذه الجريمة بانها مقيدة بقانون وضعه لها هؤلاء الطامعون فان قانونها يجب ان يكون من وضعها وأن يقرر بأصوات الاكثرين من أعضاء جمعيتها العامة فاما أن تقبل الدول الطامعة ذلك

وإما أن يفتضح رياؤها وتلقي عليها وحدها تبعة ما ستجنيه على البشر مطامعها ٠

إذا كان البلقان هو مسعر نيران الفتن والحرب في الغرب ٠ فان سورية وفلسطين وسائر بلاد العرب ستكون مسعر نيران الفتن والحرب في الغرب والشرق جميعاً ٠ واذا كانت انكلترة وفرنسة قد فقدتا في عاقبة هذه الحرب كل ما كان لهما من النفوذ الادبي في الشرق ٠ فتكون جمعية الامم هي القاضية على نفوذ اوربة الادبي في العالم كله اذا رضيت أن تكون آلة لهما فيما ذكرنا ٠ واذا أصبحت اوربة لا تبالي بالنفوذ الادبي لاستحواذ الافكار المادية عليها - كما قال فيلسوفها الاكبر هربرت سبنسر - فلتعلم ان النفوذ المادي سيتبع النفوذ الادبي ٠ فان الشرق قد استيقظ وعرف نفسه ٠ ولن يرضى بعد اليوم أن تكون شعوبه عبيداً أذلاء للطامعين المستعمرين ٠ ولتعلمن نبأه بعد حين ٠ اه ٠



تأبين السيد رشيد لأخي نسيب

رحم الله الاثنين

عندما انتقل أخي الاكبر نسيب الى رحمة ربه كتب السيد رشيد في تأبينه في الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين الذي تاريخه ٣٠ رجب ١٣٤٦ ه ما يلي :

(الامير نسيب أرسلان) هو من خيرة امراء هذا البيت الكريم – أمراء أرسلان – تهذيباً وعلماً وأدباً كان رحمه الله تعالى ركناً من أركان النهضة العربية الجديدة وشاعراً من ابلغ شعرائها وخطيباً من مصاقع خطبائها . وحسبك انه ثالث العمرين الاميرين الشهيرين شقيقيه الامير شكيب والامير عادل وان لم يشتهر في مصر والبلاد غير العربية كشهرتهما لانه لم يتح له من السياحة في الارض ما أتيح لهما بل قضت عليه شؤون الامرة النبيلة أن يظل في وطنه كما أشرت الى ذلك في تعزيتي عنه لآله وأسرته خطاباً لاخي الكريم ووليي الحميم الامير أبي غالب شكيب وهذا نصها :

من محمد رشيد رضا الى اخيه الامير شكيب ارسلان

أطال الله تعالى بقاء أمير البيان وعماد بيت أمراء أرسلان وأحسن عزاءه وعزاءنا به عن شقيقه الامير نسيب الكاتب الاديب والشاعر الخطيب والكافل لخدمة أم الامراء في الوطن وقد طوحت باخويه طوائح

الزمن وأطال لنا وله بقاء شقيقه الامير عادل رب السيف والقلم ورافع الراية والعلم خوّاض الغمرات ومنقض الطيارات[1] قائد الكماة الاباة في ميادين الجهاد والحماة الرماة في مواطن الجلاد وأبقى الله فيما يطيل من عهده وللامة في مستقبلها البعيد من بعده عمر نجله النجيب وغصن دوحته الرطيب (الامير غالب) يحسن تأديبه وتربيته . وبتم تثقيفه وتنشئته فله منهما خير عزاء وسلوة وفيما فقدنا وفقدوا من السلف والخلف أحسن أسوة .

ولأنت أيها الامير بعلمك وتجاربك وكبر نفسك وعلو همتك وبما يتنشب في قلبك من حب وطنك وما يلوث بزعامتك من حقوق امتك أجدر بالصبر عن أخيك من الخنساء بالصبر عن أخيها على كونك أحق منها بالتمثل بقولها :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن اعزّي النفس عنه بالتأسي

فأطال الله بقاءك لامتك العربية المظلومة والملة الاسلامية المهضومة ولوطنك السوري المجتاح فكل منهن محتاج الى علمك وبيانك والى قلمك ولسانك وأطال الله حياتك لامراء آل رسلان تجدد من مجدهم ما لا يخلقه الزمان وإنما هو طور جديد واسلوب طريف لفضل تليد جمعت به بين قلم ابن خلدون ومقول سحبان تملي بألسنة العرب والترك والفرنسيس والالمان . أفليس هذا تجديداً لادب أجدادك الذين قال فيهم اليازجي الكبير شاعر لبنان :

---

(١) وقع له أن رمى طيارة فأسقطها في أثناء الثورة السورية .

شبانهم مثل الشيوخ نباهة　　وشيوخهم في البأس كالغلمان
ويخاطبون بكل فن أهله　　فكأن واحدهم بالف لسان

بلى فهذا هو المجد لا ما يكذب دعيّه فيه الاب والجد وهذه هي الزعامة والامارة لا الالقاب المزورة والمستعارة فاصبر فإن مصابك بالجناة على وطنك وامتك أوجع من مصابك بابن أبيك وامك (واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تكُ في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

رشيد رضا

وقد اجبته عن كتابه هذا بما يلي : وهو منشور في المنار الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين تاريخ ٣٠ ذي الحجة ١٣٤٦ وذكر الاستاذ ان كلا الكتابين نشره كثير من الجرائد العربية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان وعدوهما من الآثار الادبية في عبارتهما كما أنهما من آيات الإخلاص في الاخوة الروحية بين صاحبيهما :

الى حضرة الاستاذ الاكبر والسراج الازهر ، القدوة الحجة ، مذكي المنار ، الهادي الى اقوم محجة ، السيد رشيد رضا أمتع الله الاسلام بطول حياته آمين

إذا كنت قد فقدت أخي الكبير فما زال لي منك أخ أكبر واذا كان قد انهد ركني المتين فلم يبرح لي منك ركن أركن وعماد أمتن ، وليس بمهيض الجناح من أنت جناحه ولا بأعزل في الميدان من رضا السيد من آل الرضى سلاحه . ولقد كان ما تفضلت به من التعزية على صفحات الصحف السيارة خير جابر لخاطري الكسير ومرقئ لدمعي الغزير ولم يكن

بأول برهان على خلقك العظيم وقلبك الكبير وعلى أنك تعطف على القليل فإذا به باكسير نظرك كثير ٠ وكأنك علمت بما فت هذا الخطب من عضدي وكوى من كبدي فبدرت إليّ بما يكف سورة الخطب ويكفكف صوبة الدمع ويشفي حرقة الصدر ،يهيب بي إلى ما أمرنا به من الصبر ٠

فأسأل الله واجب الوجود أن يمتع الاسلام كله بطول بقائك وأن يهدي القاصي والداني بأشعة ضيائك وأن يقيك للامة العربية السند الاقوى والجناب الامنع والبرهان الاسطع والحجة القاطعة التي لا تدفع وان يجعل البركة في حياة أنجالك وأن يقر عينك بذريتك وكلالتك وآلك ٠ ولعمري إنه بسلامتكم يحسن العزاء وبوجودك تهون الارزاء وبطلعة محياك عوض عن كل ما ساء ٠ وما ضرّ أن يكابر مكابر أو يعاند معاند فالحق شديد المحال والنور لا يختفي بمحال وما يتعب هؤلاء أنفسهم الا بالمحال :

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويجهد أن يأتي لها بضريب

شكيب أرسلان

ولما نشر الاستاذ تأليفه الممتع المسمى بالوحي المحمدي كتبت له التقريظ الآتي ، الذي نشره الاستاذ في نفس الكتاب وفي المنار الجزء الاول من المجلد الرابع والثلاثين بتاريخ ٢٩ المحرم سنة ١٣٥٣ :

كتاب الوحى المحمدى

إن المسلمين على بينة من أمرهم لا يحتاجون الى دعاية ولا الى التماس الادلة حتى يعتقدوا بوجود واجب الوجود الذي لا يمكن العقل البشري

أن يتصور هذا الكون بدونه وكذلك لا يفتقرون الى الادلة على صحة نبوة محمد (ص) بعد أن تلقوا خلفاً عن سلف النور الذي أنزل عليه والذي ما زال ينيرهم من العهد المصطفوي الى الان . فكتاب الوحي المحمدي للاستاذ العلامة حجة الاسلام في هذا العصر السيد محمد رشيد رضا لم يكتب في الحقيقة للمسلمين لانه كتاب يقيم الادلة على صحة امر يحيا المسلمون ويموتون عليه ويرون جميع براهينه من قبل البديهيات التي لا لا تحتاج عندهم الى برهان كما لا يحتاج النهار الى دليل . وإنما وضع الاستاذ هذا للاوروبيين الذين يريدون أن يعلموا ما عند الاسلام من الادلة على صحة الوحي المحمدي والذين منهم من اذا أنار لهم الدليل لم يكابروا فيه تعصباً وعدواناً وصدوداً عن رؤيته . وقد كتبه أيضاً لكل من نشأ نشأة اوربية أي خالية من التربية الاسلامية حتى يكون الناشىء قد ارتضع فيها مبادىء الاسلام مع لبن امه فيقال إنها رسخت فيه من الصغر . ولما كان جميع من يقرأون العلوم العصرية اليوم ويتعلمون بحسب برامج الحكومات الاسلامية الحاضرة هم في الحقيقة أشبه بناشئة الاوربيين من جهة فقد التربية الاسلامية أو على ما يقرب من ذلك .

فلهذا كنا ندعو لقراءة هذا المؤلف ليس الاوربيين فحسب بل ناشئة المسلمين أيضاً ولا سيما الناشئة التي أبت الحكومات الاسلامية الا ان تطبعها بالطابع الاوربي لاننا في هذا العصر مغلوبون واوربة هي الغالبة ، والمغلوب مولع بتقليد الغالب حتى في الخطأ كما قال ابن خلدون . فالاستاذ الحجة يسرد للمرتابين الاسباب التي تحمل المسلم على أن لا يرتاب بصحة الوحي النازل على محمد عليه السلام . يقول :

« إن محمداً كان أمياً لم يقرأ سفراً ولم يكتب سطراً وهذا القرآن العظيم بفصاحته وبلاغته وإشارته الى جميع مناحي الاجتماع بأرشق اشارة وأوجز عبارة لو لم يكن من عند الله لا يعقل أن يقوم به رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولم يحصل علماً من قبل بل قضى طفولته في البادية عند بني سعد بن بكر يرعى الغنم مع اخوته في الرضاع . ثم انه نشأ يتيماً وكان مع يتمه المثل الاعلى في حسن التربية واستقامة الاخلاق حتى لقب بالامين ولم يكن أحد يباري في استقامته وكانوا لنزاهته يختارونه ليقوم بما يختلفون فيه فيما بينهم فيستحيل أن يكون رجلاً موصوفاً بالصدق والامانة الى هذا الحد من أول نشأته الى أن يبلغ سن الاربعين ثم يتحول دفعة واحدة فيصير كاذباً مفترياً ويضع من عنده أشياء يدعو الناس اليها ويقول إنه سمع صوتاً ولو لم يسمع صوتاً وشاهد ملكاً ولو لم يشاهد ملكاً . إن هذا من الامور المستحيلة عرفاً . ثم انه لم يكن طالباً شيئاً من وراء ما قام به من الدعوة لنقول انه كذب على الناس لينال حظاً من حظوظ هذه الدنيا . فكل أحد يعلم انه لم يكن ينشد ملكاً ولا مالاً ولا ثروة ولا جاهاً . فلأي شيء يقوم بدعاية غير صحيحة ويضع أشياء من عند نفسه ويتحمل عليها الهزؤ والسخرية ثم البغضاء والشنآن ثم الاضطهاد والانتقام ويتعرض لخطر القتل وهو لا يريد رياسة ولا نفاسة ولا نعمة دنيوية من جميع هذه النعم بل كل ما يريده أن يترك قومه عبادة هذه الاصنام التي ما أنزل الله بها من سلطان والرجوع الى عبادة الواحد الاحد مبدع هذا الكون لا إله الا هو .

قد كان محمد عليه السلام مؤثراً العزلة ، لا يخالط أبناء عصره في

مجامعهم ولا يشاركهم في عباداتهم الوثنية . ونشأ من صغره لا يعبد الا الله تعالى وكان من مزاياه أن لا يقول الشعر ولا يخطب في الاندية ولا يتصدى لشيء من مظاهر الرياسة ولا الشهرة فكيف يمكن أن ينقلب دفعة واحدة فيخالط الناس ويدعوهم الى التوحيد والى مكارم الاخلاق ويقوم فيهم بشيراً ونذيراً ويتجشم من العذاب ما يتجشم ويتعرض لآلام أمر من العلقم لو لم يكن هناك باعث فوق العادة حافز له على الخروج من عزلته التي بلغ الاربعين وهو عاكف عليها .»

ويقول السيد رشيد : إنه من المقرر عند علماء النفس وعلماء الاجتماع أن من بلغ سن الخامسة والثلاثين ولم ينبغ في علم أو عمل عالي عظيم لا يمكنه بعد ذلك ان يقوم بشيء منها أُنُفاً (بضمتين) أي جديداً لم يسبق اليه فضلاً عن الجمع بينهما . والحال ان محمداً ظهر بهذا الامر العظيم وبهذا البيان الالهي الذي لم يعهد العرب مثله وذلك بعد الاربعين فلم يكن قبل هذا التاريخ استعد له بشيء ولا وجد ما يدل عليه من قول ولا فعل ولا علم ولا عمل .

قلت : وقد يقول بعض الناس إن محمداً كان يظن في نفسه انه يوحى اليه فهو لم يتعمد الكذب تعمداً وإنما بلغ به التأمل انه كان يسمع تلك الاصوات ويرى تلك الخيالات فيظن ما سمعه وحياً وما رآه ملكاً . والجواب على ذلك ان هذا الوحي كان قولاً ثقيلاً خارقاً للعادة وكان يؤخذ به أخذاً شديداً حتى كان يخاف من نفسه وطالما خاف أن يكون به جنون . وهذا من جملة الادلة على صدقه وكونه لم يتعمد النبوة تعمداً ولا استشرف لها بشيء من الاشياء وانه قد فاجأه الوحي

مفاجأة لم يتقدمه عنده سوى الرؤيا الصادقة وانه جاء وحياً فيه من العلوم العالية كما يقول السيد رشيد والاعمال العظيمة ما كان قلباً للاحوال والاوضاع الدينية والمدنية والاجتماعية بل انقلاباً لا يماثله انقلاب معروف في التاريخ .

ثم إن هذا الكلام الذي نفث في روع محمد ليس من نسق كلامه الذي يعرفه الناس له فقد تكلم محمد عليه السلام قبل البعثة وتكلم بعد البعثة ولا شك انه كان من أفصح البشر وأبلغهم وقد نطق بجوامع من الكلم تحار لها العقول ولكنه لا يزال بين كلامه الخاص وبين القرآن الموحى اليه بون بعيد فلا كلامه الخاص ولا كلام أحد من الانبياء يسامت درجة القرآن في كثير ولا قليل . وكل من تأمل في القرآن العظيم وكان بصيراً بالبلاغة وقابله بكلام البشر يدرك هذا الفرق الكبير .

لا جرم أن القرآن يعلو في بلاغته وأسلوبه وشدة تأثيره علواً كبيراً عن جميع كلام العالمين وكيف يكون ذلك إن لم يكن القرآن وحياً إلهياً ؟ فنقول بعض الناس أن محمداً عليه السلام كانت تعروه نوبة عصبية فيظن نفسه يوحي اليه ليس مما يعلل هذا العلو الذي يعلوه القرآن الذي أوحي اليه على الكلام الذي كان يقوله من نفسه بدون أن يوحى اليه فإن النوبة العصبية التي يزعمونها ليس من شأنها أن تأتي بهذا الاعجاز كله وأن تجعل هذا الفرق البعيد في كلام إنسان واحد .

ثم اننا لا نفهم لماذا يأبون أن يعتقدوا بكون تلك الحالة التي كانت تعرو محمداً عند نزول الوحي عليه هي من شدة وطأة الوحي وكونه قولا ثقيلاً ؟ ولماذا يأبون الا أن يسموا هذه الحالة التي كانت تعروه نوبة

عصبية ناشئة عن مرض من أمراض الجسم ولولم يقم على وجود هذا المرض دليل ؟ فأي استحالة في كون باريء الوجود يوحي الى أحد عباده الذين اصطفى قولاً يحدث نزوله عليه نوبة عصبية يضطرب لها ويتفصد جسده عرقاً كما كان يعتري محمداً عليه السلام . وأيضاً فالنوبة العصبية الناشئة عن علة بدنية تقتضي أن يكون صاحبها مصاباً بداء الصرع أو بمرض عصبي آخر تحدث منه هذه النوبات والحال أن النبي عليه السلام كان سليم الجسم ولم يكن مريضاً ولم يقل أحد من أهل عصره : لا من أعدائه ولا من أصحابه ـ انه كان يصيبه شيء من أعراض الصرع او من أعراض مرض آخر مزمن والذين ذهبوا الي ذلك لم يستندوا إلى ادنى دليل وإنما هي افتراضات مبنية على غير أساس وتخرصات بغير الواقع وبمجرد التخيّل كما هو شأن كثير من الاوربيين او هي فرار من التسليم أن تلك الحالة التي كانت تعرو محمداً عند نزول الوحي عليه هي حالة خاصة بنزول الوحي لم تكن لتحدث لولا ذلك . ولكن محاولة هذا الفرار لا تغني هؤلاء الفارين من الحقيقة شيئاً اذ قد ثبت أن النبي (ص) كان مزاجه عقلاً وبدناً بغاية الاعتدال حتى ان المستشرق الافرنسي ماسينيون نفسه برغم صبغته الكاثوليكية الشديدة يعترف بأن مزاج محمد كان موزوناً لا شائبة فيه . اذاً فافتراض النوبة العصبية بغير تأثير الوحي لم يبق له مجال إلا التعنت .

وقد أشار السيد رشيد الى هذا الموضوع فقال : إن أعداء الرسول من الافرنج وتلاميذهم تأولوا هذه الحالة التي كانت تحدث له بانه كان يعرض له نوبات عصبية وتشنجات هيستيرية . وما أبعد الفرق بين حالته

تلك وحالة أولي الامراض العصبية في المزاج فقد كان مزاجه (ص) معتدلاً ولعله الى الدموي العضلي أقرب فذو النوبة العصبية يعرض له في أثرها من الضعف والاعياء البدني والعقلي ما يرثي له العدو الشامت وأما صاحب تلك الحالة الروحانية العليا فكان يتلو عقب فصمها وتسريها عنه آيات أو سورة كاملة من القرآن الذي بيّنا في هذا البحث بعض وجوه إعجازه اللفظي والمعنوي الخ .

قد اهتممنا بهذه النقطة دون سواها من هذا المعترك لانه لا يكاد يوجد اجد اليوم في اوربة من العلماء المحققين الا وهو معترف بان محمداً لم يتعمد ادعاء النبوة تعمداً لينال بها رياسة او مجداً او مالاً او حظاً من حظوظ الدنيا وانه إنما اراد صلاح عقائد بني عصره من نقلهم عن عبادة الوثن الى عبادة الحق فهذا امر قد اتفقوا عليه تقريباً . ولكنه لا يزال يصعب عليهم التسليم انه كان نبياً يوحى اليه ولما كانوا لا يقدرون ان ينكروا الحالة التي كانت تصيبه قبل ان ينطق بالقرآن وانها حالة لم يكن يتعمدها ولم يكن يمكنه لو اراد ان يتعمدها ويتظاهر بها لجأ بعضهم لتحليل هذه الحالة الى قضية النوبة العصبية ، وذهب آخرون انه من قبيل الوله بالله تعالى الذي يخرج الانسان عن الطور المعتاد . وعلى كل حال قد اجتاز الاوربيون المرحلة الاولى من مراحل الاعتقاد بصحة دعوة محمد ، فقد لبثوا طوال القرون الوسطى يزعمون بتأثير كلام رهبانهم أن محمداً كان كاذباً فرجعوا الان عن هذا القول الى القول بأنه كان صادقاً معتقداً ما يقوله حقاً وان هذا القرآن كان ينزل عليه وكان يعتقد هو انه من عند الله وكان يرى الملك ماثلا أمامه ولكن هذا كان نتيجة

المرض بقول بعضهم أو التخيل بقول الآخرين . فادعاء الكذب على محمد قد سقط اليوم في أكثر بلاد النصرانية وقد اجتيزت المرحلة الاولى فبقيت المرحلة الثانية وهي تصديق كون محمد عليه السلام إنما كانت تحدث له هذه الحالة غير المعتادة لسبب وحي كان يأتيه من قبل الله تعالى لا بمجرد التخيل ولا من قبل المرض . وليس بعجيب أن يتأول هذا التأول أهل عصر مادي كهذا العصر يصعب عليهم الاعتقاد بالغيب وتعليل الامور بغير ما يقع تحت الحس . ولكنهم لو تأملوا لوجدوا أنفسهم عاجزين عجزاً تاماً بإزاء الاسرار الكونية لا يحلون منها مشكلاً الا وصلوا الى سد واقف في وجوههم لا يقدرون أن يجتازوه الا بعد التسليم أن هناك قوة خارقة للعادة وأن القول بوجوده أقرب الى العقل والى العلم من هذه التمحلات الواهية التي يحاولون بها تعليل الحوادث كلها بالاسباب المادية ويلجئهم الامر في أكثر الاحيان الى تلمس الافتراضات المبنية على غير أساس .

إن كتاب « الوحي المحمدي » الذي جاء به الاستاذ السيد رشيد رضا في هذه الايام قد أتى عصره على قدر لانه زمن صار يجب فيه التعليل حتى في الامور التي هي معدودة الى اليوم من البديهيات . وما دمنا نقفو الاوربيين صاعداً ونازلاً ولا مناص لنا من هذا الاقتداء كان لا بد لعلماء المسلمين من إعداد الاسلحة العقلية اللازمة لمكافحة الشبهات التي هي من أصل اوربي . فكتاب الاستاذ واف بهذا الغرض لا يخطر في البال معنى من المعاني التي يقتنع بها القارئ بعلو مزايا الاسلام الا وقد أشار اليه .

نعم قد فات هذا الكتاب موضوع جليل ربما كان أدل على إعجاز القرآن وعلى صحة الوحي به وكونه من عند الله حقاً - من سائر الموضوعات وهذا هو ما في القرآن من الآيات المطابقة للقواعد العلمية التي انتهى اليها تحقيق الاوربيين في هذا العصر من جهة التحولات الكونية . فمن المعلوم أن محمداً عليه السلام فضلاً عن كونه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب قد نشأ في مكة حيث لم تكن علوم ولا معارف ولا جامعات ولا مدارس تقرأ فيها العلوم الكونية وذلك في غير جزيرة العرب كالشام أو كالاسكندرية أو كأثينة أو كرومية مثلاً فان محمداً كان بعيداً عن ذلك المحيط العلمي كله لا صلة له به . ثم إن العلوم الكونية التي كانت في ذلك العصر لم تكن فيها هذه النظريات الحديثة كالرأي السديمي مثلا الذي يقتضي أن تكون الاجرام السماوية كلها في الاصل دخاناً ثم تتجمد كتلة واحدة ثم ينفصل بعضها عن بعض أجراماً متفرقة . وإنك لتجد هذا في القرآن صريحاً : (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) فلو لم يكن القرآن وحياً ما كان يكن محمداً أن ينطق بحقيقة علمية لم تتقرر فعلاً الا في هذا العصر . وكذلك كون مبدإ الحياة في الماء قيل انه قال به بعض فلاسفة اليونان ولكنه لم يكن قاعدة علمية كما هي اليوم . وكذلك كون الزوجية منبثة في الممالك الثلاث الكونية : الحيوان والنبات والجماد لم يكن ذلك معروفاً في عصر محمد عليه السلام وإنما كانوا يعرفونه في المملكة الحيوانية وشيء من المملكة النباتية المشابهة للحيوانية ، والحال أن القرآن جعل هذا المبدأ عاماً : (ومن كل شيء خلقنا زوجين) وغير ذلك من الآيات التي

جاء فيها مثل (من كل زوج بهيج) و (من كل زوج كريم) . وكذلك حركة الاجرام الفلكية فقد كان الفلكيون في القديم يعتقدون بوجود سيارات وثوابت ولم يتغير هذا الاعتقاد الا بحسب علم الهيئة الجديد . والحال ان في القرآن ما يدل على أنه ليس من جرم غير متحرك (وكلٌّ في فلك يسبحون) وغير ذلك مما أحصاه المرحوم الغازي أحمد مختار باشا نحواً من تسعين آية فيما أتذكر وفسره تفسيراً علمياً أثبت ما فيه من المطابقة للنظريات العلمية الحديثة . وكان مختار باشا من أفذاذ الدهر في علم الهيئة والرياضيات والطبيعيات فلا يقدر أحد أن ينكر ضلاعته في هذه العلوم . ولقد أشرت على الاستاذ الحجة السيد رشيد بان يلحق بكتابه هذا ليكون مستوفياً جميع شروط الافادة — خلاصة كتاب مختار باشا الغازي المسمى (سرائر القرآن) لان الذي يؤثر في عقول الاوربيين وعقول النشء الجديد في الشرق من مطابقة القرآن للنظريات العلمية الحديثة هو أعظم مما تؤثره البراهين العقلية والادبية والاجتماعية .

(المنار) كتب أمير البيان هذا التقريظ بعد قراءته لكتاب الوحي المحمدي ببضعة أشهر وكان قد نسي على ما يظهر ان الموضوع الذي قال هنا انه قد فاتنا — لم يفتنا . فاننا قد أشرنا اليه في مواضع كان آخرها ما يراه القارىء في آخر صفحة من خاتمة الكتاب وفيها ذكر هذه المسائل التي مثل بها لما في القرآن من المسائل العلمية التي في القرآن وزيادة عليها وقد وعدنا في هذه الخاتمة كما وعدنا في تصدير هذه الطبعة بأننا سنعقد لها فصولاً في ملحقات الكتاب التي

ستكون في الجزء الثاني منه مع أمثال لها من سنن الكون الاجتماعية والاخبار الغيبية والوصايا الصحية ٠

وفات الامير حفظه الله تعالى ما كنا اقترحناه عليه عندما كتب الينا انه سيكتب تقريظاً للكتاب بان يجعله استدراكاً على كلام له في كتاب (حاضر العالم الاسلامي) النفيس مضمونه أنه لم يوجد في هذا العصر كتاب يصلح لدعوة الافرنج الى الاسلام ٠

وأما ما ذكره في أول التقريظ من استغناء المسلمين الصادقين عن هذا الكتاب أو كونه غير موجه اليهم ففرضه خاص بصحة عقيدتهم في أصل الاسلام ولكن السواد الاعظم منهم عرضة للتشكيك بالشبهات العلمية العصرية أو شبهات دعاة التنصير لأنهم اسرى التقليد وأشرنا الى حاجتهم الى براهينه على اعجاز القرآن والنبوة في مقدمة التصدير لهذه الطبعة ٠

وقد وصل هذا التقريظ الينا في ٢ من ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ بعد طبع ما اخترناه من التقريظ فجعلناه مسك الختام ٠



« وللسيد رشيد مقدمة على كتابي (الارتسامات اللطاف · في
« خاطر الحاج الى أقدس مطاف) الذي طبع بمطبعة المنار
« وهي هذه بنصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« وأذنْ في النّاسِ بالحجّ يأتوكَ رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتينَ من كلّ فجّ عميقٍ * ليشهدُوا منافعَ لهمْ ويذكرُوا اسم الله في أيامٍ معلوماتٍ على ما رزَقهم من بهيمةِ الأنعامِ فكلوا منها وأطعموا البائسَ الفقيرَ *

أفلمْ يسيروا في الارضِ فتكونَ لهمْ قلوبٌ يعقلونَ بها أو آذانٌ يسمعونَ بها فإنها لا تعمى الابصارُ ولكن تعمي القلوبُ التي في الصدور * (الآيات من سورة الحج) .

يحج بيت الله الحرام ويزور مسجد رسوله وروضته عليه أفضل الصلاة والسلام ألوف كثيرة من مسلمي الافاق اكثرهم من العوام والفقراء وبعضهم من العلماء والادباء والكتاب والشعراء ويقل في جملتهم من يفقه ما يعمل ومن يعي ما يسمع ومن يعقل ما ينظر ، ويقل في هؤلاء من يكتب لاخوانه المسلمين ما يفيدهم شيئاً لا يجدونه في كتب الفقه والتاريخ والرحلات والادب ·

بل نرى من حجاج اخواننا المصريين من يكتبون في كل عام ما يغضب الله تعالى ويسوء جيرانه في حرمه وجيران رسوله (ص) في روضته

وخدام قاصدي هذين الحرمين من المطوفين والمزورين وحكامهما الحافظين لأمن السكان وآمّين البيت الحرام واطباءهما المحافظين على صحة أهلها وصحة من يتشرف بأداء المناسك والزيارة فيهما بل يكتبون ما ينفر المسلمين عن إقامة هذا الركن العظيم من أركان الاسلام ويصدهم عن إحياء هذه الجامعة العامة التي امتاز بها على جميع الاديان — فهذا يشكو من شدة الحر وذاك يتململ من كثرة النفقة وآخر يتبرم بما يزعم من تقصير المطوفين وطمعهم .

وأغرب من كل هذا أن منهم من ينتقدون منع البدع والخرافات والطواف بالقبور والاستغاثة بالاموات وان منهم من كتب في هذا الشهر مشنعاً على حكومة الحجاز التقصير في عمارة مسجد الرسول (ص) وتجديد فرشه وهو يعلم أن حكومة الحجاز الحاضرة على فقرها قد فعلت ما لم تفعله حكومة قبلها من حفظ الامن وتسهيل السبل وتوفير المياه والاسعافات الصحية للحاج فان هذا قد صار متواتراً . ويعلم ايضاً أن حكومته هو قد منعت ما كانت ترسله الى الحرمين وأهلهما من الاموال والحقوق المقررة لهما التي كانت ترسلها في كل عام وان هذه الحقوق هي بعض ما وقفه الملوك والامراء واهل البر من الاغنياء . ويعلم أن وزارة الاوقاف تجبي من أوقاف الحرمين في كل عام مئات الالوف من الجنيهات وتصرفها في غير ما وقفت عليه — ويعلم أيضاً ان الحكومة التركية قد استحالت حكومة لادينية وضمت أوقاف الحرمين الى أملاكها بل هي تمنع من يريد الحج من شعبها وحجتها الظاهرة على هذا المنع ان الترك أحق باموالهم أن تبقى في بلادهم من أن تصرف في بلاد العرب !!

وخير من هؤلاء الصادين عن سبيل الله والمنفرين عن شعائر الله والمؤذين لجيران الله من يؤلفون كتباً في رحلاتهم الحجازية ينقلون فيها أحكام المناسك الفقهية وبعض الاخبار التاريخية والادبية ومن كتبوا في رحلاتهم وفي الصحف ما أملاه الحق من وصف أمن الحجاز وتوفير أسباب الراحة للحاج والثناء على الحكومة السعودية ورجاء الخير العظيم للاسلام فيها .

بيد أنك قلما ترى فيما كتبوا عبرة جديدة أو شيئاً من الاقتراحات المفيدة أو ترغيباً في البذل لعمارة المسجد الحرام ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام أو لتسهيل السبيل على الحجاج والزائرين وتوفير المياه لهم وللمقيمين اقتداء بما كان من فعل السلف الصالحين .

دع ما هو أعلى من ذلك منزعاً وأروى مشرعاً وأبعد في الاصلاح غاية وأقوى في درء الخطر عن الاسلام وقاية فقد علم الواقفون على سياسة الاستعمار الاوربي أن خطره قد أحاط بجزيرة العرب ونفوذ بعض دوله تغلغل في بعض انحائها ثم طفق يوغل في أحشائها ويلغ في دمائها فان المستعمرين قد استولوا على سكة الحديد الحجازية التي كان الغرض الظاهر القريب من إنشائها تسهيل أداء الفريضة والباطن البعيد حفظ الجزيرة نفسها من الاستعمار الاوربي ومن قتل الاسلام في عقر داره وإزاحته عن قراره تمهيداً لمحوه من الارض كلها .

كذلك كان شأن المسلمين في حجهم وزيارتهم وكذلك كان ما دونوا في رحلاتهم ومقالاتهم إلى ان أذن الله لعبده المجاهد في سبيله بماله ونفسه ولسانه وقلمه وعلمه وعمله الامير شكيب أرسلان الذي بحق

لقبته امته بامير البيان أن يستجيب لأذان ابراهيم خليل الرحمن فيؤدي فريضة الحج ويمرض مرضاً يضطره بعد أداء المناسك الى الالتجاء الى الطائف والتوقل في جبالها وذراها والتنقل في مزارعها وقراها والهبوط في أخيافها وأوديتها فينال الشفاء والعافية من مرضه ومن مرض سابق له بما ثم من هواء نقي وشرب من ماء روي وجنى من ثمر شهي ويشاهد ما تم من قابلية للعمران لا يكاد يفضلها مكان في عصر عم الحجاز فيه العدل والامان وأن يصف ذلك بقلمه السيال وبيانه السلسال الذي يجري فتكبو في غاياته جياد الفرسان ومن ذا الذي يطمع في لحاق أمير البيان في مثل هذا الميدان ؟ ميدان التاريخ وعلم الاجتماع والعمران وما فيه من عبرة السياسة في هذا الزمان ولا سيما سياسة الامة العربية والاسلام ·

أحمد الله تعالى أن وفق اخي شكيباً لاداء المناسك وشهود ما قرنه بها القرآن من المنافع وانما هي منافع امته لا منافع شخصه واسرته وان يتيسر له السير في تلك الارض لفقه ما أرشد اليه عقله وهدى له قلبه فيعرف بنفسه جبالها ووهادها واغوارها وانجادها وسهولها وصفاصفها ومجاهلها ومعارفها ثم يبعث ما دفن في بطون الكتب من تاريخ عمرانها و كنوز معادنها مع بيان اماكنها ووسائل استخراجها من مكامنها ويجلي للعقول ما فيها من العبر البالغة ويقرن بها وصف حالتها الحاضرة ويستنبط منها ما يجب على الامة العربية وحكوماتها والشعوب الاسلامية وزعمائها من توجيه أصدق ما أوتوا من إرادة وعزيمة وافضل ما أعطوا من علم وثروة في سبيل عمران الحجاز وصيانته من خطر الاستعمار · وان ذلك لا يتم لهم الا

بعمران جزيرة العرب كلها لان انتقاصها من اطرافها يفضي الى الاحاطة بسائر اكنافها ٠

تلك الغاية البعيدة المرمى هي التي وضع لها الامير رحلته الحجازية التي سماها : (الارتسامات اللطاف ٠ في خاطر الحاج الى أقدس مطاف) ٠ وقد أقام الدلائل على امكان ما دعا اليه وسهولته من قابلية في المكان ومواتاة من الزمان واشار الى ما يعترض به على ذلك من شبهات داحضة وكر عليها بما ينقضها من حجج ناهضة بما لم يبق لمعتذر عذراً مقبولاً ولا لمقصر قولاً معقولاً ٠

ثم انه لم يقف في ارتساماته دون هذا المقصد الاسمى بل ألمَّ فيها بكل ما يهم المسلم من حال الحجاز واهله وحكومته فافاض القول في تعظيم شأن المياه فيه وما يرجى من زيادتها بالوسائل العصرية ولا سيما الآبار الارتوازية واستشهد التاريخ على ما كان من عناية السلف الصالح بعمرانه وحبس الاوقاف الواسعة عليه وعناية الخلف الطالح بتخريب ما عمروا واضاعة اكثر ما وقفوا وتمهيد حكامهم الفاسقين سبيل ذلك لسالبي ملكهم من المستعمرين ٠ وضرب لذلك الامثال بتاريخ اكبر المعمرين من الملوك والامراء والوزراء وأسهب في بيان احوال المطوفين والمزورين وقناعتهم وما يجب من اصلاح حالهم ونوه فيها بفضل الحكومة السعودية الحاضرة وخدمة ملكها للحجاز ٠ واعظمها والمقدم منها تعميم الامنة في بدو البلاد وحضرها قريبها وبعيدها وما يرجى بحكمته من سائر اركان الاصلاح فيها ٠

وقد منَّ عليَّ بأن عهد بنشر هذه الارتسامات إليَّ بأن اطبعها

بمطبعة المنار وأشرف على تصحيحها بنفسي لتعذر إرسال مُمثّل الطبع اليه في أوربة ليتولى تصحيحها بنفسه بل منّ عليّ بالاذن لي بتعليق بعض الحواشي على بعض المواضع التي أرى التعليق عليها مفيداً لقارئها ليكون اسمي مقروناً باسمه في هذا الاثر الخالد له في خدمة العرب والاسلام كما منّ عليّ قبله بمثله في رسالته التي جعل عنوانها : «لماذا تأخر المسلمون ، ولماذا تقدم غيرهم» وهي هي الرسالة التي :

سارت بها الركبان تطوي تفنفا فنفنفا وسبسبا فسبسبا

فاضطربت بها بعض دول الاستعمار وزلزلت زلزالاً شديداً حتى قيل لنا إنها أغرت حكومة سورية بمنع نشرها فيها وهي أحق بها وأهلها فانفردت بهذه العداوة للاسلام دون من أغروها بها .

ولقد كان سماح الامير حفظه الله لي بهذا وذاك إعلاما لقارئي الرسالة والرحلة بما بيننا من الاخوة الاسلامية الصادقة والاتفاق في المقاصد الاصلاحية النافعة للامة العربية والشعوب الاسلامية التي نفخ روحها في كل منا شيخنا الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) بالتبع لاستاذه موقظ الشرق وحكيم الاسلام (السيد جمال الدين الافغاني) قدس الله روحهما وأجزل ثوابهما .

هذا وان الامير أمتع الله بعلمه وعمله ولسانه وقلمه قد وضع للرحلة حواشي كثيرة عزوتها اليه في مواضعها وكان يجب أن أشير الى ذلك في ديباجتها ولكنني ما علمت بها الا عند بلوغ أول حاشية منها :

وقد كان لي وقفة ونظر في اقتراحه على الحكومات المختلفة في الدين والسياسة أن تشدد على حجاج بلادها الفقراء فيما تفرضه من الشروط

للسماح لهم بالسفر الى الحجاز لا لأن هذا الاقتراح منكر في نفسه بل لان الحكومات الاستعمارية التي تكره للمسلمين المرزوئين بسيطرتها عليهم أن يؤدوا هذه الفريضة لم تقتصر في إرهاقهم بالشروط المالية والصحية بل أنا أعلم علم اليقين أن جميع الدول الاستعمارية تمقت قيام المسلمين بهذه الفريضة وتتعاون على صدهم عنها بما تستطيع من حول وحيلة . ولو لا ما لبواخرها وتجارتها من المنافع من نقل الحجاج لكان تشديدهم في الصد أكبر ولكن ما وضعوه من العوائير والعقاب في سبيل الحج باسم المحافظة على الصحة قد أنالهم بعض مرادهم منه بقلة من يتحمل مشقته من ملوك المسلمين وأمرائهم المترفين واغنيائهم المحسنين وزعمائهم المفكرين .

وقد كانوا حاولوا أن يقرروا في مؤتمر طبي عقد بمصر في أوائل عهد الاحتلال البريطاني أن الحجاز بيئة وبائية بطبعه يجب جعله تحت سلطة الحجر الدولي دائماً لذاته فجاهد المرحوم سالم باشا سالم كبير أطباء مصر (والطبيب الخاص لسمو الخديو توفيق باشا واسرته) يومئذ جهاداً كبيراً دون ذلك حتى دحض كل شبهة تؤيد هذا الاقتراح وأثبت بالادلة الفنية الطبية والتاريخية ان الحجاز ليس بوطن لوباء الهيضة الوبائية (الكوليرة) ولا لغيرها من الاوبئة السارية المعدية . ولكنني لم أضع لهذه المسألة حاشية بل أدعها الى علم الامير الواسع ورأيه الناضج لعله يستدرك ما يرى استدراكه ممحصاً لهذا الرأي .

وهـا انا ذا أزف الى قراء العربية هذه الرحلة النفيسة والارتسامات اللطيفة ولا ريب عندي في أنهم يقدرونها قدرها ويعنون معي بنشرهـا وبث الدعاية الى العمل بما فيها من النصيحة الثمينة التي تتوقف عليهـا

حياة هذه الامة المسكينة التي كانت هي الناشرة لدعوة الاسلام والمفيضة لنور هدايته والمفجّرة لانهار حضارته وباحيائها وعمران بلادها يناط بقاؤه ويعود رواؤه وينضر إهابه ويتجدد شبابه ٠

وأختم هذا التصدير لما بما يؤيد قولي هذا من الاحاديث النبوية في شأن الحجاز ومستقبله وكونه مأرز الاسلام ومعقله وحصنه وموئله عندما يشتد على المسلمين البغي والعدوان ويركبون المناكير فيناكرهم الزمان أو تستباح بيضتهم بما أعرضوا عن هداية القرآن ٠

قال رسول الله (ص) : « إن الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ٠

وأعم منه وأدل على المراد قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » رواه مسلم من حديث أبي عمر ٠

وأعم منه وأظهر قوله (ص) : « إن الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأُورِيَّة من رأس الجبل ٠ إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي» ٠

وأوسع من ذلك كله وأدل على الباعث عليه ما رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن النبي (ص) أوصى عند موته بثلاث أولها : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » وما رواه أحمد ومسلم والترمذي عن عمر (رض) انه سمع رسول الله (ص) يقول : « لأُخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً » ٠ وما

رواه أحمد من حديث عائشة (رض) قالت آخر ما عهد به رسول الله (ص) أن قال : « لا يترك بجزيرة العرب دينان » وروى عن أبي عبيدة عامر بن الجراح قال : آخر ما تكلم به رسول الله (ص) « أخرجوا يهود الحجاز ونصارى نجران من جزيرة العرب » والمراد أنه آخر ما أوصى به عند موته وأما آخر كلمة نطق بها (ص) فهي :« اللهم الرفيق الاعلى »·

وقد بينت في مواضع من جزء التفسير العاشر وغيره حكمة هذه الوصايا النبوية وهي ما أطلع الله تعالى عليه رسوله وأخبر به كما في حديث ثوبان (رض) وغيره من تداعي الامم على المسلمين كما تتداعى الأكلة على قصعتها وسلبهم لملكهم واضطهادهم لهم في دينهم الى ان يضطروا الى الالتجاء الى مهد الاسلام الاول ومعقله الاعظم ومأرزه الآمن وهو الحجاز وسياجه من جزيرة العرب · ولذلك أوصى بأن يكون هذا المعقل خاصاً بالمسلمين لا يشاركهم فيه غيرهم فهذه الوصية من دلائل نبوته (ص) قد ظهر سرها في هذا العصر ·

وها نحن أولاء نرى اعداء الاسلام ما زالوا يطاردون المسلمين حتى انتهوا بهم الى جزيرة العرب وطفقوا ينازعونهم فيها بل وصلوا الى الحجاز واستولوا بمساعدة بعض أمرائه على اعظم موقع من معاقله البرية والبحرية (ما بين العقبة ومعان) وصاروا باستيلائهم على سكة الحديد الحجازية على مقربة من المدينة المنورة التي خصها الرسول (ص) من هذه الوصايا بالذكر وأنشأوا يؤسسون وطناً لليهود في جوارها من فلسطين التي يدعون انها لهم وحدهم وسيطلبون ضم خيبر اليها بانها كانت لهم واخرجهم عمر بن الخطاب منها ·

فإذا لم تتعاون جميع الشعوب الاسلامية على مساعدة حكومة الحجاز بالمال والنفوذ الصوري والمعنوي على حفظ الحجاز وعمرانه بل إلجائها الى ذلك واضطرارها اليه فستتقطع قلوبهم أسفاً وندماً ويذرفون بدل الدموع دماً اذ لا ذات مندم ولا متأخر ولا متقدم . ولقد كنت في حيرة لا أهتدي السبيل الى أقرب الوسائل لهذا العمران حتى وجدته مرسوماً في هذه الارتسامات داحضة أمامه جميع الشبهات فبادروا اليه أيها المسلمون «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات »

(وكتبه ناشر الارتسامات)

منشىء مجلة المنار

السيد محمد رشيد رضا



« وللسيد رشيد ما نشره في المنار ج ٣ م ٢٦ في المطبوعات الحديثة « ما يلي :

كتاب حاضر العالم الاسلامي

لو كان المسلمون يعنون بمعرفة شؤون أنفسهم ويبحثون عن أسباب تغييرهم لما كان بأنفسهم من عقائد وفضائل ومعارف وما أعقبها من تغيير الله تعالى ما كان بهم من نعم السيادة والسلطان والعزة والقوة — كما يعنى بذلك علماء الافرنج — لما وصلوا الى هذه الدركة من الضعف والهوان ·

قد أتى على الشعوب الاسلامية قرون متتابعة وهم يتدهورون من قنة الى هوة كما تتدهور الجلاميد من شماريخ الذرى لا تدري من حطها من عل الى أسفل وتتحول من عزة الى ذلة ولا تعلم لمَ تتحول ·

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) فقد قيض بفضله للمسلمين من يوقظهم من سباتهم ويرشدهم الى تغيير ما بأنفسهم الآن من أسباب التردّي على علم وبصيرة كما غيروا من قبل ما كان بأنفسهم من أسباب الترقي عن جهل وغفلة ولكن طرأت عليهم في أثناء هذا الايقاظ فتنة التفرنج فلبستهم شيعاً وفرقتهم طرائق قددا فقد أفسد ساسة الافرنج وملاحدتهم جبلاً كثيراً من أبناء المسلمين كانوا أضر عليهم من سائر أعدائهم في الدنيا والدين فهم يضلون المسلمين ويخدعونهم عن دينهم ودنياهم من حيث يوجد في أحرار الافرنج من يرشد المسلمين الى ما فيه صلاحهم وفلاحهم بما يعنون به من تمحيص الحقائق في شؤونهم لذاتها او ليستفيد اقوامهم منها ·

أمامنا الآن ونحن نكتب هذا كتابان يشغلان مسلمي مصر وسيشغلان سائر البلاد الاسلامية التي يصلان اليها .

(احدهما) كتاب « الاسلام وأصول الحكم » الذي رأى القراء في الجزء الماضي ويرون في هذا الجزء شيئاً من بيان مفاسده وانه لرجل متخرج في الجامع الازهر وقاض شرعي في بعض المحاكم المصرية هو أضر على المسلمين من كل عدو .

(والثاني) كتاب « حاضر العالم الاسلامي » وهو لعالم افرنجي هو أنفع للمسلمين من كثير من أفرادهم الناصحين دع متفرنجتهم الملاحدة المفرقين ألا وهو العلامة البحاثة « مستر لوثروب ستودارد » الاميركي الذي زادبه شهرة على شهرته ألفه بلغته الانكليزية وسماه « العالم الاسلامي الجديد » فراج في امريكة واوربة رواجاً عظيماً وطبع مراراً متعددة ونقل الى اشهر اللغات الغربية والشرقية وقرظه كبار الكتاب وأعجبوا بدقة بحثه وسعة اطلاع صاحبه .

وقد نقله الى لغتنا العربية عجاج افندي نويهض احد ابنائها البررة المجيدين لها وللغة الانكليزية ليطلع هذه الامة على اصح ما كتب في وصف حالها أدق من عرف في علماء الفرنجة بحثاً عنها واعدلهم حكماً لها وعليها وأصدقهم قولاً فيها ، وذكر ان المحققين من العلماء الغربيين شهدوا له بهذه الصفات عند تقريظ كتابه هذا .

ترجم الكتاب وعرض ترجمته على كاتب العصر — كما قال بحق — الامير شكيب ارسلان الشهير وطلب منه أن يكتب له مقدمة تليق به ففعل بل اجاب السائل بأكثر مما سأل ، وله في ذلك اسوة حسنة ولكنه

أربي في الكرم فوضع على الكتاب حواشي وذيولاً يصح في وصفها قول العرب : على الثمرة مثلها زبدا . بل تربي على صحائف الاصل عدًّا . ولعلها مدث مادته بضعفيها مدًّا . فهي بطولها واستطرادها تضاهي الحواشي الازهرية . ولا غرو فروح الامير العلمية والادبية اغلب عليه من روحه الاقتصادية والاجتماعية فانه لو جعل هذه الحواشي كتاباً مستقلاً لكان اليق بمقامه وأجدر بافادتها من جعله إياها تابعة لغيرها ولكان له منها ربح مالي يزيد على ربح الكتاب الاصلي بل ربما زاد عليه موشى وموشحاً بها أيضاً . فإن أكثرها موضوعات مستقلة بنفسها وما فيها من إيضاح لبعض غوامض الكتاب أو استدراك عليه هو أقلها . ولكنه على ما يظهر من معرفته لقدر نفسه وعلى ما يقول بعض حساده او مكبري فضله من اعجابه بها كثيراً ما يهضمها ويضعها تواضعه دون ما رفع الله من قدرها ومن ذلك ظنه أن جعل هذه الحقائق الثمينة ذيولاً لترجمة هذا الكتاب أحرى باستمالة الناس الى مطالعتها كأنه لم يشعر بأنه اشهر من صاحب الكتاب لدى قراء العربية ولم يستشعر ان الثقة به في شؤون الاسلام اقوى من الثقة بذاك عند جميع الشعوب الاسلامية وغيرهم من الشعوب الشرقية وكثير من علماء البلاد الغربية . واننا نكتفي الان بذكر عناوين فصول الكتاب واهم عناوين الحواشي لتعريف قراء المنار قيمتها .

اما موضوع الكتاب ومواده فهي مودعة في مقدمة وتسعة فصول وخاتمة لا يستغني مسلم يهمه امر امته وملته عن الاطلاع عليها :

المقدمة « في نشوء الاسلام وارتقائه وانحطاطه » وقد انصف فيها الاسلام بالثناء عليه وبيان أصول الاصلاح والهدى المودعة فيه . فتكلم

في ذلك كلام عليم خبير منصف وبين ما أصاب المسلمين بهدايته ومما أصابهم بتركها وأسباب الارتقاء وأسباب الانحطاط في الحالين بما تعطيه فلسفة التاريخ وأصول علم الاجتماع للمطلع على تاريخ الاسلام القديم والحديث والواقف على عقائده وآدابه بالاجمال ·

ولكن كلامه فيها لم يسلم من الخطأ في مسائل يتوقف تحقيق الحق فيها على علم استقلالي واسع في العقائد الاسلامية والفرق المختلفة فيهم فهو على إدراكه لطهارة العقائد والآداب الاسلامية وموافقتها للفطرة البشرية والعقل السليم ولعدالة التشريع الاسلامي واصلاحه اللذين جحدهما الشيخ علي عبد الرازق — ولكون العرب كانوا أجدر الشعوب بفهم تلك المزايا لحريتهم وطباعهم السليمة غير المضطربة بتقاليد الاديان التي قد أفسدها الزمان — وعلى جعله هذين الامرين — التعاليم الاسلامية والفطرة العربية — هما الاساس والعلة الاولى لنجاح الاسلام ومدنيته وعلى إدراكه ان الاعاجم المتبلبلة قلوبهم وعقولهم بالتقاليد الموروثة لم يفهموا الاسلام كما فهمه العرب وان تغلبهم على الخلفاء وسلبهم لسلطان العرب كان علة العلل للانحطاط الذي تلا ذلك الارتقاء — هو على إدراكه لكل ما ذكر — قد اختلط عليه الامر عند المقابلة بين أهل السنة ومتبعي النقل والمعتزلة الذين حكموا العقل ·

على أن الاسلام دين العقل والفطرة فظن ان المعتزلة الذين ارجعوا كل شيء في الدين الى اصول العقل هم الذين استمسكوا بجوهر الاسلام ولبابه الصحيح وان خصومهم المحافظين الذين ذهبوا الى ان النقل والسنة مقياس كل شيء في الدين هم الذين جهلوا جوهر الاسلام وظن ان

الذين دخلوا في الاسلام وقد أشربوا في قلوبهم الدين البزنطي القديم (وأمثالهم من الذين فهموا الاسلام بمرآة أديانهم وتقاليدها ؟) قد كانوا من زمرة أهل السنة والنقل لما اعتادوا من التقليد . وانهم هم الذين أولوا القرآن والاحاديث النبوية تأويلات بعدت بها عن سهولتها وبساطتها قال: « فنتج من ذلك أن أصيب الاسلام بمثل ما أصيبت به النصرانية في الاجيال المظلمة من تلبيس الدين عقائد غير عقائده ونسبة الآراء الدينية الجافة اليه وهو براء منها فلا غرو اذا اشتد الخلاف واتسعت شقته وطال عهده بين الذين اعتصموا بالسنة والنقل فقاسوا عليها وبين الذين جعلوا العقل نفسه مقياساً لكل شيء ».

ثم زعم ان عقيدة السنة هي التي غلبت على العقل كما كان متوقعاً وأن تاريخ السنة والتقاليد إنما هو تاريخ السير نحو أدوار الاستبداد وعواقبه المشؤومة .

لم يفرق المؤلف بين السنة والنقل في الاسلام وبين التقاليد في الاديان الاخرى وهي عبارة عن العقائد والشعائر الموروثة عن الآباء والرؤساء والمعلمين . والحق الواقع ان كل ما ذكر من الفساد في الاسلام إنما كان من بدع الذين حكموا عقولهم أي آراءهم النظرية في الدين وانهم هم الذين حولوا الاسلام عن بساطته المعقولة الموافقة للفطرة وهم الذين كانوا السبب في ادخال البدع وضلالات الاديان القديمة وسخافاتها وخرافات الوثنية في الاسلام بالشبهات النظرية التي سموها دلائل عقلية والاقيسة الشيطانية فيما لا مجال للقياس فيه من عقائد الدين التي لا مأخذ لها الا الوحي ومن الاحكام الثابتة بالنص .

أهل السنة والجماعة هم الذين كانوا يجمعون قداسة الدين وسهولته من تطرق بدع الاديان والآراء الفلسفية والشعرية اليها لتحذير النبي (ص) أمته منها فمنهم من منع القياس في امور الدين مطلقاً ومنهم من قال: إن القياس جائز في غير الامور الاعتقادية والتعبدية وقصره بعضهم على الاحكام القضائية والمدنية والسياسية ٠

وكان من بدع المعتزلة دعوتهم الى القول بخلق القرآن وحملهم بعض خلفاء العباسيين الذين اتبعوا نحلتهم بحمل المسلمين على ذلك بالقهر والاضطهاد وقد آذوا به خلقاً كثيراً من اهل السنة: من اجلهم قدراً امام الائمة أحمد بن حنبل رضي الله عنه فقد ضربوه ضرباً مبرحاً وداسوه بأرجلهم ليقول بقولهم فامتنع أن يقول هو مخلوق أو غير مخلوق احتجاجاً بان النبي (ص) واصحابه لم يأمروا بذلك ولم يقولوا به فيسعنا ما وسعهم ولا نعرف ديناً الا عنهم ولو أجزنا مجاوزة نصوص الوحي وتفسير السنة له بآرائنا العقلية تزول الوحدة ونتفرق شيعاً كما تفرق من حذرنا الله أن نكون مثلهم ٠

ومبتدعة الشيعة الفاطميين بل زنادقة الباطنيين كانوا يعتمدون في ترويج بدعهم على الفلسفة اليونانية وهم الذين ابتدعوا في مصر احتفالات الموالد التي لا تزال مشوهة للاسلام وسبة للمسلمين ٠ والاسلام بريء منها ، وملوك الاعاجم وامراؤهم هم الذين ابتدعوا جعل القبور مساجد وكانوا سبب تقديس الجاهليين لها بل عبادتهم إياها كما فعل أهل الكتاب قبلنا وحذرنا نبينا فعلهم إذ قالت السيدة عائشة (رض) في سبب لعنه (ص) للذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد: يحذر ما صنعوا — كما في صحيح

البخاري ولا يزال المدافعون عن هذه البدع يحتجون لها بنظريات يسمونها عقلية كوجود الارواح وجواز قضائها أو حملها الخالق تعالى على قضاء الحاجات ولا يوجد دليل عقلي على شيء من هذه البدع والخرافات .

من الاسف ان البدع التي يسمونها نظريات عقلية هي التي غلبت على السنة حتى أفسدت على المسلمين دينهم ودنياهم خلافاً لما قاله المؤلف ولو اتبع الناس الامام أحمد وأمثاله لما زادوا في الدين شيئاً ولا نقصوا منه شيئاً ولصرفوا ذكاءهم وجهدهم في العلوم والفنون الكسبية التي تفيدهم وترفع شأنهم ولم يخلطوا بالدين ما ليس منه .

ألم تر أن مؤلف الكتاب يعد الدعوة الوهابية إصلاحا في الدين على صراط المستقيم — الكتاب والسنة الصحيحة — ورد جميع ما ابتدع فيه سواء استحسنته العقول أم لا ؟ وهل للعقول قاعدة أو حد نقف عنده في هذه الامور ؟ أليس لعباد الاوثان فلسفة دينية وشبهات نظرية يسمونها دلائل عقلية ؟ بلى ويكفينا هذا في بيان غلط المؤلف في هذه المسألة .

ولنعد إلى موضوعات الكتاب فنقول :

الفصل الثامن في التطور الاجتماعي في الجزء الثاني
« التاسع مع الخاتمة في القلق الاجتماعي والبلشفية .

وأما موضوعات حواشي الامير شكيب فهي في بيان أحوال مسلمي العصر العامة الحديثة وبعض القديمة تكلم عن مسلمي الصين وجاوه وما جاورها والهند ومسلمي الروسية في عهد البلشفية الحاضر وشرقي إفريقية والحبشة وماداغسكر وجزائر القومور وريف المغرب الاقصى والفيلبين ... تكلم عن مسلمي هذه البلاد وغيرها بما يهم كل مسلم يهتم بأمر المسلمين أن يعلمه ولا سيا علاقتهم بأوربة ومن سيادتها عليهم ومحاولتها لتنصيرهم ول في أذيال الجزء الاول فصول تحت عنوان « الاسلام والجنود السوداء » منها « لمحة على حالة الاسلام الحاضرة » ومنها فصل في « الاسلام الاسود » وفصل في « الاسلام عند السنغاليين » ويلي ذلك « خلاصة » سياسية لهذه الفصول وما قبلها في شؤون المسلمين واوربة فيها من الحقائق التاريخية والعبر السياسية ما يعز أن يصدر مثله عن غير الامير شكيب .

ويليها فصل في « الجنس الاسود والاسلامية » ففصل « في الاسلام في إفريقية » وما يلاقيه من مهاجمة الاستعمار ودعوة النصرانية — ففصل في « الرسالات البروتستانتية في إفريقية » ففصل « في نهضة الاسلام في افريقية وأسبابها ووسائل دعوتها من سنة ١٧٩٠ — ١٩٠٠ » .

ويلي ذلك الكلام في الطرق الصوفية في إفريقية : القادرية والشاذلية والتيجانية والسنوسية ويتبع الكلام في الاخيرة ترجمة بعض كبار شيوخها وجدول في أسماء أشهر زواياها في ست صفحات بالحرف الصغير (جسم ١٢) .

ويلي ذلك فصل في «مجاري الدعوة الاسلامية في إفريقية» ففصل في «الصراع بين الاسلام والنصرانية وأيهما الغالب في أمر المدنية» ويليه خلاصة لما تقدم في هذا الموضوع كله ·

ومن موضوعات هذه الحواشي والذيول فصول في الاصلاح والمصلحين وزعماء الاسلام المجددين منها الكلام عن الوهابية وزعيمها العلمي الشيخ محمد عبد الوهاب وزعمائها الامراء آل سعود «ومنها ترجمة حكيم الاسلام وموقظ الشرق السيد جمال الدين الافغاني وشيء من ترجمة الاستاذ الامام وأشكر له حسن ظنه أن قرن اسمي باسم أستاذنا» ومنها ترجمة بطل الاسلام والعرب في هذا العهد (الامير محمد عبد الكريم) وتراجم زعماء جمعية الاتحاد والترقي التركية: انور باشا وطلعت باشا وجمال باشا الخ ·

وكلام عن بعض الفرق والطرق القديمة والحديثة كالمعتزلة والخوارج والبكطاشية والبابية والبهائية والاشتراكية والبلشفية والاحمدية القاديانية ·

وجملة القول ان مؤلف هذا الكتاب من أعلم كتاب الفرنجة بشؤون المسلمين فان لم يكن أعلمهم بها فهو أجدرهم بتحري الحقيقة وبيانها وان واضع الحواشي والذيول التي هي كتاب آخر هو أجدر كتاب العرب بالجمع بين تاريخ الاسلام والمسلمين وبين علاقة أوربة بهم وسياستها فيهم وأقدرهم على بيان ذلك وأحرصهم على النصح فيه · نعم انه يوجد من يساويه ومن يفوقه في بعض فروع هذا التاريخ وشعب هذه المسائل ولكننا لا نعرف أحداً يضاهئه في معرفة جملتها وتفصيلها ولا في مزية

حسن البيان لما وقد بلغنا انه طالع وراجع عند كتابة هذه الحواشي عشرات من الكتب الحديثة التي ألفت بأشهر اللغات الاوربية ولم يعتمد على حفظه واختباره . فقد اجتمعت في هذا الكتاب خلاصة معارف الغرب والشرق الخاصة بحال المسلمين السياسية والدينية والاجتماعية الحاضرة والمستقبلة فهو يغني في بابه عن كثير من الكتب والجرائد والمجلات وهي لا تغني عنه وسننقل للقراء بعض النماذج منه .



ماقيل في السيد رشيد عند وفاته

هذه المقالة لي في جريدة الجهاد

أنا رجل من أربعمائة مليون مسلم يندبون اليوم السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ويشعرون بالفراغ الهائل الذي سيتركه في العالم الاسلامي ومن من هؤلاء لم يعرف قدره رأساً عرفه بالسماع من غيره ومن لم يقدر فضله اجتهاداً فقد قدره تقليداً . وكما قلت يوم انتقال السيد الشريف احمد السنوسي الى رحمة ربه : إنه لو كان في زمن الصحابة رضي الله عنهم لكان من جملتهم ومن أفضلهم . فإني أقول الان لو كان السيد رشيد رضا في أيام الائمة المجتهدين لكان من جملة الائمة ان لم يكن هو المجلي كان المصلي . ولا يمنع السيد رشيد تأخره في الزمان ان يلز في الطبقة الاولى من الاوائل . لقد اتهمني أحد اخواني باني أبالغ في قدر من ينطوي من أصحابي وباني أعطي كثيراً من الناس فوق حقهم ولكني لست أراني مبالغاً إذا قلت إنه منذ أوحي الى محمد صلى الله عليه وسلم (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الى ساعتنا هذه ومنذ نشأت الامة المحمدية وقد نبغ فيها من الامراء والعلماء والقواد والحكماء ورجال السيف ورجال القلم عدد كبير من العبقريين والمشاهير والاقطاب فسواء قلّ هذا العدد أو كثر فان السيد رشيد رضا من صيابة المعدودين في هؤلاء ولا يمكن أن يكتب تاريخ الاسلام على الوجه الصحيح ويوفر فيه لكل علَم من أعلامه الحق الذي يستحقه بدون أن يكون لصاحب المنار فيه مقام

كريم وبرهان ساطع وليس التأخر في الزمن بالذي يدعو الى التأخر في الرتبة . فكم ترك الاول للآخر بل كم رجح الحاضر على الغابر . والفضل لا يتعلق بزمن الفاضل .

أخذ السيد رشيد رضا عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وأخذ الشيخ محمد عبده عن فيلسوف الشرق الاكبر السيد جمال الدين الافغاني فكانت روح كل من الاثنين من روح استاذه الا اننا لا نعلم روح جمال الدين هل كانت مستمدة من أحد أو كانت روحاً لدُنية ؟ وهي روح إصلاح وتجديد في الاسلام وتأليف بين شروط الدين والدنيا ونظم بين حاشيتي المادة والمعنى ورجوع بالشرع الى نشأته الاولى وتطبيق للنوازل الحادثة على القواعد الموضوعة والتوفيق على ضوء القرآن بين المبادئ الاسلامية والمدنية العصرية خطة وسطى بين الجمود القاتل الذي جعل الاسلام كأنه في عزلة عن هذه الدنيا الحاضرة وبين التسامح المنكر المؤدي الى الانقلاب التام من أوامر الشرع ونواهيه والخروج عن الكتاب والسنة بالتأويلات الفارغة : فهذا المذهب الاصلاحي الجامع بين الرجوع الى عقيدة السلف وبين الارتياح الى المتجددات العصرية دون أدنى حرج اخذاً بما حث الله تعالى عليه من طلب العلم وما ندب اليه من التعمق في اسرار الكون هو المذهب الذي يعتقد هؤلاء الاقطاب الثلاثة انه في الاسلام مذهب الاوائل وانه سيكون المعول عليه في الزمن الآتي . وهؤلاء المصلحون الثلاثة هم لات ُهذا الرأي وعزّاه ومَناته والذين بهم سطعت براهينه وبيناته . وقد لقوا في سبيله الاهوال وتعرضوا لكيد الرجال وقيل فيهم ما قيل في غيرهم من قبلهم ممن أرادوا الاصلاح ما استطاعوا فتناولهم اهل عصرهم

بقوارص الانتقاد وسلقوهم بألسنة حداد حتى إذا تعاقبت الاعصار أقرت الامة بفضلهم ورجعت إلى رأيهم وحصل لهم من الاقبال والحظ بعد الممات ما لم يحصل في هذه الحياة . وسيرى الناس أن السيد رشيد رضا كأستاذه الشيخ محمد عبده كأستاذه السيد جمال الدين الافغاني سيكون من الاقطاب الذين هم في قبورهم أعظم جداً مما كانوا في دورهم وممن سيلقون من الاقبال من دهرهم ما لم يلقوه في عصرهم . فهؤلاء هم من الفريق الذي يزداد حياة بعد الممات وقياماً وهم رفات وإقبالاً بعد الذهاب وعلواً بعد المواراة في التراب . أقول هذا وإن كنت لا أجهل أن جمال الدين في حياته قد بلغ من علو القدر ونبالة الذكر والتأثير في النفوس والمهابة في الصدور ما لم يبلغه مسلم في العصر الاخير حتى أجمعت الامة على تلقيبه بموقظ الشرق . وان الشيخ محمد عبده القيت اليه مقاليد الزعامة الفكرية في مصر ومن ثمة في سائر الاقطار العربية قبل وفاته بكثير . وكان قد جرى ذكره بيني وبين جمال الدين سنة ١٨٩٢ م ونحن إذ ذاك في استانبول فقلت له : إن الشيخ عبده يندر مثله في مصر فقال لي : بل لا يوجد مثله في مصر . وهذا قبل وفاة الشيخ رحمه الله بخمس عشرة سنة . وكذلك السيد رشيد لم تكن شهرته في العالم الاسلامي بأقل من شهرة أستاذيه . وفي آخر الامر وقع الاجماع على أنه في النضال عن الاسلام وفي حل المشكلات العصرية وتطبيقها على القواعد الشرعية كان الفذ المنقطع النظير الذي إذا خلا لم يخلفه أحد الا في زمن طويل . ولم تنحصر شهرته في العالم الاسلامي بل عرفت الامم الاخرى مكانه في الامة الاسلامية . وعلمت انه من المصلحين الكبار والمجددين المشهورين في

الاقطار وأن رأيه يعول عليه ويؤخذ به وانه لا ينازعه منازع في رياسته الشرعية مع زعامته العقلية فكان المستشرقون يشيرون دائماً اليه وينوهون بآرائه عندما يدور الكلام على الاسلام العصري ويحصل الاخذ والرد في منزع التجديد ضمن دائرة العقيدة . وكان الذي يدهش في الشيخ رشيد رسوخ قدمه في مختلف العلوم حتى اذا نظرت إليه في علم علم منها وعلمت مبلغ إحاطته فيه ظننته متخصصاً في ذلك العلم وحده كأنه إنما انفرد به . والحال ان له في سائر العلوم الملكة نفسها . فكان إذا أمسك القلم تدفق نحواً وصرفاً ولغة وبياناً وبديعاً وفقهاً وحديثاً وتفسيراً وتوحيداً وفروعاً وأصولاً وكل ذلك في نسق واحد .

وهو وان كان لا يسامي جمال الدين ومحمد عبده في العلوم العقلية على قوته فيها فإنه كان يفوقهما في العلوم النقلية ومعرفة النصوص والآثار فكانت النازلة إذا نزلت أتى عليها جمال الدين أو محمد عبده بدليل عقلي وأتى عليها رشيد رضا بدليل عقلي وعززه بحديث أو أثر . ولهذا اتسعت دائرة بيانه وجال قلمه في كل موضوع وتكلم فيه بكلام الواضعين . وكان إذا استمد النصوص غرف من بحر ووضع الهناء موضع النقب . وأكثر ما أمده في خطته هذه قوة ملكته العربية وفهمه من أسرار اللغة ما لا يفهمه غيره فكلام الله وحديث رسوله مشرقان عليه إشراقاً تاماً يحكم له بذلك كل من رزق ذوقاً سليماً وبصراً تاماً باللغة وبالشريعة معاً .

وقد سبق السيد رضا أستاذيه العظيمين في مزية الكتابة وفيض القلم إذ كانا يؤثران تنبيه العقول وإيقاظ الهمم من طريق الخطابة والمحادثة . وكانت مجالس جمال الدين لا يمر منها مجلس إلا كان أشبه

بمحادثة تاريخية تسجل الفاظها وتحفظ جوامع كلمها .

وكانت مجالس محمد عبده بقدر السامع أن يكتبها بأمرها لا يزيد منها حرفاً من شدة إحكامها . وكأنما هي فصول مكتوبة يقرأها قاريءٌ وكأنما هي نفثات سحر في استيلائها على الافكار وطالما خرج السامعون منها نشاوى تترنح أعطافهم .

فأما السيد رشيد فانصرف بكليته إلى إعمال القلم وصار يكتب في الساعات مالا يقدر أن يسوّده غيره في الاسابيع حتى لو قيل إن محصول قلمه قد يتوزع على عشرة كتاب كبار ويصيب كلاً منهم نصيب وافر لم يكن في ذلك أدنى غلو لان سهولة الكتابة التي كانت عند صاحب المنار بما أوتي من اجتماع القوتين الحافظة والحاكمة وانتظام المُدّتين المطبوع والمسموع كانت آية باهرة لا يتمارى فيها الا حاسد أو معاند . وتفسير السيد رشيد للقرآن الكريم هو كاف ليخلده بين علماء هذه الامة . وأجوبته على الاسئلة المتعددة المتنوعة التي كان يستفتى فيها لم يكن في هذا العصر من يقوم لمثلها ويجيد فيها بعض إجادته وكان يأتي باللفظ القليل الذي يدل على العلم الكثير .

ولو شاء الشيخ رشيد أن ينشر جميع معلوماته ويزف الى القراء جميع بنات أفكاره لعجزت الاقلام وما نسقت ونضبت المحابر وما سقت . فعقله ينبوع صافٍ متدفق أبداً لا يقف الا في ساعات النوم فمتى استيقظ لا ينقطع سيله جارياً الى يراع إذا سال على الرق أقر له الجميع بالرق . وناهيك كتابه في حقوق النساء المسمى بالنداء الى الجنس اللطيف وكتابه الآخر المسمى بالوحي المحمدي وهما من تآليفه الحديثة التي زادت في

إعلاء قدره وإثبات عبقريته · ولم آت بهذه الاسطر المستعجلة لأرسم للسيد رشيد صورة تامة او أستوفي فيها وصف آثاره والتنبيه الى ما انفرد به من آراء مبتكرة وأنحاء طريفة فاني تارك هذا إلى تأليف خاص سأجعله باسمه وأسرد فيه مزاياه الكثيرة وبدائع تآليفه الاثيرة · وقد كنت وعدت عند وفاة أخي شوقي رحمه الله بأن أكتب في ترجمة حاله وتحليل شعره وعلاقاتي الاخوية معه كتاباً أسميه : « شوقي أو صداقة أربعين سنة » وقد أنجزت وعدي بعونه تعالى وأهديت الى روحه العبقرية هذه الريحانة الزكية التي روحت فيها من وجداني وخففت من بثي · وكذلك سأزف الى روح الاستاذ الاكبر والمصلح الاشهر السيد رشيد رضا كتاباً يتضمن ما أعرفه من مناقبه وما اؤثره من بدائعه وروائعه واسميه أيضاً : «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» فإني كنت قد عرفت شوقي قبل السيد رشيد رحمهما الله تعالى بسنتين أو أكثر قليلاً فالآن مضى على إخائنا واحسرتاه أربعون سنة كما كان مضى على إخائي لشوقي يوم وفاته اربعون سنة وأما علاقاتي الاخوية مع السيد الاستاذ فلا مقايسة بينها وبين علاقاتي مع شوقي لان شوقي كان قليل الكتابة غير حريص على المراسلة بينما الاستاذ يكتب دائماً ويكتب طويلاً ويعيش في اتصال دائم مع اخوانه إن قربوا فبالمشاهدة وإن بعدوا فبالمراسلة · وكان يؤازرهم في خطوبهم ويشاركهم في همومهم وان المحفوظ من كتبه عندي في ظرف خاص قد يربي على المائتي مكتوب وفي هذه المكتوبات (كان رحمه الله يؤثر جمع مكتوب بالالف والتاء أخذاً بقاعدة ان مفعولاً لا يجمع على مفاعيل الا في الفاظ معلومة) فوائد عظيمة أدبية وشرعية ولغوية وسياسية

يمكن إثبات أكثرها في الكتاب الذي أستخير الله تعالى في تأليفه عن السيد رشيد وفاء بحقه وقياماً ببعض الواجب من بره وإن كنت أعرفني مقصراً عن تأدية هذا الواجب كما يليق بقدره . وقبل أن أختم هذه العجالة لا بدَّ لي أن أقول إن الذي كان يزين علم الشيخ رشيد وأدبه هو ما تحلى به من الاخلاق الكريمة والمنازع العالية ولا خير في علم لم تكن معه أخلاق فهو في هذا يتقيل استاذيه عبده والافغاني اللذين كانت علومهما تتدفق في أعمالهما فكان من أعظم الناس خلقاً وأمتنهم عهداً وأحلمهم طبعاً وأصفاهم قلباً وأحسنهم وفادة وأصدقهم بشاشة وأكملهم إخلاصاً وكانت مجموعة فيه صفات العلماء والامراء معاً . وكان مع وداعته وقوراً وفي تواضعه كبيراً وكانت رقة قلبه في مواطن الحنان تدل على بلوغ الانسانية فيه مثلها الأعلى قلما اجتمع العلم والخلق اجتماعهما في الشيخ رشيد وقلما جرى العقل والقلب شوطاً واحداً كما جريا في هذه الفطرة الشريفة . وأما الحمية الاسلامية بدون بغضاء للخارجين عن ملته وأما الصارخة العربية بدون تحامل على المسلمين من غير العرب فلا أحدث عنهما أحداً يجهلها : فلقد عاش الشيخ رشيد في عالم الادب والسياسة رئيساً وقائداً عظيماً مدة تزيد على أربعين سنة وهو ينافح عن الاسلام في كل موطن ويخدم الاسلام في الفقه وفي الادب وفي الاجتماع وفي التاريخ وفي السياسة ولم يقع بحقه كره من غير المسلمين ولا جفاء أحد من أصحابه الكثيرين ممن لا يدينون بالاسلام وذلك لما يعرفون من إخلاصه ومن سلامة نيته ومن أنه كان يضع العدل فوق كل شيء ومن انه كان يفهم من معاني الاسلام ما يجعل مودته لمن يعاشره من غير المسلمين خلقاً لا

تخلقاً . وكانت الى جانب نزعته الاسلامية المحضة نزعة عربية لا تقل عنها تمحضاً وكان يجمع بينهما دون أدنى تكلف لانه كان يعلم أن صدر الاسلام يتسع لمودة غير المسلمين وللاتفاق معهم في الجامعة الوطنية والرابطة القومية وفي كل ما يعود الى المبادئ الانسانية . ولم يكن فقيدنا اليوم ليبغي على أحد ولا ليضمر لاحد سوءاً وان أخذته في بعض الاحايين حدة لاعتداء يقع عليه . وهي خلق كل كريم عرف بصراحة الطبع وسلامة الصدر فسرعان ما كانت تذهب تلك الحدة ويحل محلها الصفاء الذي لم يكن يفارق سريرة الشيخ رشيد . وقد كان الفقيد يعرف السياسة العالمية والسياسة الشرقية خاصة ويدرك أسرارهما . وكان من أطباء الامراض التي ابتلي بها المجتمع الحاضر سواء في السياسة أو في الاخلاق . وكانت له آراء في المشكلات السياسية والمعضلات الاجتماعية مقتطعة من معادن الحكمة لا ينازع فيها الا الذي أعماه الله عن الصواب . وقد كان بعض الذين يأبون الا أن يتحذلقوا يعيبون على السيد رشيد اشتغاله بالسياسة ويقولون انه كان الاولى به أن يقبل على شأنه في الاشتغال بالامور الشرعية والعلوم اللغوية التي قد أحكمها بخلاف السياسة التي ليست من فنه ! وحقيقة الحال ان العقل الكبير يتسع لكل شيء لا سيما إذا كان مستيقظاً ساهراً يلتقط كل شاردة وواردة وان للسياسة صلة وثيقة بالعلم وبالشرع وبالمنطق وبالادب وبالاقتصاد وبغير ذلك مما اذا كان السيد رشيد لم يعرفه تفصيلاً فقد عرفه إجمالاً بحدة ذهنه وسعة اطلاعه وكثرة تجاربه . ومن أغرب ما يكون أني قد سمعت الانتقاد على الاستاذ في تدخله بالسياسة ممن إذا قيسوا اليه في السياسة كانوا بجانبه أطفالاً .

هذا والسيد رشيد من سادات القلمون بجوار طرابلس الشام والبيت الرضوي هو هناك بيت تقوى ووجاهة وسراوة ومكانة يعرفها جميع اهل سورية فهو من أصله غذيّ طهارة صافية وسليل نعمة هامية وفرع أرومة زاكية وقد زيّن ذلك الاصل بتربية عالية جاءت فيه نوراً على نور تخدم الاسلام والشرق والعروبة خدمة قلما وفق الى مثلها عربي صريح فلا غرو أن يهتز العالم العربي لفقده وان يستوحش العالم الاسلامي من بعده وليقل من قال اني غلوت في وصفه وأسرفت في تأبينه فليس ذلك بالذي يمنعني من أن أقول ان هذه السيرة العظيمة وان هذه الحياة الحافلة بجلائل الاعمال المنصرفة الى الجد من أولها الى آخرها والمشغولة بمعالي الامور عن سفاسفها لا يمكن ان توصف في العربية بغير هذه الالفاظ اذا تركنا الحسد جانبًا وسلمنا من آفة المعاصرة التي قد تحجب الفضائل أو تنقص منها . وكذلك ليس تأبيني هذا من قبيل : اذكروا محاسن موتاكم فقد كان السيد رشيد ملآن حياة وكنا نقول فيه في مجالس لا تحصى ما نكتبه الان على صفحات الجرائد في ترجمة حاله . وكم سمعت من افواه العلماء والعقلاء انه متى مات الاستاذ لا يسد مسده احد اليوم . فنسأل الله أن يكرم مثواه في منقلبه ويعلي درجته في جواره ويجزيه عن الاسلام والعروبة والشرق خير ما يجزي عبداً أطاعه وأن يفرغ علينا الصبر الجميل على هذا المصاب الجليل وأن يجبر خواطرنا الكسيرة ويثبت قلوبنا الحسيرة بالبركة في أنجاله وأنجال اخيه ويجعلهما جميعًا فروعًا جديرة بذلك الاصل الكريم وتلك البركة الادبية العظيمة .

المقالة الثانية

ذكرت في مقالة سابقة أني سأكتب في مناقب فقيد الاسلام السيد محمد رشيد رضا كتاباً خاصاً تحت اسم : « السيد رشيد رضا أو إخاء اربعين سنة » يكون رسالة من روحي التي تأخرت على هذا الشاطئ من الدنيا الى روحه التي عبرت الجسر الى الاخرى تناجي بذلك إحدى الروحين شقيقتها الى أن يقدر الله اجتماعها ثانية ٠

ولكن الذي بي من برحاء مصاب الاستاذ لا يتحمل الانظار والانتظار الى أن يكون صدر هذا الكتاب ٠ وما يسرّي عني شيئاً في حالتي الحاضرة مثل التحدث الى الناس بمناقب هذا الرجل الراحل الكبير الذي كنت من أعرف الناس به ٠

لم يكن السيد رشيد استاذي بالمعنى المفهوم من هذه اللفظة لأني لم أقرأ عليه شيئاً من العلوم ولا كان من الفرق بيننا في السن أكثر من بضع سنوات ففي سنة ١٩١١ عندما مررت بمصر قاصداً الجهاد في طرابلس الغرب جرى بيننا حديث العمر وكنت أنا انتهيت من سن الاربعين فقلت له : أنت أكبر مني بقليل لعل الفرق بيننا سنة ٠ فقال : وكم عمرك الان ؟ قلت : أكملت الاربعين ٠ فقال : بيني وبينك خمس سنوات بالاقل ٠

وإنما كنت أعده استاذاً لي بما أستفيد من كتبه ورسائله وبما أستفتيه دائماً في مشكلاتي من كل نوع فما استوريت زنده في فن إلا أقبسني وأزال حيرتي وما وردت حوضه المشفوه في حادث إلا رواني ونقع غلتي ٠

ولقد روى الاخ الوفي الكاتب البارع السيد محمد علي الطاهر صاحب

« الشورى » انه رآني في بور سعيد عندما تلاقيت مع السيد رشيد عانقته وعانقني وجرت دموع الاثنين ثم أهويت على يده فقبلتها .

نعم قبلت يد العلم والفضل وقبلت اليد التي طالما ناضلت عن الاسلام وتناولت قلما من نوادر الاقلام التي كشفت الكرب عن وجوه المسلمين وان من أعظم حسرات قلبي أن أكون بعيداً عن مصر وان أحرم تقبيل تلك اليد قبلة الوداع الاخيرة .

عندما دعتني لجنة المؤتمر الاسلامي برقياً للسفر الى الحجاز بمهمة الصلح بين الامامين ودعت العيال قالت لي أم البنين وأنا على ثنية الوداع : ستكون لك فرصة هذه المرة أن ترى الشيخ رشيد . لم تذكر سواه من أصحابي لانها كانت تعلم بانه أعز عليّ من الجميع .

ولم أكن أنا أعتقد أن الحكومة المصرية تبلغ من التضييق عليّ في أثناء مروري من الاسكندرية إلى السويس المبلغ الذي رأيته ودهشت له كما تحير له جميع الناس ، فكنت وأنا راكب الطيارة من برنديزي الى الاسكندرية طائراً فرحاً بتصوري قرب لقاء الاخوان ولاسيما الشيخ رشيد . فلما وصلت الاسكندرية ووجدت عند نزولي من الطيارة ذلك الماجور الانكليزي ماثلا يقول لي : انه مأمور بمرافقتي الى السويس ، وحوله الجنود والضباط ، علمت ان الاذن لي في التعريج على القاهرة غير مأمول . ولما جاء الدكتور سعيد طليع علي ، فحال الماجور الانكليزي بيني وبينه حيلولة لا تدل على شيء من الكياسة ، علمت ما هو أمر من عدم المرور على القاهرة ، وهو اني لن أقدر أن أجالس أصحابي ، واني سأحرم التحدث الى الاستاذ . ولما ركبنا

القطار ركب معنا الاخ محمد علي الطاهر ، ولكنه برغم الصراع الذي وقع بينه وبين قائد الالف البريطاني المذكور لم يتمكن من محادثتي . وفي أثناء الطريق صعد الاستاذ المرحوم ونقدم حتى حاذى العربة التي كنت فيها . وكنت أنا أتحاشى مصافحة أي انسان خشية أن يتجرأ اليبناشي الانكليزي علي بابداء ملاحظة بعد ان رايت ما رأيت فيسرع بي التأثر الى ان اواجهه بما يكره . ولكني لما بصرت بالاستاذ أمام الباب اقامتني من مكاني قوة فجائية لم استطع ان اغالبها ، وذهبت وصافحت السيد وقلت لليبناشي : لا بد لي من مصافحة هذا الاستاذ الذي هو عالم العالم الاسلامي . فسكت وابلس ولكن لم يقع بيني وبين الاخ الفقيد اي حديث ، ولا قدر ان يقول لي الا هذه الجملة « لاعجب » وبقي املي معلقاً بالاتصال معه في السويس ، فخاب هذا الامل ايضاً . لانهم حالوا بيننا وبينه هناك ، وحالوا ايضاً بيني وبين زملائي في وفد الصلح : الحاج امين الحسيني ومحمد علي باشا علويه وهاشم بك الاتاسي بحجة ان الكلام معي ممنوع على اطلاقه ما دمت في ارض مصر . ولذلك بقي الحجز علينا الى ان صرنا على متن الباخرة . اما في رحلتي الاولى إلى الحجاز فقد كانت الوطأة اخف وقد كانوا اكتفوا بوضع الارصاد من حولنا بدون منع الاتصال والاختلاط مع الاصحاب ، فجلسنا في بورت سعيد نتحدث وبللنا من صدى الشوق ما لا ازال انتعم بمجرد ذكراه . ولما أراد السيد الانصراف فيمن انصرفوا قلت له : لا . ارجو ان ننعم بالملازمة من البحر الابيض إلى البحر الاحمر . فلم يفترق عني من بورت سعيد الى السويس ، وهناك ذهب بنفسه واشترى لي الاحرام حتى يكون

حاضراً عند محاذاتنا لرابغ حيث يحرم الحجاج الواردون من الشمال وناولني رسالة له في مناسك الحج حتى أعمل بها لانه كان رحمه الله يعلم اني في الامور الشرعية لا أقلد غيره · وقد كتب مرة عني في المنار « إنه لا يلذ له شيء مثل الصلاة بإمامتنا » وهذا والله صحيح ·

وطالما دعوته أن يأتي فيصطاف في سويسره ويروح من عناء نفسه وقلت له انني أقوم بواجب خدمته بحيث يستوفي أوفر قسط من الجمام · وكان قصدي بذلك ان يخلص من حر مصر في أيام القيظ ويتمتع بأهوية جبال سويسرة حتى يستأنف نشاطه الذي يعوزه لاجل القيام بما كان يعانيه من الاشغال التي لا يقوم بمثلها أحد غيره · وكانت لي ايضاً اثرة خاصة في ما كنت اكرره عليه كل بداية صيف من الدعوة ان يأتي الى سويسرة ويقبل ضيافتي وهي أن اتمتع بمصاحبته ومناجاته وبث ما عندي له وان تطول بيننا المجالس التي يمكنني ان استفيض فيها بحر علمه نعم اننا في سنة ١٩٢١ عندما عقدنا المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف تيسر لي ان القاه مدة طويلة كانت هي عيون ايامي وغرر اعوامي · ولما انتهى المؤتمر وانصرف أعضاؤه كل الى بلده اراد الاستاذ أن يعود الى مصر وكنت انا يومئذ أسكن في برلين فأخذت بتلابيبه قائلاً له : لا بد من ان أسيحك في سويسرة والمانية حتى تنظر احسن بلاد اوربة فانك لم تشاهد منها الا جنيف وهذا لا يكفي · فقال لي : ان كنت انت عائداً الى برلين فاني أذهب معك اليها وإنما أذهب لاجلك · فاما ان كنت غير معجل في الاوبة الى برلين فدعني انصرف الى مصر مع المنصرفين فان ورائي من الاشغال ما يستدعي سرعة إيابي · والاشغال هذه كانت هي

عذره الدائم في عدم امكانه المجيء الى سويسرة عندما كنت ألح عليه في ذلك . فقلت له : لست بتاركك حتى أسير بك شيئاً في سويسرة وشيئاً في المانية لانك إذا ذهبت يجوز أن لا تعود الى اوربة فتذهب هذه الفرصة وأنا أريد أن تتملى اطلاعاً على هذه البلاد . ولما رأى إلحاحي عليه سار معي فبدأنا بالرحلة الى بلدة مونترو وهناك عرفته بسعادة الاخ فؤاد باشا سليم الحجازي ولم يكن بينهما تعارف من قبل فسر الاستاذ بلقاء هذا الرجل الملآن علماً وأخلاقاً وشكر لي هذا التعريف وبقيت الصحبة بينهما منذ ذلك الوقت إلى ان توفاه الله الى رحمته . ومن مونترو ذهبنا الى برن وصعدنا الى جبل «غرتن كولم» المشرف على برن وطوفنا في تلك البلدة وضواحيها . ثم ذهبنا الى زوريخ أكبر مدينة في سويسرة ومنها انتقلنا الى لوسرن وركبنا الباخرة مطوفين في بحيرتها البديعة التي لا مثيل لها في البحيرات كلها . وكنا نقيم بكل بلدة ليلتين حتى يتسنى لنا ان نشاهد محاسنها الطبيعية والصناعية . ومن سويسرة قصدنا المانيا وقضينا ليلة في فرنكفورت وهناك مررت به الى إدارة جريدة (فرنكفورتر تسايتونغ) وهي من أرقى جرائد العالم وكانت لي معرفة بهم فأحسنوا استقبال الاستاذ وهو بزيه العربي الاسلامي الذي لم يكن يفارقه . وعندما أخذوا بالحديث معه ازداد في أعينهم لما عرفوا من مكانه من العلم وسعة الافكار . ثم واصلنا السير الى برلين فأنزلته عندي وعرفته بكثير من معارفي وأصحابي وا كثر من احتفى به ولازمه في تلك النوبة من اصحابي البارون المستشرق صديق المسلمين (ماكس اوبنهايم) والدكتور ميخائيل بيضا التاجر السوري . وبقي في برلين ستة أيام وكانت يومئذ الاسعار في المانية بغاية الرخص فاستبضع

الاستاذ كثيراً من الحوائج البيتية واستدعيت له أحد اصدقائي من التجار فكنا نذهب الى المخازن فيشتري ما يريده بمساعدة ذلك الصاحب وانا أجلس جانباً الى ان يكون انتهى لانني لم أكن قادراً أن اساعده بنفسي فيما ليس لي به علم . وقال لي إذ ذاك : قد اشتريت بخمسة عشر جنيهاً ما يساوي في مصر خمسين جنيهاً بالاقل وذلك من سعة الفرق في الاسعار بين المانيا ومصر . فقلت له : إلا ان المشكل هو في إخراج هذه الحوائج من المانية فإن هذا الرخص انما يتمتع به أهل المانية وحدهم ولا يخرج شيء من هذه البضائع الى الخارج والحكومة الالمانية لا تهوّد في هذا الموضوع اصلاً . وكنا خائفين انهم على حدود المانية وهو مجتاز منها الى تريستة يمنعونه من إخراج تلك الحوائج ولا يبقون له منها إلا الضروري مما يعود الى شخصه . ولكن لما وصل الى الحدود ورأوه شيخاً معمماً وقرأوا في وجهه النبالة والكرامة اللتين لم تكونا لتخفيا على أحد عاملوه معاملة استثنائية مع ان مأموري الالمان لا يعرفون الهوادة في تطبيق الاوامر التي في أيديهم فكتب إلي من تريستة بأن ما كنا نحذره لم يقع منه شيء وان رجال المكس على الحدود تركوه يمر بدون تفتيش أصلاً .

هذا ولما كنا في برلين ذهبت به للسمر في النادي الشرقي الذي كنت رئيسه والذي كان المرحوم الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش من أعضاء مجلس إدارته . وكنت أعلم ما بين الاستاذين الكبيرين من الوحشة وكان يعزّ عليَّ هذا التقاطع بينهما وكلاهما من أعز احبابي وكلاهما من فحول الاسلام وكلاهما خادم للغاية التي يخدمها الآخر [1] . فرأيت

(١) في المجلد التاسع والعشرين من المنار الجزء الصادر في ٣٠ شعبان —

الفرصة سانحة لاصلاح ذات البين بينهما . وجئت بالاستاذ جاويش فسلم على الاستاذ رضا ورحب به واخذنا نتحدث جميعاً . ثم تلاقينا بعد ايام في مونيخ

سنة ١٣٤٧ ذكر وفاة الاستاذ الكبير الشيخ عبد العزيز شاويش الى رحمة ربه قال الشيخ رشيد في هذا المصاب : « ان العالم الاسلامي قد خسر اليوم بفقد الشيخ عبد العزيز شاويش رجلاً من اركان حزب الاصلاح المعتدل الذي هو وسط بين المسلمين الجامدين الخرافيين والمسلمين الجغرافيين الملحدين . لا عزاء بفقده إلا ما رأينا من إكبار الامة لفقده ».

ثم ذكر في عرض ترجمته ما يلي : « لماذا كان لموت هذا الرجل هذا الاكبار الذي حزن قلوب الشعب واطلق السنته بالرثاء وبسط يد حكومته بالعطاء ؟ انما كان كذلك لان من فقدوه كان كبيراً في نفسه وان لم يكن كبيراً في وظيفته . عالياً في همته وان لم يكن عالياً في ثروته . وكان بوجه كلما أوتي من كبر نفس وعلو همة الى خدمة الامة والله بجرأة جنان وذلاقة لسان وقوة ايمان وقلم سيال وهمة لا تعرف الكلال وقد أوتي جميع المواهب التي يكبر بها التأثير في أنفس الافراد والجماعات من حسن صورة وطلاقة وجه وفصاحة نطق وجرس صوت وحسن أداء وغزارة مادة وكان خطيباً مفوهاً وكاتباً مدرهاً وداعية مؤثراً . » .

ثم قال من جملة الترجمة : « ثم انه اتصل من طريق الحزب الوطني بجمعية الاتحاد والترقي التركية وتطوع لخدمة الدولة العثمانية تحت لوائها وقاوم مشروع الدعوة والارشاد بإغرائها كما جاهد في مقاومة الحركة العربية التي حدثت تجاه العصبية الطورانية التركية وبهذا صرنا على طرفي نقيض وشرح هذا لا يليق هنا . ثم التقينا في برلين وتصالحنا بسعي صديق الجميع الامير شكيب ارسلان وبعدان

فدعا الاستاذ جاويش ورفاقه المصريون الاستاذ رضا إلى طعام مصري طهاه الشبان المصريون بايديهم ٠ وقد كنت قرير العين باني أصلحت بين أستاذين عظيمين ومجاهدين شهيرين كان كل منهما من أعز الناس عليّ وكانا مختلفين كما يختلف المتعاصرون في كل زمن ٠ والمناظرات بين العلماء قضية قديمة حتى بين الزهاد منهم ٠ وقد كان الشيخ رشيد والشيخ عبد العزيز يتشابهان مع اختلافهما في كثير من الاخلاق : فكان كل منهما من اشد الناس استمساكاً بالكتاب والسنة مع كراهية الجمود ومع الارتياح الى الاخذ بالعلوم العصرية بأجمعها دون حيد عن عقيدة الاسلام الصافية ٠ وكان كل منهما على مشرب الاستاذ الامام محمد عبده ٠ وقد سمعت الشيخ جاويش مراراً يثني على علم السيد رشيد وسديد آرائه في مسائل كثيرة وذلك بالرغم مما كان بينهما من الوحشة ٠

وطول تلك الرحلة كنت أؤدي أنا النفقات التي ننفقها كل يوم فيأتي السيد فيسألني في آخر النهار عما أنفقنا ويأبى إلا أن يؤدي ما عليه ولا يقبل في ذلك مني كلاماً ٠ ولما صرنا الى برلين قلت له : أنت قلت إنك إنما جئت الى برلين لاجلي فليس من العدل أن تستنكف عن قبول

ـعاد الى مصر نشرت له في المنار « تلك المقالة التي كتبها في مفاسد مقاومة الترك الكماليين للدين لانه رجع فيها الى رأينا في ملاحدة الترك وعداوتهم للاسلام والعرب » الى آخر ما قال ٠ وأضيف انا اليه و كنت من أعلم الناس بسرائر الشيخ شاويش انه ما كان يكره شيئاً أكثر من الحركة الطورانية التركية التي هي ضد الجامعة الاسلامية ٠ وإنما كان إخلاصه للدولة العثمانية ملجأ المسلمين في وقتها٠

الضيافة مدة مقامك في برلين . فأصر أيضاً على خطته الاولى ولم أكن أتجرأ على شيء يزعجه فكنت أطيع أمره ولكنه سها في الآخر عن طلب الحساب وفارقني وهو ساهٍ عن ذلك ولكنه ما وصل الى مصر حتى تنبه من نفسه لهذه البقية فبعث إليّ بكتاب صبح الاعشى اربعة عشر جلداً وهو يساوي أكثر من البقية التي كانت عليه .

ولما قفلت من الحجاز في رحلتي الاولى اليه وجاء رحمه الله الى السويس ولازمني خمسة أيام الى أن جاء ميعاد الباخرة التي ركبت فيها أديت الى الفندق الحساب عني وعنه بدون علمه فلما أطلعه صاحب الفندق على ذلك أمره بان يرد لي ما كان أخذه مني عنه فراجعته في الامر فأبى إلا أن يحاسب عن نفسه من ماله . فقلت له حينئذٍ : انه لا يزال لك عندي بقية حساب ثمانية الجنيهات فقال : من أي جهة ؟ فقلت له : اشتريت من مكتبة المنار كتباً بلغ ثمنها ثمانية وأربعين جنيهاً فأنا أرسلت لك حوالة بأربعين جنيهاً على أن ارسل اليك بالثمانية الجنيهات الباقية في وقت آخر وما زالت هذه البقية في ذمتي تحت الحساب فإن كنت تأبى ان أحاسب أنا عنك من جهة أجرة الاوتيل فلا يليق بك أن تأبى ان أؤدي انا اليك بقية ثمن الكتب . فقال لي : أخشى ان تكون ناسياً وأرى الاحسن أن تبقي هذا الحساب المتعلق بالكتب الى ما بعد وصولك الى لوزان — حيث كنت أسكن حينئذٍ — ومتى راجعت فذلكة الحساب وتحققت منها بقاء تلك القيمة فيمكنك أن تبعث بها إليّ . فقلت له : اني غير ناسٍ وليس من العدل ان تمنعني من دفع ما عليّ لك الان . فلما رأى عزمي هذا سكت مكارمة لي . وفي المدة الاخيرة كان دخل عليه حساب من جهة مبلغ ارسلت

به اليه لاجـل طبع كتاب ووجدت ما ارسلت زيادة على كلفة الطبع فأراد أن يرد لي الزيادة وهي ثمانية جنيهات . فقلت له في الجواب : مـا يدعوك الى هذه العجلة ؟ وعلى فرض أن هذه الزيادة بقيت عندك أفليست لك بحق ؟ أفلست مدبونا لك بأكثر منها وأنت بالرغم من ضيق وقتك تصحح لي مسودات أربعة كتب لا كتاب واحد . فبعث اليَّ بجواب يقول لي فيه : لا تعد الى مثل هذه الهفوة أفأنا أقبل منك شيئاً عن تصحيح اربعة كتب او أكثر ؟ لم يتحمل شممه أن أترك له شيئـاً من الحساب يقابل تعبه مع انه تعب جزيل ومع ان الازمة المـالية نالت منه في السنوات الاخيرة ما يعلمه جميع اصحابه . قد ذكر الاخ ابو الحسن محمد علي الطاهر من أماثيل سماح الاستاذ ما يقضي بالعجب وكم من مشترك بالمنار بقي خمس عشرة سنة وعشرين سنة وربما ثلاثين سنة يتلقى المنـار ولا يؤدي من بدل الاشتراك شيئاً والسيد رشيد يسامحه . وهكذا كان شأنه في جميع أعماله عاملاً بالحديث الشريف : رحم الله امرءاً سمحاً اذا أخذ سمحاً اذا أعطى سمحاً اذا اشترى سمحاً اذا باع أو كما قال : وقد بلغني من الاستاذ الشيخ يوسف ياسين كاتب سر جلالة الملك عبد العزيز بن سعود أيده الله انه كان بقي على السيد رشيد حسـاب من أصل مبالغ مرسلة من جلالة الملك اليه لاجل طبع كتب يبلغ خمسمائة جنيه فنظراً للعسرة المالية في هذه السنين صدر امر الملك بترك هذه البقية للسيد فراجع السيد في ذلك وأصرّ على ادخالها في الحساب الجاري وهو مع ذلك لم ينكر معاونات الملك والطافه . وقد اشار الى ذلك في المنار . وبالجملة فقد كان المثل البعيد في الشمم وعزة النفس وقد ذكرنا هذه النبذة من

سيرته وله من امثالها ما لا يعد ولا يحصى لان هذه الجزئيات هي التي تمثل حقيقة النفس . وليس كل من يسمع باسم الفقيد يعرف هذه الدقائق من أعماله . ولم يتيسر لي أن ازور فقيدنا في بيته الا قبل الحرب العامة فأما بعد الحرب العامة فقد حظر عليَّ دخول مصر وكان تأهب السيد عند رحلتي الاولى الى الحجاز ان ينزلني عنده ولكن حال الجريض دون القريض . وقد أجمع كل من عرفه انه من أسخى الناس يداً وأكرمهم هزة وأحسنهم ضيافة وأتقهم طعاماً وأكثرهم رماداً وكان كرمه طبعاً لا تطبعاً وسجية لا تصنعاً .

وأما برّه بأصحابه وغيرته عليهم واهتمامه بكل ما يعود اليهم فانه شيء يلحق بالنوادر القديمة لا سيما بالنسبة الى أخلاق هذا العصر . فقد كان يحافظ على صاحبه حاضراً غائباً ويدافع عنه ما استطاع الى الدفاع سبيلاً ولا يرضى أن يقال السوء بحق صاحبه . وكان يكره الغيبة ويحتقر النميمة ويغطي على السيئات وينشر الحسنات ويوفرها لصاحبها ويزينها في أعين الناس .

لما ذهبت الى حرب طرابلس من طريق مصر توقفت في القاهرة نحواً من اربعين يوماً وصرت اكتب كل يوم مقالة في المؤيد استجيش بها العالم الاسلامي ولا سيما مصر لاعانة اخواننا الطرابلسيين فكان لتلك المقالات اليومية دويّ عظيم في القطر واعجب بها كثيرون ممن عافاهم الله من مرض الحسد فقال أحدهم للسيد رشيد : ما كنا نظن صاحب هذه المقالات بهذه الدرجة . فأجابه السيد : ان هذا من روح الشيخ . يريد بذلك استاذنا الامام الشيخ محمد عبده . فقال له مخاطبه : وهل الامير

شكيب هو ممن اخذ عن الشيخ محمد عبده ؟ فقال له السيد : هو قبلنا جميعاً . يشير بذلك الى معرفتي بالشيخ محمد عبده التي كانت قبل معرفته هو به . وقد كان الفقيد يأتي من طرابلس الشام الى بيروت عمداً ليواجهني ولأتحدث له عن الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الافغاني من شدة ولوعه بهما . ولما اجمع على الذهاب الى مصر قاصداً التعرف بالاستاذ الامام مرّ عليّ وانا في بيروت وودعني واستدعيت له الاستاذ الشرتوني صاحب (اقرب الموارد) الذي كان مولعاً بالاستاذ محمد عبده نظير السيد رشيد وكان لنا مجلس طويل . وفارقني الى مصر وأخمن ان هذه هي السنة التاسعة والثلاثون بالحساب الميلادي من ملاقاتنا تلك . وبعد ان وصل الى مصر كان لا يغبّ الكتابة إليّ وكان يواظب على ارسال المنار إليّ اينما كنت . ثم لقيته في بيروت سنة إعلان الدستور العثماني اي منذ ثمان وعشرين سنة وكانت لنا مجالس . ولم ألقه بعد ذلك الا حينما مررت بمصر قاصداً الى طرابلس للجهاد كما اني لقيته بعد القفول من طرابلس . وبعد ذلك لم يقدر الله الاجتماع الا في جنيف أي بعد تسع سنوات من آخر اجتماع بمصر . ثم تلاقينا في بورت سعيد وانا ذاهب للحج سنة ١٣٤٧هـ وتلاقينا في السويس منصرفي من الحجاز . وآخر لقاء كان بيننا هو في رحلتي الصيف الماضي الى الحجاز بمهمة الصلح وهي المقابلة التي صافحته بها برغم البينباشي الانكليزي الذي أرسلته الحكومة المصرية مانعاً من اتصال الناس بي ولكن لم يكلمني ولم أكلمه ولم يزد على تلك الجملة (لاعجب) وكانت هي النظرة الاخيرة التي ألقيتها عليه والجملة الاخيرة التي سمعتها منه . وكم من حسرة ترافق الى التراب .

وأدل دليل على برّه ووفائه انه بقي طول حياته يلهج بذكر استاذنا جميعاً الشيخ محمد عبده باللسان وبالقلم ولم يكفه كل ما كان يكتبه عنه في المنار حتى ألّف في ترجمة الاستاذ الامام جزئين كبيرين الثاني منهما صدر من سنتين بألف ومائة وأربع وثلاثين صفحة ٠ ولهذا العاجز بضع عشرة صفحة في هذا الجزء وكتاب خصوصي في الجزء الآخر وذلك بامضائي ٠ فما أظن أحداً بلغ من البر باستاذه أكثر من السيد رشيد وكان يعظم من قدر الشيخ محمد عبده التعظيم الذي زاد كثيراً في شهرته ٠ وهو الذي اطلق عليه لقب (الاستاذ الامام) ومما لا شك فيه انه كان أعلم بعلوم كثيرة من استاذه ٠ وإنما كان الشيخ محمد عبده أطلق لساناً وأعلى درجة في المعقول فكل منهما يملك مزايا يرجح فيها على الآخر ٠

واما رقة إحساسه رحمه الله فقد كانت متناسبة مع رقة طبعه ٠ ولا شك ان بين الكرم والرقة رحماً ماسة ٠ وكتبت اليه مرة من مرسين وكنت استقدمت اليها عائلتي بعد أن غبت عنهم سبع سنوات فقلت لهم: كنت لا أصدق عيوني عندما رأيتهم ٠ فأجابني رحمه الله انه ما قرأ عبارتي هذه الا هطلت دموعه على خدوده ٠ وكنت منذ أشهر لا غير كتبت اليه اوصيه بحسن مقابلة السيد محمد داود من أجلّ أدباء المغرب وأفضل الشبان العاملين في ذلك القطر وقلت له : انه هو صهر الحاج عبد السلام بنونه الذي كان قطب النهضة الوطنية في المغرب ولم يكن مضى على الفجيعة به اكثر من شهر ٠ ولم يكن الاستاذ يعرف الحاج عبد السلام شخصياً ولكنه كان يسمع بمناقبه وكنت انا اؤكد له مكانه العالي من النبل والحمية والشمم والاريحية فلما زاره السيد محمد داود استقبله على عادته

من الاحتفاء والترحيب ولكنهما لما وصلا الى ذكر المصاب بوفاة الحاج عبد السلام بنونة غلب على السيد الحزن حتى أصبح لا يقدر ان يكلم صهر الفقيد فكانت رقة شعوره من جملة محاسنه الكثيرة التي اجتمعت فيه كالعقد المنظوم ولم يكن يحمل على احد حسيكة في صدره مهما كان بلغ من أذاه له وكما قال السيد محمد علي الطاهر: كان لا يعرف الحقد الى قلبه سبيلاً . وسراراً رأيته يثور من تحامل بعض الناس عليه ثم لا يمضي قليل الا أراه نسي ذلك بالمرة وعاد إلى ذكر حسنات ذلك الذي كان يشكو اعتداءه . وكان خلقه هذا يذكرني بما قرأته في سيرة صلاح الدين يوسف الايوبي فقد روى بهاء الدين بن شداد ان الملك الظاهر بن صلاح الدين استأذن والده بعد أن تم له فتح القدس ليرجع الى حلب التي كان ابوه أقطعه اياها . فلما اراد وداعه اخلى المكان وقال له: اوصيك بتقوى الله فإنها رأس كل خير وآمرك بما امر الله به فانه سبب نجاحك وأحذرك من الدماء والدخول فيها والتقلد بها فان الدم لا ينام وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر بأحوالهم فأنت اميني وامين الله عليهم وأوصيك بحفظ قلوب الامراء وارباب الدولة فما بلغت ما بلغت الا بمداراة الناس . ولا تحقد على احد فان الموت لا يبقي على احد . واحذر ما بينك وبين الناس لانه لا يغفر إلا برضاهم وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك اليه فانه كريم . قال بهاء الدين بن شداد: وكان ذلك بعد ان مضى جانب من الليل وهذا ما امكنني حكايته وضبطه ولم يزل بين يديه الى قريب السحر ثم أذن له بالانصراف ونهض يودعه فقبل وجهه ومسح على رأسه وانصرف في دعة الله . وقد ترجمت هذا بالحرف الى

الافرنسية ونشرته في العدد الاخير من مجلتنا « لاناسيون آراب » وبودي ان أترجم سيرة صلاح الدين بقلم بهاء الدين بن شداد كلها الى الافرنسية لان الافرنج بأجمعهم معجبون بأخلاق صلاح الدين الايوبي ولكنهم يجهلون نوادره التي كسب بها هذه الشهرة ٠

والخلاصة ان السيد رشيد رضا كان لا يحقد على احد لان المات لا يبقي على احد ٠ وما احسن قول الاستاذ ابي الحسن حفظه الله :« وكانت فيه على وفرة عقله وكثرة تجاربه طفولة العظماء يصدق كل الناس ويثق بهم » ٠ ولا عجب فان الذي يكون مفطوراً على الخير لا يرى الناس الا بمرآة نفسه ونفس الشيخ رشيد لم يكن ينتقش في لوحها غير الجميل ٠ وبالجملة فقد كان السيد رشيد كبيراً حقاً في جميع اطواره وكانت فطرته فطرة سليمة غالباً عليها الخير من كل جهاتها ٠

وكان الفقيد من اصدق الناس لهجة وابعدهم عن الكذب والتدليس وقد انطبع ذلك فيه من كثرة قيامه على الحديث الشريف ٠ وعلم الحديث يحتاط فيه اصحابه اشد الاحتياط ويحرصون على ضبط الكلمة بل الحرف والحركة ويمحصون الروايات تمحيص من يعتقد الكفر في من زاد في الحديث او نقص منه عمداً ، وقد كان السيد رشيد من علماء الحديث واهل الرواية والدراية معاً فكان يتثبت في الروايات حتى في غير الحديث فغلبت عليه لهجة الصدق وصار لا يقول الا ما يعلمه ٠ الا اذا كان فيما يعلمه ما يدعو الى الفتنة لو باح به فكان يسكت عن ذلك سكوتاً ولا يقول الا خيراً ، واما الكذب فكان من ابعد خلق الله عنه ٠

وسأعود إلى ذكر مناقبه وأذكر طرفاً من مزاياه قبل ان أشرع في تأليف الكتاب الذي أريد أن أخصصه بترجمة حاله وبعلاقاتي معه ٠ انه قد سود في خدمة هذه الامة عشرات وعشرات الوف من الصفحات فليس بكثير أن نخدم روحه بكتاب خاص ٠ والله يتولاه بواسع رحمته ورضوانه ويسكنه في أعلى غرف جنانه انه كريم والكريم يحب الكرماء ؟



قطعة من كتاب الى الاخ السيد محمد علي الطاهر

أذكر له كيف كان عليَّ وقع مصاب السيد رشيد

في ٢٣ اغسطس نهضت صباحاً في غاية الانزعاج ولا أدري السبب . وحلمت أحلاماً كلها غم وكرب ولما انجلى الليل بالصبح لم يكن الاصباح بامثل . ولا أعلم هل كان فراق فقيدنا للحياة ليلة ٢٣ أغسطس[1] فانه إن كان ذلك فأكون قد شعرت بالمصاب باتصال الارواح وإلا فما الذي أوجب ان أقضي ذلك الليل في أحلام مزعجة ويصبح عليَّ الصباح وأنا في غم شديد أشعر به ولا أعلم سببه . وبعد ذلك علمت تفسير هذا المنام لان الاستاذ إحسان سامي حقي قال لي : بعثنا لك الى زوريخ برقية وردتك من مصر فهل تلقيتها وأنت هناك ؟ قلت : لا . وما عسى أن تكون تلك البرقية ؟ قال : عظَّم الله أجرك في الشيخ رشيد . فلما سمعت ذلك طاش عقلي وأصابني ما أصابني ساعة بلغني وفاة الشيخ محمد عبده قبل وفاة السيد رشيد بثلاثين سنة . ثم تحدرت العبرات على عوارضي وأنا

---

(١) علمت فيما بعد ان المرحوم السيد رشيداً أسلم الروح وهو عائد في السيارة من السويس الى مصر وذلك في نواحي الساعة الثانية من مساء الخميس الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٥٣ هـ الموافق الثاني والعشرين من اغسطس سنة ١٩٣٥ م فيكون الحلم الذي انا رأيته وقع في مساء يوم وفاته رحمه الله أو الليلة المسفرة عن اليوم التالي .

وليست هذه بأول واقعة وقعت معي من هذا النوع .

أتلو : « إنا لله وإنا اليه راجعون » . هذا ولما انتهيت من البكاء بعد أخذي للخبر من فم إحسان حتى كتبت برقية باسم المنار جواباً على النعي وضمنتها بعض ما يجب لمقام الفقيد الاكبر استاذ الاساتيذ وعلامة العلماء وإمام الأئمة ونبراس هذه الامة .

ووضعت إمضائي وإمضاء أخي إحسان بك الجابري وبقينا ذلك المساء نتحدث واحرقتاه عن مناقب هذا الفقيد الفريد ونبرد أكبادنا الحرّى بسرد محاسنه التي لا تحصى .

وأخذت أتلو له آخر كتبه إليّ وكيف كان رضي الله عنه يشتغل بهمة لا تعرف الكلال ولا الملال وانه كان في هذه المدة الاخيرة يشتغل بترتيب ديواني وتصحيح طبعه وانه لم يكن أعجبه الترتيب الذي وجده فقدم وأخر في مواضع القصائد والتزم الترتيب الذي رآه وحمل نفسه على نسخ كثير من الديوان بخط يده رحمه الله مع أن أشغاله لا تحصى .

وذكرت أن كتابه الاخير إليّ لم يمضِ عليه الا عشرون يوماً هو بخط يده وفيه أثر للشكاية من المرض ولكن ليس فيه شيء يدل على ضعف في النفس ولا على حينونة الاجل .

وقد أجبته قائلاً له : دع عنك الآن كل شيء وانظر إلى صحتك . هذا ونهار أمس أردت أن أكتب اليك فما كان يجيئني الكلام لشدة وقع الصدمة . فحدثت نفسي بأن أبعث اليك ببرقية وهذا أيضاً ذهلت عنه وقت في هذا النهار وأردت أن أبرق اليك وأشكو بثي وحزني ومضى النهار وأنا ذاهل الى أن فكرت في أنه لا بد لي من أن اكتب اليك وأعزيك وأبث ما عندي من هول هذا المصاب ولوعة هذا الحزن

وأقول لك اني لو كنت جبلاً لتصدعت واني بخلاف سائر أيامي لا أكاد أمسك القلم إلا تكلفاً ولا أملي على الكاتب إلا تلكؤاً . ولا يجول في فكري سوى السيد رشيد اتذكره واذكر تعارفي معه من اثنتين وأربعين سنة وأتأمل في خلاله الكثيرة الاثيرة من حسن عهد ، وصفاء ود ، وطيب سريرة ، وشرف نفس ، وعلو همة ، ورقة شعور ، وكرم أخلاق ، ونبالة مبادئ . وهذا عدا العلم الذي هو فيه بحر لا تنزحه الدلاء والتحقيق الذي قلما يصل إلى مثله أحد من العلماء حتى انه ليندر مثله في الغابرين فضلاً عن الحاضرين . وقد كنا في أثناء مذاكراتنا عنه منذ سنين نقول : انه إذا انطوى لا يخلفه أحد وانه في الفن الذي اختص به وهو إيجاد الحل الشرعي للقضايا العصرية لن يقوم بعده من يسد مسده وان هذا الرجل أمة وحده وانه سيتعب من بعده وان شأوه لا يدرك في مناقب كثيرة . والآن بعد أن فقدناه وواجهنا هذه الحقيقة ازداد علمنا بها وخفقت القلوب من هولها ورأينا بأعيننا الفقد الذي لا يعوض والفراغ الذي لا يسد والمنار وقد خبا وذلك القلم الجبار وقد انطوى وذلك السراج المنير وقد انطفأ واوحشت الدنيا لانطفائه وأظلم العالم الاسلامي لفقد ضيائه . إنها لمصيبة ولا كالمصائب وانها لحياة كانت ملأى بالجد وجلائل الاعمال .

وما انتهت الا بعد أن امتلأت الآفاق شرقاً وغرباً بذكر رشيد رضا فهكذا فليحي من أراد أن يحيا حياً وميتاً وهكذا فلينقلب الى ربه من أراد أن يلقاه بقلب سليم ونفع لعباده عظيم . ومن كرشيد رضا في العلماء العاملين ومن كذلك السيد السند في رجالات المسلمين . إنا لله وإنا اليه راجعون . اللهم انه كان رؤوفاً رحيماً فتغمده برحمتك وانه كان براً كريماً

فعامله بكرمك وانزله منازل الابرار الذين أنعمت عليهم واجعل علمه خالداً يستفاد به في الاعقاب واجعل اسمه رمزاً للعلم والكرم والنبل على طول الاحقاب وأورث أنجاله وذريته خلاله الكريمة ومحاسنه الباهرة حتى يبقى هذا البيت مناراً عالياً ومثالاً صالحاً . وأفرغ الصبر الجميل عليهم وعلينا جميعاً . فقد جل هذا الخطب وفدح هذا الامر حتى إننا لا نتعزى عنه الا بذكرى المصاب برسول الله عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين الذين شيدوا بناء الاسلام . ثم أرجو منك أن تخبرني كل ما تعرف عن كيفية مرضه قدس الله روحه وفي أي يوم وأية ساعة فاضت تلك الروح الطاهرة راجعة الى ربها . وانه ليبرد من لوعتي الوقوف على ذلك ولا شك انه ستتألف لجنة للتأبين نهار الاربعين وسيكون مشهداً حافلاً لائقاً بمقام الراحل الكبير فعرفني عن الذين تتألف منهم لجنة التأبين وهل يوافق أن أبعث بالرثاء شعراً الى الجرائد قبل الاربعين أم أبعث به اليك وأنت تقدم القصيدة الى اللجنة وسأكتب الى الصحف عما يحضرني بشأن الفقيد تباعاً وربما كتبت كتابا خاصاً كما كتبت عن صديقي شوقي . وللسيد الفقيد عندي أكثر من مائة وخمسين مكتوباً محفوظة كلها في ظرف خاص فيجوز أن آخذ منها ما يوافق نشره لان فيها فوائد كثيرة وأخلاقاً وآداباً في كل فن . وأراني لا أقدر ان أخفف من حسراتي إلا بنشر مناقبه والتحدث الى الناس عنه :

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

والله تعالى يعظم أجركم ويطيل عمركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حفلات تأبين الفقيد رحمه الله

وقد أقيمت للسيد رشيد بعد وفاته حفلات تأبين في كثير من المدن: منها الحفلة التي اقيمت في مصر بدار جمعية الشبان المسلمين. وقد أبنه فيها الاساتذة: حبيب الجاماتي. علي مرور الزنكلوني. رشيد المفسر. محمد لطفي جمعه. محمد الهراوي (قصيدة). محمد العدوي. عبد السميع البطل. عبد الرحمن شهبندر. عبدالله عفيفي (قصيدة).

والحفلة التي اقيمت في تونس بمسرح قصر الجمعيات الافرنسية وقد أبنه فيها الاساتذة: عبد الرحمن الكعاك، خميس الشامخ، صالح النيفر، ابن عاشور، محمد الغربي، الشاذلي نيفر (قصيدة)، علي البلهوان، محمد شاكر، الامير شكيب ارسلان (وقد قرأ خطابه محمد الغربي)، محب الدين الخطيب (وقد قرأ خطابه المختار بن عثمان)، الصادق بسيس، بلحسن بن شعبان (قصيدة).

والحفلة التي اقيمت في بغداد في مركز جمعية الشبان المسلمين. وقد أبنه فيها الاساتذة: حسن رضا، محمد بهجة الاثري، عباس العزاوي، سلمان افندي بيات.

والحفلة التي أقيمت في دمشق في مدرج الجامعة السورية أقامها المجمع العلمي العربي إذ كان السيد رشيد رحمه الله عضواً فيه. وقد افتتح الحفلة رئيس المجمع الشيخ عبد القادر المغربي بكلمة ثم ألقى كلمة شيخ الجامع الازهر

في الفقيد ، وبعده الدكتور نجيب الارمنازي ثم الاستاذ شفيق جبري ، ثم الاستاذ التنوخي الذي قرأ قصيدتنا الآتيـة في الفقيد كما تلا خطاب الشيخ مصطفى الغلاييني (قاضي بيروت) ثم الاستاذ محمد بهجة البيطار التي كلمته وكلمة الشيخ احمد عمر المحمصاني (بيروت) ثم السيد ظافر القاسمي التي كلمته وكلمة الشيخ بهجة الأثري (بغداد).

رثائي الفقيد الاسلام

في حفلة دمشق

تحدري يا دموعي بالميازيب ... وعارضي السحب أسكوباً بأسكوب
وأدركي كبداً لجَّ الأوار به ... عن مارج في صميم القلب مشبوب
هيهات أيُّ الرزايا بعدُ ترمضني ... وأيُّ داهيةٍ دهياء تلوي بي
وأيُّ خطبٍ ملئٍ أن أقول له ... يا عمريَ انفضْ أو يا مهجتي ذوبي
مضى الذي كان فيه منتهى أملي ... ومن نشدتُ لتعليمي وتهذيبي
ومن عن الأخذ عنه شدُّ راحلتي ... ومن للقياه إسآدي وتأويبي
شعرت أن خلَت الدنيا بمصرعه ... لم يكفني طول تشريدي وتغريبي
فمن أناجيه بعد اليوم في حزني ... ومن أرى بثَّه بثي وتعذيبي
واهاً على حجة الاسلام حين خبا ... ذاك الشهاب بليلاتٍ غرابيب
واهاً على علم الاعلام حين هوى ... فلا تصادف قلباً غير منخوب
هوى وكل جبال العلم دانية ... عن شأوه فهي منه كالاهاضيب
أين الذي كان إن أجرى يراعته ... في أي فنٍ أتانا بالاعاجيب

هذا المصاب الذي كنا نحاذره … نظل نلبس منه جلد مرعوب
من قبل رُزناه فقداً غير ذي عوض … وكم حسبناه صدعاً غير مرؤوب
حتى اذا حل لم تعقد مناحته … إلا على حادث من قبل مرهوب
قضى الامام الذي كانت مكانتهُ … بين الائمة في أعلى الشناخيب
لو كان أنصفه الاسلام يوم ثوى … لبات يرفلُ في سود الجلابيب
كان المقدم في علم وفي عمل … والجمع ما بين منسوب ومكسوب
له شمائل أمثال النسيم سرى … تذكيه نفحة نوّار التعاشيب
سمح السجية لا يلوي على حسك … ويكره العفو أن ينأى عن الحوب
لم تعرف الحقد في يوم سريرته … ولا وعى سره شيئاً سوى الطيب
كم قد تلقى أعاديه وقد كشحوا … بفضل ذيل على الآثام مسحوب
يلقونه حملاً حتى اذا عبثوا … بالدين أصبح كالبزل المصاعيب
هناك لا هدنةً يدرى ولا خصم … الا سيأخذ منه بالتلابيب
هناك أعظم بفحل غير ذي نكل … لدى اللقاء وسيف غير مقروب
يصول صول عليّ في وقائعه … فليس يعرف قرناً غير مكبوب
عدا على عبقر من ليس ذا صلة … معها على الرغم من نعت وتلقيب
فالعبقرية وصف في رشيد رضا … والعبقرية ليست بالاكاذيب
قس كل صاحب فضل مع رشيد رضا … قيس الرُّهام الى الطير المناسيب
تسمو المنابر إعجاباً بوطأته … لها وتخضع أقواس المحاريب
سبحان من زاده علماً وألهمه … تلك البراهين في أحلى الاساليب

رب الوفاء الذي أربى بشهرته ... حقاً على مثل في العهد مضروب
لم يدر بغياً على الاخوان في زمن ... سادت على الجم فيه شيمة الذيب
له المنار الذي كانت تنار به ... سفائن القوم في لج التجاريب
مقلة من اصول الشرع أشرعةً ... تمشي مع العقل تسيار الاصاحيب
كان المنار لحزب الحق مقتصراً ... يهديهم بشعاع غير محجوب
غدت به ملة الاسلام حجتها ... شهباء في حازب منها ومحزوب
جميع أجزائه تأتي على نسق ... مثل اطراد العوالي بالانابيب
فيه الفتاوى التي يرضى الجميع بها ... فلا ترى حاجة في نفس يعقوب
تجري بآذان من يصغى لقارئها ... لحن الدُريجيّ في سمع المطاريب
ما بالمنار ضياء غير مقتبس ... وليس فيه هلال غير مرقوب
وكم كتاب له غير المنار غدا ... فوق الكتائب في حشد وتكتيب
في كل عام تآليف يجود بها ... كالغيث يرسل شؤبوباً بشؤبوب
مواقف لن ترى من يستقل بها ... ولن ترى طامعاً منها بتقريب

* * *

سر نحو ربك مبكياً بكل دم ... قانٍ على صفحة الخدين مصبوب
وانعم لديه بما قدمت من عمل ... وفز بقسطك من بر وتثويب
واترك ثناء كنفح الطيب ليس ينى ... يملا البلاد بتشريق وتغريب
قد يغلب الحزن أقوام بصبرهم ... لكن حزنك عندي غير مغلوب
أبكيك ما دمت في الدنيا وما بقيت ... الا بقية عيش غير محبوب
لي معك عهد فآبى أن أخيس به ... حتى أصير إلى لحد وتتريب

المقصورة الرشيدية[1]

التي عارض المترجم بها مقصورة ابن دريد

وتفسير بعض غريبها بقلمه

تَبَارَكَ ٱلبارِئُ مُبدِعُ الوَرَى ... بحكمةٍ تروقُ أربابَ ٱلحِجَى

براهُ من حيث رَصَاهُ[2] فانبرى ... مُستَحصِفَ المَرِيرِ مشدُودَ ٱلعُرَى

أنشا من ٱلسديم[3] كلَّ صورةٍ ... فسَمَكَ ٱلسماءَ والأرضَ دحَا

وخلقَ الأشياءَ أزواجاً وقدْ ... قضى بناموس تنازع ٱلبقَا

ثُمَّتَ أعطى كلَّ شيءٍ خلقَهُ ... بحسَبِ أستعداده ثمَّ هدَى

فأبعثْ رسولَ ٱلطرْفِ منكَ رائداً ... يجُوبُ أجوازَ[4] ٱلبحارِ وٱلفلاَ

وأُسرِ بهِ للأُفقِ في مَرَاصدٍ[5] ... معِراجها يُدني اليكَ ما نَأى

وأرْسلِ ٱلفكرَ رسولاً ثانياً ... لعالَمِ الأَروَاحِ يسعى وٱلنُّهى

حتى إذاَ جاسا خلاَلَ الدارِ منْ ... عوالمِ الحسِّ وَعالَمِ الحِجَى

سائلها هـلْ ثمَّ منْ تفاوُتٍ ... أوْ خللٍ في الأَصل كانَ أو عرى

---

(١) راجع سبب نظم السيد رحمه الله لهذه المقصورة في ص ٣٢ وص ١١٤

(٢) احكمه وأتقنه (٣) أو الهباء (٤) أوساط (٥) جمع مرصد وهو التلسكوب

أنيَ وتلكَ مظهرُ ٱلحقِ بِها　　　قدْ ظهرتْ أسماهُ جلّ وعلا

***

مِن جزئي هذا قيل لا إمكان في　　　أبدع مما كانَ قبلُ وجرى
فأرجعْ إليها ٱلطرفَ كرّتين واستوضحْ دِناج(١) الأمرِ من ثني ٱلقضا
تلقَ هناكَ سُنناً حكيمةً　　　لا يعتريهنَّ ٱلعفاءُ وَالوهى
مِنْ ذاكَ أنَّ الازدواجَ(٢) سنةٌ　　　قام بها ٱلتوليدُ في هذا الورَى
يظهرُ هذا في الموالدِ ٱلتي　　　تألفتْ منها طبيعةُ الدُنا
فأجتلهِ في الحيوانِ ناطقاً　　　وأعجماً وفي ٱلنباتِ المُجتنى
والماءُ وٱلتربةُ إذْ تقارنا　　　تولّدتْ صمُّ ٱلصخورِ والحصا
بلْ كُلُّ ذرَّةٍ لقد تولّدتْ　　　بجسم حيٍّ وبها الجسمُ نما
خليةٌ تُقرَنُ في غضونها　　　نوبتانِ عندها تغدُو زكا(٣)
وَمازجَ الماءُ الحُميَّا فأنتجتْ　　　عن ولَدٍ يُدعى الحبابَ مُذْ حبا
كذا ٱلمقدماتُ لمَّا اقترنتْ　　　تمخضتْ عن ٱلنتاجِ للحصا(٤)
وَالقمرُ ٱلمنيرُ لمَّا قارنَ ٱلشمسَ تولّدَ الهلالُ في الدُجى
وَالكهربا زوجانِ إمَّا ٱلتقيا　　　تألقَ ٱلبرقُ وشيكاً وَخفا(٥)
كالزّندِ وٱلزّندةِ حينَ ٱلتقيا　　　مزدوجينِ أنتجا نار ٱلصلى

---

(١) إحكامه واتقانه　(٢) الاقتران　(٣) اي تغدو زوجاً حتى تتولد منها خلية أخرى وهكذا　(٤) للحصي أي للحجى وهو العقل　(٥) لمع وظهر

وَالمُعْصِراتُ عندما لَقَّحَها الثَّائِبُ (١) جاءَتْ بوليدها الحَيَا
وَلامسَ (٢) البحارَ في سكونها فاعتلجَ (٣) الآذِيُّ (٤) فيها وَطَمَا
وافترشَ الارضَ الحيا فانفلقتْ عن كُلِّ زَوْجٍ يُرْتَعى ويجتنى
وَعَنْ رَياحينَ ذكا شميمُها يفوحُ منها العَرفُ عاطرَ الشذا
يمازِجُ الأَرواحَ طيبُ رِيحها فَتَنْثَني نَشْوى وَلَمْ تَرْشُفْ طِلا

* * *

وَرَوْضَةٍ تُجْلى بثوبٍ سُنْدُسٍ رَصَّعها النورُ بأصنافِ الحُلى
ماصَوَّحَ (٥) البارِحُ (٦) غَضَّ نجمِها وَيانِعُ الأَفنانِ منها ما ذَوى
وَالباسقاتُ رَفَعَتْ أَكُفَّها تستنزلُ الغيثَ وتطلبُ النَّدى
تمتلجُ (٧) الكربونَ (٨) مِنْ ضَرْعِ الهوا إِذا آثرتنا بالأَزوتِ (٩) المُنْتَقى
مدَّتْ عَلَى الصعيدِ ظِلاً وارِفاً فلا ذَأَى (١٠) العودُ وَلا الظِّلُّ أَزى (١١)
وَالشمسُ تبدو من خلالِ دَوْحِها آونَةً تخفى وطوراً تُجتَلى
كغادةٍ وَضّاحةٍ (١٢) قد أَتْلَعَتْ (١٣) مِنْ خَلَلِ السجوفِ (١٤) تَرْنو والكُوى

---

(١) الهواء الذي يتقدم المطر (٢) أي الثائب (٣) التطم (٤) الموج (٥) شقق (٦) الريح البارد (٧) ترضع (٨) غاز سام يمتصه الشجر من الهواء (٩) أحسن الاكسجين او خلاصته (١٠) ذبل (١١) تقلص وانقبض (١٢) وضاحة مشرقة الوجه (١٣) أتلعت مدت عنقها (١٤) السجوف الاستار .

تُلْقِي على الرّوضِ نثيرَ عسجدٍ ... فتحسبُ الرّوضَ عروساً تُجتلى
وَافيتُها[1] والفجرُ مدَّ رمحَه ... يسطو فلم يُخطِ مقاتلَ الدُّجى
أفلقٌ ذا أمْ حسامُ أدهمٍ[2] ... أجلى في فيالقِ «الكريكِ»[3] وانجلى
والشمسُ كرّتْ إثرَه وانتشرتْ ... منها سهامُ النورِ تملأُ الفضا
فانقلبَ النجمُ على أعقابِهِ ... وخنستْ كُنَّسُه مثلَ الظِّبا
كتائبٌ تتبعها كتائبٌ ... وجحفلٌ في إثرِ جحفلٍ مضى
سيّارةٌ تعقبها ثوابتٌ ... وأعزلٌ برامحٍ قد استوى

* * *

وصاحِبايَ[4] (دفترٌ) في طيّه ... مثلَ مدبِّ النملِ يسعى في الرُّبى
فردٌ ولكن قد وعى إهابُهُ ... كلَّ شعوبِ العالمين وحوى
وقاتمُ الأعماقِ لكنْ كم بدا ... في أفقِهِ بدرٌ وكم نجمٌ هوى
وجمعَ الأضدادَ في غضونِهِ ... وألّفَ الأشتاتَ منها وضوى[5]
فالضبُّ والنينانُ ترتعي معاً ... والشاءُ والسرحانُ يسرحن سوى
لو جالَ طرفُ الطرفِ في ساحاتِهِ ... وطافَ ما بين الرجا[6] إلى الرجا

---

(١) اي الروضة (٢) أدهم هو القائد التركي الذي هزم اليونان في الحرب اليونانية العثمانية التي نشبت يومئذ (٣) تعريب الاغريق وهم اليونان (٤) حال من فاعل وافيتها يقول ان صاحبيه اللذين وافى بهما الروضة اثنان «دفتر» واراد به مجلة المقتطف ، ثم قال «واروع» واراد به صديقه الذي يهنؤه بالزفاف ٠ (٥) ضم (٦) الجانب ٠

عَنَتْ لهُ عوالمُ الأرضِ كما　　لاحَتْ له بها السمواتُ العلى
كم عِلمٍ أمواهُ مـدِّه طغتْ　　وعَلمٍ بركانُ نارهِ التظى

* * *

و (أزوعٌ)[1] تلقاه في رَيعانه　　رَيّانَ من ماءِ العفافِ والحيا
ما خاصرتْ يمينُـهُ خصراً ولا　　غازلَ في الغرامِ غزلانَ النقا
كلاّ ولا عانقَ جيدَ عاتقٍ　　يضفو على عاتقها بردُ الصبا
ألهاهُ حبُّ الوطنِ العزيزِ عن　　حبِّ كحيلِ الطرفِ أغيدِ الطُّلا
فظـلّ والحكمةُ مرمى طرفه　　ومُنتحى أفكاره إذا انتحى
والعلمُ قد ألقى لهُ جلبابَهُ　　فأتزر الفنونَ منه وارتدى
فأسودُ السطورِ فوق أبيضِ الطروسِ كالوَشي بأجيادِ الدُّمى
أشهى إليه من ضحى غرّته　　والليلِ من طرّتهِ إذا سجا
أدركَ من هـذا الزمانِ كُنهه　　والدهرُ لمّا يدرِ كُنهَ ذا الفتى
حرُّ الضميرِ ورقيقُ الطبعِ لا　　تحذر منه ملقاً ولا أذى
تمنطقَ الحزمُ على أعطافه　　واشتملَ الصدقَ عليه واحتبى
ليس بجيبُ داعيَ الغيِّ وإنْ　　أوحى له الرشادُ لبى بالوحا
يرنو بعين الانتقاد إن رأى　　صفواً[2] وإلاّ فبعيني الرضا

---

(١) بالرفع عطفا على دفتر　　(٢) عوجا وميلا

إنَّ الذي يُوضيه كلُّ ما يرى ... منكَ خليقٌ أنْ يُعدَّ في العدا
والخِلُّ من ينتقد الخلالَ كي ... يُثني عَلَى الحُسنى ويُنكر القَفا[1]
بل هو مرآةٌ يُريكَ نورها ... منعكساً عنكَ الذي لستَ ترى
متى رأى فضلاً أذاعَ وروى ... وإن رأى ميلاً أجنَّ وطوى
وإن قسا وَديدُه لانَ وإن ... يكدُرْ عليه راقَ وزداً وصفا
لم يُخشَ منه الطَّيشُ في شِرَّته ... والحِلمُ والإغضاءُ منه يُرتجى
تواضعٌ عن شَمَمٍ ورفعةٍ ... ورقةٌ من غير عجزٍ ووَنى
ألم ترَ الهواءَ في رقتهِ ... ولُطفه لديهِ شدَّةُ القُوى
يزاحم النجومَ في أفلاكها ... عُلىً وكم يمسي بصافحُ الثرى
حلوُ الاحاديثِ وربَّ كَلِمٍ ... داوى بنفث سحره كَلْمَ الحَشا
ظلَّ له اليراعُ صنهاجاً[2] لذا ... زفَّ اليه من إمائهِ الدُّوى[3]
يجري لدَى مولاه في كتابةٍ ... لو عُرضتْ عليه يوماً لأبى
إن تُليتْ للسمع كانتْ حِليةً ... وإن تلوتَ فهيَ حلوى في اللُّهى
رُبَّ صريرٍ قلم أربى عَلَى ... نغمةِ قانونٍ ووسواسِ حُلى
سيطتْ بنفسي نفسه فمن يرُم ... فصلاً تبدَّل الجنونَ بالحجى
ورُكبتْ تركيبَ كيميٍ فمَن ... حاول تحليلاً فقد ضلَّ الصُّوى
قد علقتْ بي وبه سوريَّةٌ ... من وطنٍ اختير أباً فما أبى

---

(١) القبيح من كل شيء (٢) عبداً عريقاً في العبودية (٣) جمع الداوة

ووضعتنا توأمين أغتذي ببركات أرضها كما أغتذى
كان فصالي وفصاله معاً بحجرها حيث حبوتُ وحبا
ثم ترعرعتُ قوى نفسي كما ترعرعتْ من نفسه تلك القوى
لم نختلف بمبتدا مسألة إلاّ وكان للوفاق المنتهى
لكن على المحيط من دائرة أنى تفارقا فبعدُ ملتقى
وقد تساوى الودُّ إذ تعادل الجذبُ والإنجذابُ فينا واستوى

* * *

قد أنجبته أسرةٌ لقد زكتْ أصولها وفرعها قد اعتلى
قومٌ لقد كانوا من البدء وما زالوا مثال العلم فينا والتقى
برحت «تونس»[1] فيهم «تونس» وفاح في «الفيحاء» لهم عرفُ الشذا
قد رُفعتْ هيا كلُ الفضل بهم ونُصبتْ لهم تماثيلُ الثنا
كم خضعتْ هامُ الورى لأمرهم حيثُ قضوا بما به اللهُ قضى
وكم سموا من المعالي منبراً لبس بسامي فتعالى من برى
سل العلى والمجد عن تاريخهم يقصهُ المجدُ عليك والعلى
مالي وما لعاذلي في حبهم فقد أضلَّ قومه وما هدى
أذكرُ من كمالهم فيثنني بشكرُ من يحسنُ منه المشتكى

(١) آل المغربي في طرابلس الشام أصلهم من أسرة ما زالت الى اليوم مشهورة
[في] تونس، و«الفيحاء» لقب طرابلس الشام

ذاك شأني مع شانيهم إذا ... أربته البدر برِبني السهى

هيهات ما تساووا وإن حكت ... صرح القوار برِ فواقع الحجا [1]

واختاره (القادر) من خيارهم ... (عبداً) فكان مصطفى ممن (مصطفى)

لاح له المجد طريفاً تالداً ... فضمَّ قطريه عليه وكفى

جرى على آثارهم محتذياً ... مثلهم فاعتز من حيث اعتزى

ثم تنصَّى السروات فتلا ... تلو أبيه (المصطفى) بما انتصى [2]

إن قلت آل (علم الدين) يقل ... عرف معروفاً لدينا فلفا

وإن ضممت عالم الدين لهم ... يقال: قد راعى النظير إذ حكى

قد جمع الله الشيبتين لهم ... صلابة الدين ونعمة الغنى

شيوخهم بهمة الفتيان إذ ... فتيانهم تحكي الشيوخ في الأنا [3]

يلمع نور البشر في وجوههم ... ما لمعت في جوهم نار القرى

أحجِ [4] بأن ينجل منجباً فتى ... من غمد خير ناجلين منتضى

فمنزع الآباء خير منزع ... ومقتفى الأنضاد [5] خير مقتفى

هل يسكن الغيل سوى الليث وهل ... تصلح من غير الوشيجة القنا

* * *

يا حسن شملٍ جمعت أطرافه ... ليلتنا الغراء في هذا الثبى [6]

---

(١) نفاخات الماء (٢) أي انتقى: يعني انه اختار أن يتزوج من أسرة «علم الدين» في طرابلس الشام التي تزوج منها والده «مصطفى» (٣) جمع أناة (٤) اي ما أجدره بأن ينجب (٥) الاعمام والاخوال المتقدمون في الشرف (٦) المجلس يحوي أكابر الاشراف

ثُبىً قد أنتحاهُ أهلُ الفضلِ ما بين ثُباتٍ وفُرادى وثُنا
يحتفلونَ في زفافهِ ولاَ بِدْعَ إذا النّدُّ الى النّدّ أنضوى
قد أحتسَوْا من السرور راحةً ما ضلَّ من يتاحُها ولا غوى
يشعرُ منها في مجاري نفسهِ كأنّ مجرى الكهرباء قد جرى
لا لغو في شرابها يُخشى ولا غَولَ فيغتالُ الجسومَ والنُّهى
تنازعوها حيثُ لا تنازُعٌ صِرفاً بأفواهِ النفوسِ تُحتَسى
دارَتْ بلا ساقٍ لها وحُسِيَتْ من غيرِ ما كأسٍ فما هاتا الطِّلا

***

يا أيُّهذا الوطنُ الذي زَها ساكنُهُ بذا القِرانِ واحتفى
يهنيكَ أنَّ نابغي بنيكَ قدْ أمرعَ واديهِمْ وغرسُهم نما
دينٌ تقاضيتَ به الدهرَ فيا بُشرى لقدْ أنشأ يقضي أو قضا
ما السُّؤددُ(١) الاّ برجالهِ فإنْ سادُوا وإلاّ ساءَ حالاً وكَصا(٢)
لنْ تسودَ أمّةٌ إلاّ إذا كان لها العلمُ غذاءً ورَوا(٣)
فإن رأتْ عيناكَ شعباً عاكفاً على الفنونِ بشّرنهُ بالمنى
وإنْ عثرتَ بشعوبٍ نكبَتْ عنهُ فبالرقِّ والاّ فالمنا(٤)
منْ يتوقلْ(٥) وهو يعنو(٦) للعنا تعنو له الراحةُ في أعلى الذرى

---

(١) الوطن (٢) خس بعد رفعة (٣) الماء الكثير المروي (٤) أي الموت
(٥) يصعد (٦) يخضع للتعب متحملاً له

مَنْ طَلَبَ الغايةَ في المَبدإِ لا … يؤُوبُ إلاَّ بالقُنُوطِ والشقا
ومَنْ يَسِرِ سَيْراً طبيعيّاً لها … يبلُغُ بالتوفيقِ مِنها المُنتهى

***

هذا أصل المقصورة الرشيدية ثم أخذ كلما هتف به هاتف الشعر يزيد عليها، فمن ذلك ما يلي:

كَمْ ليلةٍ أبيتها مفكِّراً … يَنِي ليَ السهدُ ويَخلفُ الكَرى
أطوي جناحيَّ على جمرِ اللظى … أرضكُ عينيَّ على الماء الرّوى
خلتهما رَكيّتين كلما … نزحتُ هذا الماء فاضَ وطغى
وكلَّ جفنٍ ماتحاً فكلّما … أهوى بشبهِ الغُمضِ يملأُ الدِلا
تلكَ ليالٍ خنتُ عهد الصبر في … حِندِسِها وكنتُ أوفى من وفى
إذْ خانني العزمُ الذي بلوتُهُ … في مُبهمِ الخطبِ فما قطُّ نبا
لو أنما أبكي لمحبوبٍ جفا … أومالٍ أغتيلَ وذي قُربى قضى
وأعوزَ الصبرُ فقيلَ جازعٌ … أشبهَ ربّاتِ الحجالِ في البكا
لراعني القولُ بصدقِهِ وقد … يَقصدُ من يصدُقُ إن قيلَ رمى
لكنما أبكي لمجدِ أمّةٍ … ثُلّتْ عُرُوشه وحُلّتِ العُرى
ووَطَنٍ ذلَّ فعادَ حوضه … (مدعثر الأعضاد مهدومَ الحبى)
ومِلّةٍ حكيمةٍ رحيمةٍ … قد تُركتْ للجهل كالشيء اللقا

وَقالَ فيها الآخَرُون إنها ملةٌ هذا الانحطاط والشقا
فكيفَ كانت علة السعادةِ التي مضتْ لنا وذاكَ الارتقا
بها أصبنا الملكَ والحكمةَ والـ علمَ بهاءً فما عدا ممـا بدا
ألم نوحد أمماً تفرّقت واختلفتْ في الاعتقادِ واللغى
فكيفَ عدتمُ وأنتم إخوةٌ لمّا تركتم هديها من العدى
أما بدتْ في أمةٍ أميةٍ فجعلتهمو أئمـةَ الورَى
في كلّ علمٍ للعقول يقتنى وعملٍ في الكائنات يقتنى
فكيفَ عدتمُ بتركِ هديها أجهل من دبّ عليها ومشى
ألمْ يكنْ أسلافكمْ بعدلها قدْ فتحوا الأمصارَ قبلُ والقرى
وعمرُوها فغدتْ بفضلهم تفضلُ في الوجود كلّ ما عدا
زراعةً صناعةً تجارةً علماً وحكمةً وعدلاً وعلا
فلمْ أضعتم جلّ ما تأثلوا وأصبح الباقي لكم على شفـا
شريعةُ القرآنِ دانٍ وِرْدُها الـ ـعذبُ وتهلكون من فرط الصدَى
فإن أباها الحاكمون عن عمى وصدَّ عنها الجامدُون عن هوى
فربما أيدها على هدى كلّ صحيح الفكر من أولي النهى
وإن يكنْ قد عقها أبناؤهـا وبرَّها من يحسبُون في العدا

* * *

إلى أن يقول :

فكيفَ حالُ وطنٍ أبناؤُهُ ... ما فتئوا أعقّ من ضبّ الكُدَى

قد عضدَ العاضدُ منهم دوحه ... وخضدَ الشوكةَ والعودَ التحي

وغادرَ الارضَ به موظوبة (١) ... وغمرةَ الفراتِ ضحضاحاً جوى

وُلّيَ أمرهُ إمامٌ جائرٌ ... قد أستبدّ بالأمور واعتدى

إذا أستخفّ قومهُ فأصبحوا ... أطوعَ من ظلّ الحذاء يحتذى

يليه في الظلم ولاةٌ أبصروا ... بُرُوقهُ تُرجى لريّ وحيا

وسمعوا رُعودها تنذرُ من ... خالف أمرهُ صواعق الرّدى

فآثروا ما عنده حتى على الـ ... أوطانِ والرّحمنِ جلّ وعلا

وجعلوا مالَ العباد دولة ... فدالت الدّولة منهم للعدى

من نالَ منهم حاجةً لكرشه ... وفرشه قال: على الدُنيا العفا

يُريكَ عزّةَ الأمين فإذا ... لاحَ لهُ المالُ أستكان وضغا (٢)

والوطن الذي أمتروا أخلافهُ ... أوشكَ أن يقضي ورُبما قضى

وكيفَ لا يسحتهُ اللهُ وهم ... لُلسحت أكّالون فيه والرّشا

قد بشمت بطونهم فأصبحوا ... يشكون سوءَ الهضم منها والطسى (٣)

ومشبعوها يشتكون سغبا ... قد أكلوا العلهزَ (٤) من طُول الطّوى

---

(١) وُظِبتْ الروضة : أُلحّ عليها في الرعي . (٢) استخذى وتذأل .
(٣) التخمة من فرط أكل الدسم (٤) طعام من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة

فأصبحوا في شظفٍ وضففٍ(١) وجففٍ(٢) وحففٍ(٣) قد اجتوى
وعالمٌ مبتدعٌ منافقٌ لقد أضلّ قومه وما هدى
لا يأمر الحكام بالعرف ولا ينهى عن المنكر فيهم فشا
وليس يوصي الناس بالحق ولا الصبر سوى على المكوس والأذى
ومرشدٌ غير رشيدٍ دأبه عزو الخرافات لأرباب الولا
والرجمُ بالغيوب مستنداً إلى أضغاث أحلامٍ ومكذوب رؤى
والرقص والغناء في الذكر الذي قد تخذوه هزواً لمن هذى
أولئكم سادتنا الذين قد أضلوا للسبيل كلّ من قفا
والأمة التي استذلوا بئست من نفسها فهي تردّى في الردى
لولا صياحُ منذرٍ أهاب أن هبي وعن عينيك فامسحي الكرى
قد طلع الصبحُ فقومي وانظري ما فعل المستيقظون في الورى
قد ركبوا البخار والبرق إلى ما ينتحون ثم طاروا في الهوا
وأنت بعد الخيل والجمال والشـ ـراع قد صرتِ الى مشي الحفا
تذكري في أي أوجٍ كنت منـ ـه وانتِ الآن في أي الهوى
فتلك عقبى طاعة البغاة في معصية الله وتقليد العمى
والجهل والإعراض عن هداية الـ ـقرآن والكفر بنعمة الحجى
لا تيأسي لشدة الضغط فقد يحدث الانفجار تجميع القوى

(١) قلة المال وكثرة العيال (٢) الذهاب بالمال (٣) العوز وسوء العيش

وإنما تلكَ قواكِ جهلتْ فعطّلتْ دهراً فكانتْ كالهبا
وصاحَ بالملوكِ والسادةِ أنْ حسبكُمُ من الشقاقِ ما مضى
قدْ كادَ أن يحاطَ يا قوم بكُمْ ويُسرع الزوالُ فيكم والفنا
فبادِروا للاتحاد بينكم ورأبِ شعبِ الشعب من غير ونى
لا يرتقي الشعبُ بلا علم ولا حياةَ للعلوم إلاّ باللغى
والشعبُ إما يجتمعْ ويتحدْ يخلعُ من يظلمهُ خلعَ الحذا
أليسَ باجتماعِ ذرّاتِ الهبا كُوِّنتْ الأرضُ وكانت السما
أأنتم أشدُّ خلقاً وبِنى أم السماءُ اللهُ سوّى وبنى
فقوّةُ الشعبِ له ذاتيةٌ وقوّةُ الظالمِ منهُ تقتني
فالجندُ من أبنائهِ والمالُ من أفرادهِ : يعرقُهم عرقَ المُدى

* * *

ذاكَ جمالُ الدين فيلسوفنا وتِلكُمُ دعوتهُ التي دعا
والنجمُ يهتدي به إذا هوى ما ضلَّ في دعوتهِ وما غوى
فإنْ يكنْ ذكّ للاستبداد في فارسَ طوداً كان شامخَ الذرى
فإنّ رُكنَ الظلمِ في التركِ أبى حكمتهُ وسعيهُ الذي سعى
ومن أبى الكتابَ والميزانَ لا بقدعهُ الا الحديدُ ينتهى (١)
أوْ تجعلُ النارُ له قذائفاً تقوّضُ الصروحَ من أعلى الذرى

---

(١) امشي السكين رقبها

أَنفذُ أَهلِ عصرِهِ بصيرةً ... وَغير أَهلِ عصرِهِ ممنْ مضى
إلاَّ من اُختارَ العليمُ واُصطفى ... فيما لهُ اختارَ الحكيمُ واُصطفى
يخترقُ الحجبَ شعاعُ رأيهِ ... وَيشهدُ الغيوبَ كلَّما رَنا
كأنما الغيبُ لديهِ حاضرٌ ... إذا ارتأى كان كأَنَّه رأى
أَلمْ ينبئْ بأهمِّ ما جرى ... في فارسٍ ومصرَ قبلَ أنْ جرى
أَصدقُ من زمانهِ عزيمةً ... وعزمهُ أَمضى نضالاً وظُبَى
إنْ فلَّ صارمُ الزمانِ أَوْ نبا ... ما فُلَّ عضبُ عزمه ولا نَبَا
وإنْ خبا زندٌ له مقتدِحاً ... أَورى زنادُ رأيهِ وَما خبا
وإنْ خوتْ نجومهُ في نوئها ... جاءكَ نوءُهُ بريّ وحيا
عنهُ سلوا مصرَ وذلك الرّجا ... تُنبئكمُ الآثارُ ثَمَّ والصوى
بلْ ثَمَّ من ينبئكم بما رأى ... بعينهِ وما رَوَاهُ فوعى
إذْ جاءها الحكيمُ وهي دنفٌ ... أَعضلَ داؤُها وأَعوزَ الدّوا
بعدُ خيرَ من تولّى أَمرَها ... من أَصلحَ التربةَ وَالماءَ الرّوى
وأَفسدَ الأنفسَ فهي عندهُ ... بهمٌ تساسُ بلْ تساقُ بالعصا
أَرهقها منْ أَمرِها العسرَ بما ... أَفسدَ من رُوحِ الإباءِ والتُّقى
قد أَبسلَ الظلمُ والاستبدادُ منْ ... ساكنها كلّ مضيم مزدرى
لا عالمَ الشرقِ بدينهِ ولا ... مقتبس العلمِ من الغربِ هدى
فذا أَجيرٌ للامير علمهُ ... لهُ ومنهُ وإليهِ يبتغي

وذاكَ غافلٌ ومغرورٌ بما ... يحذقهُ من المراء واللَّخى[1]
فليسَ فيهمْ كاتبٌ مؤثرٌ ... بُدْني يراعهُ اليكَ ما نأى
ولاَ خطيبٌ فيهمُ مفوهٌ ... يختلبُ القلبَ ويبعثُ الأسى
ولاَ سياسيٌ يرُوضُ الصعبَ منْ ... مشاكلِ السَّاوِ[2] ويأسو إن سأى[3]
ولاَ حكيمٌ يحملُ الفرقانَ في ... غياهبِ الخطبِ إذا الخطبُ قسا
فتلكُمُ مصرٌ وذا كم داؤُها ... إذْ جاءها الآسي فطبَّ وأسى
وأشرعَ الطريقَ للإصلاحِ من ... علمٍ وحكمٍ ولسانٍ وحجا
بما أفاضَ منْ هوامي حكمةٍ ... قدْ زانها فصلُ الخطابِ ونثا[4]
في خُطَبٍ يحيي القلوبَ صدعها ... وتكشفُ الخطبَ وتبعثُ الرَّجا
وَفي دُرُوسٍ كُتُبٍ أحيا بها ... من دارسِ العلُومِ ما كان عفا
وَفي أمالِيَّ بها أنشأَ منْ ... معالِمِ الإنشاء ما كان امحى

***

إلى أن يقول :

ثُمَّتَ بالإصلاحِ قام بعدَه ... مريدُهُ الوارثُ كلَّ ما حوَى
منْ حكمةٍ تكشفُ أحلاكَ الدُّجى ... وغيرةٍ تأكَّلتْ فيها الجُذى
وهمةٍ إنْ جُردَتْ لحادثٍ ... تبيح أسرارَ تصاريفِ القضا

---

(١) كثرة الكلام في الباطل (٢) الوطن (٣) ساء الثوب مده فانشق
(٤) نثا الخبر حدَّث به وأشاعه

إذ تحدّت الحسامَ المُنتضى ... أعيا مضاؤها الحسامَ المُنتضى
وَصدق إخلاصٍ غدا يفيضُ من ... جوانبِ القلبِ فيملأُ الحشا
من كان منه المقولُ الذي حكى ... والقلمُ الذي بعلمه جرى
تآزرا لينقذا الأمة من ... فرعونها الذي أستبدّ وعلا
تآخيا لينقذا الإسلامَ من ... دجالهِ الذي يدعه غلا
قد وَرِثا موسى وهارونَ بما ... تآخيا والمُصطفى والمُرتضى
وأعتصما (بالعروةِ الوثقى) فذا ... حرّرَ ما أملاهُ ذاكَ أوهدى
وهل يتيحُ اللهُ مثل (عبدِه) ... (محمدٍ) لها إماماً مقتدى
وأقتسما الإصلاحَ شطرَين فذا ... آثر اصلاحَ العلومِ والحصا[1]
وذاكَ للسياسةِ التي قضى ... بها وَاما وطراً بما قضى
كادَتْ وما كادَ لها السيّد بل ... أعرضَ عن مكرِ الجهولِ ونأى
لاَ تستجيبُ الحيةُ الرقطاءُ لِـ ... حكمةِ لكنْ لأخاديعِ الرُّقى
وليتها ودّعت الشيخَ كما ... ودّعها إذ عادَ منها وقلا
ثمّت وَلّى المصلحونَ شطرهُ ... ينجو به من كلّ فجٍّ ورجا
ما وردُوا حياضه وَصدرُوا ... إلاّ يفيضونَ علوماً وهدى
فأحيوا الإسلامَ في النفسِ ومن ... واصلهم بهجرهِ صرفُ الردى
فعادَ أهلاً الى موطنهِ ... من غربةٍ طال بها عهدُ النوى

---

(١) جمع الحصاة : العقل

وأستتبعت غربته المجد كما ... كان فعاد الامر مثلما بدا
ما تم للإمام ما أراد من ... خطتي الاصلاح هدما وبنا
ولم يفته كل ما شاء فقد ... خرج من يتمه كل ما بنى
إذ أستجاب الله ما به دعا ... وزال ما حاذره بما رجا
وعلم الأزهر كيف يفقه ... الدين ويطلب العلوم واللغى
من غير بحث في مقال من خلوا ... يكثر فيها الاحتمال والمرا
علمه التوحيد كي يفقهه ... بعقله لا بعقول من مضى
علمه التفسير كيما يهتدي ... به على علم صحيح يقتفى
وعلم (أسرار البلاغة) التي ... (دلائل الإعجاز) منها تبتغى
علمه (بصائر المنطق) كي ... يقيم ميزان العلوم للحجى
وهل وراء الدين واللسان والـ ... ـعقل إذا أصلحتهن منتهى
فإن يك الأزهر لم يصلح بها ... فقد نأى عن سبل من كان مأى[1]
ونبتت من غرسه نابتة ... ستلأم الصدع وترأب الثأى
وترفع الحجر عن المعهد أو ... يعود جحر الضب رحبا كالفضا
حتى ينال وهو قد أشفى الشفا ... من مرض بات به على شفا

* * *

لا تعجبنك كثرة جاهلة ... فربما كان حصاها كالحصى

(١) مأى في الامر بالغ وتعمق

كم فئةٍ قليلةٍ قد غَلَبَتْ	كثيرةً بالاتحادِ والنُّهى
وإنما العِزَّةُ للكاثرِ إن	توَحَّدَ الكثيرُ قصداً واتَّقى
وليس تقوى الله أن تتركَ ما	تعجز عنه من فُجور وخَنا
وإنما التقوى اجتنابُ كلِّ ما	يرْدِي واخذُ ما استطعتَ من قوى
والمالُ عدَّةٌ لكلِّ قوَّةٍ	تُنْقَضُ أنكاثاً بفقدكِ القوى
فاكتسبِ المالَ وكنْ رباً له	ولا تكنْ عبداً وإن قيلَ فتى
مُعَبِّدُ المالِ كريمٌ يرتجى	وعابدُ المالِ لئيمٌ يُجتوى
فانشرْ به العلمَ المفيدَ للوَرَى	واجعله للأمةِ ذُخراً يُجتَدى
فثمَّ سوقٌ للفعالِ والندى	فيها الثناءُ والثوابُ يقتنى
كرائمٌ ما صدَّ عن وِصالها	زُهدٌ ولا توكلٌ ولا تقى
فالكسبُ والإنفاقُ للدينِ	وللزُّهدِ والاتكالُ للقلب حُلِى
والزُّهدُ أنْ لا تعبُدَ المالَ وأن	تُنفِقَ مما نلتَ في نفع الوَرَى
كم مملقٍ وهو حريصٌ طامعٌ	ورُبَّ زهدٍ كانَ عن ظهرِ غنى
وكمْ فقيرٍ تائبٍ أو مهتدٍ	عَلَى يدِ الافلاس تابَ واهتدَى
وَهو إذا أصابَ فضلَ ثروةٍ	سارَعَ في الإثم وضلَّ وغوَى
وَرُبَّ ذي وفرٍ تراهُ تائباً	مرتدياً بُرْدَيْ عفافٍ وهُدَى
قـدْ جمعَ اللهُ الشيئين له	صلابةَ الدين ونعمةَ الغنى
وهوَ إذا شاء بفضل مالهِ	أزَلَّ رَبَّاتِ الخدورِ واصطبى

والاتكالُ أن ترى من خلل الـ　　أسبابِ من قدَّرها ثم هدى

فإن تقطَّعْ دونَ أمرٍ لا ترى　　سواهُ من يُدعى له ويُرتجى

ولا ترى الأوهامَ أسباباً كمن　　يلجأُ للطلسم منها والرُّقى

ومن يجيءُ للقبرِ أو يستنبيء الطيرَ وخطَّ الرملِ أو ضربَ الحصى

فالناقةَ اعقلْ وتوكَّلْ واستشرْ　　فإن عزمتَ امضِ من غير ونى

فإن توكلتَ بلا عقلٍ ولا　　عزمٍ فقد ضللتَ هديَ المصطفى



مناجاة أخ لأخيه

أو السيد رشيد رضا في مفاضله

لا يختلف اثنان في أن السيد رشيد رضا هو من أعاظم رجال الاسلام في كل دور سواء نسب إلى عصره أو إلى الاعصر التي تقدمته وإن الآثار التي تركها ستجعله حياً في نفوس الانسال القادمة ، حجة عند مسلمي الادوار المستقبلة لا يزيده تعاقب الملوين إلا شهرة ومكانة وجلالة قدر . وانه سيأتي وقت يبحث الناس فيه عن الشاردة والفاردة من كلماته ويدقق أهل العلم في الحرف والحركة من اقواله . ولقد عهدنا كثيراً من الاعاظم شرقاً وغرباً تكون لهم الكتابات الكثيرة الاثيرة عند أصحابهم والدرر النفائس في خزائن من لهم صلة بهم فما داموا في الحياة لا يباليها الناس ولا يحرصون عليها معشار ما يحرصون عليها بعد انصراف هؤلاء الاعلام من هذه الدنيا وبعد ازدياد الولوع بآثارهم بعدهم لان العادة هي أن تزداد آثارهم قيمة ونفاسة كلما مر الزمن عليها.

وأي فتى لا يرغب اليوم في أن تكون عنده مكتوبات من السيد جمال الدين الافغاني أو من الشيخ محمد عبده مثلا ولو بذل في اقتنائها ذهباً مع انه لم يمض على وفاة الاول أكثر من اربعين سنة وعلى وفاة الثاني أكثر من اثنتين وثلاثين سنة . ولقد حرص السيد رشيد على جمع الكتب الخصوصية التي بقيت من آثار الاستاذ الامام فبعثت اليه من الجملة بضعة عشر كتاباً صادرة منه إليَّ وذلك لينشرها في الجزء الرابع

الذي كان ينوي اخراجه في تاريخ الاستاذ الامام . ولو كان غير السيد رشيد هو الذي اقترح ارسالها ما سمحت له منها بسطر واحد من شدة ضني بها .

ولقد وقعت بيني وبين السيد المترجم مراسلات في أيام الشباب تبعثرت فيما تبعثر من أوراقي بسبب كثرة اسفاري وانما حفظت من مراسلاته ما كتبه إليّ بعد أن أقمت في اوروبا وكانت مدة هذه المراسلة من سنة ١٩٢١ التي اجتمعنا فيها بالمؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف الى سنة ١٩٣٥ التي لقي فيها ربه . فحفظتها كلها في ظرف خاص كما هي عادتي في حفظ أكثر ما يرد عليّ من الرسائل التي لها قيمة . ولما عزمت نشر هذا الكتاب أحصيت مكتوبات السيد رشيد اليّ فزادت على مائتي مكتوب كلها بخط يده رحمه الله . وقلّ أن وجد فيها مكتوب ذو صفحة واحدة بل اكثرها ذو صفحتين وثلاث . ومنها ما يتجاوز عشر صفحات .

وهذه المكتوبات الرشيدية هي بحسب نظري أحسن ما كتب السيد رشيد في حياته وان كان كلام السيد كالغيث لا يدري أأوله خير أم آخره .

إن مزية هذه المكتوبات هي أنها نجيّ أخ مع أخيه الذي يثق به ثقته بنفسه فلا يجمجم عنه شيئاً مما في ذات صدره ولا يكتم شيئاً من عجره وبجره . بل ترى السيد رشيد فيها متبذلاً تبذّل من يقول ولا يخشى انتقاداً لا في المعنى ولا في المبنى ، فلهذا ترى فيها نفسه كما هي صافية بلا رسوم ولا تكاليف ولا تحوطات كالتي اعتاد الناس ان يستعملوها في كتاباتهم الى من لا يركنون اليهم . وهكذا ظهرت لمن يقرأ هذه النجاوى

نفاسة تلك النفس العالية التي تساوى فيها السر والعلانية في الاستقامة والصدق والورع والطهر وكرم الاخلاق وحفظ الذمام والمروءة وعلو الهمة. فالشيخ رشيد مع أقرب الناس اليه وأخاصهم له وعندما يكون غير منتظر نشر شيء من كلامه الخصوصي هذا هو الشيخ رشيد بعينه في المنار وفي مقالاته الى الجرائد وفي خطبه على الجماهير لا يختلف باطنه عن ظاهره في شيء وان كان ثمة اختلاف فيكون في الاسلوب الذي من البديهي ان يكون في المراسلات الاخوانية غيره في الرسائل العمومية .

وكما كانت أخلاق الشيخ رشيد العالية هي هي في النجوى كما في العلن كانت بلاغته وقوته البيانية هي هي أيضاً فيها ، فلا تجد إنشاءه في هذه الكتب الخاصة ينزل درجة واحدة عن انشائه في المنار وفي كتبه العامة لان ملكة الفصاحة لا تفارق قلمه في عام ولا خاص ، ولا بد للبحر أن يقذف الدر كيفما تحرك . بل بروز السيد رشيد في مفاضله بلا تكلف ولا توقع نشر جعل كلامه أوقع في النفس وأبعد مدى في التأثير ولذلك قلت ان هذه الرسائل الخاصة هي من أعلى ما جرى به قلم السيد رشيد في حياته كما يتضح لكل ذي بصر بصناعة الكتابة .

ومن مزايا هذه المراسلات انها اشتملت على آراء السيد في جميع حوادث العالم الاسلامي والمسائل والنوازل التي أهمت المسلمين في هذه الحقبة الاخيرة الممتدة من نهاية الحرب العامة الى يوم وفاة السيد . فما من خطب ولا يابس ولا رطب الا في هذه المكتوبات اشارة اليه وبيان رأي المترجم فيه .

وفي هذه المراسلات مباحث شرعية ولغوية واجتماعية وتاريخية وسياسية

ومطارحات ومناقشات من كل نوع ومن كل لون وأخذ ورد معي في كثير من الشؤون التي تباينت فيها وجهة نظري عن وجهة نظره . وهو فيها كلها لا يدعي لنفسه العصمة ولا يستنكف ان يعترف بالحق اذا حصحص وان كان — وهو مخطئٌ أو مصيب وغالب او مغلوبٌ — هو في جلال قدره وفي روح الاستاذية التي كأنها ولدت معه .

كنت فكرت أن أنشر هذه المكتوبات بالزنكوغرافيا حتى لا يستطيع أحد ان يتمارى في صحتها ولكن عاقني عن ذلك عدة موانع :

اولاً — ان الاستاذ مع حسن خطه اضطر في كثير منها الى العجلة بما كان عنده من الاشغال التي لا تحصى فلم يجيء خطه الذي استعجل فيه كسائره وقد يتعذَّر احياناً قراءة هذا القسم بسهولة .

ثانياً — ان الاستاذ في مناجاته هذه لاخيه هذا وبثه اليه قرارة نفسه قد يسبق قلمه الى كلمة ربما لم يكن يقدم عليها لو علم انها ستنشر في يوم من الايام او الى جملة كان يفضل ان يطويها لو توقع ان من تعلقت بهم سيطلعون عليها . فنشر كتابات كهذه بالزنكوغرافيا لا يكون موافقاً في حال اضطرارنا الى طي كثير من هذه الجمل ورفع كثير من هذه الكلمات التي بوزت بسائق التبذل .

ثالثاً — عدا ان الاستاذ لم يكن يظن ان مكتوباته هذه ستنشر على الملأ كما قلنا وعدا أنها مرسلة من روحه الى روحي رأساً على أن لا تتجاوز هاتين الروحين لا تخلو من التصريح بأسماء وبأفعال وبحقائق لو علم ان المكاتيب ستطبع ويطلع القراء عليها لاشار حتماً بطيها على غرّها وربما لم يكن تعرّض الى الموضوع من أصله . فلذلك لا نعد مخلا بامانة

النقل حذف هذه الاسماء التي إثباتها قد يؤدي الى مراء أوعتاب والاعتياض منها في بعض المواضع التي لا مندوحة عن ذكرها بوضع نقطة او بلفظة «فلان» أو بتلميح يغني عن التصريح · فمن أجل هذا لم يكن ممكناً نشر هذه الرسائل بالزنكوغرافيا وكان طبعها بالحروف المنضدة هو الاولى· على أن الاصول باقية كلها عندنا بعينها حتى إذا حاول محاول أن يتمارى في شيء منها أبرزنا له الاصل ·

رابعاً — إن نشر بعض المباحث السياسية والاسرار المتعلقة بمسائل لاتزال معلقة قد يكون له محاذير لا تخفى على العاقل وربما أضر نشرها أضعاف ما نفع فكان لا مناص من طي هذا القسم أيضاً ·

والخلاصة إننا تجرأنا على السيد الامام بطي كثير من كلامه إما لمحذور سياسي وإما لمحذور اجتماعي او لاجتناب مراء أو لتفادي عتاب ومنه ما ضربنا عنه صفحاً لعدم فائدة نشره · ولكننا لم نجرأ أن نزيد حرفاً واحداً من عندنا على كلامه ولو كان في معناه إذ أن ذاك يكون مخالفاً لامانة النقل وتبديلاً ليس لنا فيه أدنى حق ويكون مما ينطبق عليه قوله تعالى : « فإنما إثمه على الذين يبدلونه » والله تعالى يتولانا بعفوه ويهدينا طريق الصواب بكرمه ·

* * *

فمن هذه الكتب كتاب مؤرخ في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ ﻫ وفق ٢٠ يناير سنة ١٩٢٢ م يخبرني فيه بوصول مذكراتي عما جرى في سورية أيام الحرب وهي التي اقترح هو نشرها في المنار نفياً لما كان الحساد يذيعونه بحقي من أني وافقت جمال باشا على أعماله في سورية· وها نحن أولاء ننشر الكتاب بنصه ولا نحذف منه إلا ما تعلق بالشؤون الخاصة وما ليس في نشره فائدة للقراء واليك الكتاب :

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم

اليوم وصل كتابك المؤرخ في ٤ يناير ومعه آخر رسالة من ذكريات الحرب ووصل منذ أيام قليلة « اسبوع » ما أرسل قبله وأما الكتاب الاول المؤرخ في ٩ دسمبر فقد وصل هو والبطاقة التي أرسلت بعده مؤرخة في ١٣ دسمبر والبطاقة التي أرسلت بعدها غير مؤرخة في يوم واحد مع كل رسالة من الموضوع أو طائفة من الرسالة وما أظن ان علة التأخير محصورة في البريد المصري . وقد تلا وصول الثلاث بل وافقها ما كان هنا من الاضطراب السياسي وانقطاع المواصلات بيني وبين البلد لاختلال الامن في الطرق والشوارع وامتناع الترام من السير في جميع الخطوط لئلا يكون سبباً لتسهيل المظاهرات وكان هذا دأب القوم عند كل مظاهرة منذ العام الماضي بإيعاز خفي . وفي هذه المرة كان امتناعه (يعني الترام) بامر صريح من السلطة العسكرية ولعلهم يعوضونه عما خسره من مال مصر إذ صرحوا بأن جميع النفقات العسكرية وغيرها تكون من مال مصر .

أخرت الكتاب اليك أولا انتظاراً لفرصة أقرأ فيها الرسالة الطويلة وأذكر لك رأيي فيها . ولما جاء الكتاب الثاني كنت قد أشرفت على اتمامها مع اختصار قليل فيها لا ينقص من المعاني شيئاً وأكتفي الان بان أقول: إن الرسالة على طولها قد كتبت باسلوب الاطناب حتى إنه قلما يوضع فيها ضمير موضع مظهر . وفيها تكرار للجزئيات وللرد على الخصوم وما يتعلق به كذكر حياة كل شخص من الاشخاص الذين يستشهد بهم وهذا النوع من الدفاع أو الجدل يذكر خالي الذهن بأن الكلام عرضة للارتياب ويكفي الاشارة الى ذلك مرة واحدة تذكر المكابر بانه لا يستطيع ان

يماري في هذه الوقائع مراءً ظاهراً — فاختصاري القليل للرسالة خاص بما ذكرت في هذه الاسطر ·انتهى·[1]

هذا ولما زارني في المانية كما تقدم الكلام عليه وأقام عندي أياماً في برلين ثم أراد السفر عائداً الى مصر جئت معه الى مونيخ · وكان رحمه الله قد اشترى البسة كثيرة من برلين ومونيخ : لان الاسعار كانت وقتئذ في غاية الرخص فقال لي انه اشترى ببضعة عشر جنيهات ما لو اشتراه في مصر لكلفه دفع خمسين جنيهاً بالاقل ولكن إخراج الالبسة والامتعة الى الخارج عن المانية محظور جداً فكنت أخشي ان الالمان عند الحدود يبحثون في حقائب الاستاذ ويتركون له الضروري من الثياب ويردون الباقي الى المانية ·وفارقنا من مونيخ ونحن في شغل بال عليه فلما وصل الى تريسته كتب إليَّ بما يأتي :

من تريسته — ١٢ اكتوبر سنة ١٩٢١

صديقي الوفي وأميري الحفي

أحمد اليك الله عزّ وجل وأبشرك بأنه حاطني بعنايته وحفني بلطفه في حال انفرادي دون الاخوان والاعوان وانقطاعي بالسفر في ممالك أجهل لها كل لسان لتوكلي عليه وحده وتجريدي التوحيد له وقد كان أمر النظر في ما أحمل من المتاع في آخر الحدود الجرمانية اهون الامور · سئلت عما

---

(١) أقول قد يكون الاستاذ على حق فيما يقول من جهة التكرار وكثرة الاستشهاد ولكن الذي بلوناه من مكابرات الاعداء في هذه المسألة دعانا إلى ذكر كل حادثة بشواهدها وأحيانا كنا نشفع الشهادة بترجمة صاحبها حتى لا يبقى مجال للمكابرة.

في صناديقي ففهمت بالقرينة فأشرت الى الصندوق والسفط اللذين وضعت فيها الثياب واستطعت أن أفهمهم ان ما فيها للعيال وهو جديد وفتحتها فأخذوا مني ٢٤ ماركاً فقط وأفهمتهم أن ما في سائر الصناديق خاص بي فلم يطلبوا فتح شيء منها لانهم علموا انني صادق .

وبعد حمد الله تعالى عوداً على بدء أحمد لك أيها الصديق عنايتك بأخيك وما أرهقت من العسر وتكلفت من ترك العادة في سبيله وما ألقيت على أصدقائك من أثقاله على انني أرجو أن يكون لك في ذلك فائدة أو فوائد وليس لي فيها فضل واني ما كلفتك ترك نوم الضحى وغشيان الاسواق لاجل أن تستفيد اختباراً يعقب اقتصاداً بل لاستفيد من معرفتك للبلاد ولغتها ما لا بد لي منه كما أستفيد من خبرك وأدبك ما لا غنى لي عنه ، ولولاك لما دخلت بلاد الجرمان ولو وقف الامر عند هذا الحد لهان . أنى وإن من ذيوله المادية مسألة الآلة الثلجية وآلة الطباعة ومعصرة الزيت ومن ذيوله الادبية المبادرة بترجمة احتلال اجدادنا العرب لسويسرة وارسالها وغير ذلك مما لا يتسع هذا الوقت الضيق لشرحه فان الباخرة تسافر بعد الظهر بساعة واحدة ولا بد لي من جولة في البلد فأرجو أن تبلغ جميع الاخوان تحيتي وشكري والسلام عليك وعليهم اجمعين .

أخوك رشيد

حاشية غير أزهرية — أخص الدكتور صاحب الايادي البيضاء بالشكر والثناء . اه .

قلت : وهنا لا بد لي من تفسير بعض ما ورد في هذه الرساله فان

السيد أوصى في برلين على آلة للطباعة ومعصرة للزيت ليوسلها الى بلده القاهون حيث أكثر ملكه من شجر الزيتون وكذلك أوصى على آلة لصنع الجمد وقد كان رحمه الله مغرماً بالماء البارد يشربه في ساعة معلومة بعد الظهر ٠ كما يشرب الناس الشاي وتجد ابريق الزجاج أمامه مملوءاً بقطع الجمد وله في ذلك لطائف يعرفها اخوانه ولما حجّ البيت الحرام لاول استيلاء جلالة ابن السعود على الحجاز كان الملك يرسل اليه يومياً بمقدار كبير من الجمد ٠ وكنا نداعبه في هذا الامر حتى أني قلت في جريدة الشورى إنني سأضع رسالة اسمها « قطف المُثلوج ٠ في وصف الماء المثلوج بجوار البيت المحجوج » وأهدي هذه الرسالة للسيد رشيد رضا ٠

وأما قضية ترجمة احتلال العرب لسويسرة فقد كان هذا العاجز أول من نشر هذا التاريخ بين العرب أخذته عن تواريخ الفرنسيس والالمان والطليان ولم يكن العرب يعرفون من هذا التاريخ شيئاً حتى إن السيد رشيد بعد أن حدثته به روى ذلك للاستاذ المرحوم أحمد زكي باشا فوجده مع علمه وسعة اطلاعه لا يعرف عنه شيئاً وقد اقترح عليّ الاستاذ أن أنشر في المنار خلاصة لهذا التاريخ ففعلت ثم من أربع سنوات نشرت كتاباً وافياً بهذا الموضوع باسم « غزوات العرب في فرنسة وسويسرة وايطالية وجزائر البحر المتوسط » ٠

أما الاخوان الذين أرسل اليهم السيد بالسلام فهم الذين احتفوا به يوم كان عندي في برلين وكنت أصلحت بينه وبين الاستاذ المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش وذلك في النادي الشرقي الذي كنت انا رئيسه وكانت بينهما وحشة قديمة ومناظرات شديدة في الجرائد وكان صديقنا

البارون ماكس اوبنهايم الالماني الذي اشتهر بمحبة المسلمين والشرقيين قد عرف بوجود الاستاذ عندي فدعانا معاً الى الطعام وبالغ في الحفاوة بالسيد الاستاذ وكذلك صديقنا الدكتور ميخائيل بيضا الذي أشار الاستاذ اليه بقوله صاحب الايادي البيضاء وقد كنت أخبرته بانه لا يقدم الى برلين قادم من أبناء العرب الكرام الا كان محل عناية الدكتور بيضا .

* * *

وكتب إليَّ الكتاب الآتي :

من القاهرة ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٤١ و٣٠ يناير سنة ١٩٢٣

أخي الكامل وأميري الندب الحلاحل

تواصيت أنا ونجيب بك (يريد نجيب بك شقير) البارحة بأن يكتب كل منا اليك كتابا في الحالة الحاضرة وقد كتب كل منا من أيا... ولكن تطور هذه الايام سريع والبرقيات تنذرنا فيها بقرب أجر لوزان (وكل يوم هو في شأن) ولكن مما يقضي بمتابعة الكتابة والاقرب إلى معقولنا أن خيبة المؤتمر واشتداد شنآن الاتراك لخصومهم الذين هم خصومنا من أرجى ما يقربهم منا إذ لا يعقل أن يدعوا بلادنا المجاورة لهم سلاحاً في أيدي أعدائهم يقاتلونهم به وهم قادرون على عكس ذلك إذا أنصفونا من أنفسهم ببناء التعاون بيننا على اعترافهم باستقلالنا كاستقلالهم ومن العجب أن يطمعوا بالاتصال باليمن والحجاز ومن دونهما بيننا سوريا والعراق تحتلها الدولتان الظافرتان فاما إذا صالحوهما ورجحوهما علينا فقد يقال إن عذرهم الحاجة أو الاضطرار الى الاستراحة من القتال والانصراف الى تعمير بلادهم ويقبل منهم قولهم انهم لا يكلفون أن يحاربوا الدولتين

لاجلنا . وماذا عسى أن يقال اذا خاب أملهم في الصلح على قاعدة ميثاقهم ولم يجدوا إلا سلما مخزياً واغتنام فرصة لتحريرهم وتحريرنا من الخزي والاستعباد قلما يجود بمثلها الزمان . فهل يليق بهم أو يكون من مصلحتهم ترجيح خنزوانة المسرفين من ملاحدتهم على توثيق روابط الإخاء الديني بيننا وبينهم . إني لارجو أن يكون لاهل الدين ولاهل الروية والعقل المعقول الراجح في هذه المسألة ولا اقيسها على مسألة الخلافة على أنهم قد علموا أو كادوا يعلمون خطل الغلاة فيها .

اني لا أكتم عنك انني ما زلت ارجح الترك على الافرنج كافة وإن ظلمونا واحتقرونا وبغوا علينا وأعرضوا عنا واسمعونا أذى كثيراً ولم يعذروا من تعلموا منهم التعصب القومي (أي العرب الذين تعلموا التعصب القومي من الترك) إذا قابلوا الشنآن بمثله بل بما دونه بعد ان ذاقوا منه الرجز الاليم والبادئ اظلم بل ارجح ملاحدتهم الذين يناهضون لغتنا وديننا ويحتقرون سلفنا الصالح الذي تفاخر به جميع الامم في صالحيها — أرجح أن يعود الترك سائدين حاكمين لبلادنا على بقاء الافرنج فيها بأي اسم من الاسماء أو صفة من الصفات . ولكنني لا أجد في قومي من يوافقونني على هذا ويقبلون مني انه أهون الشرين وان السلامة من اشد ما يتوقعون من شره أهون من السلامة من شر الافرنج — لهذا كله أتمنى أن نجد عند عقلاء الترك إنصافاً نبني عليه اتفاقاً ثابتاً لا يستطيع اعداؤنا نقضه . والعدل والمساواة ملاك النظام وقوام العالم ، وليس فوقهما شيء الا الاخوة والمحبة ، ودواعي الامرين بيننا قوية . وانني اعتقد منذ عقلت أن دسائس المجوس هي التي فرقت كلمة سلفنا ودسائس الافرنج هي التي فرقت كلمة

مسلمي عصرنا وانه ليس بيننا اسباب صحيحة تقتضي تعادينا أو تحول دون اتحادنا على إحداث اعظم انقلاب اجتماعي في الارض في هذه الفرصة التي زلزلت فيها اركان المدنية الفاسدة حتى صار يخشى عليها من البلشفية التي لا تزيدها الا فساداً ٠

لو عرف هذا الرجل العالي الهمة مصطفى كمال من الاسلام ما أعلم لأمكنه أن يكون رجل العالم لا رجل الترك فقط ٠ فالاسلام لا يحتاج الا إلى رجل عالي الهمة بيده شيء من القوة يعلم ما فيه من علاج فساد البشر وينهض لمعالجتهم به ٠ وقد علم بعض هذا نابليون الشهير وحاول أن يقوم به على ضعف علمه وانحصاره في بعض خواصه ولو أحاط به علماً لاشربه قلبه ايمانا ولما استطاع أحد ان يقف في طريقه ٠

(قلت : الحقيقة أن نابليون عندما كان في مصر انشرح صدره للاسلام وهمَّ باعلانه وكان معجباً بالنبي عليه السلام وبعمر رضي الله عنه وبسائر رجالات العرب الذين نشروا هـذا الدين في الارض وفتحوا الفتوحات ٠ ولنابليون كتابات أشرنا اليها في مجلتنا « لانسيون أراب » وترجمناها الى بعض الصحف العربية تدل على ما كان في نفسه من هذا الامر وقد نقلناه عن المؤرخ « لا كاز » الذي رافقه الى جزيرة سانت هيلانة كيف سأله : أصحيح أنك كنت في مصر عزمت على التدين بالاسلام ؟ فأجابه : قد كان عندي هذا الفكر ولكني ما كنت لاجريه بالفعل حتى أكون بلغت نهر الفرات ٠ وكان جيشي موافقاً لي على ذلك ٠ ثم أخذ نابليون يذكر للمؤرخ لاكاز عظيم رأيه في الاسلام ورجاله ؛ وهذا المبحث يجده القارئ في كتاب لاكاز عن نابليون في سانت هيلانة)

ثم قال السيد رشيد: وأنني أرى مصطفى كمال على كونه ولد ونشأ مسلماً لا يعلم من اصول حكومة الاسلام ما يجب أن يعلمه مثله ولهذا حاول أن يجعل منصب الخلافة مصلحة دعاية دينية لنفوذ الترك في العالم الاسلامي ومن وراء العالم الاسلامي . وأمر منصب الخلافة اعظم من ذلك واعظم من شكل حكومة الجمعية الوطنية أيضاً .

لكن هذا الرجل(١) الكبير لا يعلم ومن لي بان يعلم وقد كتب إليَّ بعض زعماء الهند بمثل ما يطالبني صاحب لي هنا من الترك وهو الترغيب في الذهاب الى انقرة .

قد كتبت مقالاً طويلاً في مسألة الخلافة نشرت منه الى الان سبع كراريس في المنار ثم طبعتها على حدة وانني مرسل بها اليك فتعلم انه لم يكتب مثلها في الاسلام واني واثق بانها ستترجم بعدة لغات وسيعلم منها اخواننا الترك انهم لا يستطيعون السيادة على العالم الاسلامي بمنصب الخلافة إلاَّ اذا تآخوا مع العرب على الطريقة التي بينتها في تتمة هذا المقال . على أنني لست عازماً على أن أكتب كل ما عندي في هذا الموضوع لئلا يستفيد منه اعداؤنا الحازمون من دوننا ولكن عقلاؤنا قد يستفيدون منه مستدلين بما ذكر على ما لم يذكر او يراجعون صاحبه فيه مراجعة خاصة . وقد كتب إليَّ بعض زعماء الهند المسجونين بعزمهم على زيارتي بعد الخروج من السجن لاجل الاتفاق على ما يجب في هذا الشأن . وخلاصة

(١) قد كان هذا الكتاب قبل ان يلغي مصطفى كمال منصب الخلافة تماماً من تركية وقبل أن يظهر بالمظهر اللاديني الذي ظهر به وجعله صبغة تركية الحاضرة .

القول ان الفصل في أمر الاتفاق مع القوم أرجى ما يرجى من مثلك . ومن ذا الذي يقدر على ما نقدر عليه وله ما لك من المكانة عندنا وعندهم فإن عجزت كان عجزك برهاناً على سوء نيتهم وفساد طويتهم[1] .

---

(١) نعم عجزت عن إتمام امر كانت تحول دونه المبادئ التي اراد مصطفى كمال بثها لا في تركية فقط بل في كل العالم الاسلامي والتي لو نجح بها لأتى على الاسلام من قواعده . وبعد تاريخ هذا المكتوب بعدة سنوات جاءني من يونس نادي رئيس لجنة الامور الخارجية في انقرة وصاحب جريدة « جمهوريت » كتاب يدعوني فيه الى سياسة التآخي التي يشير اليها الشيخ رشيد ولكني كنت أعلم ان التآخي الذي يرمي اليه يونس نادي تريد تركية الكمالية بناءه على قواعد اللادينية وما يتفرع منها وكنت بمعرفتي لاحوال تركية أكثر من غيري عالماً بانه لا سبيل الى الاتفاق بين العرب والترك ما دام الترك غير مقلعين عن مباديهم هذه وما دامت الحكومة التركية هي في يد هذه الفئة . فكتبت الى يونس نادي وقد كان زميلي في مجلس الامة العثماني أقول له : إننا شاكرون لكم حسن نيتكم بحق العرب كما اننا نحن لا نريد بالترك الا خيراً فأمـا استعدادكم لمعاونتنا في جهادنا للتخلص من حكم الافرنج فان العرب سيخلصون من هذا الحكم ويتحررون بأنفسهم بدون احتياج الى غيرهم وما جرى من الانفصال بين العرب والترك إما أن يكون فاصلة صغرى او فاصلة كبرى فأما إذا كان الذي فصل بين الامتين هو السياسة فهذه هي فاصلة صغرى لانه لا يوجد شيء أسرع تغيراً من السياسة . وإن كان الفاصل ما أنتم فيه من المبادئ اللادينية ومن مظاهر التفرنج بحذافيرها فهي الفاصلة الكبرى . هذا كان جوابي ليونس نادي وقتئذ فلم يعد بعدها الى مكاتبتي .

ثم يقول لي الشيخ رشيد في هذا الكتاب نفسه : وصل كتابك المطول اليوم وهذه الورقة بيدي وستجتمع اللجنة للبحث فيه . ويظهر انني كنت كتبت اليه عن تشكيلات سياسية كانت أنقرة قائمة بها فاجابني بما يأتي :

إن صح المسموع عن تشكيلات أنقرة الواسعة ... فربما كان خيرها أعظم من شرها أو مما يقصد منه وإن كان قولك :« فانظروا الى أين يوصلنا طمع الانكليز والفرنسيس » يشعر بان شرها كبير وشررها — ان نفذت — مستطير وانا على جهلي المطلق بها أراها خيراً من الحال التي نحن عليها وانا لا أخشى على العرب من البلشفية ولا من الترك وانما أخشى إجهاز الانكليز عليهم قبل أن تنجلي غمرة جهلهم . ولا قوة للانكليز عليهم الا بهم : فانهم لا يقاتلون جزيرة العرب بالسلاح بل بالدراهم والافساد . وليندمن الترك ندامة الكسعي اذا تركوهم لهم وأضاعوا هذه الفرصة التي يخشى ان لا تعود الى يدهم وقد اصبح تصافي الانكليز والترك من ضروب المحال : فقد زعب الكماليون الامة البريطانية حقداً وضغناً لا يشفيه الا اشد الانتقام واقوى آلات الانتقام بيدها العرب ولولا تعصبها الديني وحذرها السياسي من عاقبة قوتهم ووحدتهم لبادرت اليهم ولو كان هؤلاء الامراء الحجازيون رجالاً لنالوا منها ما يقدرون به على تحقيق أمنية الامة العربية [1] .

---

(١) كان كتاب السيد رشيد هذا قبل استقلال العراق لانه مؤرخ في سنة ١٩٢٣ واستقلال العراق جرى سنة ١٩٣٢ والحق ان الملك فيصل الذي هو أحد الامراء الذين أشار اليهم السيد رشيد في هذا الكتاب قد قام بنهضة كبيرة للامة العربية وهو الذي بدهائه ومرونته وحزمه وبصلابة الشعب العراقي

(ثم يقول) : فيا ليت شعري هل يمكن اقناع الترك بهذا ام في آذانهم وقر وعلى أبصارهم غشاوة ومن بيننا وبينهم حجاب ؟ أعرض عليهم هذا فان آمنوا به فإنا مؤمنون (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون) وتفضل عليّ بكل ما تعلم عن التشكيلات التي اشرت اليها وانا لها حافظ امين . وسلم على من شئت من المحبين .

أخوك رشيد

ـ في وجه الانكليز تمكن من فك قيد الانتداب الانكليزي على العراق وادخال ذلك القطر العربي في دور الاستقلال و كان من جملة اسباب موافقة الانكليز على هذه السياسة خوفهم من تمالؤ الترك مع العرب عليهم وربما كان هو السبب الاقوى . أما الان فانه وان كانت انكلترة لا تصفي الود لتركية باطناً فقد حصل بينهما تقارب كثير وكان مصطفى كمال قد دعا المرحوم فيصل الى زيارة انقرة وكاشفه بما في نفسه من التقرب الى انكلترة مما حمله عليه خوفه من الروسية فأراد الرجوع الى سياسة تركية القديمة وسعى فيصل بذلك في لندرة سعياً مخلصاً وأسرّ إليّ هذه القصة وذلك سنة ١٩٣٣ قبل وفاته بقليل وسألته : ماذا اجابك الانكليز على اقتراح مصطفى كمال ؟ فقال : انت تعلم ان الانكليز بطاء في الغضب كما هم بطاء في الرضى . إلا أنه جدّ اليوم بسبب القضية الصهيونية عداوة شديدة من العرب نحو الانكليز حملت انكلترة على التقرب من الترك وزال ما كان من العداوة بين الفريقين وان كان كل منهما على حذر من الآخر . وغير خاف ان مسألة الحبشة جعلت بين ايطالية وانكلترة داعياً قوياً للنزاع وربما ادى الى الحرب في يوم من الايام فانكلترة بهذه المناسبة اخذت تتقرب من تركية لتكون لها ردءاً هي واليونان على ايطالية .

وقد ألحق بهذا الكتاب ملحقاً يتضمن شيئاً يتعلق بعلاقات الاسلام مع ايطالية . فان السيد رشيداً في سنة ١٩٢١ كان أرسل وهو في جنيف اوان انعقاد المؤتمر السوري الفلسطيني بكتاب سياسي الى الحكومة الايطالية ترجمه الى الفرنسية احد فضلاء المصريين ومآله أن المسلمين مستعدون ليتخذوا من ايطالية صديقاً ان لم نقل حليفاً اذا كانت تسير بإزائهم سيرة تخالف سيرة الدولتين الغربيتين انكلترة وفرنسة وكانت سياسة السيد رشيد هذه من قبيل (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) وكتابه هذا من اهم ما كتب في السياسة واليك نصه :

في ١٤ جمادى الآخرة ٣١ يناير

(١) طالما خطر في بالي أن اكتب اليك شيئاً في موضوع سعينا مع الطليان على الطريقة التي كنت عرضتها عليك في جنيف فعددتها مما وراء الامكان . وقد اخبرتك يومئذ انني شرعت في السعي لهذه السياسة لدى قنصل ايطالية في الشام اذ كنت فيها فاستحسنها . ثم استأنفت هذا السعي مع المفوض السياسي لها هنا بعد عودتي من اوربة في العام الماضي وانني استغني عن اطالة الشرح لك فيه بارسال المذكرة التي كتبتها لجناب المفوض المشار اليه في العام الماضي بطلب منه . وأحب ان تواصل هذا السعي مع القوم على هذا الاساس اذا استحسنته بل اذا وجدت له مجالاً اذ لا شك في استحسانك له في نفسه واذا نجحت هذه السياسة معهم فيوشك ان يكون لها تأثير حسن لدى السيد ادريس السنوسي الذي جاء مصر في هذه الايام وقد علمت بمبايعة زعماء برقة وطرابلس جميعاً له منذ بضعة اشهر وهو صديقنا . وقد اتفقنا عند السلام عليه على اجتماع خاص او أكثر

للبحث في مسألتنا العربية من الوجوه العامة والخاصة .

وقد كان أهم اسباب تقاعسي عن الكتابة اليك في هذه المسألة ما علم من شدة ميل رجل ايطالية ورئيس وزارتهـا الجديد الى الاستعمار وتشديده في معاملة اهل طرابلس وبرقة ولا غرو فهذه العدوى سرت الى هذه الدولة من حليفتيها وهي احوج منهما اليها ولكن ما ندعوها اليه خير لها منها وذلك بأن العالم البشري كله في حال تطور عتيد وانقلاب اجتماعي جديد سيقضي فيه على الاستعمار ويعود على المستعمرين بالخذلان والبوار فإذا فطنت هذه الدولة الفتاة الجامعة بين الفتوة والفتاء الى ذلك وسبقت الى ابتكار سياسة فتية مثلها فانها تبذ بها العجوزين اللتين بذتاها في ما قبلها . أساس هذه السياسة الجديدة أن تجعل هذه الدولة نفسها مناط آمال الامة العربية فيما توجهت اليه من إحياء مدنيتها فتساعدها عليه بالعلم والعمل وتكتفي من الجزاء بالمنافع الاقتصادية والسياسية والادبية وهو ما طلبناه من غيرها اولاً [1].

(٢) أحب ان تكرروا على المصريين تخطئتهم في عزلتهم وانفرادهم دون اخوانهم من الشعوب العربية المجاورة لهم وبيان الفوائد الكثيرة التي يجنونها من اتصالهم بهم وما في غرورهم بجنسيتهم المصرية البتراء من الضعف لهم وتذكروهم بان البلاد العربية المجاورة لهم لا تأبى الاَّ اذا اتيح الاستقلال للجميع أن تكون تابعة لمصر كما كانت من قبل [2].

---

(١) من تأمل في سياسة ايطالية اليوم بعد مضي اربع عشرة سنة على هذا المكتوب قال : هذه كرامة للشيخ رشيد .

(٢) طالما كررنا على اخواننا المصريين هذا المعنى بالمشافهة والمكاتبة واشرنا

(٣) يحسن أن تكاشفوا مكاتبي التيمس وغيرهم بما نصحنا به من قبل بلسان أمتنا لبعض ساسة دولتهم قولاً وكتابة باستهدافهم لعداوة العالم الاسلامي كله وللشرق من ورائه إذا أصروا على عداوة الترك ولم يكفروا عن هذا الذنب بجعل الامة العربية امة مستقلة قوية عزيزة على أن يكونوا اصدقاءها لا سادتها ولعلي أرسل اليك في البريد الآتي صورة مذكرتي للويد جورج سنة ١٩١٩ إذا بقيتم وبقي الجماعة في لوزان والسلام عليك وعلى سائر الاخوان .

* * *

ومن كتبه إليَّ هذا المؤرخ في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٤١ :

أخي الحبيب الامير شكيب

ما أشد شوقي الى رؤيتك والي رؤية كتبك والى الكتاب اليك وقد طالت فترة المكاتبة والدور عليَّ اذا كانت المسألة مسألة مبادلة ومعاذ الله أن تكون مودتنا كالتجارة أو كضيافة الكرماء ومآدبهم : يتحرى كل أن يكون له الفضل . انما نحن اخوان لا كلفة بيننا ولا تكلف واني ما زلت أطالب نفسي في كل هذه الفترة بالكتاب اليك في كل وقت

اليه في مقالاتنا الى الصحف ولا شك في أن النزعة العربية في مصر قد تقوت اكثر مما كانت من قبل وصار لها أنصار أشداء ولكن على وجه العموم لا تزال هذه الروح ضعيفة في مصر ومما أتذكره أن طلبة العرب في باريز قرروا تأسيس جمعية اسمها « جمعية الثقافة العربية » فدخل فيها المراكشيون والجزائريون والتوانسة والسوريون والفلسطينيون والعراقيون ولم يدخل فيها الامصري واحد مع أن طلبة المصريين في باريز كانوا يزيدون على سبعين شخصاً .

من ليل ونهار وفي كل مكان من الدار والمكتبة والطريق ومزار الاخوان بأشد مما سبق لي من مثل هذا من قبل . ولم تكن كثرة الشواغل العامة والخاصة وحدها هي الصارفة عنه والمرجئة له على انها حالت دون ضروريات كثيرة وإنما انتظر فرصة واسعة أكتب فيها شيئاً مفيداً مما في نفسي وموضوع سعي ولما أجدها . والمحرك الان لكتابة هذه الكلمات الموجزة هو الغاء الاحكام العرفية التي كانت مطوقة لمصر وخلوص ادارة البلاد لحكومتها فهل يرجى أن يكون هذا ممهداً لالمامكم بنا أو مرجحاً لاقامتك عندنا ؟ فاذا كان البت في مسألة الاقامة يتوقف على ما سيكون من أمر قانون الجنسية المصرية الذي يقرره البرلمان المصري فأي مانع من زيارة مصر الآن واجتماع شمل الاهل فيها وهم في عمان على مقربة منها (كانت عائلتي يومئذ مع السيدة الوالدة واخي عادل في مدينة عمان شرقي الاردن) .

قطعتم عنا أخبار وفدكم وقد فضح الله صاحب الحجاز بالمعاهدة الجديدة شر فضيحة فقامت عليه قيامة العالم الاسلامي وهاجت عليه جميع الجرائد (رأيُ الشيخ رشيد في الملك حسين عفا الله عنهما معروف . فلا لزوم لنقل سائر العبارات في هذا الباب . وإنما يقول عن احدى قضايا الملك حسين ما يأتي) : وانها لنزعة لا يمكن أن يصل أحد إلى مثلها الا بخذلان من الله كما قال الجاحظ فيما هو خير منه . ولكن هذا لا يثني فلاناً وفلاناً وفلاناً عن الاستمساك بزعامته للعرب الخ .

كتبت مقالاً عنوانه « خطاب مفتوح من روح الاسلام والجامعة العربية الى الشعب الانكليزي والحكومة البريطانية » يتعلق بمسألة المعاهدة الجديدة قال الناس انه مكتوب بقلم من نار وكان له تأثير عظيم .

وبيت القصيد فيه اقتراح جعل حكومة الحجاز مقيدة بمجلس استشاري مؤلف من علماء مختارين من جميع الشعوب الاسلامية وذات حرس اسلامي مؤلف من الحكومات الاسلامية المستقلة ومن الحجازيين وأن تكون البلاد سلمية حيادية باعتراف جميع الدول فأرجو أن تروجوا هذه الفكرة وتنشروها ما استطعتم وأن تكلموا بشأنها عصمت باشا [1] وغيره من رجال الترك ونحن سنكلف حكومتي نجد واليمن بطلب ذلك أو تأييد من يسبق الى طلبه من أمراء المسلمين وقد كتبت الى سلطان نجد به وانني لم أرَ بعد التفكر الطويل خيراً منه لتأمين الحج ووقاية الحجاز من دسائس السياسة وفتنها الخ .

اخوكم

محمد رشيد رضا

قلت : كان هذا الرأي عند السيد رشيد قبل أن استولى ابن سعود على الحجاز .

***

ومن المكاتيب التي وجدتها من السيد رشيد عندي مكتوب غير مؤرخ ظهر لي منه انه كتبه قبل اجتماعنا في جنيف لاجل المؤتمر السوري الفلسطيني وهو اول مكتوب جاءني منه بعد ذهاب تلك الوحشة التي وقعت بيننا . وهذا نصه :

صديقي التليد

أحييك حامداً الله على قرب المزار ورجاء اللقاء مبتدئاً اياك بالتحية

---

(١) جاءني هذا المكتوب أيام كان عصمة باشا في مؤتمر لوزان سنة ١٩٢٢ و١٩٢٣ .

والكتاب وأنت الاجدر بالبدء وبالاستعتاب لانك بدأت بالجفوة بل انت الذي جفوت وقاطعت بل زدت على ذلك ما علمت وما كان ذلك الخلاف في الاجتهاد يقتضي كل تلك: الظنة والقدح باللسان والقلم · ولقد كان في بني عم شقيق — رماح ولكنها لحرب الاعداء وان لبسوا لباس الاصدقاء لا لحرب الاوداء في المصلحة المشتركة والوشائج المشتبكة وإن تقلدوا سلاح الاعداء · ولا أمن عليك بانني كنت لك خيراً منك لي فانني ضننت بك ولم أسمح لاحد بان ينال منك أمامي على اعتقادي بانك مخطئ بل كنت قبل الخلاف الاخير أدافع واذود عنك فريقاً واحداً فصرت بعده أناضل الفريقين من أبناء وطننا وأبرئك بكل قوة من النفاق واتباع سبل المنافع الشخصية لا من الخطأ والافراط في الحدة ·

هذا وانني قد علمت وانا في مصر بعزمك على الالمام بجنيف عند وصول وفدنا اليها للاشتراك معنا في خدمتنا الوطنية وقد وصلنا امس الجمعة الى هنا (يريد الى جنيف) واستقبلنا اليازجي ونجيب شقير وصلاح القاسم في لوزان فسألتهم عنك فأجابوا انك ربما تكون هنا بعد أربعة ايام واني لاشوق الى رؤيتك الان مني في كل زمن كنت اتوقع رؤيتك فيه لان شدة الحاجة الى التعاون والاستفادة من التجارب قد ضاعفت جاذبية الشوق الودية والادبية والسلام عليك أولاً وآخراً ·

محمد رشيد

* * *

ومن كتبه إليّ ما هو مؤرخ في ٩ المحرم سنة ١٣٤٢ و٢٢ اغسطس سنة ١٩٢٣:

سيدي الاخ الامير

احييك واهنئك بالعام الجديد والتصنيف الجديد وان كان حاشية خالفتم فيها رأي استاذنا واستاذكم الامام في النهي عن الحواشي والاستغفار له من حاشية صغيرة على تفسيره لقوله تعالى (واما السائل فلا تنهر) ولكن لكم ان تقولوا في حاشيتكم كما قال الخضري في حاشيته على ابن عقيل : «فجاءت حاشية ولا كالحواشي · اعيذها من عين كل حاسد وواشي» ولعمري إن لكم من الحساد ما لم يكن له (يعني حواشينا في حاضر العالم الاسلامي).

وفي هذا الكتاب كلام عن الترك في غاية الاهمية آثرنا نقله فهو يقول : وأما ما ذكرتم من أخباركم مع الترك فقد كنا عرفنا جله منكم ومن غيركم فساسة الترك سيئو الطوبة راسخون في بغض العرب والعربية وقد وجدوا من عمل الملك حسين وأولاده ما اتخذوه عذراً في جعل غاية المساومة بينهم وبين اوربة على العرب ومنها مصر ببيع بلادهم كلها للدولتين المحتلتين فيها وهذا العذر ليس بعلة صحيحة ولا سبب لدوس هذه الامة الكبيرة التي هي قوام الاسلام بلغتها وبلادها على ما فيها من القوى الكامنة المتفرقة ... أذنب حسين واولاده وشايعهم كثيرون ولكن الامام يحيى أحسن اليهم والادريسي وابن سعود ما أساءا و كانا قادرين على الاساءة وهما لم يريا من الدولة الا شراً · وقد أحسن اليهم فيصل ورجاله في الشام في منع الفرنسيس من استعمال السكة الحديدية السورية لسوق الجيوش وحمل الذخائر لمقاتلتهم بها في كيليكية · ثم كان العطف عليهم والميل لمساعدة حكومة انقرة الجديدة عاماً في سورية وجمعت لها الاعانات على شدة العسرة في البلاد وأرسلت اليهم الوفود تخطب ودهم ومن جملتها اننا

أرسلنا نحن رسولاً الى رئيسهم بمذكرة اشترك فيها اخوكم الامير عادل فلم يأذنوا له بالوصول الي انقرة . وكتبت انا كتاباً طويلا لهذا الغازي بتعظيم شأنهم وبوجوب تعضيدهم للمسئلتين العربية والاسلامية وبيان مكانتهما فلم يسف من اوج كبريائه للرد عليه وكان هذا كله قبل مؤتمرات مودانية ولوزان . ولم يمنعني هذا كله من كتابة ما كتبت بعد ذلك من إكبار شأنهم في كتاب مباحث الخلافة ومطالبتهم بالقيام بزعامة الاسلام ولعلكم رأيتم ما كتب أحمد جودت عنه في جريدة « اقدام » وخلاصة القول ان هؤلاء الزعماء قد ازدادوا غروراً ومقتاً للعرب وللاسلام ولا علاج لهم الا نهضة إسلامية في بلادهم وقد سدوا دونها المنافذ الخ .

أخوك رشيد

حاشية غير ازهرية :

بعد ختم الكتاب في الصباح جاءت الصحف فاذا فيها برقية باقتراح عقد مؤتمر إسلامي لتقرير جعل اللغة التركية لغة الاسلام التي يتخاطب بها شعوبه في شؤونهم المشتركة ... يحتكر الاسلام من يهدمونه ...

وهذا نص علاوة على أحد كتبه في ذلك الوقت نري مفيداً إيرادها وهي :

نسيت أن أكتب اليك أننا شرعنا في طبع كتاب « اعمال المؤتمر السوري الفلسطيني » قدرناه الان بمائة ملزمة فأذكركم بما كنت اقترحته عليكم من قبل من كتابة مذكرة بخلاصة أعمال وفدكم لو تفصيل ما شئتم مما لم يفصل ولم ينشر من قبل . لاننا نحصي كل ذلك في الكتاب ان

شاء الله وامضاه كم « رئيس الوفد » والا فنحن نذكر ذلك[1] هذا واخبركم بان السلطان ابن سعود (كان هذا قبل استيلاء ابن سعود على الحجاز ومبايعة الحجازيين له ملكاً) الذي كان بمعزل عن السياسة واهلها قد عزم على النزول في ميدانها ويرغب أن يكون له وكيل مفوض يدخل في المؤتمرات وغيرها. وعلاقة اخيكم معه ومع امام اليمن قوية والمكاتبات متصلة والثقة تامة . وكان المرحوم الادريسي كذلك ولكن لا ندري ما يكون حالة ولده هنالك من بعده .

والانكليز قد تساهلوا مع الامام في المدة الاخيرة ورجعوا عن كثير مما كانوا عرضوه من قبل للاتفاق معه حتى لم يعد فيها قيود خطرة الا تعهدهم بحماية سواحله والا تفضيلهم على غيرهم من الاجانب في كل مشروع اقتصادي أو غيره إذا تساوت الشروط . وكانوا من قبل يشترطون ان لا يعامل غيرهم من الاجانب إلا برضاهم وتوسطهم ورضوا الان بان يعترفوا باستقلاله التام وبان المقاطعات التي يدعون حمايتها تكون تابعة له بشرط ان يمنحها الاستقلال الاداري ومنها لحج وحضرموت ولكنهم يستثنون عدناً وهو يطلبها أيضاً[2].

---

(١) كانت اللجنة الدائمة للمؤتمر السوري الفلسطيني خاطبتني عدة مرات بلقب « رئيس الوفد السوري الفلسطيني » في اوربة فرفضت أن أكون رئيساً وأشرت اليهم بأن يخاطبونا جميعاً كأعضاء، وذلك حتى لا أميز نفسي عن رفاقي ..

(٢) ان السيد علي الادريسي الذي يقول السيد رشيد انه كان بينه وبينه صلة مودة كان داهية محنكاً فحفظ تلك الامارة التي اسسها لنفسه في عسير —

وله كتاب إلي • تاريخه ٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٢ جاءني عندما أقمت بمدينة مرسين :

— وبدهائه تخلص من الترك ومن الطليان ومن الامام يحيى ولكنه كان يعلم أن الذين بعده ليست فيهم كفاية لانهم قد يخسرون هذه الامارة و كان أكثر خوفه من الامام يحيى فلذلك قبل موته بمدة من الزمن جعل الوصاية على اولاده للملك عبد العزيز بن سعود إذ يعلمه الملك العربي الوحيد الذي يمكنه أن يقف في وجه الامام يحيى فلما توفي السيد علي الادريسي تولى بعده ولده الامارة تحت حماية ابن سعود فأساء السيرة ولم تكن فيه ادنى كفاية لادارة قوية فضلاً عن بلاد فضج الاهالي واضطر ابن سعود الى أخذه من هناك وجعل عمه السيد حسن اميراً ولكن هذا ايضاً مع كونه غير سيء السيرة عجز عن الاضطلاع بالحكم فالتزم ابن سعود أن يجعل نائباً من قبله هناك ليتولى امارة « صبيا » و كان الامام يحيى يرى في هذا الامر اعتداء من ابن سعود على حقوقه لانه يعد عسير من بلاد اليمن وإنما كان يتفادى الحرب معه ابن سعود تجنباً لسفك الدماء فحدث اخيراً سنة ١٩٣٤ ان الادارسة اختلفوا مع نواب ابن سعود في صبيا فلجأوا إلى الامام يحيى وصار عمال كل من الامامين يتحرش بعضهم ببعض وكل ينهي الى مرجعه بما يثير العداوة كما انه حدث أن الامام يحيى ساق عسكراً الى نجران اليمن لادخال اهلها الاسماعيلية في الطاعة فالتجأ هؤلاء الى الملك ابن سعود فنشأ سبب آخر للفتنة وما زالت تنقدح شرارات من هنا وهناك حتى أشعلت بين الامامين حربا أغرب ما فيها انها اشتعلت بدون أن يكون لكل من الامامين أدنى رغبة فيها • وكان الامامان قبل ذلك بسنة اختلفا على « جبل عرو » فارسل كل منهما مندوبين لاجل تسوية المسألة باتفاق بين الفريقين فلم يتفقوا فأرسل الامام يحيى الى الامام عبد العزيز يقول له ان اللجنة المختلطة لم تصل الى اتفاق —

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم أمير البيان حياه الله تعالى

وصل الكتابان الكريمان المطول والمختصر ولقد قرت عيني وانشرح

ـ فأنا أجعلك حكماً في المسألة فاحكم فيها بما شئت . فأجابه الامام عبد العزيز : أما وقد حكمتني في المسألة فأنا أحكم بأن جبل عرو هو لك . وهكذا كان فليتأمل القارئ كيف انهما بعد سنة من هذه المعاملة الشريفة التي اعجب بها الشرق والغرب عادا فاقتتلا . فلما وقع ما وقع بينهما هال ذلك العالم العربي والاسلام أجمع وخيف من ان استمرار القتال بين الفريقين يفضي الى كيد أجنبي لجزيرة العرب نصارت تنهال على كل من الامامين برقيات من العالم الاسلامي مآلها الرجاء بقبول الصلح مع جاره ولكن الحرب بقيت مستمرة فقررت اللجنة الدائمة للمؤتمر الاسلامي ايفاد رئيس المؤتمر الحاج امين الحسيني مفتي القدس الشريف وهاشم بك الاتاسي رئيس الجمهورية السورية الان ومحمد علي باشا علوبة ناظر المعارف والاوقاف سابقاً بمصر وهذا الفقير اليه تعالى . فذهبنا الى الحجاز وما زلنا نعالج هذا الخلاف الى أن منَّ الله تعالى بنهايته على أحسن وجه . وكان الفضل في ذلك لكل من الامامين اللذين كان كل منهما أزهد في الحرب من الآخر حقناً لدماء المسلمين ولا يجوز أن ننسى في هذه القضية فضل الامير الكبير العلامة المنقطع النظير السيد عبدالله بن الوزير امير الحديدة وتهامة حالاً فقد كان بحسن سياسته أقوى عامل في ازالة هذا الخلاف . ثم أخذنا معاهدة الصلح وهي معاهدة أشبه بمحالفة منها بمصالحة وذهبنا الى صنعاء اليمن وكان الملك ابن السعود قد وقع عليها فليلة وصولنا الى صنعاء وقع عليها الامام يحيي ومذ ذلك الوقت العلاقات بين الامامين على ما يرام أحسن الله توفيقهما لخدمة الاسلام .

أما الذي انتهى عليه الصلح بين الامام يحيى وانكلترة فهو أن هذه عدلت عن جميع مطامعها الماضية التي كانت تريد بها أن تضع على اليمن لنفسها شبه ـ

صدري بما كتبت من خبر وصول اهل بيتك وتلاقيكم في يوم عيد الفطر وقرأته لوالدتي ومن حضر من آل بيتنا وأنا أغالب الدموع وأتكلف القراءة تكلفاً فأسأله تعالى أن يتم عليكم النعمة . وأما خبر الامير غالب مع مولانا السيد السنوسي فقد قرأته مبتسما غير متلعثم وفقك الله تعالى لتربيته كما تحب وجعله قرة عين لاهله وأمته (كان السيد أحمد الشريف السنوسي قدس الله روحه مقيماً بمرسين ضيفاً على الحكومة التركية وكانت بيننا الصداقة متينة الى الغاية كما شرحت ذلك في حاضر العالم الاسلامي فلما جئت الى الاستانة بعد استقلال تركية وكنت أبغي السكنى في بلد يكون قريباً من سورية جاءني من السيد السنوسي دعوة أن أسكن في مرسين ليكون اللقاء بيننا متصلاً وقد استحسنت هذا الرأي واكتريت بيتاً في مرسين واستدعيت سيدتي الوالدة وعائلتي الى مرسين فحضرن ومعهن أخي حسن واجتمع شملنا وكان ولدي غالب في السادسة من عمره فاستغربت منه أنه لم يكن يقبّل يد أحد من زائرينا وانما كان من تلقاء

ــ حماية وقد اعترفت للامام بالاستقلال التام ولم يكن لها في اليمن أدنى مزية على دولة اخرى . اما من جهة لحج وحضرموت والامارات التسع التي كان الخلاف واقعاً عليها بين الانكليز والامام فقد تقرر بقاء الحال على ما هي عليه الان الى ان تنحل هذه المسألة بين الفريقين بصورة نهائية . فسكنت الامور وارتفع العداء وقد أبدى الامام يحيى من الحكمة والحزم في موقفه بإزاء الانكليز وبإزاء ايطالية ما لا ينكره احد . ومما لا يجوز ان ننساه هو لباقة القاضي محمد راغب بك ناظر خارجية الامام الذي وإن لم يكن هو عربي المحتد فانه يخدم العروبة والاسلام كأجزَ أبنائهما .

نفسه بقبل يد السنوسي وكان يجلس معي ساعات طوالاً في حضرة السيد ولا يطلب الخروج الى اللعب كما هي طبيعة الاحداث فرويت هذه القصة للسيد رشيد) بل خطر لي الان ان أدعو له بمثل ما دعا ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان لولدي محمد شفيع عند ولادته بقوله : وأسأله تعالى أن يفوق والده علماً وحكمة وثروة . فتأمل يا أخي في الفرق بين أفكارنا وأفكار هؤلاء القوم : نحن نغفل عن الثروة حتى في مقام الدعاء وما أشد حاجة مثلي ومثلك الى الثروة للاستعانة بها على ما وقفنا أنفسنا له من خدمة الامة ونحن لا نفكر فيها ولم نتعود السعي لها على ما نعاني من فقدها ويا ليت شعري متى نستدرك في تربية أولادنا ما فات والدينا في تربيتنا .

إنه ليهمني أن تبادر الى تعليم غالب في المدارس المصرية كما يهمني أن تكون معي هنا لما لا حاجة الى بسطه ولا الى الاشارة اليه الخ..

وكان السيد كتب إليّ عن الشيخ عبد العزيز الثعالبي التونسي كتابة شممت منها رائحة الوحشة فنبهته الى ما يرجى من الثعالبي من الخير للامة فأجابني عن ذلك بقوله : صديقنا الثعالبي : رأيتك فهمت مما كتبت اليك عنه بعض ما لم أرده وهو صديق قديم زاده اللقاء الحديث تمكناً في الصداقة وهو على مشربنا في المقاصد العامة وما دونها فالخطب فيه سهل لا يصل عند امثالنا الى حد يخدش الصداقة أو يصد عن التعاون . وقد سافر الى فلسطين ويسرنا أن لقي من أفاضل اهلها ما يليق بفضله وغيرته وإخلاصه من الحفاوة والتكريم . أكثر الله من أمثالكم وأمثاله وما أنتما الآن إلا كما قال الشاعر :

« فمثل (كثير) في الانام قليل » .

مسألة الامامة لم أقصد بما بينته من الحقائق فيها أن أكلف مسلمي اليوم إقامتها على الوجه الحق الذي بينته بنصب إمام يتولى أمورهم كافة فانني لا أعيش في عالم الوهم والخيال فاكلف هؤلاء المساكين الجاهلين المتخاذلين المستعبدين للاجانب او لشهواتهم — أمراً عظيماً أعتقد انه منتهى الكمال الذي وقف الخلفاء الراشدون في أول الطريق الذي أشرعه الاسلام له ... وانما قصدت أن أعرّف المستعد للعلم والفهم الصحيح هذه الحقائق وأوجه وجوههم الى هذا النظام الكامل عسى أن يسعوا له سعيه بالتعاون على وضع خطة لاحياء الاسلام ذكرتهم ببعض ما يجب مراعاته فيها وضننت ببعض بل خفت أن يغفل عنه الالباء ويفطن له قطاع طريقه من الاعداء .

(المسألة المصرية العربية) ما ذكرت لي وللثعالبي من قبل من فروع هذه المسألة مهم جداً بل هو أهم فروعها وأجدره بالتقديم وقد صار امر جارك السيد السند من همي ومن وطري وأعجبني ما كتبت لي عنه فصار أكبر مما كان في نفسي ولم يعجبني ما كان نشر عنه في مسألة الخلافة . وأما إيمانه بالكرامات فلا ننكره عليه ونحن نؤمن بها ونحمد الله تعالى أن لم يجعلنا بمعزل عنها وان أعطانا فرقاناً نعرف به حقها من باطلها وكان استاذنا الامام أعلى كعباً في ذلك كان يقول لي : انني أقرأ الفتوحات المكية كما أقرأ تاريخ ابن الاثير . ولكن يا أخي هذه مسألة خواص وقد افتتن بها العوام حتى قتلتهم الخرافات وتصرف الدجالون باموالهم

وأنفسهم واعراضهم بل أفسدت على الكثيرين توحيد الله عز وجل ونحن نحارب الدجل الذي أفسد على الامة امر دينها ودنياها تحت حماية الكرامات والشفاعات . وأما المكاشفات فأمرها أهون والافتتان بها امر معروف . والتوسل منه حق وباطل ومنه ايمان وشرك . واذا كان السيد بحاثاً فإنني أرجو اذا تلاقينا معه أن نكون متفقين في هذه المسائل كاتفاقنا في المسائل المهمة الدنيوية التي هي موضوع سعينا وبحثنا الخ[1].

(موتمر الخلافة)[2] انني لما ينشرح صدري للدخول فيه ولما اجتمع ثانية مع أذكى اعضائه وأحرصهم على اشتغالي معهم وهو الشيخ مصطفى المراغي رئيس المحكمة الشرعية العليا وهو من اخواننا تلاميذ الامام وبيننا موعد غير محدود ولا ادري هل أجد في مذاكراته ما يحدث لي أملا في المؤتمر ام لا ؟ ولا اعني بالامل ان يتفق اعضاء المؤتمر على نصب امام ترضاه الشعوب الاسلامية كلها أو اكثرها بل اكبر الامل عندي وضع نظام يدعى اليه الخ ..

* * *

(١) كلام السيد المترجم هنا جواب على كتاب مني اليه ذكرت له فيه مشرب السيد أحمد الشريف السنوسي الذي كنت اجتمع معه كل يومين مرة طول مدة إقامتي بمرسين وهي نحو من سنة . واما قول السيد المترجم « المهمة الدنيوية » فهكذا اعتاد الناس أن ينسبوا الى الدنيا مع أن سيبويه يقول في فصل النسبة من كتابه: قالوا في دنيا دنياوي وإن شئت قلت دنيي واما في المخصص لابن سيده فيقول بالوجهين دنيوي ودنياوي هكذا أتذكر وفي المصباح يقول ان دنياوي اكثر من دنيوي والله أعلم .

(٢) الذي كان انعقد بمصر .

وله كتاب آخر في ٢٣ المحرم ١٣٤٢ و ٥ سبتمبر

أخي وأميري الهمام عليه التحية والسلام

بعد ان كتبت اليك في كتابي الماضي بشأن حاشيتك على الكتاب المترجم ما علمت بلغني ان الحاشية مما يستنكره الجماهير حتى اهل الازهر لا حزب استاذنا الامام فقط لانها بلغت من الطول المشذب مبلغا ترك الاصل الذي وضعت عليه أثراً بعد عين او كهلال الشك لا تدركه كل عين وصارت قراءة كل منهما مع الآخر مضيعة لكل منهما وقراءته وحده لا ترتاح اليها الانظار ارتياحها اليه لولم يكن معه ما يشغل عنه وشبه لي الكتاب مع الحاشية بشرح ديوان صديقنا محمود سامي باشا البارودي رحمه الله تعالى ولعلكم رأيتموه فإن شارحه كثيراً ما شرح البيت الواحد بصفحة او بصفحات باستطرادات لا تعني من يريد قراءة شعر البارودي فكان هذا الشرح سبباً لعدم رواج الديوان بقدر ما كان ينتظر لو طبع وحده بغير شرح او بشرح بعض غريب اللغة او محاسن نكت البلاغة .

وفاتني أن أقول لك في الكتاب السابق انني مخالف لك في ما تظن من قلة الرغبة في قراءتي هذه الحاشية لو جعلت كتاباً مستقلاً بل يغلب على ظني انك لو الفت كتاباً في تاريخ الاسلام أو جعلت هذه الحاشية كتاباً مستقلاً لوجدت من الاقبال على ما تكتب فوق ما تنتظر للكتاب المترجم وحده من الرواج . وأرى ان تضن بما بقي لديك مما كتبت وما تنوي ان تكتب إذا كان يمكن ان يجعل كتاباً

مستقلاً ولو بضم بعض ما طبع منها اليه[1] . اه .

(١) حاضر العالم الاسلامي للمؤرخ المدقق لوثروب ستودارد الامير كاني ترجمه من الانكليزية الاستاذ عجاج نويهض وبعث به إليّ وذلك سنة ١٩٢٢ ملتمساً مني أن أبدي بعض ما يعنّ لي من الملاحظات على مباحث هذا الكتاب وكنت يومئذٍ في شغل شاغل كدت معه أرد الكتاب معتذراً عن إجابة الطلب الذي طلبه مترجم الكتاب إلا أنني نظرت فيه بعض الشيء فوجدت مباحث ذات بال تهم الاسلام والمسلمين ورأيت المؤلف قد نقل مقالة لي نشرتها في بعض الصحف الاوربية بعد الحرب العامة لم ينسبها إليّ بالصراحة بل بالاشارة تأييداً لقوله: إن دول الحلفاء قد غاظت العرب بنكثها بما عاهدتهم عليه واستيلائها على كثير من بلدانهم بدلاً من الاستقلال الذي وعدتهم به . فرأيت هذا المؤرخ منتبهاً للحركة العربية كما يجب محيطاً منها بكل شاردة وواردة فأجللت مقامه وربأت به عن أن تكون في رواياته مواطن ضعف فعلقت كلمات قليلة على هذه المواضع ولم يكن في نيتي أن أكتب حواشي تزيد على سطرين او ثلاثة بالكثير ولكن الحديث شجون والمواضيع التي خوّضها المؤلف تحتاج الى مزيد التدقيق فصار الكلام يتسع معي تدريجاً وبعد ان كانت النية تعليق كلمات أو أسطار معدودة انتقلنا الى حواشي تستغرق الصفحة والصفحتين . ثم رأينا ان الاختصار يخلّ بالمعنى وانه يكون من قبيل فتح الباب لمقام شائق للقراء ثم صكه قبل ان يشفي لهم غليلا فصارت التعليقات على الكتاب تزداد طولاً كلما تقدمنا في مطالعته إلى ان أصبح المتن ربع الكتاب بالقياس الى الحواشي التي صارت هي ثلاثة أرباعه بحيث قال العلامة الدكتور يعقوب صروف الطيب الذكر في مجلة المقتطف ان هذا الكتاب « حاضر العالم الاسلامي » أصبح بحواشيه كتاب الامير ارسلان . ولكن

وكان السيد رشيد في تلك الاونة قد طعن في الملك حسين بالمنار مطاعن لا محل لها هنا فانبرى للرد عليه جماعة من بيروت اوسعوه شتماً وبينهم اصحاب صحف كان يعدّهم من اصدقائه · فشكا إليَّ في القسم الثاني من هذا

ـ الناس رأوا في حواشي كاتب السطور مباحث كانت مجهولة وكانوا يشتاقون الى مثلها ولا يجدون ذلك في مؤلف آخر في هذا العصر فصار كثير منهم ومن هؤلاء السيد رشيد يقولون لي: ما دمت قد أردت إفاضة هذه المعلومات كلها فلماذا لم تجعلها في كتاب على حدة ؟ فأجبت السيد بأني لو جعلتها في كتاب مستقل لربما كان قراؤها أقل عدداً من قرائها الان وقد اقترنت بكلام المؤرخ ستودارد على ما في طباع الشرقيين عموماً من الاحتفال بكلام المؤلف الاوروبي او الاميركي بنوع خاص · فالقارئ الان يقرأ ما قاله المؤلف الاميركي مشفوعاً بما قاله الكاتب العربي ويرى بعضه مؤيداً لبعض ، فأجابني السيد رشيد بهذا الجواب الذي نقلناه ولكنه لم يصب رحمه الله في تشبيهه هذه الحواشي بحواشي شارح ديوان البارودي فانه ظهر فيما بعد من رغبة الناس في اقتناء هذا الكتاب من أجل حواشيه ما ندر ان يقع لكتاب آخر في زماننا هذا حتى إننا اعدنا طبعه من ثلاث سنوات لنفاد نسخه بأجمعها وضممنا اليه حواشي جديدة تعادل القديمة فصار متن الكتاب بالقياس إلى حواشينا بمقدار واحد من ثمانية · وقد كان يمكن جعل هذه المعلومات كلها في كتاب على حدة يكون اوسع من هذه الحواشي ويصير أشبه بمعلمة اسلامية تقع في عشرة او اثني عشر مجلداً ولكني من الاصل لم أقصد وضع كتاب مستقل أتأهب له على ان يكون معلمة إسلامية وإنما بدأت بتعليقات وجيزة اوسعتها أهمية المواضيع تدريجاً كما تقدم الكلام عليه · والمرء في التأليف كما في جميع حركاته في هذه الدنيا مسيَّر غير مخيَّر ·

الكتاب ما رآه من هذه الفئة التي رثي لحالةجهلها · وعند الله تجتمع الخصوم ·

***

وله إليّ كتاب مؤرخ في ٢١ ذي الحجة ١٣٤٣ و٢٣ تموز ومعناه وجوب الذهاب إلى جنيف في أثناء الثورة السورية الكبرى وهو يقول إن اللجنة في القاهرة جاءها كتاب من الامير ميشيل لطف الله رئيسها الذي كان وقتئذ في اوربة يعظم فيه من شأن اجتماع عصبة الامم في هذا العام ويحث على تأليف وفد يحمل الوثائق اللازمة ويأتي الى جنيف وان هذا مطابق كما كتبناه نحن اليهم · فأجابت اللجنة ميشال بك بانه بلغها ان في الوطن أناساً يجمعون وثائق ليبعثوا بها إلى الامير شكيب لايفاده بها الى جنيف وان الدكتور عبد الرحمن شهبندر عاد من سياحته في اميركة وان الظاهر من حاله انه مستعد للعمل فإن تيسرت لدى اللجنة الوسائل المادية الكافية توصلت إلى تأليف الوفد منها وممن يرغب في السفر معها وسعت في جمع الوثائق اللازمة لها وإن اللجنة تنتظر جواب رئيسها من اوربة ومع هذا فهو يقول لي : إذا أحببتم أن تكتب لكم اللجنة توكيلاً مشتركاً بينكم وبين صاحبنا (أي ميشال بك) وتكتب اليه مثله نسخة واحدة فإنها تفعل · الى غير ذلك مما يتعلق بالمجيء إلى جنيف لاجل الاحتجاج على فرنسة · وقد حضرت الى جنيف في تلك النوبة وقمت بواجبي مصحوباً بالوثائق اللازمة ولكنني رأيت أنه لا يمكنني القيام بمهمتي هذه إلاّ بالاقامة الدائمة بسويسرة · فعند ذلك استقدمت عائلتي من مرسين والقيت عصا التسيار في هذه البلاد ·

وفي هذا الكتاب تفاصيل كثيرة عن حركات بعض الزعماء المشتغلين

بالقضية العربية وبسيرتهم في أثناء الحرب من جهة انكلترة ··· ثم بما ظهر منهم بعد الحرب من الآراء الغريبة التي من أفظعها « أن نتسامح مع الانكليز بما ملخصه أن نشتري منهم سورية بالعراق » هكذا صرّح به أحد هؤلاء للسيد رشيد نفسه في نجوى بينهما · ومما جاء في هذا الكتاب من المعلومات المهمة خبر تأسيس حزب الاتحاد السوري وانه كان في البداية دخل فيه فلان وفلان « فكان جلّ مؤسسيه من حزب الانكليز » قال رحمه الله : ولما غلبناهم على الحزب تسلل منهم من تسلل لواذاً وبقي آخرون يجادلوننا في قبول النفوذ الاجنبي بصيغ مختلفة حتى إذا يئسوا طلبوا منا التقيد بقبول الوصاية الاميركانية وكان فلان وفلان من هذا الرأي فخابوا ولو تساهل أخوك وحده أقل تساهل لنجحوا ···ولما أرادوا توريط السوريين بقبول مضمون معاهدة سايكس بيكو عقب إعلانها في لندن وباريز بالاجتماع الذي دبروه في دار فلان كان من البرنامج ان يخطب فلان وفلان من حزب الانكليز فلما أفسدتُ عليهم الاجتماع بردّي على الخطيب الاول لم يتجرأ أحد على مخالفتي الخ · (وهذا الكتاب أيّد لي مآله أكثر من واحد ممن حضروا تلك الاجتماعات)·

* * *

وكتب إليّ في ٢١ ذي الحجة من تلك السنة ١٣٤٢ يقول : إننا دعونا اللجنة للاجتماع مساء هذا اليوم للمذاكرة فيما كتبته أنت والامر مهم جداً ولنا فيه آراء وان كانت اللجنة وحزب الاتحاد السوري على رأي واحد هو الثبات على الدعوة الى الاستقلال المطلق ومقاومة الانتداب بأي شكل ظهر · وأري ان مجيئك الآن الى هنا عاجلاً قد صار واجباً حتماً لا تخيير فيه ولا عذر إلا العجز · إنه لم يبق لدينا من

أعضاء اللجنة إلا نجيب شقير واليازجي واسعد داغر وليس مثل هذا العمل الكبير أي وضع نظام اساسي للبلاد بالذي يكفي فيه هذه اللجنة وحدها الخ ..

***

وله كتاب إليّ تاريخه ٨ صفر ١٣٤٢ الموافق ١٩ سبتمبر ١٩٢٣ :

أخي الامير

تعذّر إرسال الكتاب الذي كتبته أمس وتأخر إلى هذا اليوم فكان ذلك لحكمة الاطلاع على كتابك الجوابي المؤرخ في ٩ ابلول الذي سررت به جد السرور . وأما سبب تعذر إرسال الكتاب امس فهو انه هو اليوم الذي دخل فيه الزعيم سعد باشا القاهرة فكانت الاعمال فيه معطلة حتى الرسمية وانقطعت فيه مركبات الترام حذراً من استئثار الطلبة وأمثالهم بها وتسييرها حيث شاؤوا بغير أجرة . وأنا لم أنزل من الدار . (الى ان يقول) سرني ما كتبت عن الترك والعرب فنحن ولله الحمد متفقون في جملة الامر وتفصيله (الى ان يقول) وأما مسئلة البطل العربي الكريم محمد بن عبد الكريم فإنني حريص على كتابة شيء يرضيني ونفسي تطالبني بهذا منذ سنتين وألحت عليّ في هذه الايام لتجدد جهاده والحاجة الى الحث على اعانته . ولكن ما أعلمه في المسألة قليل ووقتي أضيق من سم الخياط . وقد اتفق وصول جريدة البيان امس فقصصت مقالتك منها لاجل نشرها ولا تشك في صدقي إذا قلت لك ان ما ذكرته فيها من تفضيله على مصطفى كمال واعدته في هذا الكتاب قد سبق لي مثله بعينه في التنويه به لبعض الاخوان وكنت اريد أن أخبرك بهذا

ثم فاتني قبل إتمام الكتاب والحمد لله على اتفاقنا في جميع المسائل والآراء والسلام ·
اخوك

محمد رشيد رضا

* * *

وله كتاب آخر تاريخه ١٤ ربيع الآخر ١٣٤٢ و٢٢ نوفمبر وهو جواب على كتاب بعثت به اليه من الاستانة اذ كنت فيها أواخر سنة ١٩٢٣· قال:

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم

أنست منذ ثلاث بكتابك المرسل من الاستانة بقدر ما آلمني من الوحشة بطول فترة المكاتبة وسرني ما وعدت به فيه من كتابة مقالين للمنار أحدهما في ملخص ما ينكره البروتستانت على الكاثوليك وثانيهما في رد السيد جمال الدين على رينان — ومن إرسال كتاب المرحوم احمد مختار باشا الذي طال تشوقي اليه (يريد به: سرائر القرآن في تكوين وافناء واعادة الاكوان)·

وقد سألت فيه عن تتمة مقالتك (انتداب العرب على سويسرة) فأقول انها نشرت في الجزء الرابع وقد أرسل اليك في وقته وارسل بعده الخامس والسادس متصلين والسابع والثامن متفرقين ولما نوزع التاسع وفيه جوابك عن استشكالي قولك إن العرب اكتسحوا رومية وما كتبته صحيح ولكن هل يصح أن يسمى اكتساحاً؟ وسيوزع هذا الجزء وهو مطبوع كله مع العاشر الذي بقيت خاتمته وقد طال الزمن عليه وعليها ولم يمر علي زمن كثر فيه العمل كهذا العام ولا سيا هذه الايام·

مقالتك في المحاكمة بيني وبين من حملوا علي في الجرائد السورية

نشرت في جريدة السياسة وأكثر الذين يقرأون مقالاتكم يعرفون انها لكم وان عزوها الى «الكاتب الكبير» كالتصريح باسمكم وقد انكرت منها كلمة واحدة وافقتم فيها انصار فلان في كونه زعيما للعرب يرجى... وما اعهد هذا من رأيكم وقال بعض من قرأها: لعله وافق الخصوم في هذه الكلمة جذباً لهم الى الاذعان لحكمه بعد ان فند كل ما جاؤوا به بالحجج الناهضة التي تدفع الاوهام الباطلة . واحمد الله تعالى انني كنت نقلت عنهم هذا المعنى في حكاية شبهاتهم ورددت عليها في المقالة السابقة من المقالات التي نشرتها في الاهرام على ما اتذكر . ولولا ذلك لصعب علي ان أردها بعد ورودها في مقالتكم التي نصرتموني فيها نصراً مؤزراً ، لا زلتم ناصرين للحق واهله .

جاءنا في هذه الاثناء صديقنا القديم الشيخ الثعالبي فسررنا بلقائه وسيكون عوناً لنا ان شاء الله على بعض اعمالنا الاسلامية التي تشغل جل اوقاتنا في هذه الايام وقد ذكرتم في كتابكم بعض ما ترونه أهلاً له . الخ .

وجاءنا ايضاً رفيقنا في المؤتمر ثم رفيقكم في الوفد احسان بك ووافق مجيئه انتهاء فصل الحر وتجدد نشاط الحركة الوطنية فشرعنا في موالاة الاجتماع وهو يحضر جلساتنا وينوي ان يسافر الى القدس فشرق الاردن . وقد تحقق ايضاً قرب مجيء الملك حسين الى شرقي الاردن لاجل عقد مؤتمر آخر للتشاور مع اولاده ومع زعماء البلاد في الطريقة التي يجب سلوكها في القضية الوطنية سواء عقدت المعاهدة البريطانية العربية ام لم تعقد الخ . اما مؤتمرهم فقد كان مقرراً لاجل وضع خطة لتنفيذ المعاهدة

بالتواطؤ مع اهل سورية وفلسطين . اما وقد فشلوا فيها وخابوا برفض اهل فلسطين لها اولاً وقيام قيامة العالم الاسلامي ثانياً فقصار غرض المؤتمر المذكور الاتفاق مع اهل فلسطين ثم اهل سورية على ما يمكن اقناع الانكليز به من الجمع بين المصلحتين البريطانية والعربية .

ما كتبتموه بشأن الترك مفيد والجرائد هنا تلخص جميع اخبارهم ، ولا سيما « الاهرام » و « الاخبار » وكنت اتوقع ما وقع واكثر منه واني لأعلم ان السواد الاعظم من الشعب التركي يدينون الله تعالى بدين الاسلام وان بعض الملاحدة والمرتابين يرجح المحافظة على الرابطة الاسلامية سياسة لا ديناً . ولكنني أخشى ان تكون كفة ملاحدة الطورانيين ارجح في زعامة الشعب وتبوؤ مقاعد الحكم والاستعانة بذلك على صبغ الناشئة بغير صبغة الاسلام فإن قوة الجند في ايديهم والجند في الترك كل شيء . ولولا غيرتنا على هذا الشعب الاسلامي الكبير ان يفسد دينه هؤلاء المتهوكون لما بالى مثلي بما يعملون ولما كتبت في مباحث الخلافة وغيرها بشأنهم فكل همنا ان ننصر الشعب الاسلامي على ملاحدة المتفرنجين وان زعماء الكماليين منهم كزعماء الاتحاديين وفي مقدمتهم رئيسهم الذي قرب الوقت الذي تظهر فيه حقيقته للعالم الاسلامي (قد ظهرت هذه الحقيقة ولم يبق عند احد فيها شك) الذي فتن به كما فتن بمن كان قبله من زعماء الاتحاديين (قلت : وجه للمقايسة بين هؤلاء الاتحاديين في هذا الموضوع) . وقد اخبرني صاحبنا التونسي ان الانكليز تواطأوا مع الكماليين قبل الصلح في لوزان على إلغاء منصب الخلافة من تركية الجديدة .

(الدعاية) وردت في كتاب النبي (ص) الى هرقل قال « ادعوك

بدعاية الاسلام » كما في كتاب « بدء الوحي » من اول صحيح البخاري وهي كالدعوة الكثيرة الاستعمال في كل ما يدعى اليه فأحببت استعمال الكلمة الطريفة في الدعوة الخاصة بالمذاهب العامة من سياسية ودينية واتبعني بها كثير من الكتاب [1] واما « القداسة » فتسري إليّ من استعمال

(١) نعم قد صار هذا الاستعمال تماماً في معنى ما يسميه الافرنج « بروباغندا » وقد سألت السيد رشيداً عن مصدرها فأجابني بهذا الجواب وسألت غيره من علماء الحديث مثل الاستاذ تقي الدين الهلالي المغربي السجلماسي فأيد كلام السيد رشيد وقد جاء في لسان العرب خبر هذا الكتاب من النبي عليه السلام الى هرقل « أدعوك بدعاية الاسلام » أي بدعوته ولكنه قال بعدها : وفي رواية « بداعية الاسلام » وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة واقتصر صاحب المصباح ولهذا تمسك بعضهم بان دعاية قد تكون خطأ نسخ وان أصلها الدعاوة لا يجوز غيرها وعللوا ذلك بان الفعل واوي وان الدعاية بالياء والحقيقة ان نسخ البخاري لا تعد ولا تحصى فلو كانت الدعاية من خطأ النسخ لكان العلماء أصلحوها ومن المعلوم ان علماء اللغة في المحدثين كحصى البطحاء فليس السيد رشيد رضا وحده بالذي روى ذلك واما كون الفعل واوياً قد يمنع من انقلاب الواو ياء ولذلك امثال كثيرة ؛ جاء في لسان العرب : سنت السانية تسنو سنواً اذا استقت وسناية وسناوة وهو في صيابة قومه وصوابة قومه والنقـاوة والنقـاية من كل شيء والنفاوة والنفاية من كل شيء وهي النفية والنفوة وداهية دهواء ودهياء وله غنم قنوة وقنية وقنوان وقنيان واهل العالية يقولون القصوى واهل نجد يقولون القصية وأثوت به أثاوة وإثاية ورغاية اللبن ورغاوته وجباية الخراج وجباوته وهو بلوُ سفر وبلي سفر وهلم جرا مما لا يحصى ·

المعاصرين ومثلها « الاعدام[1] » بمعنى القتل لا الافناء ومعناها في أصل اللغة افقاد الشيء اذا كانت مصدراً للفعل المتعدي وقد ورد : لا أعدمني الله فضله والعُدم بضم فسكون الفقد وكثر في فقد المال فغلب واعدم اللازم بمعنى افتقر وقد ضاق الوقت عن التطويل وأرجو اتصال المكاتبة والسلام عليك مني وممن لديّ اجمعين .

رشيد

* * *

وله كتاب في ٧ صفر ١٣٤٣ و١٨ سبتمبر ١٩٢٣ وفيه بعض الاجوبة على ما كنت سألته عنه من ذلك مسألة الحجاج اليابنيين الذين وقعت معهم معركة في الطريق وهم سائرون الى بيت الله الحرام فهو يقول ما يلي :

مسألة الحجاج اليابنيين هي صحيحة وانباء الحجاز تكسوها كل يوم ثوباً وقد قيل لي إن سببها ثأر لمن قاتلهم من النجديين عندهم وان عامل ابن سعود في « أبها » نصح لهم بأن يسلكوا طريقاً آخر لا يتحرشون فيه بهم وقيل بل ظنوا أنهم من جماعة ملك الحجاز . وقد كتبت الى سلطان نجد بأن يتلافى الامر بأحسن ما يزيل أثره السيء وجاء في الجوائب الاخيرة انه أرسل وفداً الى اليمن لاجل ذلك ولما يجئني منه شيء

---

(١) كنت دائماً اذا وجدت في كلام السيد لفظة لا اجد لها أصلاً في اللغة اعترض عليه فيها واسأله عن الوجه الذي عنده في هذه اللفظة وكان هو يفعل معي كذلك ، وسنورد جل ما وقع بيننا من المطارحات اللغوية لان فيها فوائد لطلاب العربية .

في هذه الحادثة . وإنني مرسل اليك كتابا جاءني من اليمن [1] ومنه تعلم سوء تأثير الحادثة فيه واهتمام الامام بتخفيف أثرها لما كان قد بدىء به من مقدمات الولاء الذي نسعى له سعيه .

* * *

وكتب إليّ في ١٨ صفر ١٣٤٢

سيدي الاخ الامير

الآن التي إليّ كتابك المرسل من جنيف وامس أرسلنا كتاباً الى الامير ميشال بك بشأن اجتماعكما . وانني بعد قراءة الكتاب وقبل الشروع في الجواب قرأت ورقات من قصة آخر بني سراج فرأيتني اعثر ببعض الكلم والجمل التي عهدتك تتحامى مثلها ولولا ان هذه ترجمة قديمة الفتها لاستبدلت بها غيرها وانني أذكر لك أنموذجاً منها وهو يتعلق بأذيال المعاني والبيان في الاكثر وباصل اللغة في الاقل وبعضها له نظر الى الدين كقولكم في المقدمة :(وهو الزعيم بحسن المآل) فهذا صحيح باللغة ولكن صفة الزعيم لم ترد في الكتاب ولا في السنة صفة لله تعالى وأسماء الله وصفاته توقيفية فاستحسن أن يستبدل بها لفظ المسؤول . وكقولكم (وهم في كل خمسة أيام يقيمون في المسجد الصلاة لاجل رجوع غرناطة الى يد الاسلام) فالذي يظهر لي أنها ترجمة حرفية وان ما يسميه الافرنج بالصلاة

---

(١) أرسل إليّ السيد رشيد جواباً جاءه من الامام يحيي يذكر له فيه حادثة الحجاج هذه وما كان من هياج الناس في اليمن بسببها وانه بذل جهده في التسكين تفادياً لشر اعظم .

في هذا المقام هو ما نسميه بالدعاء وهو من معاني كلمة الصلاة لغة ولكن غلب عليها معنى العبادة المعروفة .

وعثر فهمي في قولكم (بل لم يكن عندهم خارجاً عن أبراج الحمراء ثمار طيبة ولا عيون صافية) فوصف هذه الاشياء بالخروج المنفي عن ابراج الحمراء فيه غموض وخفاء .

ومما قُدم فيه المفعول المطلق على المفعول به بغير مسوّغ قولكم (فانهم كانوا فارقوا فراق الارواح للاجساد ميدان ذلك الجهاد) ويتعين هنا العكس وقد وضعت عليها علامة التقديم والتأخير قبل اذنكم .

ومنه قولكم (شدة الحزن الذي ليس مثله في هذه القوى الانسانية الباطنة) فاستعمال (ليس) هذا الاستعمال الجرائدي أي بحذف اسمها او خبرها مما لم استطع هضمه على كثرة قراءتي له في كلام أكثر كتاب العصر وانزّه قلمكم البليغ عنه فإما أن تقولوا كما قال الله تعالى (ليس كمثله شيء) أو ما يقرب منه وإما ان تأتوا بلا النافية للجنس التي نسيها جميع كتّاب العصر حتى كأنها ليست من اللغة [1] الخ .

* * *

---

(١) كانت ترجمتنا لكتاب آخر بني سراج تأليف شاتوبريان منذ أربعين سنة وراعينا فيه الاصل الافرنسي فوقعت فيه هنات اصاب السيد رشيد في انتقادها فمنها ما كان خطأ ومنها ما لا يصلح إلا بتخريج فعندما أردنا تجديد طبع الكتاب قرأه السيد رشيد فنبه الى تلك الالفاظ والجمل ونحن نعترف بوجاهة كلامه ولكن لفظة الزعيم عن الباري تعالى ليست منفردة بل معلق بها قولنا (بحسن المآل)

وكتب إليّ في ٢٢ شعبان ١٣٤٢

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم

احييك وأهنئك بلقاء الاهل والولد ثم بشهر رمضان ربيع ارواح المؤمنين وإني لفي وحشة وأي وحشة لانقطاع مكتوباتك عني جزاء ما اعترف به من تقصيري الذي اعتذرت عنه من قبل ورجوت ان لا أؤاخذ به وان لا تكون مكاتبتنا كمبايعة التجار هذا وانه لم يأتني مكتوب منك الا وكان له مرجوعٌ مني (الى أن يقول) : جاءني منك جرائد وكتاب مختار باشا رحمه الله وكان هذا يقتضي كتاب شكر ولكنني لم اكن اعتقد انك تبقى في الاستانة ولما طال العهد ورأيت ما تكتب إلى جريدة السياسة نويت أن أأتنف الكتاب اليك لكثرة ما لديّ من الانباء والآراء التي أرى من الواجب عليّ أن أناجيك بها ومنها ما هو موضوع ما كتبت في السياسة وما خصصت به صديقنا الثعالبي واطلعني عليه . وقد كنت شرعت مرة في كتاب اليك لم أستطع إتمامه في ذلك اليوم فجاء محمد شفيع ورسم فوقه رسماً أتلفه به (يعني به ولده محمد شفيعاً وكان وقتئذ طفلاً) ثم قال : اطلعت على كتابك الاخير الى صديقنا الثعالبي وكان أطلعني على كتاب قبله من الاستانة فاستحسن فيه ذهابه الى اليمن وكنت أولى منه بما كتبت اليه فإنه عندما جاء كان وفدي قد ذهب الى اليمن برسالة لو رأيتها ... وقد كان من تأثيرها فشل المفاوضة التي كتبت أنت ١١ كتبت بشأن

و (الصلاة) في كتب اللغة معناها الدعاء وقولنا (لم يكن عندهم خارجاً عن الحمراء) معناه لم يكن في نظرهم الخ ... وقد لبينا طلب الاستاذ وصححنا في الطبعة الثانية ما لزم تصحيحه .

الانكار على ما بلغك من امرها . ولما وصل الوفد كان الكولونل جاكوب ضيفاً عند الامام في الروضة من ضواحي صنعاء وكان والي عدن قد كتب إلى الامام احتجاجات على تعدي رجاله على بعض البلاد المحمية (الى ان يقول) : وكان من فوائد الوفد توثيق المودة بين الامام وبين سلطان نجد وهو ما كنت نجحت في اقناعها به بالمكاتبة . (الى أن يقول) : لو ذهب صاحبنا فلان ومن شاء معه لما كاشفهم الامام بشيء من أسراره وهو لم يثق باخيك الا بعد مكاتبة ١٢ سنة كان البدء بها بعد إرسال رسول اليه أتذكر ان لك علماً بأمره وهو السيد محمد بن عقيل الشهير وكان قد جاء القاهرة لمذاكرتي فيما يجب ان يعمل في اليمن بعد مكاتبة بيني وبينه إذ كان في حضرموت وكلفته أن يذهب مع الوفد وقال إن تذهب أذهب حتماً والا حفظت لي الخيار الى ما بعد الحج وذهب من هنا الى الحجاز فرض — وهو ممراض — واشتد عليه المرض فسافر الى سنغافورة حيث محل تجارته (ثم ذهب الى اليمن وتوفي هناك رحمه الله) . ثم ختم السيد كتابه بأخبار تتعلق بالجمعية التي أسسها لاصلاح الحجاز وانه دعا الثعالبي للدخول فيها وانه كان هو وسيد كامل المحرر في جريدة السياسة من المعوقين للتنفيذ بسبب اقتصارهما على امر واحد في قانونها وهو المؤتمر الاسلامي وانه وقع خلاف ودخل رجل في الجمعية للتوفيق بين الآراء هو عثمان باشا مرتضى وانه سيعلن تأليف الجمعية لان السيد أقنع سعد باشا بها . الخ . .

* * *

وله إليّ كتاب مؤرخ في ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٣ اول يناير ١٩٢٥ :

سيدي الاخ الكبير

أبطأت في الكتاب اليك في هذه المرة بالنسبة الى ما أحب أن أناجيك به لا بالنسبة الى المبادلة في المكتوبات فانه لما يأتني مرجوع كتابي الاخير اليك ولعله لم يصل اليك الا متأخراً الخ . (الى أن يقول عن طبع آخر بني سراج ما يلي) :

أحببت أن أقرأه كله وأكتب اليك بما أرى أن تصححه حتماً أو ترجيحاً أو استحساناً فلما لم أجد فراغاً لذلك شرعنا في الطبع وعملت بإذنك في التصحيح لما لم أر بداً من تصحيحه بل لبعضه وتركت بعض الجمل أو المفردات التي يحتاج الفصل فيها الى مراجعتك أو مراجعة الكتب وهي قليلة لئلا يطول الزمان ولا سيما اذا كانت تحتمل وجوهاً من التأويل على ما كتبت إليَّ في مثلها مما استحسنت تنقيحه بما هو اولى بقواعد علم المعاني منه .

(الى أن يقول): ومن أسباب تأخير الشروع في الطبع أولا أنني كنت أرجو أن تجيء مصر وأن نقرأ القصة معاً ونتذاكر فيما يحسن تصحيحه أو تنقيحه منها وذلك ان عبارتها دون ما يعرفه العلماء والادباء من كتابتك بأنها ترجمة وبأنها من أول العهد بتمرنك على الترجمة على ان اسلوبها الفني هو اسلوبك الكهل في روعته وجماله وبلاغته وابداعه كثيراً من فرائد اللغة وطرائفها وإنما نقف افهام بعض ادباء العصر واذواقهم في بعض المفردات وبعض التراكيب وقد يكون منها ما هو خاص بأذواق أدباء مصر الذين لا ينكرون انه صحيح وانه كان مستعملاً في كتابة

البلغاء بل في كتب الشرع ككلمة «التناكح» لكنهم يستهجنون مثل هذه الكلمة في الرسائل الادبية لان هذا اللفظ صار في عرف بلادهم مرادفاً لاصرح الفاظ الوقاع ٠ وقد كنت عازماً على أن لا أذكر مثالاً لئلا يثير بحثاً وجدالاً نحن في غنى عنه وان إخلاصي في مودتك وحرصي على المحافظة على صيتك الذي أخذته بحق هو الذي حملني على ما كنت لولاهما في غنى عنه ٠الخ ٠٠

ثم انه يذكر لي مسائل متعلقة بمؤتمر الخلافة الذي كان انعقد في مصر تلك السنة كما لا يخفى ٠ وبعد ان لامني على مكاتبة بعض المشتغلين في ذلك المؤتمر على توهم انه من ذوي الشأن فيه قال ما يلي :

اقترحت عليّ أن أكتب الى بعض معارفي في البلاد الجاوية بوجوب إرسال وفد الى مؤتمر الخلافة و كنت قد فعلت وطلبت اكثر من ذلك: طلبت ارسال وفود من الجاويين ومن العرب المقيمين في تلك الجزائر وأكثرهم حضارمة وطلبت عناوين جميع السلاطين والامراء التابعين لهولندة وانكلترة وهي كثيرة ٠ ولكن العرب هنالك مختلفون والسادة والمتشيعون لهم من العرب والجاويين متشائمون من مؤتمر مصر ومنهم من ينوي الاحتجاج على جعل الخلافة بمصر واكثر الجاويين القح يودون ان يكون الخليفة بمكة فهذا اهم كليات آرائهم بالاجمال ٠ ولكن الامر المهم ان رفاقنا أعضاء مجلس ادارة المؤتمر هنا مقصرون في كل ما يجب عليهم من علم وعمل لهذا المشروع ولا أستطيع ان اقول أكثر من هذا[1] ٠

(١) بعد إلغاء تركية للخلافة بادر العقلاء والمفكرون من المسلمين إلى النظر في هذا الموضوع حتى لا يبقى الاسلام بلا خليفة و كان محرر هذه السطور ممن –

وفي خاتمة هذا الكتاب يذكر لي السيد رشيد الناس بعضهم منه التوسط في الصلح بين الملك على بن الحسين الذي كان محصوراً في جدة وبين ابن سعود ولنهم استعجلوه واقترحوا عليه انه إذا كان يرضى أن يدخل في هذه الوساطة يكتب اليهم برقية بكلمة « مقبول » فيستقدمه الملك الى جدة فأجابهم بأن الصلح اذا لم يكن مبنياً على أساس ثابت فلا خير فيه وقد بين الاسباب التي يراها مانعة من عقد صلح متين ٠

***

ومنه لي كتاب مؤرخ في ١٥ يناير سنة ١٩٢٥

سيدي الاخ الامير حياه الله تعالي

أول من أمس القي إلي كتابك المرسل من برلين مؤرخاً برقم واحد

ـ أشار بمعالجة هذه المسألة في مؤتمر إسلامي عام فصادفت هذه الفكره قبولاً في جميع الاندية الاسلامية وبالاختصار نقول ان مؤتمر الخلافة انعقد في مصر سنة ١٣٤٣ وبعد أن تذاكروا ملياً في الموضوع لم يجدوا مملكة اسلامية في هذا الوقت تقدر أن تقوم بشروط الخلافة سوى مصر ولكن الاحتلال الانكليزي وعدم تمتع المملكة المصرية بتمام استقلالها يومئذ جعلا سبيلاً للاعتراض على جعل الخلافة في مصر وكان أكثر المعترضين هم من مسلمي الهند والجاوے ولا نظن نحن الآن بعد زوال المانع المذكور أن جمهور المسلمين يعترض بعد الان جعل الخلافةفي مصر غير أننا أشرنا في مقالة لنا بجريدة كوكب الشرق نشرناها من شهرين أن الأولى بالمسلمين أن يتربصوا ريثما تكون مصر نظمت جيشها البري وقوتيها البحرية والجوية ويكون مضي عدة سنوات على الطور الجديد الذي دخلت فيه ويكون ملكها الشاب قد حقق ما نتوسم فيه الناس من أمائر الخير ٠

من هذا الشهر ولكنه خرج منها في ٦ منه ووصل كتاب قبله باسم الشقيق الخ ... وهنا كلام يتعلق بطبع آخر بني سراج ثم فيه يأتي : وهاك الجواب عن أهم مسائل الكتاب :

(١) ما وصفت من حالك وحالي هو الواقع وهو الواجب أن يكون في الوسائل كالمقاصد ومن صفاتنا المشتركة العامة ان كلاً منا قد حذق المناظرة والجدال ولا ينبغي أن يقع ذلك بيننا وان توخينا اتقاء المراء فيه والانتصار للرأي وتحرينا الحق دون الغلب . وإنما الذي يحسن منا بيان كل ما يجب أن يعرفه اخوه من رأيه بدون اسلوب الرد كما أشرت اليه في كتاب سابق فإن رأى أحدنا ان قلم الآخر قد جمح به بتأثير العادة فدخل في ميدان الجدل والاحتجاج ولو بغير قصد وصارت مجاراته فيه من قبيل المسابقة والمباراة فليمسك كما فعلت في مسألة ما اقترحت تنقيحه من جمل الرواية بما هو أفصح منه وادخل في قواعد المعاني والبيان . فليس كل ما كتبه أخي في الموضوع كان مسلماً عندي بل بعضه — وكذلك ما كتبه في مسألة الحجاز ونجد — فرأيت ألا اعود الى الكلام في غير المسلم لانه ليس من المقاصد التي يضر تركها مبهماً وليس من البديهيات التي يتم الاتفاق عليها بوجيز من القول ومثل هذا لا يسهل إيضاحه إلا بالمشافهة .

(٢) معاهدة ابن سعود مع الانكليز كان أخبرني بها الملك فيصل الذي نشرها في هذه الايام في بعض جرائد العراق وأرسلت نسخ منها الى جرائد سورية ومصر وكنت أشرت اليها في بعض مكتوباتي الى ابن

سعود وقلت له انهم كانوا أحوج اليكم منكم اليهم ولنهم يرضون منكم بما دون تلك القيود التي ظننتم انها لا تضر-كم لانكم تنوون أن يكون لكم علاقة ما بالدول ... ولم يجبني على هذا المعنى ولكنني ذكرت له ان المخرج منها يسهل الان بمخالفتها في ما يحتاج الى المخالفة فيه فتسقط بنفسها إذ لا يمكن أن يترتب على مخالفتها حرب وإنما ينحصر تأثيرها في الاستغناء عما التزموه له اذا هو التزم الوفاء بما عاهد عليه منها . وهو قد خالفها في أمور متعددة منها مهاجمة العراق ثم مهاجمة الحجاز أخيراً ومنها الاتفاق مع إمام اليمن بدون علم منهم والاتفاق قبل ذلك مع الادريسي بما يعد معاهدة مدوّنة[1] .

(٣) اشاعة وعد ابن سعود للانكليز بالاغضاء عن العقبة ومداين صالح ومعان إن هم تركوه يملك الحرمين لم أسمع بها وأجزم بأنه لا أصل لها[2] وإنما رأيت أخانا الامير عادلاً يخشى أن يكون عدم سبق ابن سعود الى احتلال هذه المواقع مبنياً على ما ذكرتم والامير عادل شديد

---

(١) كان الانكليز عقدوا مع ابن سعود وهو بعد في نجد معاهدة خدعوه بها وحملوه على تعهدات تمس في الحقيقة استقلاله الا انه عندما استولى على الحجاز تنبه للامر وعقد معهم معاهدة بحرة التي ألغى بها المعاهدة السابقة و كان السيد رشيد ممن أصر عليه في نقض تلك المعاهدة الخبيثة التي تقدمت فصار بعد ذلك حكمها لغواً ...

(٢) نعم قد أشاع ذلك بعضهم ولعلها من أوضاع الفئة الاخرى و إذا تبدّل الحكم في مملكة من الممالك كثرت الاقاويل ولكن لم يكن لتلك الاراجيف أدنى نصيب من الصحة .

التشاؤم والنقد قلما يظن غير السوء وأنا لم أسمع ما ذكر إلا منه . ان دين ابن سعود وتعصب قومه يحولان دون الاتفاق مع أجنبي على حصاة من أرض الحجاز أولم يبلغك ما كتبه الى نوري شعلان من السماح له بالمقام في الجوف بشرط منع الانكليز من مد سكة حديدية تمر منه إلى العراق والامير عادل قد رأى هذا الكتاب . ثم إن ابن سعود صرح هو وابنه في بعض ما نشرا بمنع الاجانب من الجزيرة .

(٤) أما الاشاعة الثانية وهي وعده لهم بجدة وينبع والعقبة فهي أغرب ولم أسمع بها قط ويظهر أن الدعاية الحجازية لادخال ذلك عليك تفوق الدعاية لغش سائر العالم وحسبك من افتراء القوم عليّ أنا بانني كتبت لابن سعود ما سألتني عنه من انحراف الناس في مصر عنه ... وهو بهتان محض لا أصل له .

(٥) قررت لجنتنا تأجيل المؤتمر وستعرض قرارها على مجلس إدارة الخلافة الذي يعقد بعد غد وقد ضاق الوقت الآن والسلام .

رشيد

* * *

وكتاب تاريخه ١٩ المحرم ١٣٤٣ و٢٠ اغسطس

أخي الكريم ووليي الحميم

السلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد ألقي إليّ كتابك الكريم المؤرخ في أول اغسطس فبادرت إلى إيذان أعضاء اللجنة بوجوب عقد اجتماع خاص لتنفيذ اقتراحك فتيسر ذلك في مساء ١٧ منه إذ كان نجيب بك غائبا قبل ذلك (وهنا كلام يتعلق بطبع بعض الكتب ثم يقول):

كنت عقب فعلة الكماليين بخلافتهم شرعت في كتابة مقالات في الاهرام للتنبيه والتذكير بما يجب أن يعمل إذ رأيت العالم الاسلامي قد اهتم بفعلتهم الاخيرة ما لم يهتم بما قبلها لانه كان يحتمل التأويل من كتابة الجاهلين ثم قَرِفت[1] مما قرأتُ وسمعت فتركت الكتابة أشهراً كثرت مطالبة الناس إياي بالعود الى ما تركت واتمام ما بدأت فلم أجد بدّاً من الاجابة . وفي المقالة السادسة التي نشرت في العدد الذي صدر صباح اليوم نقلت بعض الآراء التي كتبتها إليّ في كتابك المطول وبينت فيها وجه إنكاري على الرأي الذي كتبت اليك انه أبعد تلك الآراء عن الصواب عندي ولم أصرح بعزو المنقول إلى إسمك ولا إلى بعض الالقاب التي اشتهرت بها[2]. وفي نشر تلك الآراء حكمة لا محل

(١) استعمل الاستاذ هنا لفظة «قَرِفت» بمعنى ضجرت وسئمت وهو استعمال عامي لا أصل له في اللغة فالقَرَف بالتحريك مداناة المرض وفي الحديث إن قوماً شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وباء أرضهم فقال لهم : تحولوا فإن من القَرَف التلف . قال ابن الاثير : القَرَف ملابسة الداء ومداناة المرض والتلف الهلاك .

(٢) هذا الرأي كان نقل الخليفة عبد المجيد العثماني الى بلد إسلامي كالحجاز أو اليمن أو جعل مركزه في الموصل بين العرب والاتراك والاكراد على أن تبقى حكومات تلك البلدان كما هي الان ولكن الخليفة يكون خرج من بلاد الاجانب وسكن في بلاد الاسلام فالاستاذ لم يستحسن هذا الرأي لاسباب ذكرها وإنما كنت أنا فيه متابعاً لكثير من المسلمين الذين كانوا يرون عاراً بقاء خليفتهم بالامس حيران تائهاً في بلاد الاجانب لا يقدر أن يطأ بقدمه بلد إسلام .

هنا لشرحها . وإن فيما كتبت مسائل أخرى قد اختلف فيها الفهم والمراد بيننا وأهمها مسألة إمكان نصب خليفة مستجمع للشروط الشرعية ؟ والحق أن ذلك ممكن وإنما علة العلل جهل العالم الاسلامي وتخاذله وعدم وجود هيئة تمثل مراد الشرع من الحل والعقد أو يكون لها نفوذ معنوي يحترمه العالم الاسلامي كاحترام أهل الحل والعقد — انني بينت حقيقة شكل الخلافة لا لأن لي رجاء قوياً بأن يقوم به المسلمون اليوم وقد صرحت في كتاب الخلافة بأنه لا يقدرُ على إقامتها على الوجه الموقت ثم ما بعده إلاّ الترك بحكومتهم الجديدة لاقامة الحجة عليهم وعلى غيرهم ... وكما أنه لا يرجى إقامة الامامة الحق كما يجب لا يرجى إقامة خلافة قريبة منها يعترف بها العالم الاسلامي كله . وسيكون المؤتمر عقيماً إذا لم يجتمع فيه أمثل عقلاء المسلمين المعتدلين من طلاب الإصلاح الديني المدني وقد كان جهل المسلمين حقيقة حكومة الاسلام من أكبر المصائب فسنحت الفرصة لإعلامهم بها والعلم لا تنكر فائدته ولم يكونوا قبل الآن مستعدين لفهم ذلك . والمسألة طويلة الذيل لا يمكن بيانها بالكتابة مهما طالت والسلام عليك من أخيك

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ في ٢٤ ربيع الاول سنة ١٣٤٣

سيدي الاخ الكريم

وصل كتابك المتبسم بظفرنا السياسي والديني في الحجاز ثم قرأت مقالبك

في جريدة (الاهرام) فرأيت فيها ما يخالف رأيي في بعض الآراء وما يخالف ما عندي من العلم اليقيني في بعض الاخبار وتمنيت لو كنت اطلعت على جميع ما كنت نشرته في هذا الموضوع ولأنا أشد تمنياً لو امكن أن تمر بنا في طريقك الى اوربة[1] فاطلعك على ما لا يمكن ان يكتب في الجرائد ولا في الرسائل البريدية مما كتبت الى سلطان نجد وإمام اليمن وما كتبا إليّ لتكون على معرفة وبصيرة تامة من خفايا قضيتنا الكبرى فيكون ما ترتأي وما تقترح بفكرك المنير وقلمك الاعلى في التحرير نتيجة مقدمات يقينية لا خطابية ولا شعرية .

بالغت في مجاملة حسين وانصاره فوضعت الندى في موضع السيف كعادة الشجاع الكريم في وقت الظفر وزكيت ولده علياً بشهادات لا تدل على هذه التزكية وإن فرضنا أن أصحابها عدول وأنا أشهد مع الشاهدين بأن آداب حسين وأولاد حسين كلهم مع الناس ولا سيما الغرباء الذين لا سلطان لهم عليهم آداب جميلة كآداب أرقى الترك في الاستانة — وأعلم مع هذا علماً صحيحاً أن حسيناً لم يترك إيوان كسرويته ولم ينزل عن عرش قيصريته وهو يرجو البقاء فيهما بقوته الهاشمية أو بحماية « العظمة البريطانية » إيثاراً لحقن الدماء وتنزيهاً لحرم الله تعالى ان يلطخه بدم العرب كما لطخه بدم الترك والعرب من قبل . انه لو كان يرجو او يظن انه يمكنه البقاء هنالك وافتداء نفسه بالالوف من الحجازيين وغيرهم لفعل ذلك ضاحكاً مسروراً بلذة الظفر ولذة التشهير بالوهابيين في البدو والحضر . ولكن كل قوته الحربية او جلها كانت في الطائف وفي هدى وهو موضع

---

(١) كنت في مرسين و كان مرادي أن أعود الى جنيف .

بينه وبين عرفات بطريق مكة في شناخيب جبال من معاقل العُصم[١] تعجز عن تسلقه للعز وقد رُفعت اليه المدافع في وقت السلم قطعاً مفككة وهي أحدث المدافع السريعة التي يخرج منها في الدقيقة ٢٥ قذيفة تنفجر في الجو فتقتل الواحدة منها خلقاً كثيراً يديرها ضباط معلمون وجنود يمانون ممرنون وفي كلتا المعركتين ظفر الوهابيون وغنموا ما هنالك من سلاح وعتاد بعد أن فرّ الامير علي ملك جدة اليوم منهزماً منها ثم من مكة الى بحرة ومنها الى جدة بدون قتال لا إيثاراً لحقن الدماء كما زعم من معه في جدة الخ ٠ (ثم ذكر اعمالاً متعلقة بإدارة الملك علي رحمه الله لا نجد لزوماً للكلام عنها لا سيما أن الاستاذ كان في الصف المناوئ لذلك البيت الذي أنصاره يردون كلام الاستاذ حقاً كان أو باطلاً وانـنا في نقل هذه الرسائل الخاصة مضطرون الى حذف كثير منها مما نشره يوغر الصدور بعد أن مضت تلك الحوادث ودخلت في التاريخ الا انا مضطرون ايضاً الى نقل العبارات المتعلقة بالسياسة الاسلامية العامة وان شذّبناها بقدر الامكان وذلك كقوله في هذا الكتـاب نفسه) : وأول عمل سياسي له امره لفلان ٠٠٠ بإمضاء المعاهدة البريطانية العربية التي تجعل للانكليز الطامعين حقوقاً قضائية وسياسية في الحجاز فهل يجوز لاحد يؤمن بالله وبرسوله الذي اوصى في امر الحجاز وسائر جزيرة العرب بما أوصى قبل وفاته بخمسة ايام ان يجعل لهؤلاء ادنى نفوذ او سلطان في الحجاز

(١) رأيت هذه المعاقل بعيني رأسي وصعدت الى أعلى الجبل التي هي فيه ويقال له جبل الهندي وسمعت هناك ان الحامية التي كانت فيها تركتها بدون قتال ٠

ومن مواطن الضعف أن يوصف حسين بالمخلص لقومه الجديد بأن لا ينسوا فضله بأن يرجعوا اليه اذا حزبتهم الخطوب · فإن صح هذا الوصف بضرب من ضروب التأويلات الجدلية فأي خائن أو جانٍ على امته يعجز أن يتأول لنفسه او يتأول له من شاء بمثل ذلك[1] ·

---

(١) كنت في الصف المقاوم للملك حسين قبل الحرب وايام الحرب كما يعلم ذلك الجمهور منتقداً سياسته في الخروج على دولة الخلافة واكثر من هذا في ثقته بالدولة البريطانية وعهودها و كان الملك حسين عفا الله عنه وانصاره من العرب يحملون عليّ حملات شديدة باللسان والقلم و كثيراً ما كتبت جريدة القبلة طعناً وقذفاً بحق كاتب هذه السطور يدل على ما هناك من ضغن ولم يكن بينهم من هو عفّ اللسان بحقي غير الملك فيصل ·و كنت احبه منذ كان زميلاً لي في مجلس الامة بالاستانة وانتهت الحرب العامة وتقاسمت دول الحلفاء البلاد العربية وظهر ما ظهر من نكث الانكليز بعهودهم وبقي الملك حسين عفا الله عنه مستمراً على الوقيعة بي بالرغم من أني عند تأسيس الحكومة المستقلة في دمشق أعلنت وجوب تأييد فيصل والانضواء تحت لوائه وكتبت في الصحف والى أصحابي بأنني كنت ضد الملك حسين وأولاده في خروجهم على الدولة لاسباب يعرفها الخاص والعام ولكن متى صارت المسألة بينهم وبين الاجانب فلا سبيل للتردد في الانتصار لهم لان القضية تكون حينئذ بين عربي وأجنبي · فلما زحف ابن سعود على الحجاز ونشبت الحرب بينه وبين الحسين خفت أن تقع مذابح وتنزل بأهل الحجاز مصائب وان تسيل الدماء في باحة المسجد الحرام فيحتقرنا الاجانب ويشمت بنا أعداء الاسلام فكنت ذلك اليوم من دعاة الصلح بين الحسين وابن سعود وإن كنت في ذات صدري أميل إلى ابن سعود وأحسن رأياً فيه مني في الحسين —

ـ بتأثير ما كان قد سبق من العداوة بيننا فكنت في تلك الاونة أغلب هواي وأدعو الى الصلح بين الملكين لاجل حقن الدماء وكان السواد الاعظم من الامة على هذا الرأي وبينما نحن نترقب توسط المسلمين في الصلح بينهما إذ فاجأت طلائع للوهابيين مدينة الطائف ولم يكن لابن سعود علم بحركتهم وبعملهم فدخلوا البلدة عنوة وذبحوا عدة مئات من أهلها المساكين وقتل من الجملة صديقي الشيخ حسن الشيبي الذي كان زميلي في مجلس الامة في الاستانة كما كان الامير فيصل ابن الحسين وقرأت هذا الخبر وانا في جنيف حيث أنا الآن فارتمضت وأسرعت بالابراق الى بعض أصحابي بفلسطين ليحملوا المجلس الاسلامي الاعلى على التوسط فعلاً بين الملكين حتى يتهادنا ثم تقع الصلح وكان أكثر خوفي هو أن يدخل الوهابيون الى مكة فيقع فيها ما وقع في الطائف وتكون فظيعة شنعاء في تاريخ الاسلام فبادر الحاج امين الحسيني وغيره من رؤساء هذه الامة للتدخل لدى ابن سعود في الصلح حقناً للدماء ، وانهالت البرقيات على جلالة سلطان نجد يومئذ بطلب منع الوهابيين من الفتك باهالي الحجاز وكان السلطان عبد العزيز قبل أن يأتيه النداء من العالم الاسلامي في هذا الموضوع قد تقدم بنفسه وعجل بالاوامر الصارمة الى النجديين فلم يتكرر شيء يشبه حادثة الطائف بل دخل النجديون الى البلد الامين وطافوا بالبيت الحرام بلا سلاح ولم يقع أدنى حادث منكر بفضل حزامة ابن سعود وصرامته .

أما السيد رشيد فكان يرى ضرراً على السياسة الاسلامية ببقاء الحسين أو أحد من آله ملكاً على الحجاز وكان معتقداً ذلك لا يتزحزح عن اعتقاده هذا فلذلك تلقيت منه كتابات كثيرة تتضمن التأنيب لي على ما كنت اكتبه من ـ

الجسر : إننا لا نخطو خطوة إلى الامام ما لم نعطِ كل ذي حق حقه فنسمي المحسن محسناً كما نسمي المسيء مسيئاً وإنما يحسن العفو والمجاملة في الحقوق الشخصية دون القومية والملية . قال لي شيخنا الاستاذ الامام : إنني عفوت عن جميع من أساء إليّ وعاشرت كثيراً منهم وساعدتهم ولكنني لم أستطع ان أصفح عن نفرٍ خانوا الوطن في عهد الفتنة العرابية ولا أن أكلمهم كفلان باشا وفلان باشا . ولما صرتُ عضواً في مجلس شورى القوانين عظم عليّ أن أكون في مجلس برأسه فلان باشا أو يضمني معه مكان فرحمني الله تعالى بموته قبل أن أبتلى بذلك (الى أن يقول الشيخ رشيد):

كتبت هذا الى اخي ووليي في خدمة هذه الامة مقدمة بين يدي اعلامه بأننا نحن العاملين لهذا الانقلاب لا نجيز امارة أحد جربناه (إلى أن يقول) : انني لا أشك في حسن نية أخي فيما كتب ولا أشك في قدرة قلمه البليغ على إبرازه في معارض أخرى من البيان ولكنني أحب أن يعلم أن المسألة لم تبقَ من المسائل النظرية التي نتحاج فيها لنستبين الصواب فنعمل به بل هي مسألة عملية مبنية على حجة يقينية فاذا استحسنها كما نرجو تعاوننا معه على تنفيذها وإذا كانت البينات عنده غير كافية فالمرجو أن لا يكون قلمه الصارم قوة لخصومنا . لا أعني بخصومنا من بقي في وطننا من المغرورين بهؤلاء وهم قليل فنحن لم نبال بهم حين كانوا هم

— قضية الوساطة في الصلح . ومن البديهي ان العداوة الماضية التي كانت بيني وبين الملك حسين وهو جالس على عرشه كانت قد زالت بسقوطه وحل محلها الشعور الذي يحل بكل خصم كريم الطبع إذا رأى خصمه مصاباً . وعند الشدائد تذهب الاحقاد .

الاكثرين وإنما خصومنا هم الاجانب الذين سعوا جد السعي لإيجاد خصوم للوهابيين وانصار للفئة الاخرى يرتفع صوتهم في الجرائد ليكون ذلك وسيلة لتدخل الحكومة البريطانية في مسألة الحجاز بحجة خدمة الاسلام والمسلمين فأظفرنا الله تعالى عليهم وأحبطنا دسائسهم التي لم يتدنس بها كاتب مسلم معروف . أما وقد علمت هذا وما قصصناه من قبل فلا ريب بأن صارمك البتار لن ينبو بعد في جهاده معنا الخ .

ثم إن الاستاذ يذكر في نهاية هذا الكتاب أن أخي عادل وغيره حملوا اصحاب النفوذ في العالم الاسلامي على إقناع ابن سعود بمصالحة علي ابن الحسين لانهم خافوا من وضع جدة تحت الحماية البريطانية فصارت ترسل البرقيات بهذا المعنى ولكن العالم الاسلامي لم يظهر الجنوح الى هذه الدعاية وإنما مال اليها الشيعة في ايران والمحمرة لشدة التباين بينهم وبين الوهابية على ان رجال الجامعة الاسلامية وأعداء السياسة البريطانية في ايران يفضلون سيادة ابن السعود في الحجاز والعرب على سيادة الحسين وأولاده كما يعلم مما علقته جريدة « اتحاد اسلام » على منشور فيصل نجل سلطان نجد وستراه في المنار .

* * *

وكتب إليّ في ٨ ربيع الاول ١٣٤٣

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم

كنت متوقعاً وصول كتاب منك في هذا اليوم فوصل وكنت عازماً على الكتاب اليكم على كل حال على كثرة الاعمال وضيق الليل والنهار عن المهم منها . اما ما في الكتاب للجنة فسنجمعها لاجله واما الخاص بي منه

فكل ما ذكرتموه فيه حق ومعروف عندنا وقد سمعنا اكثر مما سمعتم من الآراء الشاذة الدالة على الشعور المضمر وجميع رفاقنا يعرفون كنه ذلك وقد سبق لي مكتوبات أدليت اليك فيها بشيء منه وكم تحدثنا فيما نقترحه الان وكم هممنا ولم نفعل . واما الان فنحن على باب طور جديد للمسألة العربية عجبت من عدم إلمامك بشيء من حديثه وهو بروز قوة نجد للميدان وزحفها على الحجاز وقد ثبت ان حسيناً سقط مخلوعاً او متنازلاً وان اهالي جدة بايعوا ولده علياً بملك الحجاز وحده ولا بد أن تكونوا علمتم بذلك وسترون بعض التفصيل في الجرائد المصرية — واما الثالث الذي بيني وبينك فلا يتسع الوقت للفكر ولا للكلام في اللغة والادب اللذين هما موضوعه فنعود الى الطور الجديد في المسألة العربية فنقول فيه كلمة وجيزة .

قبل الكلام في الطور الجديد أجيبك عن مسألة الثعالبي بأن ذهابه الى اليمن قطعي وقد كتب من عدن الى صديق له من المغاربة وآخر من فلسطين . ومما كتبه للاول انه لما عرف فلاناً تبين له انني لم اكن مبالغاً في شيء مما كتبته عنه . ومنه انه عرض عليه إمضاء قرار للمؤتمر الاسلامي فأبى وقال ان المؤتمر لن يقرر ذلك ومثله سليمان باشا الباروني .

ثم اجيبك عن مسألة الاحتجاج من بعض اللجان على إخراج جماعة حزب الاستقلال فهذا صحيح ولكن العلة التي ذكرتموها لم تخطر في بال احد منا بل نحن لا نجتمع الا اذا وردت لنا مكتوبات او برقيات منكم ولم يتذكر احد منا فيذكر اللجنة بهذا الاحتجاج . والتقصير في هذا يقع على مندوب حزب الاستقلال معنا وهو اسعد افندي داغر اه .

ثم يذكر الاستاذ شماتة مسلمي مصر والهند بخذلان الملك حسين وما

كتبت عن ذلك الجرائد ويقول انه حصل انقلاب في الرأي العام من جهة الوهابية بعد ان نشر هو مقالات في شأنهم ووزّع الوفاً من « الهدية السنية والتحفة النجدية » وان شيخ الازهر قال له في ملأ من علمائه : جزاك الله خيراً بما أزلت عن الناس من الغمة في أمر الوهابية . وانه قال له ايضاً : ما زلت بملك الحجاز حتى اسقطته عن عرشه . ثم يذكر الاستاذ ان استيلاء ابن سعود على الحجاز هو المشروع الذي تتم به أمنيتنا القديمة في توحيد قوى الجزيرة وإصلاح امرها . ثم يعود الى لومي في مـا قمت به من الدعوة الى الصلح فيقول : انك انت على علو مكانتك في السياسة العامة والعربية خاصة اقترحت على المجلس الاعلى في القدس بأن يسعى للصلح وانا اعتقد اعتقاداً جازماً ان هذه الفرصة للعرب الآن أرجى من الفرصة التي سنحت في اول الحرب الكبرى وأضاعها الملك حسين واولاده الخ .

ولهذا الكتاب ملحق تاريخه ١١ ربيع الاول يقول فيه انه قد قبل الدخول في لجنة مؤتمر الخلافة التي ألفها كبار العلماء وبعض الوجهاء وانه سيعهد اليه بالنظر في دعوة مندوبي الشعوب الاسلامية الى المؤتمر وانه سيعمل برأيي في قبول من كتب منهم الى المؤتمر يطلب الدخول فيه ويقول لي انه سيدعوني قبل كل احد ثم يقول انه دُعي الى لجنة هذا المؤتمر من قبل فلم يقبل لعدم ثقته بقيامهم بأمره والآن يقولون انهم عزموا على الجد الخ . .

* * *

وله كتاب في قضية الخلافة فقدت أوله وإنما وجدت فيه ما يأتي :

الخلافة والاهواء والمؤتمر

يا حسرةً على المسلمين ! ما كنت أدري قبل هذين العامين أنهم وصلوا إلى هذه الهاوية من الجهل واتباع الهوى وأنا الذي سلخت ٢٧ سنة أو اكثر وانا أشكو من جهل علمائهم وفساد امرائهم وغباوة دهمائهم. لنهم لا يزالون يتخبطون في هذه المسئلة تخبط المصروعين وقد هديناهم السبيل وأنرنا لهم الدليل وبعد أن ملأ علماء الازهر أرجاء العالم جهلاً بما بايعوا خليفة الاستانة بالامس وبما قاموا يكفرون حكومة الكماليين اليوم ويدعون الى قتالها لارجاعها عن بغيها على خليفة الرسول وامام الامة بزعمهم بعد هذا وبعد ان كمَّت شيخ الازهر وسكرتير المعاهد الدينية في هذه الفضائح وبعد ان عرفوا هوى عابدين في المسألة اصدروا قرارهم الرسمي باسم هيئة كبار العلماء فقالوا الحق في خلافة عبد المجيد والتزموا الدعوة الى المؤتمر وابعدوا موعد عقده فجعلوه في مثل هذا الشهر من العام القابل وألفوا له لجنة اكثر أعضائها ممن بايعوا عبد المجيد ثم نصروه بعد إخراجه فزعموا ان بيعته لا تزال في أعناق المسلمين ... وقام آخرون منهم ومن غيرهم من أصحاب الاهواء حتى النساء يردون عليهم ويفندون قرارهم ويرمونهم باتباع الهوى وتعددت اللجان الداعية الى المؤتمر. ومن مفتوني طلاب الشهرة فيها الشيخ فلان الذي دخل في لجنة صديقنا فلان. وقد كنا اول من مهد السبيل لهذا العمل فلما رأينا تزاحم الاهواء تركنا لهم الفضاء ولو عقد المؤتمر من أمثالهم لكان يكون شر فضيحة وخزي على المسلمين يسجل عليهم الهوان والضعة في العالمين وانني لم أسمع من أحد ولا عن احد

رأياً صحيحاً في هذه المسألة . ولا تسل عما كان من اهل سوريا وفلسطين في مبايعة الملك حسين الخ .. قد كتبنا الى إمامي اليمن ونجد نسألهما عن رأيهما في المؤتمر والاشتراك فيه . والسلام عليكم وعلى الشيخ الصالح السيد السنوسي أولاً وآخراً .

اخوكم

محمد رشيد

* * *

من هذا المكتوب يفهم انه جاء ني أيام كنت في مدينة مرسين وكان السيد احمد الشريف فيها وفي هذا المكتوب نفسه جملة أخرى تتعلق باحد الزعماء المعروفين في العالم الاسلامي كنت نصحت للسيد رشيد بأن يعتمد عليه فأجابني بما يلي :

انا اعرف الشيخ ... منذ أكثر من ربع قرن فقد كان هناك وقد صحب المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي صحبة لزام . ولعلك تعلم أن لقب « الشيخ » موروث له عن جد له قد اشتهر بالصلاح والولاية وهو من ذلك العهد فصيح اللسان جريء الجنان واسع الحرية ولع بالسياسة الاسلامية لطيف المعاشرة مربع الميل والحكم كثير النقد . لا اتذكر انه وقع بيننا في العشرة الاولى خلاف وقد وقع بيني وبين صديقي وصديقه المرحوم الكواكبي مناقشات شتى بدون أدنى مغاضبة . وقد أنكرت منه هذه المرة بعض الآراء ولم يخلُ لي وجهه في فرصة واسعة لأناظره فيها ولم أكن راضياً بل تألمت من سيرته معنا في مسألة جمعية (السلم العام في بلد الله الحرام) وسأعاتبه عند الخلوة فقد كاد يفسد عليَّ الجمعية التي أعدها اساساً

من أسس الاصلاح الكبرى وأرمي بها إلى مصالح شتى ثم كاد يجعل زمامها بيد غيري ممن لم يفهم ما فهم إلا مني وأنا موقن بأنه لم يفقه أحد ممن دعوتهم إلى هذا الامر كل مرادي منه ولا يوجد فيهم أحد يرجى منه الثبات على الجهاد في سبيله . ثم لم يكتف بما فعل مع صاحبه حتى أباح لنفسه الانفراد بادخال بعض الناس في الجمعية قبل الاتفاق على القانون وخلافاً لما تواطأنا عليه من عدم انفراد أحد بدعوة أحد حتى انه دعا السيد عبد الحميد البكري لقبول الرئاسة الاولى فاستمهله وذكر لي ذلك . وكنت قد ذكرت له خبرها وموضوعها قبل مجيء صاحبك الى مصر . وانني كنت أتمنى لو يكون هو رئيسها لولا ما كان من غلطه بالانتظام في سلك حزب كذا . وقد استخف هو صاحبك بدعوته إياه الى ما لا يملك تنفيذه هذا وإنني انا الذي عرّفت البكري به واقترحت ضمه إلى جمعية الرابطة الشرقية والى حفاوة مجلس ادارتها به . ثم عقدت رابطة المودة الخاصة بينه وبين بعض أعضائها وكان أحظاهم عنده وأعجبهم اليه فلان (وذكر الاستاذ هنا تعريف فلان هذا بما لم نجد لزوماً لذكره هنا الى أن قال): وأصدق أصدقاء هذا الرجل هو الشيخ كذا الذي تخرج في الازهر ثم سافر الى فرنسة فدرس فيها عدة سنين ولهم جمعية خاصة وكثير من الناس يتهمونهم بانهم دعاة إلحاد . وأما انا فلم يقع بيني وبين أحد منهم نزاع ولا خصام بل كان بيني وبين والد الشيخ ... مودة لانه كان من أصدقاء الاستاذ الامام إلا أني رددت عليه رداً شديداً في جريدة كذا في الليلة التي تكلم فيها عن السيد جمال الدين وريتان ففتحت الباب لمن استاؤوا منه فشغلوا الجرائد الكثيرة بالطعن فيه وقد رأيتم ردي عليه في المنار وبلغني انه

قال : انه لم يكتب رد بعقل غيره وهو أديب مهذب جداً لم يقاطعني بسبب هذا الرد . ولكن ذاك قاطعني زمناً بالاعراض وترك السلام والكلام .

أطلت عليك في شؤون هذا الصاحب لأني رأيتك تنوط به الامور العظيمة وما كنت أنوي أن يطول الكلام الى هذا الحد وقد تذكرت الآن انك وعدتني بان ترسل لي رد السيد جمال الدين على رينان مترجماً عن الفرنسية وقد بحث عنه الشيخ مصطفى عبد الرازق وأصحابه ولم يجدوه وأرجو ان توافيني باهم ما سمعته منه من الآراء الاصلاحية والمسائل العلمية فقد قررت جمعية الرابطة الشرقية أن تحتفل احتفالاً آخر بذكرى حياته في يوم وفاته من شهر شوال الآتي وأن أكون أنا الذي يلقي فيه ترجمته ويبين مذهبه في الاصلاح الديني والسياسي وفلسفته ايضاً ذلك بأن الاحتفال الاول كان خاصاً باعضاء الجمعية ولم يحضره إلاّ قليل منهم اه .

* * *

وله إليّ كتاب مؤرخ في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤٣ و ١١ كانون الاول :

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم

وصلت مكتوباتكم المختصر منها والمطول فأما ما أرسل فيها الى اللجنة فقد نسخ وسيترجم وينشر إن شاء الله تعالى وأما ما ذكرتم في أحدها من الرأي في اللجنة ووفد السنة الآتية فالكلام فيه الان غير مفيد فيما

أرى ورأينا فيه متفق كغيره ولله الحمد (وما تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) .

واما ما أطلتم به في الكتاب الاخير في مسألة الحجاز فقد كدنا ندخل به فيما لا يصح دخولنا فيه من الجدال والمراء لتصحيح بعض العبارات أو الآراء التي تعد من اعراض الامر لا من جوهره بل دخلنا في ذلك فعلاً باعادة الكلام في المداراة والمصالح السياسية وحديث أو أثر « إنا لنبش في وجوه قوم » وأمثال ذلك .

انني أرى ان ما بيننا من الاتفاق في الرأي والسعي والقول والعمل في مسألتنا العربية والحجازية ومسألتنا الاسلامية وفروعها من فضل الله علينا ونتمنى مثله لكل واحد من العاملين في امتنا . ثم اننا نحمد الله تعالى على ما من الله به علينا مع ذلك من المحبة والمودة الشخصية وتمني كل منا لاخيه ما يتمنى لنفسه من خير الدنيا والآخرة . ولكننا مع هذا قد تعودنا المناظرات العلمية والادبية والسياسية بما صادفناه من المخالفين لنا والمنكرين علينا ولا أحب ان تقع هذه المناظرات بيننا واعني بها ما يدخل في باب الجدل لتأييد كل رأي نفسه فهذا إن ألجأت اليه الضرورة مع المختلفين في المقاصد فلا يصح أن يكون بين أخوين على مثل ما أشرنا اليه من حالنا . قلت انني أصررت فيما راجعتك به من مسألة برقيتك ومقالك في المسألة الحجازية على تخطئتك او على حملك على الاعتراف بالخطأ . وانني ربما كنت انا المخطئ وربما يكون خطإي أضر من خطئك وطفقت ترد علي ونقيم الحجج على شرعية المداراة وان لم يصح الحديث او الاثر الذي انكرت أنا كونه حديثاً مرفوعاً إلى آخر ما تعلم ولا حاجة إلى

ذكره ولا الى المناقشة في شيء منه حتى الشرعيات كالمصالح المرسلة التي قلت بالاتفاق عليها . ولو قلت في كتاب مثل هذا بغير قولك ربما فهمت انني انا من منكري المصالح في الشريعة كما فهمت من قولي بعدم صحة : «إنا لنبش او نكشر» أني انكر المداراة في الشرع والمصلحة في السياسة .

لا ادخل في شيء من هذا ولست حريصاً على تخطئتك ولا أبرئ نفسي من الخطأ بل يجوز على كل منا الخطأ فيما نختلف فيه وفيما نتفق عليه وكل ما ذكرته من الحجج لما أبرقت به وما كتبته في مسألة البرقية صرّحت لك فيه بأنني لا انكر شيئاً مما ذكرت من حسن النية وصحة القصد كما انني لم انكر عليك ولا على المجلس الاسلامي وجمعيتنا الرابطة الشرقية صيغة ما اقترح من حقن الدماء وإنما وجلت وعاتبت رئيس جمعيتنا أولاً ثم عاتبتك ثانياً ثم عاتبت رئيس المجلس الاسلامي في القدس ثالثاً (وأحمد الله ان الثلاثة من اصدقائي المخلصين) — بما وجلت من وقوعه وهو أن تتجاوب بين ملوك المسلمين وزعمائهم اصوات الانكار على زحف النجديين لانقاذ الحجاز والدعوة الى الصلح بين ملك الحجاز وسلطان نجد فيحبط العمل الذي فتح لنا باباً جديداً من الرجاء في مسألتينا الدينية والقومية . وهو الباب الذي لا ارى امامي غيره وطال الزمان على سعيي له على ما أعلم من احوال الاخوان [1] المنتقدة التي يقل من يعرفها اكثر مني . ولم أكن غافلاً ولا ناسياً في ذلك المسعى مذ سنتين ما تجب مراعاته في الحجاز من إقامة حكومة فيه من اهله ومن اتقاء الاحداث التي يستنكرها العالم الاسلامي وإقامة الادلة الشرعية على الخروج منها — وقد كتبت لابن سعود

---

(١) أي النجديين .

مكتوبات خاصة في هذا الموضوع ونشرت اهم هذه المسائل في المنار حتى ترجيح عدم جواز القتال بمكة ولو للضرورة واذكر منها الان الفتوى الطويلة في وجوب انقاذ الحجاز التي نشرت في الاهرام وفي منار ذي الحجة سنة ١٣٤١ وصرحت فيها بأن هذا المذهب هو الراجح الذي يدين به الله سلطان نجد · ثم انني ارسلت برقية الى سلطان نجد باسم وكيل نقابة الصحف عقب احتلال الطائف لزيادة التذكير والحمل على الجواب ·

وأما ما ذكرتم في مطاوي الكلام من الشؤون المتعلقة بالجامعة الاسلامية فهو حق والخطب فيه أعظم مما أشرتم اليه · وقد ظهر لي مما كابدناه فيه زهاء ثلث قرن ان تيار الالحاد لا يسهل صده بالوسائل العلمية التي جرينا عليها بهذا البطء والضعف وانما يرجى النجاح السريع اذا ابدت الاصلاح الديني دولة أو امارة مستقلة لا سلطان عليها للاجانب ولا للملاحدة وانه إذا تم لنا ما نسعى اليه في الحجاز فاننا نستطيع في سنين قليلة ان نظهر حقيقة الاسلام ونعلق آمال مسلمي الشرق والغرب به ولا يمكن البحث في كتاب وجيز كهذا في وسائل هذا الامر ومقاصده · والمشافهة في امثال هذه المسائل تغني ساعة منها عن كتب كثيرة طويلة عريضة فعسى الله ان يجمع بيننا ·

اقترح مجلس إدارة مؤتمر الخلافة تأليف لجنة للنظر في من يدعى الى المؤتمر ومن يقبل فيه ممن كتبوا الينا وبكتابة صيغة الدعوة فألفت وانا منها ومما أقنعت اعضاءها به دعوة اعضاء المجلس الاسلامي بفلسطين وقد كتب إليّ رئيسه برغبتهم في الاشتراك معنا · ولكن الاحداث الاخيرة

توشك ان تحملنا على تأجيل موعد المؤتمر ولمّا نقرر ذلك والسلام عليك من أخيك

محمد رشيد رضا

* * *

ومما كتبه إليّ ما تاريخه ليلة الجمعة ٥ رجب سنة ١٣٤٣ مساء ٢٩ يناير وهو :

سيدي الاخ الامير

اني ألقي اليّ الكتابان اللذان ارسلت من سويسرة واعيد في اثرهما ما أرسلت أخيراً من كراريس كتابك وانا مشغول عن القراءة والكتابة بأمر الانتقال من الدار التي عرفتها الى دار خير منها في نفسها (وهنا كلام طويل عن الدار الجديدة يقول في آخره ما يلي) : ولا ارى بأساً بمكاشفتك بأني كنت اتوخى في الدار التي أبحث عنها ان يسهل عليك المقام فيها اذا جئت مصر براحة لا يشعر معها بضيق ولا بمضايقة وقد رأيت قبل هذه الدار دارين اوسع منها كنت ارى من محاسنهما انه يمكنك ان تجد في قسم منها ما يكفيك اذا جئت بأهل بيتك ايضاً ولكن لم يكن فيهما مكان يصلح للمطبعة ، واما هذه الدار فتجد لك فيها سعة اذا جئت زائراً إن شاء الله تعالى .

وأما تصحيح أغلاط الكتب فيجب أن يعد منها ضبط (الدبَى) بالفتح والياء لا بالالف كما كتبتها في الاصل . « والبواسل » عندي ان تستبدل ببُسلاء دون بُسَّل لان الجمهور لا يعرفون ضبط هذه إذا لم تضبط بالشكل .

وقد كنت في غنى عن الاستدلال عليها ولا يتيسر لي مراجعة مكانهـا الآن ولا أرى حاجة اليه ولا أستبعد سقوط الكلمة من قلمي ذهولاً عن القاعدة وكون جمع فاعل على فواعل في المذكر سماعياً والفاظه في العاقل معدودة كفوارس ونواكس ونواكص الخ ..

ولكنني راجعت مصراع «في كل شارقةٍ إلمـام بائقةٍ» فاذا هو كالاصل فان كان غلطاً فهو من الطبعة الاولى . وكذلك الجملة التي في صفحة ٩٨ هي كالاصل فاذا كانت خطأ فمن سهوك كما رجحت وما كان لي أن أقدم أو أؤخر في مثل هذا اه ..

* * *

وكان الاستاذ رحمه الله عند طبع «آخر بني سراج» وذيله «خلاصة تاريخ الاندلس» عندما وصل الى القصيدة النونية المشهورة في رثاء الاندلس لابي البقاء صالح بن شريف الرندي اعتمد على كلام بعض المؤلفين وظنها من نظم الشيخ يحيى القرطبي فأضاف اليها أبياتاً فيها ذكر سقوط غرناطة وقال إن الشاعر استنجد بها السلطان سليمان العثماني وطبعت الملزمة طبعاً نهائياً وهي على هذا الشكل فلما وصل اليَّ المطبوع أكبرت ذلك فكتبت اليه بأن القصيدة هي نظم ابي البقاء الرندي الذي مات قبل سقوط غرناطة وقبل السلطان سليمان العثماني وانما زاد بعض الناس فيها زيادات فيها ذكر سقوط غرناطة وبسطة وغيرهما مما أخذه العدو بعد موت صالح بن شريف . قال المقري في نفح الطيب : ومـا اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق به ومن له أدنى ذوق علم ان ما يزيدون فيها من الابيات ليست تقاربها في البلاغة . وغالب ظني ان تلك الزيادة لما أخذت غرناطة وجميع بلاد

الاندلس إذ كان أهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب فكأن بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف زاد فيها بعض الزيادات وقد بينت ذلك في أزهار الرياض ٠ اه ٠

والحاصل انني راجعت السيد رشيداً ورجوته تغيير الملزمة من أصلها على نفقتي حتى لا يكون في الكتاب مثل هذا الغلط التاريخي الفاضح ٠ وهكذا حصل وإنما كتب إليّ وقتئذ ما يلي : بقيت معنا مسألة القصيدة النونية — فأما نسبتها الي الشيخ يحيي القرطبي والزيادة فيها وكونه قصد بها استنجاد السلطان العثماني فهذا شيء ذكره صدّيق حسن خان نوّاب مملكة بهوبال الشهير في كتاب له ومنه نقلنا الزيادة وكنا نسمع بذلك من الصغر إذ كنا نحفظ القصيدة بالتقريب الخ ٠٠

* * *

وكان في أميركا الشمالية كويتب سخيف قليل العلم كثير الدعوى ينتف من هنا وهناك بدون فهم ويتجرأ على القذف بكبار العلماء بل بالصحابة انفسهم ومن جملة من كان يقذف بهم السيد جمال الدين الافغاني والسيد رشيد رضا وغيرهما ممن يقول بالجامعة الاسلامية فأرسلنا إلى السيد بعض قصاصات فيها من سخافات هذا الكويتب ما رأيناه قد يكون تسلية للشيخ رشيد فأجابني عن ذلك بما يلي :

فلان رأيت هذيانه قبل تفضلك بإرسال قصاصاته فإذا هو يكذب عليّ أو يقول بما يراه ببصيرته المظلمة وربما كتب شيئاً صديقنا فؤاد بك سليم [1] الضابط البارع الذي هو من افضل شباننا الخ ٠٠

(١) هو المرحوم فؤاد بك سليم اللبناني من آل معروف كان ضابطاً ممتازاً بالعلم والادب مهذباً يقل نظيره في الضباط وكان بطلاً مغواراً استشهد في مجدل —

وله إليّ كتاب في ١٨ رجب ١٣٤٣ :

سيدي وأخي الامير

كتبت اليك جواباً كافياً في مسألة الاغلاط وفيه كلام وجيز في سائر المسائل . وقد سألت صديقنا أحمد زكي باشا عن النونية فقطع برأيه فيها وهو أنها نظمت قبل سقوط غرناطة .

قد ألمّ بنا في هذه الايام الوفد الهندي الذي كان في جدة ومكث هنا يومين شغلني فيهما عن كل شيء فتركت المطبوعات يلقى الكثير منها في باب الدار الخ .. وأخبار الوفد الهندي الصحيحة التي سمعناها من فم صديقنا الشيخ سليمان الندوي وصاحبيه تؤيد أقوالنا وآراءنا السابقة في أكاذيب . . وقالوا إنه ثبت عندنا ان بعضهم ... طلب من المعتمد الانكليزي بجدة الحماية الرسمية لإخراج ابن السعود منها فأجابه بأن حكومته قد وقفت موقف الحياد في أمر الحجاز ونجد فلا يمكنها التزحزح عنه . قد بلغني ما كتبت إلى أخينا مفتي القدس أخيراً فأثر في نفسه كتأثير كتابك الاول له . فأرجو من غيرتك وحسن اعتقادك بأخيك هذا أن لا تكتب في هذا الموضوع إلا له . وعسى أن يستولي ابن سعود على جدة في هذا الاسبوع ونستريح ... والسلام عليك من أخيك المخلص .

محمد رشيد رضا

* * *

ـ شمس في إحدى معارك الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥ و كانت الرزيئة به عظيمة لا يزال الناس يشعرون بها إلى الآن .

وله كتاب تاريخه ٢٣ شعبان ١٣٤٣ :

سيدي الأخ الامير

أحييك وأهنئك بالعود إلى الاهل والولد بعد طول الامد . ثم أهنئك بشهر رمضان وأسأله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه فيه من صيام وقيام وتلاوة قرآن . أما بعد فقد ألقي إليّ كتابك المرسل من الاستانة وها أناذا أجيبك عن كل مسألة فيه :

(١) سأرسلُ اليك جميع الكراريس المطبوعة وقد كتبت اليك في كتاب سابق اني رجّحت إعادة طبع الكراسة التي فيها القصيدة النونية وفاقاً لرأي أحمد زكي باشا وهو لا يعرف مؤلف كتاب «أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر» وسنسأل عنه تيمور باشا ونور الدين بك مصطفى العضو العامل معنا في المجمع اللغوي وهو خبير واسع الاطلاع على الكتب وفهارسها في الخزائن المشهورة .

(٢) كلمت الوفد الهندي في مسألة اقتراح جمعية الخلافة جعل حكومة الحجاز جمهورية وقلت لهم : إنني اقترحت هذا قبلهم للتفصِّي من مفاسد السلطة الشخصية في تلك البلاد التي لم نرَ أحداً يعتقد أن فيها غير رجل واحد يجرأ أن ينطق بما يعتقد إذا كان مخالفاً لهوى الامير وهو صديقنا الشيخ محمد نصيف المنفي الآن من جدة تحت سيطرة الحسين في العقبة وقلت لهم : لكنني لا اصرّ على هذا الرأي اذا وجدت المصلحة في غيره ويجب أن لا تصر جمعيتكم على ذلك فقال رئيسه السيد الندوي إنها لا تصر وان غرضها هو عين غرضي ولا تظهر المصلحة إلاّ في المؤتمر عندما يتيسر عقده .

(٣) انني موافق لك على ترشيح الشريف علي حيدر لامارة الحجاز ولا أعرف أحداً أليق منه لها ومن الجهة الشخصية أعدُّه صديقاً لي ووقع بيني وبين نجله الشريف عبد المجيد مكاتبة في مسألة ترشيحه ومساعدته ونويت أن أنوِّه به عند سنوح الفرصة المناسبة وإن لم يعجبني كلام نجله في الموضوع لأن روحه ونحواه لا يختلف عن غرور حسين وأولاده وادّعائهم أن الملك هنالك حق شرعي وطبيعي لهم يجب نوطه بهم ولكن اتقاء شرّ هذا الغرور ممكن إذا وُجد مؤتمر إسلامي ذو نفوذ ووضع نظاماً لحكومة الحجاز يعسر على أميره العبث به وهو ما ستعنى به (جمعية السلم العام في بلد الله الحرام) التي نرجو أن نقوم بما يجب في ليالي رمضان · وأعيد القول مع هذا بأن الشريف علي حيدر عندي فوق كل رجل من اللائقين لهذا المنصب وإذا تيسر لنا وضع مشروع لنظام حكومة الحجاز فسأعرضه عليك وعليه للتشاور فيه لان مساعدة جمعيتنا له تتوقف على قبوله لهذا النظام ·

(٤) إنني ما اتهمتك ولن أتهمك بموالاة الحسين فتحتاج إلى تبرئة نفسك من التهمة وإنما أذكرك بما أراه لما تكتبه من رأي منافٍ لما أعتقده من المصلحة التي يتوخاها كل منا ومن ذلك الكتابان اللذان أرسلتها إلى مفتي القدس تشكر له في أحدهما اهتمام مجلسهم الاسلامي بالسعي لحقن الدماء في الحجاز وأن ذلك جعل للمجلس قيمة اجتماعية هو جدير بها وتقترح في الثاني تكليف الفريقين بعقد هدنة بمناسبة قرب موسم الحج وقد ترجح لدى المفتي الشاب من قراءة الكتابين بقاء الملك

علي ملكاً على الحجاز مع اعترافه بأنك فضلت في أولها حيدراً فعليًّا[1] الذي في مصر الخ ...

(٥) عُلم مما تقدم أن مسألة ترشيح الاشخاص ما جاء وقتها لانها تأتي تبعاً للنظام الذي يجب بناؤه على أساس سلطة الجماعة دون الفرد وانني لم أكتب كلمة في ترجيح ابن سعود على غيره في إدارة الحجاز ولا في إطرائه بنحو مما يطري حزب حسين وأولاده علياً الآن كاطرائهم حسيناً بالامس وإنما كررت الثناء عليه بتوطه أمر الحرمين الشريفين بالعالم الاسلامي وهو اقتراحي منذ سنين والحاجة اليه من جهة انه يتعذر معه تدخل النفوذ الاجنبي ولقد أرسل الانكليز المستر فيلبي إلى جدة ليقابل ابن سعود ويفاوضه فيما يريدون من استغلال هذه الفرصة فرفض ابن سعود مقابلته على ما كان بينهما من تعارف وما كان من إظهار فيلبي لمودته والدفاع عنه لدى حكومته وتفضيله على البيت الهاشمي واعتذر عن رفض المقابلة بأن المسألة دينية ومفوضة إلى العالم الإسلامي لا اليه .

(٦) لم يأتني من مفتي القدس ولا عنه ما كتبت اليه بشأن الاشتراك في المؤتمر المكي الذي دعا اليه ابن سعود فقولك انه كان جزاؤك مني اللوم على هذا أيضاً بدلاً من الشكر وتعقيبك على هذا بالحوقلة — هو لوم منك وعتب كان يكون حقاً لو علمت أنا بما ذكرت لي من الاقتراح المذكور ولكن لم يبلغني من موضوع كتابك له إلا ما ذكرته لك أولاً وأعدته هنا . فكل ما كتبته في الصفحة الاخيرة لا

---

(١) أي الشريف علي باشا أمير الحجاز السابق الذي تولى الامارة قبل الحسين .

يعني منه شيء إلا انني صدقت بلاغ المفتي وما أعهد فيه ولا في المبلغ عنه إلا الصدق والصراحة معي . ولكن ظهر لي الآن ان الحرص على المنصب ومداراة الانصار وما دفع حسين من ألوف الجنيهات لعمارة المسجد الاقصى قد جعل الحاج أميناً مخالفاً لنا في ابتغاء المصلحة العامة (إلى أن يقول) : انني كنت كتبت اليه إنذاراً شديداً وشاورت الشيخ اسماعيل[1] في الحملة على المجلس الاعلى فأشار علي بما صرفني عن ذلك والسلام عليك وأدام الله النفع بك ولا زلت ولياً ونصيراً لأخيك .

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إلي سلخ ٢٩ رمضان ١٣٤٣ و٢٣ ابريل :

سيدي الاخ الامير

في أول هذا الاسبوع ألقي إلي كتابك المرسل من مرسين بتاريخ ١٣ رمضان (إلى أن يقول) : أما الملحق (أي كتاب أخبار العصر الذي ألحقناه بتاريخ الاندلس المذيل به آخر بني سراج) فقد سألت أحمد تيمور باشا عن مؤلفه بعد سؤال أحمد زكي باشا فقال انه لم يكتب عليه اسم المؤلف ولا هو يذكر أنه رآه في كتاب آخر .

كتابكم السيامي البليغ للامير علي[2] إن كان لديكم نسخة صحيحة

(١) الحافظ .

(٢) في أثناء الحرب العامة سنة ١٩١٦ شاع في الشام ان الامير علي بن الحسين جاء بعد ثورتهم على الدولة بجيش من العرب إلى ماء الأزرق وذلك لقتال عسكر الدولة فكتبت اليه كتاباً طبعناه ونشرناه في ذلك الوقت أقول له فيه : ماذا ـ

منه فأرسلوها أو أرسلوا ما بقي منه بعد الذي نشر في المنار وما نشر التصحيح الذي أرسلتموه أخيراً بشأن ما نشر منه (الى أن يقول) : إن المودة بيني وبين السيد أمين الحسيني فوق ما استنبطتم وما تظنون ولا أعرف أحداً من إخواننا موافقاً لي في كل آرائي في أمر الحجاز ونجد أكثر منه وقد كان مخالفاً في مسألة بيعة الحسين ولكنه غُلب على أمره وكان الظفر للشيخ المظفر في هذه المسألة دونه . وانما كنت عزمت على مناهضة المجلس في السياسة الحجازية اذا أصرّ على اتباع هذا الرجل فيها لا في المسائل الوطنية ومسألة المسجد الاقصى : فقد كنت وما زلت مساعداً عليها وقد أخبرني من أثق به من الهند انهم كانوا يظنون انها مسألة انكليزية ولم ينتزع هذا الظن ويحملهم على المساعدة الا ما كتبه المنار من نشر دعوتها .

ـ تصنع أيها الامير تقاتلون العرب بالعرب وتسفكون دماء العرب بأيدي العرب حتى تكون نتيجة ذلك إستيلاء الاجانب على بلاد العرب وتقسيمها بين دول الحلفاء وإعطاء فلسطين الى اليهود الخ وأنصح له بالرجوع عن هذه الحركات . ثم ظهر أن الشريف علي الذي جاء بذلك الجيش لم يكن هو الامير علي بن الحسين بل كان الشريف علي الذي هو من أشراف وادي فاطمة ويقال لهم الحُرّث . فجعل الملك حسين رحمه الله هذا الغلط سبباً للرد عليّ واظهار افترائي بزعمه . والحال أن جوهر الموضوع لم يتغير بكون القوة التي جاءت لقتال عسكر الدولة يقودها علي بن الحسين أو علي الذي هو من الاشراف الحرث بل المقصود هو أن حركة الاشراف في قتال الدولة وقتئذٍ كنت أراها من جملة الحركات المساعدة على تقسيم بلاد العرب بين دول الحلفاء وعلى إعطاء فلسطين الى اليهود . وأظن أن مآل كتابي هذا قد تحقق كما لا يخفى على كل ذي عينين .

وفي آخر هذا المكتوب يقول : عليَّ اليوم واجبات كثيرة لا يمكن تأخيرها بعضها للدار وبعضها للمطبعة وبعضها لمساعدة بعض الاخوان ومنها قراءة أكثر من ثلث القرآن لاتمام الختمة الاخيرة واسأله تعالى أن يجعل هذا العيد مباركاً علينا وعليكم وعلى امتنا الاسلامية ودمتم لاخيكم المخلص ؟

رشيد

* * *

ومنه كتاب مطول إليَّ تاريخه ٦ ذي القعدة ١٣٤٣ أكثره يتعلق بمباحث لغوية وهو :

صديقي الامير

وصلني كتابك المؤرخ في ٧ شوال وكل ما فيه أو أكثره مؤاخذة بعض التعليقات على كتابكم الذي تم بحمد الله وانما بقي الفهرس الذي وضعته ونسيت أن تبين أرقام مواده ولا فائدة بدونها وقد وضعت واعطي الفهرس للمطبعة . وأرسلت قبله جدولاً في أغلاط الطبع وقد قلت انها كثيرة او ليست بقليلة ولو لم يكن فيه غيرها لكانت قليلة بالنسبة الى أغلاط أكثر المطبوعات العربية ولكن كل ما لم يذكر أو جله سواء منه ما فطنتم له وما لم تفطنوا له هو مما يدرك بالبداهة ولا يحتاج الى التنبيه على أن فيما كتبتموه من الاغلاط ما هو غلط في الاصل (أي في الطبعة الاولى) كتصحيحك : استلم ويستلم بتسلم وبتسلم وهو مكرر في الكتاب وهو مما كنت وضعت عليه في الاصل خطاً أزرق اللون وسأذكر لك غيره مما فطنت له لكونه من الاصل . ومنه ما ذكرته لك في كتاب

سابق عن التقديم والتأخير في صفحة ٩٨ الذي لو لم يكن من الاصل لكان أكبر غلطة يتعذر معرفة سببها فان كثيراً من غلط الطبع في تقديم كلمة على أخرى يحصل من سقوط بعض الكلمات عند فك صفحات الملزمة بعد تصحيحها ووضعها في الطوق لاجل طبعها فيعيد المرتب ما سقط فيخطئ فيه بالتقديم والتأخير في أوائل الاسطر وأواخرها ويندر ان يكون الساقط عدة كلمات ٠ ومما صححتموه وكان غلطاً في الاصل تعدية التفتيش « بعلى » من ص ٤٥ فجعلتموه « بعن » وانما عرفته لانه من جملة ما كنت وضعت عليه علامة في ص ٣٣ من الاصل ولم اغيره لاحتمال وروده في لغة ولو شاذة ولعله مما اخرته للمراجعة ثم نسيته فجمع وطبع كأصله ومثله « عزائمهم » بالجمع في ص ١٢٥ وهو بالمفرد ومنه (نقل) في ص ١٣٤ وصوابها بالفاء (أي نفل) ولكنكم كنتم صححتموها بقلمكم في الاصل تصحيحاً طمست فيه الفاء طمساً فبقيت كالقاف ٠ ومثلها في هذا كلمة « نجدي » في ص ٥٥ وصوابها « نجري » بالراء ٠ ومنها كلمة « بيننا » في ص ١٥١ وصوابها « مبيتنا » ٠ كل هذا من الغلط أو شبه الغلط في الطبعة الاولى واعني بشبه الغلط ما صححتموه بالقلم فطمس ٠

ومما أخطأتم في تصحيحه كلمة من قصيدة في ص ٨٥ كانت في الاصل « مقلاة » وطبعت « مغلاة » فصححتموها « مقلال » والصواب « مقلات » بالتاء المفتوحة وصاحب القصيدة اقتبس الشطر من البيت المشهور :

بغاث الطير أكثرها فراخاً　　　　وام الصقر مقلات نزور [1]

---

(١) البيت لكثير ولسان العرب لا يقطع بذلك بل يقول لكثير أو غيره ٠ واما المقلات فهي التي لا يعيش لها ولد وقد أقلتت ٠ وقيل هي التي تلد واحداً ـ

وكنت أحفظ البيت : أكثرها نتاجاً . ثم رأيته في كتب اللغة فراخاً ومنه كلمتان بالهاء غير المنقوطة لانها ضمير فنقطتموهما .

طال بي الاستطراد في مسألة غلط الطبع فكان من فوائده تذكيركم بعسر تصحيح الكلام العربي والتوسل به لذكر ما كان من أمره وأمر المطبعة في تصحيح كتابكم لتعلموا اننا بذلنا فيه جهداً لم يتيسر ما هو فوقه في العهد الذي طبع فيه وهو عهد الاستعداد للنقلة ثم الاشتغال بأثقالها عدة أشهر (إلى أن يقول) : إن الغلط الذي في الاصل نوعان : الاول مطبعي ظاهر ومثاله : « ذيل جررناه عن الاندلس » وصوابه « على الاندلس » ومنه « سبعة عشرة خلت » وصوابه « سبع عشرة » ومنه « عبئ جيشه » وصوابه « عبأ » ومنه « الثأرة » وصوابها « الثائرة » ، يحتمل أن يكون منه « فاقتدى في » وان يكون من النوع الآخر لاننا معشر السوريين نكثر من وضع (في) موضع الباء الجارة حتى في ما لا يشتركان فيه ولا يقع أحدهما موقع الآخر . وكذا « كادوا علي كيدهم » وصوابه : كادوا لي . قال تعالى : (فيكيدوا لك كيداً) ومثلها « وشرع بالحديث » وهي تقابل ما قبل كلمة الكيد ونسيت أن أذكرها قبلها .

النوع الثاني ما هو من الاصل وسببه في الاكثر كثرة استعمال المعاصرين وهو قسمان أحدهما المفردات والثاني الجمل والاساليب . فمن المفردات قولكم الخطر المحيق (هذه وقعت سهواً) والصواب في مثله الثلاثي كقوله تعالى :

ـ ثم لا تلد بعد ذلك وكذلك الناقة ولا يقال ذلك للرجل . وقيل هو أن تلد واحداً ثم تقلت رحمها فلا تحمل وأنشد :

وجدي بها وجد مقلات بواحدها   وليس يقوى محب فوق ما أجد

(وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون) وقوله : (ولا يحيق المكر السيءُ إلا بأهله) ويعدّى حاق بالهمزة فيقال : حاق به السوء وأحاق الله به .

ويشبهها قولكم ضجة مهولة «وإنما يقال هاله الامر أو الخطب وفي الاساس : أمر هائل وهوّل عندي الامر جعله هائلاً . نعم في مجازه : مكان مهول . أي فيه هول اه ولا يظهر مثله في وصف الضجة وانما صححت مثل هذا مع علمي باحتجاجكم أو إمكانه بمثل «مكان مهول»[1] .

ومنها قولكم : (إنّ هذا النبأ عظيم) وهنا غيرت الموصوف فقلت : (الخطب عظيم) لان النبأ خاص بالكلام وليس المقام مقام كلام بل مقام وصف ابن سراج لأرقه وذله .

ومنها (ارتياد المعاشيب) والتعاشيب نص في مرادكم فانها النبذ المتفرقة من العشب وأظن أن هذه من غلط الطبع وإلا فهي من سبق القلم والاول

---

(١) كلا لم نجز لفظة مهول لاجل قولهم مكان مهول بل لورود مهول في الكلام العربي جاء في لسان العرب : وهول هائل ومهول وكرهها بعضهم وقد جاء في الشعر الفصيح وقال :

ومهولٍ من المناهل وحشٍ ذي عراقيث آجن مدفان

وتفسير المهول أي فيه هول والعرب إذا كان الشيء (هوُلة) أخرجوه على فاعل مثل دارع ذي الدرع وإن كان فيه أو عليه أخرجوه على مفعول كقولك : مجنون فيه ذاك ومدبون عليه ذاك اه وقد قال بديع الزمان الهمذاني لابي بكر الخوارزمي في المناقشة التي جرت بينهما مرتجلاً :

أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول

وبديع الزمان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه .

أرجح فإن الكلمة من الفرائد غير المستعملة عند ضعفاء الكتاب الذين جنوا على جهابذتهم (إنما كتبتها تعاشبب وأردت أن أحيي بها كلمة فصيحة مجهولة تقريباً عند ضعفاء الكتاب) .

ومثلها في رجحان كونها من تحريف الطبع (أفنائم إذاً هؤلاء الاسبانيول) جعلتها (أفنيام)[1] .

الثاني الجمل والاساليب . وما استنكرته من هذا القسم أكثر من غيره . وقد كاشفتكم بشيء منه من قبل الشروع في الطبع فعلمتم مما رجعتم إليَّ من القول فيه ان بعض ما هو قطعي عندي أو قريب من القطعي مما يترجح أو يمكن ان يكون موضع بحث وجدال طويل عندكم فصححت ما رجحت أو جزمت باستحسانكم لتصحيحه إن لم يكن لاعتقادكم بأنه خطأ أو غير فصيح فلاعتقادكم بأن بدله صحيح فصيح أو انه أفصح وأذكر بعض الامثلة على هذا القسم غير مرتبة :

---

(١) اما كون أفنائم من غلط الطبع وصوابه أفنائمون أو أفنيام فهو ظاهر . ويظهر أن الاستاذ كان يجيز قولنا « هؤلاء الاسبانيول » بخلاف العلامة اللغوي الشهير الاب أنستاس الكرملي فقد انتقد في كتاب خاص الينا قولنا « الاسبانيول والفرنسيس » وما اشبه ذلك ونحن أجبناه بأننا نراه جائزاً حملاً على غيره من أمثاله قال سيبويه في الجزء الثاني من الكتاب صفحة ٢٧ ما يلي : وأما قولهم اليهود والمجوس فإنما أدخلوا الالف واللام هنا كما أدخلوها في المجوسي واليهودي لانهم أرادوا اليهوديين والمجوسيين ولكنهم حذفوا ياءي الاضافة وشبهوا ذلك بقولهم زنجي وزنج إذا ادخلوا الالف واللام على هذا فكأنك ادخلتها على يهوديين ومجوسيين وحذفوا ياءي الإضافة وأشباه ذلك فإن أخرجت اللام والالف من المجوس صار نكرة كما انك لو أخرجتها من المجوسيين صار نكرة .

(١) قولكم « وسرت الفلك بريح طيبة » استبدلت به « وجرت الفلك به بريح طيبة » ووجهه أن السرى خاص بما كان في الليل ولا محل لهذا التخصيص وان ما ذكرته موافق لقوله تعالى : (وجرين بهم بريح طيبة) وقد خطر ببالي أنكم أردتم استعمال أسلوب القرآن فلم تذكروا الآية . وقد راجعت استاذنا مرة في كلمة كتبها في مقالات الاسلام والنصرانية مخالفة لاستعمال القرآن وهي صواب في نفسها و كانت المراجعة كتابية فكتب إليّ بأن أصححها أو أغيرها وعلل ذلك بأنه لا يحب مخالفة أسلوب القرآن « ولو الى صواب » والكلمة المذكورة « نصح له » او « وهب له » لا أتذكر أيهما الآن .

(٢) مثل « وما هو ذلك القصر » وهذا مما يكثر في كلام المعاصرين وهو مأخوذ من اصطلاح المناطقة في السؤال عن ماهية الشيء وكلمة الماهية مشتقة منه وهو من اصطلاحهم وقلدهم كثيرون والضمير فيه (هو لا حاجة اليه ولا مرجع له) والمدققون من الكتاب ومصححي الانشاء في وزارة المعارف يتحامونه ويرمجون الضمير مما يصححون . وفي الكتاب العزيز : « قال فرعون وما رب العالمين »[١] .

---

(١) لا شك ان القاعدة هي ما قال ولكن ليس بخطأ ان يقال « ما هو ذلك القصر » وما في ضربه . وقد ورد كثيراً في كلامهم وذكر سيبويه ان هذه الضمائر : أنت وأنا ونحن وهو وهي وهم وهن وأنتن وهما وأنتما وأنتم تأتي وصفاً للمضمر المجرور والمنصوب والمرفوع وذلك قولك مررت بك أنت ورأيتك انت وانطلقت انت وليس وصفاً بمنزلة الطويل اذا قلت مررت بزيد الطويل ولكنه بمنزلة نفسه اذا قلت مررت به نفسه وأتاني هو نفسه ورأيته هو نفسه وانما تريد بهن ما تريد بالنفس اذا قلت مررت به هو (الى أن يقول) : وأعلم ان هذا المضمر يجوز ان ـ

(٣) قولك « ولذلك فإن بقايا آبائه » وفيه ان ما بعد الفاء لا يعمل

ـ يكون بدلاً من المظهر وليس بمنزلته في ان يكون وصفاً له لان الوصف تابع للاسم مثل قولك رأيت عبدالله ابا زيد فاما البدل فمنفرد كأنك قلت زيداً رأيت او رأيت زيداً ثم قلت اياه رأيت وكذا انت وهو واخواتها في الرفع . واورد سيبويه قوله تعالى « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » وقال : صارت « هو » ههنا بمنزلة ما اذا كانت لغواً في انها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل ان تذكر واعلم انها تكون في إنّ واخواتها فصلاً وفي الابتداء ولكن ما بعدها مرفوع لانه مرفوع قبل ان تذكر الفصل (قال) : واعلم ان « هو » لا يحسن ان تكون فصلاً حتى يكون ما بعدها معرفة او ما اشبه المعرفة مما طال ولم تدخله الالف واللام (قال) : وقد جعل ناس كثير من العرب « هو » واخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ وما بعده مبني عليه فمن ذلك انه بلغنا ان رؤبة كان يقول اظن زيداً هو خير منك وناس كثير من العرب يقولون (وما ظلمناهم ولكن هم كانوا الظالمون) وكان ابو عمرو يقول : إن كان لهو العاقل . ثم يقول سيبويه ان « هو واخواتها » يكون بمنزلة اسم مبتدأ وذلك قولك ما اظن احد خير منك وما اجعل رجلاً هو اكرم منك فلم يجعلوه فصلاً وقبله نكرة كما انه لا يكون وصفاً ولا بدلاً لنكرة وكما ان كلهم واجمعين لا يكرران على نكرة فاستثقلوا ان يجعلوها فصلاً في النكرة كما جعلوها في المعرفة لانها معرفة فلم تصر فصلاً اذاً لمعرفة كما لم تكن وصفاً ولا بدلاً إلاّ لمعرفة اهـ .

وقد جاء في مغني اللبيب لابن هشام ان « ما » نكرة متضمنة معنى الحرف وان « ما » الاستفهامية معناها : اي شيء نحو ماهي ؟ ما لونها ؟ وما تلك بيمينك ؟ قال موسى : ما جئتم به السحر وذلك على قراءة ابي عمرو وآلسحر بمد الالف فما

فيما قبلها وان الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة اليه في أكثر هذه الاستعمالات التي كثرت جداً في اسلوب المعاصرين غير المدققين والوجه في الجمع بينهما تقديم الفاء كأن يقال : فلذلك كان كذا [1] .

(٤) كلمة « فضلاً عن كذا » في مقام الاثبات وقد تكرر في كلامكم

— مبتدأ والجملة بعدها خبر وآلسحر إما بدل من ما ولها قرن بالاستفهام وكأنه قيل آلسحر جئتم به وإما تقدير أهو السحر او السحر هو ويقويه قراءة عبدالله ما جئتم به سحر . إذاً لو قيل ما هو السحر مثلاً « فما » مبتدأ والجملة بعدها خبر والسحر بدل من ما . وقد سألت عن هذا الاعتراض العلامة السيد تقي الدين الهلالي السجلماسي فاستغرب وقال لا اظن ان السيد رشيداً يمنع جوازه كما انه لم يتبين لي ان الجملة منافية للبلاغة وقال : ما هو ذلك القصر . الضمير يعود على القصر وان كان متقدماً لفظاً فهو متأخر رتبة لان « ذلك » مبتدأ والقصر بدل وجملة « ما هو » خبر ووجب تقديمها من اجل ما الاستفهامية .

(١) ان هذا الاستعمال وارد من القديم حتى في كلام سيبويه نفسه في الكتاب صفحة ٣٩٠ من الجزء الاول يقول : فعلى هذا فأجر ذا الباب . وفي الجزء الاول ايضاً صفحة ١٨٩ : فعلى هذا فقس المعرفة . وفي الجزء الثاني صفحة ٩٧ : فكذلك فقس هذه الاشياء . وفي صفحة ١٦٧ : فعلى هذا فقس هذا النحو . ومثله ما لا يحصى في كلام أئمة اللغة قديماً وحديثاً وابن هشام وهو من هو في النحو يقول في الصفحة الخامسة من الجزء الثاني من مغني اللبيب الذي عليه حاشية الامير : وعلى هذا فلا يصح استئناف ما الخ . وقال في الآية الكريمة (وما بكم من نعمة فمن الله) الارجح أنها موصولة وان الفاء داخلة على الخبر لا شرطية والفاء داخلة على الجواب اه . . وقال الله تعالى : (والذين كفروا فتعساً لهم) .

لانه صار من الاستعمال المألوف عند العلماء منذ قرون ولكن المتقدمين قلما كانوا يستعملونه الا بعد النفي لما لهم من التخريج النحوي له مع تصريح بعضهم بانه ليس من كلام العرب . فتقدير الكلام في « فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار » انه فقد ملك درهم فقداً فاضلاً وزائداً عن فقد ملك دينار الخ . ولا بد أن تكونوا قد اطلعتم على هذا ونسيتموه ولا سيما عند الاستعمال فجريتم فيه على ما تقرأون دائماً في الكتب والجرائد وكم وقعت انا وغيري في مثل هذا . ومنه قولكم في كون المسلمين أحوج من النصارى إلى الماء « لانه فضلاً عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء » فبمَ تنصب كلمة فضلاً هنا ؟ واستعمال (يلزمهم) هنا بمعنى يحتاجون اليه مما لا اعرف له أصلاً في اللغة وانما هو عصري حديث ولكن لا ادري متى كان استعماله ولعلكم تعرفون له اصلاً فانني لم أراجع عنه باستقصاء . ومنه قولكم في وصف غناء ادماء : « وتجود بكل نغمة يترنح لها الجلمود فضلا عن كون الموسيقى الاسبانية في طبيعتها ما اشتملت عليه من كذا وكذا تفعل كذا وكذا » فيجوز ان تكونوا اطلعتم على تخريج يرضيكم لمثل هذا الاستعمال ويجوز ايضاً ان تكونوا قد اطلعتم على نص فيه لم نطلع عليه نحن ولا مثل ابي حيان الاندلسي الذي بحث ما لم نبحث . ولكن ما اظن انه يسخطكم تغيير هذا الاستعمال انا وامثالي مما لا تنكرونه بدليل انكم قرأتموه ولم تعدوه خطأ . على انني لا اتذكر اني غيرت هذا الاستعمال في كل مكان وانما عرفت هذين الموضعين لانهما مما كنت وضعت عليه علامات الاستنكار [1].

---

(١) ان استعمال (فضلا عن كذا بمعنى زيادة عن كذا مستفيض في كلام

(٥) يقرب من هذا الاستعمال مثال قولكم (ولكن كأني بهذا الطريق بدلا عن ان يزداد بهم حركة وانساً ازداد وحشة ووحدة) وقولكم (ولكن

ـ المؤلفين والكتاب من زمن قديم كما يعلمه كل من تتبع كلام القوم وان كنا لم نعرف متى بدأ هذا الاستعمال ؟ وقول ابي حيان الاندلسي انه ليس من كلام العرب لا يدل على عدم جوازه لاننا لو نفضنا كلام المؤلفين من بعد الاسلام الى اليوم لوجدنا فيه ما لا يحصى من الاستعمالات التي لم يكن يعرفها العرب ليس في الامور العلمية والفنية والمواضيع الفلسفية فحسب بل في الامور المعتادة الاجتماعية ايضاً : فقد استعمل العرب بعد الاسلام جملاً والفاظاً لا يأخذها الاحصاء . لو نشر عرب الجاهلية والقيت على أسماعهم لم يفهموها ولا عرفوا المراد منها حتى انهم قالوا ان بدوياً سئل عن القلم فلم يفهم معناه فقيل له : ماذا تتصور من كلمة القلم فقال : اتصور انه شيء يقطع او يقلم ولا أقدر ان افهم شيئا وراء ذلك . وبقي العرب بعد الاسلام بكثير يتحامون كثيراً من الاصطلاحات قال سيبويه في باب الجموع : إعلم انه ليس كل مصدر يجمع كالاشغال والعقول والحلوم والالباب ألا ترى انك لا تجمع الفكر والعلم والنظر . اه . فتأمل الان لغة عربية لا يجوز فيها جمع العلم والفكر والنظر . . والحال انه لا يكاد الكاتب ينمق بضعة اسطار حتى يضطر الى ذكر العلوم والافكار والانظار وهي مستفيضة في النظم والنثر فقولهم (فضلا عن هذا) زيادة على هذا لان الفضل هو زيادة ، قد رأيت في بعض كتب المتقدمين قوله : فضلاً عن كذا وزائداً على كذا . نعم ان اكثر استعمال فضلا عن كذا يجيء بعد نفي ولكن قولهم ان ذلك في الاكثر صريح بأنه قد يجيء ايضاً بعد ايجاب . والسيد رشيد رحمه الله قبل ان كتب الينا هذا الاعتراض قرأ ما جاء في « المصباح » فانه يقول : لا يملك درهما فضلا عن دينار وشبهه معناه لا يملك درهماً ولا ديناراً وعدم ملكه للدينار ـ

وأسفاه بدلاً من قرع الطبول لم يكن حول ابن حامد إلاّ السكوت التام) فيقف الذهن هنا في (بدلاً) المنصوبة حتى يجيء ما بعدها فيلتمس لها ناصباً بالتقدير في الكلام . وبتأخيرها معا يتعلق بها يزول هذا التعقيد. ومن الخطأ في الجملة الاولى وضع (عن) مكان (من) والمنقول (بدلٌ منه) كما في الجملة الثانية وربما كانت الاولى من غلط الطبع والمعاصرون يستعملونها .

ـ اولى بالانتفاء وكأنه قال لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً وانتصابه على المصدر والتقدير فقد ملك درهم فقداً بفضل عن فقد دينار . وقال قطب الدين الشيرازي في شرح للفتاح : اعلم ان فضلاً يستعمل في موضع يستبعد فيه الادنى ويراد به استحالة ما فوقه ولهذا يقع بين كلامين متغايري المعنى واكثر استعماله أن يجيء بعد نفي . وقال شيخنا ابو حيان الاندلسي نزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى : ولم أظفر بنص على أن هذا التركيب من كلام العرب وبسط القول في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم اه .

وقد نقل الزبيدي في شرح القاموس ما ورد في المصباح عن قضية (فضلاً عنه) أما سؤال الاستاذ عن إعراب فضلاً في قولي (لانه فضلا عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فأجيب بأنه منصوب على المصدر مثل قولهم لايملك درهماً فضلاً عن دينار وتخريجه ان الماء يلزم المسلمين لاجل الوضوء لزوماً فاضلاً عن لزومه للشرب . اما استعمال (يلزمه) (ويلزم له) فهو أيضاً مستفيض اكثر من استفاضة الاول ومعنى لزم ثبت ودام وكأنهم لحظوا ان ما يحتاج اليه الانسان بصورة دائمة يعد من الامور اللازمة أي التي يحتاج اليها الانسان لزاماً فصار هذا الاصطلاح يفيد معنى الاحتياج ولولم يكن كذلك في الاصل . وقد سألت العلامة السيد تقي الدين الهلالي المتقدم الذكر عن جملة « لانه فضلاً عن الشراب يلزمهم ـ

(٦) ومثله فيما قدم وحقه التأخير قولكم (وأسلحته تزيد رونقاً وجلالاً صباحة وجهه) فصباحة وجهه مفعول أول ورونقاً مفعول ثانٍ وتقديمه خلاف الاصل فلا ينبغي إلاّ لضرورة شعر أو نكتة من نكت المعاني . وأنا اعتقد انك اذا لم توافقني الان على هذا فعلّتهُ انك ألفت قراءة هذه الرواية لانها من أوائل ترجمتك . بل اعتقد انك لولا هذه الالفة لصححت منها عند قراءتها الاخيرة ألفاظاً وجملاً كثيرة مما لا نراك تستعمله الآن . واعيد التذكير بان المراد تصحيح ما ينافي الفصاحة والبلاغة لا ما ينافي قواعد الاعراب ومفردات اللغة فقط .

(٧) قولك ثم تحفزا وتواثبا الواحد على الآخر . ولا يغرب عنك ان معنى تواثبا : وثب أحدهما على الآخر . فلا حاجة معها الى قولك : الواحد على الآخر .

(٨) ومثله (وصاروا يتظاهرون بعضهم على بعض) وهو ما يسمونه لغة البراغيث والفصيح يتظاهر بعضهم على بعض .

لاجل الوضوء» فأجاب : الذي يظهر لي أن هذا جائز وان نصبه على المفعولية المطلقة كما ذكرتم سائغ (قال) : وبدا لي وجه آخر في نصبه وهو أن يكون حالا بمعنى فاضلاً من فاعل يلزم وتقديم الحال جائز قال ابن مالك :

والحال إن ينصب بفعل صرفا أو صفة اشبهت المصرّفا

فجائز تقديمه وهو هنا كذلك فان (يلزم) فعل متصرف واما كون المصدر حالا فكثير قال ابن مالك :

ومصدر منكرٍ حالا يقع بكثرة كبغتةٍ زيد طلع

وفي ذلك خلاف معروف .

(٩) وأبعد منها عن الفصاحة بل عن الصواب قولك وبقيت سرايا الفريقين تتردد الى غزو بعضها بعضاً فانه من عدوى الجرائد وأمثالها من مكتوبات المعاصرين التي لا تقبلها لغة البراغيث ويتجنبها من دونك من الكتاب المتأنقين ٠

(١٠) وأتذكر ان مما تكرر وهو لا يرضيك الان مثل (نحو ثلاثمائة) بإضافة نحو الى العدد والمنقول عن الفصحاء (نحو من كذا) فان وجد نقل للاول فلا اذكره ولا أجد وقتاً للمراجعة الطويلة وحسبي من القصيرة اقتصار اساس البلاغة على قوله : وعنده نحو من مائة رجل[1]٠

(١) متفق على ان الافصح ان يقال (نحو من كذا) ولكن ليس بغلط ان قيل نحو كذا وقد رأيت هذا الاستعمال في كتاب سيبويه وليس مرة واحدة فقد جاء في الجزء الثاني صفحة ٢٣٥ من طبعة الكتاب في باريز ما يلي: وقالوا نظير كما قالوا وسيم فبنوه بناء ما هو نحوه في المعنى ٠وجاء في صفحة ٢٣٦ من الجزء الثاني : وما كان من الصغر والكبر فهو نحو من هذا وجاء في صفحة ٣٣٥ :وقالوا ضخم ولم يقولوا ضخيم كما قالوا عظيم ثم قال في الصفحة التي تليها : وقد يبنون الاسم على فَعْل وذلك نحو ضخم وفخم وعبل وجهماه ٠ثم يقول : فهذا يدلك على انه نحو الطويل والقصير ٠ إذاً يجوز الوجهان ووضع (من) بعد (نحو) هو أولى ٠ وسألت صاحبنا السيد الهلالي وهو الغاية البعيدة في النحو واللغة عن هذه المسألة فقال لي : نعم الافصح العربي الخالص (نحو من ثلاثمائة) ٠واما المؤلفون من عهد سيبويه الى الان والشعراء فانهم اكثروا من ذلك٠والنحو من معانيه المثل كما هنا فلا اشكال في جوازه ٠اه

وسألته ايضاً عن بقية اعتراضات السيد رشيد رحمه الله فقال :«بدلاً من —

(١١) قولك : وكانت المقبرة عبارة عن روضة معروشة من النارنج والسرو والنخيل . كلمة (عبارة) خاصة بالكلام واستعملها كثير من علمائنا في تفسير بعض الكلم أو تعريف بعض الاصطلاحات اللفظية وانكر هذا بعض اخواننا من نظار المدارس في احدى جلسات المجمع اللغوي فصوّبت كلامه في مثل هذا الاستعمال الذي يكثر في الجرائد وامثالها فقط . وفي العبارة ايضاً ان المعروش من الشجر والنجم ما كان كالدوالي وغير المعروش ما كان كالسرو والنخيل وهو ما حققناه في تفسير : « جنات معروشات وغير معروشات » .

(١٢) قولك : ان يصلح ذات البين بين الفرسان . الوجه ان يقال : ذات

ـ قرع الطبول الخ » يظهر لي ان السيد انما اعترض هنا من جهة البلاغة وكان يدقق فيها كثيراً واما الجواز فلا اراه ينكره وامر ذلك سهل إذ لا يخلو انسان ان يوجد في كلامه خلاف الاولى من جهة البلاغة . (قال) : واصلحته تزيد رونقاً وجلالاً صباحة وجهه » هذا الاعتراض ايضاً من جهة البلاغة بلا شك ويظهر لي ان الصواب فيه مع السيد رشيد لان ركاكته بادية ولست امنعه وما اجبتم به فيه ان استجلاب الفكر لصباحة الوجه أهم واولى . (قال) : « وبقيت سرايا الفريقين تتردد الى غزو بعضها بعضاً » جائز وليس هو من لغة الجرائد لان لغة الجرائد ولغة عامة مصر ان يقال مثلاً : « وبقيت السرايا تتردد على غزو بعضها » نعم لا تخلو تلك العبارة من ركة ولو قيل : « وبقيت السرايا يغزو بعضها بعضاً » كما قال تعالى : (وتركنا بعضهم يموج في بعض) لكان اولى . اه

تقدم لنا كلام في اننا ترجمنا هذا الكلام ترجمة عن الافرنسية من اربعين سنة وراعينا فيه الترجمة الحرفية .

بين الفرسان بالاضافة فقط كما قال تعالى : « واصلحوا ذات بينكم » ·

(١٣) قولك في حثّ البغال وزجرها « بان يناديها تارة يا جيدة يا مربعة او أن يزجرها طوراً بقوله عدس » لا حاجة هنا (لأو) ولا (لأن) فالمقام مقام الواو وحدها ·

هذا بعض ما بذلت من الاجتهاد في تصحيح كتاب أجلّ أصدقائي فضلاً وأدباً ووطنية وخدمة للامة من طريقي المساعي السياسية ونفثات اليراع لم أذكره إلاّ شفيعاً بين يدي اعتذاري عما ذكّرني وعاتبني عليه من تعليق بعض الحواشي بعبارة تشعر باني لم أتق في بعضها ما يخل بمقامه العلمي والادبي فأقول أولاً انني لا أنكر أني تعودت التعليق على بعض ما ينشر في المنار لا على كله · ثانياً : لا أنكر أن بعض ما اعلقه — وكذا ما اكتبه ابتداء — قد يكون خطأ · فأما إنكارك ما أقول فيه : لعلّ أصله كذا وهو من غلط الطبع الظاهر في المتن — فلا أراه صواباً لان وجهة نظري فيه ان نقله بنصه أمانة وان قولي : لعلّ أصله كذا أقصد به انني أرجح ان أصل الكاتب صحيح وان الخطأ من الطبع إن كان مطبوعاً ومن النسخ ان كان مخطوطاً · ولا أتذكر اني تعمدت إظهار التخطئة إلاّ في مقام المناظرة فان وقع مني ما يدل على خلاف ذلك دلالة قطعية فلا شك عندي انه من سوء التعبير لا من سوء النية · والتعاليق على المطبوعات من مصححي المطابع معهود مألوف ·

وأما حواشي ابن مراج خاصة فأكثرها قد وضعته بحكم العادة ولم أفطن لكون الكتاب لغيرك الا في آخره وفي ذيله الذي طبع اكثره

قبل ورود كتابكم هذا[1]. هذا ما أقوله في جملتها واما التفصيل فأقول فيه ما يأتي :

(١) كان من عادة الاستاذ إذا جاءته كتابة فنشرها في المنار أن يضع عليها تعليقات من عنده في ما يراه خطأ في المتن ولما طبعنا « آخر بني سراج » تحت إشرافه فعل ذلك معنا كما كانت عادته إلا أنه كان لنا على الكتاب تعليقات من قلمنا فنظراً لكون الاستاذ لم يضع إشارة تفرق بين تعليقاته هو وتعليقاتنا نحن اختلط الحابل بالنابل فنبهناه الى ذلك فعاد وصار يضع اشارة تفيد ان التعليق منه لا منا والتزمنا أن نضع تنبيهاً في أول الكتاب هو هذا :

انه لما كان هذا الكتاب قد انطبع بمطبعة المنار بمصر وكنا نحن بمكان والمطبعة بمكان رجونا حضرة الاستاذ العلامة صاحب المنار أن يشرف على طبع الكتاب ويتولى تصحيح مسوداته — وهل يفتى ومالك في المدينة — فعلق الاستاذ أثناء تصحيح المسودات بعض ملاحظات عنت له ومنها ما هو شبه اعتراض على المتن ولما كان بعض هذه الملاحظات غير معلم عليها بامضائه فخشيت أن يختلط الحابل بالنابل وجب التنبيه على الحواشي التي علقها الاستاذ فهي الواردة في صفحات ٨ و٢٧ و٦٣ و٦٥ و١١٣ و١١٦ و١١٧ و١١٩ و١٩٠ و٣٤٧ والحاشية الثانية من ص ٧٣ والاولى من ص ٣٧٥ وسائر حواشيه معزوة الى مصحح الطبع وما بقي من الحواشي فهو من قلم مؤلف الكتاب شكيب ارسلان .

فكتب الاستاذ تحت هذا التنبيه اعتذاراً قال فيه : اننا لم نقصد الاعتراض بما ذكر على أمير البيان بل جرى به القلم كعادته لزيادة الفائدة كمطلع سينية أبي تمام ذكرنا نص الديوان المطبوع ولا نجزم بأنه الصواب لكثرة غلط الديوان وكالاستدراك في مسألة الجوهري والبرامكة فما في المتن لا ينافيه وكذلك حاشية القدر في ص ٣٦١ وأما حاشية ص ٣٦٧ ففيها حمل كلام المتن على أصل بليغ

(١) مصراع بيت أبي تمام قصدت به أن هذا ربما كان رواية وكان يجب أن أصرح بذلك وأعزوه إلى مصحح الطبع كما فعلت أخيراً ولكن لم أفطن لذلك وأنا فيه مخطئ . وكان خطر في بالي بعد أن فطنت لتعدد هذا أن أشاوركم في التنبيه والتصريح به في آخر الكتاب فسبقتم إلى ذلك فتلقيته بالقبول وديوان أبي تمام كثير الغلط .

(٢) الاستدراك على مسألة أخذ اللغة عن الجوهري لا يشعر انه مما يخفى على مثلكم وهو مما يعرفه من نعظمهم إن قلنا إنهم دونكم . وإنما الاستدراك زيادة فائدة كاستدراك الحاكم على صحيحي البخاري ومسلم وهو دونهما باتفاق علماء الحديث . وسبب استدراكي أنني أنا وسائر محبي العرب والعربية يتألمون من الدعوى الباطلة التي أذيعت بان أكثر رجال العلم العربي من الاعاجم حتى اللغة نفسها فجعلت الاستدراك شفاء لألم من يقرأ هذا الكتاب . ووالله لم يخطر ببالي انه ربما يكون من لوازمه اتهامك بأنك لا تعرف من كتب قبله من العرب كالخليل وبعده وهم كثيرون فكيف أقول انني جعلتك « ظاناً ان اللغة كلها اخذت عن صحاح الجوهري ومما لا اجهله ان اللغة كلها ليست فيه » . ومثلها مسألة البرامكة .

(٣) لم يبقَ بعد هذه المسائل إلا كلمة « لعله تخافه » في تصحيح تخلف . وأتذكر ان سبب توقفي في عدها من أغلاط الطبع هو أنني رأيتها في وقت ضيق بعمل كثير فأردت ان أعود الى التأمل فيها فلم يتفق لي ذلك .

فثبت بكل ما تقدم جميعه أو مجموعه انني لم اكن لاحرص كل هذا.

— مع مخالفة ظاهرة لمورد الحديث .

رشيد رضا

الحرص على تصحيح كتابكم من كل غلط مطبعي وغير مطبعي ثم أعمد إلى موضعين أو ثلاثة مواضع من غلط الطبع فأعلق تصحيحه بحاشية أقصد بها إيهام قارئيه انها خطأ أصلي وأتعمد تعليق حاشيتين أو ثلاث استدراكاً على عبارات فيه لمثل هذا الإيهام !!

لو ثبت هذا عليَّ لكنت مجرداً من أفضل حسنة أرجو بهـا الزلفى عند الله تعالى بعد الايمان وهي حسن النية والاخلاص في كل قول وعمل . ومن أفضل حسنة أرجو بها ثبات مودة الاخوان الذين تجمعني بهم صلة العلم والادب والعمل للملة والامة وأنت عندي في الذروة من الجامعين لها . وان اتهامي بذلك اتهام بضد ما أنا عليه لا بما أنا بريء منه فقط فوالله لم أقصد بإضاعة وقتي الذي هو أضيق من سم الخياط على عملي الا الحرص على سمعتك الحالية في علم الادب التي نلتها بحق أن يتناولهـا المدققون في تحرّي صحيح اللغة وفصيحها في هذه الايام فيضعوها في ميزان النقد بهفوات وقعت منك في أول عهدك بالانشاء والترجمة أيام كان أكثر ما يستعمل في الكتب وهو غير مخالف للقواعد النحوية والصرفية مقبولاً عند الجمهور وهم اليوم يخطؤون أشهر العلماء المتقدمين في مسائل كثيرة .

وما جريت معك في هذا إلا على الطريقة التي استقمت عليها في معاملة شيخنا الاستاذ الامام في عهده وبعد عهده فقد كنت أراجعه في حالة القرب بما أرى أن يحتاج إلى إصلاح لفظي أو معنوي من كلامه فيسر بذلك جد السرور ويعمل به و كنت أصحح في حالة البعد ما أقطع بأن تغييره أولى . وقد علقت على رسالة التوحيد حواشي لا تخلو من تخطئة للاصل وقد أذن لي بتصحيح خطابه الذي ألقاه في تونس بعد ان

طبع فيها مصححاً بقلمه ولم يبالِ ان يرى علماء تونس وادباؤها ان ما طبع في المنار أصح مما طبع عندهم فقد كانت هذه المعاملة من أستاذنا الاكبر في الانشاء وعلوم البلاغة سبباً في تمكن تلك العادة التي أشار اليها سيدي الامير واعترفنا له مع ذلك بالحق فيما انتقده منها . وأرجو ان يكون لانتقادنا تأثير عملي يقف بالتساهل فيها عند حد فانني أن أعد مسيئاً فيما أردت به الاحسان كما وقع لي معه في مسائل أخرى حرصت فيها على إبدائه بما عندي فيها من رأي ورواية وخُبر وخَبر لنكون متفقين فيها وسواء في معرفة قوادمها وخوافيها فاتهمني فيها بأنني اتهمته بما اضطررت بعد طول الجدال أن أقسم له يميناً مؤكدة بأنني لم أقصد اتهامه ولا ظننت ذلك فيه بل أعتقد انه على خلافه .

(إلى أن يقول) : هذا — واذا كنت أقصد بهذا الكتاب « تصفية حساب » تلك المجادلات التي أكرهها واتحاماها مع الاخوان وقد وقعت فيها على توقع لها — فانني لا بد من ذكر كلمة في المسألتين اللتين ذكرت انني أخطأت فيهما الحق في حواشي المنار لا لأبرئ نفسي من الخطأ بل لأريك أن جزمك هذا فيه نظر ومجال للبحث في الاولى وانك أقرب الى الخطأ في الاخرى بل انا المصيب فيهما جميعاً .

(الاولى مسئلة ارتيابي في اكتساح العرب لرومية واكتساحها) الكسح والاكتساح هو الكنس والثاني أبلغ من الاول ويستعملان مجازاً فيما استعملتم فيه الاكتساح ولا أزال أرى استعمالكم له في غير محله وأرى تعليقي عليه في محله . ومما أجبتم به عنه هو حجة لي عليكم لا لكم عليّ على انني لم أجزم بتخطئتكم في تلك الحاشية وإنما وقفت معكم موقف

السائل لكم المعترف لكم بأنكم أعلم منه بالتاريخ وذكركم للمسئلة في سياق مكتوبكم الاخير يسلكها في الحواشي التي أدل بها وأظهر تجهيل الناس بها على كوني مخطئاً فيها . قال في شرح القاموس وبعض قوله من المتن : ومن المجاز أغاروا عليهم فاكتسحوهم أي اخذوا مالهم كله . ويقال اتينا على بني فلان فاكتسحنا مالهم أي لم نبق لهم شيئاً اه . فهو يقول يا سيدي ان ما كتبته في الجواب ونشرناه في (ج ٩ م ٢٤) نص في ان العرب فتحوا رومية واكتسحوها ؟ انك صرحت بانك لم تدع انهم فتحوها ولكنك لم تثبت انهم اكتسحوها فما ذكرت عنهم ليس اكتساحاً فان أصررت بعد هذا على انه يسمى اكتساحاً فانا نحكم في المسألة اشهر علماء اللغة والتاريخ بمصر ونرضى بحكمهم (كأحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا) .

(المسألة الثانية) قولك إن كلمة الفيلق « وردت بالتذكير أيضاً في فقه اللغة للثعالبي عند تقسيمه درجات الجيوش » تعني انني أخطأت في جعلها مؤنثة لانها وردت بالوجهين وقد راجعت فقه اللغة فلم أرَ فيه وصفها بالتذكير ولا بالتأنيث وإنما ذكرها مع الالفاظ المرادفة للجيش والالفاظ المتفقة في المعنى لا يجب أن تكون كلها مذكرة او مؤنثة ولو وجب هذا لكان حكماً منها بتذكيرها فقط ومخالفته لجميع رواة اللغة الذين نقلت اقوالهم في المعاجم والمخصص على أن جعله إياها بمعنى الجيش والجحفل وهو قوله : من الف الى اربعة آلاف ودون الكتيبة مخالف لاقوال بعض أئمة اللغة ككثير من حدوده . ففي المخصص بعد ذكر المِقْنَب والاختلاف في انه الف ومئة أو مئتان أو اكثر ما نصه : فاذا كثروا فهي الفيلق . ابن دريد :

الفيلق الكثيرة السلاح أو هي الشديدة · ابو عبيد الفيلق اسم للكتيبة اه
ويؤخذ من لسان العرب وغيره تأنيث الفيلق لانه اسم للكتيبة أي على
رواية ابي عبيد — او لانه وصف للداهية الشديدة فقد نقل انهم قالوا
كتيبة فيلق اي شديدة وانه تشبيه لها بالداهية كما قالوا امرأة فيلق ، وفي
مستدرك التاج : والفيلق كصيقل الداهية والامر العجب ورماهم بفيلق
شهباء اي كتيبة منكرة ، وبلي فلان بامرأة فيلق اي داهية منكرة
صخابة · وجملة القول ان كلمة فيلق قد اتفقوا على تأنيثها واختلفوا في تحديد
معناها لان العرب لم تكن تحدد مثل هذه الالفاظ بالعدد · وتفسير بعضهم
لها بالجيش وهو العسكر الكثير لا يتضمن جواز تذكيرها لانهم اوردوا
لها شاهداً من كلام العرب ذكرت فيه مؤنثة · وهب بعد هذا انه جائز
وانا عثرنا على رواية شاذة تؤيد الجواز أيعد هذا مخرجاً لمن اطلق قول
الجمهور من كونه محقاً والمقام مقام ما يستعمله فصحاء الكتاب لا مقام
تحرير ما ورد من الروايات في الكلمة ؟

بعد هذا كله اعترف تكراراً بأنني أخطئ كثيراً فيما اكتب وان
بعض ما اخطئ فيه عن جهل وبعضه عن ذهول ونسيان لما انتقده على علم
وبعضه من سبق القلم ولم اقرأ لاحد من كتاب هذا العصر حتى المشهورين
منهم بالتدقيق والنقد كاليازجي كلاماً كثيراً سالماً من الغلط · وان من
حسن حظ الانسان ان يوجد له اخوان ينصحون له ببيان ما يرونه خطأ
من كلامه · وقد سررت جد السرور لما كتبتم إليّ تلك الكلمات التي
قلتم انكم تجدونها او وجدتموها في كلامي وهي مما تتجنبون استعماله
« كالواسطة » « والخزينة » واجيبكم بما اراه صواباً منهن كالخزينة وما

جاريت فيه العلماء كالواسطة — وقد رأيتها في كلامكم أيضاً — وما لا أعرف له أصلاً ولا استعمالاً للعلماء المتقدمين ولا أتذكر الان ما هو واستحسن أن يتكرر هذا بيننا بمثل ما بدا من الانصاف في العلم وعدم اتهام أحد منا لاخيه بالحط من قدره والانتصاب للمدافعة عن نفسه ولو بالتأويل والاحتمال والتماس المخرج ولو بشواذ الاقوال وهو ما وقعنا فيه أخيراً حتى انك اخذت تماريني في حديث مما اشتهر على الالسنة ذكرت لك القول الفصل فيه وفي بعض المسائل الدينية كما يوصف الله تعالى به وما لا يوصف وفي استعمال لفظ الصلاة بمعنى الدعاء كما يستعملها النصارى — فسكتُّ عن تفصيل القول فيه لكراهتي لمثل ذلك ولا سيما مع الاخوان كما ذكرت في هذا الكتاب وفي غيره من قبل ولأن الشرح فيه يطول ولا يستحق ان يضاع فيه الوقت وهو ضار غير نافع . وما كتبت هذا الان الا لما ذكرت من تصفية الحساب فيما رأيتك فيه تعيد الماضي كمسألة اكتساح العرب لرومية التي أقررت لك في المنار بفضل بيانها بعد أن صرحت عند إيرادها بانك أعلم مني بالتاريخ وإنما أشرت بلطف خفي الى أن جوابك لي لم يظهر منه ان ما أوردته يصح ان يسمى اكتساحاً فلم تكتف بذلك .

وأختم هذا البحث بأن لك الحق كل الحق في انتقادك وضع الحواشي على كتاب « هو لك لا لي » وبانني لا أعود الى مثل ذلك فيما هو لي اذا تفضلت عليَّ بكتابة شيء فيه وهو المنار الذي أرجو أن يكون دائماً موضع عطفك ومساعدتك ومظهر علمك وأدبك وأرجو ان أكون أحسن حظاً في هذا الكتاب على ثقله وجدله وطوله مني في غيره فانال به ما

أطلبه من حفظ المودة وثباتها ونمائها بالاخلاص التام لا بمجرد المجاملة التي تقتضيها المظاهر كما هو شأن أكثر الناس .

ياحبُّ ليلى لا تغيَّر وازدد　　　وانم كما ينمي الخضاب في اليد

(إلى أن يقول) :

التعريف بكتاب اخبار العصر وبالمواسيم السلطانية الاربعة

لما أرسلتم هذين الاثرين التاريخيين أرسلتم معهما مقدمة لهما للتعريف بهما فوضعتها معهما ولم أقرأها لضيق الوقت عن قراءة شيء قبل الحاجة اليه فلما حان وقت طبعها لم أرَ معها شيئاً وكنت نسيت المقدمة فطبعا بدونها وفي أثناء طبعها ورد كتابك فتذكرت المقدمة واضطررنا الى جعلها خاتمة ولولا ذلك النسيان لما وضعت سطر التنبيه في آخر ديباجة الكتاب . وكنت عازماً على إرسالها اليك قبل جمع حروف الفهرس وتصحيح الخطأ لتفهرسها وتصححها ثم رأيت ان هذا يقتضي تأخير إصدار الكتاب بدون فائدة . والفهرسة لها سهلة وتصحيح غلط الطبع إنما يكون بمقابلة الاصل وهو عندنا وما كان فيها من غلط أصلي بالعربية فقد ترك على حاله لان النقل أمانة وقد تأخر جمع حروف الفهرس وجدول التصحيح لان الارقام التي في المطبعة كانت مشغولة بفهرس آخر للمنار وكان لدينا فهرس ثالث وجدول تصحيح لكتاب من كتب ابن سعود ثم طبعه من عهد بعيد فأخرناهما .

وأذكر على سبيل الاستطراد انك تكتب كلمة فهرست الفارسية مع ورود كلمة فهرس في معاجمنا واشتقاقهم منها فهرس الكتاب يفهرسه وتصريح بعضهم بانها معرب فهرست .

بدأت بهذا الكتاب منذ أيام فطال فوق ما كنت قدرت وجاء في هذه المدة كتابان منك لي وآخران للسيد عاصم وقد سررت بوجود الآلة النفيسة الرخيصة وكتبت الى وكيل الرجل المحتاج اليها بأن يبلغه خبرها ٠

وكتابك الاخير للسيد عاصم تتمنى فيه لو يكذب ظن من أساء الظن بالناس قد بلونا بانفسنا منهم مثل ما ظنه ٠ ونحن موقنون لا ظانون ومع هذا نتمنى مثلك لو يكذب ظنه لما في كذبه من الفائدة والمنفعة لمن نحبها لهم ومن توبة بعض المسيئين وصلاح حالهم ٠ وإنما ذكرت هذا لاكاشفك بما وقع في نفسي عندما قرأ السيد عاصم تمنيك هذا قلت في نفسي : سبحان الله إن هذا الصديق يغلب حسن الظن على سوئه فيمن لا يعرف من الناس ويتأول لهم أو يدافع عنهم ويناضل دونهم إن أمكن ثم هو يسيء الظن في أخلص الناس له وأعرفهم بقدره وأحرصهم على رفعة ذكره — وبهذه المكاشفة قد انتهى العتاب ٠ وأسأل الله تعالى ان لا يقع بيننا بعد هذا ما يثير ظنة أو يحدث ريبا في حسن النية وإن اختلف الرأي في بعض المسائل على انه لن يكون إن شاء الله تعالى إلا في الوسائل وقد اعتاد كل منا احترام آراء المستقلين حتى فيمن نخالفهم في السياسة والادب والدين وان يوفقنا دائما للتعاون على البر والتقوى وخدمة أمتنا البائسة المسكينة ويقر أعيننا برؤية ثمرة خدمتنا وان يهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ويجعلنا للمتقين إماما ٠

محمد رشيد رضا

***

وله إليّ كتاب تاريخه ٩ صفر ١٣٤٤ و١٨ اغسطس :

سيدي الاخ الامير

وصلت مكتوباتك من مصر ومطوّل وأطول وآخرها ما كتب قبل سفرك بساعتين وهو مبني على بلاغ كاذب وصل اليك من مصر بشأن لجنة المؤتمر السوري الفلسطيني وكنت أنتظر إتمام ما شرعنا فيه من خدمتك وتنفيذ رغباتك في كتاب حاضر العالم الاسلامي ومجموع الكتب الاندلسية من الرواية وذبولها واذنابها الطاووسية (إلى أن يقول) :

واما لجنة المؤتمر السوري الفلسطيني فقد كانت قليلة وادعة الحركة ضعيفة النشاط الى يوم الاربعاء الماضي فقد ظهر في الجلسة التي عقدت في مسائه حركة جديدة ذكر فيها وجوب ارسال وفد الى جنيف وكان المنتظر قبله الاكتفاء بإرسال مذكرة أو نداء الى جمعية الامم . وكنت أرجو أن أوفق لاقناع اللجنة بارسال ذلك اليك . وكان سبب هذه الحركة الجديدة انباء البلاد الاخيرة ووصول تعليمات تفصيلية عن حالة البلاد العامة ارسلها حزب الشعب من دمشق لتودع في مذكرة اللجنة أو ندائها كما كان الحزب قد وعد . وقد ظهر تلك الليلة من الامير ميشيل الميل الى السفر ولم يكن ذلك منتظراً لان اخويه كليهما مسافران وقد قرب موسم القطن وبلغ عليّ رفاقنا بأن أسافر معه لاجل التوفيق بينكما وخشية حدوث ما لا يحمد منكما لما كان في العام الماضي ... ولكن شغلي في هذا العام لا تبيح لي كثرته مفارقة القاهرة يوماً او يومين الى الاسكندرية أو بورت سعيد او رأس البر .

واني لا استطيع أن افتح على نفسي باب بحث آخر معكم في هذا

الكتاب إلاّ اني اتعجب مما بقي لفلان واولاده عندكم من المكانة ولا ازيد في هذا على قولي ان بيننا خلافاً في حال البلاد العربية ومستقبلها وان كان ليس بيننا أدنى خلاف فيما نحبه ونتمناه ولا يسهل عليّ بيان رأيي مفصلاً الا اذا اذن الله تعالى بان نتلاقى وفرصة التلاقي سانحة ولكن الموانع قوية والأمر بيد الله والسلام عليكم اولاً وآخراً من اخيكم المخلص ،

رشيد

وفي ذيل هذا الكتاب حاشية بقلم رصاص هذا نصها :

نشر سلطان نجد بلاغاً رسمياً للعالم الاسلامي صرح فيه بأنه لن يكون لاجنبي أقل نفوذ في الحجاز وامتنع من التصديق على إلحاق خط العقبة ومعان بشرق الاردن فطفق الانكليز يشاكسونه بالدعاية وبمساعدة خصمه وقد أذنوا للحكومة المصرية بتسليم الذخائر الحربية التي حجزتها في السويس سابقاً للشريف علي ٠

* * *

وله كتاب مؤرخ في ٢٠ ربيع الانور من تلك السنة نفسها :

سيدى الاخ الامير

كتبت اليك قبل هذا كتاباً وجيزاً كنت اريد أن اصله بغيره عند انتهاء بعض الامور التي كنا بصدد الاشتغال بها فلم تنته الا وقد انتهى مكثك في سويسرة او شغلك فيها ولم نعلم اين تنتوي بعدها حتى جاء كتابك اول من امس الى ولدنا السيد عاصم وليس فيه إلا سؤالك اياه

ن الحكيم أجمل خان (١) فأنا أعرفه من زهاء ربع قرن إذ كان ألمّ
القاهرة في عودة له من اوربة الى الهند ثم لقيته في بلدة دهلي و كرّمني
ناك تكريماً . ولما زار القاهرة في هذه المرة جدّدنا المودة ودعوته مع
كبار العلماء وحضرت دعواتهم له . ولما غادرها إلى سوريا ولبنان لم أكن
تممت مباحثي معه في المسائل الاربع التي كانت موضوع البحث فكتبت
ليه أن يعود الى القاهرة قبل سفره إلى الهند فكتب إليّ يقترح أن
لقاه في بورت سعيد إن أمكن حتى لا يشغلنا عن البحث شاغل فكتبت
ليه : انه لا يتيسر لي ترك القاهرة في هذه الايام ولا بد من عودته هو
فعل .

اما المسائل الاربع فهي :

(١) مقاومة تيار الإلحاد الذي يغرق فيه الالوف من المسلمين في هذا
لعصر .

---

(١) الحكيم اجمل خان من زعماء مسلمي الهند الذين اتفقت كلمة الخلق على
صفهم بالعلم والفضل والنزاهة والاخلاص ولم تسعف الاقدار بأن يكون بيننا
بينه تعارف شخصي الا انه جاءني من رشيد بك طابع بمكانه يومئذ في القدس
كتاب يقول لي فيه : ان الحكيم أجمل خان الزعيم المسلم الهندي يوصيك بفلان
ن رجالات الهند الوطنيين ان تقابله وتعتمد عليه . فجاء الهندي المذكور
قابلته في منزلي بلوزان وكان موضوع المقابلة مسئلة سياسية لا محل لذكرها هنا
إنما هي في مصلحة المسلمين . فأردت ان أستزيد معلومات عن الحكيم اجمل
خان بسؤال الشيخ رشيد رضا فأجابني بالتفصيل كما يرى القارىء . وقد توفي الحكيم
أجمل خان وابنه الشيخ رشيد في المنار في نفس الجزء الذي أبن فيه اخي نسيباً
الامين الرافعي رحم الله الجميع وهو الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين .

(٢) مقاومة العصبية الجنسية المضعفة للرابطة الاسلامية .

(٣) الوحدة الاسلامية وإزالة ما يضعفها من عصبية المذاهب .

(٤) الخلافة والمؤتمرات الاسلامية وحفظ جزيرة العرب من النفوذ الاجنبي — أو يعدون هاتين مسألتين وما قبلهما مسألة واحدة — وقد أجبته عن كل واحدة بما أقنعه وعده فصل الخطاب ووعد بعرض السري منه على اخوانه الزعماء فقط وكذلك كان شأني مع الدكتور انصاري صاحبه .

الحكيم اجمل خان من اكبر زعماء الهند — إن لم يكن اكبرهم — قدراً وعقلاً وعلماً وإخلاصاً هو من بيت قديم من سلالة «ملا علي القاري» المحدث الفقيه الحنفي المشهور . وهو طبيب واسع العلم بالطب العربي اليوناني مع الالمام بالطب الحديث . وفي أجداده عدة أطباء مثله وعنده خزانة كتب وآثار موروثة فيها من نفائس كتب الطب والعلوم المختلفة المخطوطة بأجمل الخطوط على اجمل الورق المصنوع بعضه من الحرير . وهو يحسن اللغة العربية فلا يحتاج مثلنا معه الى ترجمان وقد انتخب مرة لرئاسة المؤتمر الهندي العام المؤلف من جمعية الخلافة وجمعيات العلماء وغيرهم من الهندوس وتولى قبل الآن رئاسة جمعية الخلافة وقد انتخب للرئاسة ثانية قبل ان يبرح مصر في الشهر الماضي . وقد ذكرتك له في اثناء الكلام مراراً .

الآن عند كتابة هذه الكلمة تذكرت ما كتبت إليّ من قبل انتقاداً على اقتراح زعماء الهند جعل حكومة الحجاز جمهورية وأظن أني كتبت اليك اني ما اراهم يصرون على هذا الاقتراح اذا ظهر لهم ان المصلحة في غيره . وقد قلت للحكيم : ان حكومة الخلافة الاسلامية اقرب

إلى شكل الجمهورية منها إلى سائر أشكال الحكم المعروف في أصول القوانين العصرية ولكن لفظ الجمهورية ينفر أكثر المسلمين ولا سيما بعد أن بنى عليه الترك الغاء الخلافة والفصل بين الدين والدولة . والغرض الاول من معنى الخلافة ومن معنى الجمهورية منع الاستبداد وتحكم السلطة الشخصية المطلقة ويمكننا السعي لهذا مع اتقاء الايهام الضار والبعد عن الالفاظ التقليدية ... فوافقني على قولي هذا وعلى تخطئة الذين لا يزالون يصرون على جعل الخليفة تركياً .

وجملة القول انه في الذروة من زعماء الهند وكان كذلك قبل أن تعرف الهند صديقيه محمد علي . شوكت علي اللذين ما ظهرا واشتهرا إلا باضطهاد حكومة الهند لهما بعد الحرب . وقد سرني انه كتب اليك ويسرني أن تكونا صديقين [1] ويسوءني جداً ان وقع ما أرجو ان لا يقع منك من الكتابة له باستحسان الصلح بين الشريف علي وابن سعود . وأرجو أن

---

(١) لم يكتب إليّ الحكيم أجمل خان رأساً وإنما كلف المرحوم رشيد بك طليع أن يكتب إليّ توصية بحق أحد رجالات الهند الوطنيين كما تقدم الكلام عليه فدل بهذا على ما كان عنده من حسن الاعتقاد بحقنا ومضى رحمه الله الى ربه ولم تفيض لي مشاهدته وكنت سألت عنه المحسن الشهير الشيخ قاسم آل ابراهيم المقيم في بمباي لما زارني في لوزان سنة ١٩٢٧ فزكاه احسن تزكية ونوه بفضله . واما الدكتور أنصاري فكان قد حضر عمداً الى لوزان لمواجهتي فقيل له إنني انتقلت إلى جنيف ولم يخبروه بعنواني فيها فقفل الى باريز وأخبر بذلك الاخ حسين رؤوف بك رئيس وزراء تركية سابقاً فكتب إليّ من باريز بذلك وان الدكتور أنصاري سيزورني مرة أخرى بعد أن يعرف عنواني الا انه لم يعد الى اوربة وبلغني نعيه في السنة الماضية رحمه الله .

تنتظر رأي أخيك في هذا مفصلاً بعض التفصيل في مقال طويل نشرت جريدة الاخبار الفصل الاول منه وستنشر باقيه وسأرسله اليك . إن زعماء الهند السياسيين الذين يعرفون الحقائق مجمعون على رأي ابن سعود وقد أحدث الانكليز فتنة كبيرة في الهند وغيرها بنوها على الدعاية الهاشمية ومقالي الاخير في هذه الفتنة والباعث عليها . وأما ما كنت وعدت به هنا من شؤوننا السورية فقد علمت انني وفقت لانجازه ولله الحمد والسلام عليك أولاً وآخراً من اخيك ؟

رشيد

* * *

وله إليّ كتاب مؤرخ في ١١ ربيع الآخر ١٣٤٤ و ٢٩ اكتوبر :

سيدي الأخ المجاهد في سبيل الله

لقد كنت في غنى عن إطالة كتابك الاخير باقامة الحجج على وجوب اشتغال المسلمين بالعلوم الطبيعية والكيماوية والآلية بمثل ما ذكرته في كتاب وجيز سابق من ان مثل هذا يقال لغيري وفي غنى عن الاعتذار او الادلاء بالحجج في مسئلة طلب الصلح او عدمه ولا سيما بعد الذي كتبته إلى اخينا الشيخ ابراهيم بن معمر .

قد سررت جداً من كتابك له فهو أهم ما عرض لنا من وسائل النجاح . ولكن في مطالب الترك مشكلة عظيمة وهي الاعتراف لهم بأهم موقع من العراق وسورية [1] ومن يعترف لهم بما يطمعون فيه بعرض

(١) كنت ذكرت السيد رشيد بعض محادثات كانت جرت لي مع الترك ـ

نفسه لعداوة أهل القطرين جميعاً بحق ، فإذا أمكن السكوت عن مسائل الحدود فلا عاقبة فيما أرى تحول دون نجاح السعي — وإن لم يمكن السكوت وأمكن التصريح بعبارة مجملة سلبية كعدم منازعة احد للآخر في حدوده المقررة عنده من غير ذكر لشيء منها — يهون الامر فما قولك وما رأيك في هذه المشكلة؟ والكتاب أرسل الى ذي الشأن وسيسافر بعض اخواننا بعد يومين إن لم يعرض له مانع وقد زودته انا وصاحب الكتاب بما يجب من النصح وما عندنا من الرأي في فروع القضية .

إن أخوف ما نخافه في هذه الايام على عبد العزيز أن يتفق مع من يفاوضه الآن على شيء ما . ونسأل الله تعالى ان تفشل المفاوضة وتنتهي بالتأجيل فإن كل اتفاق مع الخصم الطامع ضار غير نافع فإن وجد فيه ما صورته النفع فلا يكون نفعاً صحيحاً من قبله اعني أنه يكون مما يمكن نيله بدون الاتفاق معه فإن سلم من هذه هان غيرها . ورجي ان يكون المستقبل خيراً من الماضي . ومن المشكلات الجديدة المهمة عندنا ان صاحب اليمن قد تصدى في هذه الايام للتدخل في مسألة الحجاز ولا ندري بأي نية ولا بأي محرك وسأكتب اليه اليوم ان شاء الله .

وبقي من أخبار الجزيرة المهمة نبأ الوفد المصري انه ذهب للسعي والتوسط بالصلح ولم أرَ أحداً من المسلمين يحسن الظن به ولا يبرئه من الدسائس الاجنبية وزاد في سوء الظن فيه تنويه المقطم وحده به وتصريحه بغرضه وأنه السعي للصلح وإنما زاد الكثيرون على ما قاله المقطم مسألة

ـ وأنهم كانوا يشترطون للاتفاق مع العرب التخلي لهم عن الموصل واسكندرونة واننا أوضحنا لهم استحالة قبول العرب بهذه الشروط .

الخلافة ومنهم من كان يرى ان هذه هي المقصودة بالذات وكانت النتيجة كما قال المقطم ان رئيس الوفد أمكنه أن يأخذ من السلطان تفويضاً لجلالة ملك مصر بأن يتولى هو تأليف لجنة من المصريين ويدعو حكومتي ايران والافغان الى الاشتراك فيها ويسمح ايضاً لجمعيات الهند الثلاث بثلاثة مندوبين ينتظمون في سلك اللجنة وتكون وظيفة اللجنة استفتاء اهل الحجاز فيمن يختارونه من انفسهم ليكون ملكاً عليهم من غير بيت الحسين ثم وضع نظام لحكومة الحجاز الخ ولا ندري أأقنع رئيس الوفد المصري سلطان نجد بهذا اقناعاً كما يقول أم كان كل منهما مخادعاً للآخر؟ وسنعلم هذا · ولعلكم علمتم من اخبار الجرائد أن وفداً من الهند قد سافر الى الحجاز وهو لا علاقة له بهذا الاتفاق ولا يتسع وقتي اليوم لاكثر مما كتبت في هذه المسألة ·

المسألة السورية

وصلت برقياتك وكلنا مهتمون بالعمل من جميع وجوهه السياسية والمالية كما تحب فلجنة المؤتمر السوري الفلسطيني حررت نداء وجهته الى جمعية الامم وخارجيات الدول الكبرى ومنها الولايات المتحدة وكذا الجرائد الشهيرة في هذه الممالك ومنها المانية · وهذه جمعية الرابطة الشرقية عقدت جلسة اول من امس بحثنا فيها في نكبة سورية فكان منتهى شوطنا برقية وجيزة لعصبة الامم وللامة الفرنسية وبعض جرائدها الشهيرة وفتح باب الاكتتاب للاعانة فلم يبلغ ما تبرع الحاضرون من أعضاء مجلس الادارة مائة جنيه بل كان ٩٠ جنيهاً على ما أتذكر · وألفنا لجنة

للدعوة ونشرنا استصراخاً للناس · ودعت لجنة التجار التي ألفت لاعانة الجرحي نشهر وجهاء السوريين الى اجتماع عقد مساء الخميس الماضي بل ليلة السبت للبحث فيما يجب فحضر جمهور لا بأس به ووضع نداء لجمعية الامم و كبرى الدول وافق عليه الحاضرون بعد البحث والتنقيح وتألفت لجنة لإرساله بعد ترجمته الى سفراء الدول ــ ونقرر تأليف لجنة لجمع الاعانات للمنكوبين غير لجنة التجار المؤلفة لإعانة الجرحى · وسأكلم اليوم شيخ الازهر أو السكرتير العام للمعاهد الدينية في وجوب كتابة شيء ونشره باسم كبار العلماء على ان هؤلاء لا يدخلون في باب الاعمال العامة وإن لم تكن سياسية إلاّ اذا علموا بارتياح البلاط لها · وهل يعدون من ذلك الدعوة الى إعانة المنكوبين ام لا ؟ سنرى ·

كتاب حاضر العالم الاسلامي

لقد كان توقعك او تصورك انني امتنعت من تقريظ هذا الكتاب عمداً مثاراً لاشد العجب في نفسي وانت انت الذي يغلب عليك حسن الظن بالناس لاقل معرفة على القرب او البعد · ومما يجب أن يكون معلوماً عندك بالضرورة أن هذا الكتاب من أهم الكتب عندي وان تعليقاتك عليه اهم منه وان كونها لك يزيد قيمتها عندي وهذا مما يوقن به كل من يعرفني ويعرف الكتاب معرفة دون معرفتك دع ما كتبته اليك في شأنه ــ فكيف خطر في بالك إمكان وجود مانع يمنعني من تقريظه ؟؟ انني قرظته منذ وصل الى يدي وقبل أن أتمكن من مطالعته للاستفادة منه فاكتفيت بقراءة ما يبيح لي أن أكتب على علم وبمراجعة الفهرس وقد نشر التقريظ

في الجزء الثالث المؤرخ في سلخ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ ولكن الادارة أخرت نشر هذا الجزء فنشرته مع الجزء الرابع وقد سألت السيد عاصماً هل أرسل اليك الجزئين فقال نعم واذ علمت من كتابك الاخير انهما لم يصلا اليك فسأرسل جميع ما وزع من أجزاء المجلد ٢٦ اليك وهي خمسة وسيوزع السادس في الاسبوع الآتي ان شاء الله فاذا زاد عندك بعض الاجزاء لتكرار إرسالها فلك ان تعيدها ولك ان تهبها او توسلها لمن يرجى ان يشترك بل لمن شئت مطلقاً .

وقد كتب الينا اخونا الامير عادل منذ اسبوع يقول انه كتب الى صاحب مكتبة المعارف بأن يعطينا بقية النسخ الباقية لك من الكتاب . والسلام عليكم اولاً وآخراً ؟

من اخيكم

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ٢٥ ربيع الآخر ١٣٤٤ و١٢ تشرين الثاني الكتاب الآتي :

سيدي الاخ الامير

كتبت اليك جواب كتابك وانا انتظر مرجوعه ، وبرقياتك كلها وصلت وكان لها من العناية ما يرضيك . والمهم عندي من مخاطبتك بهذا الكتاب ثلاث :

(اولها) إعلامك بأن رسولاً سافر الى الحجاز حمّلته من التفصيل في جميع المسائل ما تسرّ به ولا سيما اذا نجحنا فيه . ومنه ما يتعلق بسعيك وجهادك العام والخاص في المسألة الاخيرة التي لا يحسن التصريح بها في كل

كتاب وقد كتبت إلى صاحبنا أن الاشكال فيها من جهة واحدة يسمي لاقناع الطرف الآخر بالسكوت عنها وهي التي يثير اعترافه بهـا سخط أصحاب المصلحة فيها ٠ وإذا دخلت المسـألة في طور جدي فقد اقترحت أن تكون انت المعتمد فيه ٠

(ثانيها) إن السلطان ابن السعود قد كتب فعلاً إلى بعض الملوك والامراء ورؤساء الجماعات الاسلامية كتباً يدعوهم فيها إلى إرسال وفود التعاون معه على حل مسألة الحجاز على ان تكون حكومة الحجاز للحجازيين بشروط منها أن تكون البلاد تحت إشراف العالم الاسلامي وان لا يكون لها حق في إعلان حرب وأن لا تعامل دولة غير إسلامية مطلقاً لا في اتفاق سياسي ولا اقتصادي وان ينتخب الحجازيون حاكمهم تحت إشراف لجنة وفود العالم الاسلامي وهـذه اللجنة هي التي تضع النظام لحكومة الحجاز وتبين شكلها وحدودها الخ ٠ ووعد في كتبه بأن بلاد الحجاز التي هي أمانة في يده يسلمها للحاكم المنتخب بالشروط التي ذكرها وأن انتخابه يكون حراً تحت اشراف اللجنة [1] بشرط أن لا يكون من بيت حسين بن علي وأولاده — أترى أن صديقنا الشريف حيدراً يرضى أن يرشح نفسه لامارة الحجاز بهذه الشروط لنتخذ الوسائل لمساعدته؟ هذا ما كنت أتوقعه وانتظره في نهاية هذه المسألة ولم أحب أن أصرح بأن لي ضلعاً مع احد قبل وقته ٠ أكتب اليه إن شئت ويجوز ان اكتب أنا أيضاً ٠

(ثالثها) إن مسألة سوريا ربما تدخل في طور المفاوضة في البلاد وفي خارجها وربما تؤدي الوسائل بذلك الى الفشل من قبيل من يتصدون

(١) هذا شيء جرى العدول عنه فيما بعد لتعذر تحقيقه ٠

للوساطة وقد بدأ سماسرة العروش وطلاب التيجان أثماناً للشعوب والاوطان يلقون دلاءهم بل يفتاتون على أولي الشأن في بلادهم وشعوبهم لانهم جعلوا أشخاصهم أولى منهم في أنفسهم . (الى أن يقول):

ثم الواجب مع هذا أن نسعى لجمع كلمة العاملين من رجال الثورة وغيرهم لئلا يعرض لهم التخاذل والفشل بما قد يعرض عليهم من الشروط أو المنافع — وأن تحصر المفاوضة في جهة واحدة على قاعدة الاستقلال الصحيح — ومسألة المعاهدة على قاعدة العراق يدعي فيصل انه هو ابتكرها وأقنع الفرنسيس بها والصواب أنها تُكُلِّم بها قبله وأنا كلمت سفير فرنسة هنا كلاماً جدياً طويلاً صرّحت له فيه بانه لم يبق لفرنسة طريق إلى مرضاة سورية والتفصي من الخسائر المالية والادبية التي لا نهاية لها إذا أصرّت على سياستها إلاّ استقلال البلاد ومساعدة فرنسا لها على الطريقة التي سارت عليها في مساعدة محمد علي باشا الكبير بمصر ... فأعجبه هذا الرأي ولكنه ادعى ان اختلاف الطوائف والاديان في سوريا يحول دون اتفاق أهلها على حاكم واحد ونظام واحد . فأقنعته بأن هذا الرأي غير صحيح وان الاختلاف والتفرق أولاً وآخراً لم يكن إلا منهم وممن على شاكلتهم من الاجانب — لا من طبيعة الاهالي ولا من الترك — وان المسلمين برهنوا على حسن نيتهم للنصارى والتعاون معهم في أثناء الحرب الكبرى [1] . وأما النصارى فهم لضعفهم لا يعتمدون على المسلمين إلاّ باغراء فرنسة أو غيرها من الدول لو كانت في محلها فلم يكابر في ذلك . نحن نفكر في إرسال وفد الى اوربة يعمل معك . ويشتغل معنا في

(١) هذه حقيقة لا ينكرها ولا يقدر أن ينكرها أحد.

اللجنة الآن بعض المهاجرة كشكري بك القوتلي وفوزي بك البكري وبعض تجار دمشق وبعض النصارى المقيمين هنا كوطنينا نسيم افندي صيبعة وسليم باشا الموصلي . فيحسن أن ينحصر كل سعي ومفاوضة سياسية في خارج البلاد في هذه الهيئة وفيك مع من سيضم اليك اذا تيسر إرسال الوفد كما نرجو قريباً .

فاتني أن أذكر لك ان السفير ارسل ما قلته الى دولته بالتلغراف محبذاً له كما علمت من الثقة وكما وعد . أرجو ان تسرع هذه المرة في الكتاب إليّ ولو بالاختصار وان كنت أرسلت قبل وصول هذا الكتاب مرجوع ما قبله فلا يكن إرساله مانعاً أو مؤخراً لارسال مرجوع هذا فيما هو خاص به والسلام عليك اولاً وآخراً ؟

محمد رشيد رضا

حاشية :

أبشرك بأن الجنرال كليتن لم ينجح فيما حاوله مع ابن سعود من الاتفاق على الحدود بين نجد وشرق الاردن والعراق الذي كان مراده به ضم الجوف الى شرق الاردن . واما حدود الحجاز فابن السعود لا يبيح لنفسه المفاوضة فيه لانه فوضه أولاً وآخراً الى المؤتمر الاسلامي . نجيب بك يسلم عليك معي تسليماً .

* * *

وكتب إليّ من مصر في ١٥ جمادى الآخرة ١٣٤٤ و ٣١ دسمبر ١٩٢٥ :

سيدي الاخ الامير

أُلقي إليّ امس كتابك المرسل من برلين وفيه كتاب الشريف حيدر

الذي ارسله اليك جواباً عن سؤالك اياه عن رأيه فيما يقرر المؤتمر الاسلامي على قواعد سلطان نجد التي بينها في دعوته الى المؤتمر وقد حفظته لك . واما ما كتبته لي ولنجيب بك في أثرة اللجنة وهضمها لحقك فقد اثار عجبنا إذ لم يخطر هذا في بالنا ولا نعلم انه خطر ببال احد ممن كان معنا من اعضاء اللجنة ولا من غيرها . وانما اجتمع هؤلاء سراراً وكانوا زهاء ٢٠ رجلا ووضعوا المذكرة التي قدمها وقدم الى المندوب الجديد [1] وكان وضعها قبل وصول مذكرتكم التي قدمتموها له في باريز ولما وصلت رأوا ان فيها

---

(١) كان المسيو هنري دي جوفنيل عند تعيينه مندوباً سامياً لفرنسة في سورية أراد ان يتصل بالوطنيين السوريين ويعدل بفرنسة عن سياسة عدم الاعتراف بوجودهم كما كان جارياً من قبل . فأول ما فكر فيه الدخول في محادثة معي وأنفذ إليّ من باريز الى لوزان السيد نجيب الارمنازي فلم يجدني فيها اذ كنت ذهبت الى برلين فكتب إليّ بأن المندوب السامي الجديد يرغب في ملاقاتي فأجبته بأني لا اذهب الى باريز إلاّ بدعوة رسمية . فجاءتني برقية من المسيو جوفنل يدعوني فيها الى باريز لمواجهته فذهبت وقابلته وقدمت له لائحة بمطالبنا ووافق عليها غير انه اقترح فيها سياسة المراحل اي التدريج . فأنا لم أوافق على التدريج . ثم دعاني ان اذهب معه الى سوريا لاجل السعي في الاتفاق فاعتذرت بأني لا اقدر ان اذهب الى سورية الا اذا وافقت فرنسا على الاتفاق وتقرر في جمعية الامم . وقد وقع هذا في سنة ١٩٢٥ في اثناء الثورة السورية الكبرى اي قبل المعاهدة الافرنسية السورية التي تقرر فيها استقلال سورية باحدى عشرة سنة . وكانت هذه المعاهدة الاخيرة في أسسها الا قليلاً هي نفس اللائحة التي كنت قدمتها للمسيو جوفنيل وايضاً غير خارجة عن المعاهدة التي كنا اوشكنا ان نتفق

تساهلاً (١) كما ذكرت لكم في كتاب سابق . وأما الكتاب الذي قفوا به على المذكرة وذكروا فيه استعدادهم للسعي لدى الثوار والزعماء ... اذا قبلت مطالبهم بشرطها الذي ذكروه ... فلو كان قبله وانفردوا بالعمل دونكم لكان لكم ان تقولوا ما قلتموه في كتابيكم . ولكنه عجل في الاجابة عنه بما علمتم من الشدة والتهمة وفتح باب المطاعن فيها لانصار فرنسا المتعصبين ولبعض الاغبياء من غيرهم فما هذا الامر الذي استبدت به اللجنة واستأثرت به دونكم وحصرت فيه الزعامة في نفسها؟ لا شيء.. بل الذي عمل هنا على نزاهته لم تكن اللجنة التنفيذية فيه إلاّ أقلية مع السوريين الذين اشتركوا فيه .

هذا وإن الجماعة اتفقوا قبل مجيء المندوب على السعي لاخذ تفويض من أهل المكانة في البلاد السورية لافراد من العاملين والمجاهدين لعقد مؤتمر يقرر فيه مطالب البلاد ، ينتخب من يحضر فيه تفويض المندوب أو الحكومة الفرنسية نفسها في أمر البلاد وإنهاء حالة البلاد فأرسلوا رسلاً حملوا من دمشق

ـ فيها مع المسيو جوفنيل سنة ١٩٢٦ أنا وزميلاي ميشيل بك لطف الله واحسان بك الجابري بحيث ان المسيو لوسيان هوبر من كبار مجلس الشيوخ ووزراء فرنسا السابقين اعترف لي مؤخراً بأن تأخير عقد الاتفاق الذي كنا بدأنا به مع جوفنيل أضر كثيراً بفرنسة وبسورية معاً .

(١) لو كان فيها تساهل كما زعموا لما كان رفضها المسيو بوانكاره في ذلك الوقت وعزل جوفنيل من أجلها ولما كانت مضت ١١ سنة عليها وفرنسة تأبى قبول شروطها وتتحمل انفاق المليارات وتبذل الدماء الغزيرة حتى تفوز بمعاهدة اوفق لها منها .

وحلب وغيرها أوراق تفويض للذين اقترحهم الرسل في مقدمتهم أنتم وشقيقكم، ورشيد بك طليع ٠ وكانت الآراء متفقة على ان المفاوضة في داخل البلاد لا تكون حرة وبمنجاة من تأثير الدسائس ونفاق طلاب الوظائف وان الاولى أن تكون في مصر أو في أوربة ثم كان ما علمتم ولم يحتج الى جمع المؤتمر ٠

لا تبالغ يا أخي في تأثير سوء الظن بالرجل الذي وقع بينك وبينه ما وقع من التغاير والتدابر إن لك هنا من يدافع عن حق وجهادك بقوة تغنيك عن الدفاع عن نفسك ٠ واننا نرى دفاعك عنها بما كتبت دون قدرك فأنت أجل مقاماً وأعلى مكانة بل أنت في هذا المقام مقام خدمة الوطن والجهاد في سبيله في الذروة التي لا يطمع احد في مساماتها وما كتبته دون هذه الذروة وما كان أغناك عن التصريح بعدم طمعك في مكافأة من منصب [1] ولا غيره ٠ إننا نعلم انك أجلُّ من أن تطمع ولكنك أنت أجدر من جميع أهل الوطن بأن تكون رئيس الحكومة المستقلة إن يسرها الله لنا مهما يكن اسمها ورسمها ونوعها ٠ صرحت بهذا لبعض الافراد ولو وجدت فائدة في التصريح بها لغيرهم او لكل أحد لفعلت ٠

وأما ما كتبته اللجنة الى احسان بك فهو جواب له عما كتبه اليها واقترحه عليها وكنا اقترحنا في الجلسة أن يكتب اليه أيضاً بأنك ستعود إلى جنيف للعمل في الموضوع ٠

(١) لما عرض عليَّ جوفنيل الذهاب معه الى سوريا ورفضته إلا ان يتفق مع الوطنيين السوريين قال : فإذا اتفقنا معكم فهل تذهب وتسعى في إزاله آثار الماضي ؟ قلت : نعم لكن على شرط أن لا أدعى الى قبول منصب في الحكومة ٠

كتبت اليك قبل هذا ثلاث مرات جل الاخير منها في مسألة الحجاز . فالحمد لله قد انتهت كما نحب وكان السلطان موفقاً وصحيح النظر حتى في الارجاء التي أثارت الظنون في ضعفه . وكان محل لومنا نحن أيضاً . والرأي العام المصري مشايع له كالرأي العام في مسلمي الهند . ولكن انصاره في الهند اقوى وأقدر على مساعدته .

أرسل اليك في الاسبوع الماضي جواب السلطان الذي حمله الى هنا طبيبه الدكتور محمود حمدي الدمشقي وهو مجمل كعادته في كتبه الرسمية وقد كتب قبل الاستيلاء على المدينة وجدة .

واعلم يا أخي أن ما تعلمه عن الحجاز ونجد قليل لم يكن كافياً للحكم فيما ينبغي أن تكون عليه البلاد بالتفصيل . وقد أشرت في بعض مكتوباتي السابقة الى ذلك بل أذكر انني صرحت بأن الكتابة لا تكفي لتمحيص الكلام في هذه المسألة بل لا بد فيها من المشافهة . وقد جاء وقت العمل في الحجاز للاسلام وللعرب فهذه فرصة لم يسمح بمثلها الزمان وأول ما يجب عمله وضع نظام للمؤتمر ومشروع نظم أخرى للبلاد لتعرض عليها — وإيجاد رجال إخصائيين لادارة الاعمال بالتدريج . وفي البلاد أسلحة وذخائر كثيرة منها القديم الذي تركه الترك ومنها الجديد وان بعض ما ابتاعه علي من المدافع والذخائر لا يزال في صناديقه . ومسألة المال أهم المهمات . والذي نعلمه منذ سنين وازددنا علماً في هذه الايام ان ما وجد في بلاد العرب بعد صدر الاسلام من يقدر على حفظ الامن في الحجاز ونجد مثل هذا السلطان [1] .

---

(١) هذه حقيقة لا يقدر أن يتمارى بها أحد ولا من أعداء ابن سعود .

فعسى ان تستطيع المجيء الى الحجاز في أقرب فرصة فتقيم بقية فصل الشتاء بمكة المكرمة ثم تكون في فصل الصيف في الطائف نعم ان هذا مما تتروى فيه الآن ولكنني أرجو ان يكون قريباً والسلام عليك من أخيك ؟

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ٢١ جمادي الثانية من السنة نفسها و ٧ يناير سنة ١٩٢٦ ما يأتي :

سيدي الاخ الامير

وصل في هذا الاسبوع كتابك المسجل المؤرخ في ٢٨ دسمبر وتلاه الكتاب غير المسجل المرسل قبله فأما مذكرتك الفرنسية فقد ذكرت لي خلاصتها في الجلسة التي رؤيت فيها عقب وصولها بالاجمال وكتبت اليك ما كتبت في ذلك ثم ترجمها كل من نجيب واليازجي بالدقة ولكن قولاً لا كتابة وكتبت اليك ثانية ما كتبت . ثم كتبت اليك في الكتاب الذي قبل هذا رداً على ما اتهمت به اللجنة وأخبرني نجيب بك بأنه كتب اليك ايضاً . ولم يكن حسن نيتك وملاحظاتك في المذكرة من مواضع التهمة . هذا وان اللجنة لما وضعت البيان العام من الحالة الاخيرة المتعلقة بالثورة وبالمندوب الجديد ذكرت فيها مساعيك في باريس بعضها بقلم نجيب افندي الارمنازي وبعضها نقلاً عما كتبته اليك ومنه ما طلبته للبلاد من الاستقلال وما يتعلق به بالتفصيل ولكنها أجملت ما ذكرت في المذكرة ان البلاد السورية تعطيه لفرنسة — كان الرأي الغالب ان عدم

نشر ذلك بالتفصيل خير للمصلحة العامة ولكرامتك الخاصة ومكانتك في مصر وغيرها . وقد جاءت مكتوباتك التي تنحي فيها باللائمة على اللجنة لي ولنجيب بك ثم للامير جورج قبل نشر هذا البيان وأعدنا النظر فيه وطلبت أنا أن يحضر الامير جورج جلسة عقدناها للنظر فيه قبل تقريره النهائي — وكان خاطبني بالتلفون بأنه يجب أن يراني ليذاكرني في كتاب جاءه منك — فلما حضر وسمع البيان وطلبنا رأيه فيه قال : يجب أن ننشر مذكرتك أي ترجمتها كما هي فإن هذا أرضى لك لان لك ملاحظات في عبارتها تدفع ما عساه يعترض به عليها . ووافقه أخوه ونجيب بك وخالفت أنا واليازجي وكذا اسعد داغر على ما أتذكر .

وجملة القول انه لم يحصل في اللجنة شيء يصح به اتهامها أو اتهام أحد من أفرادها بهضم حقك وإنكار جهادك ولا اتهامها بالاثرة ولم تعمل عملاً إيجابياً في هذا الطور الاخير منفردة به أو باسمها وحدها — وأعني بالايجاب هنا المنطقي المقابل للسلبي — وإنما انفردت بعمل واحد باسمها وهو الرد على المسيو جوفنيل فيما أتهمها به وهو في معنى السلبي . وما أراك إلا بالغت في الانكار عليها واتهامها والسخط عليها كما ذكرت لك هذا في الكتاب الذي قبل هذا فليس عندنا مسألة خلافية تقتضي كثرة القيل والقال .

وقد سألت عن الارمنازي لتكتب اليه فاخبرك انه جاء منه كتاب من بيروت ذكر فيه انه سيعود الى مصر من طريق فلسطين فأرسل ما تكتبه اليه بعنواننا .

وأما الامير عادل فقد ذهب الى الجبل [1] وهو يتولى تدبير الشؤون مع سلطان باشا وقد علمت انه غير راضٍ هنالك عن سياسة فلان وبلغت عنه أن أكتب اليك باستحسانه امر مجيئك الى بيروت ولعله يريد أن أستحسن أنا ذلك ايضاً . ولكن رأيي مخالف لرأيه هذا فإن المطالب التي ترضاها ويرضاها الثوار لا تزال بعيدة عما يرضاه موسيو جوفنيل بعداً شاسعاً . والمرجو أن يرجع عن غلوه هذا بعد ان يبدو له ما لم يكن يحتسب ويعلم ان الذين وثق بهم واعتمد على رأيهم قد غشوه كما غشوا من قبله . نعم إذا أمكن أن تجيء الى مصر فتكون على مقربة من البلاد وتعلم كما يتجدد في وقته فذلك أولى وسنتشاور مع الارمنازي في ذلك وتزداد بصيرة بما يرد أو يتجدد من أنباء الجنوب والشمال والخفية ورب خفي أقوى من جلي .

مسئلة الحجاز

أشرت في بعض مكتوباتي السابقة المتعددة الى ان معلوماتك عن حال الحجاز — وكذا معلوماتك عن نجد — قليلة لا تكفي للجزم برأي صحيح وصرحت لك في بعضها بأن هذه المكتوبات التي تدور بيننا لا يمكن فيها تمحيص المسألة والاتفاق فيها . ولهذا أنكرت عليك بعض ما كتبت سابقاً في المسألة مما رأيته ينافي المصلحة مع الجزم بصدوره عن حسن النية — وأرى الان ان اقتراحك أن يعجل السلطان بطلب الشريف حيدر ويوليه أمر الحجاز من قبيل ما ذكرت آنفاً . والذي اعتقده أن

---

(١) الجبل الدرزي .

هذا ليس من مصلحة البلاد ولا من مصلحة الشريف حيدر . وانه لا يسهل الحكم في هذه المسألة إلاّ في أثناء عقد المؤتمر وبحثه في مالية الحجاز وحكومته وحفظ الامن فيه . ولعله صار يسهل عليك ان تصدق انه ليس لاحد من شرفاء الحجاز عصبية قوية ولا نفوذ يمكن من حفظ الامن فيه وإدارة شؤونه لو كان هنالك مال كاف للقيام بذلك فكيف والمال مفقود. ولقد كان الشريف حسين أقدر هذه الطائفة على ما ذكر ولم يقدر على تأمين طرق للمدينة المنورة وتمكين الزوار من الوصول اليها فكيف يكون حال غيره ؟

وأما قدرته الممتازة فقد كانت بأسباب : (أولها) توليه على البلاد في عهد الدولة العثمانية واعتياد البلاد رؤية أمير فيها . (ثانيها) استكبار البدو والحضر لقتاله للدولة وتمكنه من الاستقلال (ثالثها) ما كان لديه من الثروة العظيمة . (رابعها) ما كان معروفاً به من الشجاعة والشدة والحزم.

فلهذه المعلومات التي أجملتها كنت وما زلت ارجئ أمر مساعدتنا لصديقنا الشريف حيدر الى الوقت المناسب له بعد انتهاء امر الشريف علي . وسترى مما يصل اليك من جريدة أم القرى كيف انتهت . ومنها تعلم فضيحة الاكاذيب الاخيرة عن شروط تسليم جدة . والسلام عليكم أولاً وآخراً؟

من أخيكم

محمد رشيد رضا

وعلى ذيل هذا الكتاب هذه الحاشية :

. (حاشية) بلغني ان كثيراً من بني معروف قد اتخذوا ملجأ لهم في الجوف.

***

وله إلي الكتاب الآتي المؤرخ في ٢٥ جمادى الاولى ١٣٤٤ و ١١ دسمبر :

سيدي الأخ الاعز

وصل كتاباك المرسلان من باريز بعد المذكرة الفرنسية (الى ان يقول):

أما المذكرة فلو علمت ما فيها لما عرضتها على اللجنة الحافلة بمن ينضوي اليها في هذه الايام من مهاجرة الشام وغيرهم لما فيها من التسامح الذي لم يقبل احد من المجتمعين بشيء من مثاله فيما قررنا تقديمه للمندوب الجديد بل تشاحنوا بلفظ « ما عداه يكون من المصالح الاقتصادية والسياسية لفرنسة » فنكروا كلمة السياسية ثم اتفقوا على حذف العبارة برمتها . ولعل بعضهم أساء ترجمة بعض العبارات فاقترحت حفظ المذكرة وعدم نشرها بالترجمة . ثم رأيت ما حمله حلمي باشا من تلخيص المطالب بخطك فرأيته اهون مما قيل انه ترجمة حرفية لما في المذكرة الفرنسية [١] ولكن بعضه كثير ولا حاجة اليه لجعل لغتهم رسمية إجبارية عامة [٢] ... والباعث لك عليها بل على التساهل مطلقاً معروف عندنا وكان من فائدته انه ارضى موسيو جوفنيل في باريز والظاهر انه لا يرضيه في سورية إلاّ اذا اشتدت الثورة واقتنع بأنه لا يمكنه إخمادها بالسهولة التي زينها له المندوب العسكري

(١) ان بعضهم تعمدوا ترجمة لائحتي بغير الواقع بحيث اني اضطررت ان انشرها بالعربي مرتين في الجرائد وتحدى المتعنتين اجمع ان يقنعوا فرنسة بمثلها .

(٢) وهذا ايضاً من الاوهام التي دخلت على الشيخ رشيد لاني في لائحتي لم اجعل الافرنسية لغة رسمية مع العربية وانما جعلت تعليمها اجبارياً في المدارس العالية . وهو امر ليس بجديد . توخيت في مذكرتي الى جوفنيل ان اتشدد في المواد الاساسية المتعلقة باستقلال البلاد وان استرضي الفرنسيس في المواد الثانوية التي لا تمس الاستقلال .

الذي ارسله حزبه من بيروت لاستقباله بمصر وسمع اقوال المسيحيين المتعصبين [1] في القطرين فبهذا يكون حجة عليهم .

قد علمت من هذه الكلمة الاخيرة وقوع ما توقعت من هؤلاء وانهم ملأُوا قلبه بما نفثوه من سمومهم وهذا امر لم يكن منه بد ولم يكن في استطاعتنا ولا في استطاعة غيرنا ان يحول دونه فكان من الحكمة احتراسنا وتشددنا كما كان من الحكمة تساهلك [2] . وقد كان احسن استقبالنا وارضاه كلامنا وتصفح مذكرتنا ورأى فيها مطالبنا ولم ينكر علينا منها شيئاً في الجلسة التي كانت لوفدنا معه ولكن رأيه تغير في المساء بعد تقديم الكتاب الآخر الذي ليس فيه زيادة الا مطالبته بالتصريح بقبول المطالب اذا شاء ان تسعى اللجنة في العمل ولا بد ان تكونوا رأيتم تفصيل ذلك في الجرائد المصرية وهو طويل لا يمكن نسخه .

وقد تكلمت أنا في مسألتين المسألة العربية ورأينا فيها واحد اي رأيي ورأيك والمسألة الدينية اي الشقاق الديني في سورية ورأينا فيها واحد ايضاً وانا قلت له كما قلت قبله لسفيرهم هنا وهو اننا نحن نعلم من انفسنا اننا إذا اتحدنا في الحكومة المستقبلة لا نظلمهم اي النصارى بل نعطيهم اكثر من حقوقهم واستشهدت بما كان منا في زمن الحرب الكبرى في

---

(١) أل للعهد اي المسيحيين المعروفين بمعارضة رفع سيطرة فرنسة خلافاً للمسيحيين الذين هم مع المسلمين سواء في طلب الاستقلال .

(٢) عاد رحمه الله فاعترف باني كنت على صراط مستقيم في هذه المسألة وان الذي عملته كان عين المصلحة .

الحكومة السورية التي هدموها (١) وذكرت من الوقائع معي ان أعضاء المؤتمر من المسيحيين لم ترضهم المادة التي كانت وضعت في القانون الاساسي للمحاكم الشرعية والبطريركيات فامتنعت من طرحها للتصويت وذهبت مع بعض الاعضاء الى بطرك الروم في دار البطريركية واتفقت معه على النص الذي يرضي النصارى وهو الذي تقرر . وقلت له بعد ذلك : واما النصارى فلا يعتمدون علينا إلاّ بالاعتماد عليكم وإغرائكم ... فاذا أنت كفلت لنا إرضاءهم أو عدم تعديهم — ولا يقدر على ذلك غيركم . فأنا أكفل لك المسلمين والدروز ...

(إلى أن يقول) : لم يأتنا من الجنوب شيء جديد في الموضوعات المعلومة عندكم والارمنازي لا ينكر عليكم ما ذكرتم في الرجل ولكنه يرى انه ممن ينتفع بهم في دائرة مخصوصة لا ينبغي تجاوزها . وقد سافر امس الى بيروت ليتصل بالمندوب . وكنت تركت هذا الكتاب لشغل عرض للدار وسآخذه الآن لادرك به بريد الظهر والسلام من أخيكم ؟

رشيد

* * *

وكتب إليّ في غرة جمادى الآخرة ١٣٤٤ و٧ دسمبر :

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم

أرسلت اليك قبل ظهر الجمعة الماضية كتاباً لا أدري أدرك بريد أوربة البحري يومئذ ام لا ؟ وأهم ما حدث بعد ذلك انني علمت علم

( ) اي الفرنسيس

اليقين أن صاحبي بعضدنا في خطبنا الحاضر بكل ما يراه ونراه من المصلحة لنا وله وقد شرع فعلا في بعض الوسائل وسنقترح غيرها مما صار ممكناً اليوم ولم يكن ممكناً بالامس وكتابك المهم وصل اليه وهو مستعد لموادّة من يخطب وده بشرط اساسي هو أن لا يجعل له حقوقاً فيما ولي أمره ولا بأس بمبادلة الحقوق فيما وراء ذلك من تعاون تجاري وغيره وسنصرح في فرصة أخرى لك بما نقف عليه من التفصيل في هذا وفيما قبله وهو أهم من الآن .

وصل منذ يومين الى مصر الشيخ حافظ وهبه المصري من جماعة السلطان ابن سعود والدكتور محمود حمدي الدمشقي طبيبه الخاص ورئيس مصلحة الصحة في مكة المكرمة . واول ما فعله الاول تكذيب خبر المقطم عن الاتفاق الذي وقع في « بحرة » وكذبت الحكومة البريطانية مسألة دفع المال للسلطان ومسألة الاتفاق على حدود الحجاز . وكانت جريدة ام القرى ذكرت انها لم تقع في المذاكرة — وكذبت جريدة العراق الرسمية خبر المقطم كله من أصله إذ كانت نشرته جريدة الاستقلال العراقية .

(الى أن يقول) : تضافرت الاخبار على قرب تسليم جده ومنها أن الشريف كتب الى السلطان عبد العزيز يطلب بعض الشروط للتسليم وقد صدق هذا الخبر الشيخ فؤاد الخطيب الذي وصل الى مصر في الباخرة التي حملت الشيخ حافظ وهبه والدكتور حمدي من رابغ . ولكنه قال انه لم يقف على الشروط او المطالب التي طلبها الملك علي ومما قاله للدكتور في الباخرة انه قد استقال من خدمة علي ولكن ظهر في المقطم انه يحمل كتاباً من ملكه الى ملك مصر .

(الى ان يقول) : ولا شك ان جوفنيل قد انتفخ من الغرور الذي طغي به كل سلف له وهو يسلك كل سبلهم في التفريق والافساد • ولكن العلاقة بينه وبين الارمنازي لا تزال حسنة • وقد سافر الارمنازي الى بيروت وبعد سفره بيوم جاءه كتاب منه يطلبه فيه لمقابلته فأعدنا اليه الكتاب وننتظر غداً وصول كتاب منه • كتبته ليلاً والسلام عليك من الشيخ ابراهيم بن معمر الحاضر معي الآن ومن أخيك ؟

رشيد

* * *

وكتب إليَّ في ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٤٤ و١٤ يناير ١٩٢٦ ما يلي:

سيدي الاخ الامير

وصل منذ ثلاث كتابك الوجيز وما معه من كتاب الامانة وكنت أود لو كان هذا الكتاب لصاحب الشأن نفسه لا لمندوبه الذي لم يثبت عندنا بعد انه يفوض اليه النظر في امثال هذه المسائل بل هنالك شبهات أو أمارات تشير الى خلاف ذلك •

وقد سرّني من الكتاب ما في اوله من الرجاء في التلاقي مع صاحبنا في زمن غير بعيد وهو عين ما كتبته اليك واقترحته عليك في كتاب سابق لعله وصل اليك بعد إرسال الكتاب الذي تتكلم عنه •

واما مكتوباتك السابقة فقد اجبت عنها كلها بما رأيته كافياً وإن كان بعضه موجزاً ومنه مسائل مهمة في شأن الحجاز لعلها تسوّغ لديك ما علمته — ولا بد — من انباء البرقيات العامة من لندن من أن اهل الحجاز بايعوا سلطان نجد بملك الحجاز واقنعوه بأن يقبل فقبل على ان تكون

إدارة الحجاز مستقلة دون إدارة نجد — وهذا لا يمنع عرض مسألة الحجاز ونظمها على المؤتمر الحجازي الذي دعا اليه السلطان . ولعل جمعيتنا هنا تضع المشروعات لهذه النظم وقد نقحت بعض ما اقتضت الحالة تغييره من موادها وأرسلتها اليه ليكتب إليّ برأيه فيها قبل الشروع في التنفيذ . وانتظر أن يجيء جوابه في البريد الذي يخرج من جدة في مساء ٩ يناير ويصل غداً أو بعد غد . فان لم يدركه فلا بد أن يرسل في تاريخ ١٩ ويصل في آخر اسبوع من الشهر ولعله الارجح لان الجواب المنتظر سيكون مشتملاً على مسائل أخرى مهمة لا يمكنه أن يجيب عنها إلا بعد تفكر وتدبر . والاخوان هنا وفي الحجاز يرون من الضروري أن أسافر انا إلى الحجاز عاجلاً ومنهم الشيخ حافظ وهبه والشيخ ابراهيم بن معمر وأنا لا أرى العجلة ضربة لازبة وانه يمكننا أن نعمل هنا الآن ما لا يمكن عمله في مكة . وأنا مقيد بأعمال كثيرة لا يقوم بها غيري فلو ذهبت لكان ذهابي موقتاً وعودتي ضرورية وان كان لا بد من ذهابي مرة ثانية في موسم الحج وأيام المؤتمر الذي لا بد أن يكون في أيام الحج وعسى أن نجتمع هنالك ! حقق الله الآمال .

ما بلغك من امتناع الامير ميشال من إرسال نقود الاعانة الى جبل الدروز والغوطة واصراره على إرسالها الى لجنة الصليب الاحمر التي ببيروت إنما بلغك على غير وجهه فطب نفساً وقر عيناً فليس الرجل كما بلغك وليست الجمعية آلة بيده . والذي وقع ان الجمعية كانت قررت السعي لتأليف لجان في الجهات المنكوبة ترسل اليها النقود وتكون مسؤولة عن توزيعها على المستحقين وقد اتخذت الوسائل الكتابية لذلك ومن غرائب الخلل في البلاد انه لم

بأننا نبأ بتأليف لجنة ـ فأما دمشق وحماه فيقرب أن تكون المكتوبات اليها قد اختزلت دون المرسلة اليهم . ولكن لا عذر لجبل الدروز في التقصير وقد كتبت أنا الى أخينا سمي المدير البارع[1] وجاءني منه جواب يعتذر فيه عن تأليف لجنة في السويدا بعذر غريب ان يصدر عن مثله. وفرنسة تتهم الجمعية بأنها كلجنة المؤتمر تساعد الثوار واحتجت على الحكومة المصرية بذلك . وقد اتصلنا هنا بمندوب او معتمد جمعية الصليب الدولية وأراد أن يساعدنا في كل عمل فحال دون نجاحه مساعي فرنسة في جمعية جنيف فقررنا أن نكلفه بسؤال لجنة بيروت هل تأخذ على عاتقها ايصال الاعانات الى المنكوبين في جبل الدروز والغوطة وأمثالها ولم نأخذ جوابا وسنجتهد في ايصالها بكل ما نقدر عليه وقد ارسلت إعانة صالحة للمستشفيات التي في الجبل والسلام من أخيكم ؟

رشيد

* * *

وله إليّ هذا الكتاب المؤرخ في ١٤ رجب ١٣٤٤ و٢٨/١/١٩٢٦:

سيدي الاخ الامير

وصلت مكتوباتك الثلاث تترى فلا عدمتها وان طولها لاشهى إليّ من طول أعناق الغيد عند العاشق الولهان وطول المران في أيدي الشجعان واني لمجيبك عنها بإيجاز يغني عن التفصيل ولا يقال لقليله قليل :

فأما ما ذكرت في ملاحدة الترك من وصف ورأي فأنا موافق لك فيه من كل وجه ولعلك لم تزدني فيه علماً إلاّ ببعض الروايات القليلة

(١) المرحوم رشيد بك طليع

مما رأيت بعينيك وسمعت بأذنيك وأنا أطلقت على هؤلاء المتفرنجين من الترك لفظة الملاحدة منذ كنت في الاستانة وكان يردده معي الشيخ اسماعيل حقي المناسترلي العالم المفسر إذا خلونا في داره . وقد حكيت عنه ذلك في المنار بعد وفاته . وأنا أعلم من قبل تهتك فلان في سعيه ومجاهرته بإكراه الترك على الارتداد عن الاسلام أنه مرتد بكره الاسلام ويسعى لانملاص قومه منه وتأكد ذلك عندي كما تأكد شدة بغضه للعرب وحقده عليهم بكتاب طويل كتبته اليه عقب انتصاره وقبل احداث ما احدثه نصحت له فيه أن يجد ما شاء في تقوية الترك مع المحافظة على الجامعة الاسلامية والتعاون مع الجامعة العربية لان ضياع العرب ولو في سوريا والعراق وحدهما خطر على الترك ... (وهو من الكتب التاريخية المهمة وسيأتي يوم ينشر فيه كله أو بعضه) . وقد أرسلته اليه مع ضابط سوري كان من أركان حربه وارسلنا معه مذكرة أخرى باسم الجمعيات العربية كان أخونا الامير عادل ممن اشترك فيها وهي بمعنى كتابي إلا انه ليس فيها مسألة الجامعة الاسلامية . وقد أعطاها الضابط الذي حملها الى مرسين لمدير المخابرات التركي وهو أرسلها الى انقرة واستأذن للضابط بالسفر اليها . فجاءه الامر برده وعدم الاذن له بالسفر الى انقرة ... ثم كان من اعماله ما كان من انواع الاعمال الهادمة للاسلام التي انكرناها كلها في المنار بالمناسبات . وقد صرحت أخيراً في الجزئين الخامس والسادس في فتوى من سورية تتعلق بلبس البرنيطة وتفسير في الجزئين السابع والثامن بتفصيل طويل .

وطالما فكرت في مسألة طمع الترك في سورية والعراق وتوسلهم الى

ذلك بجعل مفتاحي القطرين وأهم بقاعهما — الموصل واسكندرونة من الوطن التركي المحض[1] — وطالما خطر في بالي من التفاؤل ان احتلال الدولتين الطامعتين للقطرين ربما كانت حكمته انقاذهما من شر الترك وطمعهم الى ان يتم لنا تأليف دولة عربية قوية[2] — اذا كان الله تعالى يريد أن نحيا من حيث لا يشعر خصومنا من الفريقين — ولا شك عندي في كون تسلط الترك علينا في هذا الطور شراً من تسلط الافرنج وانه كما قلتم[3].

أردت الاختصار والايجاز فاضطررت الى الاسهاب — الاضافي لا الحقيقي — فأقول بمناسبة ما ذكرتم في لقب «بطل الاسلام» انني دخلت ليلة على امين بك الرافعي في ادارة الاخبار فألفيته يصحح مقالة له وضع هذا اللقب عنواناً لها وكتبه بحروف كبيرة (ثلث) فقلت من هذا الذي تسميه بطل الاسلام؟ قال — بملء فيه: مصطفى كمال. قلت: انه ليس ببطل الاسلام ولا بمسلم بل عدو الاسلام. قال من بطل الاسلام إذاً؟ الملك حسين؟ فقلت له: أينا أشد على الملك حسين أنا ام أنت؟ قال انت. قلت: كيف تقول لي هذا؟ انا اعلم من مصطفى كمال ما لا تعلم انت ولا قومك؟ ان من اخواننا السوريين من تربى وتعلم وحارب معه الخ... نحن ننصر الترك على الافرنج ولكن يجب ان نحفظ خط الرجعة

---

(١) ايدت الحوادث كلام السيد رشيد بعد ١١ سنة من تاريخ هذا المكتوب.

(٢) وتكهنه هذا قد تحقق ايضاً فان العرب اليوم مجمعون على انه لا امل لهم بحفظ بلادهم سواء من الترك او من الافرنج إلا باتحاد عربي عام.

(٣) بعد ان رأيت ما رأيت من هدم انقرة للاسلام اقتنعت بأن خطر الافرنج على العرب اصبح اهون من خطر ملاحدة الترك.

فيا نكتب وكفانا ما جربنا من الاتحاديين وغيرهم . . .

لاجل هذا نقلت فيا كتبته بعد ذلك تحت عنوان : « الانقلاب الديني السياسي في الجمهورية التركية » منذ سنتين بعض ما كتبه الرافعي والشيخ شاويش والشيخ شاكر في تكفير الكماليين وزعيمهم اي لما كان من سابق غلو الثلاثة (١) في الانتصار لهم وصرحت في ذلك السياق بأن الكماليين يريدون بعملهم سل الشعب التركي كله من الاسلام — فهل نسيت هذا حتى قلت انني قصرت فيهم ؟

(الى ان يقول) :

شرفاء الحجاز وحالته الان

ليس الآن انلان ولا لآل فلان ولا غيرهم عصبية في الحجاز ولا يستطيع احد منهم ان يحفظ الامن ويقوم بشؤون البلاد وليس لاحد من هذه العشيرة ذكر في هذه القرون الكثيرة . . . . . . وما ألحوا على سلطان نجد بقبول الولاية عليهم باسم ملك الحجاز الا خوفاً ان يتركهم الى مؤتمر ينصب عليهم احد الشرفاء وهو لم يقبل دعوتهم الا بعد ان عززهم فيها اهل نجد تعزيزاً لا يخلو من تهديد للسلطان .

ولعلك علمت ان البيعة وقعت على ان تكون إدارة الحجاز منفصلة عن ادارة نجد وهذا ما يبقي باب الامل مفتوحاً امامنا لمساعدة صديقنا

---

(١) لم يكن في الاسلام اشد انتصاراً للترك من الاستاذ الشيخ شاكر والمرحومين الشيخ شاويش وامين الرافعي فلما ظهر من انقره ما ظهر كانوا اشد المسلمين عليها .

الشريف حيدر ليكون رئيس حكومة الحجاز من قبل ملكها مكان نجله الذي عين موقتاً لا لأن من المتوقع سرعة تجدد عصبيتهم بقبائل حرب وغيرهم كما ذكرت ٠ فلو صح هذا لكان مانعاً عندي وعند ابن السعود وعندك اذا فكرت قليلاً - من تأميره بل لأنه لا يخشى ان يجدد عصبيته لعجزه لا لعقله ٠ والواجب الذي يتوقع من ابن السعود ان يميت عصبيات القبائل الجاهلية من الحجاز كما أماتها في نجد وان يستبدل بها عصبية الدين وحده ٠ وهذا من الاصلاح الذي لا يرجى من غيره ٠

وكل ما كتبته غير هذا في مسألة الحجاز ونجد والعرب صواب لا غبار عليه ٠ واما كتابك الذي ارسلته إليّ مفتوحاً فقد قرأته وارسلته الى السلطان الملك مع ابن معمر وهو قد سافر من هنا وسافر بعده الشيخ حافظ بيومين وقد اكتشف الاول هنا ما يؤيد رأي الرجل الذي صادفته وافضى اليك بما اودعته إليّ او اودعتني اياه على ان يكون سراً عميقاً ورأى من باب الاحتياط ما وافقته عليه وهو ما علمت آنفاً ٠ ولا بد ان يكون وصل اليك كتابي الذي كتبته اليك بشأن تلك المسائل الخطيرة ولمحت منه ما يشير الى هذا الاحتياط من تمني لو كنت كتبتها لصاحب الشأن مباشرة ٠ وقد بلغت ما بلغت منها والحمد لله ٠

لم يصل الينا شيء جديد عن التفاهم بين الامير عادل والدكتور وعسى ان يكون ما عرض من قبل قد زال ٠ وأحب لك ان تترفع انت عن الدفاع عن نفسك بأنك لا تطلب في البلاد وظيفة ولا منصباً فانت فوق التهم واهلها ٠ واما مجيئك الى هنا فسأطرق له باباً جديداً من السعي خطر في بالي عندما كتبت ما كتبت فيه ٠

مسألة البينة والشهادة

الاصل المتفق عليه المعمول به ان الجناية تثبت بالاقرار او بشهادة عدلين وهنالك مسائل مختلف فيها بين الفقهاء كالحكم بالنكول وما يثبت به ٠ والنكول امتناع المنكر من حلف اليمين — والحكم بالتواتر والحكم بالخط وبالقيافة وبالقسامة والتحقيق ما فصله ابن القيم في أعلام الموقعين من ان البينة التي هي الركن الاول للحكم ليست الشهادة وانما هي كل ما يتبين به الحق ٠ هذا ما تدل عليه اللغة واستعمال القرآن نفسه وقد نشرت كلامه في احدى مجلدات المنار ٠ والسلام عليكم أولاً وآخراً من اخيكم

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ٢٧ رجب ١٣٤٤ و١١ فبراير ١٩٢٦:

اخي الامير النحرير

وصل أول من امس كتابان لي منك احدهما مستقل والآخر مع كتابك إلى الملك وما معه من التقارير المطبوعة وإنما وصلا في يوم واحد مع اختلاف تاريخهما لان المكتوبات المسجلة تتأخر عن العادية دائماً ٠

وقد بادرت امس إلى ارسال كتاب الملك السلطان وما معه وكتاب آخر مني في بريد الوكالة الحجازية النجدية مسجلاً مختوماً بختمها وإنما لم اترجم التقارير كما عهدت إليّ لانني أعلم أن في الحجاز من يعرف اللغة الفرنسية ومنهم الدكتور محمود حمدي الدمشقي طبيب الملك الخاص فلم أرَ تأخيرها لترجمتها هنا واتفق ان كان أمس موعد إرسال البريد وبينه وبين

الذي يليه عشرة ايام في الغالب وقد اعجبني الكتاب وما معه وعززت رأيك في كتابي بل هو عين رأيي الذي ادليت به اليه مراراً في مكتوباتي اليه والى بعض رجاله وبتوصية اناس سافروا من هنا أولهم خالد واوسطهم شكري بك القوتلي بعد ابن معمر وآخرهم حجازي سافر في أول فبراير هذا . (الى أن يقول) :

هذا وان الامير ميشيل مضطرب في مسألة الاعانة بين أمرين تهمة الفرنسيس وسخط متعصبي النصارى فيخص سعي الجمعية لجمع المال بالمنكوبين ويقول انه يجب ان يكون سعياً إنسانياً عاماً لكل الطوائف — وقد أطلعناه على ما كتب في بعض الجرائد من وصول اربعة آلاف جنيه لنصارى حاصبيا وراشيا من اميركا وحدها دع إعانة اهل لبنان لهم ومساعدة الحكومة . وقد جرى في جمعيتنا جدال كثير في عدة جلسات غضبت فيها ورفعت صوتي . والحاصل اننا لم نوفق لا في جمع الاعانات ولا في توزيعها وانني كنت أرجو غير ذلك ومذ شعرت بالخيبة كتبت الى الهند بأن لا يرسلوا إلى جمعيتنا شيئاً . وان يفضلوا جمعية القدس عليها وذكرت هذا في بعض الجلسات .

وأما مسألة محمود سلطان عزام ونجيب بك شقير فلم أسمع بها هنا وسأسأل الثاني عنها عند لقائه . وما أظن انه كان يريد ان يأخذ إعانة زكي باشا لجمعية المنكوبين التي يرأسها لطف الله . ولعله اراد اعطاءها للجنة جرحى الدروز التي يرأسها الحاج اديب خير التاجر الدمشقي الفاضل وأني ليؤلمني كثرة الكلام في هذه المسألة ولكنني لا أقصر فيما اراه واجباً أو مستحباً وعسى أن أوفق إلى سعي آخر على كثرة شغلي .

وأما مسألة انتقاد مذكرتك وترجمتها فقد سبق أن كتبت لك فيها ما أراه كافياً ولا يوجد أحد شك في صدق وطنيتك من منتقد ولا غير منتقد ولا أنت في حاجة إلى الدفاع عن نفسك كما قلت سابقاً والسلام عليك أولاً وآخراً ورحمة الله وبركاته من أخيك المخلص ؟

رشيد

حاشية :

جاءني كتاب من الامام يحيي كذب فيه ما كان أذاعه المقطم من عزمه على التصدي لمسألة الحجاز انتصاراً لعلي وأكد لي ما أعلم من حرصه على مودة ابن السعود وذكر لي انك كتبت اليه في ذلك [1] وأجابك وأرسل كتابه اليك عامله في الحديدة وقد ارسل الي جوابه عن دعوة ابن السعود فأرسلتها اليه أي بشأن المؤتمر أرجو إرسال عنوان صاحبنا زكي كرام .

* * *

والكتاب التالي المؤرخ في ٢٥ رمضان ١٣٤٤ و٨ أبريل :

اخي الامير الكبير

أحييك وأهنئك بعيد الفطر السعيد أعاده الله علينا جميعاً الخ (الى أن يقول):

(١)أظن اني كتبت إلى الامام يحيي في قضية المحالفة بينه وبين ابن سعود و كتبت إلى الملك عبد العزيز في قضية المحالفة بينه وبين الامام يحيي اكثر من خمسين مرة والاثنان شاهدان على ذلك . كما اني كتبت الى المرحوم الملك فيصل بقدر ذلك في امر اتفاقه معهما وعندي منه مكتوب يقول فيه : أشهد انك أول من تكلم معي في قضية الوحدة العربية .

(١) سأرسل غداً وبعد غد ما أمرتم بإرساله الى الحجاز وبريده يرسل من هنا في ١٠ أبريل ومن السويس في ١١ منه وانني عازم على السفر بنفسي لمقابلة صاحبنا في أقرب فرصة (ولعلي لا أتأخر عن أول باخرة تسافر بعد العيد) وسنرى ثم ما يجب .

(٢) كان سكرتير مؤتمر الخلافة أخبرني انه أرسل اليك الدعوة وقد قرأت له اليوم أكثر ما كتبت لي في موضوع المؤتمر ومنه العبارة التي تدل على عدم وصول الدعوة اليك فتعجب وسأل الكاتب الذي تولى الارسال فأكد خبره .

(٣) الظاهر ان الكتاب الذي وصل اليك من الامام هو الذي عناه بما كتبه إليّ وسيجيبك عما كتبت بعده ان لم يكن قد فعل .

(٤) انني أعمل للاتفاق بين الامامين منذ سنين كما تعلم وإن كانت أخبار ظلم الزيدية للشافعية لا يمكن المراء فيها وأقبحها ان جيش الامام يحتل بيوت الاهالي في تهامة ولا يكتفي بضيافة الاكل والشرب بل . . . . . . والامام لم يظفر الى الآن بإزالة امارة الادريسي على ما انتابها من الضعف والانحلال بعد وفاة مؤسسها فكيف يطمع بالظفر بابن السعود ؟ ولكن المشكل انه يعدّ تهامة وعسير من بلاده . وسندرس المسألة في مكة ان شاء الله ونجتهد في اقناع الملك السلطان بالاتفاق الممكن وأوله ان لا يغزو الامام لانتزاع ما في يده ولا لاجل مذهبه ومن غير الممكن إقناعه بترك ما بيده من بلاد عسير وبين هذا وذاك حمايتهُ للادريسي وهي موضع الدرس الدقيق .

(٥) علمت بخبر الشريف حيدر ورأيت أخاه هنا وأفطر عندي مع جمهور من كبار المصريين وباشواتهم .

(٦) الخلافة واجبة قطعاً واما الخليفة فأحسن ما قيل فيه ما نقله الماني كان في جدة عن ابن السعود وهو انهم أرادوا مبايعته بالخلافة فامتنع وقال : ان هذا حق للعالم الاسلامي يتوقف إنفاذه على ظهور رجل يثبت له بالفعل انه هو الزعيم القادر على تنفيذ الشرع والنهوض بالمسلمين في هذا العصر . والسلام عليك وعلى إحسان بك ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ من مكة المكرمة في ٥ ذي القعدة ١٣٤٤ :

سيدي الاخ الصديق

سلام عليك . وصل إليّ كتابك أمس مع كتاب من السيد عاصم فعلمت منه أن شعوركما في مسألة الخلاف بين مصر والحجاز واحد . ونحمد الله تعالى انه لم يقع خلاف حقيقي وإنما أراد المرجفون ذلك فخاب سعيهم . وسوس قنصل العجم (غيرة الملك) في اذن بعض رجال الحكومة المصرية وفي آذان أخرى من محرري الجرائد أعداء الإسلام عقب عودته من مكة بأن الملك ابن السعود سيفعل كذا وكذا فاستعلمت الحكومة عن ذلك وطلبت بياناً خطياً من الملك فأجابها بما أرضاها وانتهى الامر ولله الحمد . ولعلكم علمتم ذلك أو تعلمونه من الجرائد المصرية قبل وصول هذا اليكم وقد كنت كتبت إلى الملك قبل سفري

بما بلغني كتاباً قلت فيه ما مؤداه : اذا لم يكن لديكم مانع من إجابة طلب الحكومة المصرية بما يرضيها فذلك ما نبغي وان كان ثم مانع فأرجو أن لا تردوا طلبها وأجلوه الى ان أحضر ... ولكن الرجل حكيم .

وأما مسألة العجم فقد كنت سعيت لعقد المودة بينه وبينهم حين ثاروا ثورتهم وهاجت بلادهم ونوابهم لبهتان فلان في مسألة ضرب القبة النبوية ... فإن حكومتهم يومئذ أمرت سفيرها بمصر وقنصلها في سورية بأن يسافرا الى الحجاز ليكشفا الحقيقة فأعطيت السفير عند سفره كتاب توصية لابن السعود واظهرت فيه ما أراه من المصلحة الاسلامية في الموادة مع دولة ايران ... وكنت قبل هذا أطلت الكلام مع السفير في ذلك فأظهر الارتياح لكلامي والاقتناع به وعاد من مكة راضياً من ابن السعود وحمل إلي كتاباً منه وكتباً اخرى منه للدعوة الى مؤتمر الحجاز . والظاهر الان أن حكومته وحكومة أخرى كانتا تريان او تبغيان ان يقرر المؤتمر خروجه من الحجاز . فلما بايعه أهله أظهر العجم سخطهم وطفقوا يكيدون له مع الكائدين من حزب الشرفاء . والسلام عليكم وعلى ولدكم وإحسان بك ولا زلتم سالمين موفقين وستسمعون ما يسركم إن شاء الله .

رشيد

***

وكتب إلي أيضاً من مكة المكرمة في ٨ ذي الحجة ١٣٤٤ و ١٩ يونيو :

أخي الامير

أكتب اليك هذه الكلمات يوم التروية الذي نصعد فيه الى عرفات وقد سبقنا اليها أكثر الحجاج وأسأله تعالى أن يعيد هذا الموسم عليك وعلينا وعلى أمتنا والاسلام بعلو والعرب تسمو وأبشرك بأن صاحبنا الامام[1] قد تبرع لمنكوبي بلادنا بأربعة آلاف جنيه بعد ان طلبت منه نصفها وأقسم بالله انه في خجل من هذا المبلغ القليل الذي سببه قلة ماله بسبب الحرب حتى كثرت ديونه مع كثرة النفقات في هذا العام ونحن نعلم أن ضيوفه الان بمكة يعدون بالمئات وجميع نفقاتهم عليه من بيوت وأطعمة متنوعة تقدم اليهم وركائب الخ . وقد قدم منذ ايام ممن قدم من نجد بقية اسرة آل سعود مع آل الرشيد وآل عايض ضيوفهم الذين يعاملهم الامام كأولاده واخوته في كل شيء وهم مع اتباعهم الفان . دع وفود المؤتمر واعضاءه ومن هؤلاء الضيوف من يعطون نقوداً ومنهم من يطلب هذا وانه في اليوم التالي لليلة التبريح أوعز الينا بأن لا نذيع خبره .

أما استعداده العقلي والفطري وذكاؤه فقد رأيتها فوق ما كنت أتصور . وهو يقدر كل ما نطلبه منه من الاصلاح قدره ولكنه شديد الحذر والروية لا يحب أن يتعجل بشيء قبل أوانه واعداد العدة له وسأذكر لكم شيئاً من التفصيل في هذا الباب وموعدي معه في الاسهاب في المذاكرة انقضاء موسم الحج وانفضاض المؤتمر الذي تأجلت جلساته الى ما بعد إتمام النسك .

لولا شوكت علي وأخوه لسار المؤتمر على الطريقة المثلى التي ترضي

---

(١) يعني بالامام الملك ابن سعود وهذا لقبه في نجد .

جميع المسلمين ولكن الرجلين كانا مصيبة . ولولا اننا أجمعنا على مداراتهما خشية الفشل لوقع في المؤتمر شقاق ادى إلى انسحابهما منه فمن ذلك المعارضة في تسمية ابن السعود ملكاً زاعمين ان الملك لا يليق بشأن الحجاز والاسلام بل الجمهورية كما فعل الترك !! ومن أكبر أسباب سخطهما هدم قباب القبور المعبودة الذي يؤيده أهل الحديث وغيرهم من علماء الهند وسائر اهل السنة وسأذكر لك عذر ابن السعود في هدمها في كتاب آخر ... وقد هيأنا احتجاجاً شديداً على فظائع سورية سنعرضه على المؤتمر .

الحج في هذا العام عظيم فإن كان الذين جاؤوا من طريق جدة لم يبلغوا ستين الفاً فان الذين جاؤوا من جزيرة العرب لا يقلون عنهم واكثرهم من نجد .

وصل وفد الامام يحيى يحمل الى الملك هدايا متنوعة . معي هنا وفد القدس المفتي والحافظ الشيخ اسماعيل وعجاج وانضم الينا حسن بك الحكيم والحاج اديب خير والجميع يسلمون معي عليك تسليماً

رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ ايضاً من مكة المكرمة في ٢٧ ذي الحجة ١٣٤٤ و٨ يوليو :

سيدي الاخ الامير

كتبت اليك قبل الذهاب الى عرفة كتاباً لم يمكن ارساله من مكة لانتقال البريد الى منى فأرسلناه من منى بعد يوم العيد اي ثاني أيام منى أو ثالثه فلعله وصل واليوم اكتب اليك بما لعل خبره وصل اليك في بعض الجرائد وهو انتخابنا اياك في المؤتمر الاسلامي العام كاتباً عاماً

(سكرتير) للجنة التنفيذية المنوط بها تنفيذ قراراته والاستعداد للمؤتمر الثاني [1].

لم نرَ في مكة رجالاً اهلاً لان يكونوا أعضاء للجنة التنفيذية فاقترح شوكت علي ان ينتخبوا من اهل الكفاية الممتازين في أخلاقهم وفنونهم وان يؤجل تأليف اللجنة ثلاثة اشهرلتتمكن الوفود من اختيارهم من البلاد المختلفة وذكر ايضاً ما يجب مراعاته في الكاتب العام وضرب المثل بك وبالشيخ شاويش وثنيت أنا على اقتراحه — كما يقولون — وتكلمت في طريقة تنفيذه وأيدنا اخونا امين الحسيني ثم ألفت لجنة منا ومن آخرين لوضع طريقة للتنفيذ وبعد بيان تكلمنا في الكاتب العام فقلت لهم : اننا نوافق الاخ شوكت علي في قوله ان سكرتير اللجنة (وسيكون سكرتير المؤتمر عند انعقاده) مثل فلان وفلان في الاستعداد والمكانة واقترح ان نختار فلاناً ونعرض ذلك على المؤتمر وبعد موافقته أتولى انا عرض ذلك عليه واقناعه به فقبلوا ذلك بالاجماع مع الارتياح كما قبله المؤتمر بعد فأنا الان اكتب اليك راجياً قبول هذه الخدمة الشريفة بصفة رسمية . ولا أراك تخالفني في ان اختيارك لها باجماع اعضاء المؤتمر يعد اعظم شهادة بمكانتك الرفيعة واستعدادك الكامل في العلم والكتابة والعقل لخدمة الملة والعالم الاسلامي وانا قصدت باقتراحي تسجيل هذه الشهادة لك في التاريخ وان كنت أشك كغيري في قبولك اياها وارجو ما لا يرجو غيري من اقناعك بها . وما كان ذكر شوكت علي لك الا من قبيل ذكره لسعد

---

(١) قد اعتذرت عن قبول هذا المنصب الا اذا رضوا مني بالاقامة في الحجاز اربعة اشهر لا غير وهي اشهر الشتاء .

باشا زغلول ومصطفى كمال باشا عند ذكر من يصلحون لرئاسة المؤتمر تعظيماً لشأنه وشأن مقرراته ·

قالوا ان الامير شكيباً عاش عمره كله متنقلاً بين البلاد المعتدلة والباردة فلا يستطيع الإقامة في الحجاز وقد سبق لنا مكاتبة وجيزة في هذا الموضوع واعود الان فأقول بعد ان اختبرت مكة في هذه الاشهر الثلاثة وعلمت من امر جوّها ما لم اكن اعلم : ان اقامتك في الحجاز مع اهل بيتك ممكنة بدون احتمال مشقة كالمشقة التي يحتملها الانكليز في الاقامة في السودان والهند والاقطار التي هي اشد منها حرارة ولا سيما بعد تعبيد الطريق بين مكة والطائف وهو ما لا بد منه · والمرجو ان يتم قبل الصيف الآتي وانت تعلم ان هواء الطائف اقل حرارة في الصيف من مثل الشويفات [1] ولا يقدر الناس على النوم فيه بدون غطاء ويلبسون الاكسية الصوفية·

واما في هذا العام فسيكون قدومك الى مكة في فصل الخريف لان

---

(١) قصبة الشويفات من غرب لبنان هي مركز الارسلانيين ومسقط رأسي بناها جدنا الامير مسعود ابن الامير ارسلان ابن الامير مالك المنذري اللخمي المتوفى ليلة السبت ثالث عشر محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ثمان وسبعون سنة · قال العباس بن الوليد بن مزيد العذري قاضي بيروت — وكان من مشاهير المحدثين — : « وحضرت جنازته ودفن في الشويفات بجانب الحصن الذي بناه بها » والسيد رشيد يعلم ان الشويفات لكونها في آخر الجبل يشتد حرها في الصيف ولكني في حياتي ما قضيت صيفاً في الشويفات وانما كنت اقيظ في الصرود عين صوفر ونحوها ·

المؤتمر اخر انعقد اللجنة التنفيذية ثلاثة اشهر فاذا اخذنا لك بيتاً في ضواحي مكة من جهة المعلى حيث يسكن الملك أو في جهة الشهداء (حيث الطريق الى جدة) يمكنك أن تكون مرتاحاً فان الهواء في الضواحي اعدل بل أشد اعتدالاً من مكة ان صح ان نشايع اهلها فنقول ان الهواء يعتدل في الخريف عندهم بالمعنى المألوف عندنا — والحق أن الاعتدال نسبي عندنا وعندهم — ولكني أذكر لك انني في الايام التي كنت أتألم من هواء الليل في مكة أشد التألم بت ليلة في الشهداء[1] في مكان خلوي فندمت لانني لم أطلب غطاء وكنت انتقل من المكان المكشوف الى ما وراء الجدار من حركة الهواء الذي كنت اشكو سكونه في مكة وجملة القول ان المرجو ان يكون الخريف خيراً من هذه الأيام التي تهبط فيها الحرارة ليلاً الى ٢٧ بل الى ٢٥ أو ٢٤ ليلاً وقلما تزيد نهاراً عن ٣٧ والعادة ان تكون أشد من ذلك ولا بد أن تشتد . وأما وجودك هنا بقرب صاحبنا ففائدته اكبر من فائدة خدمة المؤتمر وسنعود اليه وسأسافر بعد ثلاثة أيام الى مصر إن شاء الله والسلام على من معك من اخيك ؟

رشيد

* * *

(١) هذا صحيح فان الانسان الذي لا يقدر أن يذوق طعم الكرى في مكة من شدة حرها في الصيف يقدر ان يبيت في الزاهر أي الشهداء بكل راحة وان يقبل الغطاء بل يضطر اليه وذلك لان الشهداء سهل افيح تحيط به بعض الآكام وليس عن بعد كمكة التي تحصرها تلك الجبال الصخرية من كل جانب .

وكتب إليَّ من القاهرة في ١٦ صفر ١٣٤٥ و٢٥ أغسطس:

أخي الأمير

عدت من الحجاز منذ ثلاثة اسابيع وأيام فوجدت كتاباً مطولاً منك ينتظرني ليس فيه اشارة الى وصول آخر كتاب ارسلته اليك من مكة في شأن اختيارنا اياك سكرتيراً للجنة المؤتمر الاسلامي التنفيذية لانه كتب قبل ذلك وقد أرسل اليك رئيس المؤتمر بعده برقية ولكنك ذكرت في كتابك انك علمت بذلك من الجرائد وفي كتابي كلام في المسألة لابد ان تذكر لي رأيك فيه إذا كان الكتاب قد وصل اليك كما ارجو.

كتابك المطول ارسلته الى مكة وجاءني اليوم كتاب ممن امره الملك ان يجيبني عنه وانه سيجيب ويرسل جوابه في البريد الاول بعد البريد الذي حمل كتابه اذ الوقت بعد أمر الملك لم يتسع للجواب. وكنت كتبت مذكرة بالمسائل التي فيه لاجيبك عنها بما عندي من العلم وهي ١١ مسألة فلم اجد فرصة لذلك واكتب الآن هذه الكلمات بعد الظهر لان رياض بك الصلح اخبرني بالتلفون انه سيزورني بعد قليل وسيسافر الساعة ٣ بعد الظهر إلى الاسكندرية ليبحر منها الى اوروبة حيث يلاقيكم فيها ومتى جاء اشتغل بالكلام معه وانما فرصة الكتابة هذه الدقائق التي انتظر مجيئه فيها فأقول بالايجاز:

(١) مسألة الفنيين في الاساحة موجودون وعمدتهم... الذي رأيته...

(٢) المحالفة مع اليمن قد عرضها الملك على مندوب الامام عرضاً مع اعلامه بأن الامام احوج اليها منه وقد كان مندوب الامام الذي ارسله الى مكة راضياً قبل سفره من الملك تمام الرضا ولكنه كما قال غير مفوض

بعقد محالفة وكان جل ما يسعى اليه لدى الملك تخليه عن الادريسي وقد حضر بعض مذاكراتي معه ومذاكراته مع الملك محمود نديم بك[١] وكان راضياً من الملك وقد تكلمت مع المندوب في مسألة التعويض أو الدية عن قتلى اليمانيين وهو لم يذكرها للملك على ما أعلم وإنما ذكرناها بيننا وقلت له سأذكر الملك بها بعد أشهر عندما تنتظم ماليته ونقلّ نفقاته وقد سبق وعده بالتعويض فلن يخلفه ...

(٣و٤) إن مسألتي عصبة الامم والتمثيل الخارجي لا يغني فيهما الاختصار والايجاز والذي علمته ان النظر في هذه المشروعات سيكون بعد تنظيم الحكومة ولا سيما المالية وتنظيمها متوقف على اختيار الرجال وليس عند الملك أحد منهم وقد اخترنا له بعضاً ولا نزال نبحث عن غيرهم مما سأفصله لك في كتاب آخر .

(٥ او ٦) قنصل ايطالية يتودّد وقد جرى بينه وبين صاحبنا حديث في مسألة عودة السيد أحمد السنوسي إلى بلاده كتبه صاحبنا إلى السنوسي فأجابه هذا بأنه سينظر فيه عند اللقاء بعد عودته إلى مكة ... ولكن ايطالية لا تعترف بالحكومة الحجازية رسمياً[٢] كما علمت وسأكتب اليك بما يجيئني في البريد الآتي .

---

(١) الذي كان والياً لليمن من قبل الدولة العثمانية .

(٢) ترددت ايطالية مدة في الاعتراف بالحكومة السعودية في الحجاز وذلك على أمل عقد معاهدة معها تتضمن بعض شروط لم يجد ابن سعود لها داعياً فجاءني معتمد يومئذ من قبل ايطالية يلتمس وساطتي في الموضوع وكنت علمت حقيقة للموانع التي حالت دون المعاهدة فأقنعت الطليان بأنه لا لزوم لكتابة الصيغة التي

(٧) ما أظن أن الترك يقدرون على شيء مما نخشاه منهم . وقد تبين لي انني كنت (غيداراً)[1] حين كنت أقول بمكة ان مندوبي الترك للمؤتمر يتعمدون إرجاء مجيئهم الى ما بعد موسم الحج وانتهاء المؤتمر وانهم لا يريدون من إرسال الوفد باسم المؤتمر إلا موادة ابن السعود وقد سمعنا منهم ما يدل على صحة هذا الرأي وسأذكر لك شيئاً من خبرهم في كتاب آخر .

(٨) متصرفية الجوف مهمة ونتوقف على تنظيم الحكومة العليا وعسى أن يكون قريباً وسنرى ما يجيء من رأي الملك فيه .

(الى ان يقول) :

(١١) كذلك نسيت تفصيل ما اعتذرت به عن قبول سكرتارية المؤتمر وقد كنت بينت لك في كتابي الذي أرسلته من مكة ما يتعلق بمانع حر مكة وانتظر جوابه .

أهم مسائل سياسة ابن السعود وادارته أن يقبل كل إصلاح علمي وفني وعملي وسياسي وحربي واقتصادي بشرط عدم إخلالها بالدين و « بالشيمة العربية » وعدم استلزامها تدخل الاجانب في شؤون البلاد ولا يقبل من العمال عنده إلا متديناً حسن الاخلاق قادراً على العمل ويراعي التدريج

— اقترحوها ولكن ايطالية بقيت مدة متوقفة عن هذه المعاهدة بسبب مداخلات وقعت من الجهة المناوئة لابن سعود وما عقدتها إلا فيما بعد وعلى الصيغة التي أرادها الملك ابن سعود وأقنعنا نحن ايطالية بعدم إمكان غيرها .

(١) الغيدار الذي يسيء الظن فيصيب .

ولم أختلف معه في شيء جوهري وحسبي هذا الان وأقبلك ونجلك غالباً بفم الضمير والسلام؟

رشيد

* * *

وكتب من القاهرة في ٩ ربيع الاول ١٣٤٥ و١٦ سبتمبر ١٩٢٦:

سيدي الاخ الصديق

إني ألقي إلي كتابك الاول بعد عودتي من الحجاز وكان وقت وصوله موعد سفر بريد الحجاز وكنت كتبت إلى جلالة الملك والى غيره فبادرت إلى إرساله بعد قراءته مع ما كتبته وإني أجيبك عن مسألتين من مسائله بعد أن أذكر لك ما كتبه إلي الملك بشأن كتابك الذي قبله وقد أخبرتك انني كنت أرسلته اليه قال: « كتاب الامير شكيب أطلعنا عليه وأعجبنا ما جاء فيه من آراء وأفكار وانتم تعلمون آراءنا ومساعينا في أكثر الامور التي ذكرها ولا بد لنا من التريض (كذا) قليلاً في السير لنعرف موقفنا الخارجي بصورة ثابتة . ان الذي نستطيعه من الامور لن ندخر وسعاً في إجرائه في هذه الساعة وما لا نقدر عليه نتريث في أمره حتى يأتي الوقت الذي نتمكن فيه منه » اه . ومقابل أكثر الامور التي قال انني أعلمها أمران لا أتذكر غيرهما: مسألة عصبة الامم ومسألة المتصرفية الجديدة التي اقترحتموها وسائر الامور تذاكرنا فيها .

واما المسألتان اللتان وعدت بالاجابة عنهما هنا فأولاهما قولك ان الملك

يأبى إنشاء الشركات [1] ولا أدري من أين بلغك هذا وقد صرح لي وحدي أولاً وصرح لي مع وفد من المؤتمر ثانياً انه لا يأبى الشركات مطلقاً وانما يأبى الشركات الاجنبية والتي يمكن أن تكون سبباً لتدخل الاجانب في شؤون البلاد ولعلك وقفت على ما قرره المؤتمر بعد في هذه المسألة . (والثانية) وهي الاهم عندي لعدم جواز تأخيرها مسألة مجيئك الى مكة وتسلمك أعمال المؤتمر لم يكن في الوقت سعة عند إرسال كتابك الاخير مع كتاب لي في البريد اكتب فيه شيئاً لصاحبنا وسأكتب في البريد الآتي ورأيي أن يرسل هو نفقة السفر [2] ولا حاجة الى توصيته بالقيام بما يلزم مدة إقامتك في مكة ولا حرج في هذا فقد كان جميع اعضاء المؤتمر ضيوفه وقد انتهت الثلاثة الاشهر التي ضربها المؤتمر لانتخاب اعضاء اللجنة التنفيذية من مصر وسوريا مع فلسطين والهند والحجاز ونجد ولم

---

(١) كان شاع ان الملك السعودي يأبى قبول الشركات في بلاده ولو كانت اسلامية فاستعلمنا عن ذلك وقلنا ان الشركات لاجل اصلاح احوال المملكة من الجهة الاقتصادية وانما الاحتياط لها بان لا يكون فيها اجانب هو عين المصلحة . فجاء الجواب من السيد رشيد بنفي خبر رفض الشركات ولو كانت اسلامية .

(٢) وفي ذلك الوقت بلغ سمو الخديوي السابق اني انتدبت لاكون السكرتير العام للمؤتمر الاسلامي في مكة و كان في الاستانة فأمر مستشاره عبد الله بك البشري بأن يكتب إليّ بأن لا أسافر الى مكة قبل أن يعود الخديوي الى سويسرة ويقابلني ويهيئ أسباب راحتي في سفري ... وكان هو المتعرض لذلك من نفسه كما فعل في أوقات أخرى وهو مشكور على البر بدون طلب ولكن المنّ بعد ذلك يصير في غير محله .

نسمع ان أحداً انتخب واللجنة الموقتة لم تعمل شيئاً بل لم تجتمع كما أعتقده ومحاضر الجلسات كان يراد طبعها فقلت للملك ولرئيس المؤتمر وللسكرتير انه لا يمكن طبعها كما كتبت لكثرة أغلاطها العربية فلا بد من تصحيحها أولاً ولم يبلغني انهم صححوها وكانوا يريدون طبعها عندي فإذا ذهبت أنت الى مكة يمكنك العمل مع اللجنة الموقتة الى أن تجيء اللجنة الثابتة إن كانت ستجيء وقد فاتني أن أذاكر الملك في شأن المؤتمر الآتي وسأكتب في البريد الآتي كل ما أراه واجباً وأكلف الشيخ محمد بهجة البيطار بيان ما لا يكتب فهو يسافر بعد خمسة ايام مع الامير سعود . أسلم على رفيقك وأقبل نجلك بالغيب تقبيلاً ودمت لاخيك؟

رشيد

***

وكتب من القاهرة في ٣٠ ربيع الاول ١٣٤٥ و٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٦:

سيدي الاخ الامير

وصل اول من امس كتابك المختصر لي الخ . (الى ان يقول):

قد علمتم ان وظيفة او مهمة الامير فيصل سعود شكر الدول التي اعترفت بحكومة والده في الحجاز وايطالية ليست منهن . وإنما اتمني لو يزور سويسرة ويلقاكم فيها وان لم يزر ايطالية على انه يمكنه الإلمام بها بصفة غير رسمية فإن استحسن هو هذا فالمصلحة ان تكون زيارتها بعد زيارتكم واستحسن ان تدعوه انت الى زيارة سويسرة وسأسأل الليلة عن عنوانه في لندن فإن عرفته كتبت اليه — بل تذكرت الآن ان الجرائد المصرية

ذكرت ان ما بقي من مدته في لندن لا تكفي لوصول كتابي اليه .

ظهر من محمد علي وشوكت علي بعد عودتهما الى الهند اضعاف ما رأيناه منهما بمكة . وكانا يتوهمان في مشايعتهما لابن السعود على الملك حسين انهما سيكونان مسيرين له كما يريدان ويكون لهما النفوذ الاعلى في الحجاز ونجد من كل وجه وقد احدثا شقاقاً جديداً في مسلمي الهند . هذا ما عنّ لي وانا مشغول جداً وعازم على اصدار جريدة اسبوعية سأطلب امتيازها من الحكومة والسلام عليك وعلى من معك من اخيك

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٤٥ و١١ نوفمبر ١٩٢٦:

سيدي الاخ الامير

اني ألقي إلي كتابك الكريم رقم ٣٠ اكتوبر منذ ثلاث فارجأت الجواب عنه الى مساء الخميس كالعادة الخ . (الى ان يقول) :

اما المؤتمر الاسلامي في الحجاز فسيعود ويعقد فقد عقد مسلمو جاوه مؤتمراً مثلثاً فيه جمعياتهم كلها إلا جمعية العلماء الجامدين فزادت الجمعيات التي أرسلت اليه مندوبيها على أربعين وقرروا تأييد ملك الحجاز بعد ثناء عليه عظيم في الجلسات وقرروا جمع المال اللازم لمندوبي مؤتمر الحجاز وقد وعد بمثل ذلك الوفد الرومي وهو أصدق الوفود وأعلمها وكان مؤيداً للملك وكان رئيسه من أقدم أصدقائي . والظاهر ان الحكومة المصرية تواصل اشتراكها فيه وسأعود الى الكلام مع سعد باشا وثروت باشا في ذلك وسيجيئني في الاسبوع الآتي او الذي بعده ما يقرره مؤتمر

الخلافة المندي كما وعدت وموعد اجتماعه هذه الأيام بل الاسبوع الاول من نوفمبر وسترى تتمة الكلام عن الوفود في المنار (ج ٨) ولا بد ان تكون رأيت في الجرائد المصرية فشل مؤتمري لكهنو وبمبي اللذين عقدا بسعي زعماء الشيعة.

لو كنت قرأت مقالاتي السابقة في الوهابية والحجاز وغيرها من المقالات والفتاوى في بدع القبور بمثل الدقة المعهودة منك في قراءة كتب التاريخ والسياسة والاجتماع لاستغنيت بها عن بعض ما تسأل عنه الآن ولما كتبت مقالتك المؤثرة المبكية التي نشرت في كوكب الشرق اخيراً . ومن الغريب ان تنخدع انت ايها المؤرخ العظيم بالظواهر فتقول ان بناء القباب على القبور وتعليق القناديل عليها قد وقع منذ ١٣ قرناً بمشهد من علماء الاسلام ولم ينكروه مع ان هذه الشبهة قد اوردها بعض ائمة العلم في رسالة له واجاب عنها والرسالة طبعت مراراً لرواجها وسأرسل اليك نسخة منها وان كانت نشرت في المنار مع رسائل أخرى تعطيك علماً تفصيلياً بهذه المسألة . ومن الضروري ان تقف على العلم التفصيلي فيها لانها دخلت في طور عملي له شأن في سياسة الملة الاسلامية والامة العربية وانت مقتصد لنشر الاقتراحات فيها لا للمناقشات الخاصة فقط .

واما الفرق بين قبة قبر النبي (ص) وسائر القباب المبنية على قبور بعض الصحابة وآل البيت وغيرهم من الصالحين فقد بيناه في المنار ايضاً ولا أحيلك عليه بل اكتفي بأن اقول في الفرق ان هذه القبة وان كانت من ابتداع ملوك الاعاجم في القرون الوسطى كغيرها الا انها لا تدخل في وعيد قول ما قاله (ص) بحق اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

— يحذر ما صنعوا — كما قالت عائشة راوية الحديث : فقبره عليه صلوات الله وسلامه لا يزال محجوباً في حجرته قلّ ان يراه احد او يصلي اليه ويتمسح به ويطوف حوله · والتحريم ليس منوطاً بالقباب لشكلها بل لجعل القبور معبودة وجعلها مساجد ومعابد لها والطواف عبادة ولكنها خاصة ببيت الله فاذا جعلت لغيره كانت عبادة فاسدة لغير الله تعالى · وستجد في الرسائل التي أرسلها اليك ما يغنيك عن الاطالة في هذه المسألة ·

واما مسألة البيت الذي ولد فيه صلوات الله وسلامه عليه وغيره من البيوت الاثرية التي ليس فيها مقابر وقد اتخذت معابد فهي اهون من مسائل المساجد التي على القبور · وقد رأيت البيت الذي يقولون انه بيت المولد فرأيت مدخله مهدوماً بحيث يعسر الدخول اليه وباقيه لا يزال كما كان حتى قبته · وانني على تأييدي لهدم مساجد القبور التي هي اضر من مسجد الضرار الذي نزل بشأنه القرآن قد قلت للملك بعد وصولي الى مكة بأيام وقبل وصول محمد علي وشوكت علي اللذين أثارا مسألة القبور وغيرها — قلت له انني لا ارى بأساً بجعل بيت المولد وبيت خديجة (رض) مدرستين لتخريج المحدثين والدعاة الى الاسلام وجعل زيارة الناس لها منوطة باذن رسمي لا يعطى إلا لمن يعرف او يعرّف ان الدين الاسلامي لا يبيح لمسلم أن يطلب نفعاً ولا كشف ضر وراء الاسباب العادية إلاّ من الله تعالى وحده ويعد من يؤمن بأن هذه البيوت أو غيرها تنفع أو تضر مشركاً بالله تعالى ولم يشرع لنا تعظيم بيت غير بيت الله ولا حجر غير الحجر الاسود · واننا مع ذلك نعتقد انها لا ينفعان ولا يضران أحداً كما قال سيدنا عمر عندما قبل الحجر الاسود رافعاً صوته : اني أعلم انك

حجر لا تنفع ولا تضر ولولا انني رأيت رسول الله (ص) يقبلك لما قبلتك — كما رواه عنه البخاري ومسلم وغيرهما ورواه غيرهما مرفوعاً الى النبي (ص) الخ والمعنى ان تقبيله لمحض الاتباع ٠

فقال لا يمكننا ذلك بدون فتنة كبيرة إلا إذا اقنعنا به علماء نجد فاكتب إليّ ما ذكرت لارسله الى فلان وفلان وفلان منهم وأرجو ان أقنعهم بالموافقة فكتبته له — وفي أثناء ذلك جاءت وفود الهند وملأ الأخوان الملومان مكة بالقيل والقال في مسألة القبور وهذه البيوت ونظمها في سلك واحد وجعلها كأركان الإسلام والايمان مع انه لم يؤثر عن الصحابة إلا أئمة السلف شيء في ذلك عند ذلك قال : إن هذه البيوت كالقبور ذرائع فتنة في الدين لا يجوز أن تأخذنا هوادة في منعها ولن تمنع الفتنة ولا يمنع سببها ٠ وتعليم الملايين من الحجاج وغيرهم حقيقة التوحيد وفروع الشرك لا تتم إلا في دهر طويل ٠ على انني لما أيأس منه ٠

وأما ما ذكرت من توجيحك لسبب غضب الامام يحيى وامتناعه عن عقد المحالفة مع ابن السعود وأنه ناشئ عن غضب قومه لهدم هذه الاماكن وانها أهم عنده من مسألة القتلى اليانيين ومن الطمع في توسيع حدوده في الشمال — فأنا مخالف لك فيه كل المخالفة لان يحيى عالم فقيه يعلم ان هذه المساجد على القبور بدع منكرة في الإسلام وان قومه الزيدية ليسوا كالشيعة الامامية في هذه المسألة فهي ليست عنده أمراً ذا بال يفضله على مصالحه الحقيقية كضم تهامة اليمن اليه وكديات القتلى (أو التعويض على أهلهم كما يقال في لغة محاكم مصر) والذي نعلمه علماً صحيحاً ان الامام يحيى ليس له أمنية في الدنيا اكبر من ضم جميع بلاد اليمن

وملحقاتها الى ما بيده منها . وقد كنت كتبت له تقريراً طويلاً فيما أراه من إدارة بلاد اليمن ومعاملة النواحي المستقلة منها والمحمية ومن التوسل لاعتراف أهل السنة له بالخلافة الذي يرجى به إحياء منصبها الخ .

(إلى ان يقول) :

وأما قولك قبل هذا وذاك في مسألة السنة والشيعة [1] من الجهة العامة فلا مجال معي بل لا وقت للبحث فيه وقد سعينا لتلافي هذا بالعمل لا بالقول فقط . ولكن لا يجوز ديناً ولا سياسة ان ينتصر الرفض الابتداعي على السنة في الحرمين الشريفين . والسلام عليك وعلى نجلك النجيب ورفيقك في الجهاد ولا زلت ولياً ونصيراً لامتك وملتك ولاخيك المخلص ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ في ٥ جمادى الآخرة ١٣٤٥ و١٠ دسمبر ١٩٢٦ :

سيدي الاخ الامير

(١) اني ألقي إليّ في اوائل هذا الشهر الشمسي كتابك رقم ٢٥ نوفمبر واهم ما فيه نبأ سفرك الى اميركا وطلبك جواز سفر من الحجاز لك ولرفيقك الكريم احسان بك ورغبتك الى اخيك هذا أن يكتب الى الحجاز بطلب الجواز وقد احسنت بما كتبت قبله الى الدكتور محمود فهمي أن يكون كتابك اليه قد وصل بإدراكه البريد الذي يسافر من السويس

---

(١) كتبت اليه مراراً بأن يتئد في مسألة الشيعة تجنباً لازدياد الشقاق ولكنه لم يكن يسكت عن بيان ما يعتقد .

الى جدة في أول دسمبر هذا فان البريد يرسل من مصر الى الحجاز ٣ مرات في الشهر وتبحر البواخر الخديوية التي تحمله في ١ و ١١ و ٢١ من السويس — وهذا اليوم هو موعد أول بريد يرسل من القاهرة بعد وصول كتابك إليّ وسأكتب اليوم مذكراً بطلبك ومستنجزاً له وعسى ان يصل إليك قبل اول يناير الآتي . وقد نسيت ما كان خطر ببالي من طلب الجواز لكما من الوكالة الحجازية النجدية هنا ولعلي اذاكرها فيه غداً .

وكان صديقنا الحاج أديب خير قد أخبرني قبل وصول كتابك إليّ بما كتبت إليه في شأن سفرك وعلاقته بطلبك لمؤتمر الحجاز وكلفته ان يكتب اليك بأن سفرك الى اميركا ضروري جداً وانه لا يعارض سفرك الى الحجاز قبل موعد اجتماع المؤتمر الثاني ولا بد ان يكون كتب اليك بذلك وان يكون كتابه قد وصل . ومن الضروري ان نعرف عنوانك في اميركا فان لم يجئنا بيان له فسأكتب اليك بوساطة جريدة البيان ان شاء الله تعالى .

(٢) رأيت صديقنا نسيم افندي صيبعة راغباً في السفر الى اميركا وكنا من قبل تذاكرنا في ارسال وفد من قبل جمعية الاعانة السورية وكلفناه ان يكون من اعضائه فاعتذر مع استحسان إرسال وفد لان الجمعية كان ثقيلاً عليها بذل النفقة للوفد اما وقد كتب اليه من قبل جماعة المؤتمر الذي سيعقد في مشيغن بالدعوة وكون النفقة عليهم فقد زال اكبر مانع على ان في ذهابه والحال ما ذكرنا تضحية وطنية كما يقال في عرف العصر لان والدته العجوز تشكو امراض الشيخوخة وآلامها ويخشى ان يكون قد اقترب اجلها ...

(٣) الذي اعلمه ان ابن السعود يحذر من النفوذ الاجنبي ما تحذر واشد مما تحذر وهو من اطماع الدول أحذر ولكن عقد الاتفاق مع الدولة الجشعة لا يتفق مع هذا الحذر . وما أرى الامام يحيى الا قد فتح على نفسه باب الخطر ولم أكن موافقاً لرأيك كله فيما ناقشت به الكاتب العربي من هذه الجهة [1] ولا مجال الان للخوض في هذه المسألة واما قولك انك تحب ان يكون ابن السعود على وئام مع جميع الدول — فقد صرح هو بمثله لمراسل جريدة المانية وزاد في الصراحة عند الكلام في مسألة اليمن ما لم أكن أتوقعه منه ولعله قد عرض مقتض له .

(٤) أما ما كتبت في مسألة الرجل وحكومته بشدة الحاجة الى ان يكون عنده بعض الاخصائيين في السياسة ...وليس هذا بالامر السهل فقد كان كلفني أن أختار له اثنين من الهند وكتبت بذلك الى الحكيم محمد أجمل خان ولما يجبني — كما طلب مني أن اختار له سكرتيراً عربياً لشخصه ولما أجد . وهو ليس كغيره يقبل كل من يواتيه من مؤمن وكافر وبر وفاجر ... ويا ليتك ترغب فيما تنصلت منه في الكتاب وهو الغرض الاول من السعي الى وجودك في الحجاز والسلام عليك وعلى رفيقك ؟

رشيد رضا

***

---

(١) كان كاتب عربي انتقد عقد الامام يحيى معاهدة مع ايطالية فأجبته: اننا حيرنا ملوكنا : إن لم يعقدوا معاهدات مع الدول تعترف هذه فيها باستقلالهم قلنا : هؤلاء يريدون ان يلبثوا مشايخ قبائل مبتعدين عن المدنية . وان عقدوا معاهدات مع الدول قلنا :هذه المعاهدات مع الاجانب عاقبتها دائماً خطرة . فماذا تريدون ان يصنعوا ؟

وكتب اليّ في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٥ و٣٠ كانون الاول سنة ١٩٢٦ :

سيدي الاخ الامير

لديّ كتابان منك موضوعها واحد وهو ثلاث مسائل : (١) الحجاز واليمن والامامان . ورأينا فيهما واحد يعرفه الامامان . (٢) مسألة اللجنة التنفيذية والمفاوضة وما كتبته يدل على أنها وصلت مصورة بغير صورتها وملونة بغير لونها وان لدينا في مصر وسورية افراداً تجمعهم رابطة معروفة يطعنون في هذه اللجنة ويتمنون هدمها بغضاً للامير ميشيل لطف الله وكراهة له وحده دون سائر أعضائها فيما أعلم . وحقيقة المسألة الاخيرة ان زميلنا نجيب بك جاءني واستشارني في إرسال برقية او خطاب الى موسيو بونسو يذكر فيه أن اللجنة التنفيذية كانت وما زالت تعمل لاقرار الامن والعمران في سورية ونيل حقوقها القومية (او ما هذا مؤداه وحاصله وهو تمهيد) وانها بناء على هذا خاطبت موسيو جوفنيل بما خاطبته به . ثم دخل وفدها في اوربة في المفاوضات التي دارت في باريز ثم وقفت وعهد اليه هو درس المسألة السورية .. فاذا كان يرى انه قد آن الوقت لاستئناف تلك المفاوضات على أساس السيادة القومية السورية ومصالح فرنسة الحقيقية فاللجنة مستعدة لذلك . هذا ما أتذكره من ملخص الاقتراح الذي استشارني فيه نجيب بك . قلت له : انني ارى ان مسيو بونسو لا يجيب اللجنة ولا يدخل معها في مفاوضة فما فائدة الكتاب اليه ؟ قال فائدته تبرئة اللجنة مما يرمونها به من انها هي المحركة للثورة والقائمة بنفقاتها عداء لفرنسة وانها هي تعارض في الصلح . وأقل فائدته انه احتجاج عليهم ببراءتها

مما يتهمونها به حتى حملهم ذلك على الكتابة الى وزارة الخارجية المصرية بوجوب نفي اعضائها السوريين او منعهم من اعمالهم الافسادية . وقد كان بلغني هذا الخبر الاخير من قبل وخبر مخاطبة فرنسة للمندوب السامي البريطاني بمثل ذلك . قلت هذا التعليل الاخير مقبول . ثم اجتمعت اللجنة وقررت صورة ما يكتب بعد بحث ومناقشة وخالف اسعد أفندي داغر في ذلك وطلب تأجيل ارسال الكتاب لزيادة المناقشة فيه . وبعد خروجه أرسل برقية بانه يعد نفسه مستعفياً اذا أرسل قبل الود الى المناقشة فيه. فطلبته اللجنة وسألته عن السبب ؟ قال : انه لا حق للجنة في طلب المفاوضة وما كان من مفاوضة جوفنيل او عرض المطالب عليه ثم ما كان في باريز هذا العام لم يكن باسم اللجنة . . . فقلنا له ان اللجنة لها الحق في المفاوضة وفي كل سعي سياسي لانها سياسية ولكن ليس لها الحق في ابرام أي اتفاق يخالف قواعد مؤتمر جنيف ونحن اذا فرضنا ان الرجل فاوضنا وهو ما لا نظنه فاننا نبلغ ما تنتهي اليه المفاوضة الى زعماء البلاد . . . أو نطلب عقد مؤتمر له ولا نبرم باسم اللجنة شيئاً لانه لا حق لنا فيه ولا نضمن رضاء البلاد به . . . فرضي بذلك . ولكنه أخبرنا انه كان كتب الى لجنة حزبه[1] بما وقع منه وطلب رأيها فيه ولم يأته منها شيء وسيكتب اليها ثانية بما حصل .

فأنت ترى ان اللجنة التنفيذية لم تفتئت على احد من الزعماء ولم تهضم حق حزب من الاحزاب ولم تقصد الاستئثار بسياسة البلاد واسعد

---

(١) كان اسعد افندي داغر يمثل في اللجنة التنفيذية حزب الاستقلال العربي فيما أتذكر .

افندي قال انه لم يتكلم بما حصل أمام احد من الناس ولم يطلع على كتابه للجنتيهم في سورية احداً غيرنا · ولكننا رأينا اللغط في مسألته كثيراً · وكتب السيد جمال الحسيني الى لجنة مصر كتاباً يسألها فيه عن الشقاق الذي وقع والمخالفة لمؤتمر جنيف المقدس · كتب هذا باسم لجنة فلسطين التنفيذية — وكتبت انت ما تعلم · ولو شئت ان أكتب إليك ما أعلم من حال الذين يثيرون أمثال هذا اللغط والسخط وحال حزبهم لاضعت وقتاً ثميناً يجدد جدالاً او بحثاً يأكل وقتاً أطول من الاول بدون فائدة · ولا شيء أثقل على نفسي من الكتابة في الامور الشخصية وكذا الحزبية ولا سيما أحوال اشخاص هم من أصدقائي وحزب هو حزبي ·

(٣) كتاب المرحوم مختار باشا — ما أظن انك أحرص مني على ترجمته ونشره بالعربية فإذا كان الحرص القلبي واحداً فالعمل من جنس عملي الذي وقفت عليه حياتي · وانت تعلم انني طلبته من محمود باشا مختار عندما التقينا به في مونيخ فوعدني بأن يرسله إليّ من الاستانة متى عاد اليها ··· ثم علمت انه قد سبقني الى اخذ الإذن الرسمي منه بترجمته بالعربية عبد الغني سني بك الذي كان هنا وهو الآن قنصل جمهوريتهم في بيروت · هو أخبرني بذلك وعرضت عليه ثلاثين جنيهاً اجرة الترجمة فلم يقبل إذ كان يريد ترجمته وطبعه على نفقته · ثم كلمت الدكتور شرف الدين بك التركي المشهور في إقناعه فسافر قبل ان يتم ذلك ولعلي ان أكلم الدكتور أن يكتب اليه يسأله ماذا فعل بالكتاب هل ترجمه أم لا ؟ وماذا يريد أن يفعل ؟ فان كان صرف همه عنه فانني أطلب من محمود باشا مختار

بإذناً آخر بترجمته لئلا نكلف أحداً ترجمته ونطبعه فيقيم علينا عبد الغني سني بك قضية إذا نحن لم نأخذ إذناً رسمياً من صاحب الشأن بذلك.

هذا وما أظن ان محب الدين أفندي يقدر على ترجمته لانه لم يدرس شيئاً من العلوم الرياضية والفلكية ومعرفته بالتركية لا ترتقي إلى ترجمة هذه الكتب الفنية كما أظن. ومتى صار لنا الحق في ترجمته ونشره ننظر في ذلك.

أرجو أن تبلغوا تحيتي لصاحب جريدة البيان المفيدة وتسألوه ما فعل بمطبوعاتنا التي أرسلناها اليه ؟ ولا زلتم سالمين موفقين لخدمة الامة والملة ؟

محمد رشيد رضا

***

وكتب إليّ في ٩ ذي الحجة الحرام ١٣٤٥ و ٩ حزيران سنة ١٩٢٧:

صديقي الأمير الكبير

أحييك تحية مشتاق غائب وأهنئك بعيد النحر المبارك واسأله تعالى في هذا اليوم الشريف يوم عرفة أن يقر عينك بنجلك ويقر عين امتك بجهادك ويجعله خير خلف لك ولنا مثل ذلك — وأن يعفو عن هذه الامة العربية ويغفر لها إسرافها في أمرها ويعجل باتمام عقوبتها بأن يلهمها التوبة والإنابة فإنه لم ينزل بلاء إلاّ بذنب ولم يرتفع إلا بتوبة كما قال العباس (رض) وذنوب هذه الامة كثيرة ومن شرها الاثرة والتخاذل والجنون بحب الرياسة [1].

---

(١) وهذا من أعظم الحكم التي قالها السيد رشيد فقد كان يعرف أمراض ـ

ألقي إلي كتابك الاول بعد سفرك إلى أميركا وعودتك الى اوربة وكنت أتنسم أخبارك من صاحب جريدة الشورى وآنس بما ينشر عنك في جريدة البيان وطالما منيت نفسي بكتاب يذهب بالوحشة كلها وأعرف منه أهم ما يهمني من حال الجالية العربية المحمدية وهو قدر ما يرجى من تغذية القضية السورية وكنه ما ينتظر من تأييد الوحدة العربية . وقد علمت من كتابك أن أمنيتي هذه كانت تجول في نفسك وتحوم حول عزمك ولكن كان نصيبها الارجاء لا الإهمال ولولا الطور الجديد للمسألة السورية في باريز لكانت موضوع الكتاب الاول الذي هو أمامي الآن .

قرأت شرحك للمسألة والامر الجديد فيها تدخل أخوي [٢] الامير ميشيل لطف الله فيها بالصفة التي ذكرتم . والذنب في تفاقمه على أخوينا

ـ الامة العربية ويعرف ان أقتلها الحسد والنفاسة والجنون بالرئاسة .

(١) عندما قفلت من أميركا وصلت الباخرة بنا إلى مرسى شربورغ من فرنسا فاذا بالاخوين إحسان بك الجابري ورياض بك الصلح ينزلان الى الباخرة ويريدانني على النزول منها والذهاب الى باريز . فقلت لهما : لا أقدر أن أذهب الى باريز بلا اذن الحكومة الفرنسية . فقالا الآن يأتيك الاذن . ثم حضر مأمور وأعلم على تذكرة جوازي فذهبت وزميلي الى باريز ووجدت الخلاف واقعاً بين الزميلين واخوي الامير ميشيل لطف الله اللذين كانا يتدخلان دائماً في مسألة سورية حتى اعتقد كثير من ساسة الفرنسيس انه لولا آل لطف الله لم يكن شيء اسمه القضية السورية وحتى صرح بوانكاره نفسه بذلك . فمن أجل هذه الحالة وقع الخلف بين الوفد السوري الفلسطيني وآل لطف الله وآل الى شقاق بعيد بين السوريين الوطنيين و كان ذلك مؤسفاً .

إحسان بك ورياض بك فقد تحملا من الانتقال ما تحملا عدة أشهر ولم يكتبا الى اللجنة بشيء من ذلك . ثم بلغنا اخيراً انهما كتبا بعض مكتوبات خاصة يتذمران فيها وجاءني الامير أمين[1] فقرأ علي مكتوباً منهما خصني به (ثم قرأه لكثيرين) فقلت له : ان كان سبب حاجة أخوينا الى المساعدة على النفقة فهذا أمر هين يمكننا أن نقوم به بسهولة وذكرت ذلك للحاج أمين الحسيني عندما جاء لحضور حفلات شوقي فقال وانا أساعدكم على ذلك . وفي أثناء ذلك جاء كتاب من الامير جورج الى أخيه ذكر فيه انه قدم كذا وكذا وهي الاصول أو القواعد التي كان الامير ميشيل يذكر لنا انها هي التي يمكن ارضاء فرنسة بها مع إيضاحات لها من احسان بك . فاستأنا وكنت أنا اشد استياء من غيري . ولكننا رأينا الامير ميشيل غير مستاء بل رأيناه مستحسناً للمطالب والقواعد وانما جارانا في استيائنا في أمر واحد وهو تقديم ما قدمه بدون استشارة اللجنة التنفيذية . ونحن انتقدنا فوق ذلك اننا لم نعلم بما اقدم عليه مفتاتاً علينا الا ممن هو غريب عن الوفد وعن اللجنة اي ليس منها وهو الامير جورج وانتقدنا من الموضوع انه اعترف فيه بلبنان الكبير برمته وان هذا عين ما يتهمون اولاد لطف الله بالسعي له لهوى لهم فيه[2] وانتقدنا منه ان فيه افتياتاً على زعماء الثورة بأنهم يقبلون العفو المقيد باستثناء ثلاثة منهم واقترح الاكثرون إرسال رد شديد اللهجة كما يقال . وطلب الامير ميشيل المناقشة في المطالب أو

(١) ابن عمي الامير امين المصطفى ارسلان .

(٢) فانه فيما بعد سعى الامير جورج لطف الله في ان يكون رئيساً لجمهورية لبنان كما يعلم ذلك الجميع

القواعد محاولاً اقناعنا بها كلها او بما دون استثناء ثلاثة من زعماء الثوار من العفو فيما يظهر · وربما كان هو وآخرون يظنون ان اولئك الزعماء انفسهم يرضون بالاستثناء الموقت لضعفهم وعدم امكان تجديد نشاط الثورة لقلة المال وتكافل الانكليز مع الفرنسيس في مطاردتهم · فأول ما تناقشنا فيه مسألة الوحدة وتأليفها من سوريا ولبنان الكبير مع التحفظ باستثناء ملحقات لبنان الخ· فعارضت انا والامير أمين فرجح رأينا ··· وما أرى الا انكم علمتم بكل ما جرى وانما ذكرت لكم هذه المسئلة لتعلموا أن الامير ميشيل ليس صاحب الرأي الراجح دائماً في مسائل الخلاف وان هذه المسألة التي غُلب فيها كان قد ذكرها واحتج بكل ما في قدرته لاقناعنا بها في جلسات كثيرة لا يسهل عليّ تقدير عددها · ومما علمتموه ان الذي وضع صيغة برقية الرد والاحتجاج على الوفد هو ابن عمكم وان أبعد الاعضاء عن لطف الله هم الذين اقترحوا زيادة التشديد في الانكار على الوفد فقد أخبرني الامير امين انه بلغكم ذلك وأزيدكم انني لم أوافق على تشديد الانكار ·

وجملة القول ان الوفد أو اخوينا إحسان بك ورياض بك كانا ضعيفين امام آل لطف الله ولم يكونا يراجعان اللجنة ولعلهما كانا يظنان ان اللجنة لا تنصرهما في شكواهما او لا تشكيهما لان موقفها مع رئيسها كموقفهما مع اخويه · وليس الامر كذلك وها هي ذي قد أبرقت اليهما[1] بانهما هما النائبان عنها دون غيرهما وان رئيسها صرح بانه ليس لاخويه صفة رسمية في اللجنة ولا الوفد وانما ساعدا الوفد مساعدة خارجية بصفتها الوطنية ·

---

(١) أي الى احسان بك ورياض بك ·

وصرح له الامير جوزج بأنه بعد سعيه قد انتهى . تقولون : نعم قيل هذا وأبرقت اللجنة للوفد بما تقدم ولكن الواقع أن أخوي لطف الله لم يتركا ولن يتركا سعيهما لانه سعي شخصي أو « عائلي » ونحن نقول : انه ليس للجنة سلطان عليها ولا على الحزب المتفرنس وغيره من المخالفين ولا يطلب منها أن تنصر الوفد عليها بأ كثر من اعطاء الحجة الصريحة بأنه هو النائب عنها وحده . وما طلب الوفد بعد عودتكم من المطالب في برقيته المعلومة (١) لم يوافق عليه أحد من الهيئة الاخيرة الكبيرة وأ كثر أعضائها أقرب اليكم من آل لطف الله قطعاً لانه شديد جداً مع عدم الحاجة اليه ومما يفضي الى شقاق بما فيه من الإهانة للرئيس بلا مقتض ولا مبيح — ولان هذا الشقاق أنفع لجميع خصوم قضيتنا ويسعون له سعيه .

واما مسألة حصر العمل في اللجنة التنفيذية او توحيده فيها وفي الوفد « وهو منها لم تنكر ذلك قط » فقد رأيتك يا سيدي مبالغاً في اول الامر في استكبارها واستنكارها ثم علمت من كتابك ما لم اكن اعلم من سبب ذلك وهو عمل اولاد لطف الله المبني على انهم يعدون اللجنة آلة بيدهم او يعدون جعلها مناط الوحدة للمساعي السياسية يقتضي ان تكون رياسة ذلك لهم . وهذا الاخير هو الوجيه وحده ولكنه لا يقاوم بتلك البرقيات التي أرسلت الى اللجنة والى بعض الافراد وانا منهم .

---

(١) بعد وصولي انا من اميركا الى باريز اجتهدت في التأليف بين زميليَّ المشار اليهما وبين اخويَّ الامير ميشيل فتعذر ذلك بسبب إصرار هذين على التدخل وعندها انضممت الى زميليَّ وابرقنا بشدة الى اللجنة بمصر طالبين تنحي رئيسها الامير ميشيل .

مركز الوحدة للاعمال السياسية ضروري كالاعمال الحربية وغيرها إذ لا يمكن الرجوع عن العمل الى جهات مختلفة بل هذه القضية لا تحتاج الى تعليل ولا إثبات . واللجنة قد صارت موضع ثقة الاحزاب والهيئات الجديدة حتى رجال الثورة والحزب الوطني الكبير الذي في اميركا فانه قد أعطى توفيق[1] توكيلاً رسمياً بأن ينوب عنه في اللجنة وقد بلغك ولا بد ما أرسله زعماء الثورة كلهم من توكيل أعضاء اللجنة التنفيذية مع آخرين كثيرين ممن في مصر وغيرها وان اللجنة لم تحفل بذلك بل اقترحت على الذين في مصر أن يختاروا اربعة منهم تضمهم اللجنة اليها بشرط أن يأتوا بتفويض آخر خاص بهم ففعلوا الى آخر ما تعلمه . ويقول الثقات من اصدقائنا الذين يعرفون رجال الثورة وقابلوهم في هاتين السنتين مراراً ان أخذ التوكيلات منهم سهل جداً ومنهم الحاج اديب خير الذي قال هذا بعد قراءة كتابك عليه وعند اللجنة توكيل قديم من سلطان باشا .

ليس هذا كله بالذي يحتاج الى البحث فيه ولكن المهم الذي توجهت كل العناية اليه أن لا يكون الفصل في الخلاف والوفاق بين فرنسة وسورية بيد الامير لطف الله ولا بيد هيئة تتولى المفاوضات والفصل برياسته — واما هدم اللجنة التنفيذية فليس من غرضكم واذا كان الامر كما ذكرت فهو ممكن بدون هذه البرقيات التي هاجمتم بها لطف الله واللجنة معاً : اللجنة فوضت اليكم امر السعي والمفاوضة لحل عقدة القضية

---

(١) اي اليازجي الذي كان ذهب الى اميركا عندما كنا فيها انا ونسيم افندي صيبعه .

ولم تشترط إلا مشاورتها في الشروط الاساسية ليكون التكافل على علم وبصيرة فإذا تيسر لكم الاتفاق مع فرنسة على ما ترضونه ورأيتم انه لا ينفذ إلا باتفاق اللجنة عليه فاللجنة يمكن أن تقرر ما تراه من قبول وغيره بدون اشتراط دخول لطف الله في المفاوضة رئيساً ولا مرؤوساً — وإذا رأيتم انه يمكن تنفيذه بدون مواطأة اللجنة لكم عليه فلكم حينئذ ان تبرموه بدون إعلامها به إذا كنتم لا تنطقون فيه باسمها ولا تعملون بالنيابة عنها . وإذا أحببتم في هذه الحالة إعلامها به وطلب رأيها من باب المجاملة — فابعاد لطف الله عن الرياسة في ذلك يكون بيدكم شاءت اللجنة أو أبت .

ولا أقصد بهذا الكلام الحجاج وإنما جرى القلم بما جرى به من غير تفكر وانما المهم الذي هو فصل الخطاب ان منع الامير ميشيل من رياسة المفاوضات وبت أمر الصلح في مسألة سورية ممكن . وهذه المهاجمة العلنية له ولاخويه قد تكون معسرة لذلك لا ميسرة بل تكون على الاقل سبباً لشقاق ضار لا نافع ونحن نعلم ان خصومنا الوطنيين والاجانب يسعون له سعيه وهو غير لائق بالرجال ايضاً إلا عند الضرورة ولم نصل اليها .

انني أشك بل أرجح ان فرنسة لا تبني البت في مسألة سورية على مفاوضات بينها وبين اللجنة ووفدها وان كل ما تستطيعون من الخدمة في فرنسة هو إقناع بعض الرجال أولي النفوذ بما هو خير لسوريا ولسوادها الاعظم . فإن فرضنا ضد ما أرجحه واقتضت الحال أن ترسل اللجنة أعضاء آخرين لمشاركتكم في المفاوضات فان من السهل علينا ان نختار

هؤلاء الاعضاء ممن يكونون على رأي جماعتكم في انتخاب الرئيس ولطف الله لا يسافر مع هؤلاء الاعضاء إلا اذا كان موقناً بان الرياسة تكون له.

وخلاصة الخلاصة ان رأي أخيك ان **لا** تجعلوا للامير جورج والامير حبيب ادنى شركة لكم في العمل وان تفهموا رجال فرنسة ذلك ولكن بدون إهانة ولا شقاق. وإذا جاوروها فاعتقد اننا لا يعبث بنا احد. ويمكننا ان نقوم بنفقة من نختار وإن احتيج في الامر الى ارسال احد حتى لا يكونوا تحت تأثير أحد فهون عليك الامر ورجح الرفق على العنف ففي الحديث الشريف « ما كان الرفق في شيء الا زانه » الخ وارجو ان تتفضل عليّ بما عندك في المسألة العربية والسلام عليك وعلى رفيقك ونجلك النجيب من اخيك المخلص ؟

محمد رشيد رضا

حاشية :

بلغني ما ابرقت به للدكتور شهبندر[1] فتعجبت من ذلك كغيري والدكتور أقرب الى لطف الله منك ونحن هنا قد عقدنا ميثاقاً حضره هو ومن كان بينه وبينهم شقاق بعيد — وهو يسعى هنا لاخذ اذن من الحكومة المصرية بالعودة الى مصر متى شاء أن يرجع من اوربة ولعله اذا لم يتم له ذلك يذهب الى اميركا لجمع الاعانات.

* * *

(١) كان الابراق لا مني بل من الوفد السوري الفلسطيني وانا منه.

وكتب إليَّ من القاهرة في غرة المحرم ١٣٤٦ و٣٠ حزيران ١٩٢٧:

سيدي الاخ الامير

بارك الله لنا ولك في هذا العام الجديد ووفقنا فيه لخير مما وفقنا له فيما قبله وقد وصل اول من امس كتابك المرسل من لوزان وهو مرجوع كتابي وبطاقتي الجوابيين وقد رأيت في هذا الكتاب من شدة حدتك ما لم أره في كتاب قبله حتى انك لخصت كتابي وبطاقتي بما لم اروه ولم يخطر ببالي . فإن كان كلامي يدل عليه فلا شك انني كتبت ما لم أفهم وقد بدأت بكتابة هذا الرد وكتابك ليس عندي فانني اعطيته في جلسة البارحة في اللجنة للاخ خير الدين افندي الزركلي وعهدت اليه أن يجيئني مساء اليوم بعد خروجه من مطبعته لنكتب اليك كتاباً مشتركاً نبين فيه رأي جمهور الاخوان هنا في اللجنة وفي لطف الله وفي الحال الحاضرة.

وانني أسبق فأقول من قبل نفسي انني كتبت اليك انني لا أرى ان بيننا خلافاً في «المقاصد» الوطنية ولم أنفِ الخلاف في الوسائل ورأيتك لم تقبل هذا القول بل جزمت بأن الخلاف عظيم بناء على ما استنبطته من كتابي وبطاقتي في تلخيصك الذي ذكرته آنفاً . وذكرت انه لم يخطر ببالي على الوجه الذي ذكرته انت وعللته بما عللته به وهو من قبيل ما يسميه علماء المنطق اللازم غير البين . والمعتمد عند علماء الاصول أن لازم المذهب ليس بمذهب فإن أصررت على أن تلك اللوازم مذهب لي وان الخلاف بيننا في المقاصد واقع ماله من دافع فلك حكمك فيه ومن ذا الذي يستطيع ردّ الواقع ولا سيما عند غيره؟

اما جوابي عن كلامك في اللجنة التنفيذية فهي انها شيء ولبست كل

شيء وحرصها على توحيد العمل السياسي للقضية الوطنية فيها مع اعتبار ان الوفد منها هو عين المصلحة . ولا يستلزم ان يكون زعماء الثورة ليسوا بشيء ولا أن يكون الحزب الوطني ذو الفروع الكثيرة في الولايات المتحدة ليس بشيء ولا أن يكون وجهاء الوطن في بيروت وطرابلس وغيرهما ليسوا بشيء . ان هؤلاء اشياء ولكنهم لم يعملوا في الماضي ولا يرجى أن يعملوا الان ما عملت وما تعمل اللجنة التنفيذية .

للجنة التنفيذية نادٍ ومكتب فيه جميع المستندات السياسية المتعلقة بالقضية السورية مرتبة منظمة وفيها كتاب ومترجمون وآلات كاتبة وكانت ولا تزال مصدر الدعاية السياسية السورية الوحيد ونقارير عصبة الامم تشهد لها بهذا . وثم شهادة أخرى لا تنكر قيمتها وهي تبرم فرنسة بها وطعنها وطعن جرائدها فيها منذ أنشئت الى عهد هذه المدنة التي ربما حان انقضاء اجلها .

واننا يا سيدي لم نستغن عن هذه اللجنة ولا نحن بقادرين على ان نستبدل بها مثلها في نظام مكتبها ومستنداته ولا اعد مكتب الاستعلامات الذي حقرت امره من اكبر اعمالها بل هو اهونها .

ان الطريق القانوني الوحيد لحلها وانتخاب لجنة أخرى هو جمع مؤتمر سوري يملك ذلك بقرار مؤتمر جنيف . وقد فكرنا في هذا وتكلمنا فيه مراراً ولم نستطع اليه سبيلاً . وقد كدنا نظن من عهد قريب اننا وجدناه على طرف الثام بعد ان جاء الدكتور شهبندر فانه جمع جماعة أسسوا حديثاً حزباً جديداً أسموه حزب الشعب وافراداً من غيرهم وقرروا برأيه ان يطلبوا من اللجنة تعيين من يمثلهم فيها باسم هذا الحزب وحزب العهد

الذي كان أسس في الاستانة من الضباط وامم التجار كما قبلت أربعة اعضاء يمثلون زعماء الثورة — ولما كانت هذه الاحزاب غير معروفة لدى اللجنة — ولا غيرها — وكان رد طلبهم كقبوله ليس من المصلحة اقترح بعضنا ان يجتمع جميع المنتمين الى هذه الاحزاب من قبل المقترحين ويدعى معهم جميع من في القاهرة من وجهاء السوريين للبحث في المسألة — ففي هذه الحالة تكلمت أنا وأسعد أفندي داغر بأن نقترح تسمية هذا الاجتماع مؤتمراً سورياً عاماً يقترح عليه حل اللجنة التنفيذية وانتخاب لجنة اخرى يحدد المؤتمر وظائفها — ولكن المحركين لذلك وعلى رأسهم الدكتور شهبندر عرض لهم ما صرفهم عن غرضهم ولم يتيسر لاحد جمع ذلك العدد الكثير الذي يزيد افراده على ١٢٠ رجلا ٠

على ان اللجنة نفسها قد سبق لها السعي لعقد مؤتمر جديد يقرر انتهاء وظيفتها التي ناطها بها المؤتمر الاول وبقرر ما يراه في المسألة السورية وكتبت تطلب إرسال مندوبين من كل حزب وكل بلد فلم تجب الى ذلك ٠ فمن العجائب ان تظن ان عقد المؤتمر امر سهل تقدر عليه اللجنة وانه لا يمنعها من عقده على شدة الحاجة اليه الا انه يغيظ لطف الله ٠ انا لم يخطر في بالي هذا ولا اعتقد ان لطف الله يغيظه عقد مؤتمر جديد وسبب ذلك انه لا يعتقد ان المؤتمر الجديد يكون عليه ضداً وله خصماً ٠ واما قولك لا سبيل الى ان تكتب اللجنة الى الحكومة الافرنسية بكذا[1] ٠٠

(١) كنت اقترحت على اللجنة ان تكتب الى الحكومة الافرنسية بأن ظنها كون لطف الله هو مبعث القضية السورية ظن في غير محله فالقضية السورية منبعثة من الشعب السوري المطالب بحقه في الاستقلال لا يتزحزح عنه ٠

لانه يغيظ لطف الله ولا سبيل الى تخلي لطف الله عن الرئاسة لانه لا يجرأ احد في اللجنة ان يطلب هذا الطلب فكلاهما في غير محله . وهو طعن في اللجنة بغير حق . والصواب ان اللجنة لا تعتقد ان حلها مصلحة للوطن بل لعدو الوطن ولم يوجد سبب يقنع اللجنة بأن تكتب للحكومة الافرنسية ما ذكرت .

عود على بدء مساء ٨ المحرم — ٧ يوليو

كتبت ما تقدم ولم يجئني خير الدين افندي في الموعد — ثم اجتمع عندي يوم الاحد هو واسعد بك حيدر واسعد افندي داغر وهم أبعد أعضاء اللجنة عن لطف الله وقرأنا كتابك هذا والذي قبله وقد اتفقوا على انه لا سبيل الى شيء من الامور الثلاثة وانا أعلم علم اليقين أنه لا يهم واحداً منهم امر غيظ لطف الله ولا رضاه بل هم الى ما يغيظه اقرب وهم يتمنون لو يستقيل من اللجنة .

ولكنني قلت لهم ان الممكن من اقتراحات الامير شكيب شيء واحد وهو اعلان اللجنة انها لا يوجد احد فيها له مطمع شخصي من وراء اعمالها بل كلهم رئيسها واعضاؤها يعملون لمصلحة الوطن ولا يقرون احداً يتوسل بالخدمة الوطنية الى مطمع شخصي . وقلت انني سأقترح هذا البيان في اول جلسة ولكن لا بد من التماس مناسبة له — وكذلك كان .

عقدت اللجنة مساء يوم الثلاثاء الماضي ولم يحضر جلستها احد من الثلاثة والامير امين غائب في الاسكندرية فكان بقية الاعضاء السكرتير العام والسكرتير الثاني والمساعد (اليازجي) وهما أشد الاعضاء موالاةً

للرئيس — والحاج أديب خير وهو معتدل ومسالم بطبعه — وحضر الجلسة من غير الاعضاء الدكتور شهبندر وحسن بك الحكيم — ووجدت المناسبة لاقتراحي بطبعها وهو ما كتب في بعض جرائد بيروت ومقطم ذلك المساء من اتهام اولاد لطف الله بطلب الملك والرياسة — فقدمت الاقتراح فقبل وكتبه اليازجي ونقحته اللجنة ونشر ·

واتفق الجميع على السعي والتعاون على درء جميع أسباب الخلاف والشقاق بين الوطنيين كل واحد من ناحيته وناحية أصحابه فانه لا ثقة لاحد منا بانصاف فرنسة ولو بالقدر الذي تتفاءلون به · وانما كتبت اللجنة بيانها العام لمبين القول تتميماً للسياسة الاخيرة التي سلكها الوفد في اوربة مبتدئاً بجمعية الامم وتمهيداً لما تقتضيه الحال في المستقبل القريب·

وجملة القول ان كتابك الاخير آلمني وأرى انك كتبته في حال انفعال شديد والمؤاخذات فيه كثيرة ولا يحسن بأمثالنا المناقشة فيها · ومن الغريب اعتزازك فيه بزعماء الثورة بعد أن شردوا ونحمد الله انهم حافظوا في ذلك على شرفهم وعزة أنفسهم — وقد أرسلت التوصية اللازمة بهم الى أم القرى · هذا ما أمكن كتابته بعد المغرب يوم الخميس والسلام عليك وعلى ولدك ورفيقك لا زلتم موفقين ؟

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ٢٧ المحرم ١٣٤٦ و٢٦ تموز ١٩٢٧:

سيدي الاخ الامير

لقد أُلقي إليّ امس كتابك المرسل من لوزان في ١٧ تموز وهو مرجوع كتابي المرسل في أول المحرم وظهر لي منه ان ما وقع بيننا من اختلاف الفهم في اللجنة التنفيذية لا يزال في موضعه وأرجو أن أستطيع الآن ان أستريح واريح ببيان ما تفهمه وما أردناه ونريده منها .

قلت فيما سبق ان اللجنة شيء وليست كل شيء وإن إثبات كونها شيئاً لا ينفي وجود غيرها من ثوار وجمعيات وأحزاب وأفراد ولا يغمط فضل أحد في عمله . وأزيد على ذلك الان انه لا يقتضي تفضيلها على الثوار ولا على ممديهم بالمال لان المفاضلة بين الشيئين إنما تكون في العمل المشترك بينهما كما قال الغزالي في تخطئة من يفاضل بين الخبز والماء فإن الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للظمآن ولا يشرك أحدهما الآخر في خاصيته فيفضل عليه فيها — فاللجنة خدمتها سياسية لا يشاركها فيها سلطان باشا الاطرش وغيره من زعماء الثورة وهي لا تشاركهم في عملهم . وكذلك يقال في الحزب الوطني الاميركي الذي كان أعظم ممد للثورة . واللجنة لم تشترك في الاعانة كما انها لم تشترك في الثورة وإنما اشترك بعض اعضائها في الاعانة بصفتهم الشخصية أو بدخولهم في لجنة إعانة المنكوبين .

ولا تدعي اللجنة ان تمثيلها للاحزاب عبارة عن مبايعة منهم [1] قد

(١) كانت اللجنة ولا سيما الرئيس ومن يواليه يعترضون على تكلم الوفد السوري الفلسطيني في اوربة بلسان الاحزاب الوطنية كلها في الوطن والمهجر بل لم تكن تعرف للوفد صفة سوى انه ممثل لها وحدها . فكان الوفد لا يذعن لهذا الحصر .

سلبتهم حرية العمل لوطنهم من طريق آخر او حرية نقض البيعة على تقدير وقوعها وما اظن ان هذا المعنى خطر ببال احد من اعضائها ولا من رئيسها لانه من الجنون المطبق ·

واما الوفد السوري في اوربة فاللجنة ترى ان عمله السياسي مبني على نيابة عنها لان كل ما قدمه سابقاً الى جمعية الامم كان باسمها والثوار وجمعيات الاعانة ليس من خصائصهم الاحتجاجات السياسية فلاجل توحيد العمل السياسي ينبغي ان يبقى الوفد على صبغته الاولى · ولكن لا تفكر انه قد عرض منذ بضعة أشهر ما يقتضي ان يكون لزعماء الثوار رأي فيه وهو ما كان ينتظر من مفاوضات الحكومة الفرنسية لبعض الهيئات السورية الوطنية في الصلح والاتفاق على شيء يرضى به الفريقان · وفي هذه الحالة أرسلت اللجنة وفداً الى الازرق لعرض المسألة على زعماء الثورة واخذ تفويض لها ولمن شاؤوا ضمه اليها لاجل المفاوضة ··· وعاد الوفد يحمل تفويضاً لاعضائها ولأناس آخرين كثيرين ومتفرقين في البلاد السورية وفي سائر الاقطار — فلم تقبله اللجنة لكثرة المفوضين وتفرقهم فإن ذلك يمنع توحيد العمل وإمكانه — وأخيراً اقترح جمهور وجهاء السوريين من المفوضين الموجودين بمصر ان تقبل اللجنة منهم ان يختاروا أربعة منهم لمشاركتها في كل عمل تعمله في هذا الطور الجديد للقضية على شرط ان يأتوا بعد هذا بتفويض جديد من زعماء الثورة خاص بهم فقبلت اللجنة ذلك كما تعلمون · والظاهر أن هؤلاء المنضمين كانوا يخشون أن يقع اتفاق بين اللجنة وفرنسة يغلب فيه رأي افراد قليلين او رأي لطف الله كما تخشون فاستراحوا لقبولهم في اللجنه بعد تردد

منها واباء ولعلي كنت المرجع لقبولهم وأما تكليف الحزب الوطني في اميركا لتوفيق افندي اليازجي أن يكون ممثلاً له في اللجنة فلم يكن بسعي منها ولم نسأل توفيق أفندي أكان هو المقترح ذلك على الحزب أم هم الذين كلفوه إياه من تلقاء انفسهم وكتبوا بذلك للجنة .

وجملة القول ان اللجنة ممثلة لمؤتمر جنيف الذي ادعى في ندائه تمثيل جميع الهيئات والاحزاب الاستقلالية وامضاؤك فيه لا تزال على هذه الدعوى مع ان عدد الممثلين فيها قد زادوا فهي لم تدع شيئاً جديداً ولم تصب بالجنون فنقول ان هذه الدعوي التي قامت بها في عملها السياسي هي مبايعة من الامة السورية سلبت احزابها وزعماءها حريتهم في سياسة وطنهم ، ولكنها نقول ان الطريقة القانونية لانهاء خدمتها وجواز تركها هي بحسب قرار مؤتمر جنيف موكولة الى مؤتمر آخر وهذا لا يمنع زعماء البلاد ان يعملوا لبلادهم ما شاؤوا مما يستطيعون عمله بدون ان يشاركوها فيه فعلاً او رأياً .

والوفد السوري له هذا الحق كغيره من زعماء البلاد ووجهائها اذا رأى المصلحة في ذلك وان لم تره اللجنة . ولكن يجب في هذه الحالة ان يعلن انفصاله عنها . وما دام يرى المصلحة في العمل معها فالواجب عليه ان يطلعها على ما يعمله ويستشيرها في الامر الجديد الذي يعرض له مخالفاً لما كان مقرراً من قبل لان المسؤولية مشتركة فيه . وهو قد قصر في ذلك في المدة الاخيرة فهضم حقها من حيث لم تهضم حقه فإنها أعلنت انه هو المفوض الذي يحق له الكلام باسمها دون غيره أي كأخوى رئيسها . ولما نشرت بيانها الاخير في القضية العامة نشرت فيه شيئاً عن الوفد

ولم تحذف منه قوله انه مندوبها ومندوب هيئات أخرى على كونها لا تستحسن هذه الزيادة . فالوفد اتهمها بأنها تدعي انها كل شيء على كونه يشاركها في ذلك ان صح لأنه منها . فلا تكون هذه الدعوى هضماً لحقه ولكنه هو جعلها « لا شيء » فلم يعد يراجعها في شيء ما وانما ملأ الجو بالطعن فيها .

لا تزال حفظك الله تقيم البينات والحجج باسهابك الذي يعجز عنه غيرك في مناقب الثوار الذين استنبطت بطريق اللزوم غير البين ان اللجنة هضمتهم حقهم بما تقتضيه دعواها انها كل شيء !! ووالله لا اعلم ان هذا خطر ببال احد من اعضاء اللجنة بل كل فرد منهم يفتخر بهم ويصرح بانهم الذين رفعوا رؤوس السوريين التي كانت ناكسة في كل مكان لا انا وحدي الذي اكثرت من هذا اللفظ نفسه كثيراً وإنه ليسوءني جداً أن يكرر القول لي ذلك في كل كتاب خاص بي في هذه المسألة . فإن كنت انا ممن يحتاج الى اقناع بمكانة زعماء الثورة وبتأثير الثورة بمثل هذا التكرار في كل كتاب فأنا اشهد على نفسي بانني لا قيمة له في هذه الهيئة الاجتماعية . والله ثم والله ان قولك في كتابك الاخير: فليسمح لي الاستاذ ان اقول له انه لولا سلطان باشا ورفاقه الخ لأشد عليَّ من طعن جريدة السياسة وهذا التألم هو الذي استنزل قلمي بتلك الكلمة التي آلمتك بحق كما آلمتني انا ولولا ان إتمام ذلك الكتاب كان بعجلة وأرسل ليلاً الى البريد لاعدت فتحه ومحتها منه وأرجو ان تمحها انت اذا كان الكتاب محفوظاً عندك وانني لتألمي من هذه العثرة ذكرتها لبعض اخواننا حتى الحاج اديب خير ونجيب بك (أيضاً) دع السيد عاصم

والرافعي . وكان خطر في بالي أن اقفي على الكتاب بآخر لا أذكر فيه إلاّ الاعتذار عنها . ثم قلت : إن تأخير الاعتذار لا يخرجه عن كونه اعتذاراً أشد على النفس من عقاب غيرها لها .

سبحان الله ! انني أكره التكرار حتى في المطربات وقد ابتليت به في تهمة أنا بريء منها ولكنها من الاخ العزيز الكريم الذي لا يمكنني الاعراض عن كلامه وعدم اجابته عنه وهي سوء فهم لا سوء قصد . ان هذه الصفحات السبع التي تألف منها هذا الكتاب الاخير كان يغني عنها صفحة واحدة بالايجاز وصفحتان بالاطناب .

وجملة القول في مسألة اللجنة انها هي الهيئة السياسية الوحيدة التي نظمت الدعاية السياسية والاحتجاج على الغاصب في بضع سنين وقد تكرر كلام بعض الاخوان معي في استبدال لجنة أخرى بها ولكنهم ليسوا أهلاً لذلك فسواء كان عملها السياسي حقيراً في نفسه أو بالنسبة إلى اعمال أخرى كالثورة أو لم يكن فهو عمل لا بد منه وان هدمها قرة عين للخصم السياسي الذي لم يظهر التبرم من عمل سياسي غير عملها . ولا أرى الى الآن فيه أدنى مصلحة للوطن وكون لطف الله يتلذذ برياسته لها لا يضرنا ولا يمكن له أن يتخذها مطية لعمل ضار . ونحن فيها إن كان يريده . وقد صرحت اللجنة في آخر بيان رسمي لها انه ليس فيها أحد يستثمر القضية الوطنية لمنفعة شخصية ولا نقر من يفعل ذلك فنحن إذاً لا نهدم ما بنيناه بأيدينا ولا نزال نعتقد اننا محتاجون اليه قلت هذا واضطررت إلى اعادته مع شيء آخر : وهو انني ليس لي أمل بانصاف فرنسة لنا وان الجهاد السياسي لا بد من دوامه .

أما ما تقوله يا سيدي من أن بقاء اللجنة وبقاءه رئيساً لها يخوله أن يقول لفرنسة إنه ليس في سورية غيره « وان الجميع أعوان له ومستخدمون عنده . فعند ذلك تضع يدها في يد الذي أثبت انه هو رئيس الجميع » وما في معنى هذا مما هو أبلغ منه وأكبر مبالغة — فليس من المعقول عندي فأنا لا أعتقد أن فرنسة تجهل حقيقة اللجنة وحقيقة لطف الله الى هذا الحد بل أعتقد أنها تعرف الحقيقتين وان قصارى قوة اللجنة مع رئيسها المشاغبة والدعاية السياسية وانها لا تمثل الثورة ولا رجالها بمعنى ان ما يرضي لطف الله يرضي الثوار وغيرهم من الزعماء وطلاب الوحدة الخ . وان الاتفاق الاخير مع سورية يكون معه . ولو ظلت الثورة قائمة على ساقها كاشفة عنها ورأينا فرنسة محتاجة إلى هيئة سورية تمثلها مع سائر الاحزاب واللجنة التنفيذية لرأيتم اللجنة معضدة بوفدكم بضم اثنين او ثلاثة منها اليه على الوجه الذي ذكرته لك في كتاب سابق ولم يكن لطف الله هو الذي يعقد الاتفاق معها — ولكنني أرى مع الاسف والامتعاض ان هذه الفرصة قد فاتت وزال السبب الذي لولم يزل لكان لك الحق في كل هذه المبالغة في نزع الرياسة من لطف الله ولا سيما بعد أن ثبت عندك السعي لاستئثار القضية الوطنية .

وأما ما تقوله من انني لو تغاضيت عن اللجنة ولم أحضر جلساتها لتعرقل سيرها وعادت عدماً واضطر اولاد لطف الله أن يصلحوا أمرهم فهو مما يختلف فيه فهمنا أيضاً . لا أعني بهذا أنني أجهل قيمة وجودي في اللجنة وثقة الكثيرين من زعماء بلادنا بها لوجودي فيها لا أجهل هذا وكثير من رجال بلادنا ذكروه لي مراراً . وإنما أعني أن تركي لحضور

جلساتها مع بقاء انتسابي اليها لا يعرقل شيئاً من عملها ولكن ربما يجعله أو يجعل بعضه على غير ما أحب انا ومن يتفق رأيه واعتقاده مع رأيي واعتقادي في المسائل الوطنية وان استقالتي منها لا يمنع من انتخابها عضواً آخر يمثل حزب الاتحاد السوري على حسب قرار مؤتمر جنيف وتظل أعمالها العادية على حالها وإن قلت ثقة الكثيرين بها وتبقى فرنسا مهتمة بدعايتها كما كانت مهتمة بحزب الاتحاد السوري ايام كانت جرائدها وأعوانها يقولون ان الحزب مؤلف من لطف الله وسكرتيره سليم سركيس فقط . وإذا صارت اللجنة بتركي لها ضعيفة او عدماً كما قلت فهل تكون فائدتنا من ذلك إصلاح اولاد لطف الله ... ؟ انا لا أفهم هذا وإنما رأيي في إماتة اللجنة ما ذكرته من قبل وفي آخر الورقة التي قبل هذه . ثم انني على هذا لم أقتنع بأن اولاد لطف الله يمكنهم أن يضروا سورية من طريق اللجنة التنفيذية التي يوهمون بعض الفرنسيين أنها في قبضة يدهم وأكثر رجال فرنسة لا يصدقون ذلك فتنحصر المسألة في أطماع أشعبية مضحكة يصورها طغيان الغنى قريبة المنال . وقد ذكرتم الطمع في إمارة الشام ! فهل يصح لعاقل أن يأبه لمثل هذا ؟

الامر الجوهري في كل هذه المسألة عندي هو مسألة اعتماد فرنسة على هيئة سورية تتفق معها على مستقبل البلاد ووضع النظام لحاضرها وما يكون لها من المنفعة فيها — إذا وصلنا الى هذا فأنا موافق ومساعد على كل خطة تحول دون جعل هذه الهيئة تحت رئاسة لطف الله او يكون النفوذ الغالب فيها لآل لطف الله .

انني مع إخلاص المودة والاجلال لاخي الامير الذي أعده أقوى

ركن علمي سياسي أدبي لي في خدمة الاسلام والعرب استأذنه بأن أكاشفه برأيي في مبالغته بل إغراقه وغلوه في هذه المسألة وهو انك كبرت امر هؤلاء تكبيراً كبيراً فجعلتهم أضعاف ما هم عليه ومن أغرب ذلك التكبير العلاوة التي كتبتها حاشية بعد إمضاء الكتاب وهو عندي خطأ مبين لا يحتمل الصواب فلئن عقد المؤتمر فلن يكون أعضاؤه المعتمدين على اللجنة الحاضرة وهذه اللجنة ليس اكثر أعضائها أنصاراً «للعائلة المالكة» بل لا يعرفون عائلة مالكة . ولئن عقد المؤتمر فلن يكون لنفوذ اللجنة تأثير في انتخاب رئيسه فيما اعتقد . واغرب منه قولك : « وبالاختصار ليس همنا تحرير سورية من نير فرنسة فقط بل تحريرها من نير كذا وجعل دمائنا تذهب سدى تقريباً »!! ما هذا يا سيدي الامير ؟ هذا قول عظيم من مثلك وان كنت سياسياً وصاحب خيال شعري واسع في الوصف ! من أين جاء هؤلاء بهذا النير ومتى كان لهم هذا التأثير ؟ هذا شيء لا نعرفه ولا نعقله . فإن كان وصفاً شعرياً سياسياً فهو كثير لا ينبغي ان يتخاطب به الاخوة المتعاونون على المصلحة العامة فيما بينهم وان كنت تراه حقيقياً فأقنعنا بما تعلم من هذا الخطر لنهب هبة واحدة ظاهرة لمقاومته . الطامعون في الامارة والملك والرياسة كثيرون حتى في سورية المسكينة ولبنان جبهة الحرب الاستعمارية ولكننا نسأل عن الخطر الفعلي وعن أدلته؟

سيدي إن أعمالي كثيرة جداً ولم أتم هذا الكتاب إلا يوم الخميس وسأرسله مساءه وآخر كلمة لي في موضوع اللجنة انني استحسن ان تبقى علاقتكم بها كما كانت وهي لا تشترط إلا ما ذكرته سابقاً من المكاتبة والتشاور في كل امر جديد ولا يمنع من ذلك زيادة ذكر الاحزاب

الاخرى في اعضاء الوفد اذا اصررتم عليه — فهذا فيما أظن خير من الشقاق وانفراد كل من اللجنة والوفد بالعمل السياسي لدى عصبة الامم . وقد تنشيء اللجنة في جنيف مكتباً سياسياً وقرأت اليوم في بعض الجرائد أن بعض السوريين انشأوا مكتباً فيها ولكن لم اعلم من هم وما موضوعه — هذا إذا كانت الحال كما اعلم — فان كان هنالك مفاوضة ... فقد بينت رأيي فيها وان كان في امر ... خطر لا نعرفه كما ذكرت آنفاً فعجلوا ببيانه ولكم الفضل والسلام عليكم اولاً وآخراً؟

اخوكم

رشيد

* * *

وكتب في ٣ صفر ١٣٤٦ واول اغسطس ١٩٢٧:

سيدي الاخ الامير

ارسلت اليك مساء الخميس الماضي كتاباً مطولاً وكان قد صدر بيان موسيو بونسو ولكن لم يكن وصل الينا نصه كله بل ملخص منه بالبرقيات ثم جاء بنصه فإذا هو الخزي الذي كنت انتظره .

واظن انني لم اكتب شيئاً في ذلك الكتاب على طوله في مسألة ما نشرته جريدة المعرض عن لسان الامير ميشيل لطف الله واشك في ذلك لانني كنت متذكراً لها في اثناء الكتابة وعازماً على كتابة كلمة فيها .

وجملة ما كنت اريد ان اذكره واشك في ذكره انني لم ارَ جريدة المعرض وإنما رأيت ملخصاً منها في بعض الجرائد فأنكرته عليه وقلت

له : كان يجب ان تفرق في كلامك بين ما تقوله عن رأيك الشخصي وما تقوله عن اللجنة بالنص او الفحوى وإذا لم تفعل فالواجب ان تصحح ذلك ... فقال اننا ننتظر مجيء جريدة المعرض نفسها لنرى نص الحديث فإن ما نشر منه ملخصاً غير مطابق للواقع . وكان نجيب بك في ذلك فوافق . ثم لما احتاجت اللجنة إلى نشر بيانها ضمنته ما يصلح ان يكون رداً على ما لا يوافق مبادئها من ذلك الحديث . ورأينا جريدة العهد التي اثارت المسألة احتجت بهذا الرد ولم نعد نرى المعرض وما قالت والسلام ؟

اخوكم

رشيد

***

وكتب إليَّ في ٢٠ صفر ١٣٤٦ و١٨ اغسطس ١٩٢٧ :

سيدي الاخ الامير

لديَّ كتابك الاخير منذ بضعة ايام ولم اتمكن من الرد عليه لانني اردت ان أرسل مع الرد حوالة مالية بما بقي لك على مكتبة المنار بعد تسديد حساب المطبعة وقد استخرجت الحساب من المكتبة ولكنني لم اتمكن من الخروج الى بنك مصر لاخذ التحويل إلا في هذا اليوم قبل الظهر بنصف ساعة مع تركي لبعض الاعمال الضرورية وقد كنت قبل هذا الاسبوع منحرف الصحة كما يقال في عرفنا وسافر السيد عاصم بأهل بيته واولادي الى طرابلس للاصطياف في القلمون فوالده عمي كبير

أسرتنا لم يرَ أولاده ولا أولادي قبل هذا الصيف — والحر مع الرطوبة شديدان عندنا في هذا العام فأنا منهما في ضجر ما .

وفي هذا الاسبوع فجعنا بوفاة زميلنا الوطني المجاهد نجيب بك شقير توفي فجأة في طريقه إلى بيته بالقرب من منتصف الليل فشعرنا بفراغ واسع حدث في لجنتنا لانه هو العامل المجد القائم بأعظم شؤونها وأسفنا على فقده وحزننا مصابه من جهة المودة الشخصية حزناً يقتضيه منا لطف عشرته وأدبه فيها ولا شك عندي في تأثير حياته الزوجية المعلومة عندكم في موته كمداً فذلك الاسراف الزائد لا يزال في ازدياد على نسبة نقص الموارد المالية أو نضوبها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي هذه المدة انتشر بيان بونسو فكان كما كنت أتوقع وقد رددنا عليه باسم اللجنة التنفيذية رداً حسناً ترونه في الجرائد وفي أثنائها جاءت من الاخ إحسان بك الجابري مكتوبات للامير أمين وللدكتور شهبندر مصرحة بخيبة آماله . وقد ناشد فيها الامير والدكتور بمراجعة اللجنة التنفيذية وجمع كلمتها مع كلمة الوفد في استئناف الجهاد جزاه الله خير الجزاء ولن تنسى الامة له ولكم هذا الجهاد ولكل مجتهد أجر إن أخطأ وأجر إن أصاب .

أعود الى كتابكم الاخير فأقول ان جل ما فيه بمعنى المكتوبات التي قبله وقد كنت عند قراءته وضعت خطاً أحمر على مسألة مكتوب نجيب بك لجورج ومكتوبه للوفد — لأكتب شيئاً في موضوعها ولكنني بعد أن حصل ما حصل بأن أقول ان الاول صريح في إمارة آل لطف الله او مبايعتهم كما كنتم تعبرون مما لا وجود له في اللجنة التنفيذية

ولا في الدوائر الوطنية وان من يدعي ان وجوده وحده معهم يكفيهم كل امر إما دهان لهم وإما غرور منه . وأما الثاني فلا أذكر انه كان إنذاراً من ذي سلطان وإنما كان بياناً لنظرية اللجنة التي شرحتها مراراً على انني لا أتذكر نص هذا الكتاب ولولا وفاة الرجل لطلبته منه . وقد صرحت لكم برأيي في مسألة ما تذكرون من تمثيل الوفد للجنة ولغيرها وان اللجنة لا تملك منعكم من ذلك فكيف اكون مع هذا متهما عندكم بالموافقه على ذلك الانذار الذي ذكرتموه ؟ وكيف تعود الى تكرار الشكوى من أثرة اللجنة وإثارتها للشقاق .

كذلك كنت وضعت خطاً آخر على ما كتبتم عن مسيو برتلو واحسان بك ولم يبق من حاجة لكتابة شيء في ذلك انني كنت اعتقد ان كل ما سمعتم وسمع احسان بك من وعود في باريز رياء وان من اكبر مقاصد هؤلاء الذين يكلمونكم إيقاع الشقاق بين الوفد واللجنة لان العمل السياسي محصور فيها لا يشاركها فيه الثوار ولا غيرهم من الوطنيين والمهاجرين وقد كتبت هذا لكم المرة بعد المرة فظننتم انني أغمط به فضل الثوار ومن يجمعون المال . فلنصرف النظر عن الماضي ونحصره في الحاضر والمستقبل . انا نرى هنا انه يجب السعي اولاً او قبل كل شيء لامرين (أحدهما) توحيد عمل الجبهة السياسية كما يقال وذلك بالاتفاق بين اللجنة والوفد كما اقترح احسان بك وهو ما كنت اسعى اليه من قبل (وثانيهما) إزالة ما طرأ من الشقاق بين رجال الثورة الباقين في فلسطين وعمان وهو شقاق قبيح خطير . وقررت اللجنة أول من امس ارسال الدكتور شهبندر بصفته وفداً الى اوربة ليكون اول عمله الاتفاق معكم وهو يخبركم بسمينا

في المسألة الثانية . وقد كان مراد الامير ميشيل أن يذهب هو والدكتور المرحوم نجيب بك الى اوربة وان يؤسسوا هنالك المكتب ويكون نجيب هو المدير له وقبل ان يعرض ذلك على اللجنة كتب به الى أخويه يستشيرهما فكتب اليه الامير حبيب بأنه لا يجوز أن يوجد للجنة في جنيف وفد غير الوفد الموجود فيها لان ذلك مدعاة الشقاق الضار جداً وانما يجوز أن ترسل اللجنة الى الوفد من يتحد معه او ما هذا معناه . وقد استحسنا هذا جد الاستحسان من الامير حبيب وعددناه فوق المنتظر منه . والسلام عليكم وعلى مجلسكم ومن لديكم ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ في ١٩ ربيع الاول ١٣٤٦ و١٥ ايلول ١٩٢٧ :

سيدي الاخ الامير

قد ألقى إليّ كتابك الكريم المؤرخ في ٣٠ اغسطس وأخرت كتابة مرجوعه لاننا بصدد امور جديدة كنت أنتظر جلاءها فأخبرك بشيء مفيد ولما تنجل . انه لم يبق في لجنتنا بعد نجيب بك من أعضائها القانونيين غيري وغير أسعد افندي داغر الممثل لحزب الاستقلال العربي . وتوفيق اليازجي وكيل لحزب لم يكن ممثلاً في المؤتمر والامير ميشيل ليس عضواً وانما جعلناه رئيساً من غير الاعضاء للاسباب المعلومة . واما الاعضاء المضمونون فليس منهم في مصر غير خير الدين افندي الزركلي والآن يحيط بالامير ميشيل الدكتور شهبندر وهو يدعوه لحضور جميع الجلسات ونحن نتساهل في قبوله حباً في الوفاق وقد تعين حسن بك الحكيم الذي

هو من أنصار الدكتور مديراً لمكتب اللجنة وقلم الاستعلامات — لا سكرتير اللجنة كما فهم بعضهم — وهو موظف في دائرة لطف الله كما بلغني فهو يحضر الجلسات أيضاً بالتساهل وقد اجتهد الدكتور في تجديد حزبه حزب الشعب فجمع حوله بعض الافراد الذين ليس لهم مركز وكان غرضهم ان تقرر اللجنة قبول من يمثلهم فيها لاعتقادهم ارتياح الامير ميشيل لذلك وموافقة نجيب بك له ... فخاب أملهم .

قد رأيت أنني لم أعارضك في شيء مما كتبت إلي المرة بعد المرة من ثقتك بالدكتور المذكور وحبك له واحترامك إياه ورغبتك في العمل معه إذا جاء أووبة دون الامير ميشيل .... إنما لم أعارضك لرغبتي الصحيحة في استمالة الدكتور والعمل معه — على شدة كراهتي للطعن في الاشخاص ولو للمصلحة التي يبيح الطعن فيها أئمة الجرح والتعديل من حفاظ السنة واذا اضطررت الى ذلك أفضل الاشارة والتعريض على الصراحة والتكشيف ، كما هي عادة الإمام البخاري رحمه الله تعالى في مثل قوله : فلان لا يكتب حديثه . فلان تركوه ... وانني قد صرت مضطراً الان الى التصريح بأنني بعد ان سمعت من فلان كلاماً يدل على عدم استطاعته إخفاء ما في قلبه مما لا يحتمل التأويل — ثبت به عندي ان اشتراكه بالعمل مع من يشنؤه — وان بقاءه متمتعاً بحق حضور جلسات اللجنة — مناف للمصلحة .

***

في ١٠ ربيع الآخر ١٣٤٦ و٦ تشرين الاول ١٩٢٧:

سيدي الاخ الأمير

كنت شرعت في كتابة لك في ١٩ ربيع الاول (١٥ سبتمبر) اودعه فصل الخطاب في موضوع اللجنة والوفد ولكن عرض ما حال دون بيان الفصل وهو أن بعض الاخوان العاملين في قضيتنا الوطنية في جميع أطوارها ولا سيما الحديثة قد جاؤوا مصر على نية العمل لتلافي الشقاق أو مضاره منهم الاستاذ الشيخ كامل القصاب مدير المعارف في الحجاز وشكري بك القوتلي ونبيه بك العظمة وكان في قريات الملح وخالد بك الحكيم وكان في دمشق . وكان الثاني والثالث قد بذلا جهداً حسناً في تدارك مضار الشغب الذي حدث . وقد ثبت أن فلاناً وصهره وصديقهما فلاناً الذي كنا نظن انه «معتدل على الحياد» يوالون الكتابة الى فلسطين وسورية يحضون نار الشقاق حيث وجدت ويوقدونها ان استطاعوا حيث لا وجود لها ويزعمون انهم بذلك يؤيدون لجنتنا التنفيذية وانها هي تؤيدهم ويستعينون على ذلك بما علمتم من تعيين فلان مديراً للمكتب ومقيماً فيه ويساعده في أعماله فلان الذي جعلناه كاتباً للجنة الاعانة .... ويعتقد الاخوان ان ... يساعدهم بالمال وان... كان ألمّ في هذه الاثناء بفلسطين المامة خفيفة حمل بها مبلغاً من الدراهم لهذا الغرض و... ينكر بالطبع بذل المال في هذا السبيل .

في أثناء مجيء الاخوان واشتغالهم بما سأذكره بالايجاز وصل كتابك المطول رقم ٢٣ سبتمبر — وهو بخط الأخ رياض بك وبعض الجمل بين السطور فكان مصدقاً لما قاله لي صاحب الشورى من خبر وعلك ألمّ بكم

وكنت أحب أن أعرف ما هو والراجح انه تعب في اليمنين بدليل مواصلتكم لمراسلة الجرائد والاخوان وعسى أن يكون قد زال — فأطلعت عليه الشيخ كامل وشكري بك وخالد بك الحكيم وهم على اتفاقهم معك ومعي في المقصد لا يسلمون كل هذه المقدمات التي شرحتها في الكتاب — وأهم ما أحبوا ان يعملوه هنا جمع الكلمة كما جمعوا بين جماعة المجاهدين الذين في النبك من الجنوبيين وبين الشماليين الذين كانوا متفرقين في شرق الاردن وفلسطين تعبث بهم أهواء المشاقين .

اجتمع عندي معهم زهاء عشرين رجلاً من خيار السوريين فلخص لهم الاخ شكري كل ما جرى في المدة الاخيرة : كل ما جرى من انباء أوي المجاهدين الى قريات الملح ،مقدماته ونهايته الى الان وتلافي الشقاق الذي أحدثه ... تقرباً الى الفرنسيس ومسألة الاعانة وحصر التصرف في الاعانات في سلطان باشا الذي ترد باسمه الآن واستمالة من امكن استمالتهم من مجاهدي الغوطة أو الشماليين كما يعبرون عنهم وارسالهم الى ملجإ المرابطة كما أسميه أنا ... الخ فاستحسنا بيانه واثنيت عليه بما وافقني عليه الجمهور . واقترحت عدة أمور كلها حسن تقرر بعضها وأجل بعض .

ثم ان الاستاذ الشيخ كامل ذكر للاخوان سعيه لاستمالة الدكتور ... وضمه اليهم للتعاون في العمل الذي توجهت همتهم اليه لما في التفرق والشقاق من الضرر الذي يستغله الخصم وذكر لهم انه وفق في سعيه وكذا خالد بك الحكيم الذي كان سبقه الى ذلك فسروا وارتاحوا وتقرر بالاتفاق بينهم تأليف لجنة من شكري والزركلي عن حزب الاستقلال ومن الدكتور شهبندر وحسن الحكيم من الطرف الاخير ومن الشيخ

كامل ورشيد رضا وخالد الحكيم ممن على الحياد ليكونوا حكماً وعينوا موعداً اجتمعوا فيه عندي وكان معهم الدكتور سعيد عودة وهو على الحياد أيضاً وصديق شهبندر — اجتمعوا وكان القوتلي منحرف الصحة حتى اننا أذنا له كلنا بالاضطجاع على أريكة ففعل ثم دار الحديث بعقل وأدب مدة لم يستطع أحد الحاضرين الثبات عليهما فذكر ما ينكره وينقمه من حزب الاستقلال وفنى عليه بالقدح فيه وفي شخص الامير عادل من رجاله خاصة ثم رفع صوته واستشاط فشتم فلاناً ورفع عصاه وهجم عليه يريد ضربه فقام الآخر على تعبه ليقاومه فحلنا بينهما الخ ·
(الى ان يقول) :

وقد علمنا مما صرح به انه لا يرضيه ان يكون لفلان ولا لغيره من حزب الاستقلال ادنى دخل في قبض أموال الاعانة ولا في صرفها وانه يجب أن تؤلف لها لجنة في مصر تتولى القبض والانفاق بالعدل على الدروز وغيرهم ··· وذلك أن كل الشغب الذي أحدثوه في فلسطين إنما هو لاجل اقتسام المال بين المرابطين على الحدود (كما اسميهم أنا) وبين القاعدين في الامصار العامرة يتمتعون بالشهوات حتى المحرمة منها · ونحن قد أجمعنا قبل ذلك بأنه لا حق لاحد في قرش واحد من غير المرابطين · ولما بالغ فلان في الطعن في حزب الاستقلال قال له الدكتور ··· ان هذا الحزب لم يستأثر بالاعمال الا لانه لم يوجد غيره يزاحمه فيشاركه أو يزحمه فيخرجه من الميدان لانه أصلح منه وقد كتبت لك مراراً أسألك رأيك في هذا الامر فلم تجبني والآن أسألك أي الامرين أرجح اذا لم يوجد غير الامير عادل يحل محله في عمله وغير هـذا الحزب يحل

محله فهل تختار فشل الحركة والثورة والقضاء النهائي عليها بتنحي هؤلاء عن العمل أم بقاء الحركة والعمل مع السعي لتقويم ما نراه معوجاً منه — او ما هذا معناه — فأجاب بأنه يختار الفشل وترك العمل على تولي الامير عادل أو غيره من حزب الاستقلال له الخ ٠٠ وقد اجتمع الاخوان بعد ذلك عندي ولما علموا بما وقع اجمعوا على ما كان يعتقده بعضهم من استحالة الاتفاق وألفوا لجنة وطنية للاستمرار في السعي لما يقصدون من تأمين راحة المرابطين وجمع كلمة السياسيين وغير ذلك ٠ وقد حاول محمد أفندي الطاهر أن يتوسط ثانية بالصلح وكذلك الامير ميشيل لطف الله فلم يمكن ٠

طال الحديث واني أعلم انكم قد علمتم بما حصل هنا إجمالاً أو تفصيلاً — فهذا الدكتور ٠٠٠ الذي كتبت إليّ المرة بعد المرة بأنك تحبه وتحترمه وتود العمل معه اذا جاء اوربة — وبلغني انك كنت حمزت شقيقك المجاهد بل افضل المجاهدين حمزاً شديداً في التثريب على مجافاة الدكتور[1].

أعود الى اللجنة التنفيذية : كنت أخبرت الامير ميشيل بما كتبت في البراءة بحق من عداوتهم وما عملت في سبيل مودتهم[2] وما تنكر الآن

---

(١) وهذا أعظم شهادة بكوني تفاديت الشقاق بكل وسيلة وجرتُ على أخي نفسه من أجل ذلك لا خوفاً من احد بل خوفاً على القضية السورية من عواقب الخلاف ومع هذا لم أستفد شيئاً ٠

(٢) كنت كتبت الى السيد عما كنت اعضد آل لطف الله في كل موقف وكم أطريتهم في افتتاح المؤتمر العربي بديترويت مشيغن في اميركا امام ألوف الناس —

من السعي إلى الامارة وجعل اللجنة آلة لذلك – ولكن بعبارة لطيفة – وقلت له إن الاتفاق معكم ممكن وانه لا بد لنا من جلسة طويلة لحل هذه العقدة فتواعدنا – ووعدته أيضاً باستمالة حزب الاستقلال وسائر العاملين لتأييد اللجنة . ولما جاء الاخوان – وكان شهبندر وحسن الحكيم وتيسير ظبيان أقنعوه بأن حزب الاستقلال ضد عليه وانه يسعى لعقد مؤتمر وطني في بيروت ظاهره بيان موقف الوطنيين تجاه خطة موسيو بونسو وباطنه إسقاط اللجنة التنفيذية – قلت له انني كلمت الاخوان الذين حضروا من البلاد ومن الحجاز بوجوب تأييد اللجنة التنفيذية فقبلوا كلامي كما كنت أخبرتك واننا سنكلف لجنة مؤتمر فلسطين بإرسال عضوها المحفوظ لها في اللجنة وسيدفع عضوها وعضو حزب الاستقلال ما يخصهما من نفقات اللجنة كسائر الاحزاب وكان متشائماً جداً من اجتماعهم عندي عدة مرات مع عدد كثير من الوجهاء المقيمين هنا من السوريين وتأليفهم لجنة وطنية جديدة وبحثهم عن مكان يجعلونه نادياً لها وأخيراً دعا أشهرهم الى العشاء وظللنا نبحث في المسألة الى نصف الليل ونقرر انهم يسعون للتأليف بين اللجنة والوفد على قاعدة وجوب استشارة الوفد للجنة في كل ما يريد ان يقدمه الى فرنسة أو الى لجنة عصبة الامم في القضية السورية . وذكر في هذه الجلسة ما يستنكره من الوفد وذكرنا له ما استنكره الوفد وغير الوفد منه ومن اخوته ومن ذلك حديثه مع صاحب المعرض بما هو ضد إجماع البلاد . وذكرنا أيضاً مخالفة ما أرسل أخيراً الى عصبة الامم بالفرنسية

ـــمما يدل على انه ليس لي ادنى غرض شخصي في استنكار بعض الحركات وان رائدي الوحيد انما هو المصلحة الوطنية .

لما نشر من قرار اللجنة بالعربية . فاعتذر عن هذه بأن بعض السياسيين الاجانب نصح له بأن شدة العبارة بالعربية تستنكره عصبة الامم ويكون ضاراً ... فقال له الزركلي : كن يجب إذاً ان تجمع اللجنة وتعرض عليها ذلك التغيير برأيها فاعترف بذلك . وإنما ضمنوا له رضاء الوفد بما ذكر لان اللجنة بيدنا . وصل مساء أمس جمال بك الحسيني منتخباً من لجنة مؤتمرهم عضواً للجنة مصر فهو عضو أصلي معنا وكنت عهدت الى بعض الاخوان أن يكتب إليك بأن تكتب الى طعان بك عماد[1] لتنتخب جمعيتهم أو حزبهم عضواً بدلاً من نجيب بك يكون مع اخواننا الذين نثق بهم . ومن رأيي أن نضع لائحة داخلية للجنة يكون من موادها ان تنتخب اللجنة لكل جلسة رئيساً فلا تكون الرياسة محتكرة لصاحبنا ولا يكون محروماً منها البتة وعسى أن يرضيكم هذا . وربما تنتخب سكرتيراً . ونقرر أن تنشر القرارات بامضائه وقد قلت للاخوان ان الامير شكيباً ليس له إلا شرط واحد ضروري وهو ألا يكون لطف الله هو الرئيس للجنة وكلهم يرجون ان تقبلوا اقتراحي واللجنة كلها بيدنا وبهذا نتلافى شر شقاق جديد ونقضي عليه والسلام عليك وعلى من لديك ؟

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ٢٩ ربيع الآخر ١٣٤٦ و٢٥ اكتوبر ١٩٢٧ :

سيدي الأخ الامير

وصل كتابكم بعد ان علمتم من البرقيات اننا انفصلنا من ميشيل

---

(١) في الارجنتين .

وانفصل منا[1] وأرسل اليكم صديقنا شكري بك كتاباً أو كتابين فصل فيها ما وقع وذكر ما يطلبه الاخوان منكم وجاءت برقية التأييد منكم باسم الوفد وبرقية لي ناطقة بمبادرتكم الى اجابة ما اقترح عليكم ولا بد أن يكون المقطم الذي نشر محضر جلستنا التاريخية التي ألغينا فيها الرياسة قد وصل اليكم وكذلك كوكب الشرق فهذا كله قد وفر عليّ الوقت الذي كان يجب عليّ أن أشرح لكم فيه كل ما وقع على انني لا اعلم كل ما كتب اليكم فقد يكون بعض ما أكتبه منه وقد يكون مما يستغنى عنه .

أقول قبل كل شيء ان من خلقي ورأيي أن لا اتصل بأحد بصداقة أو عمل ثم يكون الانفصال من قبلي وحدي أو لأدنى سبب من الآخر وان من خلقي وطبعي كراهة الاختلاف والتفرق والشقاق والمراء وقد تركت جلسات المؤتمر الاسلامي العام في الحجاز المرة بعد المرة عندما اشتد فيه الاختلاف والمراء الذي كان يثيره وفد الخلافة الهندي — فلهذين السببين الطبيعيين ولما أعلم من طبع ميشيل لطف الله وهواه في سياسته ومسالكه فيها كنت اجيبك عن اقتراحك ترك اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بعد أن علمتم من محاولته جعلها ذريعة لنيل امارة لبنان — بما لا يرضيك من الاجوبة . وأما اقتراحك أن اكون انا رئيس اللجنة فكان ابعد عن طبعي من الاقتراح الاول لانني أمقت هذه الرياسات والالقاب التي يتنافس الناس فيها منذ أدركت وأنا تلميذ في طرابلس من تيارات التنافس الضار بين المفتونين بها ... ولي كتاب في هذا المعنى كتبته

---

(١) لا تخلو معركة سياسية في الدنيا من مثل هذه الاختلافات .

لشاب عرفته في بيروت فأعجبني حتى حسبته صديقاً لي وقد نشر هذا هذا الكتاب في السنة الاولى للمنار دع ما يترتب دائماً على التفرق والشقاق من سوء القدوة وسوء الاحدوثة ٠وغير ذلك من الضرر ٠

كنت احب أن اجد وسيلة لجمع الكلمة بينكم معشر اعضاء الوفد السوري وبين الامير ميشيل على قاعدة حديث « لاضرر ولا ضرار » وكنت أفكر فيما يعقبه تركنا له من الضرر ومن محاولته الانتقام وبذل الجهد والمال في هذه السبيل مع العلم بأنه يجد من السوريين مؤثري المنفعة الشخصية على المصلحة الوطنية والقومية اعواناً وانصاراً واعلم مع هذا ان كثيراً من الناس لا يميزون بين حقنا وباطلهم وان كثيراً منهم يعذلوننا ويعذلونهم وتضعف ثقتهم بنا وبهم ٠

في ٣٠ ربيع الآخر ١٣٤٦ و٢٦ اكتوبر ١٩٢٧:

اضف إلى هذا ان رأي اخواننا من اعضاء اللجنة كان موافقاً لرأيي في ان المحافظة على مودة الرجل والعمل معه انفع واصلح وارجح من تركه وانه لا يمكن او لا يسهل ان يستخدم اللجنة لتقرير ما ينافي مصلحة الوطن او يتخذنا سلماً لمطمع شخصي وكان مع مواتاة السكرتير العام (نجيب بك) له وكون السكرتير (توفيق افندي اليازجي) اطوع له — كان على هذا — غير واثق بأنه يقدر ان يتصرف في اللجنة كما يشاء او في اي شيء جوهري لا يمكنه إقناعي به لانه لم يكن يغرب عن فكره ان لمواتاة المرحوم نجيب بك حداً تقف عنده وان اسعد افندي داغر ادنى الى مخالفته من كل احد ٠ فما بالك وقد انضم الينا الزركلي وهو احرى بمخالفته ومحادته عند الخلاف من اسعد والامير امين ارسلان

وهو من هو وكان ارجى المنضمين الى اللجنة عنده فوزي بك البكري ولكنه لم يلبث ان سافر كما سافر سعيد بك حيدر الذي كان وسطاً بين الخوف والرجاء عنده.

لهذه الاسباب انقضى فصل الصيف ولم يقدم الامير على إحداث شيء يقاوم به خلاف الوفد له وإعراضه عن اللجنة التنفيذية لأجله فلا استطاع أن يتخذ قراراً يكون ضداً على الوفد ولا أن يرسل وفداً آخر او يسافر به ولا أن ينفذ ما كان اقترحه عليه نجيب بك من انشاء مكتب سياسي في جنيف — والظاهر أن نجيباً كان يريد أن يكون هو مدير هذا المكتب لانه سئم الحياة في مصر وما كان يحمله من التعب الشديد مع شدة الحر في هذا العام — وقد ضاق ذرعاً بعد موت نجيب بك لانه كان متنفس همه وحلال مشكلاته فاتسع المجال لعبث فلان واتخاذه إياه ذريعة للانتقام من أعدائه الاستقلاليين الذين ظهر لي أخيراً أن حضرة ... أشد مقتاً لهم وحقداً عليهم من ... فاذاً قد التقى الصديقان على هوى واحد بل على أهواء متحدة تظهر لنا آناً بعد آن ما لم نكن نعلم.

اليوم قد ظهر لنا أخيراً اولاً ان فلان وفلاناً متفقون مع فلان على إحداث الشقاق وهم متفقون بالطبع على كل ما يتعلق بهذا الشقاق وخاصة ما يتعلق بالثورة والثوار منه وما يتعلق بالتزلف الى فرنسة فقد أعلنوا كلهم تأييد ...... في عملهم الجديد ونشروا ذلك في الجرائد وانني لم أقاطع ..... إلاّ بعد ان عقدت معه عدة جلسات سرية للمذاكرة في الاتفاق كان يكتم عني بقدر ما كنت أصارحه فيها ولكنني أحرجته في

الاخيرة منها حتى احتد وغضب فصرح بحقده على الاستقلاليين وإن كتمه بعض سنين حتى امتلأ من أسفله إلى أعلاه وبانه لما كان لا يمكنه ان يبارزهم العداء بشخصه استخدم .... وحزبه فضرب بعضهم ببعض فقلت له انك أويت إلى ركن غير شديد وعرضت نفسك للإهانة وكان الجميع متفقين على تكريمك ولو بالسكوت عن الطعن فيك وأحدثت تفريقاً جديداً بين الوطنيين تعدى الى لجنتنا التنفيذية التي كان الجميع متفقين على تكريمها أيضاً فأكثر أعضائها خصوم لمن آويتهم الى مكتبها وجعلته وقفاً عليهم حتى تعدى ذلك إلى شخصي وكان صديقاً لهم كلهم ولا سيما ... وسمحت بأن يكون مدير المكتب بكل ارتياح كما رضيت أن يحضر الدكتور .... جلسات اللجنة بدون قرار ...

قال بل كانوا يطعنون فيّ وفي اللجنة وذكر لي أشياء من ذلك بلغته حينئذٍ قلت له : مالنا وللكلام السري الذي لا يعرف إلا بطريق التجسس وهل تظن أنت أن الناس لا ينقلون لهم ولغيرهم عنك شيئاً ؟ أنهم ينقلون عنك أشياء لا تحتمل كطعنك للافرنج في الاسلام والمسلمين ورميهم بالتعصب وبغض النصارى وتقربك اليهم والى رجال فرنسة خاصة بأنك لا تشتغل معنا إلا لكظم تعصبنا — أو ما هو بمعنى هذا الكلام — .

ثم قلت له يجب أن يكون لنا في اخواننا المصريين عبرة — وكان قال انه لا يبالي بأحد ولا بحزب ولا ولا ... — فان سعد باشا وصل في هذه البلاد الى مقام من الزعامة الإجماعية لا نعرف له نظيراً في التاريخ ولما لم يبال بجماعة الحزب الحر طعنوا فيه وأهانوه حتى صار من يقرأ جرائدهم خارج مصر يظن انه لم تبق له قيمة ولم يقدر في هذه

الحال أن يعمل عملاً ولما اتفق معهم أخيراً اجمعوا على زعامته مع غيرهم ولم يبق له منازع في زعامة هذا الشعب فهل انت اعظم منه ؟ فالصواب إذاً ان نقتدي بالمصريين وننبذ الضغائن القديمة ونكون كلنا يداً واحدة وإذا أنت وافقتنا على نشر كلمة تحترم فيها الوحدة السورية وتصرح بأن هذا التفريق الذي فعلته فرنسة بصدعها وجعلها دويلات ظلمت فيها سورية أشدّ مما ظلمت غيرها بسلب جميع ثغورها البحرية منها ٠٠ فان الوفد السوري يرضى بذلك ويرجع الى التكافل مع اللجنة التنفيذية - كل هذا لم يفد معه ولم يجبني الى طلب ما فأنذرته الانفصال فانفصلت ٠

في ١٠ جمادى الاولى

إن يوم ١٩ اكتوبر الذي عقدنا في اصيله جلسة اللجنة وقررنا فيها إلغاء الرياسة مع ذلك البيان التمهيدي للقرار كان موعد سفر جمال بك الحسيني وإحسان بك الجابري من هنا الى القدس وكان من المنتظر ان يحضر الجلسة احسان ولكنه لم يفعل بل جاء بعد نزول الاعضاء من عندي وكان قد أزف وقت القطار الذي يسافر فيه فسألني فأخبرته بقرار اللجنة بالاختصار ونزل الى المحطة وبعد ساعة جاءني زكي باشا ومعه الدكتور شهبندر واخبراني أنهما كانا في المحطة لوداع الجابري ومعهما الامير ميشيل فاخبرهما الجابري أننا عزلناه فأخبرتهما بما وقع فاستحسنا إلغاء الرياسة دون عزله وقالا إنهما يفضلان السعي للصلح والتأليف إذا كنت أوافق ٠٠٠ فوافقت فذهبا الى ميشيل وكان ينتظرهما فذهبا اليه واجتمعا في اليوم التالي عند زكي باشا اجتماعاً طويلاً لم ينتج شيئاً ثم ظهر ان لطف الله وشهبندر يراوداني لأجل تأجيل نشر قرارنا الى ان

يكونوا قد اتخذوا قراراً يجعلوننا فيه مدافعين عن انفسنا ٠٠٠

هذا ملخص تاريخي والان يجب الاخذ بالحزم وليكن من أهم عملكم استمالة الشبان السوريين الذين في اوربة ٠

فانني ان اذكر لكم ان الجابري كلمني من القدس بالتلفون بأن لا انشر قرار اللجنة ٠ فتعجبت من ذلك وقد علمت مساء اليوم انه سيعود الليلة الى مصر مع مفتي القدس الحسيني للسعي بالصلح ٠٠٠ وقد جاء مصر امس الامير امين ابن عمكم وعلمت بمجيئه بعد المغرب اليوم فاجتمعنا به وطلبنا منه كلنا ان نعقد جلسة تحت رئاسته فتنصل وقال انه على الحياد وما هذا معناه ٠٠٠ ثم علق رأيه الاخير على مقابلة الحاج امين الحسيني والجابري فرضينا ونحن الآن معه عند شكري بك حيث اتمّ هذا الكتاب وقد قرأت كتابك لشكري من برلين فسر به وكذلك برقيتك للجنة وامر ما سرّني من الكتاب كونه بخطك فعسى ان يكون الله تعالى قد اتمّ لك الشفاء والعافية والسلام عليك وكان الله معك ؟

اخوك

رشيد

***

وكتب إليّ في ١٢ رجب ١٣٤٦ و ٥ يناير ١٩٢٨ :

سيدي الصديق الامير

أحييك تحية مباركة طيبة وادعو لك بالصحة والعافية وبالتوفيق لخدمة الملة والامة فأحمد الله ان ارى مكتوباتك ورسائلك تسير مسير الشمس في كل قطر وتهب هبوب الريح في البر والبحر وتبيض صفحات الجرائد

والمجلات بسواد مدادها المشبه لسواد القلوب والاحداق في كونها مستودع نور البصائر والابصار وإن كنت اغبط جميع تلك الصحف باستئثارها بتلك الرسائل دون المنار وما كنت بالذي يقترح عليك شيئاً ولقد كنت مشفقاً على صحتك من كثرة النصب في الكتابة من قبل ان يعرض لك من ضيق الصدر ما عرض حتى صرت حقيقاً اغبط الافراد على المكتوبات الخاصة أيضاً حتى انك لم تكتب اليّ مرجوعة كتابي الاخير المطول الذي كتبته اليك بعد ان قمت بما قمت به مع اخواني من الغاء رياسة لطف الله الذي قامت به قيامته وكنت منتظراً منك ذلك قبل سفرك ثم بعد عودتك ولا سيما بعد ان حدث من سعي زميلك احسان بك مع صديقك وصديقينا مفتي القدس واحمد زكي باشا للصلح والاتفاق مع لطف الله على اساس العودة لرياسة اللجنة .

أبرقت اليّ بأن الجابري سيمر ببور سعيد ... فظننت انه ذاهب الى الحجاز او الى قطر أبعد وان المراد من البرقية لقاؤه في بورسعيد بالباخرة عندما تصل اليها فسافرت الى بور سعيد معطلاً جميع اعمالي وطفقت طول النهار أبحث عن البواخر القادمة من اوربة بسؤال شركاتها وادارة الجمرك لانك سهوت عن ذكر اسم الباخرة التي يبحر بها او لم تعرفه ولما لم يجيء في ذلك اليوم المقدر لوصوله رجعت ادراجي ثم جاء هو في اليوم التالي الى بور سعيد ثم الى مصر وفي اثناء وجوده حدث ما حدث مما فصلته لك من قبل وقد كان جده واجتهاده واهتمامه في سبيل الصلح يستغرق عامة ليله ونهاره و كان يصرح بان هذا الصلح من الضروريات وان عدم النجاح فيه وبقاء

الخلاف بيننا وبين لطف الله وشهبندر من أكبر المصائب والنوائب والاخطار على قضيتنا السورية . وكنت أسأله المرة بعد المرة : هل أنت على يقين من رضاه الأمير شكيب بهذا الصلح الذي اقترحت والشرائط التي ارتضيت ? فيقول نعم نعم وتراءى لي أن المكاتبات بينكما متصلة وتزاحمت عليّ الاعمال وتعدد عقد الاجتماعات وإحسان بك يكتب في مذكراته كل ما مرّ به أو عرض له حتى الذرة وإذن الجرّة ومكتوباتك له متصلة أطلعني من اواخرها على ما جاءه بعنواني وتلقاه بيده من عندي فأطلعني عليه كما أمرت . ثم ذكر لي كتابين آخرين منك ووعدني باطلاعي عليهما ولم يفعل على تعدد استنجازي إياه الوعد إذ يقول إنني نسيت ذلك في البيت ولكنني زرته في البيت الذي يسكن فيه بعد أن ظهر حبوط كل عمل للصلح وهنالك طالبته بإطلاعي على الكتابين اللذين كان أخبرني بهما فلم يطلعني عليهما . ثم جاءني مساء هذا اليوم مودعاً قبيل ذهابه إلى المحطة للسفر الى فلسطين فلم يتسع الوقت للكلام ولكنه قال انه لم يطلع أحداً على كتابك الأخير المتعلق بشؤون الصلح حذراً من تأثيره الذي يظهر انه لا يرضيه . فلم أسأله عما فيه لضيق الوقت الذي هو عذر له لا يردّ ولعله لم يتأخر في وداعي إلاّ لاجل ذلك ولئلا أناقشه في البيان الذي أصدره هو وزميله أحمد زكي باشا إذ لم يصرّحا فيه بكل الحق ولا بأكثره على أن ما كتباه أرضى جماعتنا بعض الرضا وأسخط الآخرين وسترونه مطبوعاً — (ولم أجد وقتاً لإتمام الكتاب فأرجأته) والمودة بيني وبين إحسان بك كانت وما زالت تامة .

في ١٣ رجب ٦ يناير

قلت إنني كنت أظن ان إحسان بك يكتب اليكم في كل بريد وقد ذكرت له هذا أخيراً بمناسبة فشله في السعي للصلح والبرقيات الاخيرة فأخبرني انه لم يكن يكتب اليكم شيئاً فعجبت أشد العجب من ذلك وذكرت ذلك لشكري بك فقال الاخ انه لم يكاتبكم في هذه المدة أيضاً فما هذا الصارف الذي صرف الكل عن ذلك ؟ ووعدني شكري بك بأن يكتب اليكم بالتفصيل الذي لا أجد انا وقتاً له .

جاء في هذه المدة ملك الافغان فسرت مصر بزيارته لها لسببين الاول انه ملك مسلم مستقل استقلالاً مطلقاً دون الانكليز خصوم مصر وانه على رأس نهضة مدنية عسكرية ... والثاني مما للسيد جمال الدين رحمه الله من التأثير الخالد في مصر وقد ذكر به النابتة قول جميع الجرائد التي أبقت سعداً انه تلميذ السيد جمال الدين . وسر المدنيين منه تواضعه أو ما يعبرون عنه بدمقراطيته وساء الدينيين منه لبسه للبرنيطة حتى اضطر الى الدفاع عنها بأنها قديمة في بلاده وليس هو مقلداً فيها للافرنج . وهذا غير صحيح فانه لم يلبسها قبله إلا والده بعد عودته من اوربة ولكن في بعض أوقات الصيد أو السفر في الشمس ومع أن الجمهور صدقه بقي العلماء وجميع المتدينين ساخطين وقد علم هذا فصرح يوم سفره من الاسكندرية الى اوربة تصريحاً في شأنها وفي معنى الدين لا يرفع السخط وقد يزيد اللوم . وذهب والجرائد راضية عنه أكثر من الجمهور .

زرته مع هيئة إدارة الرابطة الشرقية وقدمت له في هذه الزيارة رسالة التوحيد وخلاصة السيرة المحمدية و كتاب الوحدة الاسلامية و كتاب

الخلافة مجلدة بالحرير الاخضر وكنت جلدت له أجزاء تفسيري الثانية ومنشآت الاستاذ الامام فأعطيتها لغلام جيلاني خان سفيره في أنقرة وكنت عرفته بمكة إذ جاءها مندوباً لحضور المؤتمر الإسلامي وكان فيه كالظل التابع للمندوب التركي ووعدني بأخذ موعد لمقابلة الملك مقابلة خاصة اذا وجد وقتاً ولكنه لم يفعل وقد ظهر لي منه ومن رئيس مجلس الشورى عندهم ومن سلطان أحمد سفيرهم السابق لدى الترك الذي قابلته من قبل ان كل حاشية هذا الملك مصابون بعدوى الإلحاد الكمالي ورأيت ملكهم وملكتهم مفتونين بالتفرنج[1] ولكن حالة ملك مصر وملكتها حالت دون اظهارهما كل ما كانا يريدان اظهاره من التفرنج . وقد كتبت للملك كتاباً ذكرت له فيه ضرورة المحافظة على الدين وكون الكتب التي كتبتها اليه تساعده على ذلك ورجوته بأن يأمر بترجمة السيرة المحمدية ومقدمة كتاب الخلافة وخاتمته ثم ما شاء من فصوله وأن يختار بعض أذكياء علماء بلده لقراءة التفسير لانه هو الذي يقنعهم من طريق الدين بكل ما تحتاج اليه البلاد من النظام المالي والعسكري والفنون التي تنمي الثروة الخ . وحذرته فيه من كل ما ينافي الدين ومن الغرور بالترك الكماليين وغيرهم وقد ذهبت الى محطة مصر ساعة وداعه فودعته مع المودعين القليلين وأ كثرهم من رجال الحكومة وسفراء الدول واعطيت الكتاب لغلام جيلاني سفيره المذكور في المحطة . وبعد ذلك رأيت صهره محمود طرزي خان وزير الخارجية فسلمت عليه سلام الوداع وذكرت له من حرصي على رؤيته بمصر وسؤالي عنه المرة بعد المرة وعدم تيسر لقائه لي

(١) وقد كان هذا هو السبب الوحيد في فقد أمان الله عرش الافغان .

وذكرت له ما كتبت لجلالة الملك ورجوته أن يترجم له ثم يترجم له عند الفرص بعض المسائل المهمة من الكتب التي أهديتها الى جلالته... فأحسن الرد (وقال انه سمع بي كثيراً) متأسفاً لعدم التوفيق للتلاقي ثم كتبت اليه كتاباً أرسلته الى الاسكندرية مؤكداً الرجاء بما ذكرته له مع توسع في النصيحة الدينية .

وبعد رجوعي من المحطة بساعة بل بساعتين وارسال كتابي الى الطرزي خان بالبريد المستعجل جاءني رسول من عند مهدي بك رفيع مشكي الايراني يحمل أجزاء التفسير الثانية ومنشآت الاستاذ الامام ورسالة خديجة أم المؤمنين ومعه كتاب من مهدي قال فيه : ان غلام جيلاني كلفه أن يعيد الي هذه الكتب لانه لم يجد وقتاً لتقديمها الى جلالة الملك وانه يتأسف لذلك .. فغلب على ظني انه تعمد عدم تقديمها لان ثلاثة أيام ليست بالوقت الذي يضيق عن تقديم هذه الكتب وزاد الظن قوة ما ما رأيته من غلام جيلاني من الاعجاب الشديد بالترك الكماليين ... وكتبت لدولة محمود طرزي خان كتاباً آخر ذكرت له فيه إرجاع غلام جيلاني خان سفيرهم للكتب وخوفي أن يكون أمسك كتابي الخطي عنده فلم يقدمه لجلالة الملك وان هذا ان وقع منه يكون خيانة جلية ومحاولة حجر على ملكه أن يطلع على ما لا يحب هو أن يطلع عليه ورجوته أن يجيبني على خطابي هذا له لأكون على بصيرة فيما سأكتبه عن رحلة جلالة الملك أمان الله خان . وقد سافروا ولم يجئني من الطرزي شيء[1] .

وقد فاتني أن أذكر لك انني ذكرت له في كتابي الاول له انني

(١) وذلك لان الشيخ رشيد في واد وهم في واد .

سمعت منك ثناء عليه فكان هو سبب رغبتي في رؤيته ومذاكرته في اصلاح بلادهم [1] . وذكرت له أيضاً انني أعد نفسي من أحرص الناس على نهضة بلادهم ونصيحة ملكهم لسببين أحدهما أنني أعد هذا فريضة دينية وثانيهما انه دين علينا لاستاذ نهضتنا الاكبر السيد جمال الدين الافغاني ... وصرحت له بأنني لا أبغي على الهدية ولا النصيحة جزاء ولا شكوراً كما ذكرت في كتابي للملك أمان الله خان ان بعض فضلاء

---

(١) نعم قد كان هذا قبل أن رأيت ما رأيت من تقليد هؤلاء للافرنجيين وقد كنت عازماً عند قدوم جلالة أمان الله الى اوربة ان اكون اول وافد عليه فلما برز ما برز منه في مصر من التفرنج عدلت عن كل علاقة معه . وجاء الى سويسرا والى نفس لوزان حيث كنت ساكناً ولم أسلم عليه . وكتب الي السيد رشيد بأن أواجهه واخبره بقضية ارجاعهم كتبه اليه فأجبته باني لا أريد التلاقي معه . نعم بعد ان فقد عرشه وسكن في اوربة جاء الى مونترو وتلفن لي أحد مستشاريه بأنه يرتاح الى مواجهتي فذهبت وسلمت عليه ودعوته الى تناول الطعام عندي وتلطف وقبل دعوتي بمنزلي في لوزان وجرت بيننا احاديث طويلة صرحت له فيها بكل ما اعتقد من أخطائه فاعترف ببعضها واعتذر عن بعضها ونفى صحة كثير مما عزي اليه ثم ذهب بعد ذلك بقليل الى الحج فكتبت الى جلالة ابن السعود في امر الاحتفاء به وابن سعود غير محتاج الى توصية احد في اكرامه لضيوفه لا سيما من كان منهم من ملوك الاسلام فلقي منه أمان الله كل ما يطيب خاطره من الاعزاز والاجلال . ولعل امان الله قد ندم على قبول نصيحة اولئك الذين نصحوا له بالتفرنج و كانوا السبب في فقده ملكه الذي لا ينكر انه حافظ فيه على الاستقلال التام .

المند عرض عليّ أن أنقطع لإتمام التفسير فلا عملا الا بعد أن يتم وانه يكفل نفقاتي ونفقات الطبع لاعتقاده ان هذا التفسير وحده هو الذي يرجى به قيام المسلمين بالنهضة التي تصلح بها أمور دينهم ودنياهم معاً في هذا العصر — او ما هذا معناه — وذكرت له انني لم أقبل هذا الاقتراح لاني لا أقبل منة احد وغرضي من هذا وراء الشهادة للتفسير بما تحتاج اليه بلاد الافغان من المحافظة على الاسلام مع النهضة المدنية — هو انني لا أبغي باهداء هذا التفسير له مساعدةً ولا جائزةً ولا وساماً. وجملة القول ان وجود ملك الافغان ومن معه من بطانته هنا قد زادني خوفاً على خوف سابق وسوء ظن بالنهضة الافغانية التي تنتهي الى ما انتهت اليه المساعي التركية.

في ٧ يناير :

بلغني نبأ صديقنا المخلص داود افندي مجاعص في نجاحه المالي وفي أول زكاة زكاه بها[1] فسررت بالخبرين سروراً عظيماً وأرجو أن تبلغ هذا الوطني المخلص المصفى تحيتي وتهنئتي له ودعائي بان يزيده الله نماً ويزيده شكراً كما أدعو بهذا لنفسي ولصفوة أهلي وأصدقائي.

هذا وانني في أثناء كتابتي لهذا الكتاب قرأت في جريدة الكوكب مقالك الذي ذكرت فيه خبر العالمين العاقلين[1] البصيرين اللذين لقيتهما

---

(١) ساعد منكوبي الثورة الذين في صحراء النبك بمئات من الاغطية.

(٢) في موسكو مسجدان كبيران إمام أحدهما الاستاذ عبد الودود والآخر الاستاذ عبدالله وكلاهما من العلماء الفضلاء وهما يعرفان العربية كعلمائها وقد صليت في كل من المسجدين جمعة وابتهجت جداً بما رأيت عليه جماعات المؤمنين —

في موسكو فسررت به ولم أعده غريباً فانني أعلم ان في مسلمي روسية كثيراً من هؤلاء الفضلاء الذين على مشربنا . أكثرهم في ولاية قزان وأوفا . وقد لقيت في مكة أعضاء الوفد الروسي في المؤتمر الاسلامي فإذا هم من خيارهم ورئيسهم الشيخ الكبير الذي خدم الاسلام أجل خدمة إذ كان قاضي القضاة والمفتي في أوفا وكان كثيراً ما يرسل الى المنار بمشكلات المسائل فننشرها في باب الفتوى مع الاجوبة عنها . ولما رآني بكى ثم حمد الله تعالى واثنى عليه أن يسر لنا هذا اللقاء في حرمه ... وقد ذكرت في مجلسي مع هذا الوفد وغيره انني لما كنت أكتب دروس الامالي الدينية في الجزء الثاني وما بعده من المنار — اي من زهاء ثلاثين سنة — كتب سبعون طالباً من طلبة المدرسة المحمدية في قازان الى مدير المدرسة باننا لا نقبل بعد الآن ان نقرأ لنا العقائد على الطريقة التفتازانية والفلسفة اليونانية وإنما نطلب ان نقرأ علينا على طريقة المنار ... فقال احد اعضاء الوفد وهو من أفاضل علمائهم الانقياء العصريين : انني كنت من أولئك الطلبة الذين كتبوا تلك العريضة للمدرسة وقد كان هذا الوفد كله من مؤيدي ابن سعود ومتعجبين من أهواء وفد الخلافة الهندي .

وقد كان وما زال طلاب العلم بمصر من هؤلاء التتار اذكى طلاب الاقطار ذهناً واشدهم نشاطاً واهداهم في الطلب سبيلاً وكان عندي في

ـ هناك من عبادة وخشوع وأدب وحسن سمت وزي وإتقان للقراءة حتى كان قراؤهم من أجود قراء العرب وكذلك أعجبت بنسق الخطبة . وفي كلا المسجدين على كبرهما رأيت الازدحام شديداً .

مدرسة الدعوة والارشاد أفراداً منهم — وكان بعضهم يتلقى عني بعض الدروس قبل إنشاء المدرسة في بيتي وفي مسجد قريب منه وأهم الكتب التي قرأتها لهم رسالة التوحيد لاستاذنا الامام رحمه الله تعالى . ولا يبعد أن يكون صاحباك في موسكو من المطلعين على المنار [١] فقد كان له قبل الحرب كثير من المشتركين وكانوا أحسن مشتركي الاقطار الاسلامية وفاء .

قد تم في الشهر الماضي طبع الجزء الاول من تفسير القرآن الحكيم الذي كنت طبعت تفسير الفاتحة منه منذ عشرين سنة أو أكثر وكاد يتم تفسير الجزء التاسع بعده قبل أن يتم هنا لولا ان منّ الله تعالى ببذل الهمة في الشهرين الماضيين بانجازه وأرسلت اليك في البريد الماضي نسخة منه ونسخة من كتاب الوحدة الاسلامية الذي طبع أخيراً وستجد في هذا الجزء من التفسير ما سمعت من صاحبك العالم الرومي [٢] في موسكو في تفسير (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً) وفي بحث إعجاز القرآن وقد سبق ذكر هذه المسائل في المنار من قبل . والسلام عليك وعلى نجلك الكريم . وعسى أن يحفظ خلاصة السيرة المحمدية — وعلى صديقنا العالم العامل فؤاد بك سليم وصديقنا الوطني السيامي رياض بك ولا زلتم سالمين لأخيكم المخلص ؟

محمد رشيد رضا

* * *

---

(١) نعم أتذكر ذلك .

(٢) الاستاذ عبد الودود احد الامامين .

وكتب إليّ في ٢ شعبان ١٣٤٦ و٢٦ يناير ١٩٢٨ :

سيدي الأخ الامير

تلقيت كتابيك الكافيين الشافيين اللذين هما في موضوع مسألتنا الوطنية خير وأوفى من كافية النحو وفي موضوع المسألة الاسلامية الافغانية أشفى من الشافية الصرفية ولا سيما إذا ضممنا الى المسألة الوطنية كتابيك الى الاخ شكري بك والوثيقة التي مع أحدهما وقد كان يجب ان تكتب تلك التفصيلات كلها أو أكثرها في مقالة تنشر في الصحف ولعل بعض الاخوان يفعل ذلك وقد قررنا أن نكتب الى اميركا والارجنتين بما عندنا من بيان ولعله يرسل غداً وقد ذكرت الاخوان في جلسة أول من أمس انني قلت لهم عقب موت نجيب بك : يجب أن يكتب خير الدين او شكري الى الامير شكيب بان يقترح على جمعية الارجنتين او على طعان بك بأن يعينوا واحداً منا مكان نجيب وأكدت عليهم ذلك عندما قويت بوادر الخصام بيننا وبين ... فاعترفوا بالتقصير والاهمال ولكن تنفيذ هذا الامر بعزل ... وتعيين آخر من الوطنيين الصادقين بدلاً منه له من الوقع والنصر المبين ما يجعل تأخره الى الآن خيراً من تقدمه في الزمان.

ويلي هذا تأييدنا من جماعات الطلبة في باريز وجنيف وبرلين ومتى ساعد الزمان على تأليف مؤتمر جديد يكون له القول الفصل في هذه المسألة ويرى اخواننا أنه يتعذر الآن وسنخبرك بكل عمل للجنة هنا ان شاء الله تعالى .

أما ما كنت كتبته في «الاخبار[1]» مما يتعلق بالمسائل الشرعية

(١) جريدة المرحوم أمين الرافعي الذي كان من أعز أصدقائي ومن خيرة رجالات الاسلام .

الاصولية كالمصالح المرسلة وغيرها فلم يكن كل تفصيل فيه صواباً كما ان الذين ردوا عليه حتى من العلماء لم يكن ردهم كله صواباً [1]
وكنت تمنيت لو أرسلت مثل هذا الموضوع إليّ لأنشره في المنار او في الاخبار أو فيهما وإذاً لجعلته بحيث يكون من يردّ عليه مستهدفاً للتجهيل على أن هؤلاء العلماء إذا علموا انه نشر في المنار لا يتجرؤون على الرد عليه حتى فيما يظهر لهم انه خطأ . وأتذكر انني كنت قصصت مقالتك من الجريدة ثم قصصت الرد عليها ولما لم أتمكن من ذلك في وقته صار عثوري على تلك القصاصات يتوقف على زمن أبحث عنها فيه وأنى لي بهذا الزمن ؟ فإذا كان المقال والرد عليه محفوظاً عندك وتيسر لك تلخيصها في سؤال تستفتي فيه المنار رجوت أن اكتب في الجواب ماهو مفيد وانشره في جريدة الاخبار .

أظن انك قلت فيه ان تحكيم المصلحة أو القول بالمصالح المرسلة مجمع عليه — والمعروف في كتب الاصول ان في مذهب مالك فيه خلاف وضعّف أدلته بعض الاصوليين . ومع هذا نجد بعضهم فسّر المصالح تفسيراً قال انه لا خلاف فيه ومتى رأيت الاصل يكون لي فيه ما انصرك فيه على كل حال وأعذرك إذا لم تكن عبارتك موافقة للاصطلاح الاصولي فيما انت فيه ، من مكان وزمان . واعمل لحسبك ان يكون غرضك صحيحاً شرعاً . . . والسلام ؟

رشيد

حاشية :

أسلم على ولدنا الأعز الامير غالب وأدعو له الله تعالى بأن يفوق

(١) كنت كتبت شيئاً معناه أن الشريعة عبادات ومعاملات فالعبادات

والده علماً وايماناً وحكمةً وأدباً وسياسةً وثروةً ووطنية وأدعو بهذا لاولادي ايضاً ٠

***

وكتب إليّ في ٧ شعبان ١٣٤٦ و٣١ يناير ١٩٢٨:

سيدي

انني حضرت بعد كتابة ما كتبت يوم الجمعة ٢ شعبان جلسة رأيت فيها كتاباً آخر منك للاخ شكري بك اقتضى أن نعقد لاجله جلسة اخرى فأخرت إرسال الكتاب لعلي احتاج الى زيادة عليه وبعد الجلسة الاخرى اي بعد انتهائها علمت من الاخ الحاج اديب ان البرقية التي كتبتها في تعزيتكم يوم نعي الينا الامير نسيب رحمه الله تعالى لم ترسل اليكم بل الى الامير امين فقط فساءني ذلك من الاخوان وقد كانوا مجتمعين عندي يومئذ وكلفتهم ترجمتها وإرسالها على الحساب لانهم اتفقوا على التوقيع عليها ٠ وقد كنت كتبت كتاباً في التعزية لينشر في المجلة وقد تأخر صدورها فرأيت إرسال صورته الى الشورى والاخبار وهذه صورة منه بيدك الآن[1].

كتبت إلى الملك كتاباً مشتركاً بيني وبين الاستاذ الشيخ كامل

ــ هي التي لا يجوز فيها الاجتهاد وأما المعاملات فيجوز فيها الاجتهاد اتباعاً للمصلحة ٠ فردّ عليّ أناس من الفقهاء لكن بحسن نية وطلبوا مني الايضاح فأجبت بما حضرني يومئذ والاستاذ يرى اني لا انا ولا الذين ناظروني كنا على صواب في كل شيء وهو أدرى ٠

(١) سبق ذكر تعزية السيد لي بفقد أخي نسيب وجوابي عنها ٠

وكتاباً آخر مني الى والده استنجده بعبارة مؤثرة ليأمر ولده بإغاثة ضيوفه[1] وهذا أهم ما رجوته به وقد كتب الاخوان إليك بما قررنا في مسألة مكتوباتك ؟

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ٨ رمضان ١٣٤٦ واول مارس ١٩٢٨ :

سيدي الأخ الامير

أحييك تحية مباركة طيبة واسأله تعالى ان يوفقنا واياك لما يرضيه في هذا الشهر من صيام نهاره وقيام ليله وتلاوة كتابه فيهما . وما خصّ الله تعالى بعض الاوقات بأنواع من العبادات مع استواء الازمنة في نفسها إلا لتنشيط عباده ورفع المشقة عنهم وكذلك الامكنة كالمساجد ومعاهد النسك : الحج والعمرة . وكان في نفسي ان أكتب اليك مهنئاً برمضان ومذكراً[2] بأفراده بشيء من العبادة فيه (ولا سيما تلاوة القرآن) قبيل دخول الشهر او في أوله وما أخرت لكثرة الشواغل بل لانني كنت منتظراً في كل يوم من هذه المدة من رمضان مرجوع كتابي الاخير إليك فأن فيه ما يقتضي الجواب منك ليكون كتابي هذا جواباً عنه ايضاً ولما ورد الرد على كتاب الرافعي مدير ادارتنا امس دون كتابي الذي اتذكر انه أرسل

---

(١) المجاهدين الذين لجأوا الى وادي السرحان من ارض ابن سعود .

(٢) كان رحمه الله يهتم بي دنيا واخرى ويعلم انني لا أقلد غيره من فقهاء العصر . وكتب في المنار عن اخيه هذا فيما أتذكر : انه لايلذ لهشيء مثل الصلاة بامامتنا . وهذا صحيح .

قبله بادرت بهذا الاحتمال ان يكون قد فقد من البريد او تأخر خطأً من التوزيع عندكم والذي يقتضي الجواب منك فيه هو سؤالي اياك عن المسائل الدينية والشرعية التي ضمنتها بعض مقالاتك التي نشرت في جريدة الاخبار وأنكرها بعض المشايخ هنا فقد ذكرت لك في الكتاب اني كنت قصصت الاصل والرد عند قراءتهما لاعود اليهما واكتب شيئاً في موضوعهما انصرك فيه لان كلامك في جملته والمراد منه صواب وانما يوجد بعض الخطأ في بعض العبارات الاصطلاحية كمسألة المصالح المشتركة — ولكن كثرة هذه القصاصات من الجرائد عندي وكثرة عملي لم يمكناني من البحث عن مقالتك والرد عليها ورغبت اليك ان تلخص لي ما قلت وزُدّ عليك به لاجيب عنه .

واقول الآن : لك ان تضع هذه المسألة بصيغة استفتاء منك او من سائل آخر معين او غير معين — ولك ان تعين لي الموضوع لاكتب فيه من تلقاء نفسي — وإذا رأيت ان الاسهل عليك والاولى ان تذكر لنا تاريخ العددين او الاعداد التي نشر فيها ما ذكر فافعل ونحن نراجعه في مجموعات الجريدة في المكتبة المصرية الكبرى (دار الكتب الرسمية) وانا كلفت الرافعي ان يرتب لي ما عندي من قصاصات الجرائد — كلفته ذلك من قبل دخول شهر رمضان علينا فوعد اخيرا بأن يبدأ بذلك في الاسبوع الآتي (بعد غد) اذ يكون انتهى الشغل الضروري الذي اعتذر به اولاً .

اعتذر عن إرسال كتاب التعزية اليك مطبوعاً ان كان وصل — بأنني كنت كتبت له مسودة على خلاف عادتي لانني عازم على نشره فلا بد ان ابقي صورته عندي للنشر فكتبت المسودة ولم يتيسر لي تبييضها عقب

كتابتها فأعطيتها للمطبعة وبقيت فيها أياماً ثم رموها بعد جمع حروفها للطبع وطبعوا عدة نسخ منها وكان قد تأخر الوقت المناسب للتعزية فعزمت على الاكتفاء بطبعها في المنار اولاً فلما تأخر ارسلتها لبعض الجرائد وكنت قد كتبت اليك الكتاب الاخير من عدة ايام ولما اردت إرساله وضعت فيه نسخة مطبوعة من التعزية حتى لا يتأخر لاجل تبييضها. ان كثرة شغلي وضيق اوقاتي عنها تقتضي اكثر من هذا التقصير: ان هيأة علمية من شيكاغو كتبت إليّ من العام الماضي اسئلة تتعلق بترجمتي وعملي في الاصلاح الاسلامي وأملي فيه ولما أجبها الى الآن فكتبت ثانية من عدة اشهر تلح في الطلب... عسى ان يكون الامير غالب مغبوطاً بصيام رمضان كاولادنا هنا وعسى ان يكون استاذه المصري يعلمه توحيد القرآن والسلام عليك وعليه ورحمة الله تعالى من أخيكم؟

رشيد

حاشية:

أحب ان تقرأ ما ينشر في المنار من التفسير ولا سيما تفسير سورة الانفصال الذي ينشر في هذا الشهر وان تقرأ الجزء الاول المشترك بيني وبين استاذنا المرحوم فقد تقضي الحال ان تكتب تقريظاً له مع تقاريظ أخرى في كتاب مستقل إن شاء الله.

***

وكتب إليّ في ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٤٧ و٦ سبتمبر:

سيدي الاخ الامير

منذ اول امس ألقي إليّ كتابك فسررت برؤيته وبضخامته فلما قرأته

امتعضت وساورني الغم لما ذكرت من نبأ صحتك ومضاعفة المرض القديم بآلام نزول الحصيات ولحاجتك الى الراحة سنة كاملة تحرم فيها الامة ثمرات علمك واختبارك التي هي أينع ثمار العقول الراجحة ولا سيما إذا تجلت في معارض بيانك وأساليب بلاغتك — ولاضطرارك الى الاستقالة من الوفد السوري اي لهدم بناء الوفد السوري ثم جعله عرضة لنزوان ادعياء الوطنية على منبره كما ورد في نزوان أغيلمة بني مروان على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولمَ لا تجعل هذه الاستقالة إجازة مرضية وتوكل بها عنك من ترضاه ممن بلم بتلك البلاد (سويسرة) من الوطنيين ليبقى الباب مقفلاً في وجوه تجار الوطنية وادعيائها.

وأما قولك عن الحالة الاجتماعية والاخلاقية سبب آخر للقنوط فهو حق إذا أردت به القنوط من مسلمي البلاد . وانا على هذا الرأي منذ خبرت البلاد سنة ١٩٢٠ التي عقدنا فيها المؤتمر السوري العام وأعلنا الاستقلال ولكن القنوط منهم لا يبيح القنوط من رحمة ربنا فيجب أن نثبت على جهادنا ولكن مع مراعاة صحتنا . وحالي فيها مثل حالك في الاحتياج الى الراحة. فأنا أكتب هذا مستلقياً على سريري وقد طالعت قبل كتابته بعض مافي الجرائد والمجلات التي وردت مع بريد الصباح فزادت حرارتي نصف درجة في ساعة واحدة وقد أجمع الاطباء الذين تواردوا عليّ في هذا المرض على توقف شفائه السريع على الراحة التامة بترك القراءة والكتابة والتفكير المحزن وقد اعتزلت دخول مكتبي لاجل طاعتهم من مدة خمسة اسابيع ولكنني لا استطيع أن لا أنظر في كل يوم ما يتجدد من الانباء الخاصة بشأن أمتنا العربية . وقد أرقت جل ليلة أمس تفكيراً في تحفظات

انكلترة في ميثاق إبطال الحرب ... ومعاهدة شرق الاردن التي تجعل قلب البلاد العربية مركزاً حربياً لهذه الدولة ... ومسألة العراق ونجد ..

ما كان أشد سروري بدعوتك السابقة لي الى تغيير الهواء لديكم في لوزان حيث أتمتع بالمحاورات والمسامرات معك ومع الصديق العالم العاقل فؤاد بك[1] وإنما كان سروراً بأمنية يتعذر عليّ تحقيقها لدوام الحمى عليّ ومرض شقيقتي بعد وفاة اختها ووصولها إلى حد اليأس — وهي لا تزال حلس الفراش وقد أرسلناها مع زوجها السيد عاصم إلى الاسكندرية — ولسبب ثالث وهو عسرة مالية عرضت لنا منذ عروض هذه المصائب. لهذا لم أقدر أن أكتب اليك شيئاً في الشكر على تلك الدعوة والتحدث معك بأمنيتها العذبة.

كانت العسرة المالية ونتائجها من أسباب طول هذه الحمى وقد زالت وكذلك كان مرض الشقيقة وقد حسن حالها وقد غيّر لي الدكتور النطامي المعالج لي الآن (وهو في الذروة من أطبائنا) العلاج ووسع لي شيئاً في غذاء الحمية وقدر للشفاء عشرة أيام وأنا أرجو أن تكون خمسة أيام فعسى الله أن يصرف عني فيها المكدرات وما علمت من مرضكم فوالله إن صحتكم لثمينة عندي كما تعلمون من حالكم معي فعسى أن تبشروني قريباً بما يسرني. وأوصيكم واياي بالراحة التامة عسى أن تعود الصحة التامة في مدة أقرب مما قدر الاطباء والواجب ترك الإفراط السابق في التعب على كل منا. وأحيي سعادة صديقنا النابغة فؤاد بك سليم وأود لو يتحف المنار بشيء من تحقيقات مباحثه. وأقبل نجلكم النجيب الامير

(١) الاخ فؤاد بك سليم الحجازي المصري سفير تركيا في سويسرة سابقاً.

غالب بالغيب وأسأله تعالى أن يجعله قرة عين لكم وللامة ويجعل أولادنا كذلك والسلام من أخيك؟

محمد رشيد رضا

***

وكتب إليّ في ١٨ رمضان ١٣٤٧ و٢٨ شباط ١٩٢٩ :

سيدي الأخ الامير أطال الله بقاءه وأنسأ في أجله

أحييك تحية مباركة طيبة وأهنئك بشهر الصيام المبارك وليلة قدره وعيد فطره واسأل الله تعالى ان يوفقنا وإياك لما يحب ويرضى من صيام وقيام وتلاوة مع القصد والاعتدال في الجهاد الديني والسياسي . ثم انني أكاشفك بما في نفسي من أسى وامتعاض من اخبار صحتك ومن كثرة تحدثك بتحديد عمرك واستقبالك لشيخوختك (١) وبما هو آلم من ذلك مما يشبه نعي نفسك واستغرب منك مع هذا إصرارك على ما تعودت من إسراف في القراءة والكتابة غير مشفق على عينيك من كلال ولا تعب ولا وجع ولا على صدرك من ضيق ولا شجى فارفق بنفسك فإن حقها عليك مقدم على جميع الحقوق ثم ان لبدنك عليك لحقاً وان لأهلك وولدك لحقاً وانك لن تستطيع أداء حقوق الملة والامة والوطن إذا انت فرطت في

---

(١) كان كرّم الله مثواه يضيق صدره ببعض ما يرد في نظمي ونثري مما يشبه ان يكون نعياً للنفس . وكان قد نبهني الى ذلك ولا سيما عندما قلت في رثائي للمرحوم الشيخ شاويش :

أتظن ان تمضي وابقى وافراً — هيهات قد صار البقاء قليلا

إني احن الى اجتماع الشمل في الـ — أخرى كأنا في الحياة الاولى

حقوق نفسك وبدنك فاتق الله تعالى وعليك بالرفق والاناة وخفف من
حزنك وهمك والتصدي لمقاومة كل خطب والرد على كل مخطئ وان كان
مثل ... وادخر علمك وخبرك ولسانك وقلمك للعظائم . واشهد بالله ان
من اعظمها مفسدة الكماليين وجنايتهم على الاسلام والمسلمين وسريان
عدواها الى شاهي الافغان وايران وملاحدة المتفرنجين في مصر والعراق
وسورية ولبنان وقد كنت وما زلت في جهادهم فارس الميدان وامير البيان
وحامل لواء البرهان . بيد اني أرى ان من الواجب عليك ان تجيب « ابن
المدينة » الى ما اقترحه عليك في هذا الاسبوع بمقال له في جريدة (العهد
الجديد) البيروتية من بيان القول الفصل في الخطة التي يجب على العرب
ترجيحها في سياستهم وتجديد حضارتهم وسيادتهم وقد ذكر خطتين عزا
احداهما الى الاستاذ الامام وذكر ان صاحب المنار يؤيدها ولما ذكر
الخطة المقابلة لها وهي التي يرجحها هو : قيدها بما يجعلها عين الاولى إن
لم يكن تحديداً فتقريباً إذ قيدها بالمحافظة على دين الاسلام ولكن ذكر
من أصولها حرية الدين والمعتقد والفكر والقول ... فتعارض كلامه
ويظهر مما فصله : التباين بين الخطتين ونحن قررنا بما نشرنا للاستاذ الامام
ولنا ان الاسلام هو الذي قرر حرية الدين والاعتقاد ومنع الاكراه على
الدين واضطهاد احد لعقيدته ولكنه لا يبيح لاهله الطعن فيه اي فيما
هو قطعي منه وإنما يعذر المخالف للنصوص متأولاً . واتمنى ان تتفضل عليَّ
بما تكتبه في هذه المسألة وتبيح لي حق إبداء الرأي لك فيما عسى ان
أجده محتاجاً الى زيادة او حذف او استدراك واعني إبداء الرأي لك قبل
النشر إن كان ما يكتب يحتاج الى ذلك لاننا مشتركون في هذه الخطة

وأنت الاجدر ببيان الخطة ببلاغتك ومعارفك ولكنك قد تحتاج الى شيء من معلومات أخيك الخاصة بنصوص الكتاب والسنة وأخيراً ننشر المقال في المنار وكوكب الشرق ونرسله أيضاً الى جريدة العهد الجديد وأظن ان الجرائد الاسلامية في الشرق والغرب تنشره أيضاً .

أسلم على نجلك النجيب واشتاق الى اخباره وأسلم على صديقنا العالم الكامل فؤاد بك سليم وعلى الصديقين الوطنيين إحسان بك ورياض بك وعسى ان يكون قد سلمكم جميعاً من أذى برد هذا الشتاء الشاذ والاخوان عاصم والرافعي يسلمان معي تسليماً ؟

اخوكم

رشيد

* * *

وكتب إليّ في غرة ذي القعدة ١٣٤٧ و١١ نيسان ١٩٢٩ :

الى أخي وولي الحميم أبي غالب آل أرسلان أنسأ الله تعالى في أجله للعرب والاسلام

ألقي إليّ كتابك الاخير أول من أمس ، فتلقيته كما يتلقى الثدي طفل بعيد عهد الرضاع ، كما قال في معشوقه الشاعر المصري « الشبراوي » ولو اتسع وقتي الآن لحولت هذا التشبيه إلى ما هو أعجب الى العشاق وأرضى لاديبنا المرحوم « الفارياق » فإنه شفى بعض ما في النفس من الالم الدخيل والامتعاض العميق اللذين يغوصان ويرسبان في أعماق قلبي من كثرة نعيك لنفسك وتكرار ذكر عمرك واستكثارك لسن الستين قبل إتمام عشرها . وهو العشر الاول من النصف الثاني للعمر الطبيعي الذي

يتجاوزه كثير من الناس [١]. وقد عرف في هذه الايام رجل أتمّ الخمسين بعد المائة ، واما الذين يبلغون العشر الاخير من المائة ويتمونه أو يتجاوزونه فكثيرون في بلادنا وغيرها ومنذ شهر مات ابو قاسم العرب في الشياح عن ٩٣ وكتب إليّ ابن اخيه نور العرب انه كان الى عهد قريب يعمل كل عمل كان يعمله في الشباب كركب الخيل الصعبة وكان ينزل الى بيروت لصلاة الجمعة ويعود ماشياً ويقرأ بدون نظارات وان كثيراً من نساء بيت العرب ورجالهم ادركوا هذا السن [٢] ويوجد عندنا في القلمون أدركوا أو تجاوزوا المئة من بيوت مختلفة . وأنا أسنّ منك يقيناً [٣]

---

(١) يريد أن يقول إن الستين هي العشر الاول من النصف الثاني من العمر الطبيعي للانسان فكأنما جعل العمر الطبيعي مائة سنة وهو منتهى التفاؤل .

(٢) الشيخ محمد العرب والد هذه العائلة ناهز المائة وكان من أقوى الرجال بنية وأصبرهم على العبادة والتهجد وكان صائماً الدهر مثلاً مضروباً في الاستقامة تجله جميع الطوائف وقد أدركته رحمة الله وأولاده ورثوا منه التقوى وطول العمر .

(٣) كان السيد أكبر مني بأربع سنوات حسبما لحظت من كلامه وما قرأت في التراجم التي له وعلى كل حال فسنّ السبعين التي توفي بها ليست بتلك الدرجة من العلو لا سيما بالقياس إلى أعمار العلماء والمؤلفين سواء في الشرق او الغرب . ولقد قرأت كتب التراجم عند العرب وتتبعت اسنان أصحاب الاقلام فوجدت الثلثين منهم يتجاوزون الثمانين . ومثل ذلك عند الافرنج . وقد ذكرت لبعض اصحابي أني إن اتسع معي الوقت أؤلف كتاباً أسميه « العقد الثمين فيمن من العلماء تجاوز عقد الثمانين » .

وأضعف بنية فيما أظن ويغلب على ظني أن أعيش طويلاً بفضل الله تعالى وليس للتشاؤم سلطان عليّ الا انني كنت في السنتين الماضيتين متثاقلاً وخائفاً على صحتي من عاقبة السمن في البطن فداواني ربي عز وجل بحمى معوّية أردمت[١] عليّ بضعة اشهر لم يكن لها علاج بالتجربة واتفاق الاطباء الاّ الحمية الطويلة بالتغذيـ بالسائلات غير الدسمة كماء الخضر والسُّلت[٢] والفول النابت بالنقع فكنا نغلي هذه الاشياء واتغذى بمائها عدة أشهر وقد أُذن لي بعضهم باللبن الحليب والرائب ثم نهاني عنه أحذقهم .. وبهذه الحمية نقص وزني ٢٠ كيلو وقد خرجت من فصل الشتاء الذي تركت الحمية قبله بأكثر من شهر ووزني ينقص عما كان قبل المرض ١٥ كيلو وكل ما يجب عليّ من العناية بصحتي من هذه الناحية ان ينقص عن هذا القدر في الصيف او ان لا يزيد والاول افضل .

استرحت لما كتبت إليّ في هذه المسألة ولكنني ازددت همّاً بما كتبت في شأن كثرة ما تكتب فيجب عليك الإقلال منه[٣] وعدم المبالاة بما يكلفك الثقلاء ومما يفيدك في هذه المسألة ترك ما تعودت من الإسهاب حتى في المراسلات الشخصية فعليك بالايجاز والاختصار ولو تكلفاً .

---

(١) أردمت الحمى دامت .

(٢) نوع من الشعير .

(٣) حالتي الراهنة الآن من جهة الكتابة هي اني اكتب في الحول ١٧٠٠ الى ١٨٠٠ مكتوب خصوصي ونحواً من ٢٥٠ مقالة في الصحف عدا التآليف المطبوعة التي تبلغ بالاقل الفين الى ٢٥٠٠ صفحة في السنة وهذا المبلغ هو اكثر مما كنت يوم كتب إليّ السيد رشيد ينهاني عن هذا الإسراف في الجهد .

واني لاستحسن نشر جل كتابك هذا في المنار ولا بد ان تنقله الشورى والجامعة العربية عنه مع تعليقي عليه بما معناه : ان الامير يرى ان المنار اولى من غيره بمقالاته ولا سيما الاسلامية واننا مع هذا لا نكلفه شيئاً مراعاة لصحته ·

مقالاتك في مسألة الحروف العربية حفظتها لأجل نشرها ونشرت مقالة رأيتها في « البيان » بغير عزو ولا امضاء اعتقدت انها منك وانك توخيت ان لا يعرف كاتبها وقد نشرت المقالة الاولى المترجمة وسننشر الثانية ولا نعدم من يترجم ثالثة أو اكثر · ارسل الكتاب وديوان المرحوم مع بيان ما تريد طبعه منه عدداً ووصفاً ·

ان من كتابك الاخير ما سرني ومنه ما ابكاني وأسر ما سرني الرجاء بأن يؤذن لك بالالمام بمصر في طريقك الى الحجاز ومكثك أياماً في دارك الجديدة مع أخيك بالروح والعقل والرأي فقد اشترينا ولله الحمد داراً صحية جميلة في شارع الانشاء تجاه وزارة المعارف فاسأل الله تعالى ان يحقق الرجاء فوالله إنها لامنية من أعذب اماني الحياة وكنت سمعت من الاخ رياض بك ما يضعف الامل بالاذن وعزمت على سؤالك ان تخبرني بوعد وصولك الى بور سعيد وباسم الباخرة التي تسافر فيها لاوافيك فيها وأعد هذا ضرورياً جداً ··· أقبل طرة الامير غالب وغرته وأحي بلسانك الفصيح الاصدقاء الاوفياء داود[1] واميل[2] وبيضا[3] بما بقيتي باغتباطي بودهم وحفظي لعهدهم والسلام ؟

محمد رشيد رضا

---

(١) الاديب الخطيب المفوه الاستاذ داود مجاعص ·

(٢) الكاتب البليغ والسياسي الشهير الاستاذ اميل الخوري ابو صعب ·

(٣) الاريحي الفاضل الدكتور ميشيل بيضا ·

وكتب اليّ في ٨ ذي القعدة ١٣٤٧ و١٨ ابريل ١٩٢٩ :

سيدي الأخ الامير أطال الله بقاءه وقرب لنا لقاءه

أرسلت اليك في البريد الماضي مرجوع كتابك المرسل من برلين وفاتني ان أقترح فيه عليك ان تتفضل عليّ بارسال برقية باسم الباخرة التي تسافر فيها من ميناء السفر او من البحر لاجل ان أقابلك بالاسكندرية اذا كان السفر اليها مباشرة كما ذكرت في كتابك . ولا ادري اكتبت ذلك عن اتفاق مع شركة من شركات البواخر ام عن رأي وتقدير ؟ وقد ذكرت ان موعد السفر بل الوصول الى الاسكندرية سيكون اول شهر مايو وهو يوافق ٢١ ذي القعدة فيمكنك ان تقيم في مصر عشرة ايام كاملة او اكثر فان بواخر البريد الخديوية تسافر من السويس الى جدة في اول كل شهر افرنجي وفي ١١ و ٢١ منه ويوجد بواخر طليانية تسافر في مواعيد أخرى فاذا رجحت السفر في الخديوية وكان وصولك الى الاسكندرية في اول مايو تكون مدة اقامتك في البلاد المصرية عشرة ايام وفي القاهرة نفسها تسعة ايام لانه يمكنك ان تسافر في اليوم العاشر الى السويس في قطار الساعة ٦ مساء وإذا رجحت السفر في احدى البواخر وهي أسرع فيمكنك ان تقيم في القاهرة اكثر من عشرة أيام في الغالب ولا ادري الآن مواعيد سفرها من السويس . واما المسافة من السويس الى جدة فهي اربعة ايام وربما تكون في الخديوية خمسة ايام لانها تمر بجميع الثغور الحجازية اذا لم تكن من بواخر الحجاج المتفقة مع الحكومة على نقلهم . وقد علمت ان آخر مواعيد هذه ٢٩ ابريل . ومن الضروري ان تكون بمكة قبل اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية

الذي يخرج فيه اكثر الحجاج منها الى عرفات فالسفر من السويس في ١١ مايو في الاولى بل لا ينبغي التأخير عنه إذ يجب ان تجتمع بجلالة الملك قبل الخروج الى عرفات وان تلقي غيره من آله ومن اصدقائك.

اقول هذا بناء على قوة الرجاء بالاذن لك بدخول القاهرة والمكث فيها والا فان تلاقينا في الاسكندرية يكون ضروزياً لا كمالياً من كماليات الحفاوة الواجبة لك فانني في هذه الحالة لا بد ان أسافر معك من الاسكندرية الى السويس سواء اكان السفر براً ام بحراً فيجب ان يكون في البرقية اشارة الى التفرقة بين الامرين فاذا كنت مأذوناً بالاقامة في القاهرة يمكنك ان تقول فيها : نصل الى القاهرة مساء اول مايو . والا قلت نصل الاسكندرية في اول مايو بباخرة كذا — هذا اذا لم تكن البرقية من الباخرة نفسها .

هذا وانني مرسل اليك نسخة من مناسك الحج لتطالعها في البحر ثم تسألني عند اللقاء عما ترى حاجة الى السؤال عنه والسلام عليك وعلى نجلك النجيب مني وممن هنا من الاهل والولد والصحب عامة والسيد عاصم والسيد جميل خاصة ودمت لاخيك ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في غرة ذي الحجة ١٣٤٧ :

سيدي الأخ الامير

ما حزنني اضاعة الفرص يوماً كما حزنني أمس اذ فوجئت بايجاب الحكومة المصرية لسفرك فيه فقد كنت مدخراً لآراء كثيرة اريد

البحث معك فيها ولم أجد لها في بور سعيد فرصة نخلص بها نجيا بعد أن فاتنا صبيحة امس فعسى أن يقدر الله لنا اجتماعاً قريباً في مصر او في فلسطين .

من تلك الآراء ما يتعلق بمسألة الدعوة إلى الاسلام التي كنت اسست لها جماعة ومدرسة خاصة وحدثت أو عرضت مناسبة للحديث فيها بتبرعك لها ... الى ان يقول : وكذلك جمعية الشبان المسلمين لما تصر أهلاً للاضطلاع بامثال هذه العظائم بل لا تزال قائمة بهمة عبد الحميد بك سعيد لا بقوة الاجتماع فيها . وإيضاح هذه المسألة بل هاتين المسألتين لا بد له من جلسة طويلة او جلسات وإنما ذكرتها على سبيل المثال ولأقول لك ان مسألة الدعاية لا تزال نصب عيني والشاغلة لقلبي وعقلي وموضوع حديثي هنا مع الرجال الذين يهتمون بها وطالما تحدثنا بإعادة (جماعة الدعوة والارشاد) أو إنشاء جمعية مثلها وإنني مرجئ هذا للاستقرار في الدار واختيار ناموس غيور قدير موظف وقد أشرت الى هذا الرجاء في بعض مكتوباتي لجلالة الامام [1] .

انني عدت من السويس اليوم وأكتب هذه الكلمات بعد العصر وقد قرب موعد فتح صندوق البريد الذي أريد وضعه فيه بجوارنا ولولا ذلك لاطلت فيه وسأكتب اليك بعد أداء الفريضة فإنك ستكون في أثناء أداء النسك في شغل شاغل أرجو أن لا ينسيك الدعاء لي ولولدي ولا سيما في مساء عرفة .

وأحيي الصديق البارع فؤاد بك حمزة وأهنئه بك ولو اتسع الوقت

---

(١) أي الامام ابن سعود .

لكتبت اليه وكنت شرعت في هذا الكتاب في القطار فإذا بالقلم الاميركاني قد جف حبره بعد كتابة أسطر قليلة . واسلم أيضاً على كل من يسألك عني من الاخوان والمحبين ولا سيما الاساتذة الشيخ بهجت البيطار واخوانه والدكاترة محمود حمدي بك واخوانه .

وأرجو أن تذكر جميل افندي الرافعي برقعة من رقاع الشكر التي ترسلها الى أصحاب البرقيات والمكتوبات في تحيتك عند وصول بور سعيد فقد كان كتب كتاباً وكنت أحمله مع كتاب سليم بك عز الدين ففقد مني .

واسأل الله تعالى أن يمدك بالصحة والعافية والتوفيق وإتمام المناسك على ما يحب ويرضى وانتظر البشارة منك بذلك ودمت لاخيك

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في ٢٢ ذي الحجة ١٣٤٧ و٣١ مايو :

إلى أخي في الله عز وجل امير البيان ومدره بني معد وعدنان وسائر بني قحطان الامير شكيب ارسلان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اما بعد فانني أهنئك بأداء فريضة الحج ثم بلقاء ملك العرب وإمام المسلمين ومناط رجاء الفريقين وقد هنأت جلالته بلقائك وانني انتظر كتاباً منك في أول بريد يأتي من الحجاز أقرأ فيه ما أستشرف له من أخبار سفرك ونسكك ولقائك للامام أيده الله تعالى بك وبسائر المؤمنين الصادقين كما أيد رسوله صلوات الله وسلامه عليه بالمهاجرين والانصار وأقترح عليك إنشاء مقال خاص في وصف رؤية

للشاعر وأداء المناسك في نفسك المؤمنة العلية لينشر في المنار فيكون مرغباً في أداء هذه الفريضة الروحية الاجتماعية وشد الرحال الى المسجدين من جميع الطبقات الاسلامية التي قصر بعضها فيها اقبح تقصير .

هذا وانه قد جرى حديث طويل بيني وبين صديقنا عبد الحميد بك سعيد في شأن منعكم من الالمام بمصر وكان قد جاء السويس للتمتع برؤيتكم وحديثكم وتأسف لالجائكم الى السفر وذكرنا انه يمكن السعي للاذن لكم بالاقامة في مصر فذكرت له الامنية التي طالما تمنيتها وهو وجود جريدة يومية هنا تناط بكم رئاسة تحريرها وقلت له يمكن أن نشترك نحن الثلاثة في اصدارها فسر بهذه الفكرة وقدرها حق قدرها وسأعود الى الكلام معه في مسألة السعي وأخبركم بما سيكون ان شاء الله تعالى .

بلغوا جلالة مولانا الامام سلامي ودعائي الخالص في الاسحار وفي كل وقت أدعو فيه لنفسي ووالديَّ وأولادي ثم سلموا على سائر الاخوان وفي مقدمتهم فؤاد بك والدكاترة ومن تلقون من المحبين ولا زلتم سالمين لاخيكم المخلص ؟

محمد رشيد رضا

***

وكتب إليَّ في ٣ المحرم ١٣٤٨ و١٠ حزيران :

صديقي وأخي أمير البيان حفظه الله تعالى

أحييك تحية مباركة طيبة وأهنئك بالعام الهجري الجديد داعياً لك ولولدك بما ادعو به لنفسي وولدي ولامامنا أعزه الله تعالى ثم أشكو من طول الانتظار لرجوع ما كتبت اليك ، والظاهر ان الذنب على البريد ليس

عليك قد بلغني ان قدمت ضابطنا [1] الباسل الذكي فعرّفت الامام بزيته فجعله من رجال حاشيته فسررت بذلك فهو ممن يرجى الانتفاع بخدمتهم عملاً ورأياً ٠

واما حالنا نحن فحسنة ولله الحمد وقد أصابتني سخونة قليلة بعد فراقك ليلة مبيتي بالسويس فعالجتها بالحمية ثلاثة أيام فزالت وقد زادت نفقات العمارة والاصلاح في الدار فاقترضت من البنك مائتي جنيه أخرى بعد الثلاثمائة التي علمت وكلها الى مدة سنة بغير ربح ولكن يحسب لها ربح بعد انتهاء السنة إذا عجزنا عن الوفاء والرجاء بفضل الله ان يقدرنا على وفائها ووفاء قسط الدار للبنك الآخر واما نفقة العمارة فعرضت على المقاول أن نجملها له اقساطاً ولا مندوحة له عن القبول ٠

وجملة القول ان الدين الواجب عليّ أداؤه في هذا العام لبنك مصر والبنك المرهونة له الدار تسعماية جنيه مصري والايراد الرسمي الثابت المعد لذلك هو مطبوعات جلالة الملك وفي الحقيقة انه يجب علينا السعي لغيرها أيضاً ٠ وقد تذكرت بهذه المناسبة ديوان المرحوم شقيقكم فهل حملتموه معكم ام في الدار بسويسرة ؟

أسلم على جميع من لديكم من اخواننا وفي مقدمتهم فؤاد بك وسأرسل اليه بقية اجزاء تفسير ابن كثير من طريق الوكالة هنا وأحب ان تسألوا عن صديقنا الشيخ يوسف ياسين الذي كان في بطانة جلالة الملك بنجد فقد مرت عدة اشهر لم يأتني منه شيء ولا سمعت عنه خبراً حتى قلقت

(١) فوزي بك القاوقجي ٠

من ذلك ولا تنسَ فوزي بك والشيخ بهجة البيطار والسيد عاصم يسلم عليك تسليماً؟
اخوك

رشيد

* * *

وكتب في ٢٣ المحرم ١٣٤٨ وحزيران ١٩٢٩ :

سيدي الأخ الامير

احمد الله تعالى ان أنعم عليك بالشفاء العاجل من وعكتك الحجازية المكفِّرة المكملة لمثوبة النسك ثم احمده اننا لم نعلم بها إلا مع العلم بزوالها [1] وعسى ان تكون صحتك الغالية قد عادت كما كانت ونسأله تعالى ان تكون خيراً مما كانت وان يديم نعمتها عليك وعلينا . وقد وصل منك كتاب بعد كتاب وعجبت مما نقلت إليَّ من كلمة مولانا الامام اعزه الله تعالى وايده في اخيك : « انه لا يموت وفينا احد حي » لولا انها كلمة بمعنى الفداء بالنفس والعشيرة مناسبة لطباع بلادهم في النجدة والحماية . وإلاَّ فلست مهدداً باعتداء احد على نفسي ولا على مالي .

هذا وانني قد ألمت من كلمتك في الكراهة للاقامة في مصر وكنت فتحت حديثاً مع شيخ الازهر في سعيه لاسترضاء جلالة ملك مصر عنك لتكون مساعداً على الاصلاح في الازهر في تحرير قسم من مجلته كالقسم التاريخي وفي قراءة التاريخ في بعض كليات الازهر الجديدة وأجلنا

(١) حصلت لي وعكة شديدة في مكة من شدة الحر اشرفت بي على الخطر فأصعدوني الى الطائف وما مضى اسبوعان حتى زال كل أثر للعلة .

الحديث التفصيلي في ذلك الى هذا الاسبوع وانني في انتظار أخبارك وما استقر عليه رأيك في السفر والسلام عليك وعلى الاخ فوزي بك واسلم لاخيك ؟

رشيد

* * *

وكتب في ١٣ صفر ١٣٤٨ و٢٠ تموز ١٩٢٩ :

سيدي الاخ الامير

وصل كتابك رقم ٢٧ المحرم وهو الثالث من مكتوباتك لا الرابع كما ذكرت في آخره والاول كان بخط الاخ فوزي في ٣ المحرم والثاني لا أذكر تاريخه الآن ولا هو بين يدي والوقت يضيق عن المراجعة .

سررت وانشرح صدري لعودة الصحة اليكم وأسأله تعالى كمالها ودوامها لنا ولكم — وخبر تشرفكم بدخول بيت الله الحرام والدعاء لنا فيه ويعلم الله اننا نذكركم دائماً في أدعيتنا بالاسحار — كما سررت بأخباركم عن الهمام[1] . وقد جاءني كتاب من جلالته ذكر فيه سروره واغتباطه بلقائكم مع وصفكم بقوله « صديقكم وصديقنا » وذكر انه وجدكم كما كتبت اليه علماً وغيرةً وإخلاصاً الخ .

وكتب ايضاً انه امر القصيبي بأن ينظر حساب مطبوعاته عند خادمه وكيل المالية ويأخذ لي منه الباقي لي منه أي من الحساب وانه أعطاه أيضاً كتاب الادب لابن مفلح ومجموعة رسائل نجدية لاجل طبعها —

(١) إشارة الى الملك لانه من جملة معاني « الهمام » الملك العظيم الهمة .

فهذه القرينة فسرت كلمتكم عن فؤاد بك حمزه بان القصيبي « ميجري الحساب مع الاستاذ ويدفع له دفعة مهمة » انه يحمل إليّ جميع المتأخر او المستحق لي من الحساب مع دفعة او قسط على حساب الكتابين الجديدين حسب العادة في جميع المطابع فيكون الجميع دفعة يصح أن توصف بالمهمة ..

وارجو ان يصل إليّ في اول بريد كتاب منكم بخبر سفركم والسلام ؟

اخوك

رشيد

* * *

وكتب في ٢٦ ربيع الاول ١٣٤٨ و٣١ اغسطس ١٩٢٩ :

سيدي الأخ الامير

ارسلت اليك في البريد الماضي مرجوع كتابك الاخير الى الطائف مسجلاً لان فيه كتاباً لي من الاخ الامير عادل احببت ان اطمئن بوصوله اليك وكنت انتظر وصول برقية منكم امس بسفركم من جدة لولا انني رأيت في جريدة الشورى برقية منكم بإرجاء السفر عشرة ايام أخرى فعلمت انه يصل اليكم ما أكتبه اليوم وعسى ان تكونوا في صحة وعافية.

(الى ان يقول) :

وقد تم طبع الجزء الثامن من المغني مع الشرح الكبير ونرسل في بريد اليوم نسختين مجلدتين منه الى سمو الامير فيصل مع كتاب عتاب اعلمته فيه بأن المستحق للمطبعة بلغ بهذا الجزء ٧٩٤ جنيهاً مصرياً وكسوراً وان لنا ان نطلب فوقها ٢٠٠ جنيه للاستعانة بها على طبع الجزء التاسع حسب الاتفاق بيننا . وقد اشترينا بعض ورق هذا الجزء بالدين

ورجوته حل المشكلة بما يراه ولو بإرسال حوالة ببعض المبلغ الى ان يأتي امر جلالة الملك فقد كتبت اليه ولا بد ان يكونوا هم قد كتبوا اليه ان كان عندهم عمل معقول . وقد كنت كتبت الى جلالته بأن الرجل الوحيد الذي يقدر الامور قدرها في حكومته هو فؤاد بك حمزه ولكن خاب أملي فيه في الامر الوحيد الذي رجوته فيه فهو مثلهم لم يجبني بشيء .

الامر الأهم الاعظم في مسألتنا العربية وكذا الاسلامية هو مسألة الثورة في فلسطين وستجدون من اخبارها في الجرائد العربية التي تصل مع هذا الكتاب الى الامير والى جريدة أم القرى ما هو دون الواقع ومما يسر ان بلاد سورية قامت بالواجب من إظهار السخط والاحتجاج واشترك النصارى مع المسلمين في المواكب ببيروت والشام ... والواجب الأهم الانفع ان يسمع صوت الحجاز في ذلك من جانب الشعب ومن جريدة أم القرى وأخشى ان تجبن هذه الجريدة او تمنعها الحكومة عن رفع صوتها بالاستنكار والاحتجاج والوعيد لليهود مراعاة للدولة الانكليزية فإن لم تفز باقناع من تخشى منهم هذا بأنه خطأ وضعف وان هذه خير فرصة لاظهار قيمة الحجاز ومكانته في هذا العصر لكل من الانكليز والعرب والمسلمين وانها تقوية مركز حكومته وملكه اعظم تقوية ولا تخشى من ورائها اقل تبعة — إن لم يمكن هذا وهو ما يحزننا فأقل الواجب ان تنشر الجريدة (ام القرى) عدة مقالات شديدة اللهجة بأسماء بعض الكتّاب يظهرون فيها استياء الشعب العربي كله وعدم إمكان وقوفه موقف المتفرج اذا امتدت الفتنة وكان المراد منها استيلاء اليهود على عرب فلسطين وعلى المسجد الاقصى ... انت انت ايها الامير الذي لا احتاج الى اطالة

القول معه فيما يجب ولا سيما اذا رأيت في البرقيات العامة ان الانكليز لا يمكنهم الاخذ بالحزم المطلوب في المسألة إلا بعد العلم بموقف ابن السعود ودرجة ولائه لهم ٠٠وانت الذي يمكنك ان تفعل في هذه المسألة ما لا يمكن غيرك والسلام؟

اخوك

رشيد

* * *

وكتب في ١٤ جمادى الاولى ١٣٤٨ و١٧ اكتوبر ١٩٢٩ :

سيدي الاخ الامير

منذ ثلاث اطلّ عليّ كتابك المنتظر كما يطل البدر في ليالي هذه الايام فسررت بوصولك الى دارك ولقاء أهلك وولدك وقرت أعينكم جميعاً بهذا اللقاء الميمون بعد السفر الطويل الشريف ولكن كان السرور مشوباً بالتألم لالمك من علة الرمل القديمة وعسى ان لا تنسى شعر الذرة الصفراء يغلى ويحلى ويشرب والسيد عاصم مواظب عليه بعد ان جربه وجرّب غيره للمغص الكلوي من الرمل وهذه أيامه فيحسن ان تدخر منه طائفة تجففها وتحفظها فهو مفيد للوقاية من عودة المغص بعد ذهابه ولا تسل عن سروري بالقطعة التي أرسلتها للنشر في المنار للمستشرق السويسري !!

وصفت ببلاغتك أيام تلاقينا ولياليها ما بين البحرين في غدوك للنسك ورواحك فكأنك نطقت بلساني و كتبت بقلمي ما أعجز عن كتابة مثله في بلاغته على ايجازه في مقام يحتمل التطويل إلا قولك ان ملازمتي لك كانت لطفاً مني وعطفاً فصوابه انها كانت حقاً واجباً لك وحظي فيها من الانس والغبطة والفائدة لم يكن دون حظك إلا ما أشرت اليه من

تحرير بعض المسائل الشرعية الاجتماعية على أن حظنا من بيانها واستبانتها واحد وهو خدمة الاسلام بها ولقد كان من استيلاء تلك الغبطة علي واحاطتها بجميع جوانب شعوري اني لم أستطع معها قراءة ولا كتابة إلا ما كتبناه معاً الى مكة فنسأله تعالى أن يمن علينا بالتلاقي الدائم في بلد واحد نتعاون فيه على خدمة الملة والامة .

هذا وإن وكيل مالية الحجاز قد أرسل الينا في أول اكتوبر حوالة برقية بمبلغ ٧١٦ وهو المستحق الذي كان مستحقاً لنا عنده الى نهاية طبع الجزء السابع من المغني لان الثامن لم يكن أرسل الى مكة لقلة الدراهم وقد أرسل بعد مجيئها والباقي لنا الى نهاية طبع الجزء التاسع زهاء ٤٠٠ بيناها له في كتاب خاص . وجاءنا في البريد الاخير كتابان من الملك ومن نائبه ونجله وفي كل منهما انهما استاءا من تأخيره الدراهم وأكدا له الامر بإرسال جميع المستحق والسير على النظام السابق في الباقي . وامر الملك بطبع ٢٠٠٠ نسخة من كتابي الادب ومجموعة الرسائل المرسلين او اللذين أرسلها قبل سفره الى نجد مع القصيبي وذكر انه أمر وكيل المالية بإرسال مبلغ مناسب للاستعانة به على طبعها وسأكتب الى الوكيل بذلك .

هذا وانني في شوق لرؤية صديقنا فؤاد بك سليم ولا يزال في الاسكندرية على ما أعلم وقد عاد الى مصر صديقه طلعت بك حرب وذهبت أمس للسلام عليه وسؤاله عنه في البنك فعلمت انه كان في لجنة معقودة للمذاكرة في شؤون البنك فأرجأت مقابلته . قبل عني طرة النجل النجيب والسلام عليك وأسأله تعالى كمال الشفاء لك ولاخيك ؟

محمد رشيد رضا

وكتب في ١٥ جمادي الآخرة ١٣٤٨ و١٦ نوفمبر ١٩٢٩:

سيدي الاخ الامير

اني ألقي إليّ كتابك (رقم ٥ نوفمبر) فاستنبطت من عدم ذكر صحتك فيه أنك عوفيت إن شاء الله تعالى من المغص الكلوي وأما مطلوب المطبعة من وكيل المالية فقد عاد هو الى مكاتبتنا فيه بعد ان ورد أمر الملك له بذلك وارسل صورة مفصلة للحساب فيها شيء من الاختلاف الذي أرسلته اليه الادارة واتفقنا نهائياً على بقية مطلوبنا منه عن الماضي والمستقبل اي ما شرعنا فيه من بقية المغني وما سنشرع فيه بعد وصول المطلوب للاستعانة به على طبعه وهو كتاب الادب لابن مفلح فقد كتب الينا يسألنا عن نفقته وما نطلب منها سلفاً كما أمره جلالة الملك في كتاب خاص وكتب الينا بذلك. والمأمول أن يرسل المطلوب الاخير كله او جله. ولكن أفكارنا مشغولة بما تنشره الجرائد من اخبار وتفاقم خطب فيصل الدويش وننتظر أخباراً قطعية من نجد نفسها تنقضها وتبشر بانتهاء الفتنة او قرب انتهائها.

وأما الاسئلة فقد رأيت الواجب أن أثبت جوابها هنا:

(١) الجمع بين حرفي عطف ممنوع عقلاً — لا بل نقلاً وعقلاً — ولكن ورد في كلام العرب وكلام كبار علماء العربية الجمع بين لا وبل ولم يعدوه من الشواذ ولا من المقصور على السماع بل قالوا ان العطف فيه ببل و «لا» لرد ما قبله ونفيه[1]. ولك ان تقول ان النفي لما قبله

(١) ورد الاضراب «بلا بل» في كتاب سيبويه ومفصل الزمخشري وغيرهما فالسيد رشيد على بينة مما يقول.

قد يكون لابطاله كقولهم: جاء زيد لا بل عمرو . وقد يكون لرد الاقتصار عليه وحده كما يوهمه الكلام السابق كعبارتك .

(٢) قولك : « فهنا عاطى وناول مصرح بكل منهما » جائز وهو الاصل في التعبير في مثل هذه الجملة وقوله يجب أن يقال « مصرحاً بكل منهما مثل (وهذا بعلي شيخاً) خطأ . فانه جائز غير واجب . وهو خلاف الاصل في قواعد الاعراب لان الحال لا تجيء في الاصل من المبتدأ الجامد الا اذا أول بمشتق . والبصريون يقولون : ان العامل فيها هنا ما في هذا من معنى الاشارة أو التنبيه كأنها تقول اشير اليه حال كونه شيخاً . والكوفيون يقولون ان « هذا » تعمل هنا عمل كان و « شيخاً » خبرها . وقد قرأ ابن مسعود والاعمش (وهذا بعلي شيخ) بالرفع وأعربوه بأنه خبر لمبتدا محذوف تقديره هو شيخ — او خبر بعد خبر . ومنهم من قال هو خبر المبتدا اي هو «هذا» و « بعلي » بدل من اسم الاشارة او بيان له .

(٣) إضافة الشيء الى نفسه — او الى ما اتحد به في المعنى وهو اعم — معروف في كلام العرب كما قلت لا يستطيع احد ان ينكره ولكن جمهور البصريين او مذهبهم انه سماعي يجب تأويله ولا يقاس عليه وإجازة الكوفيين بلا تأويل بشرط اختلاف اللفظين كقولهم : برقمح وحبة الحمقاء . وقال ابن مالك في الجمع بين الاسم واللقب :

وان يكونا مفردين فأضف   حتماً والا اتبع الذي ردف

وظاهره انه قياسي . ثم قال في باب الاضافة :

ولا يضاف اسم لما به اتحد   معنى واوّل موهما اذا ورد

وهو يحتمل الوجهين ولكنه أقرب الى قول البصريين انه سماعي

يجب تأويل ما ورد منه عن العرب ولا يقاس عليه .

(٤) ما الشرطية قد تكون ظرفية زمانية قال في المغني عند ذكرها: أثبت ذلك (ابو علي) الفارسي وابو البقاء وابو شامة وابن بري وابن مالك وهو ظاهر في قوله تعالى (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) اي مدة استقامتهم لكم اه. وذكر أمثلة أخرى محتملة لغير الظرفية . ولكنهم قالوا في (وما دام) من الافعال الناقصة ان « ما » فيها مصدرية ظرفية فقط ويعنون أنها مع صلتها تتأول بالزمان مع المصدر لا أنها هي ظرف زمان بنفسها بل هي حرف مصدري فقوله تعالى (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) معناه مدة دوامي حياً . فحذف الظرف وخلفته ما وصلتها .

وعبارة المنتقد التي ذكرتها ليست واضحة في انكار استعمالها للشرط وإنما يفهم من الجملة التي زعم انها الصواب بأن عبارته تدل على الحصر بتعريف جزئيها المسند والمسند اليه . ولا أدري لماذا ترك فيها قولك « فلماذا لا يقولون » واستبدل به قوله « يقولون كذا » ولو ذكر عبارتك لكان له وجه لأن الاستفهام له صدر الكلام فيصح ان يقال : فلماذا لا يقولون كذا . ما داموا يقولون كذا ويصح في حال ترك الاستفهام : فليقولوا كذا ما داموا يقولون كذا . ويظهر ان الاستفهام في أصل كلامك مقصود بالذات . ولك ان تقول فيه مع عدم استعمال ما للشرط وعدم الاستفهام أقوالاً أخرى .

وان لي في جملتك انتقاداً آخر وهو جعل « دارك » الخطر أو الخطأ بمعنى تداركه وهذا ما لا أعلم فيه نصاً في كتب اللغة ولا استعمالاً لمن يحتج بعربيته وإنما يقوله بعض المتأخرين والمعروف في اللغة : دارك الطعن اي تابعه وطعن دراك : متتابع كما في الاساس . وقالوا أن تدارك الخطأ

ونحوه استدركه . فاذا لم يكن عندك نص في ورود دارك بمعنى تدارك واستدرك فيحسن ان نذكر في ردك على المنتقد هذا مما قصر فيه فالاعتراف من العلماء بما يظهر لهم من الخطأ يزيد مقامهم في العلم علواً وارتفاعاً وناهيك به في مقام تخطئة المنتقد بأكثر مما انتقده .

هذا ما ظهر بادر الرأي في المسائل الاربع وانني لبعد العهد بالنحو وأحكامه الا ما يعرض لي احياناً في التفكير (1) .

في ١٦ ج٢ و١٧ نوفمبر :

تأخرت في ختم هذا الكتاب وأرساله الى هذا اليوم وقد جاءني فيه كتاب من جلالة الامام الملك عبد العزيز من نجد كتب في ٣ جمادى الآخرة وأرسل الى وكيل المالية في الحجاز اي من طريقه وفيه دليل على اتصال البريد بين مكة ونجد فانه وصل الى مكة في اسبوع واحد وقد بشرني فيه بما نصه : « وبعد فاننا لله الحمد والمنة بنعمة منه وفضل وقد أتم الله نعمته بهدوء الاحوال في داخلية نجد إذ صارت خيراً مما كانت عليه اضعافاً مضاعفة وقد أبطل الله كيد جميع الكائدين . ولم يبق الا فلول للاشرار في اطراف الحدود يحتاجون للنظر في أمرهم ومجازاة المجرم منهم وقد عزمنا على المسير وقريباً تصلكم الاخبار السارة إن شاء الله تعالى .

---

(1) هذا كان من السيد جواباً على أسئلة اخذت فيها رأيه على اثر انتقاد أورده احد المدققين على بعض العبارات الواردة في كلامنا . وأما « دارك الخطر » فلا جدال في انه خطأ صدر عن سهو منا ولسنا ممن يكابر في خطأ واما سائر الاعتراضات التي اوردها الصديق المدقق فلا نظنه أصاب فيها .

هذا وأن صديقنا فؤاد بك سليم جاء القاهرة من زهاء اسبوعين وقد كنت أسأل عنه كل يوم في الدار التي نزل فيها بالتلفون ولم اتمكن من الكلام معه ولكنه زارني يوم عودته الى الاسكندرية وكنت عازماً منذ قدم على دعوته الى الطعام فلما أخبرني بعزمه على السفر وعلى العودة بعد اسبوع لم أذكر له ذلك . وقد مر الاسبوع ولم يعد . وهو مستاء من حال مصر وما فيها من قلة الدين وفساد الآداب وتهتك النساء . وقد تواعدنا على المذاكرة في الاصلاح في اللقاء الآتي ولعله يكون قريباً . أقبل طرة غالب وغرته وادعو الله ان يجعله قرة عين لك وللامة والسلام عليك وعليه من اخيكم المخلص؟

(كتب بغاية العجلة ولم أتمكن من قراءته)

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في ٢٣ شعبان ١٣٤٨ و٢٣ يناير ١٩٣٠ :

سيدي الاخ الامير

وصلت مكتوباتك النافعة متتابعة وما فيها من المقالات النافعة وكان من حق شكرها المبادرة الى كتابة مرجوع كل منها في وقته ولم تكن كثرة الاعمال وحدها وضيق زمني عن المهم منها هي التي قضت عليّ بالارجاء والتسويف كما يسوف العصاة بالتوبة من الذنوب . بل كان اول الاسباب لذلك ان اقوم بما كلفتني من مراجعة مجلتي العرفان والمجمع اللغوي ثم من الكلام مع ابي الحسن فيما هو خاص به ولم يتيسر لي الامر

الاول الى الآن لان أجزاء جميع المجلات أخذت من مكتبتي الى مكتبة المنار لاجل فرزها وإرسالها الى المجلد . وأما ابو الحسن فقد كلمته اولاً بالتلفون فأظهر قبول النصيحة بالجملة مع الوعد بزيارتي للكلام في المسألة قبل الجواب عن الكتاب ثم مررت عليه ودعوته الى الغداء مع الامير عادل عندنا مع إعلامه بأن احمد زكي باشا سيكون معنا فقبل واجماً ممتعضاً وعهدت اليه أن يبكر في المجيء لاجل الكلام في المسألة وإطلاعه على كتابك ولكنه لم يجيء قبل موعد الغداء ولا فيه ولا بعده[1].

وأما الجمل والكلمات التي سألت عنها فأقول بالاختصار ان جملة « ما داموا يقولون كذا » الخ يمكن ان يلتمس لها وجه من الاعراب وان جاءت على خلاف الاصل وهو ان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها — وهو ان يقال انهم يتوسعون في الظروف ما لا يتوسعون في غيرها وما كان وقوفي في هذه الجملة الآن من هذا الباب كما جرى بيننا في بور سعيد وإنما ذكرت مسألة الاستفهام وما له من صدر الكلام في اعتراض المعترض عليك ووقوعه جواباً للشرط لا يعارض القاعدة فيه فإن موضع جواب الشرط ان يكون فعل الشرط وان كان استفهاماً . وأما « لو » فالاصل فيها الشرط وهي بمعنى « ان » — ولم تذكر لي على أي شيء بنى المعترض اعتراضه فيها .

وأما جمع مكتوب على مكاتيب[1] فلا يثبت إلا بالسماع ولا اعرف

(١) كانت وقعت وحشة بين الاخ المرحوم أحمد زكي باشا والاخ السيد محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى واشتد الجفاء بينهما فكتبنا كثيراً إليهما في امر التصافي ورجونا السيد الفقيد ايضاً أن يدخل في الوساطة .

(٢) تقدم لنا هذا البحث واختلاف الناس فيه والذي يظهر لي أن أكبر —

فيه سماعاً فأجمعه على مكتوبات لانه قياسي و كان الشنقيطي الكبير انتقد على رفيق بك العظم تسمية تاريخه أشهر مشاهير الاسلام بهذه العلة وهي ان مفعولاً لا يجمع على مفاعيل قياساً . ولكن لفظ مشاهير استعمله المتقدمون ومنهم صاحب القاموس في غير مادته ... بدأت بهذا الكتاب في مساء أمس (الخميس) فجاءني من شغلني عن إتمامه فأتممته وقت الغروب من يوم الجمعة بالعجل لانني سأصلي المغرب وأذهب الى دار صديقنا نسيم صيبعة لشرب الشاي مع الاخ الامير عادل فالسلام عليك وعلى نجلك النجيب الحبيب من أخيك ؟

محمد رشيد رضا

* * *

و كتب إليَّ في ٢٧ رمضان ليلاً سنة ١٣٤٨ و٦ فبراير ١٩٣٠:

سيدي الاخ الامير

أهنئك بعيد الفطر وبالاستراحة من ألم الحصيات وأسأل الله تعالى لي

ـ علماء اللغة أجازوه فالشنقيطي الكبير كان يخطئ جمع « مشهور » على « مشاهير » ولكن ابن سيده الاندلسي المرسي صاحب « المخصص » أعظم كتاب في اللغة جمع مشهوراً على مشاهير مراراً ففي الجزء السادس الصفحة ١٩٣ من المخصص طبعة بولاق الامير بعنوان فصل هو هذا « مشاهير فحول الخيل في الجاهلية والاسلام » وفي الصفحة ٢٨ من الجزء نفسه « أسماء مشاهير سيوف العرب » وهلم جرا .

وقد روى السيد رشيد عن الفيروز ابادي صاحب القاموس انه جمع مشهوراً على مشاهير .

ولك أتم الشفاء وأكمل العافية وأدومها وأشكره تعالى على ذلك وعلى سائر نعمه الظاهرة والباطنة وقد تلقيت كتابك الاخير بالسرور وتهنئتك فيه بالقبول وما ذكرته فيه من علمك بأن المنتقد عليك هو مصطفى جواد [1] وقد رأيت انتقاده للجزء التاسع من تفسير المنار وكان سبب انتقاده ما فيه من المخالفة للشيعة حتى فيما ليس له به من علم ولا يبلغه ما أوتيه من فهم كمسائل العقائد وعلم الكلام وأشد ما آذاه منه إنكار المهدي المنتظر والجزم بأن أحاديثه كلها من وضع دعاة الشيعة . وإنما استنكر هذا واستكبره لذاته وذكر ما انكره من الكلم والتعبير فيه انتقاماً له وهو رأيه الذي يمارسه (الى ان قال) : ولا أذكر الآن مما أنكره وجزم بعدم جوازه من اللغة إلا تكرار الإضافة وهو متفق على جوازه خلافاً لما زعمه . وقد نص عليه في اشهر كتب البلاغة كمطول السعد ومختصره وفي القرآن شيء منه وربما أرجع الى انتقاده إذا وجدت فراغاً .

هذا وانني أجيب بالاختصار على ما سألتني عنه وانا اكتب هذا في غرفة النوم بالقرب من منتصف الليل وقد أردت أن أكتب في النهار على مكتبي فلم أجد دقيقة تزيد على النظر في الضروريات وقد رأيت منها في الصفحة الاخيرة من جزء المنار السابع بضعة أغلاط مطبعية إذ طبعت الملزمة قبل

---

(١) الشاب النابغة المحقق الاستاذ مصطفى جواد العراقي من سلاطين الاذكياء وأساطين اللغة في هذا العصر سبق له ان انتقدني وانتقد السيد رشيداً وخطأ كثيرين من الكتاب مما يدل على طول باع وحدة ذهن وقد كان في اعتراضاته هذه يخطئ كما كان يصيب . وما أحسن قول من قال :

ومن ظن ممن يلاقي الحرو ... ب ان لا يصاب فقد ظن عجزا

أن أراها وقال مصحح المطبعة انه لم يرها ايضاً فغضبت ووبخت وسيرسل اليك نسختان منه وفيه تعليق مهم على ما كتبت في مسألة الوحي . وهذا ما يمكنني ان اكتبه الآن في المسائل ما عدا « لو » الشرطية فقد تكلمت عليها في كتابي الذي قبل هذا وهي في المغني :

(١) قولهم « وعليه فيجب ان نقول او نعمل كذا » استعمال مولد ما اظن ان له أصلاً من كلام العرب والفاء فيه زائدة لا معنى لها إذ المتبادر ان يقال : وعليه يجب أو فعليه يجب الخ ومثله : وبالجملة فالواجب كذا . وما انفرد به قدماء المولدين من اساطين علماء اللغة وادبائها لا يحتج به اذا خالف القواعد القياسية فما القول في المتأخرين من أهل القرون الوسطى [1] الى

---

(١) تقدم لنا الكلام على هذه الفاء وورودها في مثل هذا الموقع مراراً في كلام سيبويه امام النحاة وحسبنا به شاهداً وقد ذكرنا عدة عبارات له من هذا النمط وعينّا الصفحات التي جاءت فيها وليس سيبويه بالذي لا يؤبه له بل القول ما قالت حذام . وكذلك ابن هشام صاحب « مغني اللبيب » ولو تأخر في الزمن كان من أئمة اللغة الذين يستشهد بآرائهم في النحو . ولقد استطلعت رأي الاستاذ تقي الدين الهلالي في قضية هذه الفاء في هذا الموضع وذكرت له الجمل التي جاءت فيه من كلام سيبويه فكتب إليّ ما يلي :

ما ذكرتم في مسألة عمل الفاء فيما قبلها ونقلتم فهو الصواب والعرب تتساهل وتتوسع في مثل هذه الفاء . وقد قال بعض النحاة بمثل قول السيد (أي السيد رشيد) وأما استشهادكم بقوله تعالى : (والذين كفروا فتعساً لهم) على أن ما بعد الفاء قد عمل فيما قبلها فلم يتبين لي لان المشهور أن المبتدأ مرفوع بالابتداء والخبر مرفوع بالمبتدا « فالذين » مبتدأ وما بعد الفاء خبر . نعم هناك قول بان —

اليوم وإني لأجد من الغلط في كلام الفخر الرازي (الذي ينصرف اليه لقب الامام إذا أطلق في كتب الكلام والاصول والفلسفة) ما أعجب من كثرته ولم أهتدِ الى سببه كما أعلم أن سبب أغلاط بعض المدققين وواسعي الإطلاع في العربية من أهل عصرنا هو كثرة قراءتهم للجرائد والكتب التي ألفها أو ترجمها الضعفاء في النحو والصرف ومتن اللغة وكذا علم المعاني والبيان .

(٢) إذا كان جمع مفعول على مفاعيل سماعياً لا قياسياً فسواء أقلّ المسموع منه أم كثر لا يستعمل منه إلاّ ما سمع ولم أرَ في كتب اللغة ولا في استعمال الفصحاء من المتقدمين استعمال كلمة مكاتيب جمعاً لمكتوب فلهذا أستعمل الجمعَ القياسي « مكتوبات » .

ـ المبتدا والخبر يترافعان أي كل منهما يرفع صاحبه وعلى هذا الوجه الدقيق يكون ما بعد الفاء قد عمل فيما قبلها . وأنا أظن أن الفاء هنا آتية في جواب الشرط المفهوم من « الذين » على حد قولهم « الذي يأتيني فله كذا وكذا درهماً » وهو صحيح واضح وقد بدا لي أن الفاء واقعة في جواب « أمّا » مقدرة اي « وأما الذين كفروا فتعساً لهم » لانه ذكر حال الذين آمنوا قبل ذلك . وهذا خطر لي الآن فقط ووجه دخول الفاء على خبر الذي هو ان « ما » تكون شرطية فتجب لها الفاء في جوابها وتكون موصولة فتأتي الفاء قبل خبرها أيضاً لما بقي فيها من رائحة الشرط ثم أدخلوا الفاء على خبر الذي لانه بمعنى « ما » الموصولة ولأن فيه عموماً أشبه الشرط اهـ .

أقول بعد رجع النظر أن الفاء في قوله تعالى(والذين كفروا فتعساً لهم)هي في جواب الذين فكما أن الفاء تأتي في جواب « ما » الموصولة فهي تأتي فيجواب الذي لان معناهما واحد .

(٣) لم يرد في مسألة الصلب حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم لا صحيح ولا غير صحيح فيما أعلم .

(٤) المفسرون المعروفون من الطبري — الى الآلوسي متفقون على ان المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل وإنما صلب رجل آخر ألقي شبهه عليه [1] فلا فائدة لك من نقل عباراتهم ولو كان لأحد منهم قول موافق للراي الذي تذكره لنقلته اليك بل لنقلته في تفسيري من قبل فإن كنت تريد بعض عباراتهم مطلقاً لتذكرها في بحثك فحسبك منها عبارات بعض المحققين في التعبير المختصر المفيد كالزمخشري والبيضاوي فننسخها لك إن شئت واختر منها كلها واجمع لكل ما يتعلق بالمسألة ما كتبته في تفسير المنار ومنه القول الذي تريد بسط القول فيه فقد ذكرته نقلا عن بعض كتبهم والظاهر انك لم تطلع عليه وهو قد طبع مستقلاً فأنا أرسل اليك الآن الرسالة التي طبع فيها ذلك وطبع معه بحث جليل في الموضوع للمرحوم محمد توفيق صدقي فيه نقول مهمة عن الكتب ودوائر المعارف الانكليزية العامة والخاصة بالكتب المقدسة فإن رأيت بعد مطالعتها حاجة الى نقل شيء من كتب التفسير المأثور كابن جرير والدر المنثور للسيوطي أو غيرهما كالكشاف والبيضاوي والرازي فاطلب ما شئت ينسخ ويرسل اليك إن شاء الله تعالى .

(٥) مسألة الربا ستجد رأينا فيها مجملاً في الجزء السابع الذي يرسل اليوم وترى فيه الوعد بالتفصيل فالأولى أن يؤخر بيان رأيك فيه الى أن تقرأه على ما كتبته يصح أن يكون تنويهاً بما في الجزء السابع قبل

(١) دخلنا في هذا البحث في حاضر العالم الاسلامي بمناسبة كلام (درمنغهيم) المؤلف الافرنسي الذي حاول التوفيق بين الاسلام والمسيحية .

أن تراه ولكنني أنتظر رأيك في نشره بعد الاطلاع على السابع.

هذا ما تيسر لي كتابته والسيد عاصم يسلم معي عليك وعلى نجلك النجيب تسليماً ؟

اخوك

محمد رشيد رضا

أرجو ان تبلغوا الصديق الجابري سلامي عند لقائه .

* * *

وكتب إليّ في ٢٦ شوال سنة ١٣٤٨ و٢٧ مارس ١٩٣٠ :

سيدي الأخ الامير النحرير

اني ألقي اليّ كتابك المحرر في ١٨ مارس وانا مدين لك بكتاب قبله ارجأت رجعه انتظاراً لفائدة أردت إن أودعها فيه فتأخرت أكثر مما كنت أظن وهي مسألة اخذ اذن من محمود مختار باشا بترجمة كتاب والده (سرائر القرآن) كما اقترحت . كنت رأيت الباشا مصادفة في رمضان قبل وصول كتابك إذ التقينا في محل عمر افندي التجاري المشهور فتبادلنا تحية للودة القديمة واعتذرت له عن اداء ما يجب عليّ من زيارته بالصيام وهو يقيم في ضاحية المرج التي في آخر خط المطربة الحديدي فقال تفضل على الافطار ... (والذهاب في المساء والرجوع في الليل أشق) . فزرته ثاني يوم عيد الفطر وتكلمنا كثيراً في امر الترك ومصطفى كمال ثم طلبت منه الاذن بترجمة كتاب والده فأجاب الى ذلك مرتاحاً وقال : اكتب عن لساني ما شئت وانا امضيه لك . ثم ذكر لي ما كان قاله لنا في مونيخ من انه انتقد على والده بعض المسائل الفلكية وزاد على ذلك ان انتقاده مكتوب عنده وانه يعطيني إياه اذا أحببت ان اضيفه الى الكتاب

فاستحسنت ذلك ووعد بالبحث في أوراقه عن ذلك النقد بعد أيام ورغب إليّ ان أعود اليه فأحببت ان أذهب انا والاخ الامير عادل وعرضت عليه ذلك فقبل ولم يتيسر لنا ذلك . وكنت مستعداً بل عازماً على الذهاب يوم الجمعة الماضي وموطناً نفسي على دعوته الى الغداء معي والذهاب بعد العصر واتفق أن دعانا الشيخ فوزان الى الغداء عنده فالتقينا في دار الوكالة وعرضت عليه الذهاب الى المرج فحال دون ذلك عزمه على الذهاب الى الاسكندرية لوداع وفد فلسطين وقد فعل . ثم عزمت على دعوته الى مثل ذلك غداً (الجمعة) فاتفق ان دعانا الشيخ علي ممرور الزنكلوني الى الغداء عنده فاذا وافقني فاننا نذهب الى المرج بعد الغداء ولكنني أرسل اليك هذه الليلة او صباح غد في البريد الجوي ان شاء الله تعالى واخبرك فى بريد آخر بما سيكون بيننا وبين الباشا إن لقيناه .

« كتابك الى داغر » اطلعني عليه ولا يزال عندي ولا أري حاجة الى التشاور في ذلك الموضوع لانه غير مرجوّ مطلقاً فيما ارى لان فرنسة لن ترضى به بحال من الاحوال الا حال الاكراه ان قدرنا عليه . واما صاحب الشورى فلم يطلعني على شيء منكم ولا اخبرني بشيء عنك او منك .

« فوزي » لم يعد الى هنا على ما اعلم ولو عاد لما خفي عليّ وسأسأل عنه هنا وهناك فيما سأكتب الى الحجاز بعد يومين ان شاء الله تعالى .

« عقيدة الصلب والفداء » يحسن ان يطبع منها ما شرحناه في الجزء التاسع من التفسير فى بشائر العهد القديم والعهد الجديد بالنبي « ص » وذلك في تفسير قوله تعالى « الذين يتبعون الرسول النبي الاميّ الذي يجدونه

مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) فراجعه إن كنت لم تقرأه وهو في (ص ٢٣٠ — الى ٣٠٠ ج ٩) ٠

ولي من التلاميذ في جاوه والهند من يحسن ترجمة البحثين ٠ أما في جاوه فالذي اقترح عليك الموضوع الذي وعدت باجابته اليه [1] وأما في الهند فالشاب الذي يراسل جريدتي المقطم والبلاغ وهو سياسي وطني إسلامي شديد التحمس وقد ترجم بعض رسائل ابن تيمية بالاوردو وترجم للعربية كتاب الصحة لغاندي الذي نشرناه في المنار وطبعناه على حدة ٠

(محاضرتي في موضوع التجدد والتجديد والمجددين) أظن انك تسر بها كاعجابك بموضوع المسألة النسائية وهي طويلة لم يتيسر لي القاؤها كلها في قاعة الجمعية الجغرافية بل لم يكن ذلك ممكناً ٠ وقد كان لها تأثير أقوى من تأثير المناظرة في المسألة النسائية ولا سيما في أنفس طلبة المدارس العليا وعقولهم واقترحوا عليّ نشرها في رسالة مستقلة وسأنشرها قبل ذلك في المنار إن شاء الله تعالى ٠

(الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام) تيسر لنا قبل رمضان ما لم يتيسر منذ سنين من فك إضبارات المطبوعات الزائدة والمجهولة المعبر عنها بالدشت (ولعل كلمة الامشاج تحل محل هذه الكلمة) لنعلم ما عسى أن يكون فيها مما طبعناه من هذا الجزء منذ أكثر من عشرين سنة لأجل ان نتمه و كنت

---

(١) هو الفاضل الشيخ بسيوني عمران الذي ألقى علينا أسئلة في موضوع تأخر المسلمين في الاعصر الاخيرة فأجبناه عنها برسالة « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » واشتهرت هذه الرسالة و ترجمت الى عدة لغات وطبعت اكثر من مرة ٠

أمرت بهذا منذ ثلاث سنين فلم يتيسر · وقد ظهر لنا أن اكثر ما طبعناه قد فقد وان الباقي قد تلف بعضه فأعدنا طبعه من أوله · وكان المطبوع منه قد انتهى بالملزمة ٢٩ وهي أواخر ما كتبناه في رأيه وقوله وكتابته في الثورة العرابية ونتم هذا البحث في الاسبوع الذي نستقبله بمذكرات له وجيزة في المسألة إن شاء الله وحينئذ أرسل اليك كل ما طبع · واخبرك الآن انني بعد المسألة العرابية سأكتب فصلاً في حاله رحمه الله في منفاه في بيروت ثم في غيرها وكنت كلفت أخانا المرحوم عبد الباسط فتح الله أن يكتب إليّ بما يعلمه من حاله في بيروت ففعل وسأبحث عما كتبه عند الوصول اليه بعد يومين أو ثلاثة · وأرجو أن تكتب إلي أنت بما تعلمه من ذلك ايضاً ثم تستنسخ لي ما عندك من مكتوباته التي يصح نشرها والاستنباط منها عند المناسبة لذلك[1] ·

(حالتنا الصحية) بشرتني في مكتوبك الاخير اجمل بشارة وقعت من نفسي كموقع الماء المثلوج من ذي الغلة الصادي في مكة المكرمة وهي أنك « رجعت شاباً » فالحمد لله ثم الحمد لله وعسى ان لا نقرأ ولا نسمع عنك ولا منك كلمة في كبر السن واستطالة العمر · · وجزاؤك على هذه البشارة إنما هو بشارة مثلها عن اخيك هذا وهو أنني اشعر باستكمال اركان الشباب الثلاثة فوق ما كنت اشعر من عشرين سنة واكثر الا ان لي اربعة أسنان صناعية وليست المسألة مسألة شعور فقط بل اختبر الدكتور نهاد بك رشاد دمي منذ اسبوعين فبشرني بأن مقاس الضغط ١٥ وانه

---

(١) قد أرسلت الى السيد بضعة عشر مكتوباً من كتب الاستاذ الامام إليّ وكلها بخطه وكان ينوي نشرها في الجزء الرابع من تاريخ الشيخ محمد عبده ·

كضغط دم شاب في سن الثلاثين وقد كان اشتد ضغط الدم عليّ في أواخر الصيف وأول الخريف الماضي فبلغ ١٨ وربما ١٩ ولاجله كنت محتمياً عندما التقينا في السويس وبور سعيد وإنما تساهلت في الحمية معك ثم عدت اليها ولست الآن محتمياً ولكنني معتدل في الطعام وغيره . وإنما حاسبني أخونا فؤاد بك على ما كنت حدثته به عن حميتي ثم عن تعديل اغذيتي كماً وكيفاً ومن الضروري ان يزيدا في الضيافات وذلك لا ينافي الاعتدال في عامة الاوقات والسلام عليك وعلى نجلك النجيب حفظه لك وحفظك له ولأخيك ؟

رشيد

* * *

وكتب في ٦ ذي الحجة الحرام ١٣٤٨ و ٥ مايو ١٩٣٠ :

سيدي الأخ الامير

أحييك تحية مباركة طيبة وأهنئك بعيد الاضحى السعيد أعاده الله تعالى عليك وعلى ولدك وآلك وعلينا ونحن قريرو العين بشرف ملتنا وتقدم أمتنا وسبقها في ميدان الاستقلال والعلوم والاعمال أو ميادينها الكثيرة وهي وراء غيرهم فيها .

ثم أشكو اليك من هذه الفترة الطويلة من مكتوباتك السارة المفيدة مع توفر الدواعي على الكتابة ومنها ما طلبته منك بشأن تاريخ استاذنا الامام من عمله في بيروت (او سورية) ومن مكتوباته لك ومن صورته الجميلة التي أعطاك صديق الجميع فؤاد بك سليم نسخاً منها — وآخر هذه الدواعي لقاؤك للشقيق الامير عادل . ومن الغريب انه هو لم يكتب إليّ شيئاً

ايضاً وكان وعدني بأن يكتب اليّ تقريراً طويلاً عن مجلسكم النجيب كما اقترحت عليه ولم أجد وسيلة اعرف بها شيئاً عن الامير عادل الا صاحب الشورى : سألته فأخبرني انه أقام عندك اسبوعاً واحداً ثم سافر الى الولايات المتحدة .

انا في هذه المدة اتوقع في كل يوم تلقي كتاب منك ولم يتجدد عندي شيء اكتبه اليك إلا أنني زرت محمود باشا مختار يوم الجمعة الماضي واخذت منه خطاً بالاذن لي بترجمة كتاب والده الغازي (اسرار القرآن) بالعربية وطبعه ونشره ولم يبق إلا العثور على من يحسن ترجمته . وقد سألت احمد شفيق باشا عن ذلك فذكر لي رجلين احدهما ارجي من الآخر وهو الذي كان يعلم بنات السلطان حسين كامل اللغة التركية ووعدني بالبحث عنه وسأسأل صديقنا فؤاد بك سليم أيضاً ولعله يجيء مصر في أيام العيد كما جاء في فرصة عيد الفطر وعسى ان تغنينا عن كل هؤلاء بنفسك او برأيك .

وقد خطر في بالي ايضاً ان اكتب الى صديقنا السيد محمد نصيف ان يسأل السيد عبد الغني سني عن ترجمته لهذا الكتاب من تلقاء نفسه وان يشتريها منه اذا اعترف بها ورضي بيعها بثمن معتدل لا يتجاوز عشرين جنيهاً وإنني أتذكر انني كنت عرضت عليه عندما كان هنا ثلاثين جنيهاً فلم يقبل لانه كان صاحب الحق في طبع الكتاب وهو الآن لا يتجرأ على طبعه باسمه كما قلتم[1] . ولو كان يتجرأ لأعلمناه بأن الإذن لنا به

---

(١) لان عبد الغني سني بك بعد ترجمة هذا الكتاب الذي فيه تأييد القرآن للنظريات الحديثة في امر تكوين الاكوان وتأييد النظريات الحديثة التي اجمع–

نسخ الإذن له . أقبل طرة الامير غالب وغرته بالغيب وأدعو لكم وله بما أدعو لنفسي ولولدي والسلام ؟

أخيكم

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ في غرة المحرم ١٣٤٩ و ٢٩ مايو ١٩٣٠ :

سيدي الأخ الامير

أهنئك بالعام الهجري الجديد وادعو الله تعالى أن يبقيك إلى امثاله عشرات كثيرة من الأعوام موفقاً لخدمة العرب والاسلام ويسرني أن تكون أول من أكتب له في هذا العام .

وافتني منذ ثلاث أو أربع رسالتك في شيخنا رحمه الله تعالى ووعدت بتالية لها فأشكر لك أولاً ما كتبت فأجدت وأحسنت وما كنت إلا مجيداً ومحسناً وأربيت من الفائدة على ما كتبه اخونا المرحوم السيد عبد الباسط رحمه الله تعالى . ثم أذكرك بأن لا تتكلف فيما تكتب في هذا الموضوع غير ما يتعلق بسيرة الامام في سورية فإن سائر شؤونه وآرائه مبسوطة في الكتاب (الجزء الاول من تاريخه) فإنني رأيتك في النبذة الاولى ذكرت رأيه في علماء الازهر والتعليم ولهذا موضع آخر من مقاصد الترجمة .

ـ عليها علماء الطبيعة لما جاء في القرآن قد استخدمته حكومة انقرة سفيراً لها في جدة فصار يتجنب نشر شيءٍ يغضب الحكومة التي هو مستخدم عندها والتي يهمها ان لا يكون القرآن مطابقاً للنظريات العلمية الحديثة .

وانني عجبت لما كتبت في ذيل الرسالة من قولك : وصل كتابك الاخير — فأي كتاب تعني ؟ الظاهر انك تعني الكتاب الذي اقترحت فيه عليك ما اقترحت وهو ليس بالاخير بل الاخير الذي قبل هذا الذي اكتبه الآن هو الذي كتبته في أوائل ذي الحجة مهنئاً لك بعيد الاضحى ومعاتباً على إطالة الفترة على كتبك ومذكراً بما أرسلته مع الاخ الامير عادل من التهنئة بلقائه ومن كراريس ترجمة الاستاذ الامام ومتعجباً من عدم تفضلك بعلم وصوله ووصول ما معه وعدم تفضله هو بكتابة شيء . وقد كنت رجوته عند التوديع بأن يكتب إليّ بياناً مطولاً عن أحوال مجلك النجيب فوعد ولم يفِ بل لم أطمئن بخبر وصوله وتلاقيكما ثم بخبر سفره إلا من صديقنا ابي الحسن ولكن بعد سؤالي اياه . ومما طلبته منك كتابته ورجوت الامير عادلاً بأن يذكره لك طلب نسخة من صور المرحوم الاستاذ الامام التي اعطاك صديقنا فؤاد بك سليم .

بل كان أهم شيء ذكرته لك في الكتاب الاخير اخذ الاذن الخطي من دولة مختار باشا بترجمة كتاب والده بالعربية وطبعه واستشرتك في مسألة الترجمة . وذكرت لك فيه او في غيره انني أرسلت رسالة الصلب والفداء الى أنبه تلاميذي في الهند وفي جاوه لاجل ترجمتها باللغتين الاوردية والملاوية كما اقترحت . . فياليت شعري هل فقد شيء مما كتبت اليك أم انستك الشواغل الجديدة كل هذه المسائل المفيدة فلم ترجع إليّ قولاً في شيء منها ؟ واذكر هنا انه جاءني في بريد جاوه الاخير ان الشيخ محمد بسيوني عمران قد شرع في ترجمة رسالة الصلب والفداء بالملاوية وهو الذي كان اقترح عليك الكتابة في موضوع مفيد فوعدني بأن

ستجيبه الى اقتراحه ولا اتقاضاك هذا وإنما أرجو ان لا يكون فقد شيء مما كتبت اليك وما اريد أن أشق عليك في شيء بل أدعو ان يعينك الله على ما انت فيه والسلام عليك وعلى نجلك ورفيقك الجابري من اخيكم

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب الي في ١٩ المحرم ١٣٤٩ :

سيدي الاخ الامير

وصل كتابك الاخير الذي اودعت فيه مكتوبات الاستاذ الامام ووصلت قبله بقليل بقية الترجمة . فأما ما يتعلق من الترجمة بما كان من شأنه وعمله في سورية اثناء النفي فهو الذي يذكر في المقصد الثاني من الفصل الخامس الذي موضوعه عمله في المنفى . واما سائر الفوائد فستذكر ان شاء الله تعالى في مواضعها اللائقة بها . واما المكتوبات فسأنظر في تواريخها فان كان فيها شيء في مدة النفي فربما أذكره في هذا الفصل واما ما فيها من الحكم والنصائح الادبية العامة فله موضع آخر من التاريخ او الذيل .

كنت امسكت عن المضي في كتابة التاريخ باشتغال المطبعة بشغل آخر وقد عدت اليه في هذه الايام المكتظة بالشواغل التي منها دخول المنار في سنته الجديدة (٣١) وما تقتضيه من عمل فهارس للجزء الماضي بل المجلد الماضي وغير ذلك وقد تراءى لي التوسع في عمل الاستاذ مع السيد في اوربة للجامعة [1] المصرية والرابطة الشرقية والمسألتين المصرية والسودانية

---

(١) ليس معنى الجامعة المصرية هنا المدرسة الجامعة بل هي بمعنى الرابطة .

وكنت عازماً على اختصار ذلك من قبل . وقد كان من وصفي لتأثير « العروة الوثقى » ان ذكرت بيتين من قصيدتك الميمية في السيد وبيتين من قصيدتك الكافية في الشيخ اي في وصف كلامهما وهذه الابيات علقت بذهني مع ابيات أخر من باكورتك اذ رأيتها في طرابلس في ايام طلبي للعلم فيها فهل لديك نسخة منها تكون نعمة تمنها عليّ ام تعلم اين توجد ؟ [1].

عندما يتيسر لي قراءة المكتوبات الخص منها ما يحسن نشره مع بيان مصادره وان شئت ان اعيدها اليك لتتولى ذلك وانت اعلم واولى بالحكم فيما يحسن نشره وما لا يحسن اعدتها في كتاب مسجل .

ما كتبه اليك الاخ الامير عادل — عن أكلي وحميتي كان دعابة ومزاحاً بالطبع وقد بلغني انه اعطاه لرفيقه بندك فنشره في جريدته فساءني ذلك جداً . واني عاتب على الامير عادل لجوره عليّ وإخلافه ما وعدني به من المكاتبة من اوربة وغيرها واهم ما وعدني به اجابة لطلبي كتابة تقرير عن النجل الحبيب غالب . لعله اعجبك ما نشرناه في التفسير آخراً كما اعجبك ما قبله والسلام عليك وعلى الاخ الصديق الرفيق احسان بك أحسن الله اليكما واعانكما وأقبل غالباً تقبيلاً وأدعو له واتمنى لو يرسل الى مصر ليتلقى العلم بالعربية حفظه الله لك وحفظكما للامة ولاخيك المخلص

رشيد

---

(١) ديواني الباكورة الذي نشرته وانا في السابعة عشرة من العمر كانت نسخه قد اصبحت نادرة جداً الا انني عثرت اخيراً على نسخة منه والحقت اكثر قصائدي التي فيه بديواني الذي نشرته في العام الماضي وكان الاستاذ رحمه الله هو المشرف على طبعه ومضى الى ربه قبل اتمام الطبع .

وكتب في ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٤٩ و١٣ نوفمبر ١٩٣٠ مساء الخميس :

سيدي الاخ الامير

وصلت رسالتك[1] منذ اسبوع ثم وصل الاستدراك وسيوضع في موضعه الذي اشرت اليه واستحسنت رأيك في طبع الرسالة وحدها ونشرها قبل طبعها في المنار كلها او بعضها وإن كانت النفقة في هذا اكثر . وخطر في بالي (لما قرأت كتاب الاخ الامير عادل في سوء حال جماعة النبك وما يصدعه من همهم وسؤاله اياي عن إمكان جمع خمسين جنيهاً لهم بمساعدة صديقنا عبد الحميد بك سعيد) خطر في بالي انه ربما يسهل بيع الف نسخة من هذه الرسالة باسم هذه الاعانة بمساعدة جمعية الشبان المسلمين وجمعية مكارم الاخلاق ، واما جمع اعانة بالتبرع فهو يكاد يكون محالاً لان العسرة الحاضرة قد ضيقت الخناق على جميع الطبقات حتى ان ناظر وقف المنشاوي باشا ودائرته التي يبلغ دخلها السنوي زهاء مائة الف جنيه يشكو من العسرة كما قال لي اول من امس وحظنا من هذه العسرة عظيم فلا احد يدفع قيمة الاشتراك في المنار ولا احد يشتري من كتبه ماله قيمة تذكر . واجرة المطبوعات لا تكاد تكفي المطبعة وانما ربحنا منها ما نطبعه لنفسنا وهو لا يباع في هذه الايام وانني مدين بأكثر من الف جنيه . . .
وقد سافر السيد عاصم الى طرابلس والقلمون على محل موسم الزيتون .

قرأت الرسالة في ليلة الجمعة الماضية ويومها فالفيتها في الدرجة الثالثة وهي العليا من درجات الاستحسان عند المرحوم استاذنا الامام . فالاولى ما كان يعبر عنه بكلمة « موش بطال » وللمويلحي نكتة في هذه الكلمة

(١) هي رسالة « لماذا تأخر المسلمون » التي تقدم الكلام عليها .

أذكرها لك في وقت آخر إن كانت لم تبلغك فهي خيال غريب لم يلج في غير ذلك المخ الغريب . والثانية ما كان يعبر عنه بكلمة « طيبة » والثالثة ما كان يعبر عنه بكلمة « جيد جداً جداً » وربما كررها ولم أسمعها منه إلا مرة واحدة . فالرسالة أحسن ما قرأت لكم في الاستدلال والتأثير لا في التأنق في التعبير . وهي من إملاء العلم والايمان الغالب على الشعور والوجدان لا من إملاء التخيل الشعري في البيان . ولكنها قد كتبت بسرعة وفيها مباحث دينية كثيرة فهي لا تخلو من عبارات أحب ان أراجعكم فيها منها ما يتعلق باللفظ ومنها ما هو استدراك على بعض المسائل ولعلي أوفق غداً (الجمعة) لكتابة ذلك فقلما أفرغ لمثل هذا إلا في بعض أيام الجمع واني منتظر جواباً على بعض ما ذكرته في مكتوباتي السابقة وهي خمسة على ما أتذكر والسلام عليكم وعلى صنوكم الكريم ونجلكم النجيب وزميلكم السياسي وعلى من تكاتبون في باريز كولدنا بلافريج[1] وصديقنا الشيخ اميل[2] ولا زلتم سالمين لامتكم ولاخيكم المخلص ؟

محمد رشيد رضا

* * *

(١) السيد احمد بلافريج صاحب مدرسة « محمد جسوس » التي هي المدرسة الوطنية الراقية الوحيدة في السلطنة المغربية وهو من مفاخر ذلك القطر علماً وعملاً وأخلاقاً وذكاء حفظه الله لوطنه . وقد كان السيد بلافريج زار مصر وتعارف مع الاستاذ فقدره قدره .

(٢) الشيخ اميل الخوري ابو صعب من أذكى أذكياء الشرق واكملهم ثقافة واعرفهم بالسياسة تولى مدة سنوات ادارة الاهرام اكبر جريدة عربية و كان

ومما كتبه إليَّ من القدس في اثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي الكبير (وهذا الكتاب بلا تاريخ):

اخي الامير المجاهد الكبير الاستاذ النحرير

وصل إليَّ تقريظك البليغ لتاريخ شيخنا الاستاذ الامام محولاً من مصر ثم وصل كتاب آخر فيه حوالة بمائة فرنك سويسري سأقبضها في مصر بعد غد إن شاء الله تعالى .

فأما التقريظ فلا أحصي ثناء على ما أطربتني فيه ولا أعاتبك على شيءٍ من انتقادك الكلام في الاستاذ الشيخ عبد الكريم رحمه الله تعالى إلا على قولك إنني جماعتك كأبي نواس وقولك انني كنت أحمل حفيظة على المرحوم او ما هذا معناه . والتقريظ ليس معي الان وقد أعطيته لصاحب جريدة الجامعة العربية فنشرته ولم أعلق عليه وانما ادخرت التعليق للمنار وأرجو أن يكون مقبولاً عندك . وسأقول كلمة في علم الشيخ عبد الكريم أيضاً وقد عاتبني على ما كتبت في هذه المسألة محمد فتح الله باشا بركات وسأذكر في التعليق على كتابك بل تقريظك خلاصة ما أجبته به من غير ذكر لانكاره .

وأما الكتاب فأذكر لك هنا من موضوعه انني وفقت لإرسال جميع ما كان هيأه السيد عاصم من رسائلك ورحلتك الى اميركا وغيرها وحالت العسرة دون إرساله هو له . وأرجو أن يكون المرسل اليهم قد كتبوا اليك بذلك . وسأرسل اليك ما طلبت من اصول رسالة «لماذا» بعد العودة

ـــالسيد الاستاذ بوده ويعجب به كثيراً كما ان الشيخ اميل كان من أصدق أصدقاء الاستاذ وما حزن على فقده أحد اكثر منه .

الى مصر فقد أمرت المطبعة بحفظها كلها وانني عازم على السفر غداً كما أشرت الى ذلك في صدر هذا الكتاب ٠

كان تأثير هذا المؤتمر أضعاف ما قدر المتفائلون وقد خاب ما كاده له الدساسون وقد ختمت جلساته البارحة وستروى سائر أخباره في الجرائد ولا ادري أكتب لك بعض الاصدقاء شيئاً من اخبار الدسائس ورجالها وما كان من عاقبة امرهم أم لا ؟ ٠ ان رجلين من اكبر اصدقاء السيد أمين الحسيني الذين سبق لهم الاهتمام بأمر هذا المؤتمر قد خرجا منه مغبونين وهما مولانا شوكت علي وعبد الحميد بك سعيد فالاول أتهم في مصر ثم في القدس بأنه من أنصار الانكليز الغلاة في المسألة الهندية وغيرها وانه يحاول في المؤتمر منع التشنيع عليهم وعلى الفرنسيس والطليان المستعمرين ٠ وظهر منه هذا في المؤتمر فتحامل عليه الوطنيون بعض التحامل وفندوا بعض آرائه واقتراحاته على ما كان من إدلاله وآماله ولكن المؤتمر اختاره مع سائر رفاقه من مسلمي الهند أعضاء في اللجنة التنفيذية للمؤتمر وكان رفاقه قد سافروا قبله فصرح في جلسة المؤتمر الاخيرة عقب الانتخاب بأنه لا يقبل الانتظام في اللجنة فعقد الاعضاء الذين انتخبوا اللجنة جلسة خاصة في حجرة خاصة — وانا منهم — وبالغنا في استعتابه واسترضائه فأصر على رأيه مكرراً قوله بأنه يعمل في خدمة المؤتمر عمل جندي الخ ٠٠٠

واما عبد الحميد بك سعيد فإنه من أظهر حزب الحكومة والدراي المظاهرين لدولة اسماعيل باشا صدقي ٠ فلما هب الازهر للطعن في عقد المؤتمر ورميه بالتهم واستغل ذلك خصوم السيد امين الحسيني في وطنه وفي مقدمتهم راغب بك النشاشيبي وحزبه والشيخ الشقيري وغيره بالطعن والتنفير

والتشهير حضر الحسيني الى مصر للسعي في تلافي فتنة الازهر و كان حضوره برأي عبد الحميد بك ومن كان يشتغل معهم ومنهم التفتازاني وسليمان فوزي صاحب الكشكول والثغر وكلاهما من أعوان الحكومة — وبرأيي أنا أيضاً ولكن من حيث لم أعلم من أمر غيري شيئاً . وقد تلقاه عبد الحميد بك سعيد عند وصوله وجمعه باسماعيل باشا صدقي واتفقا على ما نشر في الجرائد وكان يسعى لمقابلة جلالة الملك فؤاد له والعطف على المؤتمر ومساعدته كما قال لي هو والتفتازاني فحال دون هذا أن أجاب الحسيني دعوة مصطفى باشا النحاس وفتح الله باشا بركات ونجله بهي الدين بركات الى طعام ودعوة مكرم عبيد سكرتير الوفد الى الشاي . ثم ذهب عبد الحميد بك سعيد الى القدس للسعي للتأليف بين الحسيني وخصومه وسافر ايضاً الى القدس سليمان افندي فوزي واجتمعوا سراراً بالمعارضين وسأكتب اليك ببقية القصة إن لم تكن بلغتك فقد شغلني الزائرون ليلاً فلم أتم الكتاب . والآن أذهب الى المحطة والسلام ؟

اخوك

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ في ٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤٩ و٢٦ سبتمبر ١٩٣٠ :

سيدي الاخ الامير

حياك الله وبارك لك في سفرك وإقامتك وغدوك ورواحك وصباحك ومسائك وبارك لامتك وملتك في عمرك وجعل في سبيله ما تبذله لهما من عملك وما تخطه بقلمك الذي بذّ جميع الاقلام وكنت به أمير البيان

واني لم أكن في وقت من الاوقات أشوق اليك واحرص على القرب منك مني في هذه الايام التي رحلت فيها الى الاندلس حيث آثار أمتنا التي نفاخر بها جميع الامم . ولكنني لم أكن في وقت من الاوقات أعجز على السفر مني في هذا الصيف لقلة المال وسفر اكثر العيال الى رمل الاسكندرية للاصطياف ومعهم السيد عاصم وهذا اليوم موعد عودتهم لان المدارس الابتدائية تفتح في نهار غد ولكن إجارة الدار التي يسكنونها تنتهي في آخر سبتمبر ويحتمل ان يبقى بعضهم فيها أربعة أيام أخرى ومتى جاء السيد عاصم رجونا أن نظفر بكتاب (السفر الى المؤتمر)[1] بتوصية الوراقين الذين يشترون الكتب القديمة من التركات ، أو ما رحلة البتانوني [2] فهي موجودة في السوق ويمكنني إرسال من يشتريها في كل وقت ولكنني أنتظر العثور على الكتاب الآخر وكنت أظن انه يوجد عندي نسخة منه وقد بحثت عنها فلم أجدها . وقد عاد أحمد زكي باشا من فلسطين في هذا الاسبوع وزرته مساء امس راجياً أن أجد مناسبة أطلب فيها الكتاب منه فلم أجدها ففضلت الانتظار ريثما نيأس من وجوده عند باعة الكتب القديمة وبمناسبة ذكره أقول ان صاحب الشورى كان قد كف عنه إرضاء لك ثم ثبت له ذنب جديد هاجه فلم يستطع علاجه .

(١) السفر الى المؤتمر رحلة للاستاذ المرحوم خادم العلم طول حياته الملقب كان بشيخ العروبة وقد ذكر فيه أيامه بالاندلس وكتب أشياء عنها نقلناها الى كتابنا الذي ظهر مؤخراً « الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية » .

(٢) هي رحلة لبيب بك البتانوني الكاتب المؤرخ المشهور .

وصل إليّ ثلاثة كتب منك اولها من أول بلاد الاندلس [1] على ما أذكر وفيه أن عنوانك الثابت «مكتب البريد في مدريد» وليس فيه ما يقتضي الجواب الا أنك سألت عن وصول مكتوباتك الاخيرة من لوزان ولا سيما المكتوب الذي فيه مكتوبات الاستاذ الامام وكنت اخبرتك بوصولها وعلمت ان المكتوبات تحوّل اليك حيث كنت والاخيران وصلا في بريد واحد مع الكتاب الذي ارسلته الى صديقنا عبد الحميد بك سعيد . وكنا شرعنا في القيام بالواجب في مسألة البربر وأصدرنا النداء الذي أمضاه معنا كثير من الفضلاء واكثره من إملائي وفهمت انك بعد هذين الكتابين لا تلبث أن تعود فأخرت الكتاب اليك راجياً ان يصل بوصولك الى لوزان أو بعده بقليل وان يرسل معه الكتابان.

إذاً لم يكن مقتضى لكتابتي لك في هذه المدة إلا حنيني وأمنيتي التي أشرت اليها في أول الكتاب ومناجاتك بالشعور المشترك الذي سبقت الى ذكره وصدقت في أنه لا يوجد من اخوانك من يساهمك فيه مثلي. وأنّى لي أن أفرغ للتعبير عن هذا الوجدان وأنا غارق في بحر لجي من كثرة الاعمال حتى انني اشتغل بتصحيح المطبوعات في ناشئة الليل وأتمه في السحر او بعد صلاة الصبح وكثيراً ما كنت أهوّم فيقع القلم من يدي وشواهد ذلك لا تزال في بعض ثيابي وقد كتبت هذا في ضحوة يوم الجمعة وعسى أن أدرك البريد الجوي والسلام عليك وعلى ولدك النجيب سلمكما الله لاخيكم المخلص ؟

محمد رشيد رضا

---

(١) أتذكر أني كتبت كتاباً الى السيد رشيد من سرقسطة التي كان العرب -

وكتب إليّ في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤٩ و١٦ اكتوبر ١٩٣٠:

سيدي الاخ الامير

كتبت اليك منذ ثلاثة أسابيع كتاباً باركت لك فيه بالدعاء المناسب في شأن رحلتك وعودتك وأشرت فيه الى شعوري وأمنيتي الموافقين لشعورك وأمنيتك في الصحبة وذكرت فيه ما وصل من مكتوباتك الثلاثة في أثناء السفر وعذري في ترك الكتابة اليك في مدة السفر ووعدت فيه بالبحث عن كتاب السفر الى المؤتمر وكنت أوصيت وسألت عنه بعض باعة الكتب القديمة وقد أرسلت الكتاب في البريد الجوي وبعد إرساله ذهبت بنفسي الى جهة الازهر للبحث عن الكتاب فوجدت نسخة منه أرسلناها مع رحلة البتانوني الى لوزان ولم تتفضل عليّ بكتاب بعد عودتك المباركة تبشرني فيها بسلامتك وصحتك ولا برجوع كتابي الجوي . ولكنني أرى أخبار مكاتباتك لغيري واقرأ مقالاتك المفيدة في الشورى وفي الجرائد التي خلفت الكوكب وقد أتيح لي ما لم أوفق له قبل من قراءة مقالاتك عن بلاد الاندلس لانها كانت تأتي وأنا غارق في العمل الذي لا يمكن تركه ولا الجمع بينه وبين غيره . قرأت أكثرها في جلسة واحدة في يوم لم أنزل فيه الى مكتبي ثم أتممت الباقي في جلسة أخرى فكان لي عند قراءة بعضها من إرسال الدموع الحارة ما وددت لو شار كتك فيه هنالك .

أوحشت قلبي فترة انقطاع مكتوباتك في هذه المدة فوق الوحشة

ـ يقولون لها « الثغر الاعلى » وكانت قاعدة ملكهم في شمالي الاندلس .

المتادة لانني على حرماني من التمتع ببلاغتها وفوائدها والأنس بها أخشى أن تكون متعمداً لعقابي على تقصيري وإن كنت وعدت في كتاب سابق بأن لا تؤاخذني في مثل هذا التقصير ولا تتقاضاني حقك في الجواب عن كل كتاب ·

أكتب هذا بعد الظهر وقبل الغداء وأنا 'معيٍ من كلال الذهن وتعب اليد لا من الجوع · وكنت أكتب الرسائل الشخصية في الغالب بعد العصر ولكنني سأذهب اليوم في هذا الوقت الى سفارة أفغانستان لحضور الاحتفال بعيد الملك محمد نادر خان وفقه الله تعالى · وقد جاءني اليوم كتاب من الاخ الامير عادل ينبئني فيه بعودته الى لوزان ويعد بالمجيء الى مصر في الخريف ولكنه لم يذكر فيه عنك سلاماً ولا كلاماً · فأنا أشكر له ذكراه اياي بكتابه وأوافقه على كلمته الوجيزة ···· وسيرى في الجزء الثالث من المنار ما يدل على اتفاق الرأي وما يسرك ويسره إن شاء الله تعالى واعتذر اليه عن كتاب خاص الآن ولكنني أرسل اليكما كتاباً من محمد باشا عز الدين في أنبائهم الاخيرة وكان قد جاء مصر ومكث مدة يستأذن في السفر الى الحجاز فلم يؤذن له · والسلام عليك وعلى أخيك الامير عادل ونجلك الامير غالب وأدام الله نفعكم وجهادكم لهذه الامة ودمتم لاخيكم المخلص ؟

محمد رشيد رضا

***

وكتب إليَّ في ٢٦ جمادي الاولى سنة ١٣٤٩ و١٨ اكتوبر ١٩٣٠:

سيدي الأخ امير البيان

كتبت اليك أول من أمس (يوم الخميس) كتاباً «الى أن يقول»: وانه ليسرك أن تعلم أن أحد علماء الصين قد ترجم رسالة «الصلب والفداء» باللغة الصينية ونشرها في جريدة له يصدرها مع بعض اخوانه وتلاميذه ترجمها للرد على المبشرين الذين كثروا في بلادهم ونشطوا للدعاية واكثروا من الطعن في الاسلام فلما نشر هذه الرسالة قطعت ألسنتهم وكسرت أقلامهم فكفوا عن الطعن في الإسلام ولكن هذا العالم الصيني قد وصف لي مسلمي الصين وصفاً مخزياً يسوء كل مسلم من جهلهم بالاسلام وافتتان رجالهم ونسائهم بالتفرنج كغيرهم وقد أرسل إليَّ أخيراً اسئلة سأفتيه فيها فتراها في المنار.

هذا وانني قرأت في بكرة امس (الجمعة) آخر مقالاتك عن رحلتك في جريدة الوطن التي تصدر الآن في إدارة كوكب الشرق بعد تعطيل الحكومة للمؤيد الجديد فتذكرت شيئاً آخر كنت نسيت أن أذكره لك وهو انني كتبت للملك صديقنا ملخص قضية البربر وانه سيصل اليه نداء من مصر في شأنها وأنه يجب أن يهتم بهذا الامر ويشتد في إنكاره. فكتب إليَّ يعدني بذلك ثم كتبت اليه صورة كتاب استحسن أن يرسله الى رئيس جمهورية فرنسة فجاءني منه كتاب بتاريخ ١٧ جمادى الاولى قال فيه: «وان ما ذكرتموه من الامور الاخرى في كتابكم هو موضوع على البال وإن شاء الله ان الله يوفق في شأنه ما فيه الخير والسداد».

وسأكتب بعد غد كتاباً أذكر له فيه انه لو كان بادر الى مخاطبته في

المسألة لكان يرجى أن يكون أشد عناية بما ينفع المسلمين أو يدفع الشر عنهم ولاعتقد العالم الاسلامي ان كتابته له هي السبب لسفره ولعنايته الخ . ولعلك كتبت انت اليه شيئاً في ذلك . وأرى انه يجب علينا ان نفكر في شيء عملي مما أشرنا اليه في النداء العام لكيلا نسجل على جميع المسلمين ان ليس عندهم إلا كثرة الكلام والاماني والاوهام .

وتذكرت أيضاً أن أشير الى ما اخترته من مقالات الاندلس للنشر في المنار مع القصيدة وإنما عارضنا فيه كثرة المواد في مسألة البربر ومسألة المؤتمر الافخارستي [1] ولما نشرع في هذه . والسلام عليكم وعلى الشقيق المجاهد والنجل النجيب وأطال بقاءكم لامتكم ولاخيكم المخلص ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٤٩ و ١٨ نوفمبر ١٩٣٠ (الثلاثاء) :

سيدي الاخ الامير

كتبت يوم الخميس الماضي كتاباً أرسلته اليك ووعدت فيه بكتابة استدراك على رسالة « لماذا تأخر المسلمون » ولم أجد يوم الجمعة الفراغ الذي كنت أرجوه ولكنني اخذت أوراقاً من كراس مدرسي للاولاد كتبت فيه ليلاً ما عنّ لي وانا في حجرة السرير فاستكثرته ولا أراني أجد وقتاً لاختصاره وتبييضه إلا أن يكون في يوم جمعة آخر . وقد

(١) الذي انعقد في تونس وساء وقعه لدى المسلمين وان كان عمل لوسيان سان للمقيم العام في المغرب في قضية إلغاء المحاكم الشرعية ببلاد البربر أسوأ وقعاً .

وصل في مساء امس كتابك (رقم ٩ نوفمبر) وهو مرجوع مكتوباتي السابقة فإذا فيه مسائل مهمة لا يجوز إرجاء البحث معك فيها ولا سيما مسألة الحجاز وقد كنت أنوي أن أكتب شيئاً عنها في كتابي الاخير وقد كتبته بعد ذهاب العمال مساء فاضطررت الى ختمه قبل الصعود من المكتب لصلاة المغرب لئلا يتأخر يوماً آخر وأياماً وأرى أن أترك في هذا الضحى عمل المطبعة لكتابة ما أراه ضرورياً في هذه المسألة وغيرها مما في الكتاب وأبدأ بما بدأت به فأقول :

(١) إذا جعل الله لنا مع هذه العسرة يسرين كما تشير اليه سورة «ألم نشرح» فأرجو أن أوفق لصحبتك في رحلة الاندلس في الخريف القابل وقد ذكرت في كتابي الماضي كلمة في هذه العسرة ورأيت مثلها في كتابك الذي أمامي وان أهم ما يهمني فيها ان عليّ قسطاً من ثمن الدار يستحق في أول يناير سنة ١٩٣١ وهو زهاء ٤٠٠ جنيه ويليه أقساط لدبون تجار الورق منجمة على الاشهر وفضل الله عظيم لا رجاء في غيره حتى ان السيد عاصم يشك في اخذ القسط السنوي من مستأجر بستان لي في القلمون وهو زهاء خمسة آلاف قرش والكتاب الذي نطبعه لجلالة الملك الآن قد أخذنا نفقته سلفاً ولدينا كتاب آخر من عنده لا يمكننا اخذ قسط من نفقته إلا بعد إتمام الذي عندنا . وقد ابطأت المطبعة فيه لتقليل العمال ولاشتغالها في الشهرين الماضيين بتاريخ الاستاذ الامام ثم أرجأنا إتمامه لان رواجه لا يرجى في هذه العسرة إن أمكن نشره في هذه الازمة السياسية وما فيها من الضغط والاهواء المتناوحة وهذا مما أرتاب فيه .

(٢) ما ذكرته في مسألة ٠٠٠ مؤثر وأكثر ما ذكرتموه فيها وفي ذيولها معروف عندنا بالجملة والتفصيل وهو جدير بالنشر لحاجة الجمهور اليه ولعلي أخصه لحافظ بك عوض ٠

(٣) زارني في الشهر الماضي مصطفى بك عز الدين المثرى الطرابلسي تعرضت له بما يجب عليه من بذل شيء لخدمة الاسلام فأظهر ارتياحاً لعمل شيء في الحجاز ورغبته في الحج لولا الحر الذي لا يطيقه ٠ وبهذه المناسبة ذكرنا فكرة الامير وغيره في إنشاء فندق في ضواحي مكة يكون حاوياً لجميع ما يعتاده المسافرون المترفون من أسباب الراحة والنظافة — وانه يقال إن أصحاب البيوت بمكة يكرهون ذلك لما يترتب عليه من كساد بيوتهم وان الملك يراعيهم في ذلك فقال : انه يمكن جعل الفندق شركة مساهمة يأخذون ما شاؤوا من سهومها وإذا دفع بعض الاغنياء مثلي شيئاً من المال في تأسيسها يجعله حسبة يصرف ربحه في بعض وجوه البر هنالك٠ وذكر مسألة سكة حديد تتصل بالمدينة المنورة ٠ ورغب إليّ أن اكتب الى جلالة الملك بذلك وقال انه يرغب أن يذهب معي الى مكة في رمضان نعتمر ونزور مسجد الرسول (ص) وقبره ونكلم الملك في هذه المصالح وذكرت له في سياق حديث البر وخدمة الاسلام مسألة المبشرين ٠ وقد سافر في أثر ذلك الى سورية مع لجنة بنك مصر لفتح فرع دمشق للبنك وينتظر أن يعود إلى مصر بعد عودة اللجنة فنعود الى الحديث معه لعل الله تعالى يوفقه لشيء فهو غني كبير منهمك وقد كبرت سنه وترك العمل الآن لولده ٠

(٤) من هنا ننتقل الى مسأله جمع المال لامثال هذه الأعمال فأقول

إنه يجب السعي لدى كبراء الاغنياء بمصر وغيرها قبل كل شيء، ثم يجب وضع نظام لجمع المال القليل من العدد الكثير من غير الاغنياء فإن التبرع الموقت بالتأثير في الاجتماعات لإلقاء الخطب والمحاضرات قلما يأتي بشيء فيه غناء في مثل هذا الوقت الذي عمت العسرة فيه جميع الطبقات. وأنا على موعد مع الاخ الهمام عبد الحميد بك[1] للاجتماع عندي في مساء هذا اليوم ثم الذهاب الى جمعية الشبان لعقد مجلس الادارة والمذاكرة فيه بالتمهيد لمقاطعة البضائع.... وكنت سألته عما سألتك عنه من جمعية الترك التي كانت في برلين فألفيته على علم بها ويقول ان عنده شيئاً مكتوباً في نظامها ووعدني بالبحث عنه.

الى ان يقول :

(٧) أنتقل من هذا البحث والتذكير الى ذكر ما أفكر فيه كثيراً من أمري وأمرك وما أحب ان نختم به أعمال شيخوختنا من التعاون على خدمة أمتنا وملتنا بما آتانا الله من علم وبيان واختبار وطالما فكرت في أمر اجتماعنا للتعاون وكنت أود لو يكون لنا ان نقيم بقرب... فنشتغل

---

(١) ما يتمارى أحد في خدمة عبد الحميد بك سعيد للاسلام وكونها خدمة نصوحاً مستمرة لا تشوبها شائبة ولا يطرأ عليها فتور أقول هذا وإن كنت غير راض عنه بما تسرع به من تصديق كلام المفسدين عن المؤتمر الاسلامي الاوربي الذي انعقد في جنيف من سنتين تحت رئاستي وكان المقترح لعقده محمود سالم بك العرفاني المصري والمساعد له فيه عبد الباقي بك العمري الفاروقي وهما اللذان أقنعاني بقبول الرئاسة.

بالكتابة ونسدي النصيحة التي أشرت اليها آنفاً · ولكن هذا أمر عسر ولا أزال أسعى وأمهد السبيل لإقامتك في مصر وأمس اجتمعت بأخينا عبد الحميد بك وقرأت له ثناءك عليه في الكتاب الاخير وذكرت له ما لا يجهل ولا ينكر من فوائد وجودك هنا كما كنت كلمته بهذا في العام الماضي وألححت عليه بما لا حاجة الى تفصيله ولكنني أقول في أصل هذه المسألة : إن أهم ما أفكر فيه من التعاون أن نؤلف كتاباً في تاريخ الإسلام[1] يرجى باجتماعنا على تأليفه أن يكون على مقربة مما كان ينويه شيخنا الاستاذ الامام فأنت أعلم مني بالمادة التاريخية له وأنا أعلم منك بالمادة الدينية وإنما كان يفوقنا استاذنا قدس الله روحه في هذا الموضوع في روحه وحكمته لا في مادته · ولعلنا باجتماعنا وتعاوننا نكون كما كان يحب · وكم قال عني انني أكتب في المواضيع أو الموضوعات التي لا يجد فراغاً لكتابتها كما كان يريد أن يكتب · وقد جدد كتابك الاخير هذه الامنية في نفسي وما كنت ناسياً فأذكر لكن لوعة تتضاعف وقد قال صديقنا انه تكلم في العام الماضي مع من تعلم فقال انه لا مانع عنده ...

(١) كتب إليَّ ايضاً في تأليف تاريخ للإسلام يقرأ في مدارس العالم الاسلامي ـ ابن عمي الامير امين مجيد ارسلان سفير تركية السابق في بلاد الارجنتين وصاحب مجلة الاستقلال التي تصدر في بونس ايرس وهو من سعة العلم وأصالة الرأي بالمقام الاول وقد اتفق رأيه في هذه المسألة مع رأي السيد الامام ولكنني قبل أن اكمل كتابي عن الاندلس الذي سيكون عدة مجلدات وإكمال كتب اخرى كنت بدأت بها لا أقدر على مباشرة هذا التأليف المدرسي في تاريخ الاسلام ولكن قد يكون ذلك إذا أنسأ الله في الاجل ؟

قلت له هذا لا يكفي بل يجب إقناعه بأن وجودك هنا يدخل النهضة الاصلاحية الاسلامية في الطور الجديد الذي يحبه ويحب ان يكون اقوى ساعد وعضد ومرفق له . فقال صديقنا انه سيسعى لذلك قريباً .

(٨) اقترحت البارحة على مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين التمهيد مع التجار الوطنيين لمقاطعة البضائع ... بنظام يرجى نجاحه بل اقترحت أيضاً تنظيم الجمعية بمثل النظام العسكري في رؤساء العشرات والمئات والالوف الخ فقبل المجلس هذا وذاك .

(٩) طبع رحلة الحجاز — كلمت أبا الحسن فيها واتفقنا على أن الرأي أن نقرأ الاصول كلها أولاً وتصحح وتزيد فيها ما شئت وترسلها تامة وعند ذلك يمكن تقدير ملازمها ونفقتها إذا بينت العدد الذي تريد أن يطبع . وأما البدء بطبعها وإرسال الملازم الى لوزان بعد جمعها في المطبعة وقبل طبعها فهو متعذر لانه يقتضي تعطيل الحروف زمناً طويلاً .

(١٠) القصيدة الاندلسية حفظتها لاجل نشرها في المنار وفطنت لشدة الحاجة الى تعليقك عليها بما ذكرت في الكتاب ولم أشأ ان اقترح ذلك عليك فإنني غير راضٍ عن اجهاد نفسك في الكتابة الى هذا الحد الذي اعرفه وانت أعرف بضرره .

(١١) وانتقد كذلك أشد الانتقاد هذه النفقات على مجلتكم[1] الافرنسية

---

(١) هي مجلتنا « لاناسيون أراب » التي نشرناها أنا وزميلي احسان بك الجابري من سنة ١٩٣٠ فأقبل الناس من المسلمين والاجانب على مطالعتها لانهم رأوا فيها لسان حال العروبة والاسلام في اوربة وكانت تظهر لنا علامات اهتمام الدول الاوربية بها بما كان يكتب الينا من تلك الدول في السؤال عن أعدادها

وهي فوق طاقتكم والامة التي تخدمونها والوطن الذي تخصونه بخدمة هذه المجلة كنود لا يستحق اهله تضحية مثلكم في كل هذا وثم ما هو خير له ولكم مما يدوم نفعه ٠

(١٢) احب ان تكتب الي عناوين ما تعلم من الجمعيات الاسلامية في اقطار العالم مما اشرت الى بعضه في هذا الكتاب وكذلك عناوين بعض الرجال الذين يهتمون بأمر العالم الاسلامي وبالاسلام لارسل اليهم المنار ومثل رسالة الصلب والفداء وخلاصة السيرة المحمدية هدية ٠

(١٣) مكتوبات الاستاذ الامام ربما لا نحتاج الى نشر ما ينبغي نشره منها الا في الجزء الرابع المتمم لهذا التاريخ الذي ينشر فيه بعض القصائد التي مدح بها ومكتوبات الادباء والعظماء له وبعض وثائق الجزء الاول في ترجمته وقد ينشر بعض ما فيها في الكلام على اصحابه ومريديه في فصل الامور العامة من الجزء الاول وعندما نصل اليها أخبرك بذلك ٠ وقد

ـ والالحاح في إرسال ما يفقدونه منها ولما كنا نعلم أهمية وجود مجلة في اوربة تتكلم بلسان الاسلام وتدافع عن حقوقه وحقائقه وهي محررة بأشهر لغة اوربية كنا ملتزمين اصدارها لفائدتها السياسية والادبية ولم تكن بدلات الاشتراك بها توازي نفقاتها عليها كما هو معلوم من تقصير المسلمين في تأدية بدلات الاشتراك في الصحف وهذا مما كان يعلمه صاحب المنار اكثر من غيره فقد ضاع له عند المشتركين بالمنار أموال لا تحصى كما اننا من سبع سنوات ننفق انا وزميلي من صلب مالنا الخاص على مجلتنا (لاناسيون آراب) لا سيما بعد ان منعت الحكومة الفرنسية دخولها الى شمالي افريقية والى سورية ومنعت الحكومة الانكليزية دخولها الى فلسطين وقد كانت قبل هذا المنع لا تقوم بنفقاتها فكيف من بعده ؟ ٠

ارجأت بعض ما أرسلته إليّ لينشر في هذا الفصل . صار وقت المغرب فأختم الكتاب بالسلام عليك وعلى صنوك الحبيب ونجلك النجيب[1] وسأعاتبك في كتاب آخر على ما انتقدهُ من لينك معه وسلمكم الله لاخيكم ؟

محمد رشيد رضا

* * *

ومما كتبه إليَّ عندما طبعت عنده رسالتي « لماذا تأخر المسلمون »:

تصحيح واستدراك على رسالة لماذا تأخر المسلمون ...

(١) سرني اني لم ارَ غلطاً في الآيات الكثيرة في هذه الرسالة الا في ثلاث آيات وأذكر انني كنت امر بغلط كثير في الآيات القليلة التي أراها في المذكرات والخواطر التي تنشرها لكم جريدة الشورى وانما كان يقع عليها نظري في وقت العمل فلم اتمكن من كتابتها لطلبَ تصحيحها فهذه الاغلاط قد صححتها في اثناء القراءة .

(٢) في غير الآيات اغلاط كثيرة عليكم قليلة على غيركم منها ما هو قطعي ومنها ما له وجه قوي او ضعيف (فمنها) قولك في خونة الغرب ثم الشرق « خزاهم الله » والمعروف في القرآن وغيره : خزي فلان خزياً وأخزاه الله . ولولا ان تكررت هذه الكلمة لجزمت بأنها من سهو القلم بل هي

---

(١) لا يكاد يمر مكتوب من مكتوبات السيد رحمه الله من دون ذكر ولدي غالب ووجوب الاعتناء بتربيته وتنشئته وهذا دليل من ادلة لا تخفى على ما كان عليه السيد الامام من مكارم الاخلاق وحسن العهد وكمال المروءة وهكذا فليكن العلماء المرشدون وهكذا فليكن الاصحاب المخلصون .

منه وإن تكررت لانها ليست من الخطأ المشهور [1] (ومنها) قولك حطام فانية والحطام مفرد (ومنها) قولك لا نسلم بكذا — والتسليم يتعدى بنفسه وهذا الاستعمال من اصطلاح علماء المنطق والمناظرة ومنه القضايا المسلمات التي تستعمل في الاقيسة الجدلية يقولون سلمنا كذا لا نسلم كذا . (ومنها) ضبطك للجَبرَي [2] بفتح الباء كأنك ترى إسكانها خطأ وهو الاصل القياسي لانه نسبة الى الجبر ولكنهم قالوا : إذا قيل جبرية وقدرية جاز فتح الباء للازدواج فهو خلاف الاصل (ومنها) قولك : الرجوع للقرآن . والقرآن يعدي هذا الفعل بإلى وهو مكرر فيه كثيراً فيجب جعل الرجوع اليه بلغته . وقد راجعت شيخنا مرة في كلمة فعل « نصح » استعمله في مقال له متعدياً بنفسه فقلت له : ورد في اللغة نصحه ونصح له والثاني هو استعمال القرآن فكيف ترى ؟ قال صححها فإنني لا أخالف القرآن ولو الى صواب (ومثله) في التعدية « حدثوا أنفسهم في تنصير البربر » والتحديث يتعدى بالباء وقد يجتمع مع الظرفية إذا كان المقام يقتضيها . (ومنها) قولك : «لم تكن خيانة هؤلاء المعممين في قضية دينية رأساً » [3] وهذا الاستعمال

---

(١) إن هذا لكما قال .

(٢) أضبطها بفتح الباء لأنها هكذا عند علماء اللغة وقال ابو تمام :

قواطع لا يترك ذا جَبرِيّة   سليماً ولا يحربن من لم يحارب

فلو كانت بسكون الباء لم يستقم وزن الشطر الاول .

(٣) أصاب الاستاذ فإني لم أجد هذا الاستعمال في الكتابات القديمة وإنما « الرأس » هنا بمعنى « الابتداء » وعليه فالوجه فيه ظاهر . وكذلك « الطيلة » هي العمر واستعمالها للمدة ممكن .

مألوف عند الناس وأنا لا أعرف له أصلا ولعل عندك فيه ما ليس عندي فانك أكثر مني بحثاً في أصل أمثال هذا الاستعمال ويقرب منه استعمال « طيلة » بمعنى مدة وقد استعمل عند العرب بمعنى العمر فهو قريب ·

الاستدراك

أستحسن أن يزاد في بعض المواضيع من شواهد آيات القرآن وغيرها ما هو قوي جداً فيها ولا نظير له في الرسالة ومنها ما هو أقوى في الموضوع مما أوردتموه ·

(١) فمن الاول ما يناسب المعركة العجيبة الذي ذكرتموه في موضوع حرب طرابلس الغرب إذ غلب المسلمون جيشاً من الطليان يفوقهم عشرين ضعفاً وقتلوا منه عشرة اضعاف عددهم فيحسن أن نذكر في آخر الخبر آيتي سورة الانفال في غلب المؤمنين لعشرة اضعافهم في حال القوة والعزيمة ولضعفيهم في حال الضعف والرخصة راجع سورة الانفال (٦٥ و ٦٦) وتجد تفسيرهما في الجزء الثامن من المجلد ٢٩ من المنار ·

(٢) ومنه في الرد على زعم جول ميكار ان العلم في القرآن لا يراد به الا علم الدين : يحسن أن يذكر في الرد عليه مثل قوله تعالى في سورة فاطر (٣٥): « ألم ترَ ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض — الى قوله — إنما يخشى الله من عباده العلماء » فذكر العلم في هذا السياق في عجائب المخلوقات يراد به العلم بها وبالسنن الحكيمة في هذه المواليد كلها · وأمثالها كثير بل الآيات في اسرار المخلوقات والارشاد الى معرفتها والانتفاع بها اكثر من الآيات الواردة في الاحكام الشرعية (راجع ص ٥٧٣ من الجزء التفسير التاسع) ·

(٣) ومن النوع الثاني قوله تعالى في الشواهد على العمل في الارض لاستخراج غلاتها و كنوزها ومعادنها والانتفاع بها قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً » وقوله : « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه » ولعلك تجد وقتاً لمراجعة تفسير الاولى في ص ٢٤٦ — ٢٥١ من جزء التفسير الاول فتجد فيه من الشواهد التي يحسن ايرادها هنا قوله تعالى في سورة الاعراف : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » ...

(٤) ومن قوله الشواهد على ان ما اصاب المسلمين من الضعف إنما كان من تقصيرهم في العمل قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) وقوله (أو لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند انفسكم) والمراد بهذه المصيبة ظهور المشركين على الصحابة في غزوة احد وفيها شج رأسه (ص) وكسرت رباعيته ...

وهنالك عبارات لا خلاف في مفرداتها ولا في جملها ولكنها قد توهم غير مراد الكاتب كقول الامير أيد الله به العربية في لغتها وتاريخها وسياستها : « ولولا الخلاف الذي عاد فدب بينهم في أواخر خلافة عثمان وفي خلافة علي (رض) لكانوا اكملوا فتح العالم » . فهذا التعبير يوهم ان الذي كان المانع من فتح العالم هو الخلاف الذي دبَّ بينهم في زمن الخليفتين فقط . وهو غير مراد . واظن انه لو قيل : منذ اواخر خلافة عثمان لزال هذا الايهام وانه أولى وإن كان تأويل الاول ممكناً . فالمرجو بيان ما تقرونه في هذه المسائل من غير استدلال فوقت كل منا لا ينبغي ان يضيع شيءٌ منه في هذه المباحث اللفظية .

هذا : وأما ما انتقده او استدرك عليه من جهة المعنى فأهمه جوابكم لمن يقولون : ان النهضة لا ينبغي ان تكون دينية بل وطنية قومية — فانه صريح في ان النهضة الدينية غير مقصودة لكم في نفسها وانما المقصود هو العلم الدنيوي مهما تكن وسيلته وانكم لم تذكروا دعوة القرآن إلا بسبب سلبي في المعنى وهو اتقاء « الاباحة والالحاد وعبادة الابدان واتباع الشهوات » وان هذا من قبيل اختيار أخف الضررين لقولكم عقب ذلك « مما ضرره يفوت نفعه » ومفهومه ان الاباحة والالحاد وعبادة الشهوات فيها نفع وضرر ولكن ضررها يفوت نفعها اي يسبقه . ومما اعتقد ان هذه عقيدتكم (١) وما هو بالذي يصلح جواباً عن سؤال مسلم يطلب بيان ما يرتقي به المسلمون في دنياهم مع المحافظة على دينهم والدين عنده هو المقصود بالذات لسعادة الآخرة والدنيا وإنما يريد الدنيا لانها سياج له ولانه دين ملك وسيادة ... وأرى ان هذا القصور في هذه المسألة — وأرجو العفو عن هذه الكلمة — لم يكن له من سبب إلا مجيئها في آخر الرسالة وشعوركم بانها صارت طويلة فوق ما قدرتم لها وإن كانت (هذه المسألة) اولى بالاطالة من غيرها وقد سردتم من الآيات الكريمة في العمل ما استغرق صفحة كاملة يكفي في المقصود منها نصفها او ربعها لان السائل وغيره ممن يخاطبون بهذه الرسالة ليسوا من الجبرية في شيء ... وليس من الجامدين ولا من المزهدين في الدنيا بل هو يفهم هذه المسائل كلها فهما صحيحاً

---

(١) لست ممن يقول بأن الدين ضروري لمجرد منعه اتباع الشهوات بل الدين واجب من الجهة العقلية ايضاً غير اننا استعجلنا النظر الى هذه النقطة لانها محسوسة لا مجال للمكابرة فيها .

لانه من تلاميذ أخيكم هذا كان في مدرسة الدعوة والإرشاد ويقرأ المنار وتفسيره ولكنه لا يستغني هو واستاذه عما في الرسالة من الشواهد والعبر التاريخية والسياسية ولاجلها اقترح عليكم ما اقترح وهو هو الذي ترجم رسالة الصلب والفداء باللغة الملاوية ·

ثم إن هذه المسألة أهم مباحث هذه الرسالة وهي هي التي كان وجهها أحد الكتاب في جريدة العهد الجديد إذ قال ان بعض المسلمين يدعون في هذا العصر الى الترقي من طريق الدين ويرون انه يجب عليهم اخذ ما يوافقه من علوم اوربة ومدنيتها وترك ما يخالفه وذكر انها طريقة الشيخ محمد عبده والمنار وبعضهم يرون انه يجب اخذ مدنية اوربة بحذافيرها لانها لا تتجزأ ووجه اليكم السؤال : اي الطريقتين أقوم ؟ وقد كاتبتكم يومئذ في المسألة ولكنكم امتنعتم من الجواب عن سؤاله لانكم لم تعرفوه[1] ·

فأرى انه يجب الان ان تعيدوا النظر في الجواب وتبسطوا بسطاً كافياً شافياً ولو مختصراً والتطويل أولى وأذكركم فيه بالنقط الآتية :

(١) إن الكلام في نهضة المسلمين عن حجج القرآن أقوى مقنع لهم بالقيام بها واعظم مؤثر في انفسهم على اختلاف اقوامهم ·

(٢) إن إقناعهم بالنهضة من طريق الدين لا ينافي قيام كل منهم بما يرقي انفسهم وأوطانهم وإن كان فيها من لا يدين بدينهم ممن قد سبقوهم

---

(١) أتذكر أني أجبته بان الحرية التامة غير موجودة في الدنيا وان الحريات كلها نسبية وان سويسرة أعرق بلاد في الحرية والحال ان قانونها يقيد الحرية الدينية بقوله : انها مطلقة إلا إذا خيف منها على الامن والنظام ·

في النهضة الدنيوية كما تقدم بسطه فكان سبب تخلف المسلمين عنهم جهلهم بأن دينهم يدعوهم الى أن يكونوا السابقين لغيرهم .

(٣) انهم يربحون بالجمع بين النهضتين الدينية والدنيوية بهداية الاسلام بقاء تعاطف شعوبهم وأقوامهم الكثيرة وتوادّهم وتعاونهم وفي ذلك من القوة الروحية والاجتماعية والسياسية ما لا يخفى واعظم شعوبهم ربحاً من هذه الخطة الشعب العربي[1] .

(٤) مافي الاسلام من الوقاية من مفاسد الحضارة المادية واخطار النزعات البلشفية وغيرها .

(٥) فوائد الدين الاخرى التي ذكرتموها وهي صيانة الامة من الالحاد وإباحة المنكر والفساد الخ وأراني قد أطلت اكثر مما قدرت فأقتصر على هذا مما كان خطر ببالي عند قراءة الرسالة وغرضي التذكير بما يجعلها اتم فائدة والرأي لكم وانني منتظر جوابكم . على انني سأبدأ في هذا الاسبوع عقب وصول الجواب ولا يصدني عن ذلك قبولكم بسط المسألة الاخيرة لان موضعها في آخر الرسالة ؟

* * *

---

(١) هذا قد ذكرناه مراراً وآخر مرة في السنة الماضية اذ قلنا ان الجامعة الاسلامية ليست بخطر على غير المسلمين من العرب بل هي عضد للشعب العربي بأمره فلماذا يعطف مثلاً مسلمو الهند والجاوي والفرس والترك والبشناق والارناؤوط على فلسطين ؟ الجواب : لانها مسلمة لا لأنها عربية . واستشهدنا بقول المسيو بريان للمسيو هريو في البرلمان الافرنسي : لا نقدر ان نقطع علاقاتنا بالفاتيكان لان استعطاف الكثلكة من اهم المصالح لفرنسا أفلا ترى ان ٢٥ ـ

وكتب إليّ في ٩ رجب ١٣٤٩ و٣٠ نوفمبر ١٩٣٠ :

سيدي الأخ الامير

وصل كتابك المؤرخ في ٢٠ نوفمبر يوم الاربعاء الماضي ولعل كتابي المطول الذي أرسلته مسجلاً وأودعته ملاحظاتي على الرسالة قد وصل اليك في يوم الاربعاء الذي وصل فيه إليّ كتابك هذا أو في يوم الخميس بعده ٠

(الى أن يقول):

والذي أرى في أمر انتفاعك المالي بقلمك أن تعجل بإتمام الجزء الاول من الحلة السندسية في الرحلة الاندلسية وتعقد له اشتراكاً توزع وصولاته على الجمعيات والاصدقاء في الاقطار المختلفة ويجعل الثمن له عشرين قرشاً للمشترك الذي يدفع الاشتراك سلفاً ثم يكون الثمن بعد الطبع ٣٠ غرشاً ٠ ثم نفعل مثل هذا في الجزء الثاني ونعجل به ما استطعت ويمكن مثل هذا في رحلة الحجاز ان وافقت ٠

أردت أن أكتب اليك مرجوع كتابك الاخير عقب وصوله ولكنني رأيت أن أبدأ قبل الكتابة في السعي لما مهدت له من قبل واخبرتك به وهو مسألة الإذن لك بالمجيء الى مصر فذهبت الى صاحبنا عبد الحميد بك فعلمت انه سافر وبلغني ان صديقنا كانا فؤاد بك سليم في القاهرة فسعيت للقائه فالتقينا في دار المنار وسألني عن أخبارك قبل أن أخبره بشيء فأخبرته خبر العسرة وموسم الزيت عندكم في المواسم الثلاثة ومسألة الصحيفة الفرنسية وخسارتها والعزم على إرسال الاسرة الى بيروت وان

—مليون كاثوليكي في الولايات المتحدة الاميركية اجمعوا على مطالبة حكومتهم بترك بونها التي على فرنسا الخ ٠

الواجب علينا قبل كل شيء السعي ليدخل صديقنا مصر بامرته وذكرت له ما دار بيني وبين الحميد بك سعيد في ذلك وما سيتخذه من الوسيلة ... فرأيته لا يرجو أن يفعل شيئاً وقال إنه يظن ان جل المنع وأصعبه من جهة الانكليز وانه سيختبر ويخبرني ثم اجتمعنا ثانية فقال ان رأيه كان في محله وانه سيقابل صاحب الشأن في ذلك منهم وهو يعرفه ... ثم عدت الى عبد الحميد بك مساء السبت فأخبرني بأنه سيبدأ بالسعي غداً .

في ١٠ رجب ١٣٤٩ :

بدأت بالكتاب مساء أمس (الاحد) وشغلت عن المضي فيه بما لا مرد له وخرجت من بكرة هذا اليوم لأداء دراهم لمصرفين من المصارف المالية مستحقة بموجب كمبيالات واقتضى خروجي أعمالاً أخرى فلم أعد إلا بعد الظهر بأكثر من ساعة ولم أدخل المكتب إلا بعد العصر وأنا أتم هذا الكتاب بعد العشاء وسأرسله في الليل غالباً . (الى أن يقول) :

نسيت أن أكتب اليك في الكتاب المطول الماضي أنني أرى من المناسب أن أكتب لرسالتك مقدمة مختصرة أبدؤها بالبسملة وأذكر صفة السائل لك وما حمله على السؤال فقط فهل ترى هذا مناسباً وتأذن به وهو حق السائل على المنار ؟

أخرت ختم الكتاب لأذكر فيه ما عمله عبد الحميد بك سعيد فسألت عنه بالتلفون مراراً فكنت أجاب بأنه خرج ووعد بالعودة إلى الجمعية ولما يعد وسأخبرك في كتاب آخر بما يكون منه ومن سعي فؤاد بك من الطريق الآخر . سألني فؤاد بك عن الاخ الامير عادل فأخبرته

انه عنده وهو يسلم معي عليكما وأطال الله بقاءكما ونفعكما لامتكما وودكما لأخيكما ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ في ١٧ رجب ١٣٤٩ و٨ دسمبر ١٩٣٠ :

سيدي الاخ الامير

بعد إرسال كتابي السابق — وجل ما فيه وأهمه الكلام في العسرة المالية — جاءت الصحف التي كتبتها في هفوات الرسالة والإذن بالطبع وكان في أيدي العمال جريدتان لا بد لهم من إتمامها في وقت صدورهما وكنت أعطيتهم أصول التفسير لجزء المنار الخامس فأمرتهم بالشروع في جمع الرسالة بعد إتمام الجريدتين وتأخير المنار وإن كان قد تأخر موعده شهراً قبل هذا . ولما شرعت في قراءتها لوضع ما وافقت عليه من تصحيح واستدراكات عثرت بهفوات أخرى في الآيات وفي غير الآيات وذلك أن ما كتبته أولاً كان بعد مطالعتها كلها من غير مراجعة فاقتصرت على ما تذكرت وقت الكتابة . وأنشأت اكتب فيما ظهر لي بعد كتابتها ثم لم أتمه لأنك مستعجل بطبع الرسالة فأبطلت ما كتبت منذ يومين ولم يتح لي إتمامه وتقديمه ورأيت أن أصحح ما أقطع برضاك بتصحيحه قياساً على ما أذنت به . ومن سوء الحظ أن تكتب هذه الرسالة النفيسة بعجل وتطبع على عجل ولكن فيها جملة لم أفهمها عند قراءتها اول مرة ولا ثاني مرة ثم منها ما لا يتبادر الى فهم كل قارئ فوضعت لها حاشية فسرتها بها .

وقد تذكرت عند قراءة الاستدراك المنقول عن جريدة الطان ما

كنت فكرت فيه عند قراءتها ونسيت أن أكتبه اليك وهو مبالغتك في تبرئة الديانة النصرانية من التأثير في إضعاف مدنية اليونان والرومان والقضاء عليها بمثل ما برأت به الديانة الاسلامية . والذي نعتقده أن ما في الاناجيل وسائر كتب العهد العتيق من المبالغة في التزهيد في الدنيا وحرمان الاغنياء من دخول ملكوت السموات والخضوع لكل ذي سلطان والخنوع والاستكانة لكل ذي قوى كان له تأثير عظيم في القضاء على تلك المدنية — وكذلك سيرة الاحبار من باباوات وبطاركة وفهمهم للدين كان له تأثير آخر في ذلك .

ويلي هذا ويتصل به اللين في الرد على من ينكر انه كان للاسلام حضارة والاكتفاء فيه بأن الاسلام قد أفاد الحضارة الشرقية وأيدها.. والواقع أن الحضارة الشرقية كانت عند ظهور الاسلام في طور الانحلال والزوال وان المسلمين لم يلبثوا بعد تمكن ملكهم ان أحيوا العلوم والفنون الميتة ونقحوها وأوجدوا حضارة جديدة إسلامية . . . وانت أعلم منا بهذا وبمن صرح به من علماء الافرنج ومؤرخيهم المنصفين كغوستاف لوبون وسديو و . . . و . . . حتى أن غوستاف لوبون قال في كتابه « تطور الامم » : ان ملكة الفنون لم يتم نشوءها والاستقلال فيها لامة من الامم في أقل من ثلاثة قرون إلا للعرب وحدهم فإن ملكة الفنون قد استحكمت لهم في قرن واحد[1] . . .

وقد كتب لعبد الغني سني التركي رقعة قال له فيها إنني ألفت مصنفاً

---

(١) عدنا فقوينا الجمل التي تشير الى ان الاسلام أنشأ مدنية باهرة منطبعة بطابعه الخاص .

كبيراً في مدنية العرب والاسلام لأُثبت به لقومنا ان العرب اساتذتنا في علومنا وحضارتنا ولكن التربية الاكليريكية الكاثوليكية العامة حالت دون اقتناعهم بذلك . . وفي الرسالة تصريح كاف بأن مدنية العرب نبعت من القرآن ومن محمد عليه الصلاة والسلام وإنما كان اللين وإبهام التساوي في سياق الرد على الطاعنين في مدنية الاسلام — لهذا رأيت أن أعيد اليك الورقات التي فيها هذا الرد راجياً أن تنقحها بما تنفخ في الرد من روحك القوية التي تتجلى في الرسالة من أولها الى هنا ، بما يليق من التفرقة بين الاسلام والنصرانية الحقيقية والبابوية وهذا لا يؤخر طبع الرسالة فانه يقع في الكراسة الاخيرة منها فمتى وصل الورق من عندك يمكننا جمع هذه الكراسة وطبعها في يوم واحد أو يومين فارسل معه كتاب التوصية لعبد الحميد بك سعيد ولمن شئت من أصحابك الذين تعهد اليهم بتوزيع النسخ وارسال ثمنها اليك ونحن نعطيهم من المطبعة ما يطلبون.

في ١٩ رجب ١٣٤٩ و ١٠ دسمبر ١٩٣٠:

بعد كتابة الورقة الاولى أردت أن أرى صديقنا عبد الحميد بك سعيد لأعلم منه ماذا فعل في المسألة التي كلفته اياها . فأخبرني انه كلم رجال البطانة بما أقنعهم به ووعدوه عن اقتناع ورغبة في اقامتك بمصر واشتغالك فيها بخدمة الاسلام وانهم سيتكلمون ويخبرونه بالنتيجة التي يرجون نجاحها قبل الكلام وسيقفي هو على آثارهم ويمهد لذلك من طريق من يدهم تنفيذ ذلك وسألت بالتلفون صديقنا فؤاد بك عما فعل في هذا السبيل فقال انه لما يفعل شيئاً وانه ملازم لدار صهره لزكمة عرضت له.

وقد عرض لنا في هذه الايام أن أم الاولاد قد ألح أهلها بطلبها الى

طرابلس لرؤية والدها الذي يخشون أن يقضي عليه مرضه العضال فاضطررت الى تجهيزها وارسالها وبذلك زادت مشاغلنا والعسرة لا تزال ضاربة أطنابها وقد طلبت من الحجاز ٢٠٠ جنيه سلفة للاستعانة بها على طبع آخر كتاب لهم عندنا ولما يجب طلبنا والامر لله تعالى (ان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) ونحن مكلفون في هذه الايام من قبل محافظة مصر أن نعمل في المطبعة أعمالاً تطلبها مصلحة المطافئ احتياطاً لوقوع الحريق ولما نتمها ولها ذيول ولها نفقات وليس في صدري أدنى حرج ولا ضيق من ذلك ولله الحمد .

العبارة الغامضة التي أشرت اليها في الورقة الاولى هذا نصها :

« ولا شك ان المسلمين الذين يبلغون هذه الدركات من الانحطاط وتركهم الامة الاسلامية وشأنهم يلعبون بحقوقها يستحقون للاسلام التمحيص الذي هو فيه وإنما سمح الله بأن يستولي الاجانب على بلاد المسلمين الخ » .

فالغموض في قولكم يستحقون للاسلام التمحيص الذي هو فيه وقد فسرته بما تراه في الصفحة المرسلة مع هذا .

هذا وانني ارسلت لكم نسخة من الاسلام والنصرانية لاستاذنا لتذكيركم بمشربنا ومشربه في هذه المسألة وما ترسلونه منقحاً او غير منقح فانني أنشره كما هو بدون مراجعة والسلام من اخيكم المخلص ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ في ١٠ رمضان ١٣٤٩ و٢٩ يناير ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير

أحييك تحية مباركة وأهنئك بشهر الصيام المبارك واسأله أن يوفقنا جميعاً لإكمال عدته وما يرضيه من قيامه وتلاوته ، وقد أرسلت اليك نسخاً من الرسالة المباركة ووزعت نسخاً منها على من كلمتهم وكنت أرجو أن آخذ ثمنها منهم كلهم أو بعضهم فلا أرسل اليك كتاباً إلا أن يكون فيه تحويل بمبلغ من الجنيهات ولما تيسر لي قبض شيء ما .

أرسلت إلى جمعية الشبان المسلمين ٥٠٠ نسخة بعد أن كلفت رئيسها بالاجتهاد في توزيع الف نسخة وعقدت للرسالة محاضرة في نادي الجمعية لتكون اعلاناً للترغيب فيها وأخذت لحافظ بك عوض ١٠٠ نسخة فلم أجده فوضعتها في إدارة الكوكب وقد أخبرني بالتلفون بوصولها وشروعه في توزيعها وسألته عن الثمن فقال انه مستعد لدفعه عند التلاقي وسأذهب اليه ليلاً في أول فرصة — واخذت ١٠٠ نسخة لاسماعيل بك شيرين مدير المطبوعات و٢٥ لسليم بك عز الدين فوعد بتوزيعها وطلب غيرها وأرسلت ١٠٠ نسخة الى فؤاد بك سليم في رمل الاسكندرية وينتظر ان يزور مصر في هذا الاسبوع . وأرسلت اكثر نسخ الهدايا الى الذين كتبت لي أسماءهم من أهل هذه البلاد وكتبت الى عبد الرحمن بك عزام أسأله أين أرسل اليه النسخ التي وعدني بأخذها ولما يجب . وأما نسخ الهدايا الخاصة بأهل المغرب فلما أرسلها للعلم بأنها لا تصل اليهم في هذه الايام فما رأيك في ذلك ؟

وأهديت عبد الحميد بك سعيد نسخة وقد كان سافر الى القدس

لحضور جنازة محمد علي الهندي وعاد . وقد وصل امس شوكت علي ونزل ضيفاً عنده فإذا حضرا في الليلة الآتية الى الجمعية فانني أزورهما فيها واهدي شوكت علي الرسالة بالنيابة عنك وقد بالغ الناس في تشييع جنازة المرحوم محمد علي من بور سعيد إلى القدس وفي دفنه وتأبينه وإكرام أخيه وأهله . وفي ذلك فائدة بل فوائد ظاهرة .

وصل كتابك الثاني المرسل من برلين وقد سررت بالتوفيق لرهن الدار التي لك هناك . والقسط الذي على دارنا هنا قد استدنته من بنك مصر ودفعته وصار يجيئنا في هذا الشهر ما يكفي لنفقات الدار والمطبعة من أثمان الورق وهو يناهز ٥٠٠ جنيه . وقد تم طبع الجزء العاشر من التفسير وبقي جمع الفهرس له وطبعه وهو أي التفسير أروج كتبنا ومتى أتممنا طبع الكتاب الذي شرعنا فيه للملك عبد العزيز فسأعتني باتمام طبع تاريخ الاستاذ الامام وهو مما يرجى رواجه بالرغم من العسرة الحاضرة وهذا الكتاب من مطبوعات جلالته هو آخر ما عندنا منها وما عند الله خير وأبقى .

ما ذكرته في كتابك الاخير في شأن أحمد زكي باشا هو من أدلة وفائك وصفاء سريرتك ولعلي أتوخى لقاءه لاطلاعه عليه وإظهار رغبتي في مصالحته مع أبي الحسن الذي رفع عليه قضية في هذه الايام وأظن أن هذا صار يقبل الصلح على شدته .

طال علينا أمد مجيء الأخ الحبيب الامير عادل وقد كان وعد بأن يعود في الخريف فمر الخريف وكاد يمر الشتاء الذي هو خير الفصول في

مصر فعسى أن يكون بخير وعافية والسلام عليك وعليه وعلى الامير غالب وأدامكم الله لأخيكم المخلص؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ في ٢٦ رمضان ١٣٤٩ و١٤ فبراير ١٩٣١:

سيدي الاخ الامير

أحييك وأهنئك بعيد الفطر أعاده الله عليك وعلى آلك وأنتم على خير ما تحبون لأنفسكم ولامتكم وقد ألقي كتابك المرسل من لوزان في ١٦ رمضان فعجبت من أمرك في شدة شغفك بالعلم كيف شغلت نفسك في هذه العسرة الخانقة بتصوير أسفار الكتب القديمة كالاكليل .... وقد بادرت بعد وصوله إلى لقاء الأخ عبد الحميد بك سعيد وأطلعته على الكتاب وسألته عما تجدد في سعيه فقال انه منذ يومين قابل صدقي باشا وذكر له المسألة كما اقترح من ذكرتهم لك من قبل . فاقتنع من غير حاجة إلى التطويل في الاستدلال ووعد بأنه سيكلم المرجع الاعلى فيها ... قلت ومتى يمكننا أن نعلم النتيجة ؟ قال : بعد العيد . قلت : بل يجب عليك المراجعة في هذا الاسبوع . قال : سأفعل إن شاء الله تعالى . وأنوي أنا أن أقابله في الجمعية في الليلة القابلة وأعيد الإلحاح عليه وسيلقي في هذه الليلة صديقنا الثعالبي محاضرته الثالثة في نادي الجمعية وأنوي أن أقترح عليه التنويه بالرسالة للترغيب في شرائها من الجمعية وسأتكلم أنا في ذلك إن شاء الله وأقترح على عبد الحميد بك أن يتكلم فإنهم قد قصروا في

الاعلان عنها فلم يبيعوا إلاّ نسخاً قليلة منها وقد قلت لعبد الحميد بك انه يجب عليه الاهتمام بتوزيع النسخ ·

أسلم على الاميرين عادل وغالب لا زلتم سالمين لأخيكم ؟

رشيد

***

وكتب إليّ في ٨ شوال ١٣٤٩ :

سيدي الاخ الامير حياه الله وأيده

اليوم وصل كتابك الذي كتبت في ٢ شوال ووصل قبله كتاب في آخر رمضان وكتاب في ثالث شوال ولعل كتابي الذي أرسلته إليك في أواخر رمضان وصل بعد إيداع كتابك الأخير في البريد · وأبدأ الآن بالجواب عن الكتاب الاخير لاجعل بقية الوقت في مسألة امان الله خان فأقول :

(١) النسخ التي أمرتم بإرسالها الى الحاج عبد السلام بنونة قد أرسلت اليه في اليوم الذي أرسلت فيه كتابي الاخير اليك وأذكر انني قلت فيه إنها ترسل في ذلك اليوم ولكن أخاه هنا يرتاب في وصولها وله مع شبان المغاربة الذين هنا أخبار في مراقبة البُرُد لا محل لذكرها ·

(٢) كتاب مختار باشا — سأل الشيخ محمد نصيف عبد الغني مني عن ترجمته له فأخبره أنه كان أعطاها لنور الدين بك مصطفى المشهور الذي توفى وانه سيكتب لولده بأن يعطيني إياها لطبعها وأنه لا يطلب شيئاً من الدراهم وإنما يطلب بعض النسخ المطبوعة ليهديها إلى بعض أصحابه وأنا كلفت اسماعيل بك شيرين أن يطلبها من ولده بل هو انتدب لذلك

لانه عنده كولده وقد أخبرني اليوم بعد إعلامه بكتابك هذا أن آخر موعد يضربه لي لإحضار النسخة يوم السبت الآتي (بعد غد) فإن لم يحضرها أرسل إليك الاصل التركي مع التعليق الذي كتبه ولد المؤلف محمود مختار باشا أو أرسل الترجمة مع الاصل لتصحح عربيتها على الاقل ويبقى علينا عمل الرسوم بأخذها عن الاصل فترجئها إلى أن تعيدوا الكتاب مع الترجمة.

والسلام عليك وعلى شقيقك ونجلك حفظكم الله والسيد عاصم يسلم عليكم تسليماً.

أخوك

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ٢٢ شوال ١٣٤٩ و١٢ مارس سنة ١٩٣١:

سيدي الاخ الامير

سرني من كتابك السري الخاص أن رأيتك اتبعت فيه مذهبنا أهل الحديث في الجرح والتعديل بعد أن كنت في عامة احوالك على مذهب الصوفية الذين يغلبون حسن الظن بكل الناس ولا ينظرون إلا الى محاسنهم خلافاً لشقيقك الامير عادل. بل رأيتك فيه تدعوني الى ما هو مذهبي الذي شهدت لي في الحجاز بتمسكي به واتباعه في المنار بمناسبة ما كتبته عنك أثر تلاقينا في بور سعيد وهو مذهب المحدثين. فلا تخف عليّ أيها العزيز أن آخذ كلام المنتقدين لحكومة الحجاز بالقبول على علاته. فالقاعدة عندنا ان الجرح لا يقبل إلا ببيان وأن نمحص الاقوال المتروى في جرح المشددين كابن معين في المتقدمين والذهبي في المتأخرين

وفي تعديل المتساهلين كالحاكم وابن حيان والترمذي . وانني في هذه المسألة قد وقفت على أخبار شفوية و كتابية من كثيرين منهم النجدي والحجازي والمصري والسوري والمغربي وأكثرهم مخلصون لهذه الحكومة وملكها ، لامراء في إخلاصهم . وقد كتبت إلى ... في ذلك وجاءني منه كتاب مطوّل في الموضوع عهد الي فيه أن يكون سراً بيننا وكنت أحب أن يطول البحث فيه بيني وبين ... بعد شفائه وقد جلسنا جلسة واحدة لم تتسع لذكر كل المسائل المهمة ولا لأكثرها وقد رأيت جوابه على انتقادات اخواننا السوريين عين انتقاد زميله الذي كتبه الي وملخصه انهم ينتقدون بالكلام ولا يعملون « إذ لا يصبرون كما صبرنا » ولما ذكرت لفلان رأيي في جلالة الملك قال انه على اختصاره قد صوره كما هو لم ينقصه من حقه شيئاً ولم يعطه أكثر منه .

(الى أن يقول السيد) : وستكون مطبعتك بعد أسبوع خالية من المطبوعات الخارجية ليس فيها دراهم ونسأله تعالى أن يجعل بعد عسر يسراً ويرزقنا جميعاً من حيث لا نحتسب والسلام عليك وعلى شقيقك ونجلك من اخيكم ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في ٦ ذي القعدة ١٣٤٩ و ٢٥ مارس سنة ١٩٣١ :

سيدي الأخ الامير حياه الله تعالى

وصل كتابك الاخير منذ اسبوع وأردت أن أرجىء رجعه يومين للوقوف على ما أحب أودعه اياه فاقتضت الحال امتداد الارجاء كل هذه

المدة وقد أخذت يوم السبت الماضي ترجمة كتاب «اسرار القرآن» من اسماعيل بك شيرين فألفيت فيه غلطاً كثيراً يتعذر عليّ اصلاح بعضه دون بعض والذي يتعذر علي منه هو الذي يتوقف اصلاحه على فهم الاصل التركي وسأرسله اليك لترى هل يمكنك اصلاحه بالمقابلة على أصله أم ترى استئناف ترجمته أسهل؟ وعلى كل حال أقول لا حاجة الى الاسراع فيما تختاره بل انت في أناة وريث ما شئت وأحب أولا ان تترجم لي خطاب محمود مختار باشا في الاذن لي بترجمته ونشره فقد قال لي اسماعيل بك شيرين انه يطلبه مني ولا أدري سبب هذا ولعله ظن ان طبعنا لترجمة عبد الغني سني بالاتفاق معه يعارض هذا الخطاب وتواعدت مع اسماعيل بك على زيارته بعد مجيء فؤاد بك سليم من الاسكندرية فان الباشا يحبه ويسأل عنه . وقد جاء فؤاد بك منذ ثلاث أو اربع ولما يزرني ولا بد ان نلتقي قريباً ان شاء الله تعالى .

وأهم أنبائي لك انني كنت اطلعت عبد الحميد بك على مكتوبيك اللذين نصلت فيهما شؤون أبي سعيد الخ . (الى ان يقول) :

أما ما سألتني عنه من تقدير نفقة « رحلة الحجاز » فجوابه الدقيق يتوقف على نوع الورق وعدد المطبوع وأقول بالاجمال ان طبع الفي نسخة على أجود الورق يبلغ ٣٤ جنيهاً او ٣٥ وعلى ورق دونه يبلغ ٣٠ جنيهاً فقط او ما يقرب من ذلك وقد رخص سعر الورق قليلا في هذه الايام . ويمكننا الاستعانة على طبعها بالاشتراك ان شئت وبما عسى ان نجمعه من ثمن الرسالة الاولى بعد الحصول على نفقة طبعها . وكنت احب تأخير هذا ولكن العسرة لا تزال آخذة بالخناق وقد تم طبع الجزء العاشر من

تفسيره وسأرسل اليك نسخة منه أحب ان تقرأها كلها بنظام ثم تقرظ التفسير بما لا اطالبك بحق في نشر سواه وانما يسهل عليك هذا اذا جعلت لمطالعة الجزء وقتاً معيناً كساعة من الليل او النهار او اكثر والسلام عليك وعلى الصنو الكريم الامير عادل والفرع النجيب الامير غالب وأسأل الله ان يجمع شملنا بكم عن قريب ؟

محمد رشيد رضا

***

وكتب اليّ في ٣ ذي الحجة ١٣٤٩ :

سيدي الاخ الامير حياه الله وأمتع به

أحييك وأهنئك بعيد النحر السعيد أعادك الله الى امثاله عشرات السنين قرير العين بامتك وولدك وقد وصلت اصول رحلتك المطبوعة والمخطوطة متصلة وما وصل اليوم منها فيه مكتوب شخصي لي يبشر بقدوم الاخ الامير عادل ولم اكتب اليك في هذه المدة لانني انتظر شيئاً مفيداً أنبئك به — ولما أجد وقتاً اقرأ فيه شيئاً من الرحلة الا انني رأيت بالمصادفة كلمة (اجاوب) بمعنى اجيب وهذا مما اعتاده قلمك ولسانك وقد غيرته من الرسالة التي طبعناها لان المجاوبة بمعنى المحاورة ولا يستقيم وضعها في مكان يقصد به رفع اعتراض وازالة ابهام ولم نتفق اتفاقاً صريحاً على جعل المطبوع من الرحلة الفي نسخة بل أذكر انني عملت لك حساباً تقريبياً لهذا القدر من النسخ ونسيت هل هو بقطع المنار او بقطع رسالة « لماذا » . وذكرت انك حسبت ان النفقة تكون اكثر مما ذكرت

لك وانني بالطبع احسب عليك اقل ممكن من اجرة الطبع دون ادنى حساب للتصحيح . (الى ان يقول):

وسأكتب لك في فرصة قريبة ان شاء الله كتاباً مفصلاً والسلام.

رشيد

***

وكتب اليّ في ١٨ ذي الحجة ١٣٤٩ و٦ مايو ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير بارك الله في عمره وبارك للامة في قلمه وعلمه وعمله

سلام عليك . وصل امس كتابك رقم ٢٩ ابريل فسررت كل السرور بما ذكرت فيه من تأثير الرسالة في إرجاع بعض الشبان المتفرنجين[1] الملحدين في بلاد المغرب المختلفة الى الاسلام وتذكرت مراجعتي لك في وجوب بسط المسألة الاسلامية المعلومة من مباحثها لاجل هذه الغاية وترى مع هذا كشفاً بما ارسل من نسخها الى الاقطار ولما يجئنا من اثمانها شيء. وذكرت لك قبل ما وزعنا من النسخ هنا وما وصل من ثمنها .

وأما الرحلة فقد كنت قبل العيد اعطيت عمال المطبعة نسخاً مما نشر في الشورى لجمعها ولكنني وجدت اولها خبر السفر من السويس فعجبت كيف عنيت باتمامها وكنت ترسل كل ما تكتبه في الاسبوع مرتين أو اكثر مسجلا مع عدم الحاجة اليه اذ لا يمكن طبعه ولا طبع شيء من الرحلة قبل مقدمتها ثم وصلت المقدمة في ايام العيد ولا عمل فيها فأعطيتها للمطبعة بعده في اول هذا الاسبوع وقد جمع منها اربع كراسات

---

(١) كانت أتتني رسائل من الجزائر وغيرها في هذا المعنى.

وسيبدأ بالطبع غداً ويتم ان شاء الله في مدة قليلة ونرسل اليك ما يطبع كراسة بعد اخرى او اكثر .

مصححو المطبعة يصححون ما يجدم بمقابلته بالاصل ثم اقرؤه انا ثم اقابل المثال الاخير على تصحيحي واذا اشتبهت في شيء طلبت الاصل . واما تصحيح الاصل فمنه وهو اهمه ما هو دبني كتصحيح آية او حديث او حكم شرعي وهذا قليل في الرسالة ومنه حديث « الخلق عيال الله » الخ . وفي أصلك المطبوع « الفقراء عيال الله » وهو المشهور على الالسنة ومنه صيغة التلبية ذكرت في آخرها كلمة « لبيك » وهي ليست من المروي في الصحيح . ومن الاحكام قولك في الهرولة في وادي محسر انها مما جرت بها العادة فصححتها بانها مما خصت به السنة — ومنه ما هو غير دبني محض ولكنه يوهم عند علماء الدين غير المراد منه كقولك في المقدمة « المبعوث بالتوحيد والعدل » وكلمة « التوحيد والعدل » شعار مذهب المعتزلة ويعنون به لازمه من نفي صفات الله تعالى لانه يقتضي القدم المنافي للتوحيد الخ فصححت العبارة هكذا : « المبعوث لاقامة الحق والعدل واتمام مكارم الاخلاق » واما ما هو خاص باللغة فسأبينه في كتاب آخر .

بدأت بهذا الكتاب مساء امس (الاربعاء) وكنت متعباً ضيق الصدر فلم أتمه ونزلت صباح اليوم الى محافظة مصر وعدت بعد الظهر وانا اتمم هذا الكتاب بعد العصر وقد قابلت تصحيح الملزمة الاولى من الرحلة وسأخرج بعد قليل واذهب الى جهة سراي القبة لانني مدعو الى العشاء عند فضيلة مفتي الديار المصرية واهم ما اقوله انني رايت آخر ما نشر في جريدة الشورى لا يظهر اتصاله بأول ما بعدها من المخطوط بالقلم وسأعيد النظر

فيه وأخشى إذا كان الامر كما ظهر لي بادي الرأي أن نؤخر الاستمرار في الطبع لاجل مراجعتك في وصل الكلام وعسى أن لا نحتاج الى ذلك.

راجعت عبد الحميد بك بعد العيد في المسألة المعلومة فقال انه أجيب من قبل البطانة بأنه لم يبق عند مولانا مانع — وانه لم يبق إلا الامر الرسمي. ولعله قريب وسأطلعه على ما يتعلق بالمسألة في الكتاب الأخير وألحّ عليه بالإنجاز وعسى ألاّ يكون جهادك الاخير في سبيل الله مانعاً جديداً ... والسلام؟ أخوك

رشيد

***

وكتب إليّ في ٢ المحرم ١٣٥٠ :

سيدي الأخ الأمير المجاهد

أحييك مهنئاً بالعام الهجري الجديد الذي انتصف به القرن الرابع عشر وأسأله تعالى أن يجعلني وإياك من المجددين فيه لمجد الاسلام وأن يقر أعيننا بالظفر في جهادنا في سبيله وقد وصل أمس كتابك الذي تستعجل به توزيع رسالتك (لماذا) متبرماً من بطئنا ... ولعله قد وصل اليك بعد إرساله بيوم أو يومين كتابي المتضمن لكشف التوزيع وعلمت اننا أرسلنا جميع النسخ التي أمرت بإرسالها الى الاقطار واننا وعيشك لم نجتهد في تصريف شيء من مطبوعاتنا عشر اجتهادنا في نشر هذه الرسالة لاجل موضوعها ولأجلك اولاً ولاجل حاجتنا الى ما أنفقناه على طبعها سلفاً والاستعانة على طبع الرحلة . ولكن ليست العبرة بالتوزيع وسرعته وإنما العبرة بتحصيل ثمن ما يوزع . وقد علمت انه لما يصل الينا

شيء ممن أرسلنا اليهم بضع مئين من النسخ وقد أرسلنا نسخاً اخرى الى بعض المكاتب التي تعاملنا في بيروت وتونس وجاوه وأصحابها يعاملوننا بمبادلة الكتب أو بالحساب الجاري . وقد أخبرتك بما وصل إليَّ من اصحابنا وأصحابك في هذا القطر ومنهم من أخذت لهم النسخ بنفسي في سيارة او مركبة اخرى ومن زرتهم مراراً . وسأعيد النسخ التي أعطيتها لجمعية الشبان المسلمين ولم يصل إليَّ منها الا مائة وخمسون قرشاً وسأعيد مطالبة حافظ بك واسماعيل بك شيرين .

سبب انهماكي في الشغل ان المنار تأخر عن موعده أكثر من شهرين لما لا حاجة الى شرحه فأنا منهمك في تحريره مع الاعمال الاخرى ولهذا لم أجد وقتاً اكتب اليك فيه شيئاً عن الرحلة وقد ارسلت الى البريد امس ما طبع من الملازم بعد ما أرسلته اولاً . وقد جاءني من ملك الحجاز ونجد كتاب يشكر لي فيه نصائحي بشأن الإصلاح الذي اقترحته عليه ووعد بتفصيل البحث بعد موسم الحج ولعلي أرسل مع الامير عادل بعض التفصيل الذي نقرره بالاشتراك مع اخينا فؤاد بك سليم والسلام عليك وعلى نجلك النجيب؟

اخوك

رشيد

***

وكتب إليَّ في ٣ المحرم ١٣٥٠ و٢١ مايو ١٩٣١ :

سيدي الاخ أمير الكتاب والمجاهدين

أرسلت اليك أمس كتاباً وجيزاً وقد التقى إليَّ اليوم كتابك في ١٤ مايو فرأيتك أطلت فيه الكلام عن .. و ... ولا يستحقان هذه

الإطالة وقد حجرت الحكومة المصرية على الاول منذ وصل الى ارض مصر عائداً من الحجاز ووضعته تحت المراقبة لا يكلم أحداً ولا يكلمه أحد إلا على مرأى ومسمع من بوليسها . وأما الآخر فقد قطعنا آمال الذين سعوا الى ما يسمونه الصلح مع من ختم الله على قلبه فلا يرجى منه صلاح . ولا حاجة لتضييع الوقت بكتابة اكثر من هذا في شأنه . وكنت ارسلت اليك ترجمة كتاب مختار باشا والجزء العاشر من تفسير المنار فلم تذكر انها وصلا اليك ولولا انني أمرت المكتبة بإرسالها مسجلين لخشيت ان يكونا فقدا . وكذلك أرسلت اليك في العام الماضي الجزء الاول من (تاريخ النجوم الزاهرة) ولم يأتني منك خبر بوصوله .

سبب تغيير جملة او كلمة (العدل والتوحيد) انه عز عليّ ان يسيء الظن فيك اهل السنة ولا سيما السلفيون ولا يلتفتون الى الحاشية او يرون انها تأويل مني ولم أحب ايضاً ان استدرك على اول صفحة من المقدمة كما فهمت . وكلمة الحق والعدل التي استبدلتها بها أجمع فإن الحق يشمل جميع العقائد والاخبار الإلهية كما ورد في تفسير (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً) صدقاً في الاخبار وعدلاً في الاحكام .

ولم أجد وقتاً لبيان ملاحظاتي اللغوية ولكن يجب ان تعلم انني لا أغير لك كلمة الا بخير منها إن كان لها وجه من الصحة كالوجه الذي كررت ذكره في مكتوباتك الاخيرة في المجاوبة وانني ما غيرتها في رسالة « لماذا » الا بعد ان راجعت جميع ما عندي من كتب اللغة في مادتها . وانني بعد ذلك وبعد ما كتبته في كتابك الذي بين يدي وفي كتب اخرى قبله لا ازال ارى ان المجاوبة ليست نصاً في الاجابة عن الاسئلة

والايرادات الاعتراضية العامة والمفروضة وإنما هي المحاورة بين شخصين او اشخاص في موضوع ما . فإن كان يدخل في عمومها ما قد يختلف فيه المتجاوبان ويسأل فيه احدهما الآخر او يعترض عليه او يسمع جوابه فهذه الجزئية من مفردات او أفراد مدلول العام تسمى جواباً اعني التي يرد بها المسؤول على السائل وانما المجاوبة هي المراجعة بينهما — أفليس تغيير اجاوب باجيب افصح واوضح ان لم يكن اصح ؟ بلى ولكن من خسارة الوقت ان تدور المكاتبات والمحاورات والمجاوبات بيننا في كل كلمة من هذا القبيل في مثل هذا الوقت حتى ما جرى فيه استعمال العلماء والكتاب في كل عصر من قولهم : سئل واجيب واعترض واجيب . بل هو ما ورد في كتاب الله عز وجل (ماذا اجبتم المرسلين . يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم) وإني لاعلم يا اخي سعة اطلاعك في اللغة و كثرة مراجعتك لكتبها في مظنة الخطأ بل أقول إنك كنت اول من نبهني الى مراجعتها عند الكتابة في اول عهدي بمعرفتك اذ كنت قد زرت بيروت في اول عهدي بطلب العلم — وانت سبقتني في الطلب فاجتمعت بك في فندق كوكب الشرق ورأيت معك في حجرتك لسان العرب ولم اكن رأيته من قبل ورأيتك تراجع فيه وانت تكتب بعض المكتوبات ...

في ٤ محرم سنة ١٣٥٠

كتبت ما تقدم قبل المغرب من نهار امس وحال دون اتمامه في الليل مجيء جماعة يختلفون الي بعد المغرب من يوم الخميس الاول والخميس الثالث من كل شهر قمري لمذاكرة العلم والسؤال عن المشكلات وظلوا عندي الى الساعة ٩ مساء وانا اكتب هذه التتمة بعد عشر الجمعة ووقت الكتابة

خير وكنت شرعت في كتابة بحث في الاغلاط اللغوية على ورقة غير هذه ولما رأيت أن الوقت الباقي لا يتسع لإتمامها ألقيتها وأرجو أن أجد وقتاً آخر لهذا البحث ٠

وقد ظهر لي اليوم أمر ساءني جداً وهو أن المطبعة شرعت في طبع المخطوط من الرحلة قبل إتمام المطبوع في الشورى وسبب هذا انني رأيت في بعض مكتوباتك ان عدد ما أرسلته من نسخ الشورى ١٧ وأخبرت المطبعة بذلك فشرع العمال في طبع المخطوط بعد إتمام طبع ما في تلك النسخ ثم رأيت اليوم باقي نسخ الشورى وسأعطيه للمطبعة غداً لاجل جمعه ووصله بما قبله وربما يقتضي هذا تعطيل ملزمة واحدة ٠ واما تصحيح أرقام الصحائف فيما بعد ذلك فيمكن بآلة الرقم ٠

زارني في صباح هذا اليوم اسعد أفندي داغر وبقي عندي الى الساعة ٢ بعد الظهر يقص عليّ ما رأى وما سمع وما علم في زيارته لبغداد ومكثه فيها مدة اسبوعين وقد اجتمع هنالك بالملك فيصل وأخويه علي وزيد وبالوزراء وزعماء المعارضة وكان يعرف اكثرهم من الشام كما اجتمع بكثير من الشبان المتعلمين وقد دعاه الملك والوزراء والكبراء الى طعامهم والاخبار في جملتها وتفصيلها لا تسر ٠ وقد وافاه هنالك الحاج اديب خير وعاد الى الشام قبل عودته الى مصر والسلام عليك وعلى نجلك النجيب ٠ والاخ الامير عادل يبخل عليّ بزيارته فعاتبه إن شئت وحفظكم الله لأخيكم ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليَّ في ٩ المحرم ١٣٥٠ و٢٧ مايو ١٩٣١ :

سيدي الاخ المجاهد في سبيل الله حياه الله ونصره

اليوم وصل كتابك الذي كتبت بعد وصول الملازم للمطبوعة فسرني رضاك عن الطبع والتصحيح وثناءك البليغ على أخيك وعلى مطبعتك . البارحة وصلت برقيتك بعد العشاء والظاهر ان سبب امرك بوقف الطبع حتى يأتي كتاب منك بشأنه هو وصول كتابي الذي ذكرت لك فيه اننا كنا نسينا بعض ما نشر في اعداد الشورى الاخيرة وطبعنا طائفة من الخطوط ومحله بعد اعداد الشورى . وما أدري ما كتبت في هذا الشأن ومهما يكن فلا فائدة منه لان استعجالك ايانا بطبع الرحلة حملنا على تأخير المنار وكل شيء في المطبعة لاجل الاسراع في إتمامها . وقد تم جمعها كلها بالفعل ولكن بقي بعض الملازم في ايدي المصححين ومتى تم تصحيحها نعين انجاز طبعها . وقد بلغت صفحات ما جمع من الشورى كله ١٢٥ صفحة فيكون الغلط في ارقام الملازم التي بعده واخترت ان نصححه بالآلة التي تطبع بها الارقام للدفاتر وقسائم تحصيل الدراهم فهو خير من التنبيه عليه في جدول ما يقع من غلط الطبع وتصحيحه وان كان فيه مشقة .

وقد بلغت ملازم الرحلة المجموعة ٣٥ ملزمة يزاد عليها ملزمة للفهرس ولا أدري هل وضعت او تريد ان تضع لها مقدمة تصدير كما ذكرت في بعض كتبك ام لا ؟ وهل يكون هذا التصدير طويلاً ام قصيراً . ونفقة المجموع الآن مع فهرسه وما يضاف اليه من الغلاف والخياطة يبلغ ستة آلاف وثمانماية غرش لالفي نسخة فيكون ثمن النسخة ثلاثة قروش

واقل من نصف القرش . وهذا القدر من العدد هو الذي ذكرت لك تقدير حسابه الاجمالي في كتاب سابق ولم نقترح زيادة عليه ولا ينتظر ان تروج الرحلة رواج رسالة (لماذا) ولئن أمكن تصريف نسخها الالفين في سنتين لاعدنها كرامة لك او بدء حياة جديدة في مساعدة قراء العربية للمجاهد في سبيل امتهم ونعيد طبع الرحلة ان شاء الله تعالى . (الى ان يقول) :

ولولا شدة العسرة لكان الاحب اليَّ الا نأخذ عمولة على كتب امير الاخوان ومجاهدهم الاكبر وأرى ان مالي ومالك واحد وقاعدتي التي كتبت بها الى المرحوم السيد الزهراوي أن أحق الاخوان الصادقين في المال هو احوجهم اليه فإن تساوت الحاجة وجب ان يبقى المال في يد حائزه منهم . ونحن الآن متساويان في الحاجة وما ذكرته اقرب الى الاعتدال في القسمة .

هذا واني بعد كتابة ما تقدم امس اخذت اصحح بعض ملازم الرحلة فوجدت فيها بحثاً يحتاج الى حواشي دينية وهو بحث طبقات الصخور وعمر الارض وفيه تخطئة للتفسير المأثور في آية (وارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) فان وجد مثل هذا في الملازم الاخرى فربما يزيد عدد الملازم عما ذكرنا آنفاً .

وأرجو أن تعجل بكتابة مقدمة التصدير اذا كنت عازماً عليها وربما اكتب انا كلمة في بيان مزاياها ايضاً وهذه زيادة . ويحسن ان يكون ثمن النسخة عشرة قروش اذا استحسنتم .

وما ذكرت في الكتاب الاخير من استبدال كلمة عثلوج بمسلوج فهو

من تحريف المطبعة لا من تصحيحها ولا من تصحيحي وسأكتب لك ما
وعدت به من بيان أنواع الغلط اللغوي .

وقد بلغني اول من أمس ان الامير عادل تعبت معدته وأمعاؤه بقبول
دعوة بعض المنافقين وسأزوره وإن علمت انه كان من عهد قريب عند
قنصل العراق وهو قريب منا ولم يزرنا ونحن لا حساب بيننا في مثل هذا
والسلام من أخيك ؟

محمد رشيد رضا

***

وكتب إليّ في ٢٤ المحرم ١٣٥٠ و١٠ يونيو ١٩٣١ :

سيدي الأخ الامير

إني ألقي إليّ امس ثلاث مكتوبات منك في بعضها زيادات تريد
وضعها في مواضع من الارتسامات ولكن الارتسامات قد تم طبعها إلا
الملزمة التي فيها خاتمتها فهي لم تطبع لانها ناقصة فأمرت بوضع ما أرسلت
من بيان قبل الحجاز فيها ولم أستحسن أن يكون ذلك براعة المقطع
وحسن الختام بل جعلت الخاتمة بيان عظمة موقع الطائف وما يجب على
الامة العربية فيه . وانني أرسل اليك هذه الخاتمة والملزمة قبل طبعها لترى
رأيك فيها وهل تريد أن تستدرك الزيادات بعدها او بعد الفهرس لخفائه
على القراء كالعسلوج .

وانني لما وضعت الفهرس لها أول من أمس تجلت لي فوائدها مجتمعة
مجملة فكتبت مقدمة لتصديرها ونشرها تجلت عليّ فيها روح همتك وسرعة

قلمك فأتممتها في ذلك اليوم بعد اتمام الفهرس مع النظر في أعمال أخرى من ضروريات الادارة وهي مرسلة اليك قبل طبعها مستقلة لترى رأيك بإجازتها برمتها أو حذف شيء منها وفيما ذكرته من الوقفة في اقتراحك التضييق على فقراء الحجاج ليقل حج غير المستطيع منهم ولعل هذا وغيره مما تراه في المقدمة والحواشي ليقتضي عندك كتابة مقدمة أخرى كما كنت فهمت من بعض مكتوباتك السابقة ·

وأراك ارتبت في عزوي بيت « بردها بردها » الى ابن الفارض واقترحت علي التثبت فيه بمراجعة الديوان وقد راجعته كما أحببت فلم أزدد إلا يقيناً بما أحفظه منه من الصغر حتى انني كنت أردت أن أنشر أبياته هذه كلها في الحاشية وهي أربعة ·

فقبل بيت الشاهد المذكور في الرحلة :

جلق جنة من تاه وباهى　　　　وربأها منيتي لولا وباها

وبعده :

وطني مصر وفيها وطري　　　　ولعيني مشتهاها مشتهاها

(مشتهى اسم مكان بمصر)

ولنفسي غيرها إن سكنت　　　　يا خليلي سلاها ما سلاها

وأما مسألة الاغلاط فقد كنت أكتب على ظهر بعض المُثل التي أصحح طبعها كلمات منها ثم ترمى فلا أجدها وان شواغلي في هذه الايام كثيرة ولكنني سأذكر لك انواع ما أنتقده لاجل التروي فيه والمراجعة له وانني في هذه الايام لا أكاد أكتب الا في اضيق الاوقات وربما أستطيع أن أكتب لهذا ملحقاً قبل إرساله والسلام ؟

رشيد

وكتب إليَّ في ٩ صفر ١٣٥٠ و٢٥ يونيه ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير

وصل كتابك مع الملازم المطبوعة وسرني أن أغلاط المطبعة فيها قليلة بالنسبة الى المعتاد في أدق المطابع تصحيحاً ولم يسرني ما قلت في مقدمة التصدير لاخيك من أنها ذهبت بكذا وكذا من محاسن الارتسامات ولطائفها ولا هو بصواب أيضاً وكل ما في المقدمة من الحسن والصواب إنها إجمال لما في الرحلة من الفوائد والمحاسن حتى أنني لولم أكن طبعتها وأردت أن أقرظها في المنار لقرظتها بمثل هذا وسررت من تنبيهك لجعل كلمة وديان «أودية» وقد فعلت على أنني راجعت شرح القاموس فألفيته يذكر في أواخر ما استدركه على الاصل والوادي يجمع على وديان بالضم أيضاً . وأنت قد كررت هذا التصحيح وجزمت بالخطأ عن مراجعته وأمرت بالمراجعة ... وحسبي أن كلمة أودية هي استعمال القرآن وأن زعم الجوهري انه جمع غير قياسي . وقولك انها سرت إليَّ من استعمال العامة صحيح وأنا أرى ما ترى في مفردات أكثر عرب الامصار لا البوادي فقط أن ما لا يعرف له أصل مأخوذ عن الشعوب الاعجمية التي خالطتهم فهو عربي الاصل وكان الدكتور صروف يرى هذا الرأي أيضاً ولكنني لا أعتمد على هذا في الكتابة (الى أن يقول) :

سرني لقاؤك لنوري باشا السعيد وهو اذكى رجال الملك فيصل — وكذا لقاؤك للشيخ حافظ وهبه وهو أعقل رجال ابن سعود — ويمكنك أن تعرف من نوري باشا عن ابن سعود ورجاله مالا تعلم من غيره فاذا أخبرك بما علم وبما رأى تعلم أن أخاك عادلاً عادل فيما حدثك به . وأما

فيصل فهو السياسي الوحيد في هؤلاء الملوك والامراء الذين ظهروا في العرب في عصرنا وأسوأ ما يسوءني منه أن سياسته لادينية وانه .... لا يكاد ... مع أحد . (الى أن يقول):

وعبد الحميد بك أخبرني امس انه لا يزال يراجع رئيس الوزارة في مسألتك ولعله فرغ الآن لمثلها والسلام عليك وعلى من لديك؟

أخوك

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ٢٩ صفر ١٣٥٠ و١٥ يوليو ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير حفظه الله تعالى

وصل في هذا الاسبوع كتابان منك في الاخير منها حوالة بعشرة جنيهات انكليزية وقد وصل أمس (الثلاثاء) وجاءنا يوم السبت قبله حوالة من سعادة أحمد حلمي باشا بمبلغ ثلاثين جنيهاً إنكليزياً وانحل بذلك شيء من شدة العسرة في النفقات اليومية الضرورية لنا وللعمال الذين صرفنا أكثرهم وليس عند الباقين شغل في كل يوم . (الى أن يقول):

وأما الرحلة فقد أمرنا بجمعها وتهيئتها للتجليد وسنبدأ بتجليد نسختين مذهبتين لإرسالها الى جلالة الملك ابن السعود وسمو نائبه في الحجاز ، (والملك قد سافر الى نجد كعادته) ورأيتك تقول أخيراً إن الرحلة مؤلفة باسم جلالته ولم تذكر فيها شيئاً بهذا المعنى ولا أمرت أن نكتب ذلك في ديباجتها كالعادة ولا أن نضع فيها رسمه ولا رسمك وقد تذكرت كل هذا حين قرأت كلمتك الاخيرة وتذكرت أيضاً انه ليس عندي رسم لك

وأنا أولى الناس به . فإذا أحببت ان تكتب ما يسمى تقدمة الكتاب لجلالة الملك فيمكن ان يكتب أي يطبع ذلك في ورقة مستقلة توضع في أول كل نسخة مع صورة الملك او بدونها أو مع صورتك ايضاً . وعليك ايضاً أن ترسل عند وصول هذا الكتاب اليك برقية بلفظ « انتظروا البريد » او « انتظروا » فقط فإن لم تجيء هذه البرقية فاننا نجلد نسختي الملك والامير ونرسلها في البريد الذي يرسل من مصر الى الحجاز في آخر يوليو الحالي . وليس قبله بريد إلاّ ما يرسل في ٢٠ يونيو وهذا لا ندركه قطعاً وسنرسل اليك نسخة بغلاف كغلاف الرسالة ونسخة مجلدة بقماش ونذكر لك نفقة كل منها لتختار ما تشاء لجميع النسخ او لبعضها دون بعض . هذا وان الاخ الامير عادلا قد سافر الى الحجاز وحملته كتاباً الى جلالة الملك وجاء بعد وصوله بريد بعد بريد ولم يجئني منه شيء فعسى ان يكون قد كتب اليك ما تطمئن به على صحته . وقد سافر بعده الشيخ بهجة البيطار صديق الجميع وجاءني منه اليوم كتاب يخبرني فيه بثناء الملك ورضاه ومودته والسلام على غالب وعلى ابي غالب لا زال غالباً لكل مخالف ومحارب وأطال الله بقاءه لامته ولأخيه ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إلي في ٩ ربيع الاول سنة ١٣٥٠ و٢٤ يوليو سنة ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير حياه الله تعالى

وصل كتابك المؤرخ في   يوليو وكل ما فيه من امر الحوالات والرسالة والرحلة قد تقدم فيما كتبنا اليك في الاسبوع الماضي مفصلا تفصيلا

نعسى ان يكون قد وصل اليك امس او اليوم وأما ما فيه من عثورك على استعمال بعض المولدين لكلمة «جاوب» فكنت اظن ان ما تقدم من محاوبتنا او تجاوبنا في هذه الكلمة يغني عن رجوعك اليها وذكر هذا الاستعمال الذي لا يعد حجة عند علماء اللغة . وقد ذكرني باستعمال مثله لكلمة فيلق كتبته الي مخطئة لقولي في زمن مضى لا اتذكره انها مؤنثة ولم اشأ ان اكتب اليك في مرجوع كتابك ان استعمال ذلك الشاعر او الاديب[1] ليس بحجة لاتفاق علماء اللغة على ان المولدين لا يحتج بعربيتهم فلا يجعل شاهداً . وانا عندما اكتب لمثلك ان كلمة الفيلق مؤنثة مثلاً فانما اعني بذلك الاستعمال الحر الفصيح الثابت عن العرب الذي أحب ان تختاره في كتابك من غير ان ابحث عن الشذوذ المحتمل فيه وعن استعمال المولدين له . فأصل كلمة الفيلق في اللغة معناه الداهية ولما وصفوا به الجيش جعله نقلة اللغة وصفاً لكتيبة منه التي يعتبر فيها هذا الوصف . ومن هنا يمكن ان يقال : ان هذا اللفظ صار من اسماء الجيش وهي كثيرة . فيصح ان نذكره بارادة الجيش مع صرف النظر عن الاصل بل ربما تساهل بعض علماء اللغة انفسهم فقالوا مثل هذا ولكن الاصل الصحيح هو ما

---

(١) قال الحافظ اللغوي الشهير ابن الأبار القضاعي البلنسي في سينيته المشهورة التي يحث فيها ابا زكريا يحيى الحفصي صاحب تونس على استنقاذ الاندلس :

وأوطئ الفيلق الجرار ارضهم حتى يطأطئ رأساً كل من رأسا

ولا مراء في ان المولدين ليسوا بحجة في اللغة لكن الاستظهار بكلامهم ممكن فيما يقع فيه الخلاف.

ذكرت من غير مراجعة لشيء من كتب اللغة بل انا اكتب هذا بجانب حجرة المائدة قبل الغداء لا في المكتب . وقصارى ما ابغي من تأنيث الفيلق ووضع الاجابة موضع المجاوبة حيث لا مراجعة بين اثنين فأكثر في الموضوع ان هذا هو الاستعمال الحر الاصلي في اللغة او الفصيح او الافصح — على الاقل كما يقال — الذي احبه لك ولنفسي . ولو اردت ان اكتب شرحاً للقاموس لما اقتصرت على هذا وانني اجد في كلامك كثيراً من هذه الالفاظ المخالفة في اعتقادي للصحيح او للفصيح فلا أغيرها ولا اذكرها لك لانني اعلم ان ذكرها يفتح باباً للمناقشة لا أجد له فراغاً من وقتي وإن كان لا يخلو من فائدة . ومنه ما أغيره فتقرأ انت التغيير ولا تشعر به لان ما أغيره به لا تشك في صحته وفي كونه مما تستعمله وان الذي غيرته اي تركته لم يجر به قلمك إلا بتأثير قراءتك له في الصحف او كتب المتأخرين . وانني على ضيق الوقت اذكر لك ما علق بذهني من انواع الغلط او مخالفة الفصيح في الارتسامات وأرتقب الفرصة لمراجعة الاصول الباقية لاستخراج الشواهد منها وقد طلبتها من المطبعة الآن . وذكر الانواع الكلية أدعى الى التنبه لما ينبغي تركه او مراجعته من الجزئيات لها عند الكتابة أو عند تصحيحها فان الفئة الراقية من كتاب مصر وأدبائها في هذه السنين أرقى في النقد اللغوي ممن قبلهم من كبار كتاب هذا العصر وأدبائه . بل لم يوجد النقد الدقيق إلا في هذا العهد من عصرنا . وغرضي ان تنتقد نفسك في الحلة السندسية قبل تمثيلها للطبع . واننا ننتظر الآن ما أرسلناه من نسخ الارتسامات الى المجلد لنرسلها اليك

ونستشيرك فيها وأما انواع الانتقاد اللغوي فاكتبها في ورقة مستقلة والسلام من اخيك المخلص؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إلي في ٥ ربيع الآخر ١٣٥٠ و١٩ اغسطس سنة ١٩٣١:

سيدي الاخ الامير

أمس وصل كتابك المؤرخ في ١٩ اغسطس وكله او جله جدال في مسألة او كلمة او كلمتين فرغنا منها . واليوم وصل كتاب آخر مؤرخ في ٢٧ ربيع أول وهو يوافق ١١ اغسطس وقد مررت بتاريخه العربي الهجري . ليس لدي وقت ما للبحث في شيء ما وقد اعتذرت لك مراراً عن هذه المباحث اللغوية راجياً إرجاءها الى خروجي من المأزق الذي أوجب تأخير الجزء العاشر من المنار عن موعده (وهو آخر ذي الحجة) الى الاسبوع الاول من ربيع الآخر اي اكثر من ثلاثة اشهر — وقد اتفق ان هذا جزء آخر السنة وعلي ان أجمع فهرس المجلد كله وذلك يتوقف على تصفح جميع أوراقه واستخراج المواد المهمة وترتيبها على حروف المعجم وقد تم اليوم ولله الحمد وسيصدر الجزء قبل طبع الفهرس قريباً .

واتفق ان تمت فيه سورة براءة (التوبة) وعلي ان أراجعه كله لأستخرج منه مسائل السورة الكلية من أصول وفروع وغيرها . وهذا أشق عمل في التفسير لم اسبق الى مثله وعلي مع هذا أن أبادر الى ختم تاريخ شيخنا رحمه الله وقد طبع منه ٩٥ ملزمة منذ عشرة ايام ونفد

الورق والدراهم والتجار الذين يبيعوننا بالدين ليس عندهم الآن من جنس هذا الورق وسننتظر ٠

مع هذا كله لا بد لي هنا من ذكر كلمات أو كلمات أرجو الوقوف عندها الآن فإن تكرار المراجعة والتجاوب بالعبارات المختصرة كاد يكون مراء ضاراً أو سوء فهم مع اعتقاد كل منا حسن النية في الآخر وإجلاله له وعرفانه بقدر علمه في الموضوع٠

(١) انني والله لم يخطر في بالي أن مثلك او من لا يدنو ان يكون مثلك في علم العربية يجهل أن كلام المولدين ليس بحجة في اللغة ولهذا عجبت لقول شاعر مولد في تخطئة قولي ان كلمة الفيلق مؤنثة ٠ وانا قد ذكرت لك تخريجاً لاستعماله هذا لكي أقفل البـاب لا لانني أراه من الصواب فلم يكن إقفاله ٠ فلم يكن عندي ما أقوله في احتجاجك علي بهذا الشعر إلا تذكيرك بأن كلام المولدين ليس بحجة والآن عدت بقول بعد الاطناب غير المحتاج اليه في علمك بالمسألة أن كلام أمثال هؤلاء الكبار من المولدين يفيد الاستئناس ٠٠٠ وأي حاجة الى ذكر الاستئناس في هذا المقام مقام التذكير بالكلام العربي الصحيح الفصيح لاستعماله ؟ ٠

(٢) انني أعترف بأنه يقع فيما أكتب كثير من الغلط ولا سيما في المكتوبات الشخصية ومن هذا الغلط ما أعرف انه غلط ويسبق اليه قلمي لكثرة استعماله في الكلام العادي ولكثرة قراءة مثله في الجرائد وغيرها ولكن هذا الغلط يكون قليلاً او نادراً فيما اتحرى تصحيحه ولا سيما عند طبعه وقد قرأت انت مقدمتي للارتسامات ولم تخطئني الا في كلمة ودبان وهي صواب ولما ارسلتها اليك لم اكن قرأتها للتصحيح الاخير فلما

رأتها صححت فيها عدة كلمات أذكر منهـا الآن تعدية التبرم بمن وهو
نما يتعدى بالباء .

(٣) إنك لم تنكر عليّ في كتابك الاخير شيئاً الا وقد قعت في مثله
قد خطأتني في كلمة المستلم وانا أعرفها من عشرات السنين كما قلت في
مسألة كلام المولدين و كنت اكتبها المتسلم حتى في وصولات الاشتراك فلما
تركت الادارة عادوا يكتبون المألوف (المستلم) واظن ان الذي كتب
تلك الكلمة السيد عاصم ولا أبرئ نفسي منها ومن مثلها ومن هذا القبيل
نقلك لي في هذا الكتاب ما قاله لسان العرب في المجاوبة والجواب وأن
هذا لشيء عجاب وكذا ذكر قول جحدر وأجاوبك على طريقتك بأن لسان
العرب يوجد عندي وقد راجعته عندما كتبت إليّ اول مرة وراجعت
غيره وكتبت اليك برأيي الممحص في الكلمة ولا أزال عليه . وأمـا
قصيدة جحدر فإنني احفظها منذ اربعين سنة إذ رأيتها في حاشية الامير علي
الفني وأولها :

تأوبني فبت لها كنيماً   هموم لا تفارقني خوانِ

استغفر الله ! أيليق بمثلي ومثلك ان نتباري بمثل هذا الكلام ؟ .
والله .

(٤) إذا نحن وجدنا فراغاً للمذاكرة فيما ينتقد المدققون بمصر استعماله
في هذا العهد لنتحرى استعمال ما لا ينتقد وكان مما نتذاكر فيه مسائل
علم المعاني التي اشرت اليها في كتابي السابق وكانت المذاكرة فيها على
هذه الطريقة من تأويل التعدية الواردة بغير الواردة في اللغة بمثل ماذكرت
في صدر منه وصدر عنه ومن الاحتجاج بالاستئناس أو دخوله في باب

المذاكرة بصفة غير التأويل والاستئناس من صفات الاحتمال فهل يمكن ان نتفق على شيء ؟

(٥) القول الاخير إن مرادي مما ذكرته ومما يمكن أن أذكره في هذا الباب التنبيه والتذكير لاجل تحري الصحيح الفصيح أو الافصح لا الجدال والمناظرة أو المباراة والمناقشة فإن قبل هذا وإلا فلا حاجة اليه ووالله ثم والله لولا أن يعز عليّ أن يكون في كلامك موضع لانتقاد من أعرف هنا من المتنطعين لما فتحت هذا الباب . وأرى أن نجعل ما مضى منه كأن لم يكن وأما المستقبل فما يعجبك منه نخذه وما لا يعجبك فدعه . ولا أحب أن يذكر في ذلك مسائل الاحتمال والتأويل بل نقتصر على ما يصح بالنقل الواضح وبالقواعد المعروفة فقط .

كتب هذا قبيل المغرب وبعده وما كنت أريد أن أزيد على خمسة أسطر .

مسألة الكرم والخمر فجوابك فيها صحيح من الجهة الشرعية بقطع النظر عن تعليله [1] وربما أكتب لك جواباً مفصلاً في كتاب آخر . والآن ينتظرني زائر من أذكياء علماء الازهر والمهم الآن المبادرة إلى إعادة طبع رسالة «لماذا» فاذا كان لك رأي في تصحيح أو زيادة فيها فعجل

---

(١) كان قد وردني كتاب من الجزائر يقول فيه صاحبه : اننا نؤجر كروم العنب فيصنع منها المستأجرون خمراً فهل نأثم في ذلك ؟ فأجبتهم بأني لست من علماء الشرع في الواقع ولكني أظنكم تأثمون فيما إذا صنعتم انتم الخمر لا فيما يصنعه غيركم ولو كان مستأجراً منكم . وبعثت الى الشيخ رشيد بالسؤال المذكور فأجابني بما ذكر .

به واذكر عدد ما يطبع فمتى جاءت الدراهم باشرنا بإعادة الطبع ·

وصل ليلة أول من أمس برقيتك في شأن الامير عادل وهو في الاسكندرية وقد رجوته قبل سفره اليها أن يكتب إليَّ بمكانه وبما يحصل معه فلم يفعل كعادته · وقد بلغ معنى البرقية صديقنا سليم بك عز الدين بالتلفون الى عباس المصلي ليبلغه معنى البرقية وهو متصل به دائماً والسلام عليك أولاً وآخراً ؟

رشيد

* * *

وكتب إليَّ في ١٩ ربيع الآخر ١٣٥٠ و٢ سبتمبر ١٩٣١:

سيدي الاخ الامير حياه الله تعالى

قبل ظهر هذا اليوم ألقي إليَّ كتابان منك تاريخ أحدهما ١٤ ربيع الاول ومعه أوراق في الزيادة التي شرعت في كتابتها لرسالة «لماذا» فوضعتها في ظرف كبير خاص بها وبما سيأتي بعدها — والثاني تاريخه ١٣ ربيع الثاني (والصواب الاخر) [1] !! إلا انه يجوز التوسع فيه لانه ثانٍ بالفعل — وهذا الكتاب خاص ببحث اللغة الذي كثر تجاوبنا او تجادلنا فيه ولم يتمكن أحد منا تمحيصه لاننا نكتب في اوقات ضيقة تتنازعنا فيها الشواغل الكثيرة فيأتي في كلام كل منا ما لا يقبله الاخر وما له لوازم ربما لا تكون مرادة للكاتب فيضطر الاخر الى نفيها ككون ذكر مسألة من المسائل قد يلزم منه التعريض بأن الاخر لا يعرفها —

(١) هذا الانتقاد صحيح ·

وكنفيك في أول هذا الكتاب وجود أدنى موجدة في نفسك من التنبيه ولو اتهمتك بالموجدة لما كتبت اليك كلمة في ذلك . وقد ظهر لي من الكتاب الاخير أن بيننا خلافاً في الرأي دلـ عليه ما قبله دلالة غير قطعية وهو أنك ترى من السعة والسماحة في مخالفة المنقول في المعاجم ومخالفة بعض القواعد ما لا أراه انا على إطلاقه الا ان يقرر مجمع علمي لغوي شيئاً منه فيكون قاعدة تحول دون الفوضى في اللغة كتعدية الافعال ولزومها والتضمين ووراء ذلك ما هو أوسع منه ولا يمكن تحديده وهو الرخص .

وفي هذا البحث من كتابك ما استغربته جداً وهو إنكارك على من يخالفون رأيك هذا انهم لا يجوزون « الا كلام البادية قبل الاسلام » فهذا ما لا أعلم أحداً يقول به . وأما قولك إن كثرة شغلي لا تدعني افكر في ان في اللغة الشاذ واللغات الضعيفة كما تظن فأذكرك بان أكثر شغلي وأعظمه تفسير القرآن وهو يذكرني بهذا إن كان مما يُنسى . وانت قد ذكرت في سياق هذا التنبيه ما وجدت في كتاب الله مما لم ينطق به الجمهور ثم ذكرت بعد ثلاث ورقات شاهداً على هذا وهو قوله تعالى (قتل أولادهم شركاؤهم) ولم تتذكر انني مفسر وقد فسرت هذه الآية وغيرها مما زعم بعض المخالفين كاليازجي انه لحن [1]. وسأذكر لك ما جريت عليه

(١) لا جرم ان في القرآن استعمالات هي مما يدخل في اللغات الضعيفة ومما يخالفه المشهور . ولكني لم أجد في القرآن لغةً إلا وجدت من العرب الجاهليين من نطق بمثلها . وأنا على مذهب أن اللغات المرجوحة لا يجوز هجرها وانها توفي التعبير سعة هي عين المصلحة لها . وكما أنه في الشرع « يحب الله ان توتى

وما كان يراه أستاذنا في هذا النوع او أحيلك على موضعه من التفسير .

ومن الغريب جداً احتجاجك بالاصطلاحات الشرعية الواردة في الكتاب والسنة على أصحاب هذا المذهب الذي لا وجود له ولا لاحد من أهله وهو مذهب ان اللغة ما صح عن بدو الجاهلية . ثم باصطلاحات العلوم والفنون التي وضعت في صدر الاسلام . ثم تخاطبني أنا بقولك بعد شواهد كثيرة في مسألتين (١) مسـألة استعمال « احترم »[1] بمعنى وقّر وقلت انك لم تجدها إلا في متن أساس البلاغة من متون اللغة وقلت لي بعده « أفترى استعمالها خطأ » الخ سبحان الله ! أأنا لا احتج بأساس البلاغة؟ إلا انني أخبرك بأن الاحتجاج به عندي فوق الاحتجاج بالقاموس المحيط ولسان العرب وهو أدق منهما واصح نقلاً ولا أعرف أحداً ممن تسميهم المتنطعين لا يحتج به . على انني لم أجد الكلمة فيه واما استعمال البوصيري لها في البردة او غير البردة فلا قيمة له البتة وأعلم منه الفقهاء وهم يستعملونها .

ـ رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه » كذلك في اللغة يحسن أن نأتي باللغات الضعيفة في الاحايين لنثبت أنها موجودة وإن كان المشهور خلافها .

(١) لم أجد « احترم » بمعنى وقّر وتهيّب في كتب اللغة الا قول الفيومي في المصباح المنير « والحرمة المهابة وهذه اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق » وقد ورد في « أقرب الموارد » للشرتوني هذا الفعل وورد معه مثل « لا تحترم فتحترم » اي لا تهب فلا تنال . ولا أعلم عمن نقل الشرتوني ذلك غير اني اتذكر انه قال لي في احد مجالسه الكثيرة معي انه رأى هذه اللفظة في كلام الزمخشري! ومن هنا جاءني الظن بأن يكون الزمخشري أوردها في « أساس البلاغة » والحال أنها غير واردة فيه في مادة حرم كما قال السيد رشيد .

(٢) مسألة « قتل أولادهم شركاؤهم) وهذا أرجو أن تراجع ما قلته في تفسيرها في صفحة ١٢٤ — ١٢٦ من الجزء الثالث من تفسير المنار وتراجع أيضاً ص ١٦ وص ١٨٤ منه .

من الشواهد أو المثل التي ذكرت وجوب التوسع فيها بالخروج في صفة مسمياتها عن أصل اللغة كلمة « بيت » وقلت ان أصله بيت الشعر والصحيح أن العرب استعملته في الجاهلية والاسلام في بيت الحجر وغيره ومنه بيت الله ومنه (وقرن في بيوتكن) و (بيوت النبي) كانت من الحجر فإن قلت إن الاصل الاول في استعماله للبيت الشعر [١] لان البداوة مقدمة على الحضارة (قلت) ان مثل هذا الاصل في تاريخ اللغة لا مدخل له في الموضوع فإن استعمال العرب له في هذا وهذا يكون به كل منهما من صميم اللغة السماعية لا يصح شاهداً ولا مثالاً على التسامح والتوسع .

---

(١) نعم جاء تعريف البيت في كتب اللغة بأنه البيت من الشعر قال في لسان العرب :البيت من الشعر ما زاد على طريقة واحدة يقع على الصغير والكبير اه . ثم قال بعد ذلك : « وقد يقال للمبني من غير الابنية التي هي الاخبية بيت والخباء بيت صغير من صوف او شعر فإذا كان اكبر من الخباء فهو بيت ثم مظلة إذا كبرت عن البيت » وقد ورد هذا التعريف نفسه في القاموس المحيط ولكن الزبيدي نقل في الشرح عن ابن الكلبي ان بيوت العرب ستة : قبة من أدم ومظلة من شعر وخباء من صوف وبجاد من وبر وخيمة من شجر وقُنّة من حجر وسوط؟ من شعر وهو أصغرها . وقال البغدادي : الخباء بيت يُعمل من وبر او صوف او شعر ويكون على عمودين او ثلاثة والبيت يكون على ستة اعمدة الى تسعة اه .

ولكن اصل القاعدة التي فرعت عليها هذا صحيح وهو ان الاسم الموضوع لمعنى من أجناس الاشياء لا يشترط في صحة استعماله في انواع الجنس ولا في جزئياته أن تكون بالصفة التي كان عليها المسمى عند وضع اللغة وهذا لا خلاف في صحته ومثله في قواعد أصول الشرع الاحكام الواردة في أجناس الاشياء لا يشترط في صحتها أن يكون ذلك الجنس في مادته أو صفته مثل الذي كان في زمن الشارع ومثاله المسح على الخفين والجوربين في الوضوء وعلى العمامة أيضاً لا يشترط فيه أن تكون هذه الاجناس مثل التي كانت في زمن الشارع ككون النسيج قطناً او صوفاً الخ ...

وجملة القول إننا انتهينا من هذه المسألة باننا على خلاف مذهبي فيها فكثير من الاستعمال جائز على مذهبك بوجه من الوجوه التي ذكرتها وهو غير جائز على مذهبي . ويقول الفقهاء انه لا يعترض بمذهب على مذهب ولكن يصح الاعتراض على اصول المذهب وأدلته وحسبنا من هذا ما أشرنا اليه . واخبرك بأن هذه المسائل كلها قد كانت موضوع مناقشات طويلة عندنا في المجمعين اللغويين اللذين ألفناهما هنا ولا سيما الاول فقد كان من المتشددين في المحافظة على النقل والقواعد حفني بك ناصيف والشيخ احمد الاسكندري ومن الواقفين على الطرف المقابل الدكتور صروف وغيره وكنت أنا والشيخ أحمد ابراهيم في الوسط . وليس من موضوع الخلاف في القواعد مسألة أسماء الفاعل والمفعول بضوابطها المعروفة . وأما الشيء الذي لا اعرفه من خواص الكتاب ترك الفصيح الذي لا خلاف

فيه الى الشاذ او غير الفصيح او ما لا يصح الا بضرب من التوسع أو التأويل من غير حاجة الى ذلك .

(المسائل) مسألة الاذن للسيد علي باعبود بترجمة « لماذا » ان كان يترجم ويطبع فلا مجال للتوقف في الاذن له وإن كان لا يطبع ولا يكفل من يطبع الترجمة فالأولى أن تستشير الشيخ محمد بسيوني عمران فإنه اولى بالترجمة إن كان يريدها وهو الذي ترجم رسالة الصلب والفداء وهو الذي اقترح عليك كتابة « لماذا » .

(مسألة تاريخ الامام الاوزاعي) لم ارَ هذا التاريخ فاحكم بجدارته بالطبع ولكن من ذا الذي يريد طبعه ونحن عاجزون عن طبع كتبنا ؟ (١) .

---

(١) كنت اطلعت على هذا الكتاب في مكتبة برلين الملوكية فنسخته بالفوتوغرافية ثم طبعته في مصر بمطبعة البابي الحلبي وجعلت له مقدمة ووضعت فيه تراجم الامام ابي عمرو الاوزاعي وعلقت حواشي عليه في تراجم الاعلام الذين ورد ذكرهم فيه وهم كثيرون وقد قمت بهذا خدمة لذكرى الاوزاعى الذي كان يقال له إمام اهل الشام وكان العمل بمذهبه في الشام وفي الاندلس وكان إماماً لاجدادنا وبجوار مقامه مدفون كثير منهم . ولكن لم اعثر في النسخة التي عثرت عليها ببرلين على اسم مؤلفه وبعد ان طبعت الكتاب جاءني من الاستاذ السيد محمد علال الفاسي انه اطلع في فهرس دار الكتب المصرية على نسبة هذا الكتاب وانه تأليف الحافظ الكبير شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن علي بن احمد المعروف بابن حجر الكناني العسقلاني الشافعي المتوفي في شهر ذي الحجة سنة ٨٥٢ فرغ من تأليفه في اليوم الخامس عشر من شهر الله المحرم افتتاح سنة ٨٥٠ —

(مسألة الكرم والخمرة) ما قلته أنت فيها حسن بالاجمال ولكن الذي ينبغي نشره بالتفصيل يتوقف على مراجعة كتب الفقه وسأراجع إن شاء الله قريباً لامر يتعلق بغير المسلمين في المسألة . وأما مسألة ٩٥ فإنما وقفني فيها خاصة بقولك « فكانت كأن لم يكن من جهة نفوذ الهواء » فهذه عبارة لم أفهم معناها ولا عرفت وجه إعرابها فهي معقدة بحسب فهمي [1] والسلام عليك وعلى نجلك النجيب ؟

محمد رشيد رضا

ـ وانه نسخة من مجلد مخطوط بقلم معتاد بخط عبدالغني بن عبد الرحمن البنداق فرغ من كتابتها في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان سنة ١٢٩٣ .

قال لي السيد علال حفظه الله : وقد تعجبت كثيراً من هذه النسبة لان الكتاب من الوجهة الحديثية ليس في مقام الحافظ وراجعت بعض من ترجم لابن حجر فلم أر من نسب له كتاباً بهذا الاسم — ورغم كوني أعلم ما نقله السخاوي من انه سمع ابن حجر يقول : لست راضياً عن شيء من تصانيفي لاني عملتها في ابتداء الامر . ثم لم يتهيأ لي من تحريرها سوى شرح البخاري ومقدمته والمشتبه والتهذيب ولسان الميزان الخ . فلم أطمئن الى هذه النسبة من حيث كونها تدل على ان هذا الكتاب فرغ منه قبل وفاته بسنتين وهو إذ ذاك قد بلغ غايته في العلم والتحرير وأياً ما كان فيجب التثبت من هذه النسبة والتحفظ فيها على ما يظهر لي والله أعلم . اه .

أما اسم ناسخ الكتاب عبد الغني البنداق فهو معروف عندنا وآل البنداق عائلة من أشراف بيروت .

(١) على الحكاية اي فكانت كالشيء الذي يقال فيه كأن لم يكن .

وكتب إليّ في ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٥٠ :

سيدي الأخ الامير المجاهد الكبير

اليوم أتنفس الصعداء وألقي عن كاهلي عبء حمل أنط من ثقله منذ ربع قرن ونيف وهو تاريخ شيخنا الاستاذ الامام قدس الله روحه فقد تم تحرير آخر ملازمه وتصحيحها امس وتطبع مقدمة التصدير اليوم والخاتمة غداً إن شاء الله تعالى ويتلوهما الفهرس او الفهارس ويبلغ المجموع زهاء ١٤٠ ملزمة وهو يزيد او يبلغ ضعفي ما كنا نقدره عند البدء به وبقيَ لديّ كثير مما كان يجب أن يكتب أرجأته الى الذيل [1] .

واليوم أخرج نفسي من الحبس الذي حبستها عليه منذ أشهر وهو أن لا اكتب شيئاً قبل إتمام هذا التاريخ فأبدأ ببشارتك بإتمام العمل الذي يسرك والاعتذار لك عن ترك الكتاب اليك على كثرة حقوقك وسأقرأ غداً إن شاء الله تعالى ما أرسلته إليّ من القصاصات التي بينت فيها رأيك في مسائل اللغة التي تجاوبنا وتجادلنا فيها فقد جاءت في زمن الحبس الذي انتهى ولله الحمد وربما يتيسر لنا تجليد بعض نسخ التاريخ في الاسبوع الآتي بعد طبع الرسوم الشمسية له وقد اقترح علينا اليوم أن نزيد عليها رسوم مكتوبات سعد باشا للشيخ الامام التي عندنا وليس فيما طبع إلا واحد منها . هذا واني منتظر كتاباً منك في المسألة السورية [2] التي بث

---

(١) يبلغ هذا الجزء وحده اي الجزء الاول ١١٣٤ صفحة ولكن لك ان نقول انه تاريخ الحركة الفكرية في مصر والحركة السياسية مدة الخمسين سنة الاخيرة الى وفاة الاستاذ الامام .

(٢) هذه القصة طويلة خلاصتها اننا نحن اعضاء الوفد السوري الفلسطيني ـ

دعايتها الملك فيصل ورجاله في الاسكندرية وسورية وكان وفدكم من أركان سعيه فيها وعسى ان يصل ما تتفضل به عليّ قبل وصول فارس بك الخوري الى هنا والسلام عليك وعلى نجلك النجيب ؟ اخوك

رشيد

***

— كنا نتذاكر مع المرحوم فيصل في المسألة السورية فكان يريدنا على مساعدة أخيه الملك علي أن يكون ملكاً على الشام فقلنا له : إن هذا لا يتأتى منا لانه يكون مخالفاً لقرار اخواننا رجال الكتلة الوطنية الذين قرروا ان تكون حكومة سورية حكومة جمهورية وأنت نفسك اذا مضيت في هذه السياسة تقع في مشكل بين أخيك وبين الوطنيين السوريين وبعد أخذ ورد قلنا له : إن كان يمكنك أن تقنع الدولتين انكلترة وفرنسة بعدم الاعتراض على توحيد العراق وسورية في مملكة واحدة ذات قطرين كما كانت النمسا والمجر فلا شك ان السوريين يعدلون عن الجمهورية ويبايعونك انت ملكاً على سوريا كما انت ملك على العراق . ولكن في هذه الحالة يجب على العراق وسوريا عقد محالفة مع المملكة العربية السعودية تعترف انت فيها بالامر الواقع في الحجاز . فهذا هو البرنامج الذي كنا نحن الواضعين له لا الملك فيصل . وكان مرادنا به وضع الحجر الاول لبناء الوحدة العربية . فوقع لنا من المعاكسات ما وقع وقيل اننا نعمل لاجل فيصل شخصياً وانبرى أناس كثيرون من العرب لمعارضة هذا المشروع الذي كان الترك والافرنج يحسبون له الف حساب فكانت هذه المعارضة من أعجب العجب . ولكن لم يمض على هذا اكثر من خمس او ست سنوات حتى رجع الجميع الى القول بوجوب تحقيق الوحدة العربية وعقد ملك الدولة السعودية المحالفة التي عقدها مع الدولة العراقية وظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

وكتب إليَّ في ١٦ جمادى الآخرة ١٣٥٠ و٢٨ اكتوبر ١٩٣١:

سيدي الأخ الأمير والمجاهد الكبير ايد الله به السياسة والادب ولغة العرب

تحية وسلاماً . اما بعد فقد ألقي إليَّ امس كتابك الكريم وعلاوته السياسية التي هي اكبر منه (او ملحاقه كما يكتب التجديون) ومن حسن الحظ ان كان السيد عاصم عازماً على السفر اليوم فأخرته فوق تأخره الى الآن وهو يكتب لك الآن كشفاً بما وزع من الرسالة وهي على وشك النفاد وبالرحلة والذي وزع منها قليل بسبب العسرة الملقية الخناق ، الشديد الوثاق ، وبلوغها حد ما لا يطاق — وبخلاصة الحساب .

فأما بيانك في المسألة السورية فيغنيني عن إطالة رأيي فيه الاعتراف باتباع أمير البيان فنظرياتك فيه كلها صحيحة وآراؤك فيه راجحة غير مرجوحة والمصالح السياسية ليس فيها عداوة ولا محاباة شخصية ولكن الاخبار فيها يحتاج بعضها الى تحقيق وتمحيص فإصرار فرانسة على ابقاء سواحل البلاد كلها بيدها وجعل سياستها في العلويين شراً من سياستها في البربر لا تدل على جنوحها لجعل سوريا كالعراق . ثم ان المفهوم من جعل فيصل ملكاً للعراق وسوريا معاً لا يدل على توحيد المملكتين بتوحيد ملكها فمن اين جاء هذا الحكم الذي كثر التعبير به ؟

الى ان يقول :

واما ما كتبت في المسأله اللغوية بجريدة الاخبار [1] فمنه ما هو قطعي

(١) كنت كتبت في جريدة الاخبار مقالة في اللغة جئت بعدها بمقالة ثانية

لا مراء فيه ككون معاجمها المعروفة لم تحص مفرداتها السماعية فضلا عن القياسية وكون ما صح عن النبي (ص) واصحابه يعد من صميم اللغة نقل في المعاجم او لم ينقل . ومنه ما فيه بحث وتفصيل كالمنقول عن فصحاء للقادرين ولا سيما المتقدمين منهم فهو على كونه لا يحتج به على عربية ما انفردوا به قسمان : (أحدهما) ما خالف القياس فهذا لا يمكن قبوله على علاته وعدّه من اللغة بغير سماع يؤيد صحة أصله على الشذوذ عند العرب إلا أن ينعقد مجمع لغوي يقرر بعض ذلك بان يجعل بعض أوزان الافعال او جموع التكسير او التضمين قياسياً بقيود يقررها أو إطلاق في بعضها (وثانيهما) ما لا يخالف قياساً مقرراً بل غايته انه لم يسمع « كتقاق » فالراجح في هذا عندي انه من أصل اللغة المسموع الذي لم تنقله هذه المعاجم وربما نقله غيرها بل انا أعتقد ان كل ما ينطق به عوام العرب الى هذا العهد مما لم يسر اليهم من الاعاجم من المفردات فهو مما تناقلوه عن العرب الاولين على تحريف او تصحيف في بعضه او اكثره .

ومن العجيب أن رأيتك ذكرت من الكلم الذي عثرت عليه في كلام الفصحاء وهو مما فات المعاجم « تصاغرت » و« استركبه » و« هاجروا وإلا تهجّروا » و « خطب الناس » او القوم . وكل هذه موجودة في اساس البلاغة .

ـ ثم بمقالة ثالثة في مجلة المجمع العلمي العربي مآلـــ ذلك كله ان ليس للغة قاموس محيط بها كل الاحاطة وانه قد وجد الفاظ عربية صحيحة فصيحة ثبتت في الآثار وفي الشعر الجاهلي ولا تزال نادّة من كتب اللغة فمن هنا لا يجوز ان ننفي من اللغة كل لفظة لا نجدها في المعاجم التي في ايدينا .

في ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠

وأما ما يذكر في مثل تاج العروس في تفسير كلام المصنف او غيره فهو دون ما يؤثر عن بلغاء المولدين المتقدمين كأبي نواس والمتنبي فإن هؤلاء وكثيراً من العلماء الذين قبلهم يستعملون ما راج في عصورهم من الكلام العرفي المستمد من العامية فالامام الرازي الذي ألف في علم البلاغة ولم يقتصر على العلوم العقلية والتفسير اكثر خطأً في لغته من الكتّاب المجيدين في عصرنا وكذا ممن دونهم وكثر غلطه في الاسلوب وتركيب الكلام · ومن المعلوم ان العلماء قد استحدثوا في العلوم والفنون الشرعية والعقلية واللغوية كلماً واصطلاحات وتراكيب غير عربية الاصل والاصل فيها أن تقصر على ما وضعت له ولا يفسر بها الكلام العربي الصميم ككلام الله ورسوله والعرب الخلص فمن اصطلاح المنطق قد يكون — وقد لا يكون · وقد لا تدخل على النفي فيجب أن يقفوا فيها عندما اضطروا اليه من جعلها سوراً جزئياً للقضية الشرطية السابقة · ومنها السؤال عن حقيقة الماهية بما هو كذا ؟ والتفرقة بينه وبين اي شيء هو كذا ؟ وهذا التخصيص ليس بعربي ولكنهم حكموه احياناً في تفسير كلام الله تعالى كقول فرعون لموسى (وما ربُّ العالمين) فوقعوا في تحريف القرآن · وقد نبهت على هذا في التفسير مراراً · وخطأت الرازي في مواضع منها تفسيره كلمة (إله) بمعنى لفظ الجلالة (الله) او بمعنى كلمة (الرب) ·

ومن استعمال علماء المعقول المخالف للقياس النسبة الى الطبيعة بلفظ طبيعي وقد خطأهم فيه المدققون من متأخري عصرنا وتركوه للقاعدة في النسبة الى فَعيلة بفَعَلي · ولكن الاول هو الاصل الاصيل في القياس والثاني

خروج عنه بالسماع من العرب لكثرة شذوذهم في باب النسبة ولكن سمع منهم سليقي[1] فلعل علماء المعقول ومنهم أشد علماء الفنون العربية تدقيقاً (كالسعد التفتازاني والسيد الجرجاني والشيرازي وأمثالهم) قام عندهم الدليل على استثناء النسبة الى الغرائز فإن الطبيعة كالسليقة . وغرضي من ذكر هذا ان الاقتداء بكبار العلماء في الخروج عن القياس المقرر في كتب اللغة وفنونها لا يصح أن تطلق الرخصة فيه تجنباً لوقوع الفوضى في اللغة المفضي الى إضاعتها وإنما يجب أن يناط تقرير ما يصح منه وما لا يصح بمجمع لغوي يكون منضبطاً يرجع فيه الى أصل .

هذا وانه قد حان موعد خروجي لامر ضروري وإني لآسف لانني لم أستطع الكتابة في هذا الموضوع في وقت واسع . وقد علمت من السيد عاصم انه حرر لك حساب الرسالة والكتاب والسلام عليك أولاً وآخراً وعلى نجلك النجيب ومن تلقى من المحبين ؟ اخوك

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ في ٨ رجب ١٣٥٠ و١٨ نوفمبر ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير والمجاهد الكبير

أحييك تحية مباركة طيبة ولو قلت في هذه التحية سلاماً لما كان قولي إلا مقتبساً من قول الله عز وجل في أهل الجنة (وتحيتهم فيها سلام) وقوله (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما الا قيلاً سلاما سلاما) وأنت

---

(١) ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي أقول فأعرب

أجل وأكرم ممن يخاطبون بسلام المشاركة من أحد يعرف الفضل لاهله فكيف بأعرفهم بفضلك وأبلغهم تنويهاً بحمدك وشكرك . وقد ألقي الي كتابك الاقتصادي فسررت جد السرور بخطتك العملية في القصد في المعيشة التي توجبه العسرة الحاضرة وقد سبقتك الى مثلها من كل وجه . وحساب الادارة عندك لا يخطر في بالي اتهامك بالتقصير فيه بل لم أفكر فيه قط ولم أطلع على تفصيل ما كتبه اليك السيد عاصم إلا انه قال لي قبل سفره انه لم يبق في المطبعة الا زهاء ١٥٠ نسخة من رسالة (لماذا) وسأعيد الاحصاء ومراجعة ما وزع منها . ومن المؤسف ان بعض الطرود التي جهزها لما يرسل لعدم الدراهم ولموت التاجر الذي كان يتولى الشحن في البحر من السويس وبور سعيد وتوقف محله وقد خابرنا غيره ممن يتولون ذلك فكان هذا مما زادني شغلاً لم أتعوده على أشغالي وقد زادت حكومتنا أجور البريد كلها . وقد أرسل الي ابو الطيب العقبي من الجزائر خمسمائة فرنك أمكنني بيعها بخمسمائة قرش وهي ثمن الخمسين التي أرسلت اليه من رسالة « لماذا » كما يقول وإنما هي الثمن الكامل لمائة نسخة فما فقد مما أرسلناه اليه حين كان في بسكرة قد عوض مضاعفاً .

هذا وإن ما تتفضل به من تقريظ تاريخ استاذنا كلنا سأنشره في جريدة الجهاد قبل المنار فالمرجو ان لا يكون مشوبا بالمسألة اللغوية ولا السياسية والسلام عليك أولاً وآخراً من اخيك المخلص ؟

محمد رشيد رضا

(حاشية) : الدين الذي عليّ يزيد على الف ومائتي جنيه [1] وهو مقسط

(١) قد أثبتنا في هذا المجموع كثيراً من كتابات الاستاذ المتعلقة ـ

على أشهر متقاربة بكمبيالات وأهم منهـا زهاء أربعمائة جنيه قسط الدار السنوي يستحق في أول يناير وليس أمامنا الآن مورد إلا تاريخ شيخنا إذا سخر الله لنـا من يساعدنا على توزيع مقدار كبير منه كما وعدنا بعضهم . وسأرسل ما تأخر من المطلوب الى مرسيلية. وأما ما طلبت لنفسك فقد أرسل ولعله وصل؟

* * *

وكتب إليّ في ١٤ شعبان ١٣٥٠ و٢٤ دسمبر ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير

عدت من القدس فوجدت أكثر من في الدار مصابين بالنزلة الوافدة

ـ بأزمته المالية وذاك عمداً منا حتى يعلم الناس ان رجـلاً هو في مقدمة خادمي الإسلام في هذا العصر وفي كل عصر بعد اربعين سنة من جهاده المتواصل كان مديوناً وكان بيته مرهوناً وكان في ضنك شديد من جهة معيشته لاسيما انه كان مبسوط اليد معتاداً من صغره الانفاق وإكرام الضيوف وما زال الاستاذ في هذا الضنك إلى أن توفاه الله الى رحمته فوجد عليه بعد موته من الديون ما يزيد على الفي جنيه ولا يزال البيت مرهوناً ولا تزال العائلة تسعى ونحن نساعدهم لاجل بيع خزانة الكتب الخصوصية لعلهم يوفون بثمنها أحد الاقساط المستحقة على البيت وقد بلغ بهم الخناق أن طرحوا للبيع الاملاك المتروكة عن السيد في بلدته القلمون . فتأملوا يا أولي الالباب في مآل هذا الرجل الذي خدم الاسلام تلك الخدمة الجلى التي قلما وُفق اليها أحد في العالم الاسلامي وتأملوا في بهتان أولئك الذين كانوا يتقولون عليه انواع الاقاويل ويتهمونه بالطمع في المال وبقبض الاموال الطائلة من ابن سعود وغيره . وهذا في الغالب عند أبناء هذه الامة جزاء العاملين .

ووجدت نذر الكمبيالات المتعددة متوعدة مهددة . (الى ان يقول :)

كتب إليَّ الشيخ محمد بسيوني عمران أن ترجمة رسالة « لماذا » ...

قد نبه الحكومة الهولندية الى مصادرتها والبحث عما يتعلق بها وهو ...

على نفسه من عاقبة ذلك . وقد وصل إليَّ في القدس برقية من حضر...

وحضرة الاخ إحسان بك بالتعزية عن الوالدة فعلمت منها أنكم لم ...

بوفاتها إلا من جزء المنار وإنني على شكري واغتباطي باخوتكما وعطفكما ...

إن البرقية كانت من نوافل العناية أطال الله لي وللامة بقاءكما والسلام ...

اخوكم

رشيد

(حاشية) متى خف الحمل عني بعودة السيد عاصم أجمع لك اوراق ...

رسالة « لماذا » وأرسلها اليك إن شاء الله تعالى . وقد قرأت مقالتك ...

نشرت في الجهاد رداً على ... وانه لرد محكم ملزم ملجم مفحم كأمثاله من

بيناتك .

* * *

وكتب إليَّ في ١٣ رمضان ١٣٥٠ و ٢١ يناير ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الامير

أحييك وأحيي زميلك الجابري وأهنئكما بشهر الصيام . وقد وصل...

أول من أمس برقيتكما وتلاها وصول كتابك امس وأعجل بهذه الكلمة

الوجيزة وستحيئني بعد نصف ساعة سيارة تحملنا الى الجيزة للافطار عند

أحد الاصدقاء فلا وقت للتطويل ، والتفصيل فيه موقوف على اجتماع مع

بعض اخواننا السوريين منهم الدكتور قدري قنصل العراق للمذاكرة في

...ألة المفصلة في الكتاب والممهد لها بالمقالات الكثيرة وقد كتبت قبل
... كتاباً مطولاً فيها للأخ نبيه بك العظمة وهو في القدس ويراسل
...وانا في دمشق وبيروت . وأنا كتبت اليك قبل سفري الى القدس
...يده بانني موافق على الاتحاد الذي تدعو اليه وإنما كتبت أولاً انني
...أعقل أن تكون فرنسة راضية به[1] وقلت آخراً ولا أزال أقول ان
...ي المرجو له غير واضح وهو ما سنبحث فيه هنا ، والدكتور شهبندر
...افق لنا على العود الى السياسة السلبية ولكن حريته هنا أضعف من
...بنا وفرنسة متفقة مع الحكومة المحلية هنـا . وأما الامير ميشيل فلا
...تغل في المسألة وأنت تفهم تعليل ذلك . وقد أخذ أسعد افندي داغر
...بكما ليطلع الدكتور عليها ويذاكره فيما ينبغي أن نعمل معه بالتعاون
...د الصلح بيني وبينه ويعود إليّ .

أعيدت الينا النسخ التي أرسلناها الى جيبوتي لمنع فرنسة لها من
...ل بلادها وعلى كل منها غرامة للبريد . والسيد عاصم بعيد كتابة حساب
...مل لك وهو يسلم عليك تسليما ؟

رشيد

* * *

(١) لو كانت الامـة العربية اجمعت عليه لكانت فرنسة على الارجح قد
...ضيت به واختارت سيـاسة تقوية العرب في وجه الترك الذين لا تجهل فرنسا
...طماعهم في سورية ولكن ظهر من العرب مع الاسف من عارضوا هذا الاتحاد
...سوري العراقي أشد المعارضة بل أشد من معارضة الترك والاوروبيين فلم يبق
...داع ان تكون فرنسة عربية أكثر من العرب أنفسهم ...

وكتب في ١١ شوال سنة ١٣٥٠ :

سيدي الاخ الامير والمجاهد الكبير

إني ألقي إلي كتابك فأثرت في قلبي تهنئتك إياي بالعيد ودعاؤك لي فيه بالعمر المديد الرغيد ذلك كله من قلبك الطاهر الممتلئ بالحب الصادق والإخلاص والإكبار لاخيك كأنك تراه بأكبر الآلات المكبرة فترى برغوثه فيلاً كبيراً وحباحبه قمراً منيراً فأسأل الله تعالى أن ينفعه بحبك ودعائك وولايتك وإخائك وأن يطيل له وللامة في عمرك وينفعهما بعلمك وعملك ويديم علينا نعم الصحة في الجسم والعقل والقوة في العلم والدين والغنى عن الناس والتعاون على البر والتقوى . ووصل أول من أمس كتابك الوفدي الموقع بإمضائك وإمضاء الاخ الجابري الى أسعد افندي سكرتير لجنتنا فأعجبتني الكلمة الاخيرة منه في حال اخواننا رجال «الكتلة الوطنية» وكل ما فيه حسن بعجب إلا ان هذه الكلمة بينت كنه حالهم في خلافهم ووفاقهم ونطقهم وسكوتهم وما يحسن من الحكمة في معاملتهم والسلوك معهم وهو ما نقترحان على لجنتنا ووفدكم أحق به وأولى وانت أنت أول من يطالب نفسه بهذه الحكمة في لهجة مقالاته التي فهم بعضهم منها الدعاية الخاصة [1] التي سبقت الاشارة اليها بما كان

(١) أي الدعاية لشخص فيصل في قضية ظاهرها الاتحاد السياسي بين سوريا والعراق (سبحانك هذا بهتان عظيم) إننا مـا قصدنا إلا تقوية الامة العربية بالاتحاد ولم نجعله قاصراً على سورية والعراق بل كان برنامجنا من البداية أن يكون ابن سعود داخلاً فيه بصورة محالفة عسكرية اقتصادية سياسية وعلى شرط اعتراف فيصل بالامر الواقع في الحجاز وأن يشمل هذا الاتحاد العربي –

من تكرارها والانحاء على مخالفيها وقد أحسنت في كتابك إليَّ اذ قلت انك توصف بالتكرار وصدقت في قولك إن التكرار ضروري في سبيل الدعاية فان في كتاب الله المعجز للبشر ولغيرهم من التكرار لمسائل التوحيد والبعث وما دونها من مهمات الدين ما ليس له نظير في كثرته مع بلاغته واختلاف أساليبه وحلاوتها المثبتة لقولهم « التكرار أحلى » ولكن كلام البشر يمل بكثرة التكرار مهما يكن بليغاً في مثل موضوعنا وناهيك به اذا أمي. تأويله واشتبه على بعض الناس دليله وقبح من بعض دعاته تصويره وتمثيله .

إن صديقنا الدكتور قدري قنصل العراق متفق مع الدكتور شهبندر وهو من حزب الملك فيصل ومع اسعد داغر وهو على اعتداله وديد لفيصل . على أنه ليس من المصلحة الآن الدعاية لتوحيد القطرين والوطنيون على ما نعلم وهذا الدكتور هو الذي يسعى منذ بضعة اشهر الى الصلح بيني وبين الدكتور شهبندر . وقد سافر قدري قبل العيد الى سورية فالعراق وسيعود قريباً فيخبرنا بكنه الحال في كل من القطرين . ثم ان اخواننا الوطنيين يسعون ويمهدون السبيل لعقد مؤتمر عربي في الربيع الآتي ولما يتم الاتفاق على الموضع الذي يجتمع فيه وسيكون أحسن الفرص لتمحيص مسائلنا هذه كلها ومنها مسألة الخديو وقد ظهرت . ولكن حسن خالد لم

ـ اليمن ايضاً وفيما بعد سائر إمارات الجزيرة . فكان جزاؤنا على هذا المشروع ما كان مما لا نفيض الان بذكره . ولكن الله انتقم بعد زمن قصير وأظهر الحق وأشعر العرب أجمعين ان اتحادهم هو الواقي الوحيد من مصيرهم نهباً مقسماً بين الدول الفاغرات أفواههن من كل جانب .

يتقن تمثيل فصله فيها الى الآن بحسب ما بلغني من أخباره فهو قد كلم أولاً نبيه بك العظمة ليجمعه بالخديو في القدس فلما صارحه هذا بأنه هو وأخوانه لا يعنون بأمر التيجان والعروش وانما يعنون بأمر وطنهم ومن يساعدهم على تحريره من الاستعمار بسعيه وماله ونفوذه ... ترك الجمع بينهما . وقد شاع في آخر رمضان وأيام العيد أن الخديو يسعى ليكون ملكاً لفلسطين مضمومة الى شرق الاردن[1] . وقيل إن الانكليز راضون بذلك — وشاع أن سفر رئيس الوزارة المصرية الى القدس وسوريا لاجل المسألتين . وقد كنت عازماً على شرح هذه المسائل فعرض لي موانع فاكتفيت بهذا الآن والسلام ؟

رشيد

* * *

---

(١) المتواتر حتى عن لسان سمو الخديوي نفسه أنه لم يكن يطمح قط الى عرش سوريا لولا دعوة مصطفى كمال اياه الى انقره ووعده له بمساعدة فعالة لدى فرنسة في جعله ملكاً على سوريا ، وقد كان هذا بعد ان سمع مصطفى كمال بمشروع اتحاد القطرين الذي قامت له أنقرة وقعدت ففكر رجالها بأنه لا يوجد من هو قدير بماله وحركاته على إحباط مشروع اتحاد القطرين اكثر من عباس حلمي . فاستدعوه الى أنقرة على حين كانت بينهم وبينه وحشة وانقطاع وأطمعوه في عرش الشام وأيقن هو أنه حائزه . ولكن فرنسة بالرغم من اصرار تركية بقيت مترددة في قبوله ملكاً على سوريا وجاءت معارضة الملك فؤاد في ذلك الوقت بشدة زائدة لهذا المشروع حائلا دون تحقيقه . وجرت مناقشة بين الخديوي —

وكتب اليّ في ١٧ ذي القعدة ١٣٥٠ و٢٤ مارس سنة ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الامير

حاقت بنا كوارث العسرة في هذا الشهر الشمسي والاضطراب في المسألة السورية وأصدرت فيه الجزء الثاني من المنار فلم أفرغ بالاً للتجاوب معك بالكتاب وقد بدأت بهذا بعد صلاة العصر وإذا بالاستاذ الثعالبي وسعيد بك شامل مع آخرين وصلوا زائرين وباحثين في مسألة لجنة المؤتمر التنفيذية فرأيت أن ألقاهم قبل إتمام الكتاب ...

لقيت الجماعة فوجدت معهم حسن حسني عبد الوهاب من رجال العلم

ـ السابق والحكومة المصرية من أجل ترشيح الخديوي نفسه ملكاً على الشام بعد أن وقع الصلح بينه وبين الملك فؤاد على أن الخديوي يترك السياسة بتاتاً . فكان الملك يحتج على الخديوي بأن ترشيحه لنفسه ملكاً على سورية مخالف لتعهده بترك السياسة . وكان الخديوي يجيب بأنه إنما تعهد في مقابلة الثلاثين الف جنيه التي تقررت له من قبل الحكومة المصرية أن يترك السياسة في مصر دون غيرها . فكان جواب الحكومة المصرية للخديوي بلسان صدقي باشا : إن هذا الكلام غير وارد لان سوريا هي أقرب الاقطار الى مصر والعلاقات بين القطرين لا تحتاج الى بيان . وما زالوا في الجدال معه الى ان علم كون تركية لا تقدر على جعله ملكاً على سورية بدون رضا أهلها ومع وجود معارضة ملك مصر الشديدة . وقيل انه بعد ذلك زين بعضهم له السعي في عرش فلسطين مضموماً اليها شرق الاردن . ولا نعلم مبلغ هذا الخبر من الصحة وان كان له اساس فقد نجاه الله من ذلك لانه قد كان يتهم بممالأة اليهود فكان العرب لا بد لهم من ان يثوروا عليه وهو في غنى عن هذا كله .

والفن والمال والحكومة في تونس فتكلمنا في موضوع المؤتمر قليلاً وفي حالة تونس والمغرب كثيراً . ثم بدا لي ان أرجئ الكتاب الى هذا اليوم (السبت ١٩ ق) ليكون بعد جلسة اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني وما عسى ان يكون فيها مما يجب ان يودع في الكتاب — وموعدها بعد العشاء من ليلة السبت كل اسبوع — وقد أصبحت المسائل التي يجب الكلام فيها كثيرة ولا مندوحة لي عن الاجمال والايجاز فيها:

(١) لجنة الخديو أو جمعيته الجديدة المسماة بالرابطة الاسلامية عجبت أنك لم تكتب إليّ شيئاً في شأنها وأنت السباق لمعرفة أمثال هذه الامور بعدت أو قربت وهذه بين يديك في جنيف ومن مقاصده فيها كما يقول بعض المطلعين على شؤونه خدمة مصطفى كمال في الحيلولة بين المسلمين وبين تجديد الخلافة الاسلامية . ويدخل في ذلك غيظ الملك فؤاد . ويقال ان الملك أرسل اليه من عاتبه في انقرة او الاستانة عندما كان فيها على سعيه لعرش سوريا وانه مناف للاتفاق معه فأجاب بأن الاتفاق خاص بمسألة مصر وهو حر فيما سواها ومن الاخبار الصحيحة التي وقفنا عليها ان الخديو استمال الامير عبدالله للعمل معه والمراسلات متصلة بينهما وهو يطلعه على اسرار ... بل أعطاه أوراقاً سرية في هذا الموضوع .

ومن مساعي هذه الرابطة ان سكرتيرها هو السيد الطباطبائي التي اختارته لجنة المؤتمر الاسلامي التنفيذية سكرتيراً لها وقد كان متردداً في قبول العمل في لجنتنا وتوقف عمل مكتبها على تردده وغيبته في اوربة . وكان الرئيس الحسيني يقول انه لا بد أن يجيء حتى اذا ما زار الشاب الحازم رياض بك صلح القدس ألجأه الى إرسال برقية اليه خالصة الرد

لقاء جوابها يرجئ بيان رأيه الى كتاب يرسله في البريد · ومنذ أيام كتب إليّ أحد اخواننا المطلعين أن جوابه جاء بانه سيحضر في آخر شهر مارس هذا ولكن يجب أن يكون خبره مكتوماً والحسيني لم يخبرني ولا الثعالبي بخبره هذا · ونحن أكثر من يكاتبه وأخاص أصدقائه · وقد كتبت الى نبيه بك العظمة وهو عضو لمكتب اللجنة باختيارها له وليس عضواً في اللجنة نفسها بأن يخبره عن لساني بأنه ليس له أن يقبل إسناد أعمال السكرتارية اليه بدون استشارة أعضاء اللجنة إلا أن يترك لجنة الخديو · ولا ندري ما سيكون في هذه القضية ولا هوى الحسيني فيها[1].

---

(١) كانت للسيد ضياء الدين الطباطبائي رئيس حكومة ايران سابقاً معرفة بالخديوي السابق فلما تقرر انعقاد المؤتمر الاسلامي العام في القدس جاءت الى الطباطبائي دعوة من لجنة المؤتمر فأطلع عليها الخديوي فاهتم جداً بهذا الامر نظير اهتمامه بتعييني ناموساً عاماً للمؤتمر الاسلامي الذي كان انعقد في مكة المكرمة وأخذ الخديوي في مذاكرة الطباطبائي عما يناسب له أن يعمله ليكون له كلمة ومكانة في المؤتمر · ولما كان الطباطبائي من رجالات الاسلام الذين جمعوا الى الحمية الاسلامية والنزعة الوطنية رجاحة العقل ومزيد الخبرة السياسية نصح للخديوي بأن يقوم للاسلام بخدمة عامة تنال رضاء العالم الاسلامي وتكون ميسورة للخديوي لانه لا يعجز عنها · فسأله الخديوي عن نوع هذه الخدمة فأشار عليه بأن يؤسس مكتباً للدعاية الاسلامية في جنيف ينفق عليه من ماله · فطلب الخديوي من الطباطبائي تحرير برنامج لهذا المشروع فحرره له وقد اتيح لي الاطلاع على هذا البرنامج وهو من خير ما فكر به عاقل مسلم · فوعده الخديوي بتنفيذ هذا المشروع وذهب الطباطبائي الى القدس وبشر به المسلمين · إلاّ أنه على تفيئة ذلك وقع

(٢) فلان وأخواه بعضهم لبعض عدو هذا يبغض هـذا لانه يزعم انه سلب منه ملك ٠٠٠ وذاك يبغضه لانه يرى انه ينـازعه في ملك ٠٠٠ والمكاتبات متصلة بينهما في الكيد له ٠٠٠

(٣) مسألة اتحاد القطرين مجمع عليها بين الوطنيين في سوريا ولدي جميع الذين اشتغلوا بالقضية العربية في العراق ومنهم كبار المعارضين كياسين باشا وحزبه وقد يعارض فيها مثل ٠٠٠٠ واللجنة التنفيذية تمهد السبيل وتعد الوسائل للدعوة اليها على وجه يرجي قبوله في القطرين وغيرهما ٠ وقد كتبت في هذين اليومين الى أعلى المراجع في العراق وغيره ٠ وأرى أن تكفوا الان عن تكرار الكتابة فيها وفي تعظيم شأن استقلال العراق وأن لا تطمعوا في هذه الايام في إقناع الوطنيين المصريين بشيء ما

ـ استدعاه مصطفى كمال للخديوي لاجل قضية عرش سورية فعدل الخديوي حالاً عن مشروع مكتب الدعاية الاسلامية في جنيف وجاء الخديوي الى فلسطين فتلاقى مع الطباطبائي ٠ فكان السيد ضياء الدين يستنجزه وعده الذي كان قد أعلنه عن لسانه ٠ وكان الخديوي يجيبه بأن أعمالاً كهذه تخالف مشرب مصطفى كمال الذي وعده بعرش سوريا ٠ فاجتهد الطباطبائي بإقناعه بأن عرش سورية لا يؤخذ من أنقرة بل من نفس الشام ٠ ويقول الطباطبائي ان المرحوم حسن خالد الصيادي مستشار الخديوي كان موافقاً للطباطبائي على رأيه و كان يعزز كلامه من جهة مكتب الدعاية ٠ ولكن الخديوي لم يقتنع بكلامهما فذهب مشروع مكتب الدعاية الاسلامية في اوربة ادراج الرياح مع انه من أشد المشروعات ضرورة للاسلام ٠ وفي الوقت نفسه لم يحصل سمو الجناب العالي على الشيء الذي أهدر هذا المشروع من أجله ٠

يدل على أن الدولة الانكليزية تعمل عملاً ما أو تتصف بصفة ما تصح أن تحمد عليها . فقد اشتد عليهم خناق حكومتهم بتأييدها وحمي الوطيس لنا بكتب مخالفاً لشعورهم الحاضر مما لا يعقل وإن عقل فلا يقبل ألم ترَ كيف فعلوا بشوكت علي ولولا أن لك مكانة رفيعة عند الوطنيين المصريين كافة ومحمد توفيق دياب لا يشذ عنهم في ذلك لأصر على عدم نشر مقالتك في مسألة العراق (١) كما قرر أولاً ثم لما وقف عند

---

(١) من المعلوم ان سياستي كانت ولا تزال سياسة إيجابية محضة أتوخى فيها الجد والفائدة العملية غير مبال بالتهويش والإكثار من الجلبة ليقول العوام إن فلاناً من الوطنيين الذين لا يقبلون اقل تسامح مع الاجانب ولو لم يكن نيل الحقوق بحذافيرها تحت الاستطاعة فبالرغم من شدة حملاتي على الانكليز واستمراري من خمسين سنة على بيان مضارهم بالعالم الاسلامي عندما رضيت إنكلترة باستقلال العراق ولو منقوصاً من احدى جهاته كنت راضياً عن ذلك العمل عارفاً بأن العراق لم يكن لينال اكثر من ذلك في ذلك الوقت . وقد أوضحت أسباب رضا انكلترة بعقد المعاهدة الانكليزية العراقية وقلت : انه كيف كانت الاسباب فهي خطوة عظيمة في طريق الاستقلال لا للعراق وحده بل لجميع العرب . فقام يومئذ اناس كثيرون يتهمونني بتأييد سياسة الانكليز ويجعلون هذه المعاهدة العراقية الانكليزية من المصائب العظيمة على العراق واندفعوا في تيار هذه الاقاويل سواء في مصر او في العراق بشكل يضحك منه كل عاقل . وما مضت الامدة قصيرة حتى صارت مصر وسوريا وفلسطين تغبط العراق على ما نال وتتمنى لو كانت مثله . وأدل دليل على ذلك اغتباط المصريين بمعاهدتهم الاخيرة مع انكلترا وهي حتماً ليست احسن من معاهدة العراق مع هذه الدولة . وكذلك اغتباط السوريين ـ

ذلك الحد في عدم الاقرار لها . وقد أطلعت الاخ سامي على كتابك الذي ذكرت فيه المسألة وكتبت اليك بتفصيل الخبر واني بمناسبة ذكر

— بمعاهدتهم مع فرنسة وهي أيضاً من النمط نفسه . فالذي كان مذموماً من قبل أصبح محموداً من بعد ... وأغرب من هذا أنني بعد أن كنت أُزَنّ بتأييد سياسة انكلترة ! لرضاي عن معاهدة العراق عاد الاشخاص الذين اتهموني بذلك يطعنون بي من أجل تفاهمي مع زعيم حكومة ايطالية الذي سار سيرة جديدة بإزاء مسلمي طرابلس وبناء على نصيحتي أرجع الثمانين الف عربي الذين كان الجنرال غرازياني نقلهم من الجبل الأخضر الى الصحراء حيث مات كثير منهم جوعاً وعطشاً ووزع موسوليني عليهم الاعانات وضمد كثيراً من الجروح . فنسي اولئك الحساد المفترون ما كانوا قد زعموه من خدمتي للسياسة الانكليزية وزعموا فيما بعد كوني أبث الدعاية للسياسة الايطالية! مع علم الناس استحالة جمع هذين السيفين في غمد واحد لا سيما في هذه الحقبة . وما كنت في التفاهم الذي وقع بيني وبين زعيم ايطالية إلا متوخياً للسياسة العملية التي لا يوجد امام العاقل غيرها عند فقد اسباب المقاومة بالقوة الحربية . ثم نسي الحساد المفترون كونهم اتهموني اول مرة بترويج غرض انكلترة واتهموني ثاني مرة بترويج غرض ايطالية ! وزعموا اني في رضاي عن المعاهدة السورية الافرنسية إنما قصدت أيضاً ترويج غرض فرنسة ! ومعلوم عند الجميع أن سياسة هذه الدول مختلفة كل الاختلاف بعضها مع بعض فلا يمكن رجلاً واحداً ان يجمع بينها أبداً اذ لو حطب في حبل الواحدة منهن انقطع في يده حبل الاخرى . قال الله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » . ولكن الحساد يهون عليهم أن يجعلوا للرجل عدة قلوب في جوفه ولو كان ذلك غير معقول ولا مقبول . واني أحمد الله على انهم لم يخرقوا أكذوبة إلا كان الوقت بعد قليل زعيماً بفضيحتها .

المسألة الهندية أخبرك بأن بعض حجاج الهند الذين زاروني في الاسبوع الماضي أخبروني ان أكثر مسلمي الهند صاروا أميل الى الاتفاق مع الوثنيين على الانكليز والبرقيات الاخيرة تؤيد خبرهم ٠

(٤) أرسلت اليكم دعوة المؤتمر العربي والى الامير عادل وإحسان بك وقد بالغت اللجنة التنفيذية الداعية اليه في المقترحات التي أرسلتها معه بما يقيم حجتكم عليهم بالسكوت عن أقرب الوسائل الى الوحدة العربية والبحث في أبعدها وان أدري أكتبتم الى اللجنة رأيكم في تحديد الزمان واختيار المكان أم لا ؟ احب أن أعرف هذا ٠ وقد اجتمع أكثر الذين خوطبوا بهذا في مصر عندي للبحث في المسألة فزارنا من عطّل الجلسة علينا فأجلناها الى يوم الاثنين في ٢١ ذي القعدة (٢٨ مارس) وكان الاستاذ الثعالبي استحسن عقده في صنعاء ٠ ولكن هذا يشق على اكثر المدعوين ويحتاج الى نفقات يهوّن الثعالبي أمرها بمساعدة الإمام التي يجزم بها ٠ ولا ينتظر أن تأذن الحكومة المصرية به اذا أخبرت بموضوعه كما هو ٠ وأنتم لا يمكنكم حضوره في مصر ولا في القدس إن تيسر عقده في احدهما وتيسر لكم حضوره ٠ وسأخبركم بما نقرره هنا في زمانه ومكانه وموضوعاته البعيدة التي اقترحتها اللجنة والقريبة التي سنقترحها هنا ٠

قد رأيتم في المنار ما علقته على تقريظكم في مسألة المرحوم الشيخ عبد الكريم وبقول الذين يعرفونه إننا أعطيناه أضعاف حقه ٠ والسلام عليكم وعلى ولدكم واخوانكم ؟

أخوك

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ٢٢ ذي القعدة ١٣٥٠ و٢٩ مارس سنة ١٩٣٢:

سيدي الاخ الكبير أمير البيان عليه السلام

بعد إرسال كتابي المطول وبياني المفصل زارني سعادة وزير الافغان المفوض الاستاذ المجددي فاقترحت خلوة معه فذكرت له المسألة فقال ان الذي وقع هو أنه سأله أديب خان هل تعرف الامير شكيب ؟ قال فقلت له إنني لا أعرفه شخصياً ولكنني أسمع عنه لشهرته بالدفاع عن الاسلام وسأله أمان الله خان هل كتب إليك الامير شكيب بأن تكتب الى جلالة الملك بالعفو عن ولي خان ؟ فأجابه انه ليس بيني وبين الامير شكيب مكاتبة ولم يكلفني ذلك فقال له أمان الله : أنا أرجوك أن تكتب إلى جلالة الملك بالعفو عنه — قال هذا الذي حصل وأنا أعلم أن الامير يجل أن يكون مخبراً وانه لا يكتب إلا لمصلحة الاسلام فالظاهر أنهم أرادوا أن يسقطوك لظن ظنوه فيك وما كان المجددي في تدينه وشرفه ليسفه نفسه بما نقلوه عنه[1].

---

(١) كان أمان الله خان في مقابلته لي مع أديب خان الدمشقي خال زوجته يوم زارني في لوزان قد شكا إليّ المظالم الواقعة عليه وعلى حزبه في أيام خلفه نادر خان وذكر قصصاً كثيرة . فقلت له : إني لا أريد أن أدخل في قضية النزاع على العرش نفسه إلا أنه إن شاء أن أتوسط في قضية المظالم التي تكلم عنها فإني أجد الى ذلك سبيلا . فقال انه لا يعتقد فائدة التوسط . فقلت : بلى قد يمكن تخفيف الشر . ثم كتبت الى السيد رشيد ليحدث الاستاذ المجددي سفير الافغان بمصر بما أخبرني به الملك امان الله وينصح له بوجوب الاعتدال ورفع الانتقام عن حزب جلالته فورد عليّ كتاب من المجددي ينفي فيه ما ذكره لي

الى ان يقول :

هذا واني أزيدك على ما كتبت في كتابي المطول وملحقه أن اسعد داغر وسامي السراج سافرا اليوم في الطيارة الي بغداد لحضور معرضها عن جريدتيهما ٠ وكان الاول كتب الى جلالة الملك فيصل باسم اللجنة كتاباً فيا عزمت عليه من الرجوع في المسألة العربية الى طورها الاول الذي قامت لأجله الثورة وهو استقلال الامة العربية كلها والبدء بوحدة القطرين الشقيقين وما يتعلق بذلك وطلب وعده الكتابي بتأييدها وعطفه وعطف حكومته وشعبه والمساعدة المادية والادبية ٠ وكتب قبله الدكتور قدري الى وزير الخارجية كتابة رسمية بهذا المعنى ذكر فيه سوء تأثير ما ينقل عن الملك علي والامير عبدالله من الكلام في مسألة سورية كأن البيت الهاشمي جعل

ـ أمان الله خان ٠ ثم جاءني كتاب من أديب خان بوقوع مظالم جديدة بحق جماعة الملك السابق ٠ فبعثت بالكتاب الى المجددي راجياً منه أن يقرأه ثم يرده لي وبأن يكتب الى كابول في معنى النصيحة بالاعتدال ٠ فأجاب المجددي كالجواب السابق ثم ردّ لي مكتوب أديب خان ٠ ثم ذهب أمان الله وفي صحبته اديب الى الحج كما تقدم الكلام عليه ٠ فذهب المجددي أيضاً الى الحجاز وتلاقى معهما وسمعت أنه قال لهما إنه كان مطلعاً على ما دار بيني وبينهما كأنه جعلني مخبراً له! فلما بلغني ذلك كتبت الى السيد رشيد ليسأله عن هذا الامر الذي بلغني عنه وأقول له: إني قد أطلعته على شكايات جلالة امان الله إليّ ما يعانيه حزبه هناك وذلك لينصح للملك الخلف بالاعتدال إن كان ما يقال صحيحاً لا لأتزلف له في شيء ٠ فسأله السيد رشيد عن القصة فأجابه كما هو في هذا المكتوب ثم عاد المجددي فكتب إليّ رأساً بالمآل نفسه ٠

سورية سلعة للمساومة ... وعلى أثر ذلك نشر في جريدة العراق لسان حال الحكومة بيان رسمي من ديوان جلالة الملك في تبرئة البيت الهاشمي من هذه التهم ... وعطف جميع أفراده واحترامهم للسوريين وكون الحق لهم وحدهم في شكل حكومة بلادهم . ونشرت الجريدة بهذه المناسبة مقالة خاصة بوجوب سعي الامة العربية كلها الى الاستقلال وإعادة مجد العرب الخ ولم يكن أحد في العراق يقول ولا يكتب كلمة في العرب وانهم أمة واحدة لا تفرق بينهم أسماء البلاد والاقاليم بل كانوا كالمصريين لا ينطقون الا باسم العراق والعراقيين فهذا شيء جديد ظهر مؤيداً بصبغة رسمية .

وأرسلت أمس برقية الى الاخوين الزركلي ونويهض بأن يذهبا الى صفد لمقابلة أسعد والسراج في طريقهما لاجل التلقين الشفوي لما قررناه في مسألة وحدة القطرين ومسألة المؤتمر العربي . وقد كانت اللجنة كتبت الى بعض رجال حكومة العراق وشعبها المرتبطين من قبل بالعمل للقضية العربية ومنهم ياسين باشا . وسفر اسعد الى بغداد ينهي كل شيء ان شاء الله تعالى وحينئذ يجرد الامير حسام قلمه مرة أخرى في تأييد الدعاية عوداً على ما بدأه هو وحده .

نشرت في الجزء (٣) من المنار الذي لم يتم، نظام جماعة (الرابطة الاسلامية الدولية) او الخديوية كما نشر في جريدة صوت الشعب الفلسطينية وعلقت عليه تعليقاً طويلا بينت فيه الريب والظنون التي تحوم حول هذا المشروع الكبير في نفسه الذي لا يكفي للقيام به ما كان

ينقص [1] المصلحين من المال والقوة وإنما ينقصه الرجال المصلحون وذكرتك في التعليق ولعلي أرسل اليك صورته قبل إتمام المنار لأن تلخيصه في الكتاب متعذر ٠

لم يحضر الاخوان أمس لعقد لجنة التشاور في مسألة المؤتمر العربي وقد فوضني فيه أسعد والسراج بأمر السفر الى بغداد فشرعا بما ينبغي له من الاستعداد والسيد أمين الحسيني موافق لنا على مسألة وحدة القطرين وكتب إليَّ بذلك وهو لا يستطيع الشذوذ عن جماعتنا في فلسطين وعمان وسورية لكنه يربط كل شيء بمجيء الطباطبائي وسنرى ما يكون من أمر مجيئه وعدمه ولا يكون إلا ما نريده إن شاء الله تعالى والسلام عليكم وعلى من لديكم؟

أخيكم

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليَّ في ٩ ذي الحجة الحرام ١٣٥٠ و١٥ أبريل :

سيدي الاخ الامير المجاهد الكبير حياه الله تعالى وأعز نصره

أحييك وأهنئك بعيد الاضحى المبارك داعياً لك ولنجلك النجيب ما

---

(١) مراده أن يقول : يعوز المصلحين من المال والقوة لان كلمة (ينقص) تفيد عكس المعنى المراد ٠ ولقد وردت هذه الجملة في كلام المولدين فقالوا مثلاً : فلان ينقصه العلم وفلان تنقصه التجربة الخ والحال ان العلم والتجربة لا ينقصان أحداً بل يكملانه ٠ وقد ورد هذا الاستعمال في كلامي أيضاً فأخذه عليَّ في كتاب خاص الاستاذ مصطفى جواد ووجدته مصيباً في تنبيهه إلا اني قلت له : المراد هو ان التجربة تنقص فيه فجرى حذف الحرف « في » وعدي الفعل مباشرة من باب الحذف والايصال وله نظائر ٠

أدعو به لنفسي من سعادة الدارين . وقد وصل كتابك الخاص بمسألة سفير الافغان وفيما كتبته اليك في شأنه في كتابي المطول ما يغني عن كتابة شيء بشأنه . ثم وصل كتابك الذي فيه الجواب عن بعض ما في كتابي المطول وهو مسألة الرابطة الاسلامية . وقد وصل قبله الطباطبائي إلى القدس والظاهر انه غير مرتبط برابطة الخديو [1] وقد كتب السيد الحسيني الى محمد علي باشا يخبره بمجيئه وعزمه على العمل في المكتب ويدعوه الى القدس في فرصة عيد النحر وكان الباشا متردداً في الذهاب فأقنعته بوجوبه وذكرت له خلاصة ما في كتابك من خبر رابطة الخديو وقرأت له منه العبارة الخاصة بما يتهدد المؤتمر من أعدائه . وكان قد دعا الاستاذ الثعالبي لمقابلته ظهر امس لانه عضو في مكتب اللجنة التنفيذية مثله ليذاكره في المسألة ودعاني لحضور اجتماعهما ولكن صرفني عنه صارف بعد ان نزلت من الدار ووصلت الى محطة الترام والسيارات فلم اعلم ما اتفقا عليه وسأسأل عن ذلك .

ذهب الى بغداد سكرتير لجنتنا التنفيذية وعاد بعد حضوره معرضها الوطني باسم جريدة الاهرام . وكانت اللجنة عهدت اليه بمخاطبة جلالة الملك وكبار الزعماء من أركان الوحدة العربية على اختلاف مشاربهم وأحزابهم المحلية الاخيرة في الموضوع الذي كتبته الى الملك والى بعضهم باسم اللجنة من استئناف الجهاد القديم للوحدة العربية والبدء بتوحيد القطرين الشقيقين كما علمتم — وقد عاد موفقاً في سعيه مفلحاً في عمله إذ

---

(١) بعد ان عدل الخديو عن المشروع الاسلامي المتقدم ذكره الذي كان اقنعه به الطباطبائي .

انفق الزعماء على تأليف لجنة للعمل معنا ومع إخواننا في سورية وفلسطين وفي مقدمة رجالها ياسين باشا أكبر زعماء معارضة الحكومة ونوري باشا رئيس وزراء الحكومة وكذا رئيس مجلس نوابها ولكن لم يتسع له الوقت لحضور النظام التفصيلي لهذه اللجنة . وسيزور ياسين باشا سوريا وفلسطين ويلقى فيها إخواننا الوطنيين وهم اخوانه واصدقاؤه ويذاكرهم في الموضوع. وسأخبركم بكل ما يتجدد في وقته إن شاء الله تعالى — ولهذا التمهيد الذي شرعنا فيه اقترحت عليكم من قبل الامساك عن الكتابة في المسألة وفي أطرافها وحواشيها. ومما أخبرني به الأخ أسعد أفندي أنه حضر عند ياسين باشا اجتماعاً كبيراً لرجال حزبه فذكر بعضهم أن الامير شكيب كتب في مقالة له في فتى العرب أو غيرها عرَّض فيها بالطعن عليهم [1]. فأجاب أسعد بأنه لم يرَ هذه المقالة ولا يعتقد أن الامير يطعن عليهم ولئن وجد فيها شيء من ذلك فلا يكون إلا عن حسن نية . واقترح اسعد أن اكتب أنا وأنت الى الملك فيصل نشكر له وعده بالمساعدة وسأفعل.

أقصد باخبارك بهذا إبداء رأي لي في مقالاتك هو أن تتوخى فيها ألا تكون رداً على فرد من الافراد ولا على جماعة أو حزب من المخالفين لك في الرأي . وذلك بأن تقيم الحجة أو الحجج على ما تراه وتعتقده ثم على بطلان ما يخالفه من غير أن تشير الى المخالف وتوجه التخطئة اليه ولو مفروضاً وجوده فرضاً فإن كلامك مؤثر يجرح قلب من يرد عليه ويفنده فيجعله خصماً أو عدواً . والواجب أن تكون في جهادك فوق ذلك . انك لأنت كاتب هذه الامة وأمير السياسة الديمقراطي لما

(١) ليس هذا الزعم بصحيح .

فينبغي أن تكون للاحزاب والجماعات كلها إن لم أقل فوقها . والسلام عليك وعلى نجلك وأخيك وزميلك »

محمد رشيد رضا

***

وكتب في ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٠ و٢٩ ابريل ١٩٣٢:

سيدي الاخ الكبير والامير المجاهد أيده الله بروح منه

كتبت اليك كتاباً أرسلته في يوم عرفة ذكرت لك الطور الجديد الذي وفقنا له في قضيتنا العربية وهو تأليف لجنة من كبار رجال العراق لاستئناف السعي لوحدة الامة واستقلالها على أن يكون البدء باتحاد القطرين الشقيقين العراق وسوريا الكبرى ومن الضروري الذي ذكر في بغداد عند المذاكرة في الموضوع أن من الضروري وجود بعض رجال سوريا العاملين المجاهدين في مركز العمل الجديد يكون رابطة الوصل وقد فكرنا هنا في المسألة فرأينا انه يجب أن يكون لمن يرحل للاقامة هنالك عمل ظاهر يصرف عنهم أبصار المنقبين عن المتهمين بالسياسة ويدر عليهم ربحاً أو رزقاً ينبو بهم عن جعلهم عالة على غيرهم ويبيح لهم طلب المساعدة على عملهم وارتأى أسعد ووافقته أن يكون هذا العمل إنشاء صحيفة عربية تكون شركة بين جماعة معينة او غير معينة من الوطنيين الموثوق بهم وهنا تعترضنا العقبة الكؤد في طريق كل عمل في كل محلة عامة لهذه الامة المسكينة التي لا تزال في طفولية الحياة القومية : ألا وهي المال ؟ وناهيك بطلب المال في هذه الحال والعسرة التي جللت الآفاق وطرحت الأوهاق في جميع الاعناق والاخ اسعد مستعد للهجرة والشروع

في هذه الحرفة وهو يستطيع أن يلقى مساعدة أخرى أو مساعدات خفية من أعلى المصادر وأوسطها • فما رأيك في هذه المسألة وهل تملك شيئاً من السعي لها في أميركا أو غيرها ؟ هذا ما دعاني الى الكتابة اليك اليوم على حين أرتقب وصول كتاب منك رجعاً لكتابي الاخير ولبقية المسائل فيما قبله ما وعدت بالجواب عنه •

وثم مسألة أخرى : ربما يصل اليك كتاب من سكرتير لجنتنا وبه عزم اللجنة على نشر برقية في يوم اجتماع مجلس النواب السوري الجديد تعلن بها انتصابها للمعارضة له في جملته وامهال من فيه من اخواننا الوطنيين الى أن تظهر خطتهم فيها فتحكم عليهم وعليها بما يوحيه الحق ويمليه العدل وترجو اللجنة ان يوافقها وفدكم الكريم في ذلك موافقة تعاون عملي جهري • هذا واننا منذ أشهر لم نسمع عن أخينا الامير عادل الحبيب شيئاً ولا ندري مكانه وقد ذكر هنا وفي بغداد وانه يوشك أن يجيء الوقت المناسب لطلبه الى هناك والسلام ؟

اخيكم المخلص

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ١٤ المحرم ١٣٥١ و ٢ مايو ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الامير

اني ألقي إلي أول من أمس كتابك (رقم ٧ المحرم) بعد طول الانتظار غير المعتاد في مثل ما نحن فيه •

الى ان يقول :

وأما مسائلنا السياسية فأنا اذكر لك ما عندنا فيما جاء في كتابك بالايجاز غير المخل بالمراد ان شاء الله تعالى :

(١) مسألة اتحاد القطرين بالتبع للوحدة العربية دخلت بتوفيق الله تعالى في طور العمل فهي لا تتوقف على المؤتمر اذ هي أمر واقع . ولا أقول انها أمر واقع لأن لجنة الفت لها في بغداد من الحكوميين والمعارضين جميعاً . فكم من لجنة ألفت وما وُفقت لعمل وهذه اللجنة لا يتم استعدادها للعمل الا بامور اخرى . وانما أكبر الرجاء في صيرورتها أمراً واقعاً ان سكرتيرها كتب الى سكرتير لجنتنا هنا انه قابل جلالة الملك مع جميل باشا بعد عودته من ايران فأخبرهما انه جاءته مكتوبات من رجال العرب العاملين تشكر له عنايته بالموضوع وذكر كتابي وكتاب الدكتور شهبندر . فالظاهر انك لم تكن كتبت اليه كما اقترحت عليك وانه مسرور من هذه المكتوبات وقد زادته اهتماماً بالمشروع وقال لهما انه سيطلب نوري باشا وياسين باشا ويكلمهما بوجوب العناية والشروع في العمل . وياسين باشا من أرجى العاملين للوحدة العربية ولا يعقل البدء بها الا بتوحيد القطرين وإنما كان يخشى ان يثبطه قلة ثقته بالملك وثقة الملك به او منع المعارضة له ان يعمل بالاتفاق معه ومع رجال حكومته ويقال ان الملك يتهمه بالميل الى الجمهورية وما أرى هذا يصح عن جلالة الملك ولا عنه — ولكنه صرح لاسعد بأن من المصلحة العربية أن يكون الملك طامعاً في توسيع ملكه بضم سورية اليه لاجل ان نضمن مساعدته عليه . وهذا يدل على انه يتمنى نجاح المشروع بمساعدة جلالته . أضف الى هذا خبر عزم الملك على طلبه لحفز همته .

(٢) مجيء ياسين باشا الى سورية وفلسطين تأخر عن موعده الذي

فهمه اسعد منه . وقد اخبرتك اننا كتبنا كلنا الى اخواننا في الشام والقدس وطلب بالعناية به وتكبير أمله في الموضوع واقناعه برياسة اللجنة وجاءتنا الاجوبة بالاستعداد التام لذلك .

الى أن يقول :

(٤) قولك : «يجب عقد مؤتمر في بغداد لطرح قضية الوحدة العربية عليه» يدل على نسيانك لدعوة المؤتمر العربي العام التي أرسلتها اليك لجنته من القدس فالمؤتمر العربي مقرر من قبل تأليف اللجنة الجديدة في بغداد وتأليفها هو الذي رجح عندنا عقده في بغداد . وقد كتب إليّ عجاج افندي أنه جاءه كتاب من ياسين الهاشمي يرجح فيه عقد المؤتمر في بغداد اذا وافق الاخوان المدعوون وان يكون في الخريف الآتي وهذا عين ما كنت كتبته له أنا فإن لم تكن انت وإحسان بك قد كتبتم الى القدس جواباً عن دعوة المؤتمر التي أرسلت اليكما فيحسن ان تعجلا بكتابته وتقترحا ما ذكرت في مكان المؤتمر وزمانه .

واما موضوعاته التي ذكرت لجنة القدس في كتابها المكتوب ٢٥ منها أكثرها من الكماليات الخيالية فقد قررنا هنا عدم البحث مع اللجنة فيها واقتصرنا على خمسة مقترحات :

ا) مسألة الوحدة العربية على قاعدة البدء بتوحيد سورية الطبيعية مع العراق .

ب) السعي لعقد الحلف بين الحكومات العربية المستقلة .

ج) السعي لتوحيد نظام التربية والتعليم والثقافة العربية العامة ويدخل فيها تأليف لجنة او لجان لتأليف كتب المدارس والكتب التي تنشر للعامة والقصص والاناشيد والاغاني القومية .

د) وضع نظام مالي للمؤتمر العام وللجانه الفرعية .

ه) التعارف بين الاحزاب والجمعيات العربية والاول والثاني من هذه الخمس مما اشتمل عليه كتابكم والباقيات مما لا محل للاختلاف فيها وقد تزيدان عليها ما نوافق عليها ولكن الاختصار أولى .

(٥) مسألة افتراص الحالة النيابية في فرنسا من الضروريات في كل ما ذكرتموه وذكرت الجرائد ان الوطنيين في سورية فكروا في وجوب إرسال وفد الى باريز وسنطرح هذه المسألة للمذاكرة في جلسة لجنتنا التي تعقد في الليلة الاتية وقد عزمت عند كتابة هذا البحث على تأخير ارسال كتابي في هذا الصدد لاخبركم فيه ما يتقرر فيها ؟

في ١٥ المحرم .

اجتمعنا البارحة ورأيت الاخوان متفقين على رأيك قبل أن اقرأه عليهم وقد قرروا ان يكتب كل منا الى اثنين او ثلاثة من كبار الوطنيين في دمشق وحلب وطرابلس وبيروت بوجوب ارسال وفد للمطالبة والسعي لاستقلال سوريا برمتها مع وحدتها كما كانت في عهد الدولة العثمانية وان يختاروا من الاعضاء من يقدر على الانفاق على نفسه ونحن نسعى لجمع مبلغ لنفقة الدعاية .

(٦) مسألة انشاء جريدة في بغداد — ليس المراد منها بث الدعاية فان الدعاية تبث في كثير من الجرائد العربية في كل قطر . وقد كتب في جرائد بغداد عدة مقالات تمهيدية لها . وإنما المراد منها ان تكون ادارتها مركزاً لمن يقتضي الحال اقامته في بغداد من اخواننا السوريين الذين

يعملون هنالك مع إخوانهم فذلك أشرف لهم وأحفظ لكرامتهم أن يكونوا كلاً على أحد أو تكون مساعدة من يساعدهم شخصية يحملون بها منة المساعد أياً كان . وإذا راجت الجريدة وصار منها ربح للمشروع والعاملين له فيوشك أن يقبل مثل الامير عادل أن يكون مديراً لها إن لم يوجد مانع آخر يمنعه . هذا ما عندي الآن في الموضوع العام .

والسلام عليك وعلى من لديك من أخيكم

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في ١٦ صفر ١٣٥١ و٣٠ يونيه ١٩٣٢

سيدي الاخ الامير حفظه الله تعالى

أحمد الله اليك مبشراً بأن ألم الرثية التي ألمت بركبتي اليسرى منذ أشهر قد خف بعد معالجته ٣ اسابيع وكان العلاج بعد اشتداد الالم والجزم بأنه مرض الرثية . وكنت أظن عند خفته أنه عارض لسبب آخر لا حاجة الى شرحه وصرت أقدر على السجود على الارض بدون ألم شديد وعلى النزول الى المكتب بدون ألم يذكر ولكن نزولي قليل .

مسألة مكتوباتك الى الخديو (١) لا تستحق أدنى اهتمام فالذي حملها أطلع عليها فلانا .

---

(١) في سنة ١٩٢٢ كان سمو الخديوي السابق من كرم أخلاقه تعرض لي إذ أنا في جنيف بواسطة بعض الاصحاب مجتهداً أن تكون لي بهعلاقة ولكني بقيت مدة أشهر أتردد في الدخول معه في علاقات وأتجنب أن أزوره إلى أن —

الى ان يقول :

ونحن بالمرصاد لما عسى أن يظهر فلا يكن في صدرك حرج ولا تضع شيئاً من وقتك في هذه المسألة ·

ـغلب عليّ الحياء أخيراً من كثرة مراجعة الاصحاب في هذا الموضوع فذهبت معهم وزرناه في فندق سافوي في لوزان و كان شديد السرور بذلك · ثم لم تمض مدة حتى جاءني زميلي وصديقي سليمان بك كنعان اللبناني وقال لي : إن الجناب الخديوي يعلم النفقات التي تتحملها انت في غربتك من أجل القضية السورية والقضية العربية عامة ولا يرى من العدل في شيء أن تتجشم ذلك أنت وحدك لأنها قضية عامة لا تخصك وحدك فلهذا يريد أن يساعدك براتب ٣٠ جنيهاً في الشهر فالرجاء منك أن لا ترفض هذا المرتب الذي فيه بعض المساعدة لك على نفقاتك في اوربة · فاعتذرت في البداية عن قبول الراتب المذكور ورويت لسليمان كنعان كيف أن الخديوي أراد تكرماً منه أن يساعدني بمبلغ من المال عندما مررت بمصر ذاهباً الى جهاد طرابلس الغرب وانه أبدى إذ ذاك وأعاد كثيراً وبقيت مصراً على الرفض فلا أقبل الآن ما كنت رفضته من قبل · فقال : تلك أيام مضت وأنت الآن في جهاد طويل لا تقدر على القيام به منفرداً وليس في قبول هذه المساعدة لقضية عمومية أنت واقف نفسك عليها أدنى شيء يشينك · فقلت له : أخشى أن الخديوي يكلفني أموراً تمس مهمتي التي هي عضوية الوفد السوري الفلسطيني فأنا أشترط أن اكون بازائه حراً في كل شيء · فقال: إن شيئاً من تقييد حريتك لا يخطر بباله وتعال معي الآن لنشكره على صنيعه· فذهبنا الى فندق سافوى وقابلناه وقلنا له : إنما قبلنا هذا البر من سموك التزاماً للادب معك لا غير · فقال : إن هذه إنما هي مساعدة ضئيلة لا تفي بعظيم حقك وأنا

سألتني في كتاب سابق عن كلمة دعابة وقد خطرت في بالي الآن

– لا أتقاضاك بمقابلتها أدنى عمل خاص بي • وقد كان هذا منه فضلاً في بداية الامر إلى أن طرأت بعض عوارض حملتني على التباعد عن سموه والاستعفاء من قبول الراتب • فأصر على إبقائه لي و كان يرسل إلي الحوالة وأنا في حال الانقطاع عنه ولم يكن الخديو يحدث الوفد السوري الفلسطيني بشيء مما يتعلق بعرش سورية لمعرفته بالشروط التي وضعناها لاجل الدخول معه في علاقة • غاية ما كان يتطلب بواسطة مستشار أرمني كان عنده اسمه انطون بك أن نكتب اليه في الاحايين لإثبات اتصالنا به • ثم شرع أنطون بك هذا الذي كان في الماضي من جواسيس السلطان عبد الحميد و كانت له شهرة في الاستانة بهذا الامر يغري الخديوي بأمور مخالفة للشروط التي كانت بيننا فصرنا نجد من سموه أطواراً لم تكن من قبل • وصادف ان بعض الحساد المعلومين غمز بنا في احدى الجرائد الفلسطينية زاعماً أننا بعنا سورية من الخديوي السابق بثلاثين جنيهاً في الشهر ، وما أشبه ذلك من الاقوال السافلة • فرددنا عليها في جريدة «الشوري» قائلين ما معناه : إن شكيب أرسلان لم يطلب أدنى رفد من الخديوي وان كان الخديوي أجرى هذا الراتب فيكون كرم خلق منه ولا عيب في قبول شكيب أرسلان مساعدة من خديوي مصر السابق حفيد محمد علي • على أنه ما سعى شكيب أرسلان ولا أحد من زملائه أعضاء الوفد السوري الفلسطيني أقل سعي ليكون الخديوي ملكاً على سورية لا لأنه غير لائق لعرش سورية بل لان مهمة الوفد السوري منحصرة في السعي بالحصول على استقلال سورية لا غير • وقضية العرش هي خارجة عن اختصاصه بل عائدة للامة السورية» • فالذين هم أنفسهم نشروا اننا بعنا سورية من الخديوي السابق أرسلوا كتابتنا هذه اليه –

فذكرتها هنا بغير مناسبة لئلا أنساها بعد كما نسيتها من قبل فأقول إنها

— لاجل أن يغتاظ منا. فأرسل الينا عتاباً على هذه الكتابة بواسطة انطون الارمني مستشاره. فأجبناه بأننا لم نخرج في هذا عن الشرط المعلوم وهو أننا لا نتعاطى سوى ما يتعلق باستقلال سورية. فلم يعجبه هذا الجواب ووجد علينا من أجله. وصادف مرةً ان لجنة الانتدابات كانت انعقدت في رومة للبحث في مسألة سورية والثورة الكبرى في ابان اشتعالها وكنا مضطربن للذهاب الى رومة لاجل تقديم شكاياتنا المتعلقة بالثورة الى لجنة الانتدابات المشار اليها. وكان علينا القيام بنفقات غير قليلة على المطبوعات والدعاية وما اشبهها فقال لي زميلي إحسان بك الجابري: إن الخديوي لا يزال يذكر اهتمامه بقضايانا الوطنية أفلا تكتب اليه في أن يساعد الوفد في هذه الرحلة الى رومة؟ فكتبت اليه في هذا الموضوع بالاسلوب الذي أعلمه يؤثر به فلم يفعل شيئاً. ولكنه بقي يتطلب ويقترح أشياء نعتقد أن مستشاره أنطون كان هو المغري له بها. وكان الخديوي لا يقدر أن يدخل الى لندرة وهو يسعى سعياً حثيثاً في ذلك فقيل لنا في أحد الايام انه تمكن من هذا الامر بواسطة بعض ذوي النفوذ من اليهود وإن الانكليز بعد ذلك قد ساعدوه في قضية أملاكه التي بمصر وقد كانت الحكومة المصرية باعتها بثمن بخس مما حمله على إقامة دعوى عليها. فلما توسط الانكليز في الامر رتبت الحكومة المصرية من باب التعويض على الخديوي ثلاثين الف جنيه كل سنة فعند ذلك شرع الخديوي في التقرب من الانكليز ونشر بالانكليزية كتاباً طبعه وجعل فيه توقيعه وصورته وذلك في معنى النصح للمصريين بعدم مطالبة انكلترة في شيء. فلا حاجة الى جيش يحمي مصراً لان انكلترة هي حامية لمصر من كل اعتداء خارجي ولا حاجة لمصر بالمطالبة بالسودان لان انكلترة تحفظ النيل لمصر الى غير ذلك من الآراء التي تضمنها هذا الكتاب المطبوع —

وردت في أصح الروايات في كتب النبي (ص) الى الملوك كما تراه في

المنشور الذي عندنا منه نسخة ولا يقدر سمو الخديوي ان يؤاخذنا على ذكر هذا الكتاب لانه ما نشره ووضع عليه توقيعه وصورته ليكتمه .. ونحن دهشنا في الحقيقة لنشره كتاباً كهذا لكننا لم نتكلم معه بشأنه أولاً لما نعلمه من استقلاله بفكره وثانياً لان الكتاب كان قد انتشر قبل علمنا به وقضي الامر . غير ان الخديوي لم يقتصر على التقرب من الانكليز بل رأى من واجباته مكافأة على حسن الصنيع أن يصلح بين العرب واليهود وألح كثيراً علي وعلى زميلي الجابري في هذه القضية وبديهي أن هذا كان بتحريك اليهود أنفسهم الذين بذلوا لدينا كل مجهود حتى نرضى بالدخول معهم في موضوع كهذا وكرروا هذه المساعي من ١٥ سنة فخابت آمالهم . فيظهر أنهم قد استغاثوا بسمو الخديوي على امل انه يقدر بنفوذ كلمته على إقناعنا وكنا ندافعه ونعتذر لديه عن عدم إمكان تدخلنا في هذا الامر . واخيراً جاءني وحده بمنزلي في لوزان وألح في قضية اليهود إلحاحاً زائداً فقلت له : يا افندينا لست قادراً على إطاعة امرك في هذا الموضوع لان عرب فلسطين يرون كل صلح مع اليهود مجحفاً بهم . فقال : انه يجب عليكم ان تنصحوا لهم انتم الزعماء فإنه يستحيل ان يقدر العرب على مقاومة اليهود . فقلت له : كل من يتكلم في صلح بين العرب واليهود يعتقد العرب ان اليهود قد اشتروه فانا لا اقدر على هذا . ثم يا افندينا هذا الصلح الذي انت تطلبه غير قابل الإجراء لان اليهود يريدون فلسطين ان تكون لهم فأين يذهب عرب فلسطين؟ فأجاب : الى شرق الاردن . فعندما سمعت هذا الكلام لم املك نفسي واخذتني الحدة فقلت له : ما الذي يحملك يا افندينا وانت امير مسلم من اعظم أمراء الاسلام ان تتفوه بكلمات إذا نقلت عنك تضر بسمعتك . فظهر الغيظ على وجهه وما عتم ان نهض وانصرف وبعد ايام قطع الراتب المعهود —

البخاري وغيره وانا الذي روجتها في الاستعمال فهي من شواهد حجتك على الذين

— ثم جاءني من بطانته عبدالله بك البشري زائراً وقال انه يعتقد ان هذه الوحشة سحابة صيف زائلة الخ ٠٠ فرجوته ان يعرض لسمو الجناب العالي كل ما تحملته من عداوة الملك فؤاد وغيره ومن كلام الناس من جراء هذا المرتب الضئيل الذي اشق ما عليّ فيه اني لم أكن مستعداً ان اقبله منه واني ما رضيت بقبضه الا حياء وتأدباً ٠ فلذلك لا اريد ان يحدث الخديوي نفسه بإعادته وانا مع هذا شاكر له عما مضى ٠ ثم لقيت عبدالله بك البشري في احد المقاهي فأعدت عليه الكلام نفسه ٠ ومضى على ذلك برهة فصرت اسمع عن لسان الخديو شيئاً اشبه بالمن ٠ فكتبت اليه بغاية الادب كما هو الواجب وذكرت له شكري على كرم اخلاقه الماضي ولكني استحلفته قائلاً له : انا ارضى بقولك أفأنا سعيت لديك رأساً او بالواسطة حتى تجري عليّ هذا الراتب ام انت استعملت كل وسيلة حتى اقبله ؟ وذكرته بما مضى من امتناعي عن قبول اية معاونة منه لما استأذنته في الذهاب الى طرابلس الغرب ٠ ثم ذكرت له العداوات الشديدة التي تعرضت لها والمكاره التي رأيتها بسبب هذا الراتب ٠ وختمت الكلام قائلاً له : قد ارتكبت خطأ قبول رفدك بما سمعت من كلام بعض اصحابي مثل سليمان كنعان وغيره ولكني لن ارتكب هذه الغلطة مرة أخرى ٠ فيظهر انه لما قطع امله من رجوعي اليه صمم على الانتقام وذلك بابراز المكاتيب التي كان سبق ان كتبتها اليه واكثر ذلك بالحاج سليمان كنعان وانطون الارمني وظهرت حكمة اقتضاء المراسلة معه بما ثبت من جمعه لهذه المكاتيب وحرصه عليها الى حد انه كان يضعها في البنك بلومسرن في الصندوق الذي فيه الجواهر الكريمة ٠ والخلاصة انه استدعى من عاونه على افراز هذه المكاتيب وراجعوا كل حرف فيها فلم يجدوا شيئاً يثلم شرفي ليتسلوا بنشره ٠ وانما وجدوا المكتوب الذي اقول له فيه : اننا

ـ ذاهبون الى رومة نظراً لانعقاد لجنة الانتدابات فيها وان زميلي يقول انه يجدر بسموه ان يساعدنا على نفقات المصلحة العامة التي نحن ذاهبون من اجلها . و كتابي هذا صريح بأن طلب المساعدة انما هو للقضية التي نحن في صددها لا لاشخاصنا. فظنوا انهم يشفون غليلهم بنشر هذا المكتوب ومكاتيب أخرى يفهم منها القارئ بأني كنت أقبض راتباً من الخديوي ـ الامر الذي ما أنكرته قط بل أعلنته في جريدة الشورى ـ ونقلوا بضعة مكاتيب منها بالزنكغرافيا واستدعوا شاباً سورياً معروفاً بما هو معروف به مما نمسك عن الخوض فيه وسلموه هذه المكاتيب وأدوا اليه اجرته ليذهب الى مصر ويسلم المكاتيب الى شخص اشتهر بعداوتنا ـ وبدون سبب ـ ليفعل بها مايشاء ـ فهذه هي المكتوبات التي يشير اليها السيد رشيد ويقول لنا بأن لا نبالي أمرها. فبقيت هذه المكاتيب مدة في يد العدو ـ بلا سبب ـ من سنة ١٩٣١ الى سنة ١٩٣٥ وهو يترصد فرصة لنشرها بإحدى المناسبات الى ان لاحت له أخيراً الفرصة الآتية :

في سنة ١٩٣٥ خطر ببال بعض السفلة من عرب فلسطين الذين قضوا ١٥ سنة في خدمة اليهود والانكليز ان يقلدوا خطنا ويضعوا عن لساننا مكتوباً منا الى الحاج امين الحسيني بزعمهم ندعوه فيه الى بث الدعاية الايطالية في بلاد العرب!! وكان المقصود من هذه الدسيسة اسقاطنا واسقاط الحاج امين الحسيني تشفياً شخصياً منا وخدمة لليهود والانكليز . فهذا المكتوب بخطه وإملائه وانشائه ومناقضاته الكثيرة للوقائع ظهر في يوم نشره انه مزور لا اصل له وملأ خبر تزويره الآفاق برغم كل ما بذل الاعداء من مال اليهود لإثباته . ولكن من صارع الحق صرعه الحق وكبه على أم رأسه (وقد خاب من افترى) فسقط في أيدي عصابة التزوير وتحيروا في امرهم كيف يفعلون لتلافي هذه الفضيحة التي

الحديث أوثق من رواة اللغة وقد ورد دعاوة بالفتح في دعوة النسب وقلب الواو

— افتضحوها ولما كانوا على صلة بذلك العدو — بلا سبب — دفع اليهم هذا المكتوب الذي استنجدنا فيه الخديو يوم ذهبنا الى رومة سنة ١٩٣٥ حيث انعقدت لجنة الانتدابات وظنوا انهم بنشره يعوضون من فشلهم الفظيع في التزويرة المعهودة . إلا ان الذين تأملوا هذا المكتوب بعين الانصاف لم يجدوا فيه شيئاً يثلم من شرفنا لانه لا يعاب وفد سياسي ذاهب لاجل الدفاع عن استقلال امة شرقية اعضاء الوفد منها هم ثلاثة اشخاص من ملايين اذا استمدوا احد كبار أمراء الشرقيين وموسريهم ممن طالما تحكك بهم وعرض عليهم المدد ان يعاونهم في نفقات هذه الرحلة . ولم تجر العادة ان الوفود السياسية تنفق على القضايا العامة من جيوب اصحابها . فهذا الوفد المصري تحت رئاسة زغلول باشا لما ذهب الى اوربة سنة ١٩١٩ جمع له المصريون ٤٠٠ الف جنيه . وهذا الوفد الفلسطيني الذي ذهب الى لندرة للدفاع عن عرب فلسطين انفق جميع نفقاته من الاموال المجموعة من بلاده . وهذه الوفود العراقية التي تذهب الى اوربة لا تنفق الا من الخزينة العراقية . فلا نفهم لماذا جاز هذا كله لوفود مصر وفلسطين والعراق ولم يجز للوفد السوري الذي يجب عليه ان يقضي ١٥ سنة في اوربة مدافعاً عن الوطن والامة ولا يستمد اميراً شرقياً موسراً ولا غيره بل ان تكون نفقاته كلها من جيوب اصحابه؟ ففي اي شرع او في أي عرف وجد هذا ؟ واغرب من هذا ان هذا المكتوب الى الخديوي الذي فيه هذا الاستمداد قد وقع فيه التزوير ايضاً فإنهم نشروه ناقصاً على حد (ولا تقربوا الصلاة) لمن حذف (وانتم سكارى) فرفعوا منه التاريخ والديباجة والاسطر التي يعرف منها ان استمداد الوفد السوري لم يكن شخصياً بل لاجل المصلحة العامة . وبالرغم من هذا الحذف كله لم يخف

في الكسر ياء لمناسبة الكسرة وهذا القلب جائز لا واجب كما ورد في القوام والقيام .

سررنا جداً بما دار بينكم وبين مسيو جوفنيل[1] ولعله يكون وسيلة لاقناع وزارة فرنسة الحاضرة بما فيه خير لفرنسة على ندرة ما يرجى من خير . . . وما يدرينا ما تواطأ عليه بونسو مع حكومته السورية الجديدة . وقد بلغنا أن الملك فيصل قد تألم من هذا الخزي الذي ارتكست فيه سوريا وضعف أمله فيها أو زاد ضعفاً على ضعف يجب أن تتلافاه وإن لم يكن عندنا في سوريا رجال يعتمد عليهم . إلا ان الذين في فلسطين قد جددوا في هذه الايام حزب الاستقلال العربي بتأليف لجنة له غير لجنة المؤتمر . وهذه اللجنة هي التي استقبلت ياسين باشا الهاشمي في هذا الاسبوع بحفاوة عظيمة فرأى منهم هيئة عاملة قوت أمله بلجنة بغداد التي كان أعرض عنها وروي انه استقال منها وقد وعدهم باخذها باليمين . وكنت

ـ عن أحد ان هذا المكتوب ليس فيه ما يشفي غليلا لا لناقله بالزنكوغرافيا ولا لناشره ولا للذين حاولوا به تخفيف فضيحتهم في هذه التزويرة التي وصمتهم بالعار أبد الدهر .

أطلنا الكلام على القارئ في قصة مكاتيبنا هذه الى الخديو لأنه قلما وجد في الشرق من لم يسمع بها ولأن المتشدقين تشدقوا بها كثيراً كما لا يخفى فأحببنا نقلها من أولها الى آخرها بدون احتجان شيء منها . ولو أردنا المقابلة بالمثل لوجدنا في قطرنا مكاتيب فيها ما فيها . . . ولكن ربأنا بنفسنا عن المقابلة بالمثل في عمل نترك الحكم فيه للقراء .

(١) هذه مقابلة وقعت لنا معه في جنيف سنة ١٩٣٢ .

كتبت لهم قبيل وصوله وبعده بما ينبغي لهم معه من تقوية عزمه وأمله بزعامة الامة العربية وبأن السعي للوحدة العامة ولتوحيد القطرين لا بد منه على كل حال وانه لا يمكن بدون طلب عطف الملك والعمل مع نوري باشا ...

إنني مخالف لك وموافق لرأي إحسان بك في مساعدة لجنتنا على مقاومة برلمان سوريا وحكومتها فعسى أن توافقني كما اعتدنا في أمورنا العامة وآخر أخبار الحجاز أن جلالة الملك يرجو أن ينال القرض الذي يسعى اليه مضطراً اليه من خديو مصر السابق [1] والسلام عليك وعلى الشقيق والنجل النجيب ؟

رشيد

* * *

وكتب في ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٥١ و٢٠ تموز ١٩٣٢ :

سيدي الأخ الكريم والولي الحميم أيده الله وأيد به العلم والدين

كنت أمس صائماً وقد بلغت الحرارة درجة الاربعين أو زادت من حيث بلغت العسرة درجة ١٠٠ وجاءنا في بريد الصباح إيذان من بنكين باستحقاق كمبيالتين على إيذان من بنك مصر بالتذكير بكمبيالة سابقة بعد مطالبتي له بتأجيل كمبيالة استحقت في هذا الشهر . ثم جاءني بعد العصر عامل

---

(١) كان هذا الوعد قد وقع على اثر حادثة خيف من عاقبتها ثم لم ينجز من الوعد شيء .

من محل تجارة نكامولي يحمل ثلاث كمبيالات قديمة لم تدفع لتغييرها بكمبيالات جديدة مؤجلة تستحق أولاها بعد شهرين فأمضيت الجديدة واستعدت القديمة . وان ما يطلب منا اليوم لا نملك عشره ولا نصف عشره .
في ظهر امس طلبت الشيخ فوزان وجلسنا ساعة أو أكثر نبحث في مسألة فوزي القاوقجي وقد ثبتت الرواية بإرسال الملك إياه من الحجاز الى الرياض مكبلاً بالحديد . واخواننا في مصر وفلسطين والشام مضطربون متململون متفقون على السعي لانقاذه وقد أقنعت الشيخ فوزان بإرسال برقية الى جلالته بأن أصدقاء فوزي كلهم من أنصار جلالته ويرون هذا التنكيل بفوزي منافياً لمصلحته ويرجون العفو عنه والسماح له بالسفر الى حيث يشاء واثقين بأنه لن يقول ولن يفعل شيئاً في البلد الذي يقيم فيه ما يسوء جلالته ...

كذلك كان صباح أمسنا وظهره ومساءه وإنا لصابرون حتى منّ الله علينا قبل الغروب بكتابك الكريم فكان خير خاتمة له شرحت الصدر بما انتفح به من عناية الاخ باخيه « وان كانت مسائله وموضوعاته لاتسر » قرأته وقمت الى مائدة الافطار مرتاحاً وكان الحر قد خفت وطأته والهواء يلطف رويداً رويداً كعادته حتى كان الليل من الطف ليالي الصيف المعتادة في القاهرة وهكذا يجعل الله بعد عسر يسرا.

أما فعلة ... فشنشنة اخزم عصبي المزاج وقد لمز السيد فلاناً في كتابه هذا على عنايته بالدفاع عنه وقد انفصمت عرى المودة بينه وبين فلان على ما كان من غلوه فيه ولكن هذا تجهم في وجهه مراراً وعسى أن تبقى الجفوة بينهما خفية لا يكتب فيها شيء وقد زارني ليلا واهدى

إلى كتابه وأخبرني بسفره فدعوته الى غداء اليوم الذي زارني في ليلته
وكنت رأيت كتابه في الليل فسألني عنه في النهار فلم انتقد ولم اقرظ .

وأما فلان وفلان فقد سرني مما كتبت انك رجعت الى رأيي القديم
فيهما وقلما تقنع بسوء سيرة احد وطالما قلت ليت الاميرين الشقيقين
يقتسمان حسن الظن وسوءه فيكون بينهما شق الابلمة .

وأما المنتقد اللغوي فقد ذهب به الادلال بنظرياته الى الجرأة على
نقول في الحديث النبوي فلفظ الدعابة ثابت في رواية البخاري وفي اصح
الروايات وهو مقيس ومثله الشكابة من شكا يشكو وهو أيضاً منقول في
لسان العرب ومستدرك الزبيدي على القاموس[1] . . . ولا يتسع وقتي لذكر

(١) جاء في مخصص ابن سيده صفحة ١٩ من الجزء الرابع عشر ما يلي :

وأري كيف تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير علة إما لمعاقبة عند
القبيلة الواحدة من العرب وإما لافتراق القبيلتين في اللغتين . فأما ما دخلت فيه
الواو على الياء والياء على الواو لعلة فلا حاجة بنا الى ذكره في هذا الكتاب لانه
قانون من قوانين التصريف . قال الاصمعي : سألت المفضل عن قول الاعشى :

لعمري لمن أمسى من القوم شاخصاً لقد نال خيصاً من عفيرة خائصا

فقلت : ما معنى خيصاً خائصاً ؟ فقال : أراه من قولهم فلان يخوّص العطاء
في بني فلان — أي يقلله فكأن خيصاً شيء يسير ثم بالغ بقوله خائصاً كما قالوا :
موت مائت . قلت له : فقد كان يجب ان يقول لقد نال خوصاً إذ هو من قولهم :
هو مخوّص العطاء . فقال : هو على المعاقبة وهي لغة لاهل الحجاز وليست بمطردة
في لغتهم وأنا أذكر منها بحسب ما يحضرني إن شاء الله . قال ابن السكيت :
اهل الحجاز يسمون الصُّوّاغ الصيّاغ . قال : ويقولون : المياثر والمواثر

اللبناني، آخر من كمّاته على انني لا استعمل منها الآ الموضوعات فيما اتذكر.
هذا وانني لم اذكر لك ان لفظ الدعاوة قد ورد في اللغة الآ ليان

والمواثق والميائق (واخذ يورد من الامثال) : المتأوب والمتأيب . وشيّطه شوّطه . وقد دوّخوا الرجل وديّخوه . وقد فاد يفود ويفيد في الموت ، وعار يعور ويعير إذا ذهب ههنا وههنا . وغارني الرجل يغيرني ويغورني اذا أعطاك الدية . وقد تحيزت وتحوّزت . وتوهّت الرجل وتيّهته . وطوّحته وطيّحته . وماهت الركية تموه وقد قيل تميه وتماه . ويقال طال طولك وطال طيلك . وضاره يضيره . وزعم الكسائي انه سمع بعض اهل العالية يقول : لا ينفعني ذلك ولا يضورني . وإن فلاناً لسربع الأوبة وقوم يحولون الواو ياء فيقولون سربع الأيبة . وقوم يقولون : لاته يليته ولغة أخرى يلوته .

الى ان يقول :

تبوّغ الدم بصاحبه غلبه وفي الحديث : « اذا تبيّغ الدم بصاحبه فليحتجم » وما اعبج من كلامه بشيء وبنو أسد يقولون : ما أعوج بكلامه . ويقال : هو من صيابة قومه وصوّابة قومه . وثور وثورة وثيرة . وقد تصيح البقل إذا هاج وتصوّح . وتصيّع وتصوّع . وأقاوم واقايم . وتهيّر الجرف وتهوّر . وفاحت ريحه تفيح فيحاً وفاحت ريحه فوحاً . والطوّع والطيع . ويقول بعضهم : حكوت عنه الكلام اي حكيت . وطما الماء يطمي ويطمو . وكذلك ينمي وينمو . ومقا الطست أي جلاها يمقوها ويمقيها . وقد نثوت الحديث ونثيته . وفليت رأسه بالسيف وفلوت . وفأيت وفأوت . وداهية دهياء ودهواء . وغنم قنوة وقنية . والنقاوة من كل شيء خياره والنقاية . والنفاية والنفاوة . وعزيته الى ابيه وبنو اسد يقولون عزوته الى ابيه . وحثيت عليه التراب وحثوته . وما كان مرضياً —

ان كون اصل المادة واوية لا يمنع قلب الواو ياء لمناسبة كسر اول الكلمة وجملة القول ان لفظ الدعاية وردت باصح الروايات وهي مقيسة ·

وأما المسألة السورية فهي تتحول بالتدريج السريع ولولا بذل المال للجرائد · · · · لكان التحول اسرع واظن انني كتبت اليك اننا كنا قبل الانتخاب التكميلي الذي وقع في الشام – بل تذكرت – اننا سعينا لتأليف وفد سوري يذهب الى اوروبة للسعي لاستقلال سورية ووحدتها وانا الذي توليت يومئذ الكتابة الى هاشم بك الاتاسي فأجاب بالاستحسان والارجاء · · · ومنذ اسبوع جاءني منه كتاب آخر يقول فيه انه كلف الجابري ان يكلم هنانو في ذلك فاستحسن هنانو ان يذهب هو والاتاسي وفارس الخوري من سوريا وشهبندر واسعد داغر من مصر وينضم اليهم شكيب واحسان من جنيف · ولما بحثنا مع الاخوان هنا في المسألة اتفقنا

– ومرضواً واهل العالية يقولون القصوى · واهل نجد يقولون القصيا · وحكى الفرّاء عن الكسائي : سناها الغيث يسنوهـا فهي مسنوّة ومسنيّة · وسحوت الطين عن الارض وسحيته · وقد اتوت به واتيت اتاية واتاوة · ورثوته ورثيته ورغاية اللبن ورغاوته · ومحوت المحو ومحيت المحي · وجبوت الخراج وجبيتـه جباوة وجباية وطفوت يا رجل وطفيت · وهذوت وهذيت · ولحوت العصا ولحيتها وطهوت اللحم وطهوته · وقد صغوت وصغيت · ولغوت ولغيت · وعلوت وعليت · وسلوت وسليت · اه باختصار ·

ولم يذكر الفيروز ابادي الا الدعاوة بالواو ولكنه ذكر أن « دعيت لغة في دعوت » وذكر الزبيدي فيما استدركه على القاموس « دعاية الاسلام » بكسر اوله وهي دعوته ·

على أن هذه اللجنة ان تيسر اجتماعها في اوربة فلا يرجي ان يكون لسعيها تأثير مع وجود وفد حكومة سوريا الرسمي ٠ واقترحت انا ان نسعى لدى العراق بأن يتألف وفد يشترك فيه العراقيون والسوريون ويكون سعيه في جنيف وفرنسة وانكلترة لتوحيد القطرين ٠ فقبل هذا الاقتراح وكتب الدكتور بشأنه كتاباً الى جلالة الملك واسعد الى الهاشمي وجودت وسأخبركم بما يأتي من الجواب ٠

وما ذكرت من كتاب الملك الى إحسان بك جاء شيء بمعناه الى الدكتور قدري ٠ والمرجو ان يكون اجتماع جلالته بالهاشمي بعد عودته من سورية وفلسطين قد جدد له أملا يقوى بما كتبه الشهبندر أخيراً٠ وكذا أسعد كتب الى جلالته ولا بد ان يكون الدكتور قدري أيدهما ٠ وهو الآن في الاسكندرية وقد كتب اليه أسعد بكل شيء٠

ثم ان حزب الاستقلال الذي يعنى الآن بتجديد جهاده سيبث الدعاية لمسألة الوحدة ولمقاومة حكومة الجمهورية الجديدة وقد حضر في هذا الاسبوع الحاج أديب خير واخبرنا بأن الاستعداد في الشام عظيم لا ينقصه إلا قيام زعيم قوي الارادة يظهر بالمعارضة ٠

هذا وان ابن رفادة الثائر على الحجاز قد نهضت الدلائل وصحت الاخبار بأن كل نفقاته ترسل اليه من مصر بحراً وان المحرك له فلان بالاتفاق مع فلان ٠ وأخبرني اليوم عبد الغني الرافعي انه جاءه كتاب من اليمن او عدن بأن قبائل عسير قتلت رجال ابن سعود الا واحداً او اثنين فرّا هاربين ٠ وقال انه سينشر هذا لانه موقن بصحته٠ والسلام

عليك وعلى الصديقين الكريمين الامير عادل وإحسان بك وأقبل طرة غالب وغرته داعياً ومع هذا كتاب من الامام يحيى للامير عادل حفظكم الله اجمعين ؟

رشيد

* * *

وكتب في ٢ ربيع الآخر ١٣٥١ :

سيدي الاخ الامير حفظه الله ودام توفيقه

اني ألقي إليّ كتابك رقم ٢٢ ربيع الاول اول من أمس .

الى أن يقول :

وجدنا من التجار من اعطانا ورقاً بالدين فطبعنا منه رسالة النساء التي أرسلتها اليك والى الاخ الامير عادل وطبعنا جزئين من المنار شرعنا في توزيعهما اليوم وبدأت بطبع رسالة أخرى في مسألة الوحي المحمدي والقرآن لم يكتب مثلها في الاسلام وهي من مباحث التفسير وفيها إقامة الحجة على اهل الكتاب ولا سيما النصارى وعلى الماديين المنكرين لعالم الغيب الذين يقول أمثلهم طريقة وأعلمهم بالسيرة المحمدية ان محمداً كان صادقاً ولكن الوحي من نفسه العالية لا من السماء ومنهم « مونته » و « درمنغام »[1] وسترى أول هذا الفصل في المنار في تفسير : « أكان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل منهم » الخ . وسنعيد طبع رسالة «لماذا» في هذا الشهر

(١) كلاهما افرنسي ومونته ترجم القرآن الى الافرنسية و كتب عن محمد وانصف و كان استاذاً في جامعة جنيف .

إن شاء الله تعالى وألزمت السيد عاصم أن يكتب لك تحرير الحساب ويطلعني عليه قبل إرساله .

كان الدكتور فلان متألماً أشد التألم من كتابة أبي الحسن الجديدة بسبب تصدير كتابه بصورتك وكتابك لا بمجرد الطعن فقد قال اننا تعودنا هذا منه ومن غيره .

الى ان يقول :

فلما أطلعته على كتابك سر به وقال لو ان الامير نفسه نشر شيئاً يصرح فيه بعدم رضاه عما نشر لاجل التصافي الذي حصل وخدمة الوطن المشتركة يكون ذلك أولى وأنفع من كتابة ... على انه لا يفعل لأنه عصبي المزاج يشق عليه تخطئة نفسه . وأنا أرى رأي الدكتور ويسهل عليك أن تتقي إيلام ابي الحسن فيما تكتبه[1] .

مقالتك التي نشرت في جريدة الجامعة العربية جاءت مخالفة للكتاب المصريين وغير الكتاب منهم ومن السوريين والفلسطينيين في تبرئة الانكليز من ثورة ابن رفادة وقد كانت استطراداً في رد على من زعموا ان للانكليز دسائس في سورية ... ولولا انك تعودت الإحاطة بالمسائل من جميع أكنافها وأطرافها لم يكن للدفاع عن الانكليز في هذه المسألة مقتض وهو مما يسوء مبغضيهم من المصريين والفلسطينيين وغيرهم[2] .

(١) قد عملنا برأي الاستاذ ورأي صاحبه ونشرنا مقالة في « الجامعة العربية » تحت عنوان « لا نسر حسواً في ارتغاء » واستحسنها الاستاذ كثيراً وغيره ولم يفد ذلك شيئاً .

(٢) لا أقدر أن أقول إلا ما أعتقد . وكنت أعلم مصدر حركة ابن رفادة

على أن الدلائل التي تدل على ما لهم من الهوى والسياسة فيها كثيرة منها أقوال كبريات جرائدهم في تعظيم أمر هذه الحركة ومؤيديها وذم ابن السعود وادعاء أن اهل الحجاز وسائر المسلمين كارهون لوجوده في الحجاز ويسرهم خروجه منه (ومنها) تصريحات مستر كلوب (ابو حنيك) التي نشرت في الجرائد وهو المنظم لقوة الدفاع على حدود شرق الاردن الحجازية والنجدية (ومنها) الاستعداد العسكري الذي أحدثوه على هذه الحدود في هذا الوقت (ومنها) انه لم يكن من الممكن أن يخرج ابن رفادة من مصر الى سينا «وحاميتها تحت سلطة الانكليز» الى العقبة ويدخل في ارض الحجاز بدون علمهم ثم ترسل اليه المؤونة والذخائر من السويس وتصل اليه وأن يساعده قائمقام العقبة في كل ما أراده — ولكن هذا قد عزل الآن من العقبة كما هي العادة في كل الخونة الذين يستعملون مبرآ في أمثال هذه الاعمال — وأما مسألة ... فلا حاجة الى كتابة شيء فيها وإنما أقول لك خاصة انه جاءني كتاب في أول ذي القعدة من الحجاز يخبرني مرسله وهو صديقي وأعلم أهل الحجاز بالامور العامة انه قد علم أن بين ... و ... تواطؤا على إحداث فتنة في الحجاز بعد موسم

— وأعلم ان الانكليز كانوا أجانب عنها وان دسائسهم أعظم جداً من هذه الدسيسة الصغيرة . ولم أكن في حاجة الى مثلها لأجل إثبات ضررهم بالعرب والاسلام فالادلة على هذا أكثر من أن تحصى . أما «ابو حنيك» هذا فهو دساس عادي لا يؤبه له وليس بخارجية انكلترا واما الاستعداد العسكري الذي أحدثوه على حدود شرق الاردن فهذا شأنهم في كل مكان تحدث فيه ثورة هم على مقربة منها .

الحج وان ... تعلم هذا وتساعد عليه وان بعض جواسيسها في الحجاز قد اعترف بذلك أو شيء منه بقصد التعمية الخ ... وسترى رأيي في حظ الانكليز من هذه الفتنة في المنار — ولا أعتقد أن الانكليز هم الذين دبروها وإنما أعتقد انهم أرادوا ان يستفيدوا منها إن نجحت من حيث لا يؤخذ عليهم عمل رسمي إذا فشلت فإنهم أول من أخبر ابن السعود خبرها اما وقد قضى على الثورة في معركة واحدة فسيعلم ابن سعود من خبرها أكثر مما كان يعلمه وإنا لمنتظرون ما يبدو منها والسلام عليكم وعلى الاخوين الكريمين والنجل النجيب؟

رشيد

* * *

وكتبَ إليّ في ٩ جمادى الاولى ١٣٥١ و١٠ سبتمبر ١٩٣٢ :

أخي أمير البيان المجاهد في سبيل الله بالقلم واللسان أدام الله توفيقه

ما أشد سروري وابتهاجي بخبر زيارتك لاخواننا الكرام مسلمي بوسنه وهرسك في ديارهم وما كانت غبطتك بهم وغبطتهم بك ومعرفتهم لقدرك ورفعهم لذكرك وتنافسهم في ضيافتك وإحيائهم للشعور الاسلامي في قومهم بالحفاوة بك فيالها من بشارة عظيمة استمساك هؤلاء المسلمين الاخيار بعروة دينهم الوثقى وإعلائهم لكلمة الله تعالى في تلك البلاد وإقامتهم لشعائر الاسلام فيها وانك على حق وصواب في استحسانك وتمنيك لتعاهد مسلمي البلاد العربية لهم بالزيارة والتعارف بينهم ولكنك نسيت ان أكثر القادرين على الاسفار من مسلمي مصر والشام والعراق هم الاغنياء الفاسقون الذي نحمد الله تعالى على غفلتهم عنهم وعدم وجدانهم الباعث على الإلمام بيلادهم فإنهم قدوة سوء يخزن أولئك المسلمين الاخيار وجودهم

بينهم ولا أعرف أحداً من القادرين على هذه الزيارة بباعث الاسلام من إخواننا المصريين إلا محمود بك سالم الذي يقيم في باريز وقد سافر من هنا منذ أشهر الى فلسطين فسوريا (وكان قد حضر المؤتمر الاسلامي في القدس) عازماً على الطواف في بلاد الترك والبلقان وبوغسلافية للوقوف على أحوال المسلمين وترغيبهم في عقد مؤتمر إسلامي خاص بهم ووعدني عندما ودعني بان سيكتب إليّ من كل قطر ولما يف بوعده وهو قليل الكتابة كثير الكلام والاهتمام بالمسائل الاسلامية العامة ·

والعبرة في هذه الرحلة من وجهين : « أحدهما » أن الشعور الديني في هذه البلاد أقوى منه في بلاد مصر وسوريا والعراق وبلاد الترك وأظن ان مثلها بلاد ايران ولكنه ليس أقوى من بلاد الهند ولعل من أهم أسبابه فقد الحكم الاسلامي او الامتعاض من حكم غير المسلمين فإن الحفاوة التي رأيتها في بلاد الهند [1] لا تقل عما وجدت في البوسنة والهرسك · « وثانيهما » أن زعامة العلم والدين والادب أعظم وأعز من زعامة المال والجاه الدنيوي فإن كان خديو مصر السابق وهو من أكبر الاغنياء وحملة لقب بلي لقب الملك لم يعن به احد في تلك البلاد عشر معشار ما عني بأمير البيان وخادم الاسلام فإنه قد مات في هذا الصيف حافظ ابراهيم الشاعر الاديب ومات بعده أكبر أمير من أمراء البيت المالك هنـا ولم يحفل الشعب كتابه وادباؤه بموت هذا الامير معشار ما حفلوا بموت الاديب الفقير فهم لا يزالون يرثونه ويؤبنونه وقد شاركهم في هذا أدباء العرب في جميع الاقطـار العربية شرقيها وغربيها ولم يحفل أحد من هذه الاقطار بموت الامير المصري نسيب ملك مصر وأقرب الامراء اليه وأحظاهم عنده ·

---

(١) السيد رشيد زار الهند قبل الحرب العامة ·

رسالة حقوق النساء في الاسلام

هذه الرسالة لا بد من اختصارها لاجل ترجمة المختصر في اللغات
اوربية وغيرها لاجل نشرها في المولد النبوي القابل من قبل جمعية الهند
ب أن تعيد النظر فيها عند سنوح الفرصة وتذكر لي ما يحسن حذفه
ا عند الاختصار وهو ما يرجى أن يكون له تأثير كبير في نظر
فرنج ولا سيما نسائهم لان الغرض من ترجمتها إقناعهن قبل كل أحد
فضل الاسلام والاصلاح المحمدي العام . وأنا أرى أن مما يحذف او
يختصر أكثر ما ذكرناه من سيرة أزواج النبي « ص » وسبب زواج كل
منهن فيكتفي فيه بالاجمال ورأيك أصح لانك تعلم من ذوق الافرنج ما
لا أعلم وقد شاورت في هذه المسألة صديقي الذي ترجم لي بالانكليزية
خلاصة السيرة المحمدية » ولما يبد لي رأيه وهو في الاسكندرية .

رسالة لماذا

قد تم طبع الرسالة ووضعنا بعض النسخ منها في الصندوق الذي سيرسل
ل من أمرت بإرساله اليه في بوغوسلافية متضمناً لنسخ الارتسامات
وقد كتب لك السيد عاصم كشفاً بحساب المطبعة الاولى من رسالة « لماذا »
وحده لنفاد نسخها وسيضيف حساب الطبعة الثانية الى حساب الرحلة
« الارتسامات » من الجهة المالية ويتحد الحساب فيما بعد .

« مسألتنا السياسية » ألف إخواننا في القدس او جددوا تأليف حزب
الاستقلال العربي بقانون جديد وطفقوا ينشؤون له فروعاً في سورية كلها
وقد اقتنعوا كلهم بمسألة توحيد القطرين حتى نبيه بك العظمة الذي كان

أول المعترضين عليك ولكن بقي من مشهوريهم الشيخ كامل القصاب وهو قد اعتزل السياسة بعد عودته من الحجاز . وقد أصدرت اللجنة التنفيذية بياناً جديداً صرحت فيه بوجوب الوحدة بعد أن مهدت لها السبيل في العراق وسوريا وفلسطين واني مرسل اليك اليوم نسخة منه لتنشروه عندكم . ويسافر اليوم الى القدس سكرتيرنا اسعد افندي داغر ليجتمع باخواننا مؤسسي الحزب على ما يعرضونه على جلالة الملك فيصل في موضوع الوحدة ثم يسافر منها الى عمان للقاء جلالته على موعد جاءت الاشارة به من بغداد وموعد وصول جلالته الى عمان اليوم او غداً .

وقد حدث شيء جديد مكدر يجتهد اسعد افندي في السعي لتلافي شره ويحمل كتاباً مني الى الاخوان بشأنه وهاك خلاصة خبره : جاء منذ أيام كتاب الى الدكتور قدري من أخيه المرافق لجلالة الملك فيصل يقول فيه ان الملك علي لما عاد من عمان الى بغداد اخيراً أخبر جلالة اخيه الملك فيصل ان فلاناً أفضى اليه بالطعن على حزب الاستقلال العربي الذي ألف في فلسطين ووصفه بأنه ينصر ملك الحجاز ونجد عليهم ... او ما هذا معناه وان الملك استاء استياء شديداً من الخلاف والشقاق بين الاخوان العاملين وبين المفتي الجليل الكبير . وجاءني أمس كتاب من نبيه بك ذكر فيه انه جاءه كتاب من ياسين باشا الهاشمي بأن يمهد السبيل في بغداد لاجل عقد المؤتمر العربي وانه حدث ما سخط منه جلالة الملك واستاء جد الاستياء وهو وقوع الشقاق بين الاخوان « مؤسسي الحزب ودعاة المؤتمر » والمفتي الحسيني . وجاءني كتاب في معناه من الحزب باسم أسعد افندي داغر . وقد عد الاخوان هذا الاستياء من الملك فيصل تدخلا

في أمر المؤتمر العربي يعد مانعاً من حريته ويوجب الامتناع من
في بغداد وهذا خطأ منهم فإن الاستياء من الشقاق أمر طبيعي
أن كل مخلص للامة يسوءه كل شقاق وخلاف يقع بين رجالها ولذلك
رأيت أول ما يجب أن نعنى به في هذه الحادثة المؤسفة السعي لاصلاح ذات
البين قبل مقابلة جلالة الملك فيصل لان فشل عقد المؤتمر في بغداد بهذا
السبب يؤثر في مسألة الوحدة التي آن أوان السعي العملي لها .

وأما رأيي في أمر فلان فهو انه رجل له مزايا لم توجد في غيره من
أهل بلده ولا بلاده كلها وانه أمكن له ان يؤسس لنفسه مركزاً وصيتاً
في العالم الاسلامي كله ـ فلا يجوز لرجل مخلص لامته ووطنه ان
يسعى لإسقاط أو هدم صيته وإنما يجب العناية بالانتفاع به بقدر الامكان
لما تألف هذا الحزب وقامت قبل تأليفه الدعوة الى عقد مؤتمر عربي عام
بدون رأيه ولا مشاركته وحضر زعيم العراق الهاشمي الى القدس للمفاوضة
مع دعاة المؤتمر فلم يجد له قولاً ولا فعلاً معهم كبر ذلك عليه . فلما
وصلت المسألة الى هذا الحد كتبت اليهم ولقنت أسعد أفندي ما يجب
من السعي لاصلاح ذات البين على قاعدتي في خطر السعي لهدمه وإسقاطه
ووجوب إقناعه بأنهم يحترمونه ويجلون مقامه ويتعاونون معه على كل مافيه
نفع للامة مع استقلالهم في عملهم واستقلاله في عمله فإن لم يقبل
فليدعوه وشأنه مع اجتناب أي عمل عدائي له يكونون به حجة عند
عقلاء الامة العربية وسائر المسلمين على ان اكبر داء من ادواء
العرب التي لا يقوم لهم معه قائمة هذا الشقاق والتحاسد في الباطل ...
كتبت الى نبيه بك بأن يجمع أسعد افندي بالاستاذ الجليل العاقل المصلح

الشيخ اسماعيل الحافظ ليستعين به على إقناع الحسيني بالصلح فان لم يقتنع فيرجى ان يقنعه الملك فيصل بعد الوقوف على حقيقة الامر فان اتفق سراً وجهراً فهو خير له .

مسألة العقبة وفتنة ابن رفاده

حدث هذا الخطب الاكبر والفتنة في اثناء رحلتهم هذه فتعذر علي مخاطبتكم بشأنها والاستعانة برأيكم فيها واظن انكم علمتم بشيء كثير من حوادثها في أثناء السفر وبعد العودة الى جنيف وقد اخذ جلالة الملك السعودي بالحزم التام وجمع من الجنود النجدية على حدود العقبة وحدود شرق الاردن ما يكفي لمقاومة أضعاف أضعاف فتنة ابن رفادة بل ما يكفي للاستيلاء على شرقي الاردن كله وبطش بابن رفادة فقضى على فتنته في معركة واحدة وهي لم تكن تحتاج الى عشر هذه القوة .

وكان المنتظر من حزمه ومما علم من قيام العالم العربي والاسلامي في الانتصار له والطعن على الانكليز والتشنيع عليهم بأنهم يبغون الاعتداء على الحجاز نفسه ومما كان هياج اهل نجد كلهم بدوهم وحضرهم ومطالبتهم إياه بأن يأذن لهم بالجهاد الواجب عليهم ـ كان المنتظر من حزمه والحالة هذه أن يسعى لحل مسألة العقبة وإعادتها الى الحجاز معتذراً للانكليز بهياج شعبه وبأن إعادة العقبة الى الحجاز فرض ديني عليه لا يسمح له اعتقاده ووجدانه بالسكوت عليه ولكنه لم يفعل وإنما كان يطالبهم كما قيل بتأديب ... المحرك والمنفذ لهذه الفتنة وقد اغتنم الانكليز الفرصة فأنشؤوا يحصنون خليج العقبة بأحدث الاساليب بل الاعمال الفنية الحديثة الخ ..

وقد كتب إلى جلالته من جهات كثيرة بالاخذ بالحزم ولكن قائد جيشه المرابط تجاه العقبة شكر قائد الحامية الانكليزية الاردنية في العقبة على مساعدته ومودته لملك الحجاز وانصرف بجيشه فائزاً برد القائد الانكليزي عليه الشكر بمثله ·

وقد أشيع بعد ذلك ان العقبة ستسلخ من شرق الاردن وتجعل تابعة لفلسطين فإن صح هذا لا سمح الله فيكون ···

الى ان قال :

وعندي انه يجب عليك وعليّ وعلى كل مسلم إزعاج الملك ابن السعود بالحجج المقنعة بأن يعود الى المطالبة بإعادة العقبة الى الحجاز ولي مقالة في هذا لما تنشر وفيها انني أعتقد أن أمر العقبة إذا رفع الى عصبة الامم فإن ابن السعود يجد له أنصاراً فيها من الدول · وسترى هذا وأنت أعلم به · وقد تعبت من الكتابة وغربت الشمس فالسلام عليك وعلى الاميرين عادل وغالب والاخ إحسان سلمكم الله لأخيكم المخلص ؟

رشيد

***

وكتب في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٥١ و ٢٧ اكتوبر ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الامير أطال الله حياته

السلام عليك ورحمة الله وبركاته · أما بعد فانني أرسلت اليك كتاباً في السياسة مطولاً كمطول السعد في البلاغة ومعه كتاب من السيد عاصم في الحساب النهائي المفصل لرسالة « لماذا » وكان ذلك في ٩ جمادى الاولى

١٠ سبتمبر وفيه إخبار بانتهاء الطبعة الثانية للرسالة . (الى أن يقول):

حدث لنا في هذين الشهرين حدث يسوء كل مسلم . كتب الشيخ يوسف الدجوي مقالة في الجزء الذي صدر في غرة جمادى الاولى من مجلة مشيخة الازهر يرميني ويتهمني فيها بأفظع البهائت من تكفير وتجهيل وتهكم وسب وشتم : منه انني أفتيت طلبة المدارس التبشيرية من المسلمين بالصلاة مع النصارى في كنائسهم لاجل ان يتربوا على النصرانية وانني كذبت الله ورسوله وخالفت الاجماع الخ الخ . . . فكتبت الى المجلة مقالاً احتج عليها وأطالبها بقبول ما أرد به على افترائه وبهتانه دون سبابه وتكفيره . فسعت المشيخة الى الصلح بزعمها ولم تنشر الرد . ثم صدر الجزء الذي بعده من غرة هذا الشهر فاذا فيه مقالة اخرى في معنى التي قبلها وزعم الشيخ محمد الخضر رئيس تحريرها بان المقالة الثانية كانت قد طبعت قبل الشروع في السعي الى الصلح . وعقد الصلح اولا في دار مفتي الديار فنقضه الدجوي بنشر رسالة فيها المقالتان وغيرهما مع إشعار يخاطبني فيه بلقب الكلب والخنزير . ثم عقد صلح آخر في المشيخة نقضه أيضاً . وقد شرعت في هذه الايام في كتابة ما حدث في الجرائد وسنرسلها اليك أو نطبعها في المنار . والسلام على الاخوين عادل وإحسان وعلى النجل غالب ودمتم لأخيكم ؟

رشيد

***

وكتب في ١٣ رجب ١٣٥١ و١٢ ت ٢ سنة ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الامير حفظه الله موفقاً لخدمة الامة

قد ألقي إليّ كتابك أول من أمس فرأيت من الواجب أن أعجل اليك في جوابه بالامور الآتية :

(١) إن الضروري الذي يجب عليك أن تراعيه قبل الاجوبة عن المكتوبات وعن المصنفات وعن السياسات هو أمر صحتك العامة ووقاية عينيك خاصة فداهما الله بالوف العيون من الاكابر والاصاغر وبعيون المهي والجآذر من نعمان الى حاجر ٠

(٢) ان تترك عادة الاسهاب والتطويل في كل ما تكتب الى الايجاز تارة والتوسط تارة أو تارات فكثير ما تكتب في بسط المسائل ما هو معروف عند من تكتب له أو لهم وقد يكون معروفاً مما كتبت من قبل والكتاب المختصر المعجل خير من المطول المؤجل[1]٠

(٣) عندما ترى انك مضطر الى ارجاء الجواب عن كتاب مهم لصديق اعتاد منك المبادرة الى جوابه يحسن أن تخبره بوصول كتابه واضطرارك الى تأجيل الكتابة اليه بتفصيل للمسائل التي فيه ويكفي في هذا رقعة بريد مكشوفة يطمئن بها القلب ٠

(٤) كان يكفيني من الجواب عن كتابي المطول نتيجة ما دار بينك وبين الهمام وخلاصة رأيك في المسائل الاخرى٠

(٥) الشيخ فلان لا قيمة لعلمه ولا لكتابته عندي وقد تحكك من قبل بالرد عليّ فلم أره أهلاً لان يرد عليه ولا لان يذكر اسمه في المنار

---

(١) هذا عين الصواب وليتني جعلت رأي الاستاذ حنديرة عيني ٠

وان كان من أشهر علماء الازهر او أشهر كتابهم الذين اعتادوا ان يكتبوا في المسائل العامة · ولكن طعنه الاخير وجب الاهتمام به لانه نشر في مجلة الازهر التي يقدرها العوام والمقلدون فوق قدرها وقد تكون قيمتها في غير مصر اكبر من قيمتها فيها والشيخ ··· شر من الشيخ ··· لانه عدو للاصلاح مبين وظهير للخرافات قديم ثم ان ··· لم يكتف بنشر بهتانه وجهله في مجلة المشيخة بل تعداها الى النشر في الجرائد ولهذا قابلت المشيخة بالحلم واتيتها على ما دعت اليه من الصلح حتى لا يقال انني معتدٍ على الازهر وأراد إسقاط قيمته الدينية ···وشرعت بعد علم الناس كلهم بانهم هم المتعدون في الرد المطول عليهم الذي يفضح عدوانهم وبهتانهم وقد ردّ عليهم كتاب أزهريون فيما يؤيدني عليهم ولم يوجد أحد يؤيدهم·

سيصل بعد ثلاث الى مصر الشيخ كامل قصاب والخير الزركلي وهما الوفد الذي سيسافر الى نجد قبل اخواننا اعضاء المؤتمر العربي وسيتفقان معي على ما ينبغي أن يتقرر في نجد ولو كنت كتبت إليّ خلاصة ما دار بينك وبين الهمام في المسألة لكان من أهم ما يفيدنا فيما نقرره وأنا قد كتبت الى الهمام كتاباً مطولاً صريحاً في جميع فروع المسألة العربية؟

* * *

وكتب إليّ في ١٥ رجب ١٣٥١ و١٤ ت ٢ سنة ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الامير

سافر السيد عاصم مساء أمس الى طرابلس بطريق بيروت وأعطاني قبل سفره كتابا لكم منه يرسل مسجلاً ، وكنت أرسلت اليكم اول من أمس كتاباً رجعاً لكتابكم الاخير لي · وهاك جوابي عن الكلمات :

فأما كلمة مشاكل فقد ذكرها الزبيدي في التاج بلفظ فلان بفك المشاكل وهي الامور الملتبسة على ما أتذكر في لفظ الجملة [1] وانا أكتب هذا في حجرة النوم وأما الكلمة فهي في التاج قطعاً بهذا المعنى وتعلمون ان جمع التكسير يكثر فيه الشذوذ ومنها مساتير جمع مستور وهي الكلمة الثانية التي سألتم عنها وسبق لنا معكم بحث في مثلها · والكلمتان قد استعملها شيخنا في بعض مقالات العروة الوثقى وعنها أخذت الاولى (مشاكل) ووجدت لها نقلاً واما كلمة مشاهير التي أنكرها الشنقيطي لمخالفتها للقياس فأذكر انني رأيتها للفيروزابادي في القاموس في غير مادتها من استعماله وهو غير حجة منه وإنما العبرة بنقله والذي أراه ان يقتصر على السماع إلا ان يقرر مجمع لغوي جعلها قياسية فيما استعمل فيه اسم المفعول علماً او كالعلم وهو ما ألحقه في مشاهير ومساتير ·

وأما مادة احترم ومحترم فيستعملها الفقهاء وقال الفيومي في المصباح: والحرمة بالضم ما لا يحل انتهاكه والحرمة المهابة وهذا اسم من الاحترام مثل الفرق من الافتراق والجمع حرمات مثل غرفة وغرفات اه — فأنت ترى انه ذكر الاحترام عرضا وهو أدق من صاحب القاموس في النقل والاستعمال والعبرة بنقله والظاهر انه هنا ناقل فالمادة صحيحة وكم أهملوا مثلها من المستعمل في الفصيح ·

وأما اكتشف [2] فأذكر انني قلت لك في السويس او بور سعيد إنها

---

(١) نعم ذكر هذه الجملة صاحب التاج كما قالها السيد رشيد

(٢) لم ترد « اكتشف » بمعنى « كشف » الا فيما ذكر السيد هنا · ولا اعلم من اين أخذ الشرتوني هذه اللفظة بالمعنى الذي تستعمل فيه الان اي بمعنى

استعملت في كلام العرب متعدية باللام في مبالغة المرأة في كشف ما لا يحل كشفه لغير زوجها .

أخبار فلان الفلاني موسفة وإنا لنعلم اكثر كلياتها . اذا لم تجد وقتاً لقراءة رسالتي « نداء للجنس اللطيف » وابداء رأيك فيما ينبغي حذفه منها عند ترجمتها باللغات الاوروبية فكلف أخانا الامير عادل بذلك عند عودته بالسلامة اليك ؟

اخوك

رشيد

* * *

وكتب إليّ في ١١ شعبان ١٣٥١ و ٩ دسمبر ١٩٣٢ :

سيدي الأخ الامير أطال الله حياته وامتع الامة به

ألقي إليّ اول من امس كتابك المؤرخ في ٣٠ رجب وما فيه وأنا مشغول من اول هذا الاسبوع باحتفالات تأبين صديقك المرحوم أحمد شوقي وكان آخرها مساء امس « الخميس » حضرت مع ضيوف مصر من

« كشف » ولعله نقلها عن البستاني صاحب « محيط المحيط » وقد كان بعضهم استغرب ورودها في سجل نسب عائلتنا الاثبات الاول الذي عليه توقيع محسن ابن حسين بن زيد الطائي متولي فصل الدعاوى بين المسلمين نيابة عن امير المؤمنين في مدينة المعرة والذي تاريخه ثاني شعبان سنة مائة واحدى واربعين اذ فيه « لا كتشاف امر بوقته صاحب حلب » والحقيقة انها ليست « اكتشاف » وإنما هي « اكتناه » وهو بلوغ كنه الشيء وهو قدره وغايته ومنتهاه وقد وقع خطأ في قراءتها .

سورية « ولبنان » وفلسطين دعوة محافظ مصر الى حفلة شاي بداره في شارع الاهرام ،سيسافر اليوم اكثر من بقي منهم ولو انك ارسلت إلي مرثيتك من اول الامر لانشدتها لك في الحفلة الاولى اذ كنت عضو لجنتها .

لقد كنت في غنى عن استحلافي لكتمان كتابك للهام بكلمة واحدة بل هو مما لا حاجة الى التوصية بكتمانه وربما اكون أحوج الى التوصية باطلاع من يحسن اطلاعه على بعض المكتوبات الاخرى لان من عادتي الكتمان وقلة الكلام في المسائل الخاصة وكذا العامة لغير اهلها على انني كنت قلت في لجنتنا ان الامير كاشف الهام برأيه الصريح في مسألة الوحدة وانه يرى انها لمصلحته الخاصة في ضمن المصلحة العامة وقد سافر الشيخ كامل القصاب في الاسبوع الماضي الى الحجاز وسيذهب منها الى نجد موفداً من قبل الاخوان بعد مكاتبات وبرقيات بينهم وبين جلالة الملك السعودي في مسألة المؤتمر العربي وقد حمل الشيخ كامل كتاباً مطولا مني الى جلالته في معنى كتاب سابق اطول منه فيه من الصراحة والحجج اكثر مما في كتابك .والشيخ كامل كان مخالفاً لرأينا في الوحدة وكان الاخوان غير مطمئنين الى انحصار الوفد الذي وعدوا الملك به في شخصه اذ تعذر ذهاب غيره ولكنني أقنعته برأينا فاقتنع به اقتناعاً تاماً. ولكن الملك الان في شغل شاغل بثورة عسير وقد ظهر انها اكبر مما كان يظن وقد سافر منذ ٣ اسابيع الشيخ حافظ وهبه . وقد كتبت الى جلالته بأن فتنة الجنوب «عسير» كانت قد دبرت مع فتنة الشمال « ابن رفادة » وكان يظن أن القضاء على الاولى يمنع ظهور الثانية وهو يرجو

القضاء عليها كما عوّده الله تعالى بتوكله عليه ... فكتبت اليه فيما كتبت ان هذا التوكل غير شرعي وإنما التوكل الصحيح ما كان بعد الاخذ بكل ما يستطاع من الاسباب ومنها المشاورة كما قال تعالى لسيد المتوكلين وأكملهم «ص» (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) وكان هذا في غزوة أحد ولما قصر المسلمون في اثنائها بما كان من مخالفة الرماة لامر القائد العام «ص» بملازمة الحماية لظهور المقاتلة غُلب المسلمون وشُجّ رأس النبي «ص» وكسرت سنه ... وانزل الله تعالى «أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند انفسكم».

الى أن يقول:

(٢) اخبار بونسو في جنيف نقلت بالبرق فكانت كما أعتقد انا وسائر أعضاء لجنتنا. وفي برقيات الاهرام اليوم من سورية ان وصول هذه البرقيات اليها هاجت البلاد وطفقت الجرائد ترد عليها وتصرح بأن اربع مدائن فقيرة محصورة لا يمكن ان تكون دولة. وانا أقول معكم ان سورية وإن اتحدت لا يمكن ان تكون دولة غنية قوية يمكنها ان تحمي نفسها وعلى هذا الاصل وما هو معلوم من ثروة العراق لزم بث الدعاية للوحدة. وقد حضر في هذا الاسبوع اخونا ياسين باشا الى هنا واتفقنا معه على خطة المؤتمر وغيرها وسافر ليلة الاربعاء الى القدس لمقابلة اخواننا والاتفاق معهم وسيذهب منها الي بيروت ودمشق لاتمام الاتفاق.

(٣) انني لأسرّ بان يكون لي صلة صداقة بعزيز عزة باشا الذي

تغدينا معه في سويسرة كما تذكر . وكان منذ عامين حدثه صديقه الحميم وصديقنا فؤاد بك سليم بأننا نريد أن نجعل لنا نادياً إصلاحياً في دار المنار نفرشه لاجل أن يجتمع فيه اصحاب العلم والرأي الذين تهمهم المسائل الاسلامية العامة فسر بذلك ووعده بالاشتراك فيه . ولكن كان مصطفى بك عز الدين الطرابلسي المثري هنا ووعدنا بانه يبذل زهاء مائة جنيه لتجديد البهو المنفصل عن دار المنار عند مدخلها وفرشه فظننا ان موعد تنفيذ هذه الامنية قد قرب وكان فؤاد بك مطلعاً على ذلك ولاجله أخبر عزيز باشا ثم ان مصطفى عز الدين أخلف وعده .

(٤) سأرسل الى دار الكتب من يبحث لك عن مقالاتك وقصائدك وينسخها ومن يطالب محب الدين افندي بما ذكرت . ولو أرسلت إلي عنوان داود أفندي مجاعص لأرسلت اليه رسالة (نداء الجنس اللطيف) وأما الطرد الذي أمرت بإرساله الى الجزائر فقد هيأه السيد عاصم قبل سفره وتركه في المكتبة ولما تملك المكتبة أجرة إرساله وهو زهاء ١٢٥ قرشاً ولعلنا نجدها فنرسله والسلام ؟

رشيد

* * *

وكتب في ١٨ شعبان ١٣٥١ و١٦ دسمبر ١٩٣٢ (صباح الجمعة):

سيدي الاخ الامير

أرسلت اليك رجع كتابك المسجل بكتاب مثله أعدت فيه صورة كتابك الى الهمام ثم ألقي إلي أول من أمس (الاربعاء) كتابك المؤرخ في ٧ شعبان وابدأ في الجواب بالمسألتين العلميتين . فأما مسألة العقل

والنقل فالمشهور فيها عن المتكلمين ما ذكرتم وهو الذي يطلق القول فيه جمهور الاشاعرة وكان شيخنا الاستاذ الامام يقرره ويكرره وقد نقلته عنه في تفسير قصة آدم من تفسير سورة البقرة « في جزء التفسير الاول » واستدركت عليه بأن التحقيق في المسألة بأن في كل من الدلالتين العقلية والنقلية ما هو قطعي وظني فإن تعارض القطعي مع الظني رجح القطعي مطلقاً سواء كانا عقليين أو نقليين او مشتركين وفي حالة ترجيح العقلي القطعي على النقلي الظني يؤول الثاني ليوافق الاول ٠ واما تعارض القطعيين فغير ممكن سواء أكانا من نوع واحد أم كانا من النوعين ٠ لان التعارض يقتضي أن يكون أحدهما غير صحيح وكيف يكون قطعياً غير صحيح ولم أرَ ذكر امتناع تعارض القطعيين اللذين أحدهما عقلي وآخر نقلي إلا لشيخ الاسلام ابن تيمية ٠ وفي المسألة تفصيل لم أذكره في التفسير وهو ان القطعي من المنقول قسمان قطعي الرواية وقطعي الدلالة والقرآن كله قطعي الرواية بناء على ان القراءات غير المتواترة لا تعدّ قرآناً — ومثله الاحاديث المتواترة وهي قليلة جداً في الاقوال وانما اكثر السنة المتواترة هي العملية كصفة الصلاة والمناسك ٠ ثم ان دلالة آيات القرآن على معانيها منها قطعي لا يحتمل التأويل وهو قليل واكثرها ظني يحتمل التأويل وكذلك الادلة العقلية النظرية منها ومنها والقطعي قليل ألم ترَ ان العلم العملي قد أثبت لنا أموراً كثيرة ما كان يشك أحد بمجرد تصورها في كونها محالاً في نظر العقل ؟ وقد أول الاشاعرة اكثر النصوص من الآيات والاحاديث في صفات الله وافعاله وشؤون عالم الغيب بناء على مخالفة نصوصها أو ظواهرها للادلة العقلية النظرية التي كانوا

يجزمون بها . وما هي بأدلة قطعية بل نظريات كانت مسلمة كتأويلهم لعلو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه بناء على استلزامها الجهة واستلزام الجهة للتحيز الذي هو من خصائص الاجسام. وهذه نظريات كانت مسلمة عندهم وهي في نفسها ليست بشيء. حتى ان الفيلسوف الاكبر ابن رشد رد عليهم فيها وأثبت من جهة العقل ما كان عليه السلف من القول بعلو الله تعالى. وأنا رددت عليهم في التفسير مراراً من الناحيتين العقلية والعلمية العصرية وكون الجهة التي يهرب منها مثل الامام الرازي ما هي الا نظرية نسبية اعتبارية ولا محل لتفصيل هذا هنا .

وأما سجود الشمس فهو ظاهر لا يحتاج الى تأويل بالمعنى المستعمل في القرآن من سجود كل مخلوق لله تعالى بمعنى خضوعه لإرادته التكوينية كقوله « والنجم والشجر يسجدان » وقوله « ولله يسجد ما في السموات وما في الارض » الآية واما حديث سجود الشمس في حديث ابي ذر الذي اعترض عليّ به الدجوي الجاهل المتحامل بالباطل فالاشكال فيه اقتضاء لفظه لكون الشمس بعد غروبها تغيب عن الارض كلها وتصعد الى العرش فتسجد تحته ، ولا تطلع بعد ذلك على الارض إلا بإذن جديد . وقد فصلت فيه الرد على جهله بما أرسله اليك فاستغني عن الاطالة فيه بالكتابة هنا . الا أنني أقول من ناحية الوضع اللغوي ان السجود ورد بمعناه العام وهو التطامن والخضوع في كل ما يقبل التأثير والانقياد بالارادة وغير الارادة حتى ورد سجدت السفينة للريح إذا مالت بتأثيرها وهكذا استعمل في القرآن بمعنى سجود العبادة من العقلاء وكذا التحية كسجود يعقوب وامرأته وبنيه ليوسف « ع.م » وسجود التسخير

كقوله : « والنجم والشجر يسجدان » والزمخشري يعد النوع الثاني مجازا على طريقته التي أخالفه فيها فانني ارى ان الاستعمال اللغوي في الامور المادية الفطرية هو الاصل في الحقيقة اللغوية والاستعمال في الامور المعنوية الطارئة بالترقي الديني والعلمي هو المجاز .

مساء الاربعاء ٢٣ شعبان — ٢١ دسمبر .

كتبت مـا تقدم صباح الجمعة ثم نزلت من الدار فذهبت الى دار الكتب لاسأل عن مجلدات الاهرام هل توجد كلها فيها لاجل تكليف من ينسخ لك مرادك منها — فقيل لي انها موجودة — وذهبت منها الى بيت محب الدين افندي الخطيب لاطلب منه بنفسي كتاب الاكليل وأزوره فانني منذ زمن طويل لم أره فلم أجده . وفي أثناء نزولي او غيبتي عن الدار جاءني أسعد افنـدي فلم يجدني . ثم جاء يوم السبت وأطلعني على كتابك له وأطلعته على كتابك لي وقد اعجبت بما كتبته له عن ... فانه غاية في التمحيص والنقد الذي يسمونه في هذه الايام بالتحليلي واما ما كتبته له في شأن ياسين باشا الهاشمي وعلاقته بالملك فيصل وما بنيته على ذلك من الرأي في المؤتمر فليس مثل الكلام في ... لانك عرفت فيصل ولم تعرف ياسين حق المعرفة . وقد كنت اضرب عن إتمام هذا الكتاب للاطلاع على كتابك الى أسعد كما اقترحت ثم عرضت لي الشواغل الشاغلة وأهمها المالية وانا اضطر في اكثر الايام الى النزول والخروج والغيبة عن الدار عدة ساعات تذهب بها بركة النهار كله . وقد وصل اليوم كتابك المؤرخ في ١٤ شعبان واخبرك قبل إتمام الكلام في ياسين والمؤتمر ان جميع ما اقترحت إرساله الى الخارج من كتبك قد ارسل وآخره نسخ

الارتسامات الى السيد محمد الداود في تطوان أرسلت بعد سفر عاصم وعندما كتبت اليك الكتاب المسجل لم تكن أرسلت وصندوق البوستة كان تأخر مدة عند المقاول لعدم علمه بالميناء الاقرب ولكنه اخبرنا من مدة بأنه ارسل . وسينسخ لك ما أمرت بنسخه قريباً . وقد وصل منذ ايام الى مصر عزيز باشا وأرسلت اليه منذ يومين الجزء التاسع من المنار الذي أرسلته اليك مع بعض ملازم الرد على الدجوي وأرجو أن أتمكن من زيارته قبل دخول شهر رمضان وابلغه ما كتبت لي عنه من تحية وثناء . ومن الغريب ان صديقه فؤاد بك سليم وصديقنا جميعاً لم يزرني منذ زمن طويل والمنتظر ان يكون قد سكن في الدار التي قيل لي انه استأجرها في « المعادي » بطريق حلوان .

ياسين باشا جاء مصر بعد وعد سابق ليذاكرنا في مسألة المؤتمر العربي وبعد الوقوف على رأي من هنا سافر الى القدس ثم الى بيروت ودمشق لهذه الغاية . ومسألة الوحدة العربية الكلية العامة وتوحيد سورية والعراق خاصة من مقاصده الثابتة التي لا يتحول عنها وهو يعد من نعم الله تعالى وآيات توفيقه اقتناع الملك فيصل بها لان هذا الاقتناع أقوى وسائل النجاح . بل يرى انه لولم يكن له طمع ولا غرض في ذلك لوجب علينا ان نوجد له هذا الطمع والغرض . ووقوفه موقف المعارضة في سياسة العراق وادارته له فيه اجتهاد يعتقد انه ضروري لمصلحة البلاد وانه اذا لم توجد معارضة قوية نزيهة تكون حكومة العراق شخصية استبدادية ولكن هذه المعارضة لا تتعدى المصلحة بل تقدر بقدرها — فهو في المسألة العربية يتفق مع الملك ومع نوري باشا وسائر من تعرف من الضباط

ورجال العراق المشهورين ولا سيما الذين كانوا في سورية عقب الحرب وشاركونا في اعلان استقلال سورية واستقلال العراق فلا يكن في صدرك حرج من هذه الجهة وهو يرى كما يرى أكثر اخواننا هنا وفي فلسطين وسوريا ان الدعاية العلنية في الجرائد للاتحاد بين القطرين قد ظهرت قبل التمهيد اللازم لها .

وأما الشيخ كامل فرأيه فى فيصل كما تعلمون ولما اضطر جماعة فلسطين بالاتفاق مع جماعة الشام وبيروت الى إرسال وفد الى الهمام اختاروا ان يذهب هو مع شكري بك القوتلي وآخرين فلم يستجب لهم غيره بعد ان كان معتزلاً لهم وللسياسة كلها . ولما لم يبق غيره كانوا على حذر ولكنني أنا اقنعته تمام الاقناع بأن سورية لا يمكن ان تستقل ولا تعيش وحدها وان كل ما يمكن ان يفرض من المحذورات والدسائس المانعة من هذه الوحدة فلا يمكن ان ترجح على المصالح التي فيها فاقتنع كل الاقتناع ومثلك لا يحتاج الى بيان الدلائل التي أقنعته بها وقد بينت له آراء الهمام وان غرضنا ان نقنعه بأن هذا الامر الذي لا بد لنا منه نجتهد أن يكون موافقاً لمصلحته (١) وان تكون اللجنة التنفيذية للمؤتمر

---

(١) ثبت من هنا ان السيد رشيداً كان هو ايضاً ممن لا يتردد في وجوب اتحاد القطرين الشقيقين وممن يرى المصلحة العامة فيه أرجح من ان يتردد فيها لاجل ملاحظات اخرى لا طائل تحتها . وكان يعتقد ايضاً وهو أخلص الناس للملك السعودي ان هذا الاتحاد يمكن تأليفه مع مصلحته .

من اخواننا الموادين له والمخلصين للامة التي لا يمكن العبث بها والسلام ؟

أخوك

رشيد

(حاشية) : اهنئك بشهر رمضان داعياً وطالباً لدعائك في صيامه وقيامه أطال الله بقاءك وأمتع ولدك وامتك بجهادك .

* * *

وكتب في ٧ شوال ١٣٥١ و ٢ فبراير ١٩٣٣ :

سيدي الاخ الامير المجاهد حفظه الله تعالى

كنت منتظراً وقوع ما يجلي لنا بعض الامور التي يجب اطلاعك عليها قبل الكتاب اليك حتى ورد مساء امس كتابك الوجيز الذي تستعجل به إعادة كتابك الى الهمام وها هوذا يلقى مع هذا في يدك وهاك أهم ما سألت عنه في مكتوباتك التي قبله :

(١) الشيخ فلان عاد الينا راضياً عن الملك وحكومته ورجاله وقومه وبلاده رضاء لا شين فيه وقد حمل معه جواباً من جلالته الى لجنة المؤتمر مفتوحاً وعهد اليه ان يطلعني عليه ويبلغني رأيه الشخصي في المؤتمر وفي ثورة عسير وغير ذلك . وكان جاءني من جلالته في البريد جواب كتابي الذي حمله اليه الشيخ وذكر لي فيه انه اختصر فيه الكلام اكتفاء بما يبسطه الشيخ بالتفصيل والتطويل فاما ما ذكره الملك في كتابه إليّ وكتابه الى اللجنة بشأن المؤتمر فهو انه يسره ويرضيه كل عمل للأمة العربية وانه يثق باخلاص الاخوان الداعين الى المؤتمر ومستعد للمساعدة على عمل عام تمكنه المساعدة عليه ... واما ما نقله الاستاذ من رأي جلالته

الشخصي فهو انه لا ينبغي ان يعقد المؤتمر في بلد فيه نفوذ خاص لحكومة خاصة يكون مظنة تأثيرها فيه • وتفسيره الصريح انه لا ينبغي ان يعقد في بغداد • أفضى الاستاذ بهذا إلي والى اسعد افندي مجتمعين عندي بدار المنار • فقلنا له واين ترجح او يرجح جلالته ان يعقد وهو متعذر في مصر من قبل حكومتها • وكذا في القدس وسورية ومتعذر في اوربة لما يقتضيه من كثرة النفقة • فلم يذكر مكانا آخر غير بغداد ولا يرضى ببغداد ! ولكنه صرح بأن رأيه الشخصي أن هذا المؤتمر لا يرجى منه أقل فائدة ولكن يخشى ضرره وحمل عن جماعة الملك الذين في مكة رأيا مكتوباً خلاصته انه لا يجوز عقد هذا المؤتمر الا بعد تمهيد له بوفود الى ملوك العرب نتفق معهم على ما سيقرر فيه ••• وان هذا يقتضي تأجيله سنتين او ثلاث سنين !! قلت له إن التأجيل بعد ما كان من الدعوة والكلام في الصحف لا يجوز مطلقاً « وبينت أسباب هذا » واننا نحن نعتقد انه مفيد واننا نجتهد في تحقيق اعتقادنا واتقاء الضرر الذي يخافه ••• وان أهم ما يجب البحث فيه اختيار أعضاء اللجنة التنفيذية التي أخبرنا جلالة ابن السعود بأننا نجتهد في جعلها من المخلصين الذين لا يعملون الا للمصلحة العامة ثم في مسألة المال الذي ينفق منه على عقد المؤتمر والنظام المالي الذي يناط باللجنة التنفيذية من بعد وتفارقنا على ان نعود الى الاجتماع مرة اخرى لنتفق نحن الثلاثة على تفصيل نكتبه للجنة القدس التحضيرية ورجوت الاستاذ ان يعود في المساء للافطار معي والاجتماع الخاص لاجل المذاكرة الخاصة بيننا وحدنا وتبليغ ما حمله إليّ من اخبار نجد الخاصة بي فقال انه لا يقيد نفسه بالافطار لان له شواغل خاصة من شراء كتب

وتجليد بعضها . قلت لهذا لا يهتم فإن الليل ليس فيه عمل من هذا ولا سيما وقت الفطور وهو غير مقصود لذاته لما تعودناه من البراءة من التكلف والتكليف . ولكن الاستاذ ذهب قبل الظهر وأقام في القاهرة يومين آخرين ولم يعد إليّ ليلاً ولا نهاراً مع ان عادته عندما يكون في مصر أن يزورني كل يوم وأن يأكل معي صباحاً ثم في أي وقت حضر فيه الطعام من ليل أو نهار ... وقد كنت أتوقع عودته هذه المرة في الليل والنهار وعهدت الى أسعد أفندي في البحث عنه والاجتماع به فتعذر عليه ذلك ..

فلما علمت بسفره منه في الليلة التي سافر فيها كتبت اليه كتاباً ذكرت له فيه انه قال عن بعض باشوات العرب (وهو ياسين باشا) انه لغز من الالغاز لا يعرف أحد باطنه ولا مراده وانه في سفره هذا لغز أشد خفاء وابهاماً من ذلك اللغز [1] ... الخ

فكتب إليّ بعد أيام قليلة كتاباً يعتذر فيه عن عدم العودة بتعب السفر والصيام وشغل الكتب ... ويذكر فيه تألمه لانني لم أوافقه على رأيه وانه سافر بعد وصوله الى حيفا الى بيروت بعد ان كتب الى أصحابه شكري بك ومحمد النحاس وخالد بك الحكيم ليوافوه فيها فاجتمعوا وقرروا مع رياض بك الصلح الاجتماع عنده في حيفا مع أعضاء لجنة القدس للبحث في مسألة المؤتمر . وقال إن من الضروري أن اسافر أنا وأسعد أفندي للقائهم يوم الاحد رابع شوال ... فارسلت اليه بطاقة قلت فيها إن

(١) هذه مداعبة داعبه بها والحقيقة التي لا مراء فيها هو ان هذا الرجل الذي يتكلم عنه السيد رشيد هو من افضل من نعرف من رجالات الامة العربية .

عذره غير معقول ويؤكد ذلك سفره الى بيروت وانه لا يمكنني المجيء الى حيفا بسبب العسرة المالية . وكتبت الى الاخوان في القدس بما حصل وبأنني تألمت من الاخ الاستاذ وبرأيه في الموضوع ورأينا نحن . . .

ثم جاء كتاب من اللجنة الى اسعد افندي بأن الاجتماع سيكون في حيفا يوم الخميس (وهو يومنا هذا) وكلم شكري بك القوتلي أمس أسعد أفندي بالتلفون من حيفا فأخبره بمجيئهم وطلب منه الحضور وتبليغي أنا أن أحضر أيضاً كأنهم يرون اننا موظفون عندهم ولكن أسعد أفندي كلمه بشدة تعجب منها ونحن ننتظر غداً أو بعد غد ان يجيئنا من اللجنة ما حصل والظاهر ان الاستاذ يريد من هذا الاجتماع إما تحويلهم عن عقد المؤتمر باسم التأجيل فإن لم يمكن فبعقده في غير بغداد بل غير العراق . . .

(الى أن يقول السيد): وسيجعل الله بعد عسر يسرا؟ أخوكم

محمد رشيد رضا

***

وكتب في ٢ ذي الحجة ١٣٥١ و٢٨ مارس سنة ١٩٣٣:

سيدي الاخ الامير

أحييك وأهنئك بعيد الاضحى السعيد أعاده الله تعالى عليك عشرات مكررة من السنين وانت ممتع بالصحة والعافية والنعم الضافية وقرة العين بالاهل والولد وبالتوفيق في خدمة الامة والملة . وقد أرسلت اليك الكراسة الاولى مما نسخه الناسخ من آثارك القلمية في الصحف القديمة فعسى ان تكون وصلت وأعجبك خطها . وقد وضعت فيها ورقة كالمذكرة بالمسائل

التي كان ينبغي أن أبسطها لك فلم يتسع الوقت لها أو لبسطها يوم أرسلت
ونيها خبر وجيز عن السيد فلان . ثم وقفت على أهم اخباره التي علمت
منها حقيقة حاله واجتمعت به قبل سفره مرتين . وخلاصة ما علمت من
أمره مما سمعته منه وعنه ومما نشرته الجرائد من أخباره انه ... مفتون
بحب الشهرة والمدح وتحري إرضاء كل من يجتمع به ولا سيما ان كان
له شأن .

ذكرت لك في المذكرة أن أحمد زكي باشا دعاه عقب وصوله الى
مصر الى شرب الشاي عنده فأجابه مشترطاً او مقترحاً عليه ان يدعوني
ويدعو التفتازاني الى شرب الشاي معه عنده فأجبت الدعوة ولما التقينا
أثنى لي على المنار وعلى تفسيره وما فيهما من خدمة الاسلام . قلت وهل
أنت راضٍ عن هذه الخدمة ؟ قال كيف لا ولا سيما حملاتك على
الملحدين والمبشرين وحملتك على الظهير البربري ! قلت أحمد الله تعالى على
رضاكم بذلك . وكان زكي باشا يشغلنا كلنا برؤية المسجد الذي يبنيه
ليدفن هو وزوجه فيه ... ولم يطل مكثنا عند الباشا لانني كنت مدعواً
الى حفلة شاي أخرى في فندق الكونتيننتال وعند الوداع ذكرنا ما نرجو
من تكرار اللقاء .

وذكرت لك انني كنت عازماً على زيارته وإن كانت العادة هنا وفي
أكثر الامصار الكبيرة ان المسافر هو الذي يزور ولكنني لما علمت انه
زار بعض اصحاب الصحف امتنعت عن بدئه بالزيارة .

ثم دعاني الشيخ حامد الفقي الازهري الذي كان أصدر مجلة الاصلاح
الرسمية بمكة المكرمة الى الغداء مع الشيخ المذكور مع بعض الشبان

من مشايخ الازهر والشيخ حامد من الذين يترددون عليّ كثيراً ويعد نفسه من اولادنا السلفيين وكان ملازماً للمذكور أو كثير الصحبة له. فأجبته واحتال عليّ فجعلني أذهب بعد الظهر الى فندق الكلوب المصري حيث هو مقيم وشهد لي بأنه صرح له ولغيره مراراً بعزمه على زيارتي وان الناس شغلوه عنها الخ... فذهبت وجلست معه ساعة شكا لي فيها من ضغط فرنسة على المغرب ومنعها عنه جميع الصحف الا الاهرام... وذكر أيضاً ما استغربه من اتهامي إياه بالرضاء بالظهير بالبربوي وان هذا يتضمن القول بكفره... قلت له انه قد جاءني من المكتوبات والمقالات في مسألة الظهير المذكور شيء كثير جداً لا يزال اكثره محفوظاً فلخصت المهم منه وعلقت عليه بما فتح عليّ به ولم أفطن لذكرك فيما كتبت. ولو ان أخي الامير شكيباً نقل لي عنك لكنت كغير العالم به[1]... وأما كونه يتضمن او يستلزم التكفير فيشترط في صحته عدم التأول وأنا لا أستبعد أن يكون مثلك يتأول ما نقل عنه من اعتقاد كفر البرابر بعدم صحة إسلامهم وقد نقل مثل هذا عن بعض الوهابية. وأنا أحفظ عن بعض علماء الازهر مثل هذا من قبل طلبي للعلم ذلك بأنه كان عندنا في دارنا بالقلمون جماعة من هؤلاء العلماء عقب الثورة العرابية وما أعقبته من احتلال الانكليز لمصر فسئلوا عن رأيهم في هذا الاحتلال فقال شيخ من كبارهم: إن الانكليز اهل كتاب وحكامنا من الترك

---

(١) كان السيد المشار اليه شكا إليّ ما اتهمه به السيد رشيد في المنار فكتبت انا الى المرحوم اوصيه بأن يتلاقى معه ويسمع ما يقوله في قضية الظهير البربري مما لا يخرج عن رأي السيد رشيد وآرائنا جميعاً.

كالخديو ووزرائه مرتدون والمرتد أسوأ حالاً في الكفر من الكتابي ...
فأنا لا أنسى طول عمري شدة ألمي من هذا الجواب وهو في معنى ما نقل
عنكم .

ثم ذكرت له ان السيد الزهراوي قال لي مرة ما بالي أراك تحمل
هَمّ مسلمي الجزائر وأمثالهم وهم غير مسلمين بالمعنى الذي تفهم به الاسلام
وتدعو اليه وتدافع عنه ... فقلت له : لو غيرك قالها يا عبد الحميد ؟ إن
أجهل الجاهلين من مسلمي الجزائر من الذين يرتكبون من البدع والضلال
ما هو كفر وشرك بحسب اصول عقائد الاسلام انما يفعلون ذلك لاعتقادهم
انه من الاسلام فهم معذورون بجهلهم لانهم لم تبلغهم دعوة الاسلام
الصحيحة ولكنهم يؤمنون بأصل الاسلام الاصيل وهو ان القرآن كلام
الله وكل ما فيه حق وأن محمداً رسول الله وكل ما بلغه عن الله تعالى
حق فاذا علموا مع هذا أن بعض ما يرتكبونه او يعتقدونه مخالف للقرآن
وللسنة الصحيحة فإنهم يتركونه قطعاً . واننا نرى الافرنج يبذلون الملايين
في سبيل جذب الناس الى دينهم بالتربية والتعليم والمعالجة وغير ذلك الخ ..
فأعجبه هذا الكلام .

ثم زارني المذكور في الدار فكان مما قلته له : انك لو زرتني من
اول الامر لنصحت لك نصحاً تتقي به كثيراً مما يقوله الناس ومما كتبوه
في الجرائد نقلاً عنك وطعناً فيك فان النصح خلق لي أبذله لكل احد
وانت في علمك ونسبك أحق الناس بنصحي . فاعتذر ثانية عن تأخيره
زيارتي وقال ان الناس كذبوا عليه حتى فيما كتبوه عنه من مدح إدارة
بلاده وحكومتها ... ومن مدح ملك مصر وتفضيله على جميع ملوك

المسلمين وهو لا يجهل ان هذا يسوء سلطانه و كذا تفضيله بالعلم . وإنما العلم عنده علم الدين وملك مصر ليس من أهله ... وذكرت له مطاعن أهل بلاده في سيرته السياسية والشخصية وعدهم إياه خصماً للمشتغلين بالسياسة منهم فأجاب عن هذا بأن هؤلاء الشبان المشتغلين بالسياسة المغربية ملاحدة وهو انما ينكر عليهم خطتهم الالحادية التي يقتدون فيها بملاحدة مصر... وكان بلغني عنه من الثقات انه يطعن على الوهابية عامة وعلى ملكهم خاصة. فذكر لي انه إنما ينتقد خطة ابن سعود في تنفيره المسلمين من جهة السياسة الاسلامية وإلا فهو على مذهب اهل الحديث في بدع القبور... فأجبته عند ذلك بما أقمت به عليه الحجة...

الى أن يقول:

هذا وان ما استقر عليه الرأي هنا في مسألة المؤتمر العربي ان لجنتنا كتبت الى لجنة القدس بموافقة لجنة بغداد والزعيم الهاشمي على جعل المؤتمر الاول خاصاً بعرب آسية وان يكون في بغداد في أوائل الخريف الآتي فإن وافقتنا قررنا البدء بالدعوة وإلا تولينا ذلك مع اخواننا في بغداد. وموعدنا في البت بهذا جلسة ليلة الثلاثاء الآتية إن شاء الله تعالى. وسأخبركم بما يتم والسلام عليكم وعلى نجلكم وزميلكم احسان بك وأطال الله بقاءكم لامتكم ولاخيكم ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب اليَّ في ١٦ المحرم ١٣٥٢ و ١١ مايو ١٩٣٣ :

سيدي الاخ الامير حياه الله تعالى

كنت منتظراً وصول ما وعدت به من ارسال ترجمة الامام الاوزاعي لاكتب اليك • فوصلت نهار أمس مع الصحف التي تفضلت بكتابتها في كتاب (حاضر العالم الاسلامي) وهي تجلّ عن الشكر • وقد عجبت من خوفك ان يضيع ما أرسلت من الترجمة عندي • وأكاد اقول انه لا يكاد يضيع عندي شيء • ولكن ما يكثر عندي من نوع واحد كمكتوباتك العادية قد يشق علي وجود واحد بعينه منها في وقت تزاحم الاعمال • وهذه الترجمة وامثالها من اصول ما يحفظ للطبع لا يضل شيء منه ان شاء الله •

رأيتك بالغت في استقصاء ترجمة الامام الاوزاعي وتاريخه حتى لا يعد ترجمة ولا تاريخاً مما يجعل في مقدمات التصدير كالذي ذكر في بعض الكتب عن مذهبه في المغرب والاندلس والذي ذكره ابن القيم عنه في مسألة صفة العلو • وتركت أهم ترجمة له على الاطلاق في رأيي وهي ترجمة الحافظ الذهبي له في (تذكرة الحفاظ) وهي ورقة او تزيد ولا شك انك لم تطلعْ عليها وانك تأذن في زيادتها • وان شئت كتابة مثل عبارة ابن القيم عنه في مسألة العلو ففي كتب الخلاف وفقه الحديث وشروح كتبه ما هو أهم منها عنه كنقل الامام الشافعي عن ابي يوسف اعتراضه على الاوزاعي في بعض المسائل وتخطئة الشافعي لأبي يوسف وتصويبه للاوزاعي • وهو في كتاب السير من الامّ وغير ذلك •

ومهما يكن من كثرة شغلي فان مساعدتك عندي من اهمه . فسأطالع ما أرسلت وما ترسل مطالعة تصحيحاً بعد أن اطلعت على ما وصل امس تصفحاً اجمالياً ثم اعرضه على من ذكرت للمذاكرة في طبعه له على نفقته أو ابلغك رأيه .

واما الكراسة التي نسخت من آثارك من المؤيد والاهرام فقد كنا كتبنا سؤالاً رسمياً عنها لمكتب الاستعلامات في ادارة البريد العامة هنا فأجابتنا في اول هذا الاسبوع بأنها لم توجد فعلمنا بالعقل ان أحد عمال البريد سرقها وعهدت الى ناسخها ان يعيد نسخها وسيفعل . وكان موعوكاً فشفي وسيرسل كل ما ينسخ مسجلاً ان شاء الله تعالى . وكان ارسال الكراسة الاولى بفعل ابن أخي (عبد الغني رضا) هنا ولم أكن أعلم انه يحتاج الى التوصية بتسجيله وقد علم وعلمنا بما يفيدنا مرة اخرى هذا . وان مسألة العسرة المالية قد بلغت النهاية إذ بلغتنا شركة الرهن العقاري منذ ايام بأنها عهدت الى المحكمة المختلطة .

الى ان يقول :

وأما ديون التجار فقد وفينا منها مئات من الجنيهات ووضعنا بالباقي كمبيالات جديدة مقسطة أقساطاً يسهل اداؤها ان شاء الله تعالى بدون دفع أقساط كبيرة . ويبقى ديون الاصدقاء وهي لا ربح لها ولا إرهاق في تقاضيها فتؤدى بالتدريج إن شاء الله تعالى . هذا هو تفصيل ما سألت عنه في الكتاب السابق .

هذا وان سعادة عزيز باشا قد تبرع للادارة بثلاثين جنيها للمساعدة على نشر الكتاب الذي ننشره في مسألة الوحي وقد سافر قبل ان

أتمكن من خلوة به أستأذنه فيها بإعلان هذا التبرع والشكر العلني عليه وهو قد أرسل المبلغ بصفة أدبية تليق بلطفه وذوقه الدقيق . أرسلها في ظرف مختوم مع سائق سكيته فأرجو أن تبلغه اغتباطي بمودته وشكري إياك عليها إذ كنت المرغب فيها وأن تقف لي على رأيه في إعلان الشكر على التبرع ليكون قدوة في المساعدة على نشر الدين والسلام عليك وعليه وعلى نجلك وصنوك في السيامة من أخيكم ؟

محمد رشيد رضا

***

وكتب في غرة صفر ١٣٥٢ و٢٥ مايو ١٩٣٣ :

سيدي الاخ الامير دام محفوظاً موفقاً

أرسلت اليك المكتبة ما طلبت من كتبك وفيه الكراسة الثانية المخطوطة من آثارك القديمة في المؤيد والاهرام ولم أرها لضيق الوقت أرسلت خالصة الاجرة لئلا تكلف دفعها مضاعفة في جنيف بمقتضى نظام البريد العام . واما الكراسة الاولى فكنا سألنا عنها مكتب الاستعلامات « في ادارة بريد مصر عنها رسمياً ودفعنا له الاجرة المعتادة فرد علينا بعد مدة طويلة بأنه لم توجد للكراسة أثر في « المهملات » فأمرت الناسخ ان يعيد نسخها كما كتبت اليك في المكتوب السابق .

وقد طلب ابو الحسن مني ما أرسلته من مقدمة ترجمة الامام الاوزاعي فأعطيته إياه ليساوم الحلبي عليه . وذكرت له ترجمة الامام في كتاب طبقات الحفاظ للذهبي وقلت له : إن من الضروري نسخها وإلحاقها بالمقدمة وانني مستعد لتصحيح ملازم الطبع إذا أرسلت إليّ لا يصدني عن خدمة

أخي الامير كثيرة الشغل . وأنا ذكرت لك ترجمة الحافظ الذهبي للامام وإنها أهم من كل ما جمعته من الكلام عنه .

وأما حديث « إن الله تعالى زوى لي الارض » فهو في صحيح مسلم وغيره من حديث ثوبان (رض) وتجد نصه مع هذا في ورقة خاصة مع أحد أسانيد مسلم له وتجده أيضاً في الجزء السابع من تفسير المنار .

وقد قرأت الملحق الذي في مكتوبك الاخير بشأن أخلاق ابي سعيد[1] العجيبة وهو سيزداد علماً بالخطأ الذي اقترفه معك . ولكن لا يعتبر لان غريزة الربوبية في اعصاب المفتونين بعظمة الامارة والملك تطفئ نور العقل ونور الفطرة في كل ما يعارضها الخ . . . وأنا قد أرسلت لابي سعيد كتاباً عندما زار القدس عقب انعقاد المؤتمر الاسلامي ذكرت له فيه مسألة التاريخ المعلومة وكون بيان الحق الواقع فيه واجباً شرعياً وعرفياً وما تلطفت فيه بشأنه وما قرنته به من مدحه فيما ليس من موضوع التاريخ فلم يجبني ولكنه كلف حافظاً بأن يبلغني سلامه ويقول كلنا نخدم الاسلام . وكتبت اليه في آخر العهد بزيارته الاخيرة كتاباً أظهرت فيه أسفي لما وقع من الاسباب التي قضت بما عاملته به البلاد وانه كان من الممكن أن تجمع على حسن مقابلته والحفاوة به . . . ولم يجبني عنه أيضاً وإنما قصدت تثبيت النصح لا الجواب .

ذكرت لك في الكتاب الذي قبل هذا خلاصة موقفنا في العسرة وقد تجدد بعده انه تيسر لنا أن نتفق مع شركة الرهن العقاري على وقف

---

(١) هي كناية مأخوذة من قول القائل :

كل يوم تبدى صروف الليالي خُلُقاً من أبي سعيد عجيباً

تنفيذ الاعلان عن بيع الدار بدفع ٢٠٠ جنيه لها وجعل الباقي مع فائدته ٣ أقساط الى مدة سنة كل قسط ١٥٠ جنيهاً ويستحق في اثناء ذلك القسط الاول من الباقي للبائع علينا وهو ٣٠٠ جنيه . وعسى الله أن يهيء لنا دفع كل قسط في وقته بفضله ورحمته . هذه جملة ما عندي في شأن مكتوباتنا الاخيرة ولدي مسألتان جديدتان من مسائل السياسة العربية ومسألة أهم منها في الاصلاح الاسلامي : « المسألة العربية الاولى » زار مصر في هذا الاسبوع الشيخ يوسف ياسين وصل ظهر يوم الاثنين وسافر في مساء أمس (الاربعاء) الى القدس وينوي ان يقيم فيها يومين يبحث فيها مع المجلس الاسلامي الاعلى في مسألة أوقاف الحرمين في فلسطين . ولو كان الحاج امين رئيس المجلس هناك لأقام مدة أطول وسيسافر من القدس الى حيفا فدمشق فبلده (اللاذقية) لقضاء بقية إجازته فيها وإنما مدتها ٣٠ يوما تبتدئ يوم خروجه من جدة وتنتهي بيوم عودته اليها . وأهم ما علمته من أخباره التي أفضى بها إليّ في سمر ليلة استمر الى ما بعد نصف الليل أن مسألة العقبة ومعان لا تزال معلقة الى مفاوضة خاصة . وسأكتب اليك كتاباً خاصاً في رأيي فيها وما يجب أن نعده نحن لهذه المفاوضة وما كنت كتبته بشأنها في أيام ثورة ابن رفادة ولم أنشره لفوات الفرصة التي كانت سانحة وانتهت بما ساءني يومئذ أشد الاستياء وكتبت الى الملك فيها كتابة شديدة ولكن يوسف كشف لي العذر الصحيح الذي ما كان ينبغي أن يكتب وأخبرني أيضاً بل ما كنت احب أن اعرف حقيقته عن الدولة العربية السعودية الماضية والحاضرة وأهمها قرب الاتفاق النهائي التام مع الامام في بقية المسائل المعلقة ووضع

نظام جديد للاصلاح المالي سيمكن الحكومة من غيره عند وجود المال. ومنها الاهتمام الاكبر بمسألة الوحدة بين سورية والعراق ومن فروعها المؤتمر العربي وهم يخالفون رأيك فيها بأشد مما علمت من المكاتبات فيها معهم.

« المسألة العربية الثانية » وهي متصلة بآخر الاولى مسألة سورية وقد ظهر للشعب كله صحة رأي لجنتنا ورأي وفدكم فيها وقد علمتم ان الناس قد كتبوا في الشام توكيلاً لجلالة الملك فيصل يرجونه فيه بذل نفوذه لدى الدولة الفرنسية لإقناعها بما يطلبه الشعب من الوحدة والاستقلال.. وقد أمضي نسخه كثيرون في جميع البلاد ولعل نصه وصل اليكم . واما مشروع المؤتمر العربي فقد عرض له من الركود والرقود ما لعله قد بلغكم مجملاً . وأهم أسبابه سوء تصرف لجنة القدس بما نفر الهاشمي باشا وظن انه هو الذي حمله على الاستقالة من لجنة بغداد وانتهاء ذلك بتصدي لجنة أخرى للعمل اعضاؤها من حزب المعارضة وليسوا ممن أشربت قلوبهم القضية العربية من قبل كالاولى . وعجزت لجنتنا عن فهم كنه الحال هنالك وسينجلي لنا كل شيء نريده بمجيء الملك فيصل الى عمان ومقابلته اخواننا أو بعضهم هنالك ثم مروره بمصر ومقابلتنا له والذي نريد أن نعلمه هو: هل يكون المؤتمر مؤتمر دعاية عربية عامة للناطقين بالضاد كما وضع السامة الاول فى القدس ام مؤتمر تمهيد للعمل الخاص بعرب آسية ولا سيما سورية والعراق ؟ .

« المسألة الدينية » هي أنني أتممت كتابي الجديد الذي وضعته في الوحي وإثبات نبوة محمد « ص » وقد ختمته بتحدي العالم المدني الحاضر ولا سيما علماء الافرنج وأحرارهم ودعوتهم الى الاسلام لاصلاح البشر

وتقرير السلم العام فيه بتعاليم القرآن الجامعة بين العلم والاذعان الديني — فاقرأ الخاتمة في جزء المنار الذي يصل اليك في البريد الآتي قراءة دقيقة ثم أكتب لي كشفاً بأسماء أشهر علماء اوربة الاحرار ولا سيا المستشرقين لأرسل اليهم الكتاب عند تصديره واذكر لي قبل ذلك كل رأي لك فيه والسلام عليك وعلى نجلك وزميلك والسيد الطباطبائي ان كان باقياً عندكم. ومسألة سفري الى الهند للعمل مع لجنة المؤتمر لا أصل لها. ولم أعلم سببها؟

اخوك

رشيد

* * *

وكتب في ١٣ ربيع الاول ١٣٥٢ :

سيدي الأخ الامير أيده الله ودام توفيقه

قد طال الامد على الكتاب لعدم تجدد باعث قوي يرجح على الشواغل الكثيرة. ومما فرغنا منه في هذا الاسبوع اتمام الطبعة الثانية للجزء الثاني من التفسير وقد زدته تنقيحاً وأضفت اليه فوائد ومسائل كثيرة — ومنها كتاب (الوحي المحمدي) الجديد وقد تحريت اصداره في يوم ذكرى المولد النبوي «أمس» وانني ارسل اليك اليوم بنسخة منه ونسخة من كتاب آخر طبع عندنا باسم «نقض مطاعن في القرآن الكريم» لعالم من شبان الازهر الادباء قراء المنار. وقد كتبت له مقدمة تعجبك ان شاء الله تعالى. ومنها مقدمة كتاب «المنار والازهر» وهي مهمة ولكنني لم أصدر الكتاب لانه بدا لي ان أطيل خاتمته.

انني لما طبعت مقدمة كتاب الوحي المحمدي تنفست الصعداء لانني لم أتعب في شيء كتبته كتعبي به وندمت ان كنت تركت لمقدمته ملزمة مفردة اذ لم أكن عند البدء به أقصد ان يطول وأن أجعله تحدياً لعلماء العصر من الافرنج ودعوة لهم الى الاسلام وهو ما وضعت خاتمته للتصريح بها . وانني أرجو أن تقرأه كله في وقت تخصه به من الصباح او المساء وتعلق لي عليه ما تراه من نقد يفيدني عند اعادة طبعه التي ربما كانت قريبة لاننا لم نطبع منه غير الفي نسخة بسبب عجزنا عن شراء الورق وأهم ما اقترحه من النقد ما يتعلق بتأثير الكلام عند علماء الافرنج وما يجب ان يزاد عليه او يحذف منه . ولا تنس ما طلبته من قبل من عناوين العلماء المستشرقين والمجلات الاوربية التي يرجى أن تكتب عنه وتنقده وسأرسل لسعادة عزة باشا نسخة مجلدة ونسخاً اخرى .

وقد ألقي إليّ منذ ثلاث الجزآن الاول والثاني من كتاب حاضر العالم الاسلامي فلم أفرغ للنظر فيه الا بعد الظهر من هذا اليوم عند ارادة القيلولة فكان أن طرد النوم عن عيني وشغلني بمقدمته وفصوله الاولى الى اواخر الساعة الثالثة فهببت الى ادراك صلاة الظهر وتمنيت لو كنت اطلعت على ما فيه من أقوال علماء اوربة في الاسلام ونبوة محمد « ص » قبل كتابة بحثي في الوحي ولا سيما كلام درمنغام الذي نقلت منه ما تراه عن جريدة السياسة ورددت عليه .

ولكن من فوائد جهلي بأقوال علماء الافرنج انني كتبت ما كتبت مستمداً كل علمي من القرآن ومن السنة الصحيحة . وسأعود الى درس هذه الفصول قبل الشروع في اعادة طبع الكتاب لاحصي ما أراه من

انتقادات هؤلاء العلماء وأرد عليها • ونظرت نظرة إجمالية فيما كتبته عن ترجمة القرآن وعجبت لك كيف عنيت بكتابة رأي الشيخ المراغي والشيخ بخيت دون رأي أخيك • وقد أخطأ صديقنا المراغي فيما كتبه في هذا الموضوع من جهات لا من جهة واحدة او ثنتين • وكنت شرعت في كتابة مقالات في المسألة غير ما كتبته من قبل فلما رأيت متبعي الاهواء من علماء الازهر تصدوا للرد عليه اكتفيت بمقالة واحدة•

وقد شغل الذي كان يبحث عن آثارك في الجرائد بعمل انفع له فعينا آخر مكانه ولما يظفر الا بمقالة لك في الشعراء وقصيدة « نداء الهلاليين الثمانيين » فنسخها وهو يبحث عن غيرهما • هذا ما تيسر لي ان اكتبه بعد العصر وأنا صائم واليوم حار والسلام؟

محمد رشيد رضا

***

وكتب إليّ في ٥ ربيع الآخر ١٣٥٢ و٢٦ يوليو ١٩٣٣ :

سيدي الاخ الامير المجاهد نصره الله واعزه واطال عمره كهلا قوياً

افتتحت كتابك الاخير (رقم ٢١ ربيع ١) بنغمة من نغماتك السابقة في الشيخوخة واستطالة عمرك وعمري بارك الله فيهما • وقد كنت عذلتك على تلك النغمات حتى ظننت انك قد تبت وأنبت حتى نسيت تلك النغمات على انك بشرتني في آخر كتاب ذكرت فيه هذه المسألة ان اكثر المصنفين من المعمرين فعلينا ان نعنى بزيادة التصنيف ولكنني أستثني اوقات العبادة

من قيام وتلاوة وذكر فهي لا بد منها وان كان التصنيف في خدمة الاسلام افضل من نوافلها.

لقد آسفني ان رأيت كتابك النفيس في بيان أحوال المسلمين في العصر الحاضر طبع ثانية مع كتاب حاضر العالم الاسلامي المترجم وان كانت نصيحتي السابقة لك وتخطئتك على هذه الفعلة لم تثمر - وانك لا تزال في غاية البعد عن معرفة شؤون الكسب الدنيوي . انني موقن بأن ضم كتابك الى ذلك الكتاب قد نقص من قيمة كتابك العلمية كثيراً أو قليلاً ولكن ما نقص من حظك المالي منه أعظم .

الى ان يقول :

إن فلاناً شاب مهذب عامل يستحق المساعدة ولكن هذه إضاعة لا مساعدة وقد ورد في الحديث « المغبون لا محمود ولا مأجور » رواه الخطيب والطبراني وابو يعلي عن علي والحسن والحسين عليهم السلام على هذا الترتيب .

« جمع المصدر » اذا استعمل المصدر بالمعني المصدري المحض فلا معنى لجمعه عقلاً واما جمعه اذا أريد به انواع الحاصل بالمصدر فقد صرحوا به . وما كان نوعاً واحداً في القديم وصار أنواعاً في الحديث فهو يدخل في عموم تصريحهم كالجهود يراد انواعها(١) واما جمع اللفظ بالالف والتاء فهو مقيس في مواضع : (١) ذي التاء مذكراً كان أو مؤنثاً كطلحة (٢) ذي الالف المقصورة والممدودة (٣) العلم المؤنث كزينب الاياب حذام

---

(١) رأيت أمثلة في جمع المصدر في كتاب سيبويه.

عند من بناه (٤) المصغر كدريهمات (٥) وصف المذكر غير العاقل كأيام معدودات ومعلومات . وما عداه سماعي كحمات وثيبات وسجلات . هذا هو المشهور في كتب النحو كما تذكر ولكننا نرى العلماء والكتاب قد أكثروا منه للحاجة فالظاهر انهم يرونه قياسياً وسأعود الى الكتابة اليكم في هذا في فرصة أخرى .

رأيت في كتابكم النفيس المظلوم بحثاً في الشيعة ساعود الى استقصائه لاجل الإحاطة بما فيه من خَبركم وخُبركم . واعجل لكم الآن بكلمة في نشاط شيعة العراق الاخير في بث دعايتهم ومؤلفاتهم الجديدة في الطعن على أهل السنة وتفضيل مذهبهم . وقد علمت ما كان من شيعة سورية وجبل عامل من نشر مصنفات ومن ردي عليهم وتصدي أحدهم السيد عبد الحسين نور الدين لطلب المناظرة وتصريحه فيما كتبه إليّ بأن كلا من الفريقين يعتقد ان الآخر غير متبع سبيل المؤمنين الخ ..

وقد نشروا من عهد قريب كتابين أحدهما لأشهرهم في الاعتدال والميل للاتفاق مع أهل السنة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء طبع في مطبعة العرفان بصيدا وهو على كونه يمتن على المسلمين كلهم بميله الى الاتفاق وانه لولا ذلك ا... يقول متمثلاً في علي كرم الله وجهه :

الا إنما الاسلام لولا حسامه　　　لعفطة عنز او قلامة ظافر [1]

---

(١) العلامة المجتهد الكبير السيد محمد حسين كاشف الغطاء هو من اعظم علماء المسلمين رغبة في الاتحاد الاسلامي وله كتاب في اصول الشيعة من احسن ما كتب الناس في هذا الموضوع وهو يصرح بأن سيدنا علي اعترف بخلافة أبي بكر ثم بخلافة عمر رضي الله عنهم جميعاً بسبب انه رآهما قاما حق القيام بأمر

ويقول ان أول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام هو صاحب الشريعة الاسلامية ـ يعني ان بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنباً الى جنب وسواء بسواء الخ !! وزعم ان الشيعة هم واضعو علوم التفسير والحديث الخ الخ ...

والثاني تأليف « السيد محمد صادق السيد محمد حسين الصدر » وطبع في بغداد من عهد قريب وهذا قد جاوز الحد في الطعن على اهل السنة وتكذيب البخاري وغيره من المحدثين الاعلام بل تكذيب أشهر رواة الحديث من الصحابة ولا سيما ابي هريرة وترجيح مذهب الشيعة في كل مذاهب الخلاف الخ .

ليس هذا هو المهم فهذه شنشنتهم كما سمح لهم الوقت . ولكن المهم ان حكومة العراق لم تسمح لاحد من أهل السنة بالرد عليهم ولم تصادر هذين الكتابين كما صادرت كتاباً طعن عليهم لكاتب الظاهر انه متفرنج ولم أر كتابه ـ واهم من هذا ان بعض العلماء كتب إلي من بغداد ان المحقق الذي لا ريب فيه ان حكومة فيصل تريد مساعدتهم على جعل العراق كله شيعياً في مقابلة سنية أهل نجد لتكون العداوة بين الفريقين دينية فلا يطمع ابن السعود بنشر مذهبه في العراق ... هذا خبر يجب التروي فيه بالهدوء والحكمة . وقد اجتمعت منذ ايام بسائح عربي اقام في

ـ الاسلام وهو الامر الذي كان يهمه دون سواه اذ لم يكن علي كرم الله وجهه طامعاً في الخلافة لاجل اسباب دنيوية كان أبعد الناس عنها ولقد أهداني السيد كاشف الغطاء تأليفه هذا فأعجبني كل ما فيه مما أتذكر إلا استشهاده بهذا البيت الذي انتقده السيد رشيد وكتبت اليه برأيي فيه .

العراق عدة اشهر من العام الماضي يحب الملك فيصل ويمدحه ولكنه يقول ان الشيعة يجتهدون اشد الاجتهاد في نشر مذهبهم في بقية قبائل العراق الباقين على السنة فضلا عن المدن وان نفوذهم هو الذي يشتد فيجب ان تعلم هذا وتفكر فيه ٠

هذا وانك قد علمت انني في هذه المرة قد قابلت جلالة الملك فيصل في مطار عين شمس الانكليزي عند وصوله من فلسطين ثم قابلته مع الدكتور شهبندر والدكتور حسين احمد مقابلة خاصة ـ وقد عانقني عند اللقاء وانشد: وقد يجمع الله الشتيتين ٠٠٠ وعلمت انه يريد السعي في انكلترة لضم شرق الاردن الى العراق[1] ٠٠٠ واقترحت عليه ان يلقي في اذن ملك الانكليز اذا سمحت الفرصة كلمة يعلم بها عظمة شأن مركز العقبة ومعان في العالم الاسلامي من حيث كونه من الحجاز الخاص بالمسلمين وان امكان المودة بينهم وبين الانكليز التي يسعى لها هو « فيصل » قد تقف في سبيلها هذه العقدة ٠ ولكن الوقت كان ضيقاً كما ضاق هذا الكتاب فلم ينقه مرادي تمام الفهم وكتبت اليه فكانت الكتابة كالمشافهة وأحببت ان تعلم ذلك والسلام ؟

رشيد

* * *

---

(١) وقد كان للملك فيصل كاشفني انا ايضاً بذلك وفرحت حتى قال رحمه الله لزميلي الجابري : لا ينام شكيب هذه الليلة من الفرح بهذا الخبر ٠ والحقيقة ان فرحي كان مشوباً بضعف الامل في تحقيق هذا المشروع من وجوه كثيرة ٠

وكتب إلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة في ١٩ ربيع الاخر ١٣٥٢ و ١٠ اغسطس ١٩٣٣

سيدي الاخ الامير المجاهد الكبير

شفاك الله شفاء لا يغادر ألماً ولا سقماً وحفظك لامتك وقومك ولآلك في النسب وفي العلم والادب ، وقد أُلقي إلي كتاب منك كتب قبل وصول كتابي الاخير اليك فانتظرت رجعه فوصل امس .

(١) واول ما اجيب عنها الشكر على دعوتك إياي الى الاصطياف عندك في جنيف ولو أوتيت سعة من المال انفقها في هذه السبيل لاجبت دعوة اولادي اياي الى الذهاب بهما الى بلدنا بعد ان نجح شفيع في امتحان شهادة القسم الاول الثانوي « الكفاءة » والمعتصم في امتحان الشهادة الابتدائية لان هذا من حقهما وحق سائر آل البيت علي وان كنت أستفيد من العلم والاختبار في قربك ومعك في سويسرة ما لا استفيده في سورية ولو كان المال حاضراً لامكنني إرسالهما الى القلمون والمجيء بنفسي الى سويسرة .

(٢) ثم ان ما اقترحه عليك في كتابك عن العالم الاسلامي ان تجعله عدة كتب مستقلة باسماء مختلفة اولها « دعاة النصرانية — المبشرون » فيجب ان تبدأ في اول فرصة بعد ابلالك وعودة قوتك اليك بنشر كراسة او دفتر تبين فيه مواضع هذه المباحث من الكتاب المطبوع بأرقام صحائفها من الاجزاء وترتيبها عند جمعها في كتاب مستقل مع علامات للمواضيع التي تريد زيادتها عليها بحيث يسهل جمعها وطبعها مرتبة مبوّبة مفصلة وهذا

الكتاب يروج في هذه الايام جداً إذا أمكن طبعه .

ويليها كتاب آخر في جمع ما كتبه علماء الافرنج في الاسلام والنبيّ عليه أفضل الصلاة والسلام ويجب الاستعداد له بمثل ما ذكرت فيما قبله ولا تنسَ ما تريد زيادته فيه ووضع الارقام على ما تحب ان تعلقه على تلك النقول من استدراك أو ردّ بقلمك او ما تختار ان يعلقه أخوك هذا عليها .

وعلى هذين فقس سائر المباحث التاريخية والتراجم التي يجمعها أمر كلي وسأبين فيها رأيي أيضاً عندما أراجع المجلد الاول وقد أخذه السيد عاصم مني ليطلع عليه ويطلع غيره وعندما يجيئني المجلد الثاني ومن عادة الحلبي أن لا يرسل الثاني لاصحاب الصحف الا بعد تقريظهم الاول لاجل إعادة التقريظ .

الى ان يقول :

(٥) أفلم يأن لهذه الدولة على ذكائها أن تعلم انه لا يمكنها ان تؤسس في سورية شعوباً تتغلب بهم على الامة العربية الاسلامية مع اتصال سوريا بالعراق ونجد والحجاز وان العرب اذا عجزوا عن تأليف دولة عربية متحدة بأنفسهم فان سورية ستكون لانكلترة من دونهم ؟ وهم يرون مرفأ حيفا أعظم من مرفأ مرسيليا وانه حربي وتجاري وان بجانبه حظيرة للطيران الحربي من أعظم الحظائر ومن ورائها حظيرة شرقي الاردن وحظيرة العراق ولا يعلم الا الله ما سيكون في خليج العقبة الخ الخ ...

(٦) مسألة المؤتمر الاسلامي الاوروبي قد أحسنتم بكفالته فإن أخانا محمود بك سالم متردد الرأي وقد أطلعت أخانا فؤاد بك على كتابكم

فقال ان الصواب ان لا تدعوا حكومة الترك الى هذا المؤتمر ولا معنى أيضاً لدعوة مفتي أدرنة من دون حكومته وأراه مصيباً.

(٧) الصواب ان تكتب أو تنشر ما تكتب في تقريظ كتاب «الوحي المحمدي» في جريدة الجهاد لانها أكثر انتشاراً ويجوز أن ينقله الفتح ولا عكس . هذا واني اخبرك ان فلاناً يخالفك كل المخالفة في سياستك السابقة في الدولة العثمانية وقد نشر لك ما كتبته في ذلك محاباة لك ولكنه لا يستطيع ان يكتب كلمة واحدة في استحسان هذه السياسة او الاقرار بأنك معذور فيها ...

«اخبار البلاد العربية» مر الملك فيصل بمصر منذ عشرة ايام متنكراً ومعه نوري باشا فقابلهما أسعد داغر وعلم منهما ان الملك جازم بأنه سيعود الى سويسرة بالطيارة بعد اسبوع . ولكن ظهر ان مسألة الاشوريين فوق ما كان يقدر . وقد اصطدموا بالجيش العراقي وجرى القتال بينهما ولما تنته المسألة بعد ولكن لا خطر على العراق منهم وإنما البلاء الاكبر والخطر الاظهر اشتداد الشقاق بين الامام والملك السعودي فاقرأ جوابه في برقيات الاهرام وعجل في نصيحة الامام محذراً إياه من سوء الخاتمة التي تصدى لها والسلام ؟

اخوك

رشيد

* * *

وكتب في ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ واول سبتمبر «ايلول» سنة ١٩٣٣:

سيدي الاخ الامير

أبطأت عليّ بوجع كتابي الاخير اليك ولم أدرِ ما فعلت مع ابي الحسن

شأن كتاب «حاضر العالم الاسلامي» فانه لم يزرني في هذه المدة وكنت
قرأت في بعض الجرائد انك غادرت «جنيف» للتجوال في بعض البلاد
ثم جاء الاستاذ القاياتي فأخبرني انه تركك فيها ولم يلبث ان طلع علينا
مقالك في مسألة الخلاف بين الامامين العربيين منشور اللواء في جريدة
الجهاد فرأيتك فيه قد خالفت الخطة التي التزمها جميع الذين كتبوا في
هذه المسألة ووافقت الشيخ التفتازاني وحده وهو الذي نصب نفسه للدعوة
الى العلويين وآل البيت والقبوريين والدفاع عنهم والنيل من ابن السعود
وقومه وان كان غرضك أنزه من غرضه ومقصدك أشرف من مقصده وأما
الجمهور من الجماعات والاحزاب واللجان واصحاب الصحف والافراد الذين
كتبوا في الجرائد والذين أرسلوا البرقيات الى الامامين فقد اجتنبوا كلهم
اظهار ادنى تحيز [1] الى امام من الامامين او فئة من الفئتين ولقد كنت
أحق منهم بذلك فما بالك صرحت بما صرحت به من ترجيح اليمن على
الحجاز في محل النزاع وهو مسألة عسير في هذا الوقت العسير ومن
الطعن في رجال الملك ابن سعود بما يدل على انك ترى انهم يزينون له
ما يخالف مصلحته ومصلحة الامة وهذا تأييد للحكم عليه في محل النزاع
ايضاً فان كان صحيحاً في نفسه فرضاً فالتصريح به في الجرائد جاء في غير
وقته والقوانين تحرم على الجرائد ان تكتب في القضايا المرفوعة الى المحاكم

«١» ذكرت في ذلك المقال انه لو ترك الامام يحيي امارة الادريسي لابن
سعود فصداقة ابن سعود خير له من هذه الامارة . وكذلك لو تركها ابن سعود
لليمن فالتحالف مع الامام يحيي أحسن له منها . وهي لم تكن له في الاصل .
وأشرت بقسمتها فيما بينهما على ان يتحالفا .

ما يقوي حجة الخصمين على الآخر ثم ما كان اغناك مع هذا ان تختار المحكمين او من يصلحون للحكم في هذه القضية ونقترحهم في مقال بنشر؟ نعم انك طعنت على رجال الامام ايضاً ولكن هذا الطعن لا يتضمن إضعاف حجته او طمعه في عسير الذي هو محل النزاع ولا تنس ما سبق لك من الطعن في جماعة الملك وتأثيره الآن .

كل اولئك مما لم أكن أحبه لك على ما اعتقد من حسن نيتك فيه وما كل ما تحسن النية فيه يحسن الفعل . وهو يسوء الملك السعودي ورجاله بما يبعدهم عن قبول كلامك في غير هذا الا فيه وحده فما الفائدة منه اذاً؟ ثم انني اجتمعت في هذا الصيف بالشيخ يوسف ياسين وكان مما اخبرني به ان جلالته باذل قصارى جهده في عقد المحالفة بينه وبين الامام وان الرجاء فيها قريب . ثم لقيت بعد سفره فؤاد بك حمزه فأخبرني بمثل ذلك وانهم كلهم متفقون عليه وان الوفد الذي في صنعاء موصى آكد الوصايا بالتساهل التام في سبيل النجاح وقد حدثت هذه الحركة بعد عودة الوفد من صنعاء خائباً . والمشهور ان الذي بث الخبر في فلسطين وسورية فؤاد بك حمزة وهو في مصطافه من وطنه «لبنان» وقد عاد الى مصر منذ يومين ولكنني لم أره ولم اعلم به الا اليوم .

إن مثلك يا اخي في علمك الواسع بسياسة الامة ومصالحها وجهادك الطويل وسنك ونسبك ومركزك يجب ان تكون موضع اتفاق عند ملوك الامة وسوقتها وخاصتها وعامتها وزعمائها وجماعاتها وأحزابها حتى لايكون لاحد ممن ذكر صارف عن الانتفاع باختبارك ولكن هذا الاتفاق لاينال تاماً ولا ناقصاً قليلا الا باتقاء للنفرات الصادعة والصراحة المريبة وبمراعاة

الاستعداد للكلام وانتهاز فرص الشعور بالحاجة اليه فما كان معقولاً عندك ربما لا يكون معقولاً عند غيرك إلا بعد درس طويل واختبار عميق .

انك أنت الذي فتحت باب الدعوة للوحدة بين سورية والعراق و كان ذلك في وقت غير مناسب وأهل سوريا غير مستعدين للاقتناع بقبول هذه الدعوة فكثر خصومها وخصومك لاجلها[1] . ولولا وجود اخوان لك دافعوا عنك لكثر الطاعنون فيك يومئذ و كانت تلك الحجج الطويلة التي أدليت بها غير مقبولة فكانت الدعوة سبباً لما علمت من الاعراض عن الملك فيصل وعن وزرائه عند صدورهم بالشام الخ ... ولا تزال تلك الصراحة والمبالغة في الاحتجاج مثار الفتنة و كان الراسخون في العمل لفيصل حتى الدكتور قدري والدكتور شهبندر يرون ان التصريح بالدعوة ضار في ذلك الوقت وجنحوا لها في هذا العام لانقلاب الافكار مع التحفظ ...

وصرحت في السياسة العراقية تصريحاً آخر أغضب اكثر زعمائها وأكثر المشتغلين بسياستها ولما يزل سوء تأثيرها من أنفسهم كما تعلم ... أريد بهذا وذاك ضرب المثل وأرجو ألا يكون موضع بحث ولا جدل والسياسة ليست كالعلم والدين يكفي فيها تأليف الحجج والبراهين يبرأ به

---

(١) لا تزال مع الاسف الاهواء الشخصية دون المصالح العامة هي مدار السياسة في الامة العربية . والحال أن هذه الامة أصبحت غير قادرة على الجمع بين الاهواء الشخصية والامراض التي هي مصابة بها . ورحم الله من قال :

أنفوا المؤذن من بلادكم ... ان كان ينفي كل من صدقا

والسيد رشيد لا ينقدني هنا من جهة الرأي في حد ذاته بل من جهة عدم استعداد الناس له . ولكن الوقت بدأ يجلي الحقائق ولله الحمد .

العالم من إثم الكتمان ويؤدي ما عليه من واجب البيان بل هي المصلحة.

هذا وانني قد تذكرت باقتراحك تحكيم الثلاثة الملوك أمراً يجب ان تعرفه وكنت ناسياً لكتابته لك وهو ان صديقنا الاستاذ محمد تقي الدين الهلالي سافر في فرصة مدرسة دار العلوم الصيفية من الهند الى افغانستان للوقوف على حال الاسلام والمسلمين فيها فعاد كئيباً حزيناً : وجد أن رجال حكومة نادر خان هم رجال حكومة أمان الله خان لا دين ولا إيمان . ولكن إعجاب بمصطفى كمال لا يقبل معه كلمة انتقاد . وعلماء جامدون جاهلون ومشايخ طرق خرافيون معظمون ولكن الملك نفسه يعنى بإقامة الشعائر الشرعية وغير الشرعية كالموالد . وقد منع تهتك النساء وما اشبهه من الظهور بالمفاسد وهم أسوأ الناس ظناً او اعتقاداً بالوهابية يصرحون بكفرهم ويدينون بشدة بغضهم فالمتدين الخرافي يبغضهم تديناً والمتفرنج الالحادي يبغضهم لانهم عرب ... فاذا تألف وفد منهم ومن شيعة ايران ومن الازهريين الظواهريين الدجويين أو من رجال السياسة المعروفين للحكم بين حكومة الزيدية وحكومة الوهابيين فما ظنك بحكمهم يا سيدي الاخ الكريم ؟ يتردد الهلالي في بيان حال الافغانيين في الجرائد واستشارني فأشرت عليه بأن يصبر فإن ضاق صدره بالكتمان فليكتب ناصحاً لا منتقداً مشهراً وليرسل إليّ ما يكتبه أولاً ويأذن لي بتنقيح ما أرى المصلحة في تنقيحه .

وأختم هذا الكتاب الذي يؤسفني ان يسوءك بخبر يسرك وهو ان مدير مجلة الاسلام الانكليزية التي يصدرها في لندن دعاة الاسلام الهنود قد كتب إليّ بأنه سيترجم كتاب « الوحي المحمدي » بالانكليزية وينشره

وقد شرع بعض مثقفي الانكليزية هنا بترجمة فصلين منه بطلب جمعية الدفاع عن الاسلام لتنظر الجمعية هل يحسنها فيتمها ام لا ؟ واستأذنني عالم عصري صيني في الهند بترجمته بلغة بلاده لنشره فيها . وأذنت لمصري تركي الاصل بترجمته بالتركية اللاتينية إذ كتب إلي ان الترك احوج اليه من غيرهم . وسيترجم باللغتين الاوردية والملاوية بترجمه بها تلميذان لي في بلادهما — وقد ذكرت الان ان أخبرك بأنه لما أعلن صديقنا الملك السعودي ضم العسير الادريسية الى مملكته العربية كتبت اليه بأنني كنت أرى ان المصلحة إبقاءها تحت الحماية وجعلها فاصلاً بينه وبين اليمن ولكن الامر كان قد انتهى وتسليمه الآن اياها لليمن بهذا الشكل الذي ظهر به سيف الاسلام وبعد احتلال نجران خطة خسف لا يرضى بها إلا عاجز أو خزيان . ونسأل الله التوفيق لما فيه الخير للعرب والاسلام والسلام من اخيك المخلص ؟

رشيد

***

وكتب في ٤ جمادى الآخرة ١٣٥٢ و٢٤ سبتمبر ١٩٣٣:

سيدي الاخ الامير اطال الله بقاءه واحسن عزاءه

إن مصاب القضية بالملك فيصل لعظيم وان نصيبك منه لعظيم من وجوه آخرها ما كان من خاتمته . ولا محل للاشارة الى شيء منه فأحسن الله عزاءنا وعزاءك وأطال لنا وللامة بقاءك . وجعل لك من العبرة بما تعلم من مناقبه حظاً عظيماً من حلمه وسعة صدره وان كنت لأعلم ان

مواجهتك لهذ الرزء الكبير وشهودك إياه هو الذي ابطأ بك عن الكتابة إليّ وعما وعدت به من تقريظ كتاب الوحي المحمدي بمقال ينشر في الجهاد وعن إعلامي برأيك في وقعه عند من تعرف من المستشرقين وغيرهم من الافرنج لاكون على بصيرة فيما ينبغي ان أراعيه في طبعته الثانية التي استعد لها • ولعله بلغك ما نشر في الصحف من العزم على دعوة حكومة الولايات المتحدة الاميركية الى عقد مؤتمر ديني عام للبحث في معالجة أدواء الحضارة المادية بالادوية الروحية الدينية • فهذا يوجب علينا الاستعداد لما يقدمه المسلمون لهذا المؤتمر من حقيقة الاسلام وأرى أهل الرأي من عقلاء المسلمين موافقين لي على أن كتاب الوحي المحمدي أفضل ما يوجد في هذا الموضوع وأنا أرى انه يجب عليّ العناية بجعل الطبعة الثانية القريبة أتم وأنفع من الطبعة الاولى التي كتبت بما تعلم من العجلة والاضطراب الذي بينته في المقدمة • لهذا أنتظر ما أشرت اليه آنفا من رأيك الخاص في ذلك ورأي الاوربيين ... ولما يرد إليّ شيء ممن أهديت اليهم الكتاب من المستشرقين الا الاستاذ هرتمن الالماني فقد جاءني منه كتاب شكر فيه كلمة وجيزة عما يراه من وقع هذا الكتاب كأمثاله عند اهل العلم •

ولقد كنت أفكر منذ اسبوع أو أكثر في الكتاب اليك بالتعزية وبعض المسائل الحاضرة وانما أخرني انتظار ما يكون لسعينا في تصريف نسخك من كتاب حاضر العالم الاسلامي لنخبرك به أو نرسل اليك مبلغاً من المال ولكن عرضت لنا الدسائس التي انتهت أمس بوصول برقيتك من جنيف • وسيفصل لك السيد عاصم الخبر فهو الذي كان يسعى على رجليه لخدمتك كل يوم في هذه المسألة ولما وصلت البرقية مساء أمس

(السبت) قلت له يجب أن يكتب كل منا الى الامير بما عنده وان لا ننتظر كتاباً منه .

وأما كتابك الجدلي فانني على علمي برأيك وشنشنتك في المجادلات والمناظرات لم أكن أتوقع أن تكتب كلمة منه في هذا الوقت ولا في غيره من أوقات الفراغ وخلو البال لان ما أنكرته عليك في كتابي الذي ترد عليه فيه لم أقصد فيه البحث في المسائل العربية التي تجادلني فيها لاجل تحرير خلاف بيننا فيها . وانما كان الغرض منه بيان رأيي فيما يحسن منك نشره في الصحف من الآراء والنصائح للملوك والامراء وما يجب ان يكون سرياً بينك وبينهم . وكذلك ما يخص الاحزاب والجماعات ورجال الحكومات ليكون كلامك جديراً بأن ينتفع به ومقامك في الامة العربية جديراً بالاجماع عليه بقدر الامكان لما امتزت به من سعة العلم وطول الاختبار – وقد صرحت لك في الكتاب على ما أتذكر بأنه لم يكتب لأجل البحث فيه ...

لهذا كان من المستغرب عندي ان كان الكتاب كله جدلاً في غير محله كما يقع بين رجال الاحزاب السياسية المختلفين في مقاصدهم ومرامي أغراضهم أو أغراض سهامهم وما كنا كذلك في شيء مما فيه . ولكن كتابي جاءك وأنت ضيق الصدر وكتبت الرد عليه وأنت أضيق صدراً فلم يكن شيء منه في محله ولا مما يخاطب فيه مثلك مثلي في اتحادنا وإخائنا و...و...و...

لم أرَ لك كتاباً ليس فيه كلمة في محلها ويصح ان توجه إليّ إلا هذا الكتاب :

أيصح أن يقول شكيب لرشيد: (١) اذا كنا نريد ان ننفع ابن السعود ... فلا يكون بأن نحسن له جميع أعماله وأن نقنعه بانه محق في كل شيء ؟؟ (٢) «ونحن بدلاً من أن ننصحه ونبين له ان عسير واسعة جداً وانه ... وانه كان يمكنه أن يحكم للامام بما يرضيه «قمنا نؤيد حجته ونجعل الحق كله له وهكذا نجره الى الحرب التي» تفعل وتفعل وتضيع عسير أو اليمن كلها . من ذا الذي فعل هذا ؟ أنا لم أقل ولم أفعل شيئاً من هذا . وما علمت ان أحداً قال أو فعل شيئاً من هذا الخ .

ليس فيما وجهته إلي في هذا الكتاب كلمة واحدة كان يصح أن توجه الي وتجعل حجة علي في عمل عملته . وليس فيها ما يصح ان يجعل رداً على غرضي من كتابي اليك وهو أن تكون نصائحك الجهرية والسرية كل منها بالاسلوب الجدير بالقبول البعيد من مثار الظنة او إثارة الحفيظة . وقد كان من الغريب قولك انك فضلت أن يستاء ابن سعود من مقالتك في الجهاد على ان تكون ممن يهيجون على الحرب . فمتى كانت هذه القضية شرطية مانعة الخلو في عرف المنطق حتى تكون معذولاً في اختيار هذا الطرف منها ؟ كلا انه كان لك مندوحة عن تعمد استياء أحد الخصمين وعن التهييج على الحرب معاً وهذا أرجى لجعل نصحك مقبولا أو محترما على الاقل .

ومثل هذا في الغرابة قولك انك لم تقل الا الواقع فهل كان مقالك في الجهاد مقال دعوة الى صلح ؟ ام حكماً قضائياً في جناية ؟ أم جرحاً لرواة حديث ضعيف أو موضوع لا بد من بيانه لئلا يغتر الناس بالحديث في امر من امور دينهم ؟

وقولك قبل هذا في الرد على قولي ان الجرائد كلها مع ابن سعود : «انا لسنا في قضية جرائد بل قضية حرب ذات خطر خطير على العرب نريد ان نتفاداه بأي وجه كان » ـ يقال فيه أولا ان ما كتبته في اغضاب أحد الخصمين ينافي هذا المراد كما تقدم ٠ وثانياً ان الجرائد لم تكن مع ابن سعود فى اعطائه الحق في موضوع النزاع بل فيما أجاب به كل من أبرق اليه بأنه لن يعتدي ولن يثير حرباً وانه يقبل تحكيم الشرع — فكلام الجرائد كلها وكلام الذين كاتبوا الامامين كلهم كان كله موجهاً الى القصد الذي نطلبه من تلافي الحرب مع عدم تحيز الى أحد الامامين في موضوع النزاع فكان كله أقرب الى مرادك من كلامك ٠ وقبل ان أترك موضوع ابن سعود أذكر لك أو أذكرك بأنه قد قرأ في الجرائد المختلفة كثيراً من النقد والطعن عليه في مسألة الامام الادريسي وغيرهما خلافاً لما أطلقته في كتابك هذا مرتين ٠ وأما خطتي معه فأنت تعلمها بالإجمال وهو انني أنصح له في كل ما أراه في حدود الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمصالح العربية الاسلامية ٠ وقد ذكرت خطتي هذه معه في المنار مراراً وفي المقطم في هذا العام ٠ وقد علمت من يوسف ياسين مراراً انه لم يكتب له أحد في الانتقاد الشديد عليه قريباً مما كتبت اليه — ومن ذلك انني خطأته في الاستيلاء على عسير في وقته واما سعيي للاتفاق بينه وبين الامام يحيى فلم يسبقني اليه أحد قط وكان مبدؤه قبل الحرب العامة وزدته تأكيداً عقب حادثة الحجاج المعروفة وما زلت ألح عليه في وجوب عقد المحالفة بينهما في موسم الحج وعهد المؤتمر الاسلامي العام سنة ١٣٤٤ حتى أقسم لي أغلظ الايمان ونحن سامرون

على سطح قصره بأنه لن يعتدي عليه وانه ليس بينه وبين عقد المحالفة الهجومية والدفاعية معه الا أن يرضي وأذن لي أن أخبر السيد حسين عبد القادر وكيله في المؤتمر بذلك وان أكتب للامام أيضاً ففعلت وأعطيت الكتاب للسيد حسين عبد القادر ولكن الامام لم يجبني عن هذا الكتاب . على ان ابن سعود كلم السيد حسين عبد القادر – فسعي للاتفاق والاتحاد بين الامامين أقدم من سعي أخي الامير وصديقه شيخ العروبة [1] ولكنه لم اعلنه في الجرائد – وفي هذه النازلة الجديدة كتبت اليه في مسألة التحكيم ولا حاجة الى التطويل .

وأختم هذه المراجعة التي كتبتها كارهاً لها مضطراً اليها بأن أغرب ما انتقده علي أخي بل اوغله أو أشده ايغالا في الغرابة هو قولك « اما قولك ان كتابتي عن اتحاد سورية والعراق كانت ضد أفكار الاكثرين فهذا مستغرب جداً ومستغرب منك بزيادة لانك من جملة المؤيدين لمشروع اتحاد القطرين » الخ ...

الغرابة الشديدة في استغرابك هذا انه مبني على كوني مؤيداً للمشروع كأن كلمتي أو روايتي لكونه كان عند ابرازك له ضد افكار الاكثرين تدل على رجوعي عن تأييده – وما ذلك الا ان سيدي الامير ذهل عن كون الرواية في كتابي كانت مثلا لما يكتبه أحيانا غير مراع فيه أفكار الجمهور ولا الاحزاب ولا الجماعات وان كان صواباً في نفسه

---

(١) المرحوم احمد زكي باشا وكنت منذ عشر سنوات فأكثر رجوته ان يذهب ويزور الامامين ويسعى في التأليف بينهما ففعل .

وتمني أن يتحرى في اسلوبه ومراعاة الاستعداد له ما يتفق مع المصلحة السياسية والقومية من جهة ومع مقامه من الزعامة والامامة السياسية من جهة أخرى . ولم تكن للانتقاد أو للانكار عليه في أصل المشروع بعد اتفاق الناس عليه . وأذكره هنا بأن علماء المناظرة قالوا ان البحث في المثال ليس من شأن المحققين . وكان استاذنا الجسر (ر٠ح) يقول : إن بعض علماء الازهر كان يعبر عن هذا المعنى بقوله : الذي صار مثلاً : « البحث في المثل ليس من شأن الفحل » وجملة القول ان كتابي لم يكن إلا نصيحة أخوية سببها شدة حرصي على مقامه في كل الاوساط ذات المقام في أمته لاجل ما أحب من الانتفاع بعلمه وخبره وإجلال مقامه وما أطلت في الرد على رده إلا انه بني على ضد ما بني عليه وقد وقعت قبل هذا في إثارة مثل هذا الجدال وندمت وعسى ألا أعود ثالثة والسلام عليه وعلى صنوه ونجله الكريمين أطال الله بقاء الجميع ؟

أخوكم

رشيد

* * *

وكتب في ٤ شعبان ١٣٥٢ :

سيدي الاخ الامير أمتعنا الله والامة بطول حياته وحسن جهاده

نفدت نسخ كتاب « الوحي المحمدي » إلا نسخاً قليلة أمسكناها لما يطرأ من الحاجة اليها قبل التمكن من إعادة طبعه فبدأت بإعادة قراءته لتنقيحه والزيادة فيه كما وعدت فاشتدت الحاجة الى بيان ما سألتك عنه مراراً من رأيك فيه وتذكرت ما كنت عزمت عليه من كتابة فصل

خاص أبسط به ما أشرت اليه بالاجمال من وجود آيات كثيرة في القرآن وافقتها أو فسرتها علوم هذا العصر ووجوب الاستمداد في هذا من كتاب المرحوم أحمد مختار باشا فأرجو أن تتفضل بإعادة الترجمة العربية والاصل التركي معاً في أول بريد فان الترجمة العربية وحدها لا تغني لنراجع ما خفي علينا فهمه منها أحد البارعين في التركية مع صديقنا فؤاد بك سليم وصديقنا الدكتور يحيى الدردير بعيد قراءة كتاب الوحي ويعلق عليه ما يرى اقتراحه من زيادة فيه من نقل عن علماء الافرنج الذي تطمئن اليه نابتة هذا العصر وسأجد شيئاً كثيراً من مدح هؤلاء العلماء ومن انتقاد غيرهم في كتابك «حاضر العالم الاسلامي» ولعل تقريظ المنار له قد أرضاك ولما يرسل الحابي إلي المجلد الثاني منه وقد رأيته فذكرته فوعد ولما يفِ ولكنه لا بد أن يفي .

هذا وقد علمت من الجرائد المصرية ومما كتبه اليك أحمد زكي باشا — كما أخبرني امس — ان مسألة الجمعية الاسلامية الاسبانية قد جددت الدعوة اليها من قبل المندوب الجديد الاقتصادي الذي حملته المكتوبات ولكننا نرى شبان الريف الذين هنا قد ازدادوا اساءة ظن في اسبانية والاجتماع الذي عقد للدعوة الى تأليف لجنة للجمعية في مصر قد صادف معارضة شديدة . ولعل سوء الظن يزداد بعد العلم بفوز الحزب الملكي الاسباني في الانتخابات الاخيرة وأرجو أن تكتب الي بخلاصة رأيك في تأليف اللجنة هنا فانه لم يجتمع أحد من أعضاء اللجنة التحضيرية التي اقترحت ودعي اليها الا خمسة نفر ولا يمنعك من كتابة خلاصة

رأيك ما عسى ان تكتبه من التفصيل لاحمد زكي باشا فربما لا ألقاه إلا بعد زمن طويل واسلم لامتك ولاخيك ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في ١١ شعبان سنة ١٣٥٢ و٢٩ نوفمبر ١٩٣٣ :

سيدي الاخ الامير

اني ألقي إليّ كتابك المؤرخ في ٢٧ رجب الذي أطلت فيه ثانية في مسألة كتاب حاضر العالم الاسلامي وأمرت في آخره بإرسال نسخة من كتاب الوحي المحمدي ونسخة من كتاب نداء للجنس اللطيف الى كمفير المستشرق الالماني فأرسلنا في الحال وسألتني عن رأيي في التحكيم بين الامامين وأرسلت إليّ صورة ما كتبته الى الامام يحيى وذكرت انك أرسلت صورته الى الملك عبد العزيز كما أرسلت صورة ما كتبته للملك الى الامام فقد أحسنت بهذا جد الاحسان ومسألة التحكيم يتحدث بها الناس في جميع البلاد العربية ومنهم من كتب الى الامامين باقتراحها ولقد كان جلالة ملك مصر أجدر الناس بها لولا انه لم يعترف هو ولا حكومته بالحكومة السعودية رسمياً ولم يكن بمواد لها بل الامر بالضد ولهذا لم أرَ احداً هنا قال برأيك هذا ولا ذكره . وقد جاء في برقيات امس ان ملك العراق أظهر ميله الى السعي للتحكيم كما سبق للمرحوم والده . وقد حدثت بعض الكبراء هنا بأنه يحسن أن يجتمع كبراء مصر غير الرسميين كرؤساء الاحزاب غير الحكومية — وهم الوفد والدستوريون والوطنيون — والامير عمر والاستاذ المراغي ومن شاؤوا معهم ويكتبوا الى الامامين في الموضوع .

وقد سبق لي أن كتبت الى كل منهما برأيي وهو الصلح بعقد المعاهدة على الاعتراف بالحدود الحاضرة في عسير ونجران التي كانت مستقلة واستولى عليها الامام بالقوة الا أن يكون في حدودها مع نجد ما يقتضي مفاوضة ودية ان أفادت فيها وإلا كان التحكيم على هذه الحدود وإذا اقتضى إرسال لجنة تحكيم فيجب ان يكون في أعضائها بعض العارفين بالجغرافية والفنون العسكرية · وقد اعجبني في كتابك الى الامام ما ذكرته في مسألة حدود عسير كما ساءني ما كتبته من قبل في الحكم بأنها لليمن او ما في معناه فان تغيير الامر الواقع بعد الخلاف الذي وقع أعسر من كل عسير ولم يعجبني إدخال مسألة الحجاج في التحكيم فان المعاهدة اذا عقدت وزال الشقاق فانه يسهل إرضاء اليمن بمبلغ من المال عندما يوجد المال وإثبات إدانة النجديين في هذه المسألة يتوقف على تحقيق لا يتيسر للجنة التحكيم كما علم مما اعتذرت به الحكومة السعودية عنها وأرجو ان لا نجعلها موضوع جدال ·

وقد كتبت الى الامام انه اذا أعجبه رأيي فانني تحت أمره في كل ما يستحسنه من السعي له ولو بتحكيم ولعله يجيئني في البريد الآتي جواب من الامامين في الموضوع وقد كان جاءني من الامام كتابان جوابيان ومن الملك عدة كتب بؤكدان فيها اختيار السلام والوئام ويقول الملك انه إنما أرسل الجيش الى الحدود لانه يرجح انه أجدر باقناع الامام يحيى الذي لم يفعل جهراً ما فعل بنجران سراً مع الادارسة وغير ذلك إلا لاعتقاده بضعفه ·

أرسلت اليك قبل هذا كتاباً رجوتك فيه أن ترسل إليّ كتاب

المرحوم مختار باشا الاصلي والمترجم وتبين لي رأيك في كتاب الوحي المحمدي من ناحية الفكر الاوربي واننا قد شرعنا في إعادة طبعه ووصل اليوم ما أرسلت في مسألة الالمان وتنقيحهم لعقيدتهم وهو ينفعنا والسلام من أخيك ؟

رشيد

* * *

و كتب في ٢١ ذي القعدة ١٣٥٢ و ٧ مارت ١٩٣٤ :

سيدي الاخ الامير

أحييك تحية مشتاق برحت به الاشواق واشتدت وحشته لطول هذه الفترة من كتبك المؤنسة الممتعة وكنت اظن انك تتحفني بشيء من مكتوباتك الاسلامية المفيدة في أيام رمضان التي تصومها في وسط اسلامي حي ثم كنت أمني النفس بعد رمضان بقرب عودتك الى جنيف والكتابة منها وما كنت اظن ان تطول هذه الغيبة عنها التي تعد بالاشهر ثم لاتتفضل بها على اخيك بشيء من خبرك وهو لا يسره شيء يرد عليه من الآفاق كالذي يرد عليه منك وقلما يشق على الانسان انتظار محبوب يرجوه كالذي ينتظره كل يوم ولا يدري كيف السبيل الى استعجاله أو معرفة سبب تأخيره وعسى ان يكون خيراً وما علمت بخبر عودتك الى جنيف إلا بما نشر في الاهرام أول من أمس .

لم يكن عندي من شؤوني الخاصة شيء أمرك به في هذه المدة الطويلة العريضة لو كانت المكاتبة متصلة ولم يتيسر لي الشروع في اعادة

طبع كتاب الوحي المحمدي الا في أواخر شهر شوال والان أطبع الكراسة او الملزمة العاشرة مزدوجة وهي تتم ١٦٠ صفحة ولكنها تبلغ الصفحة ٨٥ من الطبعة الاولى فالزيادة زهاء النصف منها فاتحة الكتاب وفصل في مباحث النبوة عندنا مع فروق بين ما عندنا وعند أهل الكتاب والباقي زيادات في المباحث خالفت فيها ما وعدت به في الفاتحة من جعل جل الزيادات في ملحقات للكتاب لئلا يشق على الذين ترجموه في الهند والصين او الذين لم يتموا ترجمته إدخال الزيادات في أثنائه على تراجمهم • ولما رأيته كبر حجماً ورأيتني مضطراً الى اصداره قبل انتهاء السنة عزمت عزماً قوياً على اصداره في يوم عرفة مع الوعد بكتاب جزء ثان له أضع فيه ما وعدت به من الفصول (١) في اخبار القرآن العلمية الموافقة لعلوم هذا العصر وهو ما كنت أخبرتك به و (٢) اخبار الغيب و(٣) السنن الاجتماعية و (٤) اسرار العبادات و (٥) في المنافع الصحية - وهذا الجزء لا يمكن البداية به الا بعد شهرين على الاقل لانني مضطر في هذين الشهرين الى اتمام مجلة المنار وسيصل اليك في اول بريد الجزء الثامن من م ٣٣ وهو متأخر حتى انه لما يوزع كله «بسبب العسرة» وبقي الجزآن التاسع والعاشر وانا أحررهما مع الاشتغال بتصحيح كتاب الوحي والزيادة فيه واتقان طبعه بشكل الآيات القرآنية وهذا يستغرق وقتاً طويلا • ثم انني أتممت في الاسبوع الماضي تفسير الجزء الحادي عشر من التفسير ولكن بقي منه الخلاصة العامة لسورة يونس التي هي آخره وانا مضطر الى اتمامه في هذين الشهرين أيضاً والمرجو ان يجيئنا منه دراهم وكذا كتاب الوحي •

كنتَ وعدت بكتابة تقريظ لكتاب الوحي ولما كنت عازماً على نشر بعض التقاريظ في آخر الجزء وأولها تقريظ امام اليمن فأ كتفي منك اذا كنت لا تزال عازماً على كتابة شيء وكان يسهل عليك ان تدرك به المطبعة بعد اسبوعين — بأن تجعله مختصراً أو أن تبنيه على ما كنت كتبته في زوائد الطبعة الثانية لكتاب حاضر العالم الاسلامي من وجوب دعوة العالم المدني الافرنجي الى الاسلام ببيان حقيقته على الوجه الصحيح المعقول الحقيق بالقبول عندهم — فإنني رأيتك في هذا الموضوع قد صرحت بأنه لا يوجد عندنا كتب اسلامية تصلح لهذه الدعوة · فأحسن ما تكتبه وتنفعه ان تراجع عبارتك هذه في أوائل الجزء الاول وتذكرها في التقريظ وتشهد لهذا الكتاب بأنه وفى بهذا الغرض اذا كنت تراه جديراً بهذه الشهادة كما أعتقد وسترى الطبعة الثانية منه أوفى بذلك من الاولى ان شاء الله تعالى · وكل ما عني أن تزيده على ذلك فهو من فيض برك وكرمك ولا حاجة في هذا التقريظ الى اقتراح شيء يزاد فيه ولا الى ذكر ما علمت مما سيزاد فيه الا ان كان على سبيل الاشارة المختصرة ·

والغرض الآن كتابة شيء مختصر مفيد جوهري كالذي قلته ليدرك الطبعة الاولى ولعله لا يدركها الا اذا أرسل في البريد الجوي الذي أرسل فيه كتابي هذا والسلام عليك وعلى نجلك النجيب وأدامك الله لأمتك ولاخيك المخلص ؟

منشئ المنار

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٢ و١٨ أبريل سنة ١٩٣٤ :

سيدي الاخ الامير وفقه الله تعالى

اني ألقي الي في الساعة الثانية عشرة من هذا اليوم كتابك الكريم فسرني وحزنني : سرني أن ذهب بالوحشة الشديدة التي شكوت منها في كتابي السابق وبقيت في حيرة منها ـ أعني وحشة طول الفترة على مكتوباتك ـ وحزنني بما بسطه من وصف عسرتك المالية واصرارك على ظلم نفسك بالاسراف في النفقة والاسراف في المكاتبات الشخصية والمقالات الكثيرة المتصلة الى جرائد الاقطار المختلفة وانه لظلم لا يبيحه العقل ولا النقل ولا خدمة المصلحة العامة لقوم لم أرك عرفتهم وعرفتهم بأصح مما قلته في هذا الكتاب :

« أجد الناس لا يرحمون ولا يشفقون ولا يحسبون حساباً لحالة جسمنا ولا لتقدم سننا ولا لضنك معيشتنا » الخ . وتأمل ما كتبته انا في مشتركي المنار منهم في آخر الجزء التاسع من هذا العام الذي أرسل اليك أخيراً واعلم ان الذين أشرت اليهم في آخره من أصناف المستجيبين لنا لا يبلغون عشر الظالمين الذين أصروا على هضم الحق غير مبالين باستبراء ولا انتظار ولا صلح على بعض المطلوب وربما كانوا ١ من ١٠٠ .

يجب عليك شرعاً وعقلا وصحة واقتصاداً أن تترك جميع النوافل من المكتوبات الشخصية والمقالات الصحفية الا ما عسى ان تجد وقتاً بعد أداء الواجبات الاربعة ولعله لا يبلغ العشر مما ذكرت من العدد السنوي ثم يجب الاقلال في الكيف كالاقلال في الكم ويتبع ذلك الاقلال في

المال فلتكن ميزانية البريد في هذه السنة خمسة جنيهات على الاكثر ولعل أكثرها ينالها غير مستحقها .

ويجب أن تعجل بتبييض الحلل السندسية وان نقتصر فيها على المسائل التاريخية والعلمية ومنها الادبية وان ترجئ التراجم فتجعلها ذيلا لها أو تخص بها الجزئين الاخيرين منها كما قلت وأن تجعل أجزاءها صغيرة ليمكن طبعها والانتفاع منها في مدة قصيرة وأنا لما رأيت الطبعة الثانية من الوحي المحمدي قد طالت عزمت على جعل كل ما كنت وعدت به من العلاوات الملحقة في جزء مستقل كما ترى ذلك في تصديرها وقد أرسلت اليك .

وأما مسألة الحرب بين الامامين فالذي فهمناه من أمرها غير الذي ذكرته في هذا الكتاب ولقد كان هذا ما ظننته من قبل و كتبت الى الامام يحيى انني مستعد للتوسط بإقناع الملك به ولو بالسفر الى نجد فسر بما كتبته اليه ودعاني الى زيارته في اليمن بدلاً من الذهاب الى ابن سعود ليطلعني على ما يقنعني بأنه صاحب الحق وحسن النية ولو ظهر للملك من الامام حسن النية لكان إقناعه بترك نجران له ممكنا مطلقاً او بتعديل في الحدود ولكن ظهر له ثم لنا من مطله وتسويفه انه يريد اطالة الوقت لإعداد جميع قواه للحرب بعد الصلح مع الانكليز والتسليم لهم بما علمت وهو لم يكن يخطر لاحد منهم ولا من غيرهم ببال .

الى ان يقول :

ظهر للملك السعودي ذلك على سبيل القطع في مؤتمر « أبها » إذ كان اجتماعه مبنياً على الاتفاق على مسألة عسير بإقرار الحالة الحاضرة فيها وعلى

مسألة الادارسة وإرجاء مسألة نجران وحدها للمؤتمر فلما اجتمع المؤتمر أراد مندوبا الامام أن تكون المفاوضة في المسائل كلها كأن ما كان قد تم الاتفاق عليه لم يكن شيئاً مذكوراً .

من أخلاق الملك عبد العزيز التروي في المسائل المهمة والصبر الى ان تمتلئ الكأس إلى أصبارها فحينئذٍ يأخذ بالعزم ويمضي فيه بالحزم وكل ما يرد في هذه الايام من برقيات الامامين جواباً للذين تصدوا للوساطة صريحة فيما ذكرته من خطة كل منهما .

سبق أخونا السيد أمين الحسيني فأبرق الى كل منهما يقترح المدنة وترك القتال الى أن يرسل هو وفداً باسم المؤتمر الاسلامي العام يسعى للصلح والتوفيق بينهما وكتب برقيات لي وللامير عمر وآخرين من الوجهاء في مصر وغيرها يقترح فيها تأييده بإرسال البرقيات وعلمنا انه كتب اليك يقترح أن تكون عضواً في الوفد الذي يرجو هو أن يسافر في أقرب وقت حتى قيل ان موعده ١٠ أبريل أي بعد غد وانه سيجتمع في السويس وقيل انه سيسافر الى الحجاز في طيارة وأنت أعلم بما كتب اليك وبما أجبته به .

ونهض آخرون للتصدي للامر والسعي لإرسال وفد من مصر وسبق الى ذلك حزب جديد سمى نفسه حزب الاتحاد العربي جميع أعضائه من جمعية الماسون بل من صغارهم والمعروف انه مؤلف من قبل يهود ليستعملوه في مطامعهم الصهيونية وغيرها وتلاه عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين فعقد اجتماعاً كنت من حاضريه وقد كان كل ما قيل فيه موجهاً الى شيء واحد وهو الاسراع بتأليف وفد رئيسي إسلامي يتفق

مع حزب الاتحاد العربي ويضم اليه من شاء ويسافر الى الحجاز للقيام بهذه المهمة وكان مما ادعاه خطباؤه انه يمثل العالم الاسلامي كله ... وظهر ان أهم ما يقصده سبق وفد المؤتمر الاسلامي إما لإحباطه او لجعله تابعاً له ولما رأيتهم مصرين على انتخاب هذا الوفد في تلك الجلسة بالاقتراح العلني وأهم ما فيه رياسة عبد الحميد سعيد وانه متفق مع حزب الاتحاد العربي الماسوني الصهيوني وانهم لا يقبلون البدء بتأليف لجنة للبحث في الامر خرجت من الجلسة قبل إعطاء الرأي في الانتخاب لانني لا أقبل على نفسي أن تكون غثاء في هذا السبل ولا أن أعارض فيه صديقي عبد الحميد سعيد وكان من أمرهم أخيراً انهم قرروا تأليف الوفد والرئاسة وألفوا لجنة أحمد الله انهم لم يعدوني من أعضائها كما اقترح أو مقترح لها وقد اجتمعوا مرتين بعد تلك الجلسة آخرها الليلة الماضية .

وقد كتبت أمس الى السيد أمين الحسيني بأنني لم أرسل الى الامامين تأييداً للمفاوضة لانني أيقنت أنها في مصلحة من يريد ... لاكتساب الوقت الى أن يتم التدبير السري الذي علمته من مصادر يمانية وحجازية واوربية الخ . وينتظر أن يجيئنا يوم الثلاثاء (بعد غد) تفصيلات من الحجاز نكون بها على بصيرة تامة فإن لم تحضر أنت إجابة للحسيني كما قيل فانني سأكتب اليك بكل ما يتجدد وإلا رجوت أن أراك في السويس إن صح الخبر بمجيئك والسلام عليك أولاً وآخراً .

أخيك

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في ٤ المحرم ١٣٥٣ و١٨ أبريل (نيسان) ١٩٣٤ :

سيدي الأخ الامير أمير البيان حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد ألقي إليّ كتابك المرسل من جنيف في ٢٢ ذي الحجة ٧ أبريل فكتبت اليك جوابه عقب قراءته وأودعته في البريد ليرسل في البريد الجوي الى اوربة في ٩ أبريل «وقد صادف يوم شم النسيم هنا وهو يوم تعطيل» ولم ألبث أن تلقيت برقيتك من أثينا في ١٠ أبريل فعلمت ان كتابي لم يبلغك قبل السفر بالطيارة وكنت حسبت لهذا السفر العاجل حسابه فأمرت ابن اخي ان ينسخ صورة من كتابي لأعطيك إياها عند ما نلتقي بمصر فنسخها في دفتر ينسخ فيه صور بعض المكتوبات المهمة لا في ورق مستقل كما كنت أريد وقد حملت الدفتر لاطلعك عليه عند التلاقي الذي كنت اتوقعه فكان ما كان مما لم نتوقعه من الاسراف في الحجر ... وربما كان لجاج احد المحبين والحاحهم واسرافهم في التحويم عليك وإعنات الجلاوزة أو الشحنة الموكلين بك سبباً في اسرافهم ولهذا الاعتقاد تركنا الجلوس تجاهك في الفندق بالسويس ظناً انهم يتركونك فيه ولكن ذلك المعنت لم يقتد بنا فبهذا حرمنا من التمتع برؤيتك في تلك الدقائق القليلة فندمنا وسترى في كتابي بياناً لرأيي في كل ما كتبت إليّ وأوله ما هو بمعنى الفتوى بتحريم ما تجنيه على نفسك وصحتك وأهلك ومالك بكثرة المكتوبات الشخصية والرسائل الى الصحف ويليه الرأي فيما يجب في تأليف الحلل السندسية الخ .

أما محمد علي لقمان فقد كتب اليه السيد عاصم بأن يرسل الينا بقية

ما عنده من الكتب بعنواننا في مصر . وقد وصل منه في بريد أمس كتاب مؤمن عليه فيه خمسة جنيهات استرلينية (لا مصرية) فحفظتها بعينها وأمرت السيد عاصم أن يحرر لك حساب الكتب التي باعتها مكتبة المنار ويضيف اليه حساب لقمان هذا بعد وصول ما يرسله وما تنفق عليه المكتبة ويبلغك الفذلكة حيث تكون .

وأما مسألة التنازع والتقاتل بين الامامين فقد بينت لك خلاصة الحقيقة في كتابي الذي أرسلته الى جنيف وقد عرفت الآن كل شيء بالتفصيل بالوثائق الرسمية من ينبوعها وقد شرحت لاخوانك أعضاء الوفد في السويس الحقيقة وبينت لهم مصلحة الامة العربية ومصلحة العالم الاسلامي فيها ومن عرف المصلحتين حق المعرفة تبين له ان من الخطأ الكبير أن ينظر في النزاع وما ينبغي من السعي الى الصلح كما ينظر في قضية أخوين متنازعين في إرث مال أو عقار يبين الحكم فيها قسمته بينهما مناصفة أو إلزام أغناهما ان يسمح ببعض ما هو حق له للآخر . نعم ان العدل هو أساس جميع الاحكام ولا يجوز الخروج عنه الا بالتراضي بين من يراد الصلح بينهما وإنما الامر العسير تحديد الحق في أمثال هذه الدعاوى السياسية وتحديد المصلحة العامة فيها وهي الاصل الذي يجب تقديمه فيها ثم تحديد العدل فيها وكل هذا يرجى من وفدكم الكريم بعد الوقوف على الحقائق وملاحظة ما يكاد للمسلمين وللعرب ومن يقدر على حفظ حرمهم المهدد والسلام ؟

رشيد

* * *

وكتب في ٣ ربيع الآخر ١٣٥٣ :

سيدي الاخ الحبيب الامير المجاهد ادام الله توفيقه

أحييك مهنئاً بعودتك من سفرك الشاق في الهواء والماء والاغوار والانجاد مجاهداً في سبيل الله وخدمة الاسلام وقوم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم أهنيك تهنئة خاصة بلقاء السيدة الوالدة التي تفضل بنفسها وولدها جميع الامهات وأهنئها برؤيتك معافىً عزيزاً كريماً عظيماً تقاومك كبرى دول الارض مقاومة من تخشى من الرجال ويشفع أعظم ملوك الاسلام لدى أعظم ملوك الغرب أو الارض لك ولها بهذا التلاقي بما عظم قيمته الروحية بهذه القيمة السياسية وأرجو ان تبلغها هذه التهنئة عني المقرونة بالدعاء لك ولها وتقبل يدها عني وتطلب منها الدعاء الخاص لي .

هذا وانني كنت أرجو ان تتفضل علي بكتاب من الحجاز أو من اليمن تفيدني به ما لا أرجو مثله من غيرك في هذه الاحوال وخشيت ان يكون للمانع شيئاً لا أحبه فعسى ان تبشرني بما أحب العلم به .

وقد نقل عنك مراسل البلاغ من صنعاء حديثاً طويلاً أنكره جميع الاخوان والمحبين هنا ورآه الأخ هاشم بك من الاباطيل التي لا تصدق مستدلاً بأنكم ما تفارقتم هنالك . ومراسل الحديث غير ثقة بل هو من رواة المنكرات والموضوعات بسوء النية فإن كان موضوعاً او محرفاً فالمرجو التعجيل بكتابة شيء ينشر في تكذيبه او تفنيده . ويا ليتني كنت قادراً على زيارتك والإقامة بجانبك الى آخر هذا الاسبوع الممنوح لك من غير أن أزاحم السيدة الوالدة بأكثر من ساعة او ساعتين من كل نهار .

هاشم بك أجاب دعوتنا ودعوة مضيفيه وغيرهم وعزم على إقامة مدة في مصر يمكنه فيها مشاهدة عمرانها وهو حريص على لقاء الصديق إحسان بك ونرجو كلنا أن يكون هنا كما كتبت الى إحسان بك والسلام عليه وعليك وعلى سائر من تلقى من المحبين ؟

أخوك

رشيد

* * *

وكتب في ١٢ ربيع الآخر ١٣٥٣ :

سيدي الاخ الحبيب امير البيان شكيب ارسلان عليه السلام

أهنئك مرة ثانية أفضل التهاني وأهنأها بالتلاقي مع السيدة الوالدة وحظوتك بتقبيل يديها الكريمتين وحظوتها بتقبيل وجنتيك المنيرتين وبضمك الى صدرها البر الرحيم شيخاً كبيراً وأميراً وقوراً كما كانت تضمك طفلاً صغيراً وسماعك لترحيبها ودعائها المستجاب ان شاء الله تعالى ورؤية كل منكما لدموع السرور تترقرق في مآقيكما وهي ألذ وأشهى وأبهى من كل ما يرى في هذه الدنيا من آيات الحب الخالص المخلص الذي لا يعلوه في هذه الحياة ولا في الآخرة الا حب الله تعالى وقد رجوت في تهنئتي الاولى منك أن تبلغها تهنئتي مقبلاً ليديها عني ومطالباً لها بأن تشركني بشيء من دعائها لك جزاء على إخلاصي في حبك وإخلاصك في حبي الذي به تعد والدة لي بالروح فانني لاشعر بذلك في صميم قلبي ولو رأتني الآن لرأت شاهدي على صدق قولي في دموع عيني كلتيهما تلمعان وتجريان بما هو أفصح من شهادتي القلم واللسان ، ثم أهنئك في المرتبة

الثانية بجهادك بمالك ونفسك في سبيل الله وخدمة أمتك وملتك .

ولقد رأيتني ليلة الخميس سابع هذا الشهر معكما في القدس أو بالقرب منكما وان السيدة وافقتني فيما تحدثني به نفسي من كتابة كتاب للمندوب السامي بطلب السماح لك ببقائك بجانبها اسبوعاً آخر ... ثم رأيت في الصحف ما صدق هذه الرؤيا[1] . ثم انه قد تم تأويلها وأعود فأقول كما قلت في كتابي الاول يا ليتني قادر على المجيء الى القدس ... وأرضى من السيدة بمزاحمتها عليك ساعة واحدة من كل نهار .

طالت فترة الوحشة من المكاتبة فلم تكتب الي رجع ما أرسلته اليك ولا مبتدئاً بالفضل كما تعودت منك وانك لا تقصر الا بعذر . وقد بلغنا امس نبأ غريب أرجو ان يكون صحيحاً وان تكون غايته خيراً من بدايته وهو انك دعيت الى الغداء انت والأخ احسان بك مع المندوب السامي في القدس على مائدته وان جريدة البلاغ المصرية تنشر مقالا في هذا

---

(١) نعم كان صدر لي الاذن من الحكومة الانكليزية بالمرور بفلسطين لمشاهدة سيدتي الوالدة على أثر كتاب من جلالة الامام يحيى الى جلالة ملك الانكليز رأساً مما أوجب صدور امر الملك باسعاف الطلب فجاءتني برقية من المندوب السامي البريطاني في فلسطين اذ انا مريض في « أسمره » راجعاً من اليمن بأنه يسمح لي بأن أمر بالقدس لاجل مشاهدة والدتي فيها وان ألبث فيها اسبوعاً على أن لا أتعاطى السياسة مدة إقامتي هناك فأجبته بقبول الشرط وجئت الى القدس ووافتني الوالدة من جبل لبنان واذن لنا المندوب السامي بالبقاء اسبوعين بدلاً من اسبوع واحد لكنه ألح أخيراً بلزوم السفر معتذراً بإلحاح الفرنسيس .

في مساء هذا اليوم [1] أما وقد اتسع لك الوقت وحسنت الصحة فأرجو أن تختلس من السيدة الوالدة ومن الاخوان المرحبين والمحتفلين ساعة من ليل أو نهار تكتب إليّ أهم ما يهمني من أخبار شؤونك الشخصية وما يسمح به الوقت من المسائل العامة الاخيرة وان لديكم الآن خلاصة اخواننا السوريين والفلسطينيين . ولا تنس أن تكتب لي كلمة في السياسة الايطالية الجديدة بعد تلاقيك وإحسان بك برجالها وزعيمها الاكبر موسوليني [2] .

---

(١) الصحيح اننا شربنا عنده الشاي .

(٢) سبق للاستاذ من سنة ١٩٢١ سعي لدى ايطالية في أن يكون بينها وبين المسلمين توادّ هو من مصلحة الفريقين . وكأن الاستاذ نظر في ذلك الى قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين » . ونحن ما تفاهمنا مع موسوليني الا بعد أن رأينا انه لم يبق سبيل الى المقاومة بالسلاح وأن بقاء الحالة على ما كانت عليه آيل الى انقراض الاسلام من القطر الطرابلسي فرجحنا طريقة المسالمة على شرط إعادة المشردين من العرب وإرجاع الاوقاف والاراضي المضبوطة والعفو عن المحكوم عليهم والمسجونين بسبب الجهاد السابق واشراك الاهالي في إدارة البلاد ومنع الدعاية الدينية المسيحية بين المسلمين وتسهيل رجوع المهاجرين الى أوطانهم وغير ذلك مما شرحناه في الصحف مراراً وقد تمّ أكثره والباقي هو في طريق الانجاز . ولا نعلم سبباً يمنع من مسالمة العدو لاجل مصلحة الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم صالح المشركين في الحديبية والخلفاء والملوك الذين تولوا أمور الاسلام من الف وثلاثمائة سنة لم يزالوا يحاربون أعداء الاسلام ويصالحونهم اذا تبينت لهم المصلحة في الصلح

في إهرام هذا اليوم برقيات في تلخيص مقالة للتيمس صرحت فيها بالخطر القريب على فلسطين تصريحاً لم نعهده منها قبل وإنا لنعلم أن الامر أعظم والخطر أقرب ورأيي فيه اليوم هو رأيي من أول يوم يعرفه السيد أمين وأسعد افندي داغر فاسألها عنه ٠

لم يحدثني أحد من اخوانكم أعضاء الوفد عن مودتك وحسن ظنك إلا محمد علي باشا علوبة ولا سيما بعد أن اجتمعنا بدولة صديقنا المخلص الاتامي وقد علمت من حديث الاتامي ومن حديث مردم بك قبله ما ربما تأتي له مناسبة بعد ٠ ومردم بك أذكى جماعة دمشق وأكثر الاذكياء من حزبه ولا يضاهيه من اخواننا في ذكائه وتصرفه إلا رياض بك[1] هذا ما سمح به الوقت والسلام عليك وعلى من لديك من اخيك ؟

رشيد

***

— وفي السنين الاخيرة تعاهدت العراق مع انكلترة ثم تعاهدت مصر معها ثم تعاهدت سورية مع فرنسة ولم يجد أحد من عقلاء الاسلام هذه المعاهدات مما لا يجوز شرعاً ولا عرفاً واننا نقدر أن نصرح وضميرنا مستريح بأن الذي نلناه بحسن التفاهم مع موسوليني سواء في معاملة ايطالية للطرابلسيين أو لمسلمي الحبشة لم ينله أحد قبلنا من الشرقيين من دولة اوروبية فأما التشدق بالمحال والقذف بالباطل فليس مما يغير حقيقة ولا مما يعمي بصيرة صادقة « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » ٠

(١) لا جدال في ذكاء هذين الزعيمين بل في تفوقهما بالذكاء ٠

وكتب في ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣٥٣ و٢٧ اغسطس ١٩٣٤ :

سيدي الأخ الامير أدام الله توفيقه وأطال حياته

أبطأت بالكتابة اليك بعد عودتك الى اوروبة اذ كان جاءني كتاب من الاخ إحسان بك بأنه سيسافر معك عن طريق بور سعيد ويحب أن ألقاكما فيه بالباخرة التي تحملكما وأنه سيرسل إليّ كتاباً آخر يذكر فيه يوم وصول الباخرة ومدة مكثها في ذلك الثغر ٠ وجاء بعده كتابك الاخير من القدس وفيه خبر سفرك وما حدث من بعض الوطنيين فكان سبباً لتدخل فرنسة في مكثك وما أفضى اليه من تعيين الحكومة ليوم السفر ولم تذكر فيه شيئاً عن احسان بك ٠ وتلا ذلك سفرك وبقاؤه في القدس ٠ ثم بلغني من الدكتور شهبندر ان إحسان بك يوشك ان يلم بمصر منصرفه من القدس فعزمت على أن أحمله الجزء الذي عندي لك من الاكليل مأخوذاً بالعكس الشمسي من برلين وتوفير اجرته مسجلاً بالبريد وهو ما يثقل علينا في هذه الايام ٠ وكذا ما دونه ٠ ولكن احسان أحسن الله الينا واليه سافر عن طريق الاسكندرية ونزل فيها ولم يخبرني قبل ذلك لألقاه فيها ٠

لقد صرت أكره وأستثقل أن أزعجك بأخبار عسرتي في كل كتاب وكنت أنتظر في هذه الايام يسراً ما يغنيني عن ذكرها فلم يزدد إلا شدة حتى ان عمال المطبعة تركوا العمل في هذين الاسبوعين وصرت أفكر في ابطال اصدار المنار ٠ وان ذكر هذه الكلمة في هذه الفكرة أثقل على نفسي من الجبل اذا انقضّ عليّ ٠

الى ان يقول:

واعلم يا أخي أن ثقتي بالله تعالى ورجائي بفضله وتوكلي عليه كما تعلم من قبل ·

وأعود الى الكلام فيما خلقت له من امور الاسلام والمسلمين الذين يكذب الكثيرون منهم على الله بدعوى الاسلام أو يكذب الحكام والجغرافيون بتسميتهم مسلمين فأقول: ما فعل مؤتمر مسلمي اوربة الذي عهد اليكم به؟ أنا أعتقد اعتقاداً اجمالياً انهم خير من مسلمي مصر وسورية والعراق وسائر الامصار الشرقية من صلابة العقيدة بقدر علمهم القليل وان خير ما يجب أن يرشدوا اليه تعلم العربية وتسهيله عليهم ثم إمدادهم بالكتب الاصلاحية الدينية ككتاب الوحي المحمدي وخلاصة السيرة المحمدية وتفسير المنار ·

الى أن يقول:

ذكرت لي في الكتاب الاخير انك كتبت الى الحلبي ان يعطيني نسخة من كتابك الجديد «غزوات العرب» وما كنت سمعت باسمه ولا بصدوره ولما يصل الي الكتاب من قبلك ولا من قبل الناشر وهو وأولاد عمه لا يهدون كتبهم الى الصحف وعبد العزيز أفندي مسافر والسلام عليك ورحمة الله وبركاته من اخيك

رشيد

* * *

وكتب في ١٢ رجب ١٣٥٣ و٢١ اكتوبر ١٩٣٤ :

سيدي الاخ الامير حياه الله تعالى

في هذه الساعة وهي الحادية عشرة من يوم الاحد القي الي جوابك عن كتابي « رقم ١٧ جمادى الاولى » مؤرخاً في ٦ رجب وعجبت من قولك فيه ان في كتابي تأخيراً كثيراً وتعليلك ذلك باحتمال نسيانه مدة قبل وضعه في البريد فان صح هذا التعليل فالنسيان من السيد عاصم فاني اعطيه ما أكتبه ليرسله في وقته وتارة اعطيه للمكتبة ان كتبت عنوانه ولكن هو الذي يكتب عنوانك دائماً والخطب سهل والحمد لله على وصول الكتاب ووصول جوابه وإن أبطأ وقد سررت بأخباره كلها . وأسأل الله تعالى أن يزيدكم عافية وقوة وتوفيقاً ويسراً .

وأبشرك بأن صحتي في هذا الخريف خير مما كانت في الصيف وقد كان الصيف خيراً مما قبله . ومن أنفع الاسباب لهذه الصحة ترك أكل الطعام في العشاء والاقتصار على الفاكهة أو زيادة قليل من اللبن الحليب أو الرائب ولا أنسى فضل الدكتور شهبندر بإرشاده ووصفه لي علاجاً ذهب باستعماله بعض أعراض الرثية وضغط الدم .

وعملي الآن تضاعف في غير ارهاق ولا شطط وقد تنبهت لغفلتي عن إضاعة كثير من عمري وأكثره في غير الانفع لي في رزقي والانفع للمسلمين في دينهم أو الانفع للبشر في بيان الاسلام وهو كتابة تفسير مختصر للقرآن العظيم يفهمه كل قارئ ويرجى أن يعتبر به وهو ما يطالبني به الكثيرون من العلماء ومن دونهم وكنت أسوف في وعدهم غافلاً عن

الشيخوخة وقرب الاجل أو العجز الذي سبقت الى تذكيرنا به فأكثرت حتى عذلتك .

فالآن قد شرعت في اختصار الاجزاء التي طبعت من التفسير بما أرى انه أنفع لجماهير القراء . فبلغت النصف الثاني من الجزء الرابع . وأرجو أن أشرع في الطبع بعد إتمام اختصار الجزء الخامس إذ عزمت على جعل المختصر ثلاثة أجزاء في كل واحد منها ثلث القرآن الكريم وقد طبعت من الثلث الثاني تفسير جزء ونصف جزء إذ بدأت باختصاره من أول الجزء الحادي عشر الذي تم طبعه مطولا في المحرم من هذا العام وإذا وفقنا لطبع الثلث الاول بعد بضعة أشهر وصدر فالمرجو ان يكون رواجه عظيماً جداً لان جميع الطبقات من القراء يرغبون فيه إذ لا يوجد في العالم الاسلامي تفسير مختصر محرر خالٍ من الاصطلاحات الفنية العربية والشرعية والجدلية والروايات الخرافية .

ولكن عليّ أن أتمم قبل البدء بطبعه ثلاثة كتب منها ما طبع بعضه وهو كتاب « الربا والمعاملات المالية في الاسلام » الذي أبين فيه ان أكثر ما كتبه الفقهاء من جميع المذاهب في هذا الموضوع ليس من الدين ولا يجب على المسلمين اتباعهم فيه . . . وكتاب « المنار والازهر » وقد طبع أكثره . وثالثها الجزء الثاني من كتاب « الوحي المحمدي » الذي وعدت به في تصدير الطبعة الثانية منه . وقد شرعنا في هذا الشهر بإعادة طبع تفسير الفاتحة وسنطبع معه تفسير سورة الاخلاص للاستاذ الامام رحمه الله تعالى ومقالاته الثلاث في المسائل المشكلة في التفسير .

ولا يمكنني المضي والاسراع في إتمام هذه الكتب والتفرغ للتفسير

المختصر إلا بترك إصدار المنار في السنة القابلة • فالمنار يغتال معظم السنة في تحريره وتصحيحه وإصداره ومكاتبة المشتركين والمستفتين وهو منذ عهد الحرب الكبرى لا يأتي بنفقاته وقد استحل أكثر المشتركين ما عودناهم عليه بسوء إدارتنا من عدمهم إياه مجانياً وقد بالغنا منذ اشتدت العسرة في هذه الاعوام الاخيرة في استعطافهم بل استجدائهم بدفع ما تيسر لهم من المستحق عليهم فلم يرجع أكثرهم لنا قولاً ولا اعتذاراً • فعزمت على أن أعلن في آخر هذا المجلد وهو الـ ٣٤ طلب إجازة سنة من القراء لاجل التفسير المختصر ...

ولكن أكبر العوائق عن طبع الكتب الثلاثة والتفسير المختصر مع الاستمرار على كتابة المطول وطبعه هو فقد الدراهم فان جميع نفقتها علينا • وليس لنا مورد مالي إلا من مطبوعاتنا وهو لا يكفي لنفقات الدار والمطبعة والديون المقسطة والمال يجذب المال • فلو أمكننا أن نبدأ بطبع الثلث الاول من التفسير المختصر أولاً لكان لنا من رواجه المنتظر ما يساعدنا على غيره • ولكننا نحتاج الى ٤٠٠ او ٥٠٠ رزمة من الورق له لانني اقدّر أن يكون بين « ٨٠ الى ١٠٠ ملزمة » والذي سيطبع منه أولاً خمسة آلاف نسخة •

وفي يدي الآن كتاب ثالث هو ضروري أيضاً وهو عقيدة في بيان حقيقة الايمان والاسلام لاجل الخواص والعوام • ومن العجائب انه ليس عند المسلمين كتاب وافٍ بهذا الغرض يفهمه كل من قرأه أو سمعه • وقد كنت كتبت هذه العقيدة من زهاء ربع قرن ولم أتمه ولما بدا لي أن أطبعه في هذه الايام وجدت من الضروري أن أبدأ فيه وافصل

ما ذكرته في أوله من معنى الايمان والاسلام بما يعرف به حال من يدعونها اليوم والملاحدة منهم غير مسلمين ولا مؤمنين · هل يوجد الايمان بدون إسلام والاسلام بدون إيمان ؟ وكون الايمان الصحيح يقتضي العمل بالضرورة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وفيه بيان حكم من يعتقدون صحة نبوة محمد (ص) ولا يتبعونه من غير من يسمون مسلمين ومنهم غاندي الشهير ...

في ١٣ رجب ١٣٥٣ الموافق ٢٢ اكتوبر ١٩٣٤:

هذه العقيدة كتبت بأسلوب السؤال والجواب وفي اثناء كتابتها من سنين قد شرعت في كتابة عقيدة اخرى للمتعلمين في المدارس بأسلوب المحاورة بين عالم ديني وولد له تعلم التعليم العصري وأخ له وام لهما · وأطلعت شيخنا رحمه الله على بعضه فسر به سروراً عظيماً · ثم لم أكتب منه الا بعض قسم الالهيات وان فرغت يوما لمراجعة تفسير آية الكرسي من جزء التفسير الثالث تجد فيه جملة من هذه العقيدة في تفسير « الحي القيوم » وكان غرضي أن اتبع هاتين العقيدتين بكتابة رسالة في العبادات أجمل أصلها بيان ما أجمع عليه المسلمون في كل عبادة وأذكر في ادنى ذلك او حاشيته اشهر ما اختلفوا فيه مما ورد في الاحاديث دون اجتهاد الرأي فان التحقيق ان الرأي والقياس لا يثبت به شيء من العبادات · وهذه الرسالة لما كاشفت شيخنا رحمه الله بها ألح علي الحاحاً شديداً بالتعجيل بها · وكذلك زميله المرحوم حسن عاصم باشا كما فصلت ذلك في الجزء الاول من التاريخ · ومنه رسم بعض ما كتبا الي في ذلك بخطهما · وكان مرادهما تدريس هذه الرسالة في مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية وتوفيا قبل ان أحقق لنفسي ولهما هذه الامنية ·

وإذا أتيح لي بسط القول لك في موضوع هذه الرسائل لعلمي بأنه يهمك ويعنيك أذكر لك بالاجمال الموجز الاساس الاعظم للاصلاح الإسلامي الذي لا أعلم أحداً سبقني الى التفكير فيه فضلاً عن البيان لبسطه والاهتمام لتنفيذه وهو جمع كلمة المسلمين على أن يكون الدين الجامع لهم الذي يلقنه كل أحد منهم هو ما أجمع عليه أهل الصدر الأول وأن يكون ما اختلف فيه أئمة المذاهب وغيرهم من العلماء متروكاً الى المطلع على أدلتهم من الافراد . فمن اقتنع بدليل منها عمل به من غير دعوة اليه وجعله مذهباً يتعصب له طوائف من المسلمين ينفردون به دون الجماعة وبهذا تبطل عصبيات المذاهب ثم يكون البحث في اختلاف علمائها كالبحث في مسائل العلوم والفنون اللغوية والعقلية والكونية ... هذا المعنى بينته مراراً ربما تتجاوز المئات لعل أولها بحث الوحدة الاسلامية في مقالات المصلح والمقلد التي نشرت في السنتين الثالثة والرابعة من المنار وطبعت على حدتها مرتين ولم يستنكرها ولا رد عليها أحد من العلماء . ومنتهى حظي من الاصلاح الاسلامي الذي أنفقت حياتي كلها في الدعوة له أن أنفذه ولما أجد أحداً من أصحاب الهمم العالية يساعدني على تنفيذه . وإني أذكر لك أهم أعذاري في التسويف في كتابة الرسالة التي بالغ شيخنا في مطالبتي بها ثم ما عزمت عليه الان في سن الشيخوخة ويا أسفاً على غفلة الشباب وآماله وطول حبلها وقد فجأتني في الكهولة الحياة الزوجية والعيال والاضطرار الى الكسب من طبع الكتب التي كان منها المطبوعات السعودية المشترط فيها تصحيحي لاصولها فقد كانت من غير شعور مني تغتال من عمري ولو أتممت فيها التفسير وغيره من كتبي الاصلاحية

لكان ربحها أكبر فإن ما يسلم لي من طبع الكتب قليل .

أبدأ قبل إتمام الكلام في الاصلاح ببيان حالنا المالية ليتضح العذر في تأخير التنفيذ ولا يطول الكلام في موضع واحد

وكان الربح العظيم والغنم من هذه المطبوعات انها جرأتني على شراء الدار بالتقسيط لتكون مستقراً للعيال إذا جاء الاجل وهم صغار وكان القسط السنوي بعد دفع المقدم من الثمن زهاء أربعمائة جنيه في السنة على مدة ست سنين . ولكن كان القسط الشهري من نفقة مطبوعات جلالة الملك مائتي جنيه فلا خوف من العجز لو ظلت المطبوعات متصلة ومن يعلم ما خبأه القدر للبشر «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء» فجاءتنا العسرة وانقطعت عنا مطبوعات الملك وغيرها اذ كان قد اشتهر ان مطبعة المنار لا تطبع غير مطبوعاته ومطبوعاتها الخاصة . وركبتنا ديون فوق أقساط الدار التي صارت تزيد كل سنة بما يضاف اليها من فوائد التأخير وغيرها من انواع (المصاريف) التي لا تخطر لمن لم يبتلَ بمعاملة المرابين بيال ومنها نفقات النذور والمحامين الذين يكلفون المطالبة ورفع الدعوى وتنفيذ شروط الرهن ببيع المرهون بالمزاد وقد تكرر هذا وكنا نرضي شركة الرهن كل مرة بدفع مبلغ من المستحق لتأخير التنفيذ . . الى ان سددنا حسابها في اوائل هذه السنة الميلادية برهن جديد للدار على الف ومائتي جنيه بفائدة ٩ في المئة لمدة ست سنين يستحق القسط الاول منها في مايو سنة ١٩٣٥وهو مائتا جنيه تضاف اليه فائدة السنة ١٠٨ جنيهات وخسرنا في نفقة هذا الرهن الجديد زهاء مائة جنيه أيضاً ولو كان معنا ٣٠٠ جنيه لكنا في غنى عنه .

(الى أن يقول) : كان السيد الحسيني أخبرني عن الشيخ يوسف ياسين ان جلالة الملك قرر شراء نسخ من الوحي المحمدي وتفسير المنار بمبلغ ثلاثمائة جنيه ثم كتب الى الشيخ يوسف بعد انتهاء الحرب ان النفقات على جلالته في تسريح الجيوش اكثر من أيام الحرب لان من عادته أن يعطي جميع افراد الجيش وقوادهم عند الرجوع الى اهليهم مبلغاً من المال يوسع به عليهم وكتب أيضاً قبل ذلك انه سيبدأ بالاصلاح الحكومي الذي يعدنا به دائماً في اوائل السنة الآتية ٠

العائق لى عن العمل التفصيلى للاصلاح الاجمالى

في المسائل المجمع عليها خلاف كثير وللحفاظ فيها مصنفات لا يوجد عندنا منها شيء إلا ان يكون في بعض المجاميع المجهول ما فيها بدار الكتب او في بعض المكاتب الخاصة وجميع العلماء المحدثين ينقلون عن كتاب او كتابين لابن المنذر يوجد أحدهما في مخطوطات خزائن الاستانة ولابن حزم كتاب آخر استدرك عليه ابن تيمية بكتاب خطأه فيه بدعوى الاجماع في مسائل كثيرة ٠ وقد ظفرت بهذا الكتاب مخطوطاً وما زلت أبحث عن اصله لابن حزم حتى علمت بوجود نسخة منه في الاستانة وبأنه تنقص منه ورقة من آخره وقد سافر في الصيف الى الاستانة حسن بك عديل فؤاد بك سليم صديقنا الذي يقيم معه فؤاد بك في داره فكلفه أن يسعى لاخذ صورة عكسية منه ٠ فان فعل فانني أطبعه مع كتاب ابن تيمية فيكون أكمل كتاب لنا في بابه وأضع له مقدمة في بيان ما هو ديني وما هو غير ديني من مسائل الاجماع ويكون حجة

لي وسندا في سائر كتبي الاصلاحية ويكون وضع رسائل العبادات والمحرمات القطعية سهلاً ويبقى الصعب تعميم الدعوة للاصلاح ونشر ما يكتب ويطبع من أصوله وفروعه ويتوقف هذا على وجود اعوان من المسلمين أصحاب العزائم في كل قطر وعلى وجود مركز وحدة عام وعلى نفقات وعلى نظام عام وهذا ما أفكر فيه منذ سنين .

مركز الوحدة العام للاصلاح الاسلامي

للمركز الطبيعي المعقول لهذا العمل هو الحجاز ولكن لا نعرف أحداً في الحجاز يصح أن يكون عضواً في هذا المركز الا صديقنا الشيخ محمد نصيف . ويمكن ان يكون من العاملين فيه الشيخ محمد عبد الظاهر امام الحرم وخطيبه [1] والشيخ محمد حمزة المدرس فيه وفي دار الحديث الجديدة وهما من تلاميذي وقد يوجد غيرهم ولكن لا يصلحون لادارة المركز العام وبث الدعوة فالحجاز في هذا العصر هو مكة والمدينة وعبد العزيز الفيصل الملك .

ويلي الحجاز مركز مصر ففيها كثيرون يفهمون وينطقون ويكتبون ولكن ليس فيها احد من اصحاب العزائم والشجاعة المؤهلة لهم لهذا الجهاد ولا يكاد احد من عقلائها يثق بأحد يرتبط به ويصلح للعمل معه والروح المستحوذ على جميع حكامها وكبراء الدنيا والدين فيها هو التمتع بالشهوات

(١) نعم الشهم الفاضل الظريف المسارع في الخيرات الشيخ محمد نصيف . ونعم الشهم العلامة الكامل الشيخ عبد الظاهر ابو السمح خطيب الحرم المكي وامامه فقد اسعدنا الحظ بصداقة كل منهما ولا نرى السيد يخطئ في انتقاء الاصحاب .

والذات وقد فضحت حكومتها وزارة .... بجرأتها على تزوير مجلس نواب ومجلس شيوخ وحكومة مستبدة سلابة نهابة أفسدت كل شيء حتى القضاء وأذلت الوفد المصري الذي يخضع له السواد الاعظم من الشعب فاقتنع الانكليز بأن ثورته كانت ثورة أطفال وجاءت وزارة بعد إسقاط السراي لوزارة ... أمكنها على ضعفها المحافظة على استبداده واستعباد الامة بالتبع لها لرجل واحد من السراي فآل ذلك الى شروع الانكليز في وضع سيطرتهم على الحكومة والسراي معاً وهو ما نرى تفصيله أو تفصيل ظواهره في الجرائد المصرية .

كنت كلفت السيد أمين الحسيني عند سفره الى الشرق لأجل المؤتمر الاسلامي أن يكتب لي كشفاً بأسماء وعناوين أعلى من يرى من الرجال في سياحته همة وغيرة وعزماً في كل البلاد التي يطوفها فكتب ولما عاد من جزيرة العرب قال ان خير من رآه فيها السيد عبدالله الوزير[1] وانه ذكرني له تمهيداً للمكاتبة . والسلام

أخوك

رشيد

* * *

وكتب في ٢٤ رمضان ١٣٥٣ و ٣١ دسمبر ١٩٣٤ :

سيدي الأخ الكريم والولي الحميم

أهنئك بإكمال عدة الصيام واستقبال عيد الفطر وبانقضاء العام الشمسي الميلادي عليك وأنت ماضٍ في جهادك منصور في جلادك أعاد الله عليك

---

(١) ولا يوافق السيد أمين الحسيني أحد قبلنا على هذا .

هذه المواسم الدينية والاعوام السياسية متمتعاً بكمال الصحة والعافية والنعم الضافية على خير ما تحب لنفسك وولدك وقومك وأمتك وملتك في عمر طويل .

الى ان يقول :

وأما الاستجابة الاولى للدعاء والتسخير الذي لم يكن يحتسب ولا يخطر ببال فهو قد كان قبيل رمضان أيضاً من سنة ١٣٥١ : خلا الوطاب ونفد ما في الجراب وكثر الطلاب فلم أشعر إلا بظرف الكتاب يرفع إليّ في حجرة السرير وانا موعوك فيه أكثر من ثمانين جنيهاً لم أعلم من أين هو ثم بلغني عامل المكتبة وكان عاصم مسافراً على عادته ان هذا المبلغ من كتبي في الجزائر راجع حسابه فوجد هذا المبلغ متأخراً عنده فدفعه وهو عائد من الاستانة الى الجزائر ... ثم تبين انه كان غالطاً في الحساب وإنما عليه ثمانية جنيهات وبعد عودة السيد عاصم راجعه في الحساب وسدد له المبلغ أقساطاً .

إنما أخرت الكتاب اليك لأجد وقتاً واسعاً أكتب فيه ما أراه مفيداً في موضوع كتابك فاذا بهذه المسألة تلقف جل الوقت الذي خصصته له وقد تضاعف العمل فيه وهو في كل يوم يزداد وأنا مضطر في الايام الخمسة الباقية من رمضان الى تصدير جزء المنار السادس وإتمام طبعه في الاسبوع الماضي والى اتمام طبع تفسير سورة الفاتحة والعصر الذي زدت عليه في هذه الايام تفسير السور الخواتيم التي يقرأها أكثر المسلمين في الصلاة وهي العصر والكوثر والكافرون والإخلاص والمعوذتان وسيرسل اليك في البريد الآتي ان شاء الله تعالى وقد أرسلت اليك قبل هذا

كتاب « المنار والازهر » الذي صدر في أواخر شعبان وأرسلت الى عجاج أفندي كتاب الاكليل مسجلاً .

ثم وصل نهار أمس « الاحد » كتابك الثاني فرأيتك تطلب مني فيه أن أرسل اليك نسخة ديوانك الاول (الباكورة) ظناً منك انه عندي ولعلك فهمت هذا من ذكر بعض أبياته في مدح شيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وإنما كان أطلعني عليه في طرابلس وانا تلميذ فيها المرحوم محمود أفندي الكحيل فحفظت بعض ابياته بغير تعمد وكان هو اول ما حببك إليّ ولعله يوجد عند بعض الادباء في بيروت أو طرابلس وتطلب ديوان عبدالله باشا فكري وديوان محمود باشا سامي وسأسأل لك عنها بعد رمضان إن شاء الله تعالى . واما مجلة الزهور فكان يصدرها أنطون بك جميل رئيس تحرير الاهرام اليوم وسأسأله إن شاء الله عن قصائدك والسبيل الى نسخها .

الامام يحيى أرسل الي كتاباً ذكر فيه انه كان أرسل من مدة طويلة كتاباً أخبرني فيه بوصول كتاب الوحي المحمدي وفيه حوالة وطلب فيه إرسال تفسيري الكبير الشهير اليه ولما طال الامد ولم ترد الافادة كتب هذا (إستعلاماً واستنجازاً وتجديداً للعهد) فالظاهر أن عماله لم يرسلوا الكتاب وقد أرسلت اليه أجزاء التفسير وكتاباً مسجلاً وما ذكرتموه من كتابتي في أيام الحرب كان رأياً منعولاً وسأبين الحقيقة في هذا في كتاب آخر والسلام؟

أخوكم

رشيد

* * *

وكتب في ٥ شوال ١٣٥٣ الموافق ١٠ يناير ١٩٣٥:

سيدي الاخ الامير حفظه الله وأمتع به ونفع بعلمه وقلمه

وخذل عدوه

السلام عليكم ورحمة الله تعالى . وصل أمس « الاربعاء » كتابك الثاني الخاص بمسألة الطعن في الجرائد وقد وصل الاول في يوم العيد « الاحد »

وقد زارني فيه صباحاً ابو الحسن وتكلمنا قليلا في المسألة لكثرة الناس ووعد بالعودة ورأيت مقالته و كان أخبرني بها . ثم زارني في المساء الدكتور حسني أحمد وهو حر الفكر متدين صدوق فكلمته في المسألة ووجوب التعاون معه على تلافيها ورأيته لا علم له بأن الدكتور أحدث شيئاً من كتابة ولا إغراء وان كان مستنكراً مساعدة الطليان والتنويه بهم وانه هو أيضاً مستنكر لمقالتكم في صحيفتكم الفرنسية وقد رآها وقال ان أسعد افندي قال وهو صديق الامير ومن حزبه إنها لا تليق به في مركزه من الزعامة وماضيه في حملاته على الطليان وان كانت في نفسها مما يكتب ولا ينكر[1] الخ ... ووعدني الدكتور حسني بأن

---

(١) الجواب على هذا مختصر في قوله تعالى : « لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »

مررنا بمصوع وصعدنا الى « أسمره » فجاء للسلام علينا أعيان المسلمين هنالك من حجازيين ويمانيين ومصريين وأحباش فسألناهم سراً وعلناً ومنفردين ومجتمعين عن أحوالهم فأجابونا عن كل شيء تفصيلاً ولم نسمع منهم شيئاً يسوء المسلم سماعه . فروينا ما سمعناه بحرفه ولم نزد عليه كلمة ولم ننقص منه كلمة حتى تعلم دول الاستعمار اننا ننشر حسناتها كما ننشر سيئاتها واننا نزن بالقسطاس المستقيم

يجيئني لعقد جلسة سرية بيننا للبحث في المسألة والاتفاق على ما يجب لاجل المصلحة الوطنية وما ينبغي لكل مخلص أن ينصح لاصدقائه فيها ثم تكلمت مع الاستاذ الزركلي فيها فقال انه لم يثبت عنده ان الدكتور شهبندر كتب أو أغرى المليجي بالكتابة وهو يرجو أن يعرف الحقيقة من صديقه المازني المحرر

— ولا نبخس أحداً حقه فترغب في العدل والنصفة وتحسن معاملة المسلمين وتكف عن عسفهم لأن الامم التي تستوي عندها الحسنات والسيئات هي جديرة بأن لا تنال وطراً وبأن تفقد مكانتها في نظر الناس . فكان من نشرنا تلك الاقوال التي سمعناها من أفواه مسلمي الاريتره أن قام كثيرون يزنوننا بممالأة إيطالية ويشنعون علينا في نقل ما سمعناه بحرفه بحجة انه ولو كان حقاً لا يجوز لنا أن نعترف لدولة من دول الاستعمار بحسنة ولا أن ننسى إرهاقها للمسلمين عسراً والحال اننا لم نكن في شيء من موضوع الاستعمار العام ولا في حالة المسلمين الذين تحت حكمهم على إطلاقها وإنما هي ذكر حالة معينة في قطر من الاقطار المستعمرة أردنا أن نشهرها حتى تعلم دول الاستعمار اننا لسنا بكماً ولا عمياً ولا صماً واننا نصف الجميل كما نصف القبيح واننا نعمل بقول كتابنا : « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » . فلقد روى لنا مسلمو الاريتره فيما رووا انهم متمتعون بحريتهم الدينية التامة وان التبشير المسيحي ممنوع بتاتاً عندهم بين المسلمين وان مبشراً تعرض للمسلمين فحبسته الحكومة الايطالية وأنذرته بأن لا يعود وأطلقت سبيله فإذا به رجع الى شأنه الاول فعند ذلك طردته من البلاد .

أفترى كان يكون أحسن لو أن ايطالية سمحت للمبشرين بالدعاية الدينية المسيحية بين الاسلام وأيدتها ونصرتها بنفوذها السياسي كما يفعل الانكليز في السودان والاوغانده ؟ أفلو كانت ايطالية أرادت أن تفعل هذا أكنا قادرين على منعها ؟ لقد نصّر الكردينال لافيجري ورهبانه ألوفاً من المسلمين في جزائر —

في البلاغ مع المليجي ويخبرني ما يقف عليه . ولما وصل كتابك الثاني أمس وكنت مدعواً الى حفلة ابي الحسن لشرب الشاي في حديقة الحيوانات مع جماعة كبيرة من الاصدقاء احتفالاً بجماعة من أصحابه الفلسطينيين ذهبت في المساء وأخبر كل منا الآخر بكتابك الجديد وقال انه سيزورني في دار المنار ثم جلست منفرداً مع اسعد داغر فألفيته مستبعداً ان يكون الشهبندر فعل شيئاً قلت ومن أين له بهذه المعلومات التي نشرت قال يجوز ان تكون من غيره وقال ان شهبندر ليس له علاقة بجريدة الشعب السورية أيضاً واما مسألة صور مكتوباتكم الى الخديو فيعرفها كثيرون في الشام وقليلون في مصر وهو قد رآها وقال انه قد استاء من مقالة لكم جديدة في صحيفتكم تنصرون بها ايطالية على الحبش وتعظمون شأن موسوليني وهذا كثير جداً على شخص الامير شكيب والوفد السوري وانه كتب بهذا كتاباً الى الاخ احسان بك . هذه جملة ما وقع لي مع الاخوان في المسألة وسأعود معهم كلهم الى تمحيصها وأخبركم بما يتم .

ذكرت لكم في كتابي المسجل ما عزمت عليه لموافاتكم بمطالبكم الادبية وقد كلفت أسعد داغر فكلم انطون بك جميل في قصائدكم المنشورة في مجلة الزهور فوعده بأن يعطيه مجلدات المجلة ووعدني اسعد باستنساخ ما يجده

ـ الغرب فهل قدر أحد من المسلمين أن يمنع هذا الامر ؟ وتنصر في بلاد الجاوى مئات الوف من المسلمين على أيدي الجمعيات التبشيرية التي تمدها الحكومة الهولاندية . فمن قدر من المسلمين أن يحتج على ذلك فضلاً عن أن يمنعه ؟ أفنكون كفرنا اذا قلنا لايطالية : شكراً لك على منعك لتنصير المسلمين ؟ ان هذا لعجب عجاب .

نيا وكلفت آخر بأن يسأل الكتبية عن ديوان عبدالله باشا فكري فانه لا يوجد الا لقطة من التركات وعن ثمن ديوان البارودي وسأشتريها إن شاء الله والسلام عليكم وعلى نجلكم ورفيقكم احسان بك وأدام الله توفيقكم ؟

رشيد

* * *

وكتب في ١٩ شوال ١٣٥٣ الموافق ٢٤ يناير ١٩٣٥:

سيدي الأخ المجاهد في سبيل ملته وامته ووطنه نصره الله وأطال عمره موفقاً مؤيداً

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد ألقي إليّ أمس كتابان منك وأول من أمس كتاب والمهم منهما هو الاخير بما فيه من مسألة مسلمي الحبش وأما مسألة ايطالية وما كتبتموه عنها في مجلتكم وما نشر هنا فلعله انتهى بما كتبه ابو الحسن قبل ثلاث فلم يبق ولم يذر من تصريح وتعريض وهو يصل اليكم منشوراً في الجهاد قبل هذا وأسعد أفندي أمره سهل فهو صديق لا خصم وإقناعه ببعض ما كتبتم قريب وقد قال قبل ولمن كله من المستنكرين لما نشرتم في مجلتكم انه في نفسه غير منكر[1] ولكنه غير لائق بمقامكم[2] في وقوفكم الدفاعي وجهادكم

(١) اسعد افندي داغر هو اعقل وادرى بالسياسة من ان يدعي وجود مايستنكر في كلامنا عن هذه المسألة.

(٢) أي بحسب القاعدة الجارية التي معناها ان الزعيم الوطني لا يجوز له –

للمستعمرين وقد ذكرت له امس بالتلفون مضمون ما كتبتم لي في مسألة

— بمحال من الاحوال أن يعترف للعدو بعمل صالح وانه إن عرف ذلك في ذات صدره فلا يجوز له ان يعلنه بل يحتم عليه ان يتجاهله حتى لا يقول الناس انه تسامح مع الاستعمار في كلي ولا جزئي . وهذه القاعدة السلبية الصرفة التي معناها أن نخفي ما نعلمه حقاً لئلا يقال اننا لسنا في الذروة العليا من الوطنية ، لسنا منها في كثير ولا قليل نحن الذين آلينا على انفسنا أن نخدم هذه الامة بما ينفع الناس ويمكث في الارض لا بما يذهب جفاء ونحن أولاء لم نجد في هذا العصر — بصرف النظر عن الماضي — زعيماً وطنياً كبيراً كانت سياسته بازاء دول الاستعمار سلبية صرفة ترفض أن تقبل الحق ان لم يكن تاماً بزره وعروته فلا سعد زغلول ولا النحاس ولا ابن سعود ولا فيصل بن الحسين ولا الامام يحيى ولا أحد من أقطاب الشرق او الاسلام ولا مصطفى كمال آتاتورك نفسه أبى ان يقبض مائته الا مائة تامة لا تنقص شيئاً . بل طالما رضوا بقبض المائة تسعين وسبعين وستين وكانوا بذلك مفتخرين لا جهلاً بحقوق بلدانهم ولا ميلاً الى التساهل مع الاجانب بل ذهاباً مع الممكن وفراراً من الجعجعة بلا طحن وأملا بإكمال النواقص في المستقبل وخوفاً من الحرمان التام واختياراً لأهون الشرين . وان كان قد انتقدهم الناس في خططهم السياسية هذه فلم ينتقدهم الا جاهل أو متجاهل متحامل . انهم أرادوا ان يخدموا بلدانهم بسياسة عملية ايجابية متعلقة بالممكن غير معول فيها على مجرد الضوضاء والتظاهر بعدم الموادة في أقل شيء : سيبل من لا يهمه على اي جنبيه وقع الامر ومن جل أربه ان يقول عنه العوام ومن لا يدر كون حقائق الامور : هذا هو الوطني القح الذي لا يتساهل ولا يتسامح ولا يتزحزح عن مطالبه . وما اسهل الوطنية ان كان صاحبها لا يهمه الا الصراخ : أوصل به الى نتيجة ام لا ؟ اما قضية الحبشة فكل من يقول

مسلمي الحبشة وهو لا يعلم منها شيئاً [1] ولا ينكر عليكم ولا يلومكم في مراعاتهم والدفاع عنهم طبعاً . وسألته عما عهدته اليه من استنساخ قصائدكم في مجلة الزهور فقال ان انطون بك الجميل لما يفِ له بوعده في إحضار مجموعات المجلة له وسيستنجزه الوعد وانه ربما يزورني اليوم قبل الظهر أو غداً وأنا أكتب هذا في الساعة الثانية عشرة قبل الظهر ولم يجيء . وقد أحضر

— اننا سوغنا استيلاء ايطالية على الحبشة بتصريح او بتلميح يكون مخطئاً او ذا غرض في نفسه . بل كلامنا في هذه المسألة صريح سواء بالعربي او بالافرنسي وهو اننا لا نرضى باستيلاء أمة على أمة أية كانت ولكننا لا نعترض في ذلك على ايطالية وحدها بينما يكون ٢٥٠ مليوناً أو أكثر من المسلمين راسفين في قيود أجنبية وبينما تكون الحبشة هذه — المظلومة المقهورة الشهيدة — قد أخنت على استقلال سبع أمارات اسلامية كان لها ذكر في التاريخ فطوتها طيّ السجل للكتاب واحدة بعد أخرى و كان آخرها سلطنة هرر الصوماليةوسلطنة جمةجفار التي استلحقها النجاشي طفري هذا من سنتين ظلماً وعدواناً . ولقد سبق لنا كلام عن قصة الحبشة هذه في مكان آخر . ويا حبذا لو كان المسلمون الذين أقاموا تلك القيامة للحبشة تذكروا حال اخوانهم مسلمي الحبشة الذين لم تعرف أمة من الظلم ما عرفوه فلم يصح فيهم قوله تعالى « يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ».

(١) ولو كان أسعد أفندي داغر اطلع على ما عندي من رسائل مسلمي الحبشة لعرف حقيقة ما هنالك ولعلم اني لم أكن داعية لايطالية فيما أتقاضاه من مساواة مسلمي الحبشة بنصاراها في الحقوق بل كنت في هذا داعيةً لنفس الحبشة التي كان أعظم سبب في سقوطها حقد المسلمين على الحكومة الحبشية من اجل إرهاقها اياهم منذ قرون .

عامل المكتبة لكم ديوان عبدالله باشا فكري والجزء الاول المطبوع من ديوان البارودي وكان في دائرة المرحوم رجل أديب يقرأ له وينسخ فكلف بعد وفاته بتقديم ديوانه للطبع بإشرافه وتصحيحه فافترص هذا لاظهار علمه وأدبه بشرحه وطبعه مع الشرح فأسرف فيه وأطال ولم يتم طبعه ٠

وأما رأيي فيما تجيبون به الصافي الذي كتب اليكم من أديس ابابا فيما ينبغي عمله لمسلمي الحبش والصومال في هذا الطور الجديد من ميل حكومة الحبش الى استمالتهم ووجود رجل من الخيار تثق به وهو الحاج عبدالله شريف — فجوابي التفصيلي عنه يدخل في المشروع الكبير الذي ذكرته لكم في كتاب سابق من تنظيم السعي لوحدة الشعوب الاسلامية وتبليغهم الدين الصحيح وقد كتب إليّ جلالة الملك باستحسانه له وموافقته على تأليف مركز في مكة المكرمة واستعداده للمساعدة عليه وكل ما فيه تعميم دعوة الاسلام الحق ٠ واشير عليكم الآن ان تكتبوا الى الرجل بأن أهم ما يجب عليه هو إحصاء المتعلمين المخلصين لدينهم في البلاد بقدر الامكان وإيجاد مراكز فيها لهم لاجل التعارف ونشر الرسائل والكتب التي يعرفون بها حقيقة الاسلام معرفة مقنعة مؤثرة لا يخشى على من عرفها ان يضل بدعاية المضلين من دعاة النصرانية [1] ولا من دعاة السياسة المحاربين للاسلام

---

(١) من جملة ما كان يئن منه مسلمو الحبشة انتشار المبشرين الاجانب حتى في أصغر القرى الاسلامية وحيث لا يوجد مسيحي واحد ٠ واما في هرر فكل الذين يقرأون الجرائد علموا بأن ايطالية كانت قد قررت نفي مطران افرنسي لاجل دعايته لحكومة الحبشة وذكرت ذلك الصحف الفرنسية وتوسطت فرنسة لمنع نفيه ٠ وما كان السبب في تعصب هذا المطران للنجاشي طفري سوى انه كان —

ولاجل ان يكتبوا للمركز العام في الحبشة والصومال بكل ما يطرا عليهم من اضلال او ظلم . وهذا المركز يبلغ ذلك للمراكز التي تدافع عن الاسلام والمسلمين في اوربة ومصر واعني بها الآن مركز الوفد السوري عندكم ودار المنار هنا وبهذه المناسبة اطلب منكم ان تكتبوا لي عناوين جميع ما تعرفون من الاندية والجمعيات الاسلامية في الاقطار كلها وعناوين من تثقون به من عقلاء المسلمين المخلصين وسأرسل الآن الى اديس ابابا « الوحي المحمدي »، وتفسير الفاتحة وما معها والاسلام والنصرانية الخ ...

هذا واني اسألكم رأيكم في مسألة كنت انوي ان اكتب اليكم بها من اواخر شعبان وهي مسألة منطقة العقبة ومعان التي تعلمون مركزها المهم بل الاهم في السياسة العربية والاسلامية وقد علمت ان الانكليز تريد الفصل فيها بمفاوضة تدور في هذا الشهر « يناير » وقد كاد يتم، وجلالة الملك ورجاله المختصون بهذا لا يزالون في الارض وقد علمت ان للانكليز مسألة أخرى معه خاصة بحدود نجد الشرقية مع جيرانها في الخليج الفارسي التي تدعي انكلترة حمايتهم وانهم ارادوا الفصل فيها في اثناء حرب الجزيرة للمساومة بها على العقبة وهذا أخوف ما كنت اخافه من غوائل

ـ يساعده في حركته لتنصير المسلمين وقد جاءت رسالة في جريدة «الطان» من مراسل لها كان في هرر انه شاهد هذا المطران واخبره بأنه تنصر على يده عدة مئات من المسلمين وانهم بعد تنصرهم كانوا من اعظم اعوانه على نشر الدعاية المسيحية بين المسلمين فلا عجب ان كان مسلمو الحبشة والصومال يفرحون بسقوط طفري وامثاله .

تلك الحرب وانتهت ولله الحمد بخير ٠ ولما مر بنا فؤاد بك حمزة منصرفه من لبنان الى الحجاز فنجد خلوت به في جلسة طويلة في ٢٠ شعبان ٢٨ نوفمبر وتكلمنا في المسألتين فرأيته يعتقد وينقل عن جلالة الملك انه يرى أيضاً مسألة حدود نجد أهم من مسألة العقبة ٠ فقلت له ان مسألة العقبة لا أهم منها وان مسأله حدود نجد الشرقية ليست بحيث تقول وبحيث تدعي انكلترة أو تظهر للمساومة فان القطيف وقطر وكذا الكويت والبحرين وعمان ليست من بلاد الانكليز ولا شعبها من الانكليز وكل ما تدعيه الانكليز من حق الحماية عليها فهو عدوان منها على أهلها لا حق دولي ٠ والذي يجب أن يعرفه جلالة الملك ان هذه الدولة يستحيل أن يسمح لها برلمانها باعتماد مالي لمحاربته على الخلاف في هذه الحدود اذا سلك فيه مسلك المفاوضات الودية التي لا يمكن أن تعد إهانة ولا تحرشاً بها. وأما مركز العقبة فهو خطر على الحجاز ونجد كما انه خطر على سورية والعراق بل فلسطين وشرقي الاردن وهما بريطانيتان في نظرها ٠٠٠

ثم ان مركز العقبة مركز إسلامي له شأن عظيم في اعتقاد جميع المسلمين ويمكن تهييجهم به على الانكليز ويمكن لملك العربية أن يحتج به على الانكليز بأنه لا يمكنه أن يبلغ في مودتهم مخالفة عقيدته وعقيدة شعبه وأهل ملته بإقرار إلحاق جزء من الحجاز الى بلاد يعدونها تحت سيطرتهم باسم الانتداب وان الحاق علي وعبدالله إياه بشرق الاردن غير جائز في الشريعة الاسلامية التي يسمي علي ملكاً خاضعاً لها ولا في عرف القوانين الدولية العامة فإنه لا يجوز في أصول القانون الدولي العام ان يهب ملك بعض أرض مملكته لمملكة أخرى او لحاكمها٠٠

ومن جهة ثالثة ان هذا المركز لا ترضى تركيا ولا ايران ولا ايطالية ولا فرنسة ولا غيرهما من الدول البحرية بجعله بريطانياً لان البحر الاحمر يكون به كله بحيرة بريطانية تستطيع دولتها منع أي دولة أخرى من المرور فيه إن شاءت بسبب حرب أو خلاف. وسألت فؤاداً هل تكلم مع السنيور موسوليني في هذه المسألة عند اجتماعه به في رومية فقال: لا. قلت: قد كان هذا واجباً ويجب استدراك هذا الواجب مع وكلاء هذه الدولة في جدة ...[1]

ثم ألم بنا الاستاذ الشيخ حافظ وهبه في رمضان وتكلمنا في المسألة فذكرت له خلاصة ما قلته لفؤاد بك حمزة وفهمت منه ان رأيهما كان واحداً قبل هذا الحديث. ووعدني بجلسة أخرى خاصة لإتمامه فسافر الى العراق ولم يف ولكنه قال كما قال زميله في السياسة انه سيذكر لجلالة الملك كل ما قلته مفصلاً. وقد كتبت الى جلالته والى امين سره بخلاصة الحديث مع كل منهما وبعد وصول الاول الى الرياض جاءني جواب من جلالة الملك بأن فؤاداً أفضى اليه بحديثي معه وانه سيكتب إليّ (اي فؤاد) بما استقر عليه الرأي في المسألة وانه عندما يصل حافظ وهبه سيجدد الحديث معه وكنت أنتظر أن يصل إليّ في هذا الاسبوع الكتاب من فؤاد بك وأبني عليه ما كنت عازماً على استشارتك فيه من

(١) من أهم المسائل التي أهمت ايطالية مسألة العقبة هذه وكم ظهر من السيد في هذه المسألة من بعد النظر وصحة الفكر في قوله ان استيلاء انكلترة على العقبة لا يضر الامة العربية فقط بل يضر بالدول جميعاً.

فروع المسألة ولا سيما رأيك في عرضها على عصبة الامم [1] وقد وصل البريد يوم الاثنين كالمعتاد وليس فيه شيء فبادرت الى كتابة هذا نعسى أن تدرس المسألة مع الاخ احسان بك ومن تثقون بمعارفه القانونية والسياسية الدولية من الافرنج وتكتب إليّ بما تراه من هذين الوجهين وغيرهما .

هذا وانني نسيت أن أذكر لك ان الاستاذ الثعالبي قال لي ان ما ذكرته في مقالتك التي نشرت في مسألة ايطالية في برقة وطرابلس ليس كله صحيحاً وانه هو سأل عن ذلك من يعرف من اهالي البلاد المنفيين أو الهاربين في الاسكندرية فأخبره بذلك وأنا لا أثق بهذا الخبر [2]

---

(١) ولقد كان المركيز تيودولي رئيس لجنة الانتدابات هو نفسه طلب منا ان نعطيه المعلومات التي عندنا عن مسأله العقبة وهل قام الانكليز هناك بتحصينات وأعمال عسكرية ام لا ؟.

(٢) الذي قال للشيخ الثعالبي ما رواه عنه قد كذبه القول فإن كل ما ذكرناه في مقالتنا تلك عن إرجاع عرب برقة الى برقة بعد تشريدهم في الصحارى وعن إغاثتهم وتوزيع الاقوات عليهم وشراء المواشي لهم وعن اطلاق سبيل عدة مئات من الطرابلسيين كان محكوماً عليهم بالحبس ٢٠ سنة او ٣٠ سنة وعن إعادة أوقاف المسلمين للمسلمين وغير ذلك ـ كان صحيحاً . وما نشرناه الا بعد ان جاءتنا بلاغات ايطالية الرسمية به وجاءنا من الطرف الآخر أجوبة من أشد الطرابلسيين عداوة لايطالية تؤيد البلاغات المذكورة . ولم تخفَ صحة ماذكرناه في مقالتنا على ذكاء السيد رشيد وسعة خبرته الى انه ذكر في مقالة نشرها بمناسبة المكتوب الذي جرى تزويره علينا ولامنا على شدة اهتمامنا به : أن الامير

وسأكتب الى السيد السنوسي وهو في الحمام فأسأله عما يعلم وأخبرك به.

ومما كان قال لي أسعد أفندي بعيد العيد في حديثه الذي ذكرته لك: ان كان إظهار ترجيح سياسة ايطالية على الحبش مبني على وعد منها موثوق به على خدمتها للعرب — وما هذا معناه — يكون في محله والا كان فوق ما نستحقه منكم[1].

وقد تذكرت الآن مسألة في كتابك المطول نويت ان أجيبك عنها إذ قرأتها فيه وهي قولك في رأيي الخاص بدعوة المسلمين كافة الى معرفة المسائل الاجماعية الخ. انها لا يرجى قبولها وأكثر المسلمين متعصبون كل منهم لمذهبه. وجوابي عن هذا انني لا أقول لاحد منهم أترك مذهبك ولكن يجب عليك ان تعرف المسائل الاجماعية قبل المسائل التي يختلف فيها المذهب مع غيره. ثم لك الخيار في مسائل الخلاف... هذا ما تيسر

ـ شكيب صرح بما تم على يده من المصالح العائدة الى مسلمي طرابلس بواسطة تفاهمه مع موسوليني مما لم يستطع احد ان يكذب منه شيئاً.

(١) لا شك في اننا ما قبلنا في حياتنا ولن نقبل التفاهم مع دولة أجنبية إلا على شرط معاونتها للأمة العربية ولا يكون ودنا لها إلا بمقدار هذه المعاونة. والذي من العرب يظن اننا نقدر ان نعادي الدول بأسرها ونوسعها طعناً وقذفاً واننا نسترجع بالرغم من هذه العداوة الشاملة جميع الحقوق الضائعة للعرب فيكون إما جاهلاً لا يوجه الى مثله خطاب او مرائياً يعرف الحق ويتظاهر بجهله. قال حكيم العرب زهير بن ابي سلمى:

ومن لم يصانع في امور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

واني لمرسل الكتاب ولا أجد وقتاً لقراءته والسيد عاصم لا يزال غائباً والسلام عليك وعلى نجلك ورفيقك من أخيكم ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في غرة ذي القعدة ١٣٥٣ الموافق ٢٤ يناير ١٩٣٥ :

سيدي الأخ المجاهد نصره الله

أرسلت اليك في ١٩ شوال جواب مكتوباتك الاخيرة ووضعت فيه المكتوب الذي جاءك من الحبشة لاطلاعي عليه وسؤالي عن رأيي فيه وذكرت لك رأيي فيه مع مسائل أخرى مهمة في الاصلاح الاسلامي والعربي وزارني أسعد أفندي في اليوم التالي لإرساله وقرأت له بعض ما جاء في كتابك الاخير ولما أكتب شيئاً الى صاحبك في الحبشة ولا للسيد السنوسي الذي في الحمام لكثرة الشغل ولما يعد السيد عاصم .

وأبشرك بانه جاءني يوم الاثنين ٢٣ شوال جواب لطيف من الامام يحيى يبين سروره بأجزاء تفسير المنار التي أرسلتها اليه امتثالاً لأمره ويمدح التفسير ويحثني على بذل العناية لاتمامه ... وبوصول كتاب المنار والازهر وبإرسال حوالة بمائة جنيه بدلا من الحوالة التي كان أمر بإرسالها عقب وصول كتاب الوحي المحمدي ولم يتيسر إرسالها وتلا ذلك وصول كتاب من محل تجاري في الاسكندرية ينبئ بوصول كتاب من محلهم بعدن وشيك بمبلغ مائة جنيه انكليزي وطلب وصل بامضائي لإرسالها فأرسلته وأرسل صاحب المحل الشيك والكتاب فاذا هو من السيد عبد الله الوزير الذي أمره الامام بإرسال المبلغ ومره « كما سرني » ان كان هذا فتحاً

باب التواصل بيننا وما كتب له ولجلالة الامام بعد هذا واتفق أن وصل التحويل الامامي في اليوم الذي صرفت فيه آخر جنيه من حوالة المستر كراين وأخبرتك بها !! فلله الحمد .

وصل في يوم الاربعاء ٢٥ شوال ـ ٣٠ يناير كتاب من فؤاد بك حمزة من مكة يخبرني فيه بأنه عرض على جلالة الملك في الرياض ما حدثته به وعهدته اليه في مصر بشأن مسألة الحدود وان جلالته وافق على كل ما نرجو ونحب في الموضوع وعبر عن ذلك قبل تفصيله بأن نتيجة الحديث الذي فصلته له ثم لزميله الشيخ حافظ وهبه الذي وصل بعده على ان هذا الجواب السار لا يصدف بنا عن مواصلة درس ما تواصينا به في المسألة العامة الاسلامية العربية من طرقها القانونية والدولية فوق ما نعلم من وجهتها الاسلامية .

ثم أبشرك أيضاً بأن بنك مصر رجع عن رفع القضية عليّ بطلب دفع الكمبيالتين وعاد الى قبول دفع الاقساط وكان هذا من تأثير الكتاب الذي أرسلته الى طلعت باشا حرب يوم العيد . هذا ما تجدد من اخباري التي تحب ان تعرفها والسلام عليك وعلى نجلك الكريم وصنوك الحميم ورحمة الله وبركاته ؟

أخوك

محمد رشيد رضا

***

وكتب في ١١ ذي القعدة ١٣٥٣ الموافق ١٤ فبراير ١٩٣٥ :

سيدي الاخ الامير المجاهد أبده الله وحفظه

وصل اليوم كتابك المؤرخ في ٣٠ شوال فرأيته أبطأ في هذه المرة

عما عهدت فيما قبله ولعل كتابي الذي أرسلته اليك في اول ذي القعدة قد وصل اليك اليوم أو يصل غداً ومنه تعلم انه لا حاجة الى الكتابة بشأن العقبة الى جلاله الملك العربي ولكن يجب درس المسألة مما نحتاج اليه من الجهة القانونية والدولية وعصبة الامم ۰ فالمسألة لا بد لها من اليوم وان كان الملك لا يمكن ان يقر الانكليز على أي عمل رسمي ولا على إحداث عمل حربي هنالك ۰ وإني لأعجب لحدتك في كل ما تعتقد ان فيه المصلحة مع كل أحد في سن الحكم والاناة ۰ وانا لا انكر مثل هذا من نفسي ولكن بدون شدتك في الغالب ۰ وإني قبل أن أجيبك عما في هذا الكتاب الاخير أذكرك بأن تكتب لي ما وعدتني من خبر التقائك بقيصر الالمان الاخير فإن أخباره وآراءه لها موقع من نفسي ۰ وأعجب ما بلغني منها ما سمعته منك عنه مما سمعته أنت من شيخ الاسلام موسى الكاظم في القرآن ومن طلعت باشا في نساء الترك[1] .

(۱) كنت أظن انني كتبت اليك ما دار بيني وبين المليجي في المنى الذي كتبه هو اليك بعد أن أرسلت اليه عنوانك عقب حديثه معي ولكن شككني فلان في براءته مما كتب في جريدة الشعب ۰ وقد كتبت اليك في كتابي الاخير ان ما كتب ونشر في هذه المسأله كاف فالطاعنون لم ينالوا ولن ينالوا منك نيلاً ۰ ثم أخبرني سليم بك عز الدين ان فلاناً أعطى ابن أخيه أو أخته[2] الذي يشتغل الان في تحرير المقطم

---

(۱) ولقد كنت نشرت عن ذلك مقالة مفصلة لا حاجة الى إعادتها هنا ۰

(۲) هو فريد مصطفى بك عز الدين ابن عم سعادة سليم بك عز الدين وكان محرراً بالمقطم ۰

معه شيئاً من الطعن قال انه جاءه من العراق ليقرأه فرماه وداسه برجله وقال له هكذا يجب ان يفعل بما يكتب في الامير شكيب . وسأنصح هذا الرجل في هذه المسألة ورأيت جميلاً وعباس حافظ المحرر في جريدة الكوكب يقولان انه جاءهم شيء في هذا الموضوع فألقوه في سلة المهملات بعد تمزيقه وسألني الاستاذ عباس حافظ لماذا لم يكتب الامير الى الكوكب شيئاً في هذه الايام وصاحبها أقدم أنصاره ؟ وقد تغدى عندي يوم الجمعة الماضي الدكتور حسن أحمد مع بدر الدين الصيني الذي جاء حديثاً فأطلعته على كتابك الاخير الطويل وقلت له : أتذكر من هذا شيئاً أم تقول ان الامير قصر في التحري والتثبت ؟ قال : لا . وقال انه يعتقد أو يرجح ان الدكتور لا يكتب ولم يكتب في هذه المسألة ولا يحرض وليس هو رئيس لجنة النشر ومعه أمين سعيد والمليجي (كما قال لي ...) وغاية الامر — كما يعتقد — انه لا يكره ما يكتب بل يسره لسوء ظنه القديم وتكلمنا في هذا كلاماً تحليلياً كما يقال في عصرنا .

الى أن يقول:

(٤) وصل أول من أمس الى مصر أخونا المغربي وزميله الاستاذ اسكندر المعلوف لحضور جلسات مجمع اللغة العربية الملكي وزارني فوجد عندي الاخ الداودي [1] وكتابك في التوصية به — وكان الداودي قد زارني قبل هذه المرة — وأخبرني الاستاذ المغربي انك أرسلت اليه ديوان المرحوم اخيك لطبعه في الشام فإن لم يكن فعندي . وعجبت لم لم ترسله إلي أولا ليطبع في مطبعة المنار وهي مطبعتك والظاهر انه لم يشرع في طبعه بعد وسيعود

(١) الاستاذ السيد محمد داود من اعيان تطوان .

فاسأله . وسيعود الداودي ايضاً وأكتب له ما يجب من التوصية كما تحب . وطلب مني صورة كما انه صورني مرة مع الاستاذين المغربي والمعلوف وصورني رفيقه معه أيضاً وطلب مني وصية ليضمها الى الوصايا التي يجمعها ليطبعها في رحلته . وقد أخبرني في الزيارة الاولى بوفاة الزعيم الكريم عبد السلام بنونة تغمده الله برحمته فسبقتني الدموع حتى صعب علي أن أكمله في الموضوع وإن كنت لم أرَ المرحوم ولم اكاتبه ولم يكاتبني ثم قرأت مرائيك المؤثرة له .

لا تنس ما طلبته منك من العناوين ولما ارسل الى الحبشة شيئاً وعفا الله عن السيد عاصم فإن اقامته في القلمون وطرابلس في هذه الايام أضاع عليّ ثلاثة أرباع عملي فيها وهي أيام النشاط والسلام ؟ أخوك

رشيد

* * *

وكتب في ٦ المحرم ١٣٥٣ :

سيدي الأمير

سلام عليك وبارك عليك ولك في هذا العام الجديد وأسبغ نعمه عليك وعلينا في جميع الاعوام وقد تواترت كتبك عليّ في خاتمة العام الماضي وفاتحة الجديد وانا واقف أمامها وقفة العاجز المنتظر لما لا تعلم فتعذر . ولكني أرسلت اليك جواباً واحداً في مطاوي عدد او عددين من جريدة ام القرى فيها ملزمة من تفسيري « المختصر المفيد » ظهر لي من كتابيك الاخيرين الذي وصل اليوم ثانيهما انك لم ترَ الكتاب إما لأن الجرائد لم تصل اليك وإما لانه وضع في ملزمة التفسير المختصر

ولم نفتحها فبقي فيها • وفيه انه في اليوم الرابع بعد العيد عرض لي بعض أعراض ضغط الدم فأمرني الاطباء بحمية شديدة أتغذى مدة أسبوع بلبن الحليب وحده مع دواء مليّن ثم بماء الخضر ثم بالخضر المسلوق ـ وحرموا عليّ مدة هذه الحمية الكتابة والقراءة والتصحيح وكل ما يتعب العقل ـ مع استعمال دواء لتخفيف الضغط •

الى ان يقول :

وفي ذلك الكتاب انني كنت أنتظر في الشروع بطبع الديوان لقاء ابي الحسن الذي قيدتني به وانه لم يزرني في العيد حتى بحثت عنه بعده فوعد بزيارتي قبل سفره الى فلسطين ولكن لم يفعل • وهو الى الآن لم يعد • وفيه كلام بشأن طبع الديوان وترتيبه وإننا عملنا طابعاً « كليشه » باسم الدين كما أمرتم •

هذا وانني كنت مستاء من طبع هذه القصائد المرسلة في الكراريس الخمس بدون طبع قصائد الباكورة التي غرست محبتك وتقديرك في قلبي وهذه القصائد في نظري أعلى نظماً ولغةً وموضوعاً من كل ما في الكراريس من المدائح والمراثي حتى جاءتني مكتوباتك الاخيرة تبشرني بالظفر بالباكورة وشروعك في اختيار ما تريد طبعه منها فلم يعجبني هذا الاختيار لانني أودّ أن تطبع كلها ولكنك تقول في كتابك الذي وصل اليوم انك لم تجد مانعاً من نشر قصائد برمتها وقصائد أخرى مع حذف كثير منها فإن كان ما تحذفه من المدائح الشخصية فلا بأس فإنني كنت احب المدائح الشخصية في يوم من الايام الا انك تقول أيضاً انك تنشر مدائح السلطان عبد الحميد وأنا لا أذكر من مدائح الباكورة الا القصيدة الرائية

في مدحه كما أظن وهي التي ما زلت أتمثل بأبيات منها وأحمل عليه قولك ـ وما أدري من تعني به ـ في غزلك المؤنث :

لا أزال الإله دولته الغرا   وإن كان قد طغى وتجبر

وليتك أرسلت لي الباكورة برمتها بعد وضع علامات على ما تختار حذفه منها لنتشاور فيه . وأما مدح الاستاذ الامام وحكيم الاسلام فهو في نظري ونظرك من الشعر الاصلاحي لا من المدح الشخصي ولا أحفظ من الباكورة غيره الا ما يشترك معه من قصائد العلم والتاريخ وقد جاء اليوم بعضه .

أقول الآن ان قصائد الكراسات الخمس يجب تغيير ترتيبها ولو بنشر المراثي بحسب ترتيب زمانها فليس من المناسب جعل رثاء أمين باشا فكري قبل رثاء والده ولا بتقديم ما نشر منذ أشهر كرثاء فقيد بتونة رحمه الله مقدماً على ما نظم قبل اعوام .

ثم ان في هذه الكراريس تعريفاً ببعض القصائد وأسباب نظمها مبدوءاً بالعطف حيث لا معطوف عليه كقولك : وفي أثناء الحرب العامة جاء وفد تركي الخ .. ثم قولك : ولما استرجعت الدولة العثمانية مدينة ادرنة الخ وهذا وإن كان قبله ما يصح عطفه عليه فالعطف غير مقصود اذ لا مقام له بقصدية العطف وإن كان له وجه .

وقد يحسن أن يجمع كل ما يختص بالمرحوم البارودي وحده ويختم برثائه ثم ما يختص بشوقي بك مثله . وسأنتهز أول فرصة فأعرض عليك ترتيباً مكتوباً فانني الآن في حشكة من شواغل آخر سنة المنار للمجلد ٣٤ والشروع في المجلد الخامس والثلاثين وقد اضطررت لتأخير الموعد

فدخل المحرم وأنا لم أتم الجزء التاسع من المجلد الذي كان يجب أن يتم العاشر منه في ذي الحجة ولذلك أسباب كادت تحملني على تعطيل إصدار المنار في هذا العام . ثم صعب عليّ هذا وإن كان تسعة أعشار المشتركين ما عادوا يدفعون لنا شيئاً والعشر العاشر أكثره مماطل وناهيك بغيبة عاصم الحمقاء خمسة أشهر وقد دخل في السادس ولما أوفق لإيجاد من يقوم مقامه وهو الواجب . والمكتوبات تزدحم عليّ بالعشرات في الشهر او الاسبوع فلا أستطيع مراجعتها ...

وجملة القول انه متى عاد أبو الحسن ابين له الترتيب الذي أراه في قسم الديوان الذي في الكراسات بعد موافقتك عليه فنقطع ورقها ونرتبه بالارقام ومن رأيي أن يطبع الفا نسخة على الاقل . وقد ذكرت لك في كتابي السابق ان الف نسخة قليل ثم اكلفه إحضار المقدمة التي وعد بها خليل بك مطران فالشروع في الطبع يتوقف على ذلك . ومتى كمل الديوان ورُتب ونقرر العدد المطبوع والنفقة فالعمل في المطبعة يكون سريعاً إن شاء الله تعالى فلا تهتم له .

وأما رسالة البلاشفة فلا أدري أين هي ؟ وأنا مستعد لتصحيح أصلها متى جاءني وسأكلف السيد عبد الغني ابن أخي أن يسأل عنها مطبعة الجهاد ومطبعة الحلبي ويبلغ من هي عندهم ما أمرت به . وكذلك الكتاب الخاص بشوقي وهو ينشر تباعاً في الجهاد ومن الاسف انني لا أجد وقتاً لقراءته ولكنني رأيت اسمي بالمصادفة في آخر عدد من الجهاد . وانك تنقل عني في شوقي غير ما أراه فيه .

وقد تذكرت الآن وأنا أريد ختم الكتاب مقالتك عن قيصر المانية

التي نشرت كما قلت في العدد الخاص بالعيد الكبير الاخير من جريدة الجامعة الاسلامية فأخبرك ان هذه الجريدة قد قطعوا إرسالها إليّ فأنا منذ بضعة أشهر لم أرها على ان إدارتها كانت كلفتني أن أكتب لها مقالة خاصة بها لاجل العدد الخاص بالعيد فتأمل هذا الخلل والاثرة عند أصحاب هذه الجرائد !!

لما يجئني شيء جديد بعد الحج من جلالة ملك العربية ولا من أمين مره الشيخ يوسف ولا للوكالة العربية والمنتظر ان يجيئني ذلك قريباً إن شاء الله تعالى . ورأيت في بعض الجرائد ما يدل على عودة الاخ إحسان بك الى جنيف فسلم عليه وأرجو إرسال عنوان الدكتور زكي علي المصري المشهور [1] والسلام على الجميع ؟

اخوكم

رشيد

* * *

وكتب في ٦ صفر ١٣٥٤ :

سيدي الاخ الامير المجاهد في سبيل الاسلام والعرب وفقه الله وأيده

ألقي إليّ أمس كتابك المؤرخ في ١٩ المحرم وأول ما أكتبه اليك في جوابه انك بالغت في كشف تزوير الكتاب الذي نشرته جريدة الجامعة الاسلامية [2] بياناً من بعض الوجوه وأحمد الله ان ظهر لك بهذه

---

(١) وهو نعم الشاب الفاضل المجاهد في سبيل الاسلام .

(٢) ولقد رجعت في هذه السنة تنشر مقالاتي وتنوه بذكري تكفيراً عما مضى وفي عيد الاضحى سنة ١٣٥٥ المنصرمة نشرت ثلاث صور لي احداها ـ

الفتنة شيء من غرورك ببعض الناس الذين كنت تغلو في إطرائهم لا في حسن الظن بهم فقط . وما كنت أستطيع أن انبهك الى هذا لسببين أحدهما طبعك الذي وقفت به مع شقيقك الامير عادل على طرفي نقيض كما يقال . فكنت مبالغاً فيما يسميه اهل الحديث تعديل الرواة وقبول رواية من لا تصح روايته ولا تقرب من الصحة . وهو مبالغ في الجرح وسوء الظن كما كتبت اليك من قبل . والسبب الثاني انك لا تقبل فيمن تحسن الظن فيهم بادئ الرأي قول مخالف الا اذا جاءك بدلائل وبراهين كعلماء النظر وزاد على ذلك رد الشبهات التي أحسنت بسببها الظن فانني جربت الانتقاد عليك في رجلين ليس لي ادنى هوى شخصي ففتحت عليَّ أبواباً من الجدل والمناظرة فيهما لا أسمح لنفسي دخولها . ولقد سررت الآن أن جعلتني موضعاً للاختبار والسؤال في هذه الفتنة وأن سررت بكلمة كتبتها عنك هي قليلة فأنت عندي في جهادك واخلاصك وصدقك فوق هذا وذاك .

واني قد صرفت العمال قبل المغرب من يوم الخميس ولست مضطراً الى تهيئة ولا كتابة شيء لصباح غد «الجمعة» . أكتب اليك وأنا تعب ما أراه أهم اللمحات في هذه المسألة ثم في غيرها مما يهمك وهو موضوع المكاتبة بيننا .

(١) انني أنا لم أرَ الكتاب المزور الذي نشرته جريدة الجامعة الاسلامية لانها انقطعت عني من عهد طويل لما كتبت اليك بمناسبة

إذ كنت في الرابعة عشرة من عمري والثانية إذ كنت في العشرين والثالثة إذ بلغت الستين .

ما كتبته فيها عن قيصر الالمان ولكن جاءني اليوم منها العددان الاخيران كأن إدارتها تريد إعادة المبادلة .

فأنا ما رأيت النص الذي زعموا انه بخطك بل رأيت ما نشر عنه في الجرائد وعلمت بالعقل وبعبارته العربية الضعيفة وبموضوعه انه مزور عليك وأعني بالعقل مثل هذا الاقتراح على السيد امين الحسيني لا يصدر عنك ....

(٢) سألت أسعد أفندي داغر : هل رأيت النص الذي نشرته الجامعة الاسلامية وزعمت انه مأخوذ من عكس كتاب خط الامير شكيب ؟ قال : نعم . قلت : وما رأيك فيه ؟ قال : لاشك في انه مزور . قلت : ومن زوره ؟ قال كما هو المشهور انه ف ن.[1] وسألت منذ يومين محب الدين أفندي الخطيب أيضاً عنه وقد رأيته في جمعية الشبان المسلمين فقال : لا شك في ان الكتاب مزور ولكن معناه وموضوعه موافق لرأي الامير شكيب وهو مخطئ فيه قطعاً وبالغ في هذا منفعلاً وقال ان الذي كتبتموه في مجلتكم الفرنسية صريح في ذلك ولو قطعت أصابعه لفضل قطعها على كتابته الخ .. فهو أشد في هذا من أسعد الذي أخبرتكم عنه

---

(١) الاسم موجود اقتصرنا منه على أول حرف من اسم الشخص وأول حرف من اسم عائلته لا حرمة له وقد فعل ما فعل وارتكب الاثم الذي عرّفه النبي صلى الله عليه وسلم انه احدى الثلاث التي هي أكبر الكبائر وهي الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وردد ﷺ قوله وشهادة الزور مراراً ولكننا لم نشأ ان ننقل هذا القول الصريح بحقه عن المعزو اليه هذا القول مراعاة للراوي فقط .

من قبل انه قال ان الذي كتبتموه في مجلتكم لا شيء فيه في نفسه ويصح هو أن يكتبه لا أنتم وقلت لكم ايضاً ان هذا لا يهمه أمر مسلمي الحبشة ولا الصومال مطلقاً ولكن محب الدين لا يصح ان يكون مثله لان جريدته إسلامية بل تكاد تدعي احتكار الدفاع عن الاسلام والمسلمين . هذا ملخص رأي هذين الرجلين اللذين ذكرتهما لي .

(٣) وأما مسألة الشقاق بين الطليان والحبش فجميع الشرقيين ولا سيما المسلمين ضلعهم مع الحبش ولا يعذرون بل لا يعقلون ان يوجد فيهم أحد له أدنى وقوف على حال الاستعمار الاوربي للشرق يتمنى نصر ايطالية عليهم او يكره خذلانها في عدوانها عليهم ولعله لا يوجد فيهم أحد يعرف شيئاً مما تعرف من سوء معاملة الحبشة لمسلمي بلادها ولا يمكن ان يقتنع بأن استيلاء ايطالية على بلاد الحبش خير للمسلمين من بقائها مستقلة[1] وانا الذي آمنت وصدقت بأخبارك أتمنى أن تبوء ايطالية مخذولة مقهورة . فمن سوء الحظ إثارة اتهامك بما جاء في الكتاب المزور في هذا الوقت . وقد كان عندي أمس صديقك وصديقي فؤاد بك سليم فرأيته مستاء أشد الاستياء من هذه المسألة ومما كتبه فيها زميلك احسان بك ولم أره مخطئاً لكما في هذه السياسة فالرأي الآن ان تقتصر على تفنيد الكتاب المزور وتبرئة نفسك من الدعاية لايطالية بالاجمال وتكف عن ذكر ما تعتقد من إحسانها لمسلمي برقة وطرابلس والصومال أو كف الاذى عنهم .

(٤) وههنا أذكر لك خلقاً من أخلاق العلماء البعداء عن السياسة

---

(١) ما قلنا قط اننا نفضل استيلاء دولة اوربية على الحبشة على بقائها مستقلة .

واهلها وهي التصريح بكل ما تعتقد انه صواب وإقامة الادلة والحجج عليه ومحاولة إقناع كل مخالف لك فيه · وقد ذكرتك بهذا الخلق من قبل في اثناء وقائع خالفت فيها من خالفت في المسألة العربية ولا تراعي في ذلك اصناف المخالفين ولا تلين في القول للمحبين منهم فضلاً عن غيرهم · ومن شدتك واحتجاجك في هذا الباب ما لم اعلمه إلا منك فأحب ان تذكر هذا فيما نحن فيه الآن ولا تجادلني فيه ولا تنس أن كثرة الحجج قد تكون مثار التهم فينحصر فهم الناس في الباعث عليها دون صحتها إن كانت صحيحة · وغرضي من هذا تأكيد الوصية السابقة وهي الإمساك عن كل كلمة مدح او دفاع عن ايطالية او ذم للحبشة[1] وتنفيرٍ منها الآن · وقد رأينا في برقيات رومية اليوم ان مسألة الاستعمار الاوربي للشرق تنحصر معركتها في افريقية او ما هذا مؤداه ·

(٥) لما يرسل إليّ صاحب الجهاد رسالة البولشفيك كما وعد مراراً وقد ارسلت اليه البارحة بعد كتابة الورقة الاولى من هذا الكتاب خادمي يطالبه بما وعدني به منذ اسبوع لانني أريد ان اكتب لك وأخبرك بإنجازه فقيل له تعال غداً الساعة ١١ صباحاً فذهب فقيل له انها لم تتم وكانوا يقولون منذ اسابيع انها مجموعة في المطبعة ومعدة للطبع فالظاهر ان للتأخير سبباً غير ما نعهد من الخلل في الادارة ولنصبر ·

(٦) اعود فأختم القول في المسألة فأقول انك بالغت في إقامة الحجج وارسال الرسائل للجرائد واثبات تزوير الرسالة لا يحتاج الى كل هذا

---

(١) قد أصاب الاستاذ في هذه النصيحة فإنه ليس يجوز ان يقال الحق اذا كان الرأي العام يخالفه ·

فاني ارى كل الناس مقتنعين بتزويرها والجرائد كلها في مصر وسورية وفلسطين والعراق مصرحة بهذا ومنكرة على المزورين وأرى أن خير ماتصنع ما أوصيتك به آنفاً والسلام؟ أخوك

في ٧ صفر رشيد

* * *

وكتب في ٢٢ سنة ١٣٥٤ يوم السبت (وليس فيه اسم الشهر لعله صفر):

سيدي الأخ الامير المجاهد في سبيل الاسلام والعرب أيده الله

حدث بعد كتابي الاخير اليك أن التقيت يوم الخميس ١٣ صفر بحبيب أفندي الجاماتي بالقطار الذي حملنا وآخرين الى بور سعيد لتحية الامير سعود ووعدني بأن يجتهد بأخذ رسالة البولشفيك وإرسالها أو حملها إلي وتم له ذلك بعد تذكيري إياه به في يوم الخميس الماضي وصححتها يوم الجمعة أمس وأعطيتها لابن أخي ليحملها اليه لئلا تضيع اذا أرسلناها الى إدارة الجهاد وهي غير كاملة وكتبت عليها انه يجب أن يكون لها مقدمة وجيزة من الناشر (وقد يكون صاحب الجهاد أو إدارة الجهاد) يذكر فيها سبب كتابتها ونشرها في الجهاد وتجريدها وطبعها مستقلة لتعميم نفعها.

هذا وانني أعيد عليك ما كتبته قبل من كونك قد بالغت في الاهتمام بالكتاب المزور والرد عليه باضعاف ما قدرت من سوء تأثيره فانني لم أجد ولم أسمع أن أحداً من الناس صدقه وقد بينت رأيي فيه وفيما قصد به من النيل من زعامة الحسيني وزعامتك ومن مكانة هذه الزعامة في فلسطين

وفي الامة العربية وفي العالم الاسلامي ــ وهذا واجب لكما علي ــ بمقالة للمنار ختمتها بالدعوة الى الصلح بأن يعترف راغب بك النشاشيبي وحزبه والشيخ الفاروقي بأن الكتاب مزور مستنكر الخ . ولما اقتضت الحال تأخير إصدار المنار أرسلت المقالة الى بعض جرائد مصر فنشرت في الجهاد والكوكب والى الجامعتين العربية والاسلامية . وأرسلت كتاباً الى الحاج امين الحسيني بغرضي منها واستحساني أن يأمر منيف أفندي بنشرها في الجامعة العربية فإن استجاب لي الخصمان ــ النشاشيبي والفاروقي ــ فذاك خير للوطن من استمرار القيل والقال والسب والطعن والقضايا أيضاً . وإلا كان من فائدة المقالة إقامة الحجة لكما عليهما وإظهار ما يجب علينا من نصركما وسأرى غداً أو بعد غد ما تفعل الجامعتان عندما تصلان إلي .

هذا وانني كنت كلمت معالي عزيز باشا بوجوب تجديد السعي لدى محمد توفيق باشا نسيم لان تأذن الوزارة لك بالاقامة في مصر فطلب مني ــ وكان عندي في دار المنار ــ أن أكتب له مذكرة بذلك فأرسلتها اليه مع ابن أخي المصاحب له ولم أذكر لك ذلك في كتابي السابقين انتظاراً لما يكون من تأثير السعي . ولكنني رأيت أمس في رسالة البولشفيك انك انصرفت عن هذه المسألة حتى انك لو أذن لك او دعيت الى الإقامة بمصر لأبيت القبول والرأي اذا نجح السعي أن ترجع عن هذا الرأي والسلام عليك وعلى من شئت من أخيك ؟

رشيد

***

وكتب في ٤ ربيع الاول ١٣٥٤ و٥ يونيو ١٩٣٥ :

سيدي الاخ الامير المجاهد أيده الله تعالى

وصل أمس كتابك رقم ٢٧ صفر وفيه حوالة بمائة فرنك سويسري لحساب طبع الديوان وكنت أول من أمس قبضت قيمة الحوالة التي أرسلتها في ١٩ شوال سنة ١٣٥٣ .

الى ان يقول :

اني لما قرأت كتابك أمس شرعت في الترتيب الذي أراه للقصائد فجعلت الكراس الاول المنقول عن الزهور هو القسم الاول وانتزعت المراثي من مواضعها في الكراريس الاخرى وجعلتها قسماً مستقلاً لعله يكون الاخير في الديوان الاول أي قبل قسم الباكورة التي جزمت أنت بجعله الاخير وان كان هو الاول في التاريخ . ولكن أتعبني ان بعض المراثي مختلط بقصائد أخرى في النسخ فنسخت بعضه لقلته وتركت الباقي لالحقه بما يناسبه عند الطبع وقررت ان تكون مقدمتك المرسلة في الكراس الاول ومقدمة مطران بك التي يرى بحق ان يكتبها بعد الاطلاع على الديوان مطبوعاً - كلتاهما مما يطبع بعد إتمام طبع الديوان . ويوضع في أوله كما اعتيد في أكثر مقدمات الكتب العصرية ولولا أن مقدمتك تحتاج الى زيادة يذكر فيها ما اخترته من شعر الباكورة لكان طبعها الآن أحسن، واني أرسلها اليك الان لترى ما تزيده او لتغيرها كلها . ويحسن إذن أن تذكر أسماء من رثيتهم بترتيب تاريخ وفاتهم كما فعلت انا في جمع مراثيهم وأقدمهم الشيخ أحمد فارس وعبدالله باشا فكري فجعله امين باشا «لا بك» فكري . الخ .

ولولا أن طبع الديوان متوقف على ترتيبي له وتفريق أوراقه قطعاً قطعاً وجمع بعض ما في الورقة الواحدة في قسم منه وحفظ باقيها ليجمع لقسم آخر — وعلى تصحيحي له لاعطيته لاحدى المطابع المتقنة لانني وقد اشتد الحر في حشكة من الشواغل المطبعية والادارية لم يسبق لها نظير في وقت آخر مما مضى (منها) انني في خاتمة سنة للمنار وما تقتضيه مما متعلم بعضه من الجزء الاخير من المجلد ٣٤ الذي تم ومنه تجديد الادارة كلها (ومنها) انتهاء الجزء ١٢ من تفسير المنار وما لا بد له كالمنار من الفهارس (ومنها) انجاز الطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي وقد نجزت اليوم الملزمة الاخيرة منه وبقي التقاريظ وفيها زيادة ونقصان وهذا مقدم على الجميع الآن وسأقدم بعده الديوان على المنار الجديد وغيره فهاك مقدمتك نجددها وهاك اسم الديوان فإن رجحت الاكتفاء بتسميته «ديوان الامير شكيب أرسلان» فاحذف منها «الصوت الغريضي ...» فنحن قد جعلناها ٣ قطع. وقد وصل من دائرة الامير عمر كتاب الحبشة وهو محفوظ عندي والسلام من أخيك

رشيد

***

وكتب في ٤ ربيع الآخر ١٣٥٤:

سيدي الأخ الامير المجاهد أيده الله

وصل كتابك رقم — ربيع الاول وسرني منه انه بخطك فأما ديوانك فشرعنا في طبعه: طبعنا الكراسة الاولى بالحرف الالماني الجديد فاستغرقت القسم الاول الخاص بالمراسلات السامية وزادت صفحة وجمعنا الكراسة

الثانية وقد جعلتها في المداعبات والمراسلات الشخصية وما تلي في حفلات الشعراء شوقي وحافظ ومطران — الرافعي وهذا القسم الثاني ومنه قصيدة لصبري باشا وقصيدة الحسناء العاملة عند محمد بك راسم وقد تعبت في جمع هذا القسم وكان مخلوطاً بين المراثي التي جعلتها قسماً رابعاً وبين القصائد السياسية التي جعلتها قسماً ثالثاً ·واضطررت أن أتمم بعض القصائد بخطي لان في الورقة ما هو من قسمين او ثلاثة ولا أزال في تعب من تقسيمها [1] وربما اعطي العمال ورقة لجمع بعضها ثم آخذها لاعطيهم إياها لجمعها في قسم آخر كل هذا لكراهتي خلط بعضها ببعض ويدخل في القسم السياسي كل ما يتعلق بالدولة العثمانية وسلطانها وحرب طرابلس والخديو الخ ·

هذا وانني أشتبه ببعض الالفاظ من خط الناسخ لها لتقديم النقط وتأخيرها وكذلك الشكل لبعضها واحتمال بعض الكلم لمعنيين او خفاء معناه لما في القصائد من غريب اللغة الذي لم يشتهر استعماله وانني أرسل اليك الكراسة التي طبعت لتراها وتصحح ما عسى ان يكون فيها من غلط وترى اننا لم نطبع لها الديباجة باسم الديوان لانني استحسنت ان اضيف الى الاسم « ديوان الامير شكيب أرسلان » زيادة المشتهر بلقب « أمير البيان » بطابع آخر بالخط الفارسي وقيل لي لعل الامير لا يستحسنه لئلا يقال انه منه · فقلت انني أزيد في الديباجة « وقف على طبعه وتصحيحه ونشره محمد رشيد رضا » فيعلم ان اللقب مني · وقد تكون الديباجة لملزمة المقدمة

---

(١) ليتأمل القارئ بر هذا الرجل باخوانه لا سيما أخيه هذا وتكرمه بنسخ كثير من شعري بخط يده الكريمة مع انه اشغل من ذات النحيين ؟ ان هذا لعمري منتهى التواضع وكرم الاخلاق · وكل عظيم لا يحب التعظيم ·

التي سيكتبها خليل بك مطران وما ربما اكتبه انا ان وجدت له مناسبة".
واما الباكورة وهي الشعر فنجعلها خاتمة الديوان كما استحسنتم .

عاد ابو الحسن واجتمعنا مرات وزرت واياه الاستاذ توفيق دياب وزارني واعقب هاتين الزيارتين قرب انجاز رسالة البلاشفة ويتلوها قرب انجاز رسالة المانية . أما الاولى فقد ارسلت الي ما جمع منها مطبعة عسكر اول من امس « الاربعاء » وانا انام دائماً بعد الظهر وبعد عصر ذلك اليوم حضرنا الاحتفال العظيم الذي أقامه الازهر لشيخه الاكبر بحق صديقنا المراغي واستمر الى ما بعد المغرب وقد استغرق تصحيح ما اوصل الي « واكثره مما صححته اول مرة » قطعاً من الليل واتممته من اول النهار الى الساعة العاشرة من يوم الخميس واتعبني بتصحيحها انه ليس لدينا اصل ارجع اليه فيما يشتبه وما لا يفهم من المجموع وبقي منها بقية معها الاصل المطبوع بجريدة الجهاد وهو غير مطابق للاصل المرسل منك — فهكذا يكون التصحيح غير تام ولكنه يكون خيراً من المطبوع في الجهاد .
وجمع لي ابو الحسن من الجهاد جميع الاعداد التي نشرت زيارة المانية لاصححها ثم اتولى تصحيحها وطبعها عندي كما استحسن الاستاذ دياب.
والمشكل الان ان عملي الشخصي كثير ومضاعف ومنه تجديد اعمال المنار واتقانه كما تراه في ج ١ م ٣٥ والاطباء يحرمون عليّ كثرة الشغل العقلي خوفاً من احتقان الدماغ فلهذا اكون معذوراً بعدم الاسراع بهذه الوسائل مع الديوان[1].

هذا واني كنت كتبت اليك انه يجب ان يكون لرسالة البلاشفة

---

(١) كتبت اليه جواباً عن هذا بأن يقدم صححته على كل مهم .

مقدمة يذكر فيها سبب كتابتها وما فيها من الفائدة للقراء وان ذكر سبب الكتابة عرضاً فإنه لا يحسن أن تبدأ بهذا التمهيد وحده بل يجب أن يذكر التمهيد في المقدمة أيضاً وأنا كتبت على أول ورقة في التصحيح الاول هذا وكلمت به الجاماتي ويحسن أن تكون المقدمة من الذي يتولى طبع الرسالة ونشرها وكنت فهمت انه صاحب الجهاد أو إدارة الجهاد التي نشرت الرسالة أولا - والا فصاحب الرسالة ·

وأقول منذ اليوم انه يجب مثل هذا في رسالة زيارة المانيا لتكونوا على بصيرة ·

هذا وان دائرة الامير عمر أرسلت إلي مكتوبات الحبشة وهي[1] محفوظة

(١) اني من عشر سنوات أتلقى رسائل من مسلمي الحبشة وأتألم لما يعانونه من إرهاق وعسف وظلم في ظل الحكومة الحبشية التي تعاملهم معاملة غرباء بالرغم من كونهم نصف اهالي تلك المملكة · وقد كنت كتبت عن أحوالهم المؤلمة في «حاضر العالم الاسلامي» من اثنتي عشرة سنة أي قبل الحرب الايطالية - الحبشية بزمن طويل بل كنت أحمل على الحكومة الحبشية في اثناء ما كنت أحمل على ايطالية من أجل ما كانت هذه ترهق به مسلمي طرابلس الغرب · وما زلت أتلقى رسائل عن حالة الضنك التي كان عليها مسلمو الحبشة وذلك من بعض علمائهم وبعض أدباء العرب الذين في أديس أبابا حتى تجمع عندي ما يساوي مجلداً من هذه الكتابات وكان آخرها عهداً مكاتيب تذكر لي كيف ان هذا النجاشي طفري اخنى على سلطنة جمة جفار الاسلامية وألحقها ببلاده على أثر وفاة سلطانها الاخير · وهذا بعد القضاء على سلطنة هرر الاسلامية من ٥٠ سنة · وبعد محو الاحباش من قبلها سبع أمارات اسلامية · وكنت سنة ١٩٢٨ ارسلت الى

لا يضيع منها شيء وسأرسلها مسجلة مع غيرها مما سأرسله اليك توفيراً للارسال .
وما ذكرته في الكتاب عما قاله أسعد أفندي لإحسان بك ليس على وجهه فإن الدكتور لا يمكن ان تحدثه نفسه بحل اللجنة وأنا فيها على

ـ النجاشي هذا مع بعض معارف له من الالمان أنصح له ان يعتدل في معاملة المسلمين ويعلن المساواة بينهم وبين رعاياه المسيحيين وأنذره بسوء مصير مملكته ان لم يفعل ذلك فأصم عن نصحي لشدة شنآنه وشنآن قومه للاسلام . ثم لما بدأت الحرب بينه وبين ايطالية أعلنا في مجلتنا المحررة بالافرنسية « لاناسيون آراب » وفي الصحف العربية التي نكتب فيها اننا لا نوافق على استلحاق ايطالية للحبشة لأن ذلك خلاف مبدأ الاستقلال الذي هو محور عملنا ومدار دعايتنا طول حياتنا ولكننا كما نطالب باستقلال الحبشة نطالب بمساواة المسلمين للنصارى في تلك المملكة وباعادة استقلال مملكتي هرر وجمة جفار الاسلاميتين والا فاننا ننذر المملكة الحبشية بالبوار . وبينا نحن ندعو بهذه الدعاية اذا بالدعاية الانكليزية من جهة والدعاية الباشفية من أخرى كل منهما لغرض غير غرض الثانية قد ملأتا العالم الاسلامي وأقامتا المسلمين واقعدتاهم لاجل الحبشة واندفعوا في قضية الانتصار للحبشة بأشد مما انتصروا للممالك اسلامية متعددة استولت عليها اوربة ولم ينتطح فيها عنزان . بل اندفعوا في الصراخ والاصراخ للحبشة بلا قيد ولا شرط ونسوا ما سبق للحبشة من إرهاق وتعذيب للمسلمين استمرا مدة أعصر وكيف ان يوحنا ملك الحبشة اكره جميع المسلمين سنة ١٨٨٢ على التنصر قاطبة او يرحلوا من البلاد . وقد وصلت هذه الاخبار الى مسلمي الحبشة فكتب الينا نفر منهم قائلين : اننا لا نريد ان يستولي الاوربيون على بلادنا ولكننا لا نرضى بأن المسلمين يتركوننا لاستبداد الاحباش النصارى بنا كما هم فاعلون الآن فنحن

ثي، لا يرضيني وإنما كان النشاشيبي اقترح هذا على الدكتور أو كلمه به ليعمل ما يريد عمله هو في جمعيته ظاناً انه يمكنه هذا .

كنت أود أن يكون لي وقت واسع أطيل الكتابة اليك به ولكن علي شغل للمنار والتفسير في هذا المساء والليل . ولكني أخبرك بأنه نشر في مجلة الضياء العربية التي تصدر في الهند حديث عن لجنة المناظرات في مدرسة دار العلوم في لكنو أو مناظرة في أعظم رجل في العالم الاسلامي الآن فذكر بعضهم مصطفى كمال وقال آخرون انه خرج من الاسلام . وذكروا بعض رجال الهند وبطل الريف ورشيد رضا . وكان اكثر الاصوات للامير شكيب أرسلان [1] .

ـ أرسلنا هذه المكاتيب بعينها الى الامير عمر طوسون ثم الى السيد رشيد رضا ليعلما حقيقة أحوال الحبشة وحقيقة أماني المسلمين فيها ويعرفا اننا لسنا مهتمين إلا بغرض الاسلام ثم ان الاستاذ المؤرخ الآثاري الشيخ يوسف أحمد نشر تاريخ الاسلام في الحبشة وأتى فيه بخلاصة أخبار المظالم والاعتداءات التي كانت تقع على المسلمين في دينهم وأعراضهم ودمائهم وأموالهم وظهر الحق وزهق الباطل .

(١) كانت مجلة « الضياء » الهندية التي تصدرها ندوة العلماء في « لكنوه » بالهند بإشراف علامة الهند الكبير مولانا السيد سليمان الندوي قد نشرت خبر مجمع انعقد للمذاكرة في أي الرجال في الاسلام يستحق أن يوصف بأنه أعظم رجل في العالم الاسلامي اليوم ؟ فحضر هذا الاجتماع عدد من كبار الادباء والخطباء مثل السادة لطيف الدين وعبد الكافي وعبد اللطيف ومحمود خير الدين الدمشقي صاحب جريدة « وفاء العرب » ومحمد الهلالي ومسعود الندوي والجي ـ

وقد استحسنت المناظرة وسأرسلها للجهاد مع أبي الحسن لتنشر فيه، وعسى أن يكون غالب كما أحب نشوءاً وتربية وقد نجح ابني شفيع في هذه السنة في امتحان شهادة البكالوريا ويرغب الدخول في مدرسة الهندسة لعجزنا عن إرساله الى أوربة والسلام من أخيك ؟

محمد رشيد رضا

* * *

ـ الحسن علي الحسن الندوي وغيرهم فخطب كل واحد منهم بما يؤيد رأيه فيمن هو اليوم الأرجح ميزاناً بين رجال الاسلام . فأناس رجحوا على الجميع الغازي مصطفى كمال مع ذكرهم بين الذين يستحقون الذكر رضا شاه البهلوي والامام أبا الكلام والدكتور إقبال والسيد رشيد رضا وهذا العاجز الفقير اليه تعالى . وكان هذا رأي عبد اللطيف ولطيف الدين وعبد الكافي . وذهب آخرون مثل إعجاز أحمد والملك علي حسين الى ان أكبر رجل في الاسلام اليوم هو الامام أبو الكلام الدهلوي . وقال السيد مظفر حسن الكشميري إن أعظم مسلم في هذا العصر هو السيد سليمان الندوي . وخطب العلامة السيد محمد الهلالي فأطال وانتهى بذكر اثنين أحدهما الامير محمد بن عبد الكريم الريفي والآخر شكيب أرسلان . ثم تكلم الاستاذ مسعود عالم الندوي فقال : إن الاستاذ محمد تقي الدين الهلالي وفى الموضوع حقه ووافق رأيه رأينا وان السيدسليمان الندوي لا يوازيه أحد اليوم في التاريخ والقرآن والحديث لكن عظمته منحصرة في العلم . وان السيد أبا الكلام قد يعد أكبر رجل في الهند لكن لم تتسع دائرة أعماله وما تجاوزت حدود الهند فليس هو ذلك الرجل الذي نحن بصدده . ثم قال : أما مصطفى كمال فاني أشك في إسلامه وأقول قولي هذا عن علم وبصيرة ولست من الجامدين ـ

وكتب في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يوليو ١٩٣٥
هو آخر كتبه إليّ قدس الله روحه لأنه توفي في ٢٣ جمادى الأولى:

سيدي الأخ الامير أمير الادب والنسب

جاهد أبو الحسن جهاداً طويلاً ساعدته في بعضه حتى أمكنه تخليص

ب الرجعيين . وما رأيكم فيمن طمس الاسلام وأتى على بنيانه من القواعد. لا أنكر ان الامة التركية مسلمة لكنها مغلوبة على أمرها . (الى ان قال) : انه عندما يتأمل عظماء الامة الاسلامية لا يملك نفسه من أن يتذكر السيد أحمد الشريف السنوسي الذي قال عنه شكيب أرسلان : انه لو كان في عصر الصحابة لكان من كبارهم ؛ وأن يتذكر مولانا محمد علي (أخا شوكت علي) واستخلص من مبحثه ان الذين يرجحهم هو في هذا الموضوع اثنان أحدهما الامير عبدالكريم والثاني شكيب أرسلان . وذكر فيما نثاه عن شكيب أرسلان انه بدافع عن حقوق المسلمين أجمعين من غير فرق بين وطن ووطن وان هذه هي المزية التي تميزه بين جميع رجال المسلمين في العصر الحاضر . ثم قام السيد محمود خير الدين الدمشقي وقال : إني قضيت في تركيا نصيباً من عمري فأنا خبير بجميع أحوالها ولا شك في ان مصطفى كمال رجل عظيم لكن قد أتى على الاسلام من قواعده الخ . ثم جعل النتيجة انه اختار في هذا الموضوع شكيب أرسلان قائلاً انه هو الذي ضاقت به ارض الاستعمار فلا نقله وانه وانه الخ . ثم خطب الاستاذ علي الحسني الندوي رئيس الحفلة فذكر من سبق الكلام عنهم وضم اليهم الشيخ حسين أحمد الهندي وسيف الرحمن وعبيدالله السندي ونوه بالسيد رشيد رضا وقال: هؤلاء هم سلوانا وقرة أعيننا وبرد أكبادنا بعد ذهاب الاندلس وطرابلس وإفريقية وآسية . وقال : ان من مصطفى كمال في قلوبنا جروحاً دامية والى الله المشتكى . ثم

أصول رسالة البلشفيك من مطبعة السكر ومن إدارة الجهاد وقد سهر عندي البارحة حتى كادت الساعة الحادية عشرة ثم ولا عمل لنا الا ترتيب ما كان جمع في مطبعة السكر وذهبت أصوله وما بقي منها وبفصل لكم أبو الحسن خبر هذا الجهاد الشاق .

ـ جلس وسكت ولما ألحوا عليه أن يسمي رجلاً بعينه يفضله على الجميع قال انه شكيب أرسلان . فوافقه المجلس بتصفيق حاد .

(ملخصاً عن مجلة الضياء الهندية)

فلما بلغ المرحوم السيد رشيد رضا ما كتبته مجلة (الضياء) هذه بلغ من برّه بأخيه هذا أن كتب إليّ يخبرني بذلك واني نلت في تلك الحفلة أكثرية الاصوات . وأنا لم أشر الى هذه القصة اغتراراً بنفسي أو اعتقاداً أني على شيء مما تفضل به بحقي هؤلاء الاعلام بل اني لا أراني أهلاً لمجرد الذكر مع واحد من هؤلاء أجمع فضلاً عن أكون في مقدمتهم أعوذ بالله من الغرور ومن ان أظن في نفسي عشر معشار هذه المكانة التي نحلوني فضلها تكرماً منهم وتو كوني من ذلك في خجل وأي خجل امام الناس وأمام نفسي التي هي أعلم بقصورها من كل أحد . وما ذكرت هذه الحكاية على وجه التلخيص وحذفت منها ما حذفت مما يتعلق بي إلا لندورها وطرافتهـا وإثبات علو نفس هذا الغطريف السيد رشيد رضا الذي كان يسر لاخيه بأكثر مما يسر لنفسه . والحال انه هو أعظم رجال العلم الاسلامي من جهة القلم وان محمد بن عبد الكريم كان أعظم رجل فيه من جهة السيف وان السيد أحمد الشريف السنوسي كان أعظم مجاهد مسلم في هذا العصر وان سعد زغلول كان اكبر زعيم وطني في الشرق وعلى كل حال فهذه طبقة لسنا منها في مقدمة ولا ساقة لقد آتى الله هذه الطبقة العليا ما لم يؤت أمثالنا (ذلك الفضل من الله وكفى به عليماً).

وقد أعطاني أبو الحسن ملزمة الديوان الأولى المطبوعة التي كنت أرسلتها اليك فأعدتها اليه مصححة بخطك ليوصلها الي وقد ظهر لي أنه ليس فيها شيءٌ من الغلط الا كلمة (تحدوني) سقطت منها الواو وأما الكلمتان المحرفتان بل الثلاث فقد عجبت من تحريفها وعددتها على فهي كالأصل المرسل من عندك وما كان لي أن أغير شيئاً فيه وإن لم يظهر لي صوابه أو حسنه (الاولى) « ايساد » في الأصل والطبع وقد كتبت في تصحيحها (اللفظة إسآد ولا أعلم لماذا جعلها الاستاذ ايساد ؟) . (الثانية) « وبغز » هي هكذا بالزاي في الأصل الذي يظهر أنه مصحح بخطك وقد كنت صححتها « بغر » بالراء فأعادها إلي مصححا المطبعة بالمقابلة وقالا إن الاصل بالزاي فأمرت بإبقائها لاحتمال أن يكون لها معنى مناسب لا أعرفه فأمرت باعادتها بالزاي على القاعدة المقررة وهي عدم التصرف في الاصل . (الثالثة) « دعاء » قلتم إن أصلها رغاء ولكنها في الأصل المرسل منكم « دعاء » وسأعيد الاصل لتراه ... وارسل اليك ملزمتين أخيرتين طبعتا لترى كيف رتبنا الديوان وسيكون بعد قسم المراثي القسم السياسي والقسم التاريخي ومنه قصيدة صلاح الدين وقصيدة الاندلس ويجوز أن يجعل هذان قسماً واحداً . تعبت في فرز هذه الاقسام تعباً شديداً لان القصائد مخلوطة والصحائف مكتوبة من الوجهين .

وطريقة التصحيح أن يقرأ مصححا المطبعة مثل الطبع بالمقابلة على الاصل ثم أقرأها أنا وحدي بلا مقابلة في الليل غالباً إذ أكون في حجرة النوم أو في طارمة بجانبها فاذا اشتبهت في شيءٍ اسرتها بمراجعته على الاصل

أو طلبت الاصل وراجعته وقلما أجد وقتاً أراجع فيه كتب اللغة ولبس عندي منها في حجرة النوم الا المصباح والاساس . وأنا الآن في الدار وحدي فقد سافر عيالي وعيال السيد عاصم إلى القلمون ونواحيها للاصطياف وشغلي كثير جداً ولكن صحتي الآن أحسن مما كنت منذ شهرين لان أكثر طعامي الفاكهة .

قرأت أمس أن الامير سعود سافر ومعه فؤاد بك حمزة الى باريز فسويسرة فأهنئك بلقائها ومحادثتها . واذا وصل كتابي هذا وكانا في جنيف فسلم عليها . وأظن أنني أخبرتك بأن جلالة الملك أنجز وعده الذي كان وعد به اذ كنتم في حضرته وأخبرني به السيد أمين الحسيني فأرسل لي مع فؤاد بك ما وفيت به القسط السنوي من رهنية الدار وزاد نفقة شهر كامل و كتبت الى جلالته أستأذنه في افشاء ذلك وشكره عليه في المجلة وغيرها فكتب الي انه يعدني من الاسرة السعودية وشيء حقير مثل هذا يقع في الاسرة لا يجوز ذكره وسلم على ولدنا غالب [1] وأعد علي من خبره ودمت له ولاخيك .

رشيد

***

(١) من قرأ هذه المراسلات وتأمل كيف كان السيد رحمه الله لا يهمل في كل واحدة منها تقريباً ان يسأل عن ولدي غالب وعن كيفية تربيته وتنشئته وكيف أنه سأل أخي عادل سراً أن يكتب له رأيه في استعداد غالب ـ علم مقدار بر هذا الرجل باخوانه وعطفه عليهم وشدة اهتمامه بحسن تربية ناشئة المسلمين .

ثم بعد ارتحال السيد الى رحمة ربه جاءني من ابن عمه الفاضل الاديب الحسيب النسيب السيد عبد الرحمن [١] عاصم الكتاب الآتي وتاريخه ٥ جمادى الثانية ١٣٥٤

سيدي الأمير الجليل

أطال الله بقاءكم بالخير والعافية موفقين الى ما أنتم بصدده من اصلاح على عجل ومن بقي يدعو اليه باخلاص على بصيرة وعلم غيركم؟ سيدي: أعادني الى مصر ذلك النبأ العظيم: نبأ وفاة السيد الفجائي أثناء عودته من توديع الامير سعود في السويس في السيارة قبل وصوله الى مصر الجديدة في منتصف الساعة الثانية بعد ظهر الخميس ٢٣ جمادى الاولى و ٢٢ أغسطس وقد أتعب ذهنه وجسمه. أتعب ذهنه باجهاده بالنصائح والوصايا لولي العهد — شأنه مع كل من يتوسم فيه خيراً — وأتعب جسمه بركوب السيارة الى السويس ذهاباً واياباً وطريقها ليست مهلة ومهر أكثر

---

(١) السيد عبد الرحمن عاصم هو ابن عم السيد الإمام وزوج أخته وشريكه وتلميذه ورفيقه في أكثر حياته الذي لم يكن يفارقه وهو من السراة الفضلاء البلغاء الذين قرأوا العلوم على السيد وغيره وقد كان والده السيد أحمد كامل من قبله من أهل العلم والفضل والصلاح وهو منقطع للعبادة من زمن طويل ولا يزال في الحياة وقد ذرف على الثمانين نفعنا الله ببركة دعائه. هذا ومن بقي من أبناء البيت الرضوي الكريم من الاعيان السيدان عبد الغني ومحيي الدين رضا ابنا أخوي السيد وكلاهما من أهل الفضل وأرباب الاقلام والسيد محيي الدين من كتاب جريدة (المقطم).

الليل يفكر ويراجع وأبى رحمه الله ورضي عنه أن ينتظر في السويس الى المساء يستريح وقال لمن رجاه ذلك : لا ! سأستريح في بيتي !.

وكان يرافقه في السيارة ابراهيم أدهم بك أصله تركي وشاب وزوج حماة الامير فيصل . والامير زكي محمد ثنيان شقيق حرم الامير فيصل . الاول لسانه ثقيل باللغة العربية والثاني يافع . وحدثنا بأن السيد انصرف الى قراءة القرآن الكريم وما زال يقرأ حتى أصابه دوار من ارتجاج السيارة كعادته — وتقيأ — ثم عاد الى القرآن يقرأه وطلب منهما أن يفسحا له ليستريح في اتكائه على ظهره ولم يشعرا إلا وفاضت روحه الزكية الطاهرة الى ربها راضية مرضية.

ورأى ابن أخيه ادهم أن يذهب بالسيارة الى مركز الاسعاف في مصر الجديدة وعبثاً حاولوا الاسعاف وبقي في دار المنار الى الساعة العاشرة قبل ظهر يوم الجمعة وحدثني من رآه في تلك الساعات الكثيرة انه كان كالنائم المستريح في نومه العادي يعلو وجهه نور ووضاءة ولم يفارقه لونه الطبيعي ولا ابتسامته اللطيفة إلا قليلاً ولم يصفر اصفرار الاموات وهو من تعلم في سمنه وتشحمه ولم يشم منه إلا طيب . انه رأى مقعده في الجنة وعلم برضاء الله عنه فاستبشر وفرح . ولكنه خلف لاهله وعارفي فضله الحسرة والارتباك فإنا لله وإنا اليه راجعون . ودفن في قرافة المجاورين في قبر جديد بجوار الاستاذ الامام رحمهما الله تعالى.

وللسيد مؤلفات عدة ما أتمها تأليفاً وطبعاً وهي :

عدد الملازم المطبوعة	
٧	الربا ولم ينقصه إلا الخاتمة.
٣	الجزء الثاني من كتاب السنة والشيعة وأوقف إتمامه من مدة.

عدد الملازم المطبوعة	
٤	مساواة المرأة بالرجل وأصل هذه الرسالة مناظرة له مع آخر في الجامعة المصرية.
٣	التفسير المطول الجزء الـ١٣.
١٧	″ المختصر ١٠ ملازم اختصر بها الجزء ١ و٢ وبعض ١٣ ″ ″ ٧ ″ ″ ″ ″ ١ و٢
	الشرق والشرقيين
	الغزالي وتاريخه

وعزم السيد على جمع الفتاوى وطبعها مستقلة عن المنار وكلف أحد الاخوان وضع فهرس لما في مجلدات المنار . وقد فعل . وماذا ترون في هذه الكتب هل نصدرها كما تركها مؤلفها أم ماذا ؟...

هذا وآخر ما فسر السيد من سورة يوسف قوله تعالى : «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين» . وسأل الله عز وجل أن يتوفاه مسلما ويلحقه بالصالحين وأرجو ان يكون استجيب دعاؤه جميعه .

بينا كنت أرتب أوراقي القديمة وجدت مكتوباً إليّ منكم في سنة ١٩٢٨ تدعون به السيد للاصطياف معكم في لوزان وتؤكدون عليه بذلك استجماماً لصحته وترغبونه أيضاً بوجود فؤاد بك سليم في لوزان وأثنيتم كثيراً على فؤاد بك وقد أطلعته على كتابكم امس فأثنى هو أيضاً وشكر لكم حسن ظنكم...

انشرح صدري ياسيدي الامير بوعدكم بكتابة سيرة السيد . ومن أوفى وأعرف بنفسية السيد ومن أقدر وأتقن لكتابة سيرة السيد من وليه وصديقه الحميم امير البيان وسيد الكاتبين . وأظن مرجحاً ان اجمع الكتب لسيرة السيد الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام وكتاب المنار والازهر ومجلدات المنار البالغة ٣٤ مجلداً وقد درس هذه المجلدات مستشرق لاهوتي يدعى تشارلس آدمس وألف كتاباً بالانكليزية تقدم به لجامعة شيكاغو ونال الدكتوراه في الفلسفة وترجم اخيراً ونشرته لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية واسمه « الاسلام والتجديد في مصر » واكثر من ثلث هذا الكتاب في السيد واكثر الثلثين في الاستاذ الامام والسيد الافغاني. واحكي على سبيل الاستطراد ان المستر آدمس زار السيد منذ عامين اثناء انعقاد المؤتمر الاقتصادي بلندن وقال له : قد عرفتك جيداً وعرفت الاستاذين الجليلين المصري والافغاني من آثارك وألفت فيكم كتاباً ولكن بقيت اشياء عنكم لم اظفر بها في مجلدات المنار والتاريخ وهي معرفة نشأتكم الاولى وكيف تلقيتم العلم ومن اساتذتكم واحوالهم واي الكتب التي استفدتم منها كثيراً ولها تأثير عظيم في نفسكم ؟ فذكر السيد له ما سأل عنه . وان كتاب الاحياء للغزالي هو الذي كوّن اخلاقه واستفاد منه كثيراً ولا يزال يستفيد منه . ولما انتهى اللاهوتي المبشر من اسئلته استأذنه السيد في ان يسأله سؤالا وهو : انتم اعلم مني بما وصل اليه الناس من الرقي المادي من سهولة المواصلات والمخاطبة الخ ... فهل هذا الرقي صير الناس في هناء وقربهم من السعادة ام انهم في هذه الايام ازدادوا شقاء وتعاسة ؟ قال : بل ازداد الناس شقاء . قال السيد إذن ما الدواء لذلك ؟ قال الدكتور تشارلس : الدين . وقال

السيد مبتسماً : كلانا لاهوتي يقول ان الدواء هو الدين ولكن قل لي هل يوجد في الانجيل ما نستطيع ان نقنع به اولئك المؤتمرين بلندن انه دواء للحالة الاقتصادية ؟ الانجيل يقول : اعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله · وفي دعاء الصلاة : رزقنا كفافنا الخ ·· وفي الانجيل ما فيه من التزهيد بالمال والتبغيض به · وقال السيد له : إن كان فيه غير هذا فعلمني · ثم قال السيد : اما في القرآن ففيه ثناء على المال وامر باستغلاله ومنعه عن السفهاء وجعل ثواب الانفاق منه في سبيل الله ومصالح المسلمين مضاعفاً أضعافاً الخ · ثم اخذ السيد يسأل المبشر هل في الانجيل كذا ؟ واما في القرآن ففيه كذا · وعدّ مقاصد القرآن الكريم العشرة التي فصلها في كتاب الوحي المحمدي الخ · اجدني اطلت في سرد تلك القصة وما كنت اقصد أن أفصلها تفصيلاً فمعذرة سيدي ·

ثم ان السيد رضي الله عنه لم يفصل في كتاب التاريخ والمنار والازهر سيرته السياسية ومن لهذا التفصيل بالتأليف غير اعرف الناس به الامير شكيب ؟ وعندي من مكتوبات السيد العدد العديد كان يتفضل بإرسالها إليّ مفصلة آراءه وما يلقاه في أسفاره في الحجاز واوروبة والشام وحينما اسافر من مصر الى بلاد الشام في رحلتي الشتوية كان يتفضل ايضا بإتحافي برسائله ويخبرني بما يجد في دار المنار ومصر · وفي هذه الرسائل فوائد كثيرة اقدمها لسيدي الامير مؤلف تاريخ السيد الامام عليه الرحمة والرضوان ·

السيد الامام كان متوجها بكليته الى ما اعده الله له من بيان اسرار دينه وحكمه وقد فاق الاقران بذلك ولكنه في شؤونه المالية قليل الاختبار ولم يوفق لاحد مالي يحسن القيام على إدارة المنار · ساعده افراد من اهله

يماثلونه بقلة الخبرة وروح المسامحة وكان آخرون من الغرباء يطمعون بماله .
وقد خلف السيد تركة مثقلة بالديون التي تبلغ نحو الفي جنيه يجب ان تؤدى .
ولنا ديون كثيرة ايضاً لم يستطع السيد ان يؤثر في نفوس مشتركي المنار ويحملهم على الوفاء وهم معدودون من ارقى المسلمين واحسنهم ديناً ووفاء ومعرفة ...

للسيد ولدان محمد شفيع رضا دخل في السنة ٢١ من عمره وقدمنا له طلبا ليلتحق بمدرسة الهندسة وعنده استعداد طيب لدروسها والمعتصم رضا وعمره ١٤ سنة وفي السنة الثالثة من الدراسة الثانوية واختها نعمى رضا نالت الشهادة الابتدائية قبلها .

هذا حالنا وما وصل العلم اليه وكل حال تحول .　　　اخوكم

عبد الرحمن عاصم

***

وجاءني من السيد عبد الرحمن عاصم بتاريخ ٧ رجب ١٣٥٥ و٢٤ ايلول سنة ١٩٣٦ الكتاب التالي :

سيدي الامير المجاهد الجليل

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فان رسائل عطوفة الامير حلت عندي محل رسائل مولاي السيد الامام أستفيد منها وأُسر وافخر بها وقد طال انتظاري وشوقي اليها .

انني اليوم في سرور وسرور لتوقعي قرب اللقاء وقد جاءت البشائر تسبق الوفد السوري المفاوض بأن الحرية عادت الى الاحرار المجاهدين بالعودة الى وطنهم .

ذكرت لرياض بك الصلح يوم سفره الى اوربة كلمتكم التي تتمنون بها المعيشة الهادئة في الوطن بين المحابر والكتب للتأليف والتحبير بمناسبة عودتي الى القلمون — واني ذكرت هذا لموظف موثوق به عند الافرنسيين فقال الموظف : من السهل النجاح بالسعي لتحقيق هذه الامنية ٠ واردت ان استشيركم ٠ ولكن رياض بك اشار بالانتظار لعل العودة تكون من نتائج المفاوضة في الاستقلال ٠ وقد تحقق رأيه والحمد لله٠

وجدت في مذكرات السيد الامام — رحمه الله ورضي عنه — مذكرة استحسنت نقلها اليكم وهي هذه : بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٣٥٣ و ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٣٤ أرسلت كتاباً جوابياً إلى الامير شكيب في خمس ورقات بينت له فيه ما انا متوجه اليه من الاصلاح الاسلامي وما بيدي من المؤلفات ومن أهمها كتاب « الربا والمعاملات المالية في الاسلام » وعزمي على الشروع في التفسير المختصر ٠ وما يعوقني من العسرة المالية وما عليّ من الدين ليكون على بصيرة منه — لانه المؤرخ الاسلامي الوحيد في هذا العصر »٠ رحم الله السيد واطال بقاء الامير في خير وعافية منافحاً عن الاسلام مؤيدا بروح منه تعالى ٠ وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ؟

عبد الرحمن عاصم

* * *

ثم جاءني من السيد عبد الرحمن عاصم كتاب آخر بتاريخ ١٠ شعبان سنة ١٣٥٥ و٢٧ تشرين اول سنة ١٩٣٦ اخذت منه ما يلي:

سيدي الاخ الامير المجاهد الجليل

تشرفت بكتابكم المؤرخ في الـ ٢٩ من رجب الفرد وشكرت لكم

إحسانكم المشكور . ومن مدة كتبت الى أخلص المخلصين من المصريين في محبة مولاي السيد الامام — عبدالله افندي امين — : ان احسن الناس وفاء واكثرهم ثمرة لاخواني ابناء السيد بعد وفاته رحمه الله سعادة الامير شكيب بإيثارهم على نفسه وذكرت له فضلكم السابق واللاحق . أطال الله بقاءكم في الخير والعافية وأدام النفع بكم . كان علوبة باشا قرر بتوصية الحاج امين افندي الحسيني شراء كتب بمائتي جنيه ثم اهملت القرار وزارة الوفد واليوم وصل إليّ انه تقرر شراء كتب بنحو ٧٠ جنيها . وكانت الجامعة المصرية راغبة بشراء المكتبة الخصوصية والراجح ان رئيسها لطفي باشا السيد صرف النظر عن ذلك ...

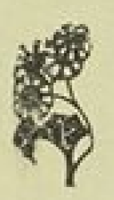
نعم كان عندنا نسب محرر مسجل وفقدناه فيما فقدنا من آثار الاجداد بظلم الحكام السابقين إذ كانوا يصادرون في بعض الاحيان كل ما في الدار من كتب وأثاث في زمن الثورة المصرية وبعدها وآخر العهد بذلك في أيام السلطان عبد الحميد وكانت الحكومة ترسل عساكرها من وقت لآخر للبحث عن المنار أو رسائل صاحبه وتجمع ما تجد في المنزل من كتب وورق وتحمله الى طرابلس ولا تعيد منه شيئاً والراجح أنها كانت تحرقه . وقد يكون في تلك الكتب نسخ من القرآن الكريم . وبعض البراءات السلطانية بهبات للاجداد وبقي عندي بعضها فإن استحسنتم فاني أوصلها اليكم .

الى أن يقول :

لست أدري هل انا رقيق القلب الى درجة الضعف ام ان كلام سيدي الامير يؤثر في نفسي ذلك التأثير العميق الذي صيرني لا استطيع

أملك دمع عيني في المرات التي حاولت فيها قراءة كلمتكم التي تمثلتم بها السيد امام عيونكم والدموع تجول في المآقي وهو يعاتب على ترك أسرته من بعده ... ويقيمكم مقام العم لهم . وانتم والحمد لله خير الاعمام والاخوال في مساعدتكم وايثاركم على نفسكم؟

عاصم



وقد وقف بنا القلم عند هذا الحد بعد الاشتغال بهذا التأليف مدة شهرين ونصف شهر واصلين فيه الليل بالنهار ، فنسأل الله ان يتقبل عملنا هذا الذي لم نقصد به رئاء ولا سمعة وإنما قصدنا القيام بواجب معرفة الفضل العظيم الذي كان للمترجم السيد رشيد رضا على العالم الاسلامي وبخاصة على هذا الفقير اليه تعالى بالغين في كتابنا هذا منتهى الطاقة من التدقيق والتحري وكان الفراغ من تأليفه في التاسع من صفر الخير سنة ١٣٥٦ الموافق ٢١ من شهر ابريل سنة ١٩٣٧ وذلك في مدينة جنيف في سويسرة والحمد لله اولاً وآخراً؟



ملحق

كنا سألنا الأخ السيد عبد الرحمن عاصم ابن عم الفقيد قدس الله روحه عما اذا كان عندهم شجرة نسب تثبت تحدّرهم من العترة الشريفة النبوية نظراً لتوارث كونهم من الاشراف الحسينية فاجابني أنه لا يزال عندهم سجلات ووثائق تثبت نسبتهم هذه ، ولكن الشجرة مفقودة بما توالى عليهم في زمن السلطان عبد الحميد من الاضطهاد و كبس البيوت واخذ الاوراق ، فعندما تلقينا هذا الجواب اكتفينا بما ذكره الاستاذ الفقيد عن نسبهم وانه معروف بالتواتر ؛ ولكننا في هذه الايام الأخيرة تلاقينا مع السيد أحمد الحسيني وزير الاشغال النافعة في لبنان الكبير وبينما نتحدث والحديث شجون وصلنا الى موضوع نسب السادة الحسينية أئمة الشيعة في جبل لبنان وهم الذين منهم السيد أحمد المشار اليه ، وكان منهم عمه السيد علي الحسيني قاضي مذهب الشيعة في الجبل ومسكنهم القرية التي يقال لها مزرعة السياد في شمالي كسروان الى الشرق فسألت السيد أحمد عن نسبهم وتاريخ وجودهم في لبنان وهو من صدق اللهجة والنبالة بالمقام الذي لا يخفى ، قد اتفقت الكلمة على تزكيته وتوثيقه فقال لي إنهم في الاصل من الحجاز كسائر الاشراف ثم انتقلوا الى العراق ونزلوا النجف ثم جاءوا من العراق إلى الشام ونزلوا بكرك نوح وهي قرية تجاور معلقة زحلة ورد ذكرها في معجم البلدان ، يقول ياقوت الحموي انها في أصل جبل لبنان . قال السيد أحمد الحسيني حفظه الله : ثم انتقل اسلافه الى

قرية قمهز من لبنان ثم الى قرية اخرى يقال لها كفر حيال ثم الى مزرعة السياد التي هم فيها الآن ، ولكن فرعا من عترتهم هذه بدلا من ان ينزلوا مع اولاد عمهم في مزرعة السياد ذهبوا فقطنوا قرية القلمون على سيف البحر بقرب طرابلس الشام ، قال : ومنهم آل رضا الذين منهم السيد رشيد وعائلته · فسألت السيد أحمد الحسيني : هل هذا معروف عندهم من القديم ؟ فاجابني نعم ، ولما كان المذكور ثقة صدوقا و كان يدري ما يقول وجدت من الضروري نقل كلامه هذا في ترجمة السيد رشيد لان الناس مأمونون على أنسابهم ولان السادة الحسينية المذكورين صحة نسبهم الى آل البيت تغني عن التعريف وهم اعلم بمن هو منهم وبمن هو ليس منهم ·

وقد أطلعنا الشيخ عبد الرحمن عاصم ابن عم السيد محمد رشيد على ماذكر اعلاه فكتب الينا مايلي :

وصل كتابكم ومعه كلمتكم الطيبة في نسب مولاي السيد · وعرضتها على سيدي الوالد فأقرها وهو يسلم عليكم · وجدنا الاعلى الذي اتخذ في القلمون مسكنه وبنى فيها مسجده اسمه : منلا علي خليفة البغدادي ونسبته الى بغداد تؤيد رواية حضرة (ابن العم) السيد احمد الحسيني — الوزير اللبناني — وكان المرحوم السيد محمد رشيد نفسه كلف نور افندي العرب ان يطلب صورة النسب من سيد من السادات الحسينية ائمة الشيعة الساكنين في جهة برج البراجنة ، وكان مولاي السيد يكلفني بتذكير نور افندي بالطلب ، وذاك السيد يعد ، وكان مسنا ثم توفي

رحمه الله ؛ وانما طلب السيد رشيد ذلك النسب لعلمه بانه موافق للنسب الذي كان محفوظا عندنا .

وسلسلة نسب اجداد السيد الامام الذين جاءوا من العراق الى ماردين ثم الى القلمون هكذا : السيد محمد رشيد بن السيد علي رضا بن السيد محمد شمس الدين بن السيد محمد بهاء الدين (واخوه السيد احمد هو الذي خطب ابنة مصطفى آغا بربر حاكم طرابلس فزوجه اياها بعد التهديد) ابن السيد منلا علي خليفة البغدادي .

الى ان يقول : فحيا الله سيدي الامير وبياه وجزاه خير ما يجزي محسناً على إحسانه ، فما أوفى بيانكم لمكانة السيد السياسية وإصابة رأيه باحداثها من قبل وقوعها .. ونجاحه في التوجيه الى اغراضها ، وانه كان موضع ثقة الملوك والامراء والزعماء ، وما احسن دفعكم لاعتراض المعترضين على كتابة السيد تاريخ نفسه بكلام مفيد مقنع لا يدع مجالا لمنصف ان ينبس ببنت شفة معترضاً . وما ألطف تلك الحواشي المؤيدة لكلام السيد او المبينة له وما فيها من لطائف مستملحة ، وأحسن الله اليكم إذ بينتم انه كان الاولى والاصح في تسمية سيدتي الوالدة ذلفاء لازلفى الخ ..



فهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	٣	الثالة عشرة	الرابعة عشرة
١٧	١٣	لا ٠٠ فحسب	تحذفان من الكلام
٢٩	٤	إبعال	ابعال
٣١	١٣	متزراً	مؤتزراً
٢٣	٦و٢و١٢	أعني	أعنى
٤٠	١٩	شيبان	شيبانا
٥٦	١٠	نعمل	نعقد
٧٣	١٨	وجليتة	وحليته
٩١	٨	حمي	حمَى
٩٢	٤	حذور	حزّور
١٠٠	١٣	بني	بني
١٠٠	١٨	أخو صبحي باشا	ابو صبحي باشا
١١٢	١٩	يَبَسا	يَبسا
١١٤	٩	ربيع الاول	ربيع الآخر
١٣١	١	أستاذاً	أستاذ
١٣١	١٤	فيهم	فيه
١٥٤	٣	الى	إليَّ
١٦٩	١	استاذا	استاذ
١٨٦	١٧	أتيت	أثبت
٢١٨	٩	العمرين	القمرين
٢١٩	١٨	ومقول	ومِقوَل
٣٣٩	١٣	ابي عمر	ابن عمر
٢٣٩	١٤	الاورية	الأزْوية
٢٤١	٤	لاذات مندم	لات ساعة مندم
٢٤٤	١١	الثمرة	التمرة
٢٤٨	١٠	صراط	الصراط
٢٥٤	١٩	لم	لا
٢٦٢	١٨	طليع علىّ	طليم بسلم عليّ
٢٦٣	١٣	علوية	علوبة
٢٧٢	٣	الثاني	الاول
٢٨١	٤	رشيد المفسر	مقحمة خطأ فلتحذف
٢٨٨	١٠	نجمٌ	نجمِ
٢٩٢	١٣	يُنجِل	يَنجُل (ثلاث)
٢٩٤	٥	بفي	بغي
٢٩٥	١٣	القب	العذب
٢٩٧	٨	اضلوا الخ	ضلوا السبيل واضلوا من قفا
٢٩٩	٦	نضالا	نصالا
٣٠٠	٥	قسا	غسا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠٠	١٧	ساء الثوب الخ	ساى الثوب مده فانشق اوساي هنا مقلوب ساء
٣٠٠	١٠	بما	قما
٣٠١	١٣	عاد	عاذ
٣٠٣	١٨	واصطبى	واطبى
٣١٢	١٣	بترجمه	الى ترجمه
٣٢٢	٣	علم	أعلم
٣٣٠	٨	قوبة	قربة
٣٤٥	١١	المصباح	وهذ المصباح على الدء وموطنا
٣٤٥	١٥	قد يمنع	فلا يمنع
٣٦٢	٧	الشبيبي	الشبي
٣٦٢	١٠	المتوسط	التوسط
٤٠٥	١٧	ثم	تم
٤٣٣	٧	حق	حقك
٤٣٤	١٦	وطول	وطوال
٤٤٨	١٦	اللمي	اللخمي
٤٨٩	١٥		واجران ان اصاب
٤٩٣	١٢	يحضُون	يحضوُن من حضأ النار
٥٢٥	٨	ادر كوا	من ادر كوا
٥٤٣	٥	بادر	بادىء
٥٦٠	٥		تمنها على

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٦٦	٩	اومأ	وإما
٥٩٣	٧	تجبون	تحبون
٦٠٧	١٥		فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين
٦١٠	١١	عن مراجعته	عند مراجعته
٦١٢	٣		وقفت في مثله
٦٢٥	٨	مغتاد	معتاد
٦٣٢	٤	التى	الذي
٦٤٠	١٧		الذي
٥٧٥	٢٠	الذي	الذين
٦٨٣	١٥	تاحيل	تأجيل
٦٩٧	١	لهذا	هذا
٧٠٤	٢	تصحيحاً	تصحيح
٧١٣	١٩	الاياب	الرباب
٧٣١	٩	كغمير	كغمير
٧٤٤	١٢	في هذا	في هذا الموضوع
٧٦٢	٦	بهذه	هذه
٧٧١	٣	مبني	مبنياً
٧٩٩	١٦	احمد كامل	محمد كامل

انتهى